كتاب

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

في الأدبيات والنوادر والأخبار

للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محيي الدين بن عربي
المتوفى سنة ٦٣٨ هجرية

المجلد الأول

دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

جميع حقوق الطبع والترجمة
والاقتباس محفوظة
لدار اليقظة العربية
١٣٨٨ هجرية — ١٩٦٨ ميلادية

هذه الطبعة :

من كتاب « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار » تأليف الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، الإمام المجتهد العارف بالله تعالى سيدي محيي‌الدين بن العربي، قدس الله سره، ونفعنا به وبعلومه آمين، اللهم آمين! بالاستناد الى النسخة الاصلية المكتوبة بخط المؤلف، وعلى الطبعة الأولى لسنة ١١٨٣ هـ ربيع الثاني وعلى طبعة عام ١٣٢٤ هـ في القاهرة.

وقد قام بمراجعتها، والوقوف على تصحيحها وضبطها ومقابلتها، لجنة من أكابر وأفاضل علماء دمشق، كلفتهم « دار اليقظة العربية » خصيصاً لهذه الغاية الكريمة.

والكتاب، بحد ذاته، غني عن التعريف، لما أودع فيه المؤلف من صنوف الآداب، وفنون المواعظ والأمثال، والطرائف النادرة، والأخبار السائرة، وسيَر الأولين من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم.

بالإضافة الى أخبار ملوك العرب والعجم، والحكايات المضحكة، المسلية، المنزّهة عن كل هجاء ومثلبة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أطلع شمسَ الفوائد في محاضرة الأبرار، وجعل نظام القلائد في مسامرة الأخيار ، وأودع الفرائد في مجاورة الأحرار ، وأوضح الحكم في مجارات الحكماء ، وأبان جوامع الكلم في مبارات العلماء ، وضمن الأسرار في مطارحة الأحبّاء، وأرسل الأرواح في منادخة الاودّاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

أمـــا بعد فاني اودعت في هذا الكتاب الذي سمّيته محاضرة الأبرار ، ومسامرة الأخيار، ضروباً من الآداب وفنوناً من المواعظ والأمثال والحكايات النادرة ، والاخبار السائرة ، وسيَر الأولين من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والأمم ، وأخبار ملوك العرب والعجم ، ومكارم الأخلاق ، وعجائب الإتفاق ، وما رويناه من الأحاديث النبوية في ابتداء هذا الأمر وإنشاء العالم وترتيبه وما أودع الله من عجائب الصنع وبديع الحكمة ، وسردت فيه نبذاً من الإنسان وفنونـاً من مكارم ذوي الاحساب ، وحكايات مضحكة مسلّية ما لم تكن للدين مفسدة مما تستريح النفوس اليها عند ايرادها مما لا أجر فيه ولا وزر .

ونزّهت كتابي هذا عن كل هجاء ومثلبة ، وضمّنته كل ثنـــاء ومنقبة ، وإذا كانت الحكاية المضحكة في رجل معتبر مشهور من أهل الدين أو العـــلم لهفوة صدرت منه ضحك لها الحاضرون، أو فعلة بدت منهم من غير قصد منه اليها فاذكرها لما فيها من الراحة للنفس ، ولا اسمّي الشخص الذي ظهر عليه ذلك حتى تتوفر حرمته ، ولا تزدري لقدره من بعد شهرته وتعظيمه .

وكذلك سَكتُّ في كتابي هذا عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ، لما يتطرق للنفوس من الترجيح والتجريح ، وغاية ما أذكر لضرورة ثنـــاء ومنقبة ومحمدة ومثلبة ، يتخللها شيء من ذكر مثالب أقوال فيهـا فأسمعه ما يكره ، ولا أذكر ما قال حتى لا أذكر الغيبة ، ولا أفوه بما فيه ريبة .

فمدار هذا الكتاب على هذا الفن وما شاكله ، وفيه أقول محاضرة الأبرار خير كتاب، لبّ اللباب، ونزهة الألباب، جمعت فنون حقائق ودقائق، ولطايف من نزهة الآداب، وعوارف وخلايف، ومكارم تعزى لقوم من ذوي الأحساب، وعجايب ومواعظ فيها ، وقد ضمّنتها نُبذاً من الأنساب .

شعر :

عذراء قد كشف البيَان قناعَها   كالبدر أسْفرَ من قناع سَحاب

فصـــل

فيما ذكره الناس في شرف مجالسة الكتب دون الناس ، وما في ذلك من السلامة في الدين ، أنشد ابو الحسن بن جابر الزيّات :

كتابُ الله أصدق كل قيـلٍ   رواه المصْطفى عن جبْرئيلِ
عن اللوح المحيط بكل شيءٍ   عن القلم الرفيع عن الجليل

قال بعضهم : الكتاب نعم الذخر والعقدة ، والجليس والعمدة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس بساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القربة والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل .

شعر :

احضر بنفسك في مجارات الهوى ... واحضر بقلبك في مبارات النهى
وانثر من العلم النفيس نفائساً ... من لؤلؤ التوحيد من سلك النّها
وابرز لنا من خلف أردية الصّبا ... رعبوبة من دون أخمصها السّها
لو أنها برزت لأشمط راهب ... فات العبّاد عبّادة لو أنّها
ودعته تطلبُ منه ما خلقت له ... متذكراً نهي المسيح لما انتهى
طوعاً وكرهاً ما يجابُ لأنها ... تدعو فتسمَعُ بالأسنّة والنّهى
فاعكف على هذا الكتاب مقدساً ... لله جلّ ثناؤه ومُنزّها
وانظر بعقلك فيه نظرة ناصحٍ ... فطن تجده مذكّراً ومنبّها
وانثر عليه لآلئاً من عقده ... يعصمه ذاك النثر أنْ يتألّها
وإذا رأيتَ مشمّراً في سَيره ... حكم الوَني في عزمه فتولّها

قال بعضهم : الكتاب وعاء ملآن علماً وظرفاً حشي ظرفاً ، وإناء حشي مزاحاً ، إن شئت كان أعيا باقل ، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل ، وإن شئت سردت نوادره ، وشجتك مواعظه .

ومما حدّثني فيما يرجع في قول الشعر اليه شيخنا ابو عبد الله محمد بن سعيد عن شيخه ابي محمد بن عبد الله بن عبدون الكاتب قال : حملني أبي الى الاستاذ لأنظر عليه شيئاً من كتب الأدب ، وكنت قد بدأت قول الشعر قليلاً قال : فأراد الاستاذ امتحاني في ذلك، وتعرض لتقبيح الشعر، فقال لي: يا ولدي، بلغني أنك تكتب على صغرك ، فقلت : هو كما قيل لك ، فقال : اجز الشعر خطة

خسف ، فقلت : لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب، وللفتى طرف ظرف، فاستحسنه الشيخ .

حدّثني أبو جعفر بن يحيى بقرطبة قال عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله ابن سيدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد سأله بعض اصحابه ، وكان لا يجالس الناس ولا يُرى إلا وفي يده كتاب ، فقال في ذلك : لم أرَ آنس من كتاب ، ولا أسلم من الوحدة .

وقال بعضهم : ما رأيت بستاناً يحمل في ردن ، وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء ، من الكتاب لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن من الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، ولا أعلم جاراً أبرّ، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا معلّم أخضع، ولا صاحب أظهر كفاية وعناية، ولا أقل إبراماً وإملالاً، ولا أبعد من مرا ، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال ولا أكفّ عن قتال من كتاب .

ودخلت على بعض من مشايخي وقد جلس في حضيره من كتبه وقال : اذا اردتُ محادثة الحق أُحدّث المصحف ، فلا ازال أُناجيه ويناجيني ، واذا أردت محادثة الرسول ﷺ ، اخذت كتاب حديث وكذلك كل من اردت مناجاته من الأولين والآخرين ، ثم اني اجالس من لا يمل ، بمجلسي ولا ينقل حديثي ، ثم أنشدني لبعضهم :

لنا جلساءُ لا نملّ حديثُهم ألبّاء مأمومون غيباً ومشهَدا
اذا ما خلونا كان خير حديثهم معيناً على نفي الهمُوم مؤيّدا
يفيدُوننا من عندهم علم من مضى وعقلاً وتأديباً ورأياً مسدّدا

فلا ريبة تخشى ولا سُوءَ عشرةٍ ولا تتقي منهم لسَاناً ولا يَدا
فإن قلتَ امواتاً فلست بكاذب وإن قلتَ احيَاءً فلست مفنّدا

وقال لي بعض الأدباء : قال مصعب بن الزبير : ان الناس يتحرفون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون احسن ما يكتبون ، ويكتبون احسن ما يسمعون ، فإذا اخذت الأدب فخذه من افواه الرجـال فانك لا تسمع إلا مختاراً ، ولؤلؤاً منثوراً .

ولنا فيه شعر :

سميري لا يـــنام ولا يَنـُمّ حفيظ للذي يلقى كتومُ

وأهدى بعض الكتّاب الى صديق له دفتراً وكتب اليه : هديتي هـذه أعزك الله ، تزكو على الإنفاق ، وتربو على الكد ، لا يفسدها العواري ، ولا يخلقها كثرة التقليب ، وهي أنس في الليل والنهار ، والسفر والحضر ، تصلح للدنيـا والآخرة ، وتؤنس في الخلوة ، وتمنع من الوحدة ، مسامر مساعد ، ومحدّث مطاوع ، ونديم صديق .

قال الجاحظ : لا أعلم ما جاء في حداثة سنّه ، ولا قرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده يجمع بين السيَر العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ، ومن الحِكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة ، والاخبار عن القرون الماضية ، والبلاد النازحة ، والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما تجمعه كتاب ، ومَنْ لك بزائر ان شئت كانت زيارته غبّاً ، وورده جماً ، وإن شئت لزمك لزوم الظل ، وكان منك كمكان بعضك .

شعر :

أما لو أعي كلما اسمَعُ واحفظ من ذاك ما اجمَعُ
ولم استفد غير ما قد جمعْـ ـتُ لقيل هو العالمُ المصْقعُ
ولكنّ نفسي الى كلّ عالمٍ من العـلم تسْمعه فتَنزع
فلا أنا احفظ ما قدْ جمعْـ ـتُ ولا أنا من جمْعه أشبَع
ومنْ يك في علمه هكذا يكنْ دهره القهْقرى يرجع
يَضيعُ من المال ما قد جمعـ ـتَ وعلمُك في الكتب مسْتودع
اذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعُكَ للكتْب لا ينفعُ

قال الزهري : اذا سمعت أدباً فاكتبه ولو في حائط . وقال لقمان لإبنه : يا بُنيّ نافس في طلب العلم ، فإنه ميراث غير مسلوب ، وقرين غير مغلوب .

ورأيت شيخنا ابا عبد الله بن القسوم المالكيّ الصالح العالم ، وهو على كبر سنه يشتري ورقاً ، فسألته عن ذلك مع شغله بالعبادة ؟ فقال لي : اوصاني شيخي ابو عبد الله بن المجاهد فقال لي : ان استطعت أن لا تموت إلا وأنت طالب تكتب العلم ، والأدب فافعل .

وروينا مثل ذلك عن المأمون قال له منصور بن المهدي : أيحسن بنا طلب العلم والادب قال: والله لأن اموت طالباً للعلم،خيراً من أن أعيش قانعاً بالجهل . قال : والى متى يحسن بي ذلك ؟ قال : ما حسُنت الحياة بك .
وأنشدني ابو عبد الله بن عبد الرحمن في ذلك :

كتابي فيه بستاني وراحي ومنه سمير نفسي والنديمُ
يُسالمني وكلّ الناس حرْبٌ ويسلّيني اذا عرتِ الهمومُ
ويحْيي لي تصَفح صفحتيهِ كرام الناس إذ فقد الكريمُ
اذا عوج عليّ طريق امْري فلي فيـه طريق مسْتقيمُ

وكلما سطّرته في كتابي هذا فمنه ما شاهدته، أو حدثني من شاهده، ومنه ما نقلته من كتب مشهورة رويتها سماعاً، او قراءة، او مداولة، او كتابة، مثل كتاب : الإمتناع والمؤانسة ، للفاضل الاديب النحرير ابي حيان التوحيدي رحمه الله تعالى. وكتاب المجالسة، لأحمد بن مروان المالكي الدينوري رحمه الله تعالى . وكتاب بهجة الاسرار ، للامام ابن جهضة رحمه الله تعالى . وكتاب مناقب الابرار، للامام تاج الاسلام ابي عبدالله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس رحمه الله تعالى . وكتاب المبتدأ ، لاسحاق بن بشر القرشي رحمه الله تعالى . وكتاب حلية الاولياء ، لأبي نعيم احمد بن عبد الله الحافظ رحمه الله تعالى . وكتاب دلائل النبوة ، لأبي بكر احمد بن عبد الله رحمه الله تعالى . وكتاب السيرة، للشيخ الامام الحافظ محمد بن اسحاق المطّلبي رحمه الله تعالى. وكتاب السيرة ، للامام ابي عبد الله محمد بن عبد الملك بن هشام رحمه الله تعالى . وكتاب صفوة الصفوة ، للامام الحافظ الواعظ ابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزيّ رحمه الله تعالى. وكتاب مسند الشهاب، للامام الفاضل محمد بن سلامة القضاعيّ رحمه الله تعالى . وكتاب مقامات الأولياء ، للامام ابي عبدالرحمن السلميّ الصوفي رحمه الله تعالى. وكتاب الرسالة الصوفية، للامام الصوفي المذكور عبد الكريم ، من هوازن القشيريّ رحمه الله تعالى . وكتاب مثير الغرام الساكن ، لأبي الفرح عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي رحمه الله تعالى . وكتاب المسند، للازرقي في مكة، لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن احمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو القضاعي الأرزقي رحمه الله تعالى. وكتاب المسند الكبير، للامام الحافظ احمد بن حنبل رضي الله عنه . وكتاب السنن، للامام ابي داود سليمان بن اشعب السجستاني . وكتاب الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى الحافظ . وكتاب الصحيح ، للامام ابي الحسن مسلم بن الحجاج القشيريّ . وكتاب للامام ابي عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري الجعفي رحمه

الله تعالى. وكتاب العزلة، لأبي سليمان احمد بن ابراهيم بن الخطّاب الخطابي. وكتاب طبقات الصوفية ، للشيخ الإمام العارف ابي عبد الرحمن السلمي . وكتاب شرح السنّة، للامام سيدي ابي محمد الحسين بن محمد البغوي رحمه الله تعالى . وكتاب مسند الإمام عبد الله بن حميد محمد بن اسمعيل البخاري رحمه الله تعالى. وكتاب ريحانة العاشق، للأديب الجليل ابي القاسم المسور. وكتاب الأمالي ، لأبي المعالي البغدادي نزيل قرطبة . وكتاب روضة الأنس، لشيخنا الضرير ابي زيد السهيلي المالكي الإمام رحمه الله . وكتاب الكامل، للأديب اللغوي ابي العباس المبرّد رحمه الله تعالى . وكتاب زهرة الأدب ، للحضري رحمه الى تعالى . وكتاب المحاسن والأضداد ، لأبي عثمان عمرو بن عمر الجاحظ رحمه الله تعالى . وكتاب معاناة العقل ، للمهذب ثابت بن عنيني الحلوي قرأه علينا بالموصل . وكتاب الحماسة، لأبي تمام . والحماسة الحلوية، وهي من مؤلفها وقرأه علينا. وكتاب النور، للأديب الفاضل وكتاب درجات التائبين ومقامات القاصدين، للهروي". وكتاب الفردوس، لأبي شجاع سبروية بن شهروية الهمداني الديلمي رحمه الله تعالى . وكتاب اللمعة لأبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التهمي الفاسي . سمعناه منه ، الى غير ذلك من الكتب المشهورة ، والكراريس، والمفاريد ، والأجزاء الغريبة ، التي لا تحصى كثرة ، وجعلته مجالس .

وقد قدّمت في صدر هذا الكتاب اسانيد الى الذين أقول عنهم ، وروينا من حديث فلان متصلاً وقد اسوق اسناد ذلك المذكور الى الخبر وقد لا لا أسوقه على حسب ما يتفق ؛ وأودعته ايضاً مما لنا من منظوم في فنون مختلفة من ادبٍ ونسيب، ومعرفة وحكمة ، ومفاخرة بحسب وحماسة ، وغير ذلك مما تقف عليه ان شاء الله تعالى والله اعلم وبه استعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الأسانيد المتصلة الى الدين ، اقول فيهم : روينا عن فلان. فمن ذلك إذا قلت: روينا من حديث ابن اسحاق، فهو ما حدثنا محمد بن موسى القرطبي عن المبارك بن علي بن الحسين، عن ابي القاسم هبة الله بن احمد بن عمر، عن محمد بن علي العشاري، عن احمد بن محمد بن ابي موسى بن ابراهيم العمد، عن محمد بن عبدالله بن احمد، عن احمد بن محمد بن الوليد، عن سعد بن سالم، عن عثمان بن ساج ، عن محمد بن اسحاق المطلبي .

واذا قلت : روينا من حديث بن الأشعث ، فهو ما حدثناه نصر بن ابي الفرج بن علي الحضري، عن ابي جعفر محمد بن عليّ بن محمد بن احمد التلمساني، عن أبي بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب ، عن أبي عمرو القاسم بن جعفر ابن عبد الواحد الهاشمي البصري، عن ابي محمد بن احمد بن عمر اللؤلؤي، عن ابي داود بن الأشعث .

واذا قلت: روينا من حديث ابن هشام، فهو ما حدثنا به عبدالواحد بن اسمعيل، عن ابي حفص عمر بن عبد الحميد بن عمر بن الحسين بن عمر بن احمد القرشي الدارمي، ثم الرياشي أجازة، قال: حدثنا ابو محمد عبدالمعطي بن المسافر

بالاسكندرية قال: ثنا ابواسحق ابراهيم بن سعيد الحبّال، ابنا ابومحمد عبدالرحمن ابن عمر النحاس، ابنا عبدالله بن جعفر بن الوردي، عن ابي محمد بن عبدالرحيم ابن عبد الله البرقيّ ، عن ابن محمد عبدالملك بن هشام .

واذا قلت روينا من حديث مروان فهو ما حدثنا به عبد الرحمن بن علي قال: ثنا عبدالوهاب بن جعفر بن احمد بن عبدالعزيز بن الحسين الضراب، عن ابيه عن احمد بن مروان .

واذا قلت: روينا من حديث المالكي، فهو ما ثنا به ابو بكر بن ابي الفتح السجستاني، عن محمد بن احمد بن حمدان، عن ابي الحسين عليّ بن الحسين بن عمر الموصلي الفرّا ، عن عبد العزيز بن الحسين بن اسماعيل بن محمد الضرّاب ، عن ابيه ، عن احمد بن مروان المالكي .

واذا قلت: روينا من حديث عبدالملك، فهو ما حدثنا به القاضي ابو عبدالله محمد بن زرقون، عن سفيان بن العاص، عن ابي الوليد بن سعيد الكتاني الوقسى ابي عمر بن احمد بن محمد الطلمنكي ، عن ابن عون الله عن ابي الورد ، عن البرقي ، عن عبد الملك بن هشام .

واذا قلت: روينا من حديث الدينوري، فهو ما ثنا به يونس بن يحيى، عن ابي بكر محمد بن ابي منصور ، عن ابي ظاهر بن الصقر ، عن هبة الله بن ابراهيم الصرف، عن الحسن بن اسماعيل الضراب، عن احمد بن مروان المالكي الدينوري .

واذا قلت: روينا من حديث اسحاق بن بشر، فهو ما ثنا به عبد الواحد ابن اسماعيل عن عمر بن عبدالحميد، عن أبي الماضى عطية بن علي الفهري، عن ابي عبدالله محمد بن احمد الرازي ، عن ابي عبد الله الحسن بن يحيى بن

عبدالرحمن التميمي الحكّاك، عن ابي القاسم عبيدالله بن محمد بن احمد بن جعفر السقطي، عن ابي بكر احمد بن السندي ابن الحسن الحداد، عن ابي محمد الحسن ابن علويه القطّان، عن اسماعيل بن عيسى القطاطر، عن اسحاق بن بشر القرشي.

واذا قلت روينا عن ابي نعيم، فهو ما ثنا به احمد بن محمد بن احمد، عن القاشاني، عن ابي نعيم.

واذا قلت: روينا من حديث احمد بن عبدالله، فهو ما ثنا به محمد بن ابي الفتح السحري، عن ابي الحسن علي بن ابراهيم بن نجا بن غنايم الأنصاري، عن سعد الخير محمد بن سهل، عن ابي سعد بن محمد بن محمد بن محمد المطرز، عن احمد ابن عبد الله.

واذا قلت: روينا من حديث القشيري، فهو ما ثنا به محمد بن محمد بن محمد، عن ابي سعد هبة الله بن عبدالواحد بن عبدالكريم، عن جده عبدالكريم ابن هوازن القشيري.

واذا قلت: روينا من حديث السلمي، فهو ما ثنا به احمد بن محمد، عن محمد بن الفضل الثقفي، عن ابي عبدالرحمن السلمي، ومما ثنا به ايضاً احمد بن ابي منصور، عن ابي سعد محمد بن ابي بكر يُعرف بخيّاط الصوفي، عن ابي بكر عليّ بن خلف، عن ابي عبد الرحمن السلمي.

واذا قلت: روينا من حديث مسلم، فهو ما ثنا به جمال الدين الخراساني بمقصورة الخضر، بغربي جامع دمشق، عن محمد بن الفضل الفراوي، عن عبدالغافر الفارسي، عن محمد بن عيسى بن عمر بن الجلودي، عن ابراهيم بن محمد بن سفيان المروزي، عن مسلم بن الحجاج القشيرى.

واذا قلت: روينا من حديث احمد بن الحسين، فهو ما ثنا به ابوالخير احمد ابن اسماعيل بن يوسف الطالعاني القزويني ، عن محمد بن الفضل الغراوي عن احمد بن الحسين البيهقي .

واذا قلت : روينا من حديث ابي بكر احمد بن الحسين، فهو ما ثنا به ناصر بن عبدالله بن عبد الرحمن العطار بمكة، عن مبارك بن علي بن الحسين الطبّاخ ، عن ابي عبدالله بن الحسين بن محمد بن الحسين، عن جده ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي .

واذا قلت : روينا من حديث بن باكويه ، فهو ما حدثنا به عبدالرحمن عن ابي بكر الصوفي ، عن ابي سعيد الخدريّ ، عن ابن باكويه الشيرازي .

واذا قلت : روينا من حديث الترمذي، فهو ما ثنا به المكينُ بن شجاع الزاهد بن رستم الاصفهاني البزار بمكة ، عن الكرخي ، عن العزرجي ، عن المحبوبي ، عن ابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .

واذا قلت: روينا من حديث البخاري، فهو ما ثنا به عبدالجليل الشريحاني ويونس بن يحيى في آخرين، عن ابي الوقت، عن الداوودي، عن الحمويّ ، عن الفربري ، عن محمد بن اسماعيل البخاري .

واذا قلت: روينا من حديث القضاعي، فهو ما ثناه كتابة، ابو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الانصاري سنة احدى وسبعين وخمسمائة، عن ابي عبدالله محمد بن بركات بن هلال السعيدي القضاعي محمد بن سلام .

واذا قلت: روينا من حديث محمد بن سلامة، فهو ما ثنا به محمد بن يحيى، عن محمد بن ابي منصور، عن ابي عبدالله الحميدي ، عن محمد بن سلامة ، وهو القضاعي .

واذا قلت : روينا من حديث الحميدي، فهو ما ثنا به ابو الثناء محمود بن المظفّر ، عن محمد بن نصر بن خميس ، عن ابي عبدالله الحميدي .

واذا قلت: روينا من حديث ابي داود، فهو ما ثنا به احمد بن منصور عن ابن طالب محمد بن عبدالرحمن، عن الحاكم بن الحسين احمد بن عبد الرحيم، عن الحسن بن عليّ السمرقندي، عن ابن داسته، عن ابي داوود بن الأشعث السجستاني.

واذا قلت: روينا من حديث احمد بن حنبل، فهو ما ثنا به عبد الرحمن بن عليّ في آخرين، عن هبة الله بن محمد، عن الحسن بن عليّ بن ابي بكر بن مالك، عن عبد الله بن احمد بن حنبل ، عن ابيه حنبل .

وإذا قلت : روينا من حديث الخطابي ، فهو ما ثناه البرهان اسماعيل بن يوسف الانصاري، ثم الابري من بلاد الاندلس، عن محمد بن ابي المعالي عبد الله ابن موهوب بن جامع، عن عبدون البغدادي الصوفي يعرف بابن نبا، عن ياسر عبد الوهاب بن هبة الله بن ابي حية ، عن ابي القاسم اسماعيل بن احمد بن عمر السمرقندي ، عن القسم اسماعيل بن مسعد الاسماعيلي الجرجاني ، عن ابي عمر محمد بن عبد الله الزنجاني ، عن احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي .

واذا قلت : روينا من حديث ابن جهظب ما كتب به الثناء عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن ظفر، عن جعفر بن احمد عبد العزيز بن علي، عن ابي الحسن بن جهظب الصوفي .

واذا قلت: روينا من حديث ابي الوليد، فهو ما ثنا به ناصر بن عبدالله بن عبد الرحمن العطار ، عن محمد بن ابي بكر الطوسي ، عن عبد الرحمن بن ديلم النسائي، وعبد الرحمن بن علي الطبري، عن الحسن بن خلف الشامي، عن ابيه عن

الحسن بن احمد ابي فراس، عن محمد بن نافع الخزاعي، وابي بكر بن عبدالمؤمن، عن اسحاق بن محمد الخزاعي، عن ابي الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد ابن الوليد بن عقبة بن الازرق بن عمرو، والغاني .

واذا قلت: روينا من حديث ابن ابي الدنيا، فهو ما ثنا يونس بن يحيى، عن يحيى بن ابراهيم الثلاماسي، عن ابيه، عن ابي نصر احمد بن محمد القاري، عن ابي بكر بن عبد الله البزار، عن ابي جعفر بن عبد الله بن اسماعيل الهاشمي، عن ابن ابي الدنيا .

واذا قلت: روينا من حديث ابي عبد الله، فهو ما ثنا به محمد بن محمد بن محمد، عن ابي الاسعد هبة الرحمن ابن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن، عن عبد الرحمن السلمي .

واذا قلت: روينا من حديث محمد بن اسماعيل، فهو ما ثناه عن بشاه بن محمد بن ابي المعالي كتابة، عن محمد بن عمر الصيدلاني، عن الغراوي، عن الجباري، والحفصي الكشميني، عن محمد بن اسماعيل البخاري .

واذا قلت: روينا من حديث ابن الحجاج، فهو ما ثناه بشاه بن محمد ابن ابي المعالي كتابة، عن محمد بن الحسن العباسي، عن عمر بن سعدوية عبد الغافر الفارسي، عن الجلودي، عن مسلم بن الحجاج .

واذا قلت: روينا من حديث الجعفي، فهو ما ثناه عن بشاه بن محمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن ابي المحاسن الترمذي، عن العيار، عن ابي علي بن الشويه، عن الفربري، عن محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري .

واذا قلت: روينا من حديث الازرقي، فهو ما ثناه محمد بن اسماعيل، عن

ابي الحسن علي بن الحسين ابن علي التميمي الريحاني المالكي، عن عبدالرحمن بن علي الشيباني الطبري، عن الحسن بن خلف الشامي، عن ابيه، عن ابي فراس عن محمد بن نافع ، عن اسحاق بن محمد الخزاعي ، عن ابي الوليد محمود بن عبد الله الازرقي .

واذا قلت: روينا من حديث ابن سورة، فهو ما ثناه عبد الحميد بن محمد ابن علي بن ابي الرشيد القزويني كتابة، عن ابي الحسن علي بن حمزة، وابي محمد عبدالواسع بن الموفق، وابي مثا بن عبدالصبور بن عبد السلام التاجر، ثلاثتهم عن ابي عامر محمود بن القسم الازدي ، عن ابي محمد عبد الجبار بن محمد بن عبدالله بن عبد الجراح، عن ابي العباس محمد بن احمد بن محمود المحبوبي التاجر، عن ابي عيسى الترمذي الحافظ .

واذا قلت: روينا من حديث الهاشمي، فهو ما ثناه عبد الحميد بن محمد بن علي بن ابي الرشيد القزويني كتابة ، عن ابي ظاهر صاعد بن سعيد الطوسي ابي الفتيان عمر بن عبد الكريم بن علي ابي علي الحسن بن علي الرازي الهاشمي ، وهو ابو الحسن زيد بن عبد الله بن مسعود المعروف بزقاعة .

واذا قلت : روينا من حديث ابن الخطابي ، فهو ما حدثنا ابو النجيب حيدر القزويني كتابة ، عن محمود بن عمر بن احمد بن عبد الله الساري ، عن ابي المحاسن عبد الواحد بن اسماعيل بن احمد، عن ابي منصور محمد بن احمد البلخي ، عن ابي خطاب الخطابي .

واذا قلت: روينا من حديث ابن ودعان، فهو ما ثناه محمد بن قاسم ابن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفارسي ، عن ابي الطاهر محمد بن احمد السيقلي الاصفهاني، عن ابي نصر محمد بن علي بن عبد الله بن احمد بن صالح بن سليمان بن ودعان حاكم الموصل .

واذا قلت : روينا من حديث ابن ماجة ، فهو ما ثناه ابو الحسن علي بن عبيد بن الحسين الرازي ، عن ابي سعيد عبد الرحمن بن ابي القسم ، علي بن منصور، محمد بن الحسن، علي بن طلحة، القسم بن ابي المنذر، عن ابي الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة ، عن محمد بن زيد بن ماجه .

واذا قلت: روينا من حديث البغوي، فهو ما حدثنا احمد ابن ابي منصور الخولي كتابة ، عن ابي الحسن علي بن الحسن بن علي الفاسي ، وعلي بن ابي عبد الله الباجي ، قالا : ثنا ابو محمد الحسن بن مسعود البغوي .

واذا قلت: روينا من حديث ابن ابي عرفة، فهو ما ثناه ابوالفتوح نصر بن ابي الفرج بن علي الحضرمي، عن ابي القسم يحيى بن ثابت بن بندار بن القاسم عبيدالله بن احمد بن عثمان الصيرفي، ويعرف بإبن السوادي، عن ابي بكر احمد ابن ابراهيم بن الحسن بن محمد الساداني ابن حرب بن مهران البزار، عن ابي عبدالله بن ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي النحوي .

واذا قلت: روينا من حديث مالك بن انس، فهو ما ثنا به محمد بن اسماعيل، وغيره ، عن ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الطوسي ، وعن ابي الحسن علي ابن الحسن بن علي التميمي، كلاهما، عن عبد الرحمن بن علي الطبري، عن الحسن ابن خلف، عن ابيه، عن الحسن احمد بن ابراهيم، عن محمد بن نافع بن محمد ابن الخزاعي، عن ابيه، عن ابراهيم بن اسحاق المالكي، عن احمد بن مالك الحضرمي، عن سعد بن سالم القداح ، عن مالك بن انس .

واذا قلت: روينا من حديث الرملي، فهو ما ثناه محمد بن القسم قراءة على الحافظ السلفي، وثناه السلفي اجازة، عن ابي الحسين احمد بن محمد المقري، عن ابي اسحاق بن ابراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال، على العباسي منير بن احمد

ابن الحسن بن علي بن منير الخشاب ، عن ابي الحسن بن علي بن احمد بن اسحاق البغدادي ، عن ابي العباس الوليد بن حماد الرملي .

واذا : قلت روينا من حديث ابن حبّان ، فهو ما ثناه ابو محمد اسحاق ابن يوسف بن علي، عن المطهر بن علي بن عبيد الله الفاسي ، عن ابي ذر محمد ابن ابراهيم بن غازي الصالحاني الاصفهاني ، عن ابي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف ، 'كنّي بأبي الشيخ .

واذا قلت: روينا من حديث الخرائطي، فهو ما ثناه محمد بن يوسف بن علي الفرنوي كتابة ، عن ابي الفتح احمد بن محمد بن سليمان، عن ابي عبدالله محمد بن ابي نصر عبد الله الحميدي الحافظ ، عن ابي القسم الحسين بن محمد بن ابراهيم الحناني ، عن ابي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي .

واذا قلت: روينا من حديث ابي عبد الحكم، فهو ما ثناه الحافظ السلفي اجازة عن مرشد بن يحيى بن القسم المديني، عن علي بن منير بن احمد الحلاّل، عن ابي بكر محمد بن احمد بن الفرج القماح ، عن عبدالرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن اعين القرشي .

واذا قلت: روينا من حديث الواحدي، فهو ما ثناه ابو عبد الله بن عمر ابن احمد بن منصور الصفاري، عن عبدالجبار بن محمد بن احمد الحزازي، عن علي الواحدي .

واذا قلت: روينا من حديث الاصمعي، فهو ما ثناه ابن محمد بن قاسم علي، عن ابي عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن منصور الحضرمي، عن عبدالله الرازي ، عن ابي هاشم، والحسين بن محمد بن الضراب ، عن احمد بن مروان المالكي ، عن ابراهيم الحزمي ، عن ابي نصر ، عن الاصمعي ، والله اعلم .

كتاب

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

في الأدبيات والنوادر والأخبار

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

نسبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، واسم هاشم ، عمرو بن عبد مناف، واسم عبدمناف،المغيرة بن قصي، واسم قصي، زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمـــة بن مدركة ، واسم مدركة، عامر بن الياس بن مضر بن نذار بن معد بن عدنان بن ادد بن المقـدم بن ياخور بن مرخ بن يعرب بن يسحب بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن، بن يارج، هو آزر بن ياخور بن شاروخ بن راغو بن فالخ، ابن عبير بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن مالك بن متوشالخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام، بن يزد بن مهلييل بن قاين بن يانس بن شيث عليه السلام، ابن آدم ابو البشر عليه الصلاة والسلام، وعلى الاول والآخر بينهما من النبييّن صلوات الله دائمة وسلاماً الى يوم الدين .

---

(١) مطلب في نسبه صلى الله عليه وسلم .

ثنا بهذا النسب الزكي الشريف سرداً من لفظه كما كتبته من محمد بن قاسم ابن عبد الرحمن بن عبد الكريم من بني تميم، قال : ثنا ابو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي ، أنبأ ابو عبد الله بن رفاعة بن عزيز السعدي ، ثنا ابو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي، ثنا ابومحمد عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحيم، ثنا ابو محمد عبد الرحمن بن عمر بن النحاس، ثنا ابو محمد عبدالله ابن جعفر بن الورد بن ريحويه البغدادي، ثنا ابو عبد الله بن سعيد عبد الرحيم ابن عبد الله بن عبد الرحيم ، ثنا ابو محمد عبد الملك بن هشام ، عن جبير بن مطعم ، عن ابي بكر النحوي ، ثنا دباب بن عبد الله البكاري ، عن محمد بن اسحاق المطلبي .

روينـــا من حديث مالك بن انس عن الزهري ، عن عثمان بن سليمان ابن ابي خيثمة العدوي ، عن ابي بكر بن عبـــد الرحمن بن حارثـة بن هشام، عن جبير بن مطعم، عن سيدي ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، في سرد النسب الى عدنان . فقال: في حديث عدنان أدد، وهو الهميسع بن يولخ ابن سالف بن عـامر بن مثير بن الصيّاح بن عوام بن مرام بن يشخب بن كعب بن ثابت،واسماعيل بن‌ابراهيم بن آذر بن ياخور بن شاروغا بن ارغوا، وهو هود بن شيث عليهم السلام ، ابن فالح بن عبير بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ابن مالك بن المتوثلخ بن حويك ، وهو ادريس عليه السلام ابن يزيد بن ماليل ابن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهما السلام .

انساب العشرة متصلة بنسبه صلى الله عليه وسلم :

نسب سيدنا عليّ رضي الله عنــه ، وهو اقربهم نسباً ، وهو عليّ بن ابي طالب بن عبد المطلب، وأبعدهم سيدنا عثمان رضي الله عنه، وهو سيدنا عثمان

ابن عفان بن ابى العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وابعد منه الزبير، وعبد الرحمن رضي الله عنهما، فهو الزبير بن عوّام بن خويلد بن اسد ابن عبد العزّى بن قصيّ .

وأما سيدنا عبد الرحمن بن عوف، هو عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن الحرث بن زهرة بن قصيّ. وأبعد منهما سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه، وهو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد منـــاف بن كعب بن زهرة بن كلاب ، وأبعد منه الصدّيق، وطلحة رضي‌الله عنهما. اما سيدنا ابوبكر رضي‌الله عنه، فهو عتيق بن عثمان ، يكنّى ابا قحافة بن عامر بن عمرو .

وأما سيدنا طلحة رضي الله عنه ، فهو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ، اجتمعا في عمرو ، وهو كعب بن سعد ابن تيم بن مرة ، وأبعـد منهما سيدنا عمر وسيدنا سعيد رضي الله عنهما . أما سيدنا عمر رضي الله عنه ، فهو ابن الخطاب بن نفيل .

وأما سيدنا سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل، اجتمعا في نفيل، وهو عبد العُزّى بن رباح عبدالله بن قرط بن زراع بن عدي بن كعب . وأبعـد منهما ابو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه ، وهو سيدنا ابو عبيدة بن عبد الله ابن الجرّاح بن كعب بن ضبة بن الحرب بن فهر .

نسبُ أمه صلى الله عليه وسلم ورضي عنها :

وهي آمنة بنت عبـد مناف بن زهرة بن كلاب . اجتمعت مع رسول الله ﷺ في كلاب بن مرة .

نسب أمه التي أرضعته ﷺ وهي: ضيرة، وهي: حليمة بنت ابي ذويب

عبد الله بن الحرث بن شيحة بن جابر بن رامة بن ناصرة بن سعيد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر، اجتمع مع رسول الله ﷺ في مضر .

نسب والده من الرضاع :

هو الحرث بن عبد العزّى بن رفاعة بن فلان بن ناصرة بن سعيد بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر . اجتمع مع رسول الله ﷺ في مضر .

اخوته من الرضاعة :

الحرث بن عبد الله ، وأنيسة بنت الحرث، وحذافة بنت الحرث، وهي: الشيما ، غلب عليها ذلك فلا تعرف في قومها إلا به ، وكانت تحضنه مع أمه حليمة اذا كانت عندهم ، وكان عمه حمزة بن عبد المطلب أخاه ايضاً من الرضاع ، فقال : أرضعته التي أرضعت حمزة .

أولاده ﷺ :

الذكور، منهم: القاسم وبه كان يُكنّى، ثم الطيب، ثم الطاهر، وعبد الله، وابراهيم. وأُناث منهن: أكبرهن رقية ، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة ؛ وجميع أولاده عليهم السلام من خديجة رضي الله عنها ، غير سيدنا ابراهيم عليه السلام فأمه مارية القبطية سرّيته ﷺ .

اعمامه ﷺ وعماته :

فمنهم العباس ، وضرار ، إبنا عبد المطلب ، وهما شقيقان لأم واحدة ، وهي : نبيلة بنت حباب بن كليب بن ربيعة بن نزار .

فأما العباس فأعقب ، ولم يعقب ضرار ، وحمزة ، والمقوم ، وجحل ، وصفية ابناء عبد المطلب لأم واحدة وهي هالة بنت اهيب بن عبد مناف ، ولم يعقب حمزة ، والمقوم ولد بنتاً ، وأعقب جحل ، وصفية ولدت الزبير ، وابوطالب، ووالد رسول الله ﷺ عبد الله، وأم حكيم يقال لها : البيضاء ، وعاتكة ، وأروى ، وبرّة ابناء لعبد المطلب لأم واحدة هي : فاطمة بنت عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم بن نقطة بن مرة بن كعب .

فأما ابو طالب وعبد الله فأعقبا ، والزبير ادرج عقيبه ، وأمـا البنات فولدن كلهن . والحرث بن عبد المطلب ، وأمه سمراء بنت جندب بن حجير ابن هوازن ، وأعقب الحرث ، وأبو لهب واسمه عبد العزي بن عبد المطلب ، أمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن طاطل الخزاعية ، وأبو لهب أعقب .

وأزواجه ﷺ :

فمنهن خديجـــة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزي بن قصيّ بن كلاب ، ماتت قبل الهجرة . وعائشة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما . ومنهن حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ومنهن أم سلمـة ، واسمها هند بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وهي آخر من مات من أزواجه بعده . ومنهن سودة بنت زمعة بن عبد شمس ابن عبـد ود بن نضر ابن مالك بن جبير بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. ومنهن أم حبيبة ، واسمها رميـــلة بنت ابي سُفيان بن الحارث بن أميّـة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب . ومنهن زينب بنت جحش بن رباب بن اسد ابن خزيمة، وامها آمنة عمة رسول الله ﷺ بنت عبد المطلب، وهي اول من مات من ازواجه بعده ، وهي اول من حملت جنازتها على النعش . ومنهن :

زينب بنت خزيمة، وهي: ام المساكين، وهي من عبدمناف بن هلال بن عامر ابن صعصعة توفيت في حياته عليه السلام . ومنهن ميمونة بنت الحرث بن حرب بن بجر بن الحرص بن رومية بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة . وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وقيل: الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمي. وقيل: أم شريك. وقيل: زينب بنت جحش . ومنهن جويرة بنت الحرث بن أبي ضرار بن الحرث بن عابد ابن مالك بن المصطلق بن خزاعة، سباها النبي ﷺ في غزوة المريسع وتزوج بها ، ومنهن صفية بنت جبير بن أحطب من بني النضير سباها يوم خيبر فهؤلاء احدى عشرة امرأة دخل بهن ﷺ بلا خلاف . ومنهن الغالية بنت صبيان بن عمرو بن أبي بكر بن كلاب، اختلف في الدخول بها، ثم انه طلقها. ومنهن امرأة من بني عمرو بن كلاب اخو بكر بن كلاب، فطلقها قبل الدخول لبياض كان بها. ومنهن اسماء بنت كعب الحرثية، وقيل: اسمها أميمة بنت النعمان بن شرحبيل فاستعاذت منه فطلقها ، ولم يدخل بها . وقيل : التي استعاذت هي مليكة الليثية . وقيل : هي فاطمة بنت الضحاك . ومنهن عمرة بنت يزيد احدى نساء بني كلاب فطلقها ولم يدخل بها ، قال بعض العلماء : هي التي اختارت نفسها فابتلاها الله عند ذلك بالجنون . ومنهن أم شريك الازدية الانصارية من بني النجار طلقها ولم يدخل بها ، وهي التي قلنا : انها قد روي أنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، ومنهن اسماء بنت الصلت من بني خزام من بني سليم لم يدخل بها . ومنهن قيلة بنت قيس أخت الأشعث لم يدخل بها ولا رآها . ومنهن فاطمة بنت شريح . فهؤلاء اقصى ما بلغن من عدد أزواجه .

ومات ﷺ عن تسع منهن :

ميمونة ، وسودة ، وصفيّة ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش .

من مات في حياته منهن :

خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة أم المساكين .

القرشيات : منهن عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة .

اللاتي كان يساوي بينهن في القسمة اربع: عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة، وزينب .

جواريه ﷺ :

مارية بنت شمعون القبطية، ولدت له سيدنا ابراهيم عليه السلام . وريحانة بنت زيد من بني قريظة ، من بني النضير .

حجاته ﷺ :

حج ﷺ ثلاث حجات ؛ حجتان من مكة ، وواحدة من المدينة ، وهي التي تسمى حجة الوداع .

عُمَرُه ﷺ :

واما عُمَرُه: من الحديبية في ذي القعدة، واما عمرة القضاء من العام المقبل كانت ايضاً في ذي القعدة ، وعمره من الجعرّانة حيث قسم غنائم حنين في القعدة وعمرة مع حجته واحرامه بها عليه السلام في ذي القعدة .

ذكر غزواته ﷺ التي خرج اليها بنفسه :

فأول ذلك غزوة الأبواء . خرج اليهـا في صفر سنة اثنين على رأس اثني عشر شهراً من هجرته حتى بلغ ردان . ثم غزوة في شهر ربيع الآخر ثالث الشهر من غزوة الأبواء يريد قريشاً حتى بلغ بوَاط من ناحيـة رضوى . ثم غزى العشير في جمـادي الأولى سنة اثنتين وهي من بطن ينبع . ثم غزى يطلب كرز بن جابر وهي غزوة بدر الأولى سنة اثنتين . ثم غزوة بدر سنة اثنتين في شهر رمضان الذي قتل فيه صناديد قريش . ثم غزوة بني سُليم حتى بلغ الكدر في شوّال سنة اثنتين . ثم غزوة السويق في ذي الحجة سنة اثنتين بعد بدر بشهرين يطلب ابا سفيان بن حرب . ثم غزوة نجـد يريد غطفان . ثم غزوة ذي أمر في صفر سنة ثـلاث . ثم غزوة نجران في ربيع الأول سنة ثلاث ، يريد قريشاً وبني سُليم فيما بين ذلك امرُ بني قينقاع من سنة ثلاث . ثم غزوة احـُد في شوال سنة ثـلاث . ثم غزوة حمر الأسد في شوال سنة ثلاث . ثم غزوة بني النضير وإجلائهم في ربيع الأول سنة أربع . ثم غزوة ذات الرقاع من جمـادى الأولى سنة اربـع . ثم غزى في شعبان أي بدر بميعاد ابي سفيان وهي بدر الآخرة سنة اربع . ثم غزى دونة الجندل فرجع قبل ان يصل اليها في ربيع الأول سنة خمس . ثم غزا بالخندق في شوال سنة خمس . ثم غزا بني قريظة في ذي القعدة أو في الحجـة سنة خمس . ثم غزا الرجيع خرج في جمادى الأولى الى بني لحيان يطلب اصحاب بني الرجيـع في جمادى الأولى سنة ست . ثم غزى ذي قرد وهي التي أغـار فيها عيينة بن حصن على لقاحه فخرج اليهم سنة ستٍّ بعـد الرجيع بليال . ثم غزا بني المصطلق في شعبان سنة ستّ . ثم غزا الحديبية خرج في ذي القعدة معتمراً فصَدَه المشركون سنة ست . ثم غزا خيبر خرج اليهـا في بقية المحرم سنة

سبع. ثم خرج في القعدة يعني لعُمرة القضا سنة سبع . ثم اقام في المدينة بعد بعثه الى موتة جمادى الآخر ، ورجب . ثم غزى فتح مكة بعشر مضين من رمضان سنة ثمان . ثم غزى حنيناً سار اليها من مكة في شوال سنة ثمان . ثم غزى الطائف سنة ثمان ، سار اليها من حنين ورجع الى المدينة ، واقام بها ما بين الحجة الى رجب . ثم غزى تبوك وامرَ الناسَ بالتهيء لغزوة الروم فخرج الى تبوك ولم يجاوزها سنة تسع .

سراياه صلى الله عليه وسلم ، وبعوثه فيما بين ان قدم المدينة الى أن قبضه الله عز وجل

غزوة عبيدة بن الحرث الى احياء من اسفل ثنية المرة، وهي ماء بالحجاز. وغزوة حمزة بن عبدالمطلب الى ساحل البحر من ناحية العيص ، وبعض الناس يقدمون غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة . ثم غزوة سعد بن ابي وقاص، وبعث محمد بن مسلمة فيما بين أُحد وبدر الى كعب ابن الاشرف وقتله . ثم غزوة عبد الله بن جحش الى نخله. ثم غزوة زيد بن حارثة القدرة . ثم غزوة مرشد ابن ابي مرشد الغنوي الرجيع لقوافيها . ثم غزوة منذر بن عمرو بيئر معاوية لقوافيها . ثم غزوة ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ذا العصة من طريق العراق . ثم غزوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تربة من ارض بني عامر . ثم غزوة علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى بني عبد الله بن سعد من أهل فدك . ثم غزوة ابي العوجاء السلمي ارض بني سليم لقوافيها بعثه بعد رجوعه من عمرة القصة في الحجة سنة سبع، وأصيبوا وجاء جريحاً حتى قدم المدينة في صفر سنة ثمان . ثم غزوة عكاشة بن محصن العمدة . ثم غزوة ابي سلمة بن عبد الاسد ببطن قطنا ماء من مياه بني اسد من ناحية نجد لقوافيها فقتل فيها مسعود بن عروة . ثم غزوة محمد بن سلمة اخي

بني الحرثة . أي، مواضع من هوازن تسمى القرضا . ثم غزوة بشير بن سعد ايضاً الى جنان ناحية خيبر ، ثم غزوة زيـد بن حارثة الجموح من ارض بني سُليم ، ثم غزوة زيـد بن حارثة ايضاً حرام من ارض حسما لقوافيها ، ثم غزوة زيد بن حارثة ايضاً الطرف مـن ناحية النخل او من ناحية طريق العراق ، ثم غزوة بني حارثـة ايضاً وادي القرى لقوا فيها بني فزاره ، ثم غزوة عبد الله بن رواحة خيبر ، ثم غزوة عبد الله بن رواحـة ايضاً خيبر اصاب فيهـا بشير بن رزام اليهودي ، ثم غزوة عبد الله بن عتيك الى خيبر وأصاب فيها ابا رافع بن الحقيق . وقد كان رسول الله ﷺ بعث عبدالله بن انيس الى خالد بن سفيان النهري فقتله . ثم غزوة زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة الى موتة فاصيبوا فيها ، ثم غزوة كعب بن عمرو الغفاري ذات الطلاع من ارض الشام فاصيب فيها ، ثم غزوة عيينة بن حفص بن حذيفة بن زيد بن العبير من بني تمـيم لقوا فيها ، ثم غزوة غالب ابن عبد الله الـكلبي كلب ليث ارض بني مرة لقوا فيهـا ، ثم غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من ارض بـني عذرة ، ثم غزوة ابي حدرد وأصحابه الى بطن اضم قبل الفتح لقوافيها كذا ، قال : هذا ابن ابي حدرد . وقال: فيما مضى ابي‌حدرد ، ثم غزوة ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى سيف البحر ، ويسمى جيش الخيط . انتهى ما ذكر ابن اسحاق .

وزاد ابن هشام : بعث عمرو بن امية الضمري ، بعثه عليه السلام لقتل ابي سفيان بمكة وسرية بن حرثة الى مدين ، ثم غزوة سالم بن عمير ابا جعد حدثني بـه عمرو بن عوف ، ثم غزوة عمير بن عدي الخطمي عصماء بنت مروان ، والسرية التي اسرت ثمامة بن اياك الخيفي .

وبعث علقمة بن محدر في طلب القوم الذين قتلوا، وقاص بن محرز بوادي

قرد. وبعث كرز بن جابر في طلب الرعاء الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ وعلي ، وذكوان . ثم غزوة علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى اليمن مرة أخرى . ثم غزوة أسامة بن زيد الى الداروم فمات رسول ﷺ قبل خروجه وولى ابا بكر رضي الله عنه فأمضاه لوجهه ، فمضى حتى وطىء نخيلة ارض الداروم . بعث خالد بن الوليد الى نخلة لهدم العزّى . بعث خالد بن الوليد الى بني خزيمة . بعث ابا عامر على جيش الى اوطاس . بعث خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة . بعث جرير بن عبد الله الى ذي الخلصة ليهدمها ، بعثه على مائتين وخمسين فارساً . بعث خالد بن الوليد الى بني الحرث . ثم غزوة ابي بكر رضي الله عنه الى نجد ، قبل بني فزارة فأصاب منهم . سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عجز هوران وراء مكة بأربعة اميال . سرية عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي ، هو بعث علقمة بن محرز بولاية علقمة على طائفة من بني الحيس .

عدد نقبائه ﷺ اثنا عشر نقيباً :

ولم يكن لنبيّ قبله هذا القدر، بل كان الكل نبي سبعة نقباء ، وهم رضي الله عنهم : ابو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي ابن ابي طالب، والزبير بن العوام، وجعفر بن ابي طالب، ومصعب بن عمر، وبلال بن رباح ، وعمّار بن ياسر ، والمقداد بن الأسود ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الله بن مسعود .

وأما نجباؤه ، فكلهم من الأنصار ، اثنا عشر نجيباً : سعد بن خيثمة من بني عمرو بن عوف ، وسعد بن الربيع من بني النجار ، وسعد بن عبادة من بني عبد الأسهل ، وعبيد الله بن رواحة ، وابو الهيثم بن التيهان ، والبرّاء بن

معروس ، ورافع بن مالك الأزرقي ، وعبـــد الله بن عمرو بن حزام ، وهو ابو جـــابر ، وعبادة بن الصامت ، من بني سلمة . والمنذر بن عمرو ، من بني ساعدة .

وأما حواريوه ﷺ ، فكلهم من قريش، وهم اثنا عشر رجلاً : ابو بكر، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن ابي وقـــاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وحمزة بن عبـد المطلب ، وجعفر بن ابي طالب ، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن مظعون. فالذي جمع بين النجابة والحوارية: ابو بكر وعمر وعثمان وعـــلي وجعفر بن مظعون . فهؤلاء الستة جمعوا بين الشرفين رضي الله عنهم .

وأما مواليه ﷺ : زيد بن حارثة ، وأسامة بن زيد، وأبو رافع السلمي؛ ويقال: ابراهيم ، ويقال: هرم، ويقال: سنان، كان قبطياً ، وسفينة ، واسمه مهران ، ويقال: رباح ، وبونان . وسار ابو بكر، وهو الذي قتله العربيون، وشقران ، اسمه صالح ، وأبو كبشة ، اسمه سليم ، وأبو ضميرة مدغم ، وهو الذي أصابه السهم فمات يوم حنين ، ورويقع ، وسلمان ، ورباح ، وعبيـد ، وأحمر ، وكيبا ، وأبو أثيله ، وشعبة .

الأناث : سلمى ، ودرّة ، وميمونة .

ُخلقه وشمائله وحالاته وحركاته وسكناته ومجالسه :

كان ﷺ فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألىء القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأعظم من المشذب ، عظيم الهـــامة ، رجل الشعران ، انفرقت عقيصته فرق، وإلا خلا، ولا يجاوز شعره شحمة أذنه ، إذ هو وفره، أزهر

اللون، ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالأدم، سهل الخدين، صلتهما ليس بالطويل الوجه، ولا المكلثم، واسع الجبين، أزجّ الحواجب، سوابغ من غير قرن بينهما، عرق يدرّه الغضب، أقنى العرنين، له نور يعـــلوه، يحسبه من لم يتـأمله اسم، كثاء اللحية، أدعج، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، عنفقته بارزة، فكاه حول العنفقة، كأنها بياض اللؤلؤ، دقيق المرية، كأن عنقه جيد دمية، في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادياً متماسكاً، سواء البطن، والصدر، عريض الصدر، بعيد المنكبين، جليل الكتدين، بين منكبيه خاتم النبوة، وهو شامة سوداء، تضرب الى الصفرة، حولها شعرات متواليات، كأنها من عرف فرس، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبّة والسُّرة بشعر يجري كخط، عاري الثديين، والبطن، مما سوى ذلك، أشعر الذراعين، والمنكبين، وأعـالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، سبْط العصب، شثن الكفين، والقدمين، سائل الاطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء.

اذا أزل زال تقلعاً، يخطو تكفأ، ويمشي هوناً، ذريع المشية، كأنما ينحط من صبب، واذا التفت التفت جميعـــاً، خافض الطرف، نظره الى الارض، اطول من نظره الى السماء، جلّ نظره الملاحظة، يشوق اصحابه، يبدأ من لقي بالسلام، متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليس له راحـة، لا ينطق في غير الحاجة، طويل السكت، يفتح الكلام ويختمه: ببسم الله، ويتكلم بجوامع الكلم، فضل لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي، ولا المهين، يعَظّمُ النعم، وإن دقت لا يذم منها شيئاً، ولا يذم مذاقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، واذا تعرض للحق لا يعرفه احد، ولا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لهـا،

واذا اشار اشار بكفه كلها ، واذا تعجب قلبها كلها ، واذا تحدث اتصل بها، فيضرب ببطن راحته اليمنى ابهـــام اليسرى ، واذا غضب أعرض وأشاح ، واذا فرح غضّ طرفه ، جلّ ضحكه التبسم ، ويفتر عن مثل حبّ الغمام ، كان دخوله لنفسه ما دون له في ذلك .

كان اذا آوى الى منزله جزّأ نفسه ثلاثة أجزاء : جزء لله تعالى ، وجزء لأهله، وجزء لنفسه . ثم يجزّء جزءَه بينه وبين الناس، فيردّ ذلك على العامة بالخاصة ، ولا يدّخر عنهم شيئاً ، فكان في سيرته في جزء أهله الامة إيثـار اهل الفضل باذنه، وقسمه عليهم على قدر فضلهم في الدنيا، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم فيما أصلحهم ، والامة عن مسألة عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول : ليبلّغ الشاهد الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع بلاغي ، فان من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبّت الله قدمه يوم القيامة . ولا يذكر عنده الاراذل، ولا يقبل من أحد غيره عذره ، يدخلون زواد ، ولا يفترون إلا عن ذواق ، ويخرجون أذلة .

وكان ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ، ويؤلفهم ولا يفرقهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ، من غير ان يطوي على احد بشره ، ولا خلقه ؛ يتفقد اصحابه ، ويسأل الناس عمـا في الناس ، ويحسّن الحسَن ويصوّبه ، ويقبّح القبيح ويوهنه ، معتدل الامر، غير مختلف ، لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يميلوا لكل حال عنـده عياد ، لا يقصّر عن الحق ، ولا يجاوزه ، الذين يلونه من النـاس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة .

وكان ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا بذكر الله تعالى ، لا يوطن الأماكن ، وينهى عن إيطانها، واذا جلس الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطي كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب جليسه ان احـداً أكرم عليه منه ممن جالسه او قاومه في حاجة صابره ، ما تفارقه حتى يـده يكون هو المنصرف ، ومن سأله في حاجة لم يردّه إلا بها او ما يسره من القول .

قد وسع الناس بينهم منه بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه حلم ، وحياء وصبر، وأمانة، لا ترفع عنده الاصوات، ولا تؤبّن فيـه الحرم ، ولا تثني فلتاته ، معادلين متفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعون يوقرون الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذوي الحاجـة ، ويحفظون الغريب .

وكان ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، ليّن الجانب ، ليس بفظّ ، ولا غليظ ، ولا صخّاب ، ولا فحّاش ، ولا عيّاب ، ولا مزّاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا ييأس ولا يخيب فيه مؤمّله ، قـــد تركى من ثلاث : المراء ، والإكثار ، وما لا يعنيه . وتركى الناس نفسه من ثلاث .

كان لا يذمّ احداً ، ولا يعيّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرتجى ثوابه ، اذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير، فاذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنـده ، ان تكلم أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أوليتهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون ، ويصبر على الغريب ، على الجفوة ، في مسألته ومنطقه ، حتى ان كان اصحابه يستجلبون بهم ، ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة فارشدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافىء ، ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه .

وكان سكوته على أربع : الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكر . فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين النــاس ، وأما تفكره ففي ما يفنى ويبقى ، وجمع له الحلم في الصبر ، فكان لا يغضبه شيء، ولا يستفزّه ، وجمع له الحذر في اربع : أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته،والقيام فيما جمع له من خيري الدنيا والآخرة.

خدمه انس بن مالك عشر سنين الى ان توفاه الله تعالى ، فما قــال لشيء فعله ، لِمَ فعلته ؟ ولا لشيء لم يفعله ، لِمَ لم أفعله ؟ ما عاب طعاماً ، كان اذا اشتهاه أكله ، وان لم يشتهيه تركه ، كان يقول في السرّاء : الحمــد لله المنعم المتفضل . وكان يقول في الضرّاء : الحمد لله على كل حال . كان يذكر الله على كل أحيانه . كان يسلّم على العبيد والاماء والصبيان . كان يمازح الصغير ، ويلاعب الوليد ، ويمازح العجوز ، ولا يقول إلا حقاً . كان رؤوفاً، رحيماً ، ليّناً ، هيناً ، شفيقاً ، رفيقاً ، لطيفاً ، سؤساً .

كان ﷺ أجلّ وأعظم من ان يحيط ناعت بوصفه ، ولكن ما وصفه من وصفه إلا بقدر ما ظهر له منه ﷺ .

تفسير ما وقع في هذا الفصل من الغريب :

المشذب : المفرط في الطول ؛ شعر رجــل : الرجل الذي ليس بالسبط فان السبط الذي لا تكسّر فيه، والقطط: الشديد الجعودة، والعقصة: الشعر المعقوص ، وهو نحو من المظفور ، وهي ظفيرتان تضم احداهما الى الاخرى ، يشبه التكتف ، الزجج في الحواجب : أن يكون بينهما تقوّس مع طول في أطرافها ، وهي التوسع فيها ، والقرَنُ: التقاء الحاجبين حتى يتصلا ، والبلج:

ضد القرن وهو ان لا يلتقي الحاجبان ويبقى بينهما بيـاض ، وهو محبوب ، والعِرْق : الذي يُدرّه الغضب درروه غلظه وتنوه وامتلاؤه اذا غضب ، والعرنين : الانف ، والقنا : ان يكون فيه دقة ارتفاع في قصبته ، يقال منه رجل أقنى ، وامرأة قنواء ، والاشم : ان يكون الانف دقيقاً لا قناء فيه ، وكتفاه من غير عرض ، ولا طول ، والظليع : الفم الواسع .

قال ابو عبيد الله : وأحسبه بعين جود في الشفتين ، والاشنب : الذي في اسنانه تفرّق ، والمسربة : الشعر الذي بين اللبة والسرة كالخط . والجيد : العنق . والدمية : الصورة من الرخام ، وتجمـــع على دما . والكراديش : العظام ، والزندان ، العظمان اللذان في الساعدين المتصلان بالكفين. والقصب: كل عظم ذي مخ مثل الساقين والذراعين والعضُدين. وبسوطتهما: امتدادهما. والشثن في الكفين والقدمين : بعض غلط ، والاخمص من القدم في باطنها ما بين صدرها وعقبها ، وهو الذي يلصق بالارض من القدمين في الوطء ، ومعنى قوله خمصان : يعني أن ذلـــك الموضع من قدميه ، فيه تجاف عن الارض وارتفاع مأخوذ من خمصانة البطن وهو ضمره . والمسبح القدمين : يعني أنهما ملسان وان ليس في ظهرهما تكبير ، قال : ينبو عنهما الماء، يقول : لا ثبات الماء عليهما ، وقوله : اذا خطا تكفأ : يعني تمايـــل ، مأخوذ من تكفىء السفن . ذريع المشية : واسع الخطا، كأنما ينحط من صبب . يريد انه مقبل على ما بين يديه . غضّ الطرف : خافض الطرف . التفت جميعاً : يريد انه لا يلوي عنقه دون جيده ، فان فيه بعض الخفة والطيش . والدمث : اللين السهل . والإشاحة : الحد والحذر . والافترار : ان تكثر الاسنان ضاحكاً من غير قهقهة . وصبّ الغمام : البرد شبه بياض اسنانه . الرواد : الطالبون، أحدهم رائد . والعثار : العدّة، لا يوطن نفسه : لا يجعل له موضعاً يعرف،

انما يجلس حيث ينتهي بـــه المجلس . لا تؤبن له الحرم : أي لا توصف فيه النساء . لا تثني فلتاته : الفلتات السقطات . ويثني : يتحدث بهـا ، يقال : ثنوت أثنو ، والاسم منه الثناء ، ومنه قول امرء القيس :

ولو عن ثناء غيره جاءني ... وجرح اللسان كجرح اليدِ

والامهق : الشديـد البياض الذي يضرب بياضه الى الشهبة . والازهر : هو الابيض الناصع البياض . والصلت : المستوى . والفتكان : مواضع العظام حول المنفقة . والكتد : موضع الكتفين .

أسماؤه ﷺ :

محمد ، وأحمد ، وقاسم ، والعاقب ، والحاشر ، والمقفى ، نبي الرحمـة ، ونبي الملحمة ، والبشير ، والنذير ، والسراج المنير ، والعزيز ، والرؤوف ، والرحيم ، والخاتم ، والماحي ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحة ، والفاتح ، والمتوكل ، والشاهد ، والحرز ، والراعي ، وطه ، ويس ، والمزمّل ، والمدثـّر .

خصائصه ﷺ ، وعلى الانبياء عليهم السلام :

ُبعث الى الناس كافة ، وأحلـّت له الغنائم ، ونصر بالرعب مسيرة شهر ، وأوتي جوامع الكلم ، وجعلت له الارض مسجداً ، وجعل التراب له طهوراً ، ما لم يجد الماء ، وأعطي مفاتيح خزائن الارض ، وأعطي فاتحـــة الكتاب وخواتيم البقرة ، وأعطي افتتاح الشفاعة .

بعوثه ﷺ الى كسر الاصنام الى ذي الخلصة ليهدمها :

وبعث خـــالد بن عبد الله الوليد ، الى العزّى ، وبعث الى ذي الكفين

الطفيل بن عمرو الدوسي ، فجعل يحرقه بالنار ، ويقول : يا ذا الكفين لست من عبّادك . وكان ذو الكفين صنماً لعمر بن جمحـة ، وبعث سعيد بن عمير الأسهل ، الى مياه بالمشلل ، وبعث عمرو بن العاص ، الى سُواع هذيل .

ركابه ﷺ :

كان له ثلاث نياق : الجدعاء ، والعضبا ، والقصوى .

أفراسه ﷺ :

ستة : سكب ، والمرتجى ، وطرب ، واللحيف ، والورد ، واليعسوب.

سيوفه ﷺ :

ذو الفقار ، والمخذم ، والرسوب ، والعضب ، والبتار ، والحتف .

دروعه ﷺ :

ثلاث : الصغدية ، وقصية ، وذات الفصول .

قسّيه ﷺ :

ثلاثة : الروحا ، والصفرا ، والبيضاء .

رماحه ﷺ :

ثلاثة : لم يسمّهم لنا احد مما روينا عنهم ، وكان له ترس واحـد لم يسمّ لنا ، وكان اسم بغلته: دلدل . واسم حماره : اليعفور. واسم جبته: اللكنا. واسم عمامته : السحاب . واسم رايته: العقاب . واسم لوائه : الحمد . واسم

قصعته : الغرّاء . وكان يحملها اربع رجال ، فيها اربع حلق حديد ، وقد نظمت اسماء ما ذكرته في ابيات لتضبط لحفّاظها ، فقلت :

ذاتُ الفصول وذو الفقار ودلدل   والحمدُ واليعفور واللكناءُ
سكب ومرتجى وثم لحيفة   والورد واليعسوب والجدعاءُ
طرب وقصية مثلها صعديّة   والعضبُ والبتار والبيضاءُ
ثم الرسوب ومخدم والحتف لا   تنساه والروحاء والصفراء
ثم السحاب مع العقاب يليها   الناقة العضباء والقصواء
واذا اراد بأن يمدّ سماطه   قامت به وبصحبه الغرّاء
فمتاعه وسلاحه وركابه   هذا الذي جاءت به الأنباء

ومنه قول القائل :

« لنا الجفنات الغرُّ يلمعنَ في الضحى »

والذي رويناه من مآكله ومشاربه سيأتي بعد ان شاء الله تعالى بطريق كما رويناه .

اسماء الغزوات التي قاتل فيها عليه الصلاة والسلام :

وهي: بدر، وأُحد ، والخندق، والمصطلق ، وخيبر، والفتح ، وحنين ، والطائف .

كذا قال ابن اسحاق : قدر ما بلغ صداق رسول الله ﷺ من الدراهم ، والدنانير ، وغير ذلك ، من اصدقها اربعمائة درهم : عائشة ، وسودة ، وزينب بنت جحش ، وحفصة ، وجويرية . وقيل: ممن قضى عنهما كتابهما ،

وجعل ذلك صداقها : ميمونة بنت الحارث ، وزينب بنت خزيمة . ومن اصدقها اربعمائة دينار ، ومن اصدقها فراشاً حشوة ليف ، وقدحاً وصحفة ، وخشبة .

وأما صفية فجعل عتقها صداقها . وما بلغني مقدار صداق بقية نسائه .

ذكر من تولى غسله ﷺ لما مات :

وهم : علي بن ابي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس ، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ ، وأحضروا أوس بن خولي جدّ بني عوف بن الجراح ، فكان علي يسنده ويغسله ، وكان العباس ، والفضل ، وقثم ، يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد ، وشقران ، يصبّان الماء عليه ، وأنزله في قبره عليه السلام علي بن ابي طالب، والعباس، والفضل ، وقثم ، ابنا العباس ، وأوس بن خولي .

اكفانه ﷺ :

كفّن عليه السلام في ثلاثة اثواب بيض سحولية ، ليس فيها قميص ولا عمامة، قال ابن اسحاق: ثوبان صحاريان، وبرد حبرة ، وأدرج فيها ادراجاً .

نوابه ﷺ الذي استعملهم على المدينة في وقت خروجه لغزو، او عمرة، او حج:

ابو لبابة ، وبشير بن عبد المنذر ، وعثمان بن عفان ، رضي الله عنهم ، وعبد الله بن ام مكتوم الاعمى ، وأبو ذر الغفاري ، وعبد الله بن عبد الله ابن ابي سلول الأنصاري ، وسباع بن عرفطة ، ونميلة بن عبد الله الليثي ، وعريف بن اضبط الديلمي ، وأبو دهم كلثوم ، ومحمد بن مسلمة ، وزيد بن

حارثة ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وسعد ابن عبادة ، وأبو دجانة الساعدي .

فأما البابة ، وبشير بن المنذر ، استعملهما ﷺ على المدينة في وقت خروجه لغزوة السويق ، وبني قينقاع ، وهي غزوة بدر الكبرى ، بعدما كان قد استعمل ابن ام مكتوم ، فردّ ابو لبابة من الروحاء .

وأما عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فاستعمله ﷺ على المدينة في وقت خروجه لغزوة ذي أمرّ ، وغزوة ذات الرقاع ، وقيل : انما استعمل أبا ذر في ذات الرقاع .

وأما عبد الله بن ام مكتوم الاعمى ، فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة نجران ، يريد قريشاً ، وغزوة أُحد ، وغزوة بني النضير ، قريظة ، وغزوة الرجيع ، وغزوة ذي قرد ، وغزوة بدر ، إلا أنه بعث ﷺ من الروحا أبا لبابة ، الى المدينة في غزوة بدر ، استعمله عليها .

وأما ابو ذر الغفاري ، فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة ذات الرقاع ، وغزوة بني المصطلق ، وقيل: انما استعمل عليها نميلة بن عبد الله الليثي .

وأما عبد الله بن عبد الله بن ابي سلول ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لميعاد ابي سفيان بن حرب .

وأما سباع بن عرفطة الغفاري ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة دومة الجندل ، وفي استعماله عليها في غزوة تبوك ، وفي خروجه لحجة الوداع ، خلاف .

وأما نميلة بن عبد الله الليثي ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه للحُديبية ، وخيبر ، وفي استعماله في غزوة بني المصطلق خلاف .

وأما عوف بن اضبط الديلمي ، فاستعمله ﷺ في خروجه لعمرة القضاء .

وأما ابو دهم كلثوم بن حصين بن عيذية بن خلف الغفاري ، فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة فتح مكة .

وأما محمــــد بن سلمة الأنصاري ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة تبوك ، وفيه خلاف ، فان عبد العزيز بن محمد الانذراوردي .

وأمــــا زيد بن حارثة ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة كرز بن جابر ، وهي بدر الاولى .

وأما السائب بن عثمان بن مظعون فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة بواط ، يريد قريش ، وهي ناحية رضوى .

وأما ابو سلمة بن عبد الاسد ، فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة العشيرا من بطن ينبع .

وأما سعد بن عبادة ،فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة الأبواء .

وأمــــا ابو دجانة الساعدي ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لحجة الوداع .

وأما نائبه بمكة فعتّاب بن اسيد .

كتّابه ﷺ :

وهم : عثمان ، وعلي ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية ، وخالد ابن سعيد بن العــــاص ، وأبّان بن سعيد ، والعـلاء بن الحضرمي ، وحنظلة ابن الربيع ، وعبد الله بن سعد بن ابي سرح ، اخو عثمان من الرضاع ، فهؤلاء كتّاب الوحي رضي الله عنهم اجمعين . وكان الزبير بن العوّام ، وجهـم بن

الصلت ، يكتبان اموال الصدقات . وكان حذيفة بن اليمان يكتب حوض النخل . وكان المغيرة بن شعبة ، والحصين بن نمير ، يكتبان المداينات والمعاملات . وكان شرحبيل بن حسنة ، يكتب التوقيعات الى الملوك . وقد كتب له ابو بكر ، رضي الله عنه ، حين هاجر في الطريق .

اولاد هاشم بن عبد مناف بن قصيّ :

عبد المطلب ، وأسد ، وأبو صيفي ، ونضلة ، وبناته : السقا ، وخالدة ، وصفية ، ورقيّة ، وحية . فعبد المطلب ، ورقية ، لأم واحدة ، وهي سلمة بنت عمرو ، وريحانة ، وأم اسد ، قبيلة بنت عامر الخزاعية ، وأبو صيفي ، وحية ، لأم واحدة ، وهي هند بنت عمرو ، الخزاعية . ونضلة ، والسقا ، لأم واحدة ، وهي قضاعية . وخالدة ، وصفيقة ، لأم واحدة ، وهي واقدة بنت ابي عديّ المازية .

وأولاد عبد مناف : هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب ، وهم لأم واحدة ، وهي عاتكة بنت مرة ، ونوفل بن عبد مناف ، أمه واقدة بنت عمر ، ومارية ، وأبو عمرو وريطة امها . ثقيفة ، وتماضر ، وقلابة ، وحنّة ، وأم الأختم ، وأم سفيان ، كلهم لأم واحدة ، وهي عاتكة بنت مرة التي هي أم عبد شمس . والمطلب ، اولاد عبد مناف ، اولاد قصي ، واسمه زيد بن كلاب ، وعبد مناف ، وعبد الدار ، والعزي ، وبحير ، ونجم ، وأمهم حنة بنت خليل الخزاعية .

ذكر حجة رسول الله ﷺ التي تسمى حجة الوداع :

وفيها قال : خذوا عني مناسككم ، من حديث الحميدي ، قال : انشدني ابو محمد عبد الله بن عثمان النحوي ، بالمغرب لبعض اهل بلاد الغرب في التشويق الى مكة ، ولم يسمّ قائلها ، وقد كان أنشدنيها ابن هلال ، وذكر قائلها :

يحن الى ارض الحجاز فؤادي ويحدو اشتياقي نحو مكة حادي
ولي املٌ ما زال بسمو بهمّتي الى البـلدة الغرّاء خير بلادِ
بها كعبة الله التي طاف حولها عباد همُ لله خيرُ عبـاد
لا قضى حقّ الله في حجّ بيته بأصدق ايمانٍ وأطيب زاد
أطوف كما طاف النبيون حولها طواف انقياد لا طواف عناد
واستلم الركن اليماني تابعـاً لسنّة مهديّ وطاعة هادي
وأركع تلقاء المقـام مصلّياً صلاةً أرَجّيها ليوم معادي
وأسعى سبوعاً بين مروة والصفا أهلل ربي تارةً وأنـادي
وآتي منىً أقضي بها التفث الذي يتم به حجّي وهدي رشادي
فياليتني شارفت أجبل مكةٍ وبتّ بوادٍ عند أكرم وادي
ويا ليتني روّيت من ماء زمزم صدى خلدٍ بين الجوانح صادي
ويا ليتني قد زرت قبر محمـدٍ فأشفي بتسليم عليـه فؤادي

قال ابن هلال:أجبال مكة ، وقال : صدى كبدي، والسياق للحميديّ.

ولمـا فتح الله مكة ، حج بالناس منه ثمان ، عتاب بن السويد ، وحج في سنة تسع ابو بكر الصديق رضي الله عنـه . ثم أن رسول الله ﷺ حج بالناس سنة عشر على ما ثنا به عبد الحق الازديّ الاشبيلي كتابة .

وثنا ابو الوليد جـابر بن ابي ايوب الحضرمي ، مشافهة بمسجد الوادي بإشبيلية ، قال : ثنا ابو الحسن شريح بن محمد بن شريح قال :

قال ابو محمد علي بن احمد بن سعيد : لمـا اراد رسول الله ﷺ ان يحج ، أعلم الناس انه حاج ، ثم امرنا بالخروج معه . فأصاب الناس بالمدينة جدري او حصبة منعت من شاء الله ان يمنع من الحج ، فأعلم رسول الله ﷺ أن

عمرة في رمضان تعـدل حجة ، وخرج رسول الله ﷺ ، عامداً الى مكة ، عام حجة الوداع التي لم يحج من المدينة منذ هاجر عليه السلام غيرها ، فأخذ على طريق الشجرة ، وذلك يوم الخميس لستٍ بقين من ذي القعدة سنة عشر نهاراً ، بعد ان ترجل ، وادّهن بعد ان صلى الظهر بالمدينة ، فصلى العصر من ذلك اليوم بذي الحليفة ، وبات ليلة الجمعة ، وطاف تلك الليلة على نسائه، ثم اغتسل ، ثم صلى الصبح بهـــا ، ثم طيّبته عائشة رضي الله عنها ، بيدها بذريرة وبطيب فيه مسك ، ثم احرم ولم يغسل الطيب ، ثم لبّد رأسه ، وقلّد بدنته نعلين ، وأشعرها في جانبها الأيمن ، وسالت الدم عنها ، وكانت هدي تطوّع ، وكان عليه السلام ، ساق هدي نفسه ، ثم ركب راحلته ، وأهلّ حين انبعثت به راحلته من عنــد مسجد ذي الحُليفة ، بالقران ، بالعمرة والحج معاً ، وذلك قبل الظهر بيسير ، وقال للناس بذي الحليفة :

« من اراد منكم ان يهلّ بحجّ وعمرة ، فليهل ، ومن اراد ان يهل بعمرة فليهل » .

وكان معه عليه السلام من الناس جموع لا يحصيها إلا خالقها ورازقها عز وجل ، ثم لبّى رسول الله ﷺ فقال : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وقد روي أنــه عليه السلام زاد على ذلك فقال : لبيك إله الحمد ، وأتاه جبريل عليه السلام ، وأمره أن يأمر اصحابه أن يرفعوا اصواتهم بالتلبية .

وولدت اسماء بنت عميس الخثعمية ، زوجة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، محمــد بن ابي بكر ، وأمرها رسول الله ﷺ ، أن تغتسل ، وتستفر بثوب ، وتحرم ، وتهلّ ، ثم نهض عليــه السلام ، وصلى الظهر ، بالبيداء ،

واستهل هلال الحجة ليلة الخميس اليوم الثامن من يوم الخروج من المدينة ، فلما كان بسرف حاضت عائشة رضي الله عنها ، وكانت قد أهلّت بعمرة ، فأمرها رسول الله ﷺ ان تغتسل ، وتنقض رأسها ، وتمتشط ، وتترك العمرة ، وتدعها وترفضها ، ويدخل منها ، وتدخل على العمرة حجاً ، وتعمل جميع اعمال الحج ، حاشا الطواف بالبيت ما لم تطهر ، وقال عليه السلام وهو يشير للناس : من لم يكن معه هديٌ فلا يعتمر ، فمنهم من جعلها عمرة كما أبيح له ، ومنهم من تماد على نية الحج ولم يجعلها عمرة اصلاً .

وأمر عليه السلام في بعض طريقه ذلك كل من كان معه هديٌ أن يهل بالقران ، بالحج والعمرة معاً ، ثم نهض عليه السلام الى ان نزل بذي طوًى ، فبات بها ليلة الاحد لأربع خلين من الحجة ، وصلى الصبح ، ودخل مكة نهاراً ، من اعلاها ، من كداء ، من الثنية العليا ، صبيحة يوم الاحد المذكور المؤرخ ، واستلم الحجر الاسود ، وطاف ﷺ بالكعبة سبعاً ، ورمل ثلاثاً منها ، ومشى اربعاً يستلم الحجر الاسود ، والركن اليماني ، في كل طوافه ، ولا يمس الركنين الاخيرين اللذين في الحجر ، وقال بينهما :

« ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

ثم صلى عند مقام ابراهيم عليه السلام ركعتين ، يقرأ فيهما مع أم القرآن: قل يا أيها الكافرون ، والإخلاص ، وجعل المقام بينه وبين الكعبة ، وقرأ عليه السلام اذا اتى المقام قبل ان يركع : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى ، ثم رجع الى الحجر الاسود فاستلمه ، ثم رجع الى الصفا فقرأ : إن الصفا والمروة من شعائر الله . أبدأ بما بدأ الله به ، فطاف بين الصفا والمروة ايضاً ، راكباً سبعاً على بعيره ، يخبّ ثلاثاً ، ويمشي اربعاً ، اذا رقا على الصفا ،

استقبل القبلة ، ونظر الى البيت ، ووحد الله وكبّره ، وقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده ، ثم يدعو، ثم يفعل على المروة مثل ذلك ، فلما كمّل الطواف ، والسعي ، عليه السلام ، أمر كل من لا هدي معه ، بالإحلال حتماً ، ولا بـد قارناً كان او مفرداً ، وأن يحلـّوا الحل كله ، من وطء النساء ، والطيب ، والمخيط ، وأن يبقوا على ذلك الى يوم التروية ، وهو يوم منى ، فيهلوا حينئذ بالحج ، ويحرموا حين ذلك عند نهوضهم الى منىً ، وأمر من معه الهدي بالبقاء على احرامه ، وقال لهم عليه السلام : لو استقبلت من امري ما استدبرت مـا سقت الهدي حتى اشتريته ، ولجعلتها عمرةً ، ولأحللت كما حللتم ، ولكنني سقت الهـــدي فلا أحل حتى أنحر الهدي .

وكان ابو بكر ، وعمر ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، رضي الله عنهم ، ورجال من اهل الوفر ، ساقوا الهدي ، فلم يحلـّوا ، وبقوا محرمين ، كما بقي عليه السلام محرماً ، لأنه كان ساق الهدي مع نفسه ، وكل أمهات المؤمنين لم يسقن هدياً ، فأحللن، وكنّ قارنات حجاً ، وعمرة ، وكذلك السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ ، وأسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ، أحلـّتا ، حاشا عائشة رضي الله عنها ، فانهـــا من اجل حيضها لم تحل ، كما ذكرنا ، وشكى علي فاطمة ، الى النبي ﷺ ، اذا حلـّت فصدقها رسول الله ﷺ في أنه هو امرها بذلك،وحينئذ سأله سُراقة بن مالك بن جعشم الكناني، فقال: يا رسول الله متـّعتـُنا هذه لعامنا هذا ام للأبد؟ ولنا ام للأمة ؟ فشبك عليه السلام بين اصابعه ، وقال : بـل للأبد ، وللأمة ، دخلت عمرة في الحج الى يوم القيمة ، وأمر عليه السلام من جاء الى الحج على غير الطريق الذي أتى

عليها عليه السلام ، ممن أهّل كاهلاً عليه السلام ، بأن يثبتوا على احوالهم ، فمن ساق منهم الهدي لم يحلّ ، فكان علي في اهل هذه الصفة ، ومن كان منهم لم يسق الهدي ان يحل ، فكان ابو موسى الاشعري من اهل هـــذه الصفة ، وقام عليه السلام بمكة محرماً ، من اجل هديه يوم الاحد المذكور ، والاثنين ، والثلاثاء ، والاربعـــاء وليلة الخميس ، ثم نهض ﷺ ضحوة يوم الخميس ، وهو يوم منى التروية مع الناس الى منى ، وفي ذلـك الوقت أحرم بالحج من الابطح كل من كان من اصحابه ، رضي الله عنهم ، فأحرموا في نهوضهم الى منى في اليوم المذكور ، فصلى ﷺ بمنىً الظهر من يوم الخميس ، وبات بها ليلة الجمعة ، وصلى بها ليلة الجمعة ، وصلى بها الصبح من يوم الجمعة ، ثم نهض عليه السلام بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة المذكور ، الى عرفـة ، بعد ان امر النـاس عليه السلام ، ان تضرب له قبة من شعر بنمرة ، فأتى عليه السلام عرفة في قبته التي ذكرنا ، حتى اذا زالت الشمس ، أمر بناقتـه القصوى ، فرحلت له ، ثم أتى بطن الوادي ، فخطب النـــاس على راحلته خطبة ، ذكر فيها تحريم الدماء ، والاموال ، والاعراض ، ووضع فيها أمور الجاهلية ودماءها،وأول دم وضع فيها دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، كان مسترضعاً في بني سعد بن بكر بن هوازن، فقتله هذيل، وذكر النسّابون أنه كان صغيراً يحبوا امام البيوت ، وكان اسمه آدم ، فأصابه حجر عابر، او سهم من غرب ، من يد رجل من بني هذيل فمات .

قال ابو محمد ، ثم نرجع الى وصف علمه : ووضع ايضاً عليـه السلام في خطبة ربا الجاهلية ، وأول ربا وضعه ، ربا عمـــه العباس ، وأوصى بالنساء خيراً ، وأباح ضربهن غير مبرّح ان عصين بما لا يحل لهن، وقضى لهن بالرزق، والكسوة ، بالمعروف على ازواجهن ، وأمر بالاعتصام بعـده بكتاب الله عز

وجلّ ، وأخبر انه لا يضل من اعتصم بالله، وأشهد الله عز وجل على الناس، انه قد بلغهم ما يلزمهم ، فاعترف الناس بذلك ، وأمر عليه السلام ان يبلّغ الشاهد منهم ، الغائب .

وبعثت اليه ام الفضل بنت الحارث الهلالية؛ وهي ام عبد الله بن العباس، لبناً في قدح فشربه وهو امام الناس ، وهو على بعيره ، فعلموا أنه ﷺ ، لم يكن صائماً في يومه ذلك ، فلما أتم الخطبة المذكورة ، امر بلالاً فأذن ، ثم اقام ، فصلى الظهر ، ثم اقام فصلى العصر ، ولم يصلّ بينهما شيئاً ، لكن صلّاهما عليه السلام بالناس مجموعتين في وقت الظهر بأذان واحد لهما معاً ، بإقامتين ، لكل صلاة منهما اقامة ، ثم ركب ﷺ راحلته حتى أتى الموقف، فاستقبل القبلة ، وجعل جبل المشاة بين يديه ، فلم يزل واقفاً للدعاء هنالك حتى سقط رجل من المسلمين عن راحلته ، وهو محرم في جملة الحجيج ، فمات، فأمر رسول الله ﷺ بأن يكفن بثوبه ، ولا يمسّ بطيب ، ولا مخيط ، ولا يغطّى رأسه ولا وجهه ، وأخبر ﷺ أنه يبعث يوم القيمة ملبياً ، وسأله قوم من اهل نجد هنالك عن الحج ، فأعلمهم عليه السلام بوجوب الوقوف بعرفة ، ووقت الوقوف بها ، وأرسل الى الناس أن يقفوا على مشاعرهم ، فلم يزل واقفاً للدعاء حتى غربت الشمس من يوم الجمعة المذكورة،وذهبت الصفرة.

أردف أسامة بن زيد خلفه ، ودفع عليه السلام ، وقد ضم بزمام القصوى حتى ان رأسها ليصيب طرف رجله ، ثم مضى يسير العنق ، فاذا وجد فجوة نص ، وكلاهما ضرب من السير ، والنص أكدهما ، والفجوة ، الفسحة من الناس ، كلما أتى ربوة من تلك الروابي ، أرخى للناقة زمامها قليلاً حتى يُصعدها ، وهو عليه السلام يأمر الناس بالسكينة بالسير ، فلما كان في

الطريق عن الشعب الأيسر ، نزل عليه السلام فيه فبـــال ، وتوضأ وضوءاً خفيفاً ، وقال لأسامة : المصلى أمامك ، او كلاماً هذا معناه .

ثم ركب حتى اتى المزدلفة ليـلة السبت العاشرة من الحجة ، فتوضأ ثم صلى بهـا المغرب ، والعشاء الاخيرة ، مجموعتين في وقت العشاء الاخيرة دون خطبة ، لكن بآذان واحد لهما معاً ، وبإقامتين ، لكل صلاة منهما إقامة ، ولم يصلِّ بينهما شيئاً . ثم اضطجع عليه السلام بها حتى طلع الفجر ، وأقـام عليه السلام ، وصلى الفجر بالناس بالمزدلفة يوم السبت المذكور ، وهو يوم النحر، يوم الاضحى، يوم العيد، يوم الحج الاكبر، مغلساً اول انصداع الفجر، وهنالك سأله عروة بن مضرس الطائي، وقد ذكر له عليه السلام، آله حج .

فقال له عليه السلام: إن من ادرك الصلاة ، يعني صلاة الصبح بمزدلفة في ذلك اليوم مع الناس ، فقد ادرك الحج ، وإلا فلم يدرك ، فاستأذنته سودة ، وأم حبيبة في ان يدفعـــا من مزدلفة ليلاً ، فأذن لهما ، ولأم سلمة في ذلك اليوم ، وللنساء ، والصغار ، في ذلك اليوم ، بعد وقوفهم جميعهم بمزدلفة ، وذكرهم الله تعالى بهـا . إلا أنه عليه السلام ، أذن للنساء في الرمي بليل ، ولم يأذن للرجـال في ذلك ، لا لضعفائهم ، ولا لغير ضعفائهم ، وكان ذلك اليوم يوم كونه عند أم سلمة ، فلمـــا صلى الصبح ﷺ بمزدلفة ، أتى المشعر الحرام بها ، فاستقبل القبلة ، فدعـا الله عز وجل ، وهلل وكبّر ووحّد ، ولم يزل واقفاً حتى اسفر جداً ، وقبل ان تطلع الشمس .

فدفع عليه السلام حينئذ من مزدلفة ، وقد اردف الفضل بن العبـــاس، وانطلق أسامة على رجليه في سباق فريس. وهنالك سألت الخثعمية النبي ﷺ ، الحج عن ابيها الذي لا يطيق الحج، فأمرها بأن تحج عنه. وجعل عليه السلام

يصرف بيده وجه الفضل بن العباس عن النظر اليها،والى النساء،وكان الفضل، ابيض وسيماً . وسأله ايضاً رجل عن مثل مـا سألته عنه الخثعمية ، فأمره عليه السلام بذلك ، ونهض عليه السلام يريد منىً ، فلما اتى بطن محسّرة ، حرك ما فيه ، وسلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى اتى منىً ، فأتى الجمرة التي عند الشجرة ، وهي جمرة العقبة ، فرماها عليه السلام من اسفلها بعد طلوع الشمس من اليوم المؤرخ، بحصى التقطها له عبدالله ابن عباس من موقفه الذي رمى فيه ، مثل حصى الخزف ، وأمره بمثلهـا ، ونهى عن اكبر ، وعن الغلوّ في الدين . فرماها عليه السلام وهو على راحلته بسبع حصيات كما ذكرنا ، يكبّر مع كل حصاة منها .

وحينئذ قطع عليـه ، السلام التلبية ، وبلال ، وأسامة ، احدهما يمسك خطام ناقته عليه السلام ، والآخر يظله بثوبه من الحر . وخطب الناس عليه السلام في اليوم المذكور ، وهو يوم النحر بمنىً خطبة ، كرر فيها ايضاً تحريم الدماء والأموال والأعراض والإيثار . وأعلمهم عليه السلام فيهـا بحرمة يوم النحر، وحرمة مكة على جميع البلاد ، وأمر بالسمع والطاعة لمن قاد ، فلعله لا يحج بعد عامه ذلك . وأعلمهم بتمسكهم بكتاب الله عز وجل ، وأمر النـاس بأخذ مناسكهم . وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم ، وأمر ان لا يرجعوا بعده كفاراً ، وأن لا يرجعوا بعـده ضلالاً ، يضرب بعضهم رقاب بعض . وأمر بالتبليغ عنه ، وأخبر أن ربّ مبلّغ اوعى من سامع .

ثم انصرف عليه السلام الى المنحر بمنىً، فنحر ثلاثة وستين بدنة . ثم امر علياً ، فنحر ما بقي منها ممـا كان عليّ اتى به من اليمن معه ، ومــا كان اتى به عليه السلام من المدينة ، وكانت تمام المائة . ثم حلق رسول الله ﷺ رأسه المقدّس ، وقسّم شعره ، فأعطى من نصفه الناس الشعرة ، والشعرتين،

وأعطى نصفه الثـاني كله أبا طلحة الأنصاري ، وضحّى عن نسائه بالبقر ، وأهدى عن من كان اعتمر منهن بقرةً . وضحّى هو عليـه السلام في ذلك اليوم بكبشين أملحين . وحلّق بعض اصحابه ، وقصّر بعضهم . فدعا عليه السلام للمحلّقين ثلاثاً ، وللمقصرين مرة . وأمر عليه السلام أن يؤخـذ من البدَن الذي ذكرنا ، من كل بدنـة ببضعه ، فجعلت في قدر ، وطبخت . فأكل عليه السلام هو وعليّ رضي الله عنه من لحمها ، وشربا من مرقها ، وكان عليه السلام قد أشرك علياً فيها ، فأمر علياً بقسمة لحمها كلها ، وجلودها ، وجلالها ، وان لا يعطي الجازر على جزارتها شيئاً منها ، واعطاه عليه السلام الأجرة على ذلك من عند نفسه .

وأخبر الناس أن عرفة كلها موقف، حاشا بطن عرفة ، وأن مزدلفة كلها موقف ، حاشا بطن محسّر ، وان منى كلهـا منحر ، وأن فجـاج مكة كلها منحر ، ثم تطيّب عليه السلام قبل ان يطوف طواف الافاضة، ولإحلاله قبل أن يحل في يوم النحر ، وهو يوم السبت المذكور ، فطيّبته عائشة رضي الله عنها بطيب فيه مسك بيدها ثم نهض عليه السلام راكباً الى مكة في يوم السبت المذكور بعينه ، فطاف في يومه ذلك طواف الإفاضة ، وهو طواف الصدر ، قبل الظهر ، وشرب من مـاء زمزم بالدلو ، ومن سد بالسقاية ، ثم رجع من يومه ذلك الى منى ، فصلى بها الظهر .

وهذا قول ابن عمر رضي الله عنهما . قالت عائشة رضي الله عنها وجابر: صلى ظهر ذلك اليوم بمكة ، هذا هو الفصل الذي اشكل علينا ، الفصل فيه لصحة الطريق في كل ذلك ، ولا شك أن في احد الخبرين وهماً ، والثاني صحيح ، قال ابو محمد : لا يدري أيها هو ، وطافت أم سلمة في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس وهي شاكية ، واستأذنت النبي ﷺ في ذلك فأذن

لها، وطافت ايضاً عائشة رضي الله عنها في ذلك اليوم، وفيه طهرت، وكانت رضي الله عنها حائضة في يوم عرفة ، وطافت ايضاً صفيّة في ذلك اليوم، وحاضت بعد ذلك ليلة النفر ، ثم رجع عليه السلام الى منى .

وسئل عليه السلام حينئذ عما تقدم بعضه على بعض في الرمي ، والحلق ، والنحر ، والإفاضة ، فقال : في كل ذلك ، لا حرج وكذلك ايضاً ، فقال : في تقدم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف بالكعبة ، وأخبر عليه السلام بأن الله تعالى أنزل الداء والدواء إلا الهرم، وعظم إثم من افترض عرض مسلم ظلماً ، فأقام هنالك باقي يوم السبت ، وليلة الأحد ، ويوم الأحد ، وليلة الاثنين ويومه، وليلة الثلاثاء ويومه ، وهذه هي أيام منى، وهي أيام التشريق، برمي الجمار الثلاثة كل يوم من هذه الايام الثلاثة بعد الزوال، بسبع حصَيات كل يوم، لكل جمرة ، يبدأ بالكبرى ، وهي تلي مسجد منى ، ويقف عندها للدعاء طويلاً ، ثم التي تليها ، وهي الوسطى ، ويقف عندها للدعاء كذلك ؛ ثم جمرة العقبة ، ولا يقف عندها ، وكبّر عليه السلام مع كل حصاة، وخطب الناس ايضاً يوم الأحد الثاني من النحر ، وهو يوم الروس .

وقد روى انه عليه السلام خطبهم ايضاً يوم الاثنين ، فأوصى بالأرحام خيراً . وأخبر عليه السلام انه لا تجني نفس على اخرى. فاستأذنه عمه العباس في المبيت بمكة ليالي منى المذكورة ، من أجل سقايته ، وأذن له عليه السلام وأذن للدعاء ايضاً في مثل ذلك .

ثم نهض عليه السلام بعد زوال الشمس من يوم الثلاث المؤرخ ، وهو آخر ايام التشريق ، وهو الثالث عشر من ذي الحجة ، وهو يوم النفر الى المحصّب ، وهو الأبطح ، فضرب بها قبّة ، ضربها ابو رافع مولاه ، وكان

على ثقله عليه الصلاة والسلام ، وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لاسامة أنه ينزل غداً بالمحصّب خيف بني كنانة ، وهو المكان الذي ضرب فية ابو رافع القبّة ، وفاقاً من الله عز وجل ، دون ان يأمره النبي ﷺ بذلك، وحاضت صفية ليلة النحر بعد ان أفاضت . فأخبر بذلك النبي ﷺ علي، فسأل أفاضت يوم النحر ؟ فقيل له نعم . فأمرها أن تنفر . وحكم فيمن كانت حالتها كذلك ، ان تنفر ايضاً، وصلى عليه الصلاة والسلام بالمحصب الظهر، والعصر، والمغرب والعشاء الأخيرة ، من ليلة الاربعاء المذكورة ، ورقد رقدة .

ولما كان يوم النحر ، والنفر ، رغبت اليه عائشة رضي الله عنها بعد أن طهرت ان يعمرها عمرة مفردة ، فأخبرها عليه الصلاة والسلام ، أنها قد حلّت من عمرتها وحجتها ، فإن طوافها يكفيها ، ويجزئها لحجتها وعمرتها ، فأبت إلا أن تعتمر عمرة مفردة ، فقال لها : ألم تكوني طفتِ ليالي قدمتِ ؟ قالت لا . فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما بأن يردفها ، ويعمرها من التنعيم ، ففعلا ذلك . وتطهر النبي ﷺ بأعلى مكة حتى انصرفت من عمرتها تلك، فقال لها : هذا مكان عمرتك ، وأمر الناس أن لا ينصرفوا حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت ، ورخص في ترك ذلك للحائض التي قد طافت طواف الإفاضة قبل حيضتها ، ثم انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة في ليلة الاربعاء المذكورة ، فطاف بالبيت طواف الوداع لم يرمل في شيء منه سحراً قبل صلاة الصبح من يوم الاربعاء المذكورة، ثم خرج من كداً أسفل مكة من الثنية السفلى ، والتقى ﷺ بعائشة رضي الله عنها وهي ناهضة الى الطواف المذكور ، وهي راجعة من تلك العمرة التي ذكرنا ، ثم رجع عليه الصلاة والسلام وأمر بالرحيل ، ومضى عليه الصلاة والسلام من فوره ذلك راجعاً الى المدينة ، وخرج من مكة من الثنية السفلى،

فكانت مدة إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة منذ دخلها الى أن خرج الى منى ، الى عرفات ، الى مزدلفة ، الى منى ، الى المحصّب ، الى ان وجّه راجعاً ، عشرة ايام ، فلما أتى ذا الحليفة ، بات بها ، ثم لما رأى المدينة ، كبّر ثلاثاً ، وقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . أنيبوا تائبون عابدون ساجدون ، لربنا،حامدون ، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دخل عليه الصلاة والسلام المدينة نهاراً من طريق المعرس . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً. (انتهى حديث محمد).

وروينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في هذه الحجة أن النبي ﷺ اخذ بحلقة باب الكعبة، ثم اقبل بوجهه على الناس، فقال : يا معشر المسلمين، إن من أشراط القيامة أماتة الصلاة، واتباع الشهوات، وتكون أمراء خونة، ووزراء فسقة ، فوثب سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إن هذا ليكون ؟ قال : نعم يا سلمان، وعندها يكون المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، وعندها ، يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء ، مما يرى ولا يستطيع أن يغيره . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، ويؤتمن الخائن ، ويخون الأمين ، ويصدّق الكاذب ، ويكذّب الصادق ، قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، إن أولي الناس قوم ، المؤمن بينهم يمشي بالمخافة ، إن تكلم أكلوه ، وإن سكت مات بغيظه ، يا سلمان ، ما قدّست أمة لا تنتقم من قويّها لضعيفها . قال : أفيكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، وعندها يكون المطر قيظاً ، والولد غيظاً ، وتفيض اللئام فيضاً ، وتغيظ الكرام غيظاً . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، عندها

يعظم رب المـــال ، ويباع الدين بالدنيا ، وتلتمس الدنيا بعمل الآخرة ، ويكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء ، وتركب ذوات الفروج السروج، فعليهم من أمتي لعنة الله، يا سلمان ، عندها يلي أمتي قوم جثتهم جثة الناس، وقلوبهم قلوب الشياطين ، إن تكلموا قتلوهم ، وإن سكتوا استباحوهم ، لا يرحمون صغيراً ، ولا يوقرون كبيراً ، لساء ما يزرون ، وتوطأ حرمتهم ، ويجـــار في حكمهم ، عند ذلك ، تكون إمارة النساء ، ومشاورة الإماء ، ونفوذ الصبيان على الناس ، وتكثر الشرط ، وتتحلى ذكور أمتي بالذهب ، ويتهاون بالزنا ، وتظهر القينات ، ويتغنى بكتاب الله ، وتتكلم الرويبضة . قلت : بأبي أنت يا رسول الله وأمي ، وما الرويبضة ؟ قال : يتكلم في أمر العامة من لم يتكلم قبل . قال : أويكون ذلك يا رسول الله ؟ قـال : نعم يا سلمان، عندها تزخرف المساجد ، كما تزخرف الكنايس، والبيَع ، وتحلّى المصاحف بالذهب ، وتطوّل المنابر ، وتكثر الصفوف ، والقلوب متباغضة ، والألسن مختلفة ، ونواهم لعفة من أُعطي على لسان من أعطى شكر ، ومن منع كفر . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، عنـد ذلك ، يأتي سبايا من المشرق والمغرب ، تكون من أمتي ، فويل للضعفاء منهم، وويل لهم من الله ، إن تكلموا قتلوا ، وإن سكتوا قتلوا ، موت على طاعة الله خير من حياة على معصية الله . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، عندها تشارك المرأة زوجها في أمره، ويعق الرجل والده ، ويبرّ صديقه ، يلبّسون جلود الضأن على قلوب الذئاب ، علماؤهم شر من الجيفة . قـال : أويكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم يا سلمان ، عندها تكون عبادتهم فيهـــا فيما بينهم ، التلاوة لهــا فيها ، ولا بد يسمّون في ملكوت السماوات والأرض ، الأنجاس والأرجاس . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، عنـــد

ذلك ، يتخذ كتاب الله مزامير ، وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم ، يعطلون الحدود ، ويميتون سنّتي ، ويحبّون البدعة ، ولا يقام يومئذ بنصر الله ، لا يأمرون بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر ، عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية ، ويخطب كما تخطب النساء ، ويهيىء كما تهيىء المرأة ، عندها تقارب الأسواق . قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، وما تقارب الأسواق ؟ قال : كلّ يقول لا ابيع ولا اشتري ، ولا رازق غير الله ، يا سلمان ، عندها تليهم الجبابرة ، ويمنعون حقوقهم ، ويملؤن قلوبهم رعباً ، فلا ترى إلا خائفاً مرعوباً ، عند ذلك يرفع الحج ، فلا حج ، يحج كبار الناس للهوى ، وأوساط الناس للتجارة ، وفقراء الناس المرياء ، والسمعة ، قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان . (الحديث) وسيأتي معناه في هذا الكتاب مستوفي من حديث الكنانيّ ، وقد انتهى المجلس من محاضرة الأبرار .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

ذكر الخلفاء وتاريخ مدتهم خاصة :

فأولهم ابو بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكان اسمه قبل الإسلام عبد رب الكعبة فسمّاه عليه الصلاة والسلام ، عبدالله ، وقال له عليه السلام : انت عتيق من النار ، فكان يدعى عتيقاً ، وقيل : سمّي عتيقاً لجماله ، كان يملك ابو بكر الصدّيق رضي الله عنه يوم أسلم ، أربعين الف درهم ، وأسلم على يده من العشرة سيدنا عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم .

ولما تولى الخلافة أصبح غادياً الى السوق وعلى رقبته اثواب يتجر بها ، فلقيه عمر ، وابو عبيدة ، فقالا : اين تريد ؟ قال : السوق، قالا : ما تصنع؟ وقد ولّيت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالي؟ قال : ففرضوا له كل يوم شطر شاة ، وكسوة في الرأس والبطن ، وكان ابو بكر يحلب للحي اغنامهم ؛ فلما بويع ، قالت جارية من الحي : الآن لا يحلب لنا ، فقال : بلى ، لأحلبنها لكم، وأرجو أن لا يغيرّني ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه .

ولما ولي خطب الناس ، فحمد الله ، واثنى عليه ، ثم قال : أمـا بعد ، ايها الناس ، قد ولـّيت أمركم ، ولست بخير منكم ، وان أقواكم عندي الضعيف ، حتى آخذ له بحقـه ، وان اضعفكم عندي ، القوي ، حتى آخذ منه . ايها الناس ، انما انا متـّبع ، ولست بمبتدع ، فان احسنت فأعينوني ، وإن زغت فقوّموني . وقد ذكرنا نسبه ، وامه امّ الخـير سلمى بنت صخر ابن عامر ، تجتمع مع زوجها في عامر ، وهو ابن ابي قحافة ، بويع في اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ ، وهو الثاني عشر من ربيع الأول سنة احدى عشرة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وثلاثـة عشر يوماً ، ومات ليلة الثلاثاء ، وقيل يوم الجمعة لسبع بقـين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وبويع في سقيفة بني ساعدة بن الخزرج ، وكان أول من بايعه بشير بن سعد الأنصاري ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم ابو عبيدة بن الجراح ، ثم سعد بن عبادة ، ثم المهاجرون والأنصار ، ولم نودع في كتابنـا هذا ما شجر بين الصحابة ، رضي الله عنهم ، خوفـاً على النفوس الضعيفة ، ولا مثلبة من مثالب احد ، والحمد لله على ذلك . وخاتمه ، خاتم رسول الله ﷺ ، وكاتبه عثمان بن عفان ، وحاجبه مولاه شديد ، وقاضيه عمر بن الخطاب .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ذكرنا نسبه ، وأمه هي خيثمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، ولـّي سنة ثلاث عشرة ، يوم مـــات ابو بكر ، وقبض سنة اربع وعشرين من الهجرة ، وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر إلا يوم ، ومـــات وهو ابن ست ، وقيل خمس ، وقيل ثلاث وستين سنة ، مقتولاً ، طعنه ابو لؤلؤة الفارسي فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، يوم الاربعاء لسبع بقين

من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وبقي ثلاثة ايام ، وتوفي لأربع بقين من ذي الحجة ، وقيل : توفي يوم الاثنين ، وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي ، ودفن في حجرة عائشة . خاتمه : خاتم رسول الله ﷺ . وكاتبه : عبد الله ابن خلف الخزاعي ابو طلحة الطلحات، وزيد بن ثابت الانصاري. وحاجبه: مولاه برقى . وقيل : اسمه بشر قاضيه : يزيد بن اخت الهمزة ، وبالكوفة ابو أمية شريح بن الحارث الكندي .

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ذكرنا نسبه ، وأمه ، وهي : اروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. بويع بعد قتل عمر بثلاثة ايام سنة اربع وعشرين، وقيل:في سنة خمس وثلاثين ، في ذي الحجة يوم الجمعة لثمان بقين منه، وقيل: يوم الاربعاء ، وقيل : يوم الاضحى . وصلى عليه جبير بن مُطعم . كانت خلافته اثني عشر سنة إلا يوم. وكان عنده ختم رسول الله ﷺ ، فلما سقط منه في البئر، اتخذ خاتماً من فضة ، نقش عليه : لتصبرنّ او لتندمنّ . وقيل : نقش عليه : آمنت بالذي خلق فسوى . وكاتبه : مروان بن الحكم ابن ابي العاص بن أمية . وحاجبه : مولاه حمران بن ابّان . مات وهو ابن سبع وثمانين سنة . قاضيه :كعب بن سور. صاحب شرطته عبد الله بن قنفذ التميمي .

خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه :

ذكرنا نسبه الكريم ، وأمه فاطمة بنت اسد بن هشام . بويع يوم قُتل عثمان في الثاني عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقتل سنة اربعين في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه سنة اربعين ، وقد بلغ سبعة

وخمسين سنة . وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر . وقيل : خمس سنين وثلاثة اشهر وأربعة وعشرين يوماً . نقش خاتمه : ربي الله مخلصاً . كاتبه : سعيد بن نجران الهمذاني، وعبد الله بن ابي رافع. وقاضيه: شريح بن الحارث. وحاجبه : قنبر بن زيد ، مولاه . وصلى عليه ابنه الحسن رضي الله عنهما .

خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما :

وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. كانت مدة خلافته خمسة اشهر وخمسة عشر يوماً ، نزل رضي الله عنه عن الخلافة اختياراً منه ، رغبة في ان يصلح الله بذلك بين الفئتين من المسلمين، كما اخبر رسول الله ﷺ. كان نقش خاتمه: العزة لله عز وجل وحده . وكاتبه: عبدالله بن ابي رافع . وُلد الحسن بن علي يوم الاحد ، سنة ثلاث من الهجرة ، والنبي ﷺ في القتال . ومات الحسن رضي الله عنه ، يوم الاحد لعشر خلون من المحرم سنة خمس وأربعين من الهجرة .

خلافة معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه :

ابن صخر بن حرب ، ابن أمية بن عبد شمس ، ابن عبد مناف ، هناك يلتقي برسول الله ﷺ . وأمه : هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف ، بويع له في الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة احدى وأربعين بعد صلح الحسن بن علي رضي الله عنه . نقش خاتمه: رب اغفر لي . كاتبه : عبد الله بن أوس الغساني . حاجبه : مولاه زياد بن نوف . قاضيه : فضالة بن عبد الله الانصاري . مات وصلى عليه ابنه يزيد . وقيل : ضحّاك ابن قيس . ودفن بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير ، في رجب سنة ستين

من الهجرة . وقد بلغ ثمانية وسبعين سنة وتسعة اشهر إلا يومـــاً واحداً . وكان قبل ذلك امير الشام اكثر من عشرين سنة .

خلافة يزيد بن معاوية :

ابن ابي سفيان . وأمه : ميسور بنت نجيد [١] بن افو ، من بني حبـاب ابن كليب بن وبرة ، من حمير ، بويع يوم مات ابوه بإستخلافه له . خاتمه من فضة . نقشه : ربنا الله . كاتبه : عمرو بن سعد الأشرف . حاجبه : مولاه صفوان . وقيل : خـــالد مولاه . مات بذات الجنب بحوران ، وحمل الى دمشق ، وصلى عليه اخوه خالد ، ودفن في مقبرة باب الصغير ، وقـــد بلغ سبعاً وثلاثين سنة . وكانت خلافته ثلاث سنين واثني عشر يوماً، فولـّي سنة ستين ، ومـــات سنة اربع وستين ، وصلى عليه ابنه معاوية . قاضيه : ابو ادريس الخولاني .

خلافة ابي ليلى معاوية بن يزيد :

ابن معاوية بن ابي سفيان . وأمه : أم خالد بنت ابي هشام بن عتبـة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . بويع يوم مات ابوه يزيـد بإستخلافه . نقش خاتمه : الدنيا غرور . كاتبه : الريّان بن مسلم . حاجبه : مولاه مسلم ابن عتّاب . كان زاهداً في الدنيـــا ، راغباً في الآخرة . نظر في الأمر ، فإذا ليس يصلحه إلا السيف . فجمع الناس ، وخطبهم ، فقـــال : معاشر الناس ، اني قـــد نظرت في أمركم ، وإني قد ضعفت عن القيام بأمركم

---

(١) خـ ٢ لحيد .

وخلعت نفسي من الخلافة،فاختاروا لأنفسكم . ونزل ودخل بيته . فاجتمعت اليه بنو أمية ، وقالوا له : أعهد الى من تريد . فقال : لا ازدرد مرارتها ، ويكون لبني أمية حلاوتها . فأغلق بابه ، ومات بعد ايام ، وقد بلغ احدى وعشرين سنة ، وصلى عليه أخوه عبد الرحمن ، ودفن خارج باب الجابية . وقيل : صلى عليه الوليد عتبة بن ابي سفيان . فلما كبّر تكبيرتين ، مات قبل أن يقضي صلاته ، فصلى عليه مروان بن الحكم . ودفن الوليد بجنب معاوية بن يزيد . وكانت خلافته ثلاثة اشهر واثنين وعشرين يوماً . وتمثل مروان بن الحكم على قبره ببيت :

إني أرى فتنةً تغلي مراجلها ... والملك بعد ابي ليلى لمن غلبا

وظهر ابو انيس الضحاك بن قيس الفهريّ ، ودعى الناس الى بيعته ، فخرج عليه مروان بن الحكم في بني أمية ، فقتله بمرج راهط .

خلافة مروان بن الحكم :

ابن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه : أمينة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن محرف الكناني ، بويع له بالخلافة في رجب سنة اربع وستين . واجتمعت عليه الأمة إلا عبد الله بن الزبير ، فإنه كان بمكة يدعى له بالخلافة . نقش خاتمه : ثقتي ورجائي بالله . حاجبه : ابو سهل الأسود . كاتبه : سفيان الأحول . صاحب شرطته يحيى بن بشر الغساني . قاضيه : ابو ادريس الخولاني . مات مطعوناً ، وصلى عليه ابنه عبد الملك ، ودفن بدمشق خارج باب الجابية . وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة . كانت خلافته عشرة أشهر إلا يوماً .

خلافة ابي الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم :

وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن ابي العاص بن أمية ، وتعرف بالبيضاء . بويع يوم مات ابوه مروان بإستخلافه له . نقش خاتمه : آمنت بالله مخلصاً . قاضيه : ابو ادريس الخولاني . كاتبه : روح بن زنباع . ثم قبيضة ابن ذؤيب الخزاعي . حاجبه : مولاه ابو يوسف يعقوب . وصاحب شرطته : كعب بن خويلد القيسي . ومات بدمشق ، وقد بلغ احدى وستين سنة ، وقيل : سبعاً وخمسين . وصلى عليه ابنه الوليد ، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير . وكانت خلافته الى قتل عبد الله بن الزبير ، سبع سنين وثمانية اشهر وتسعة عشر يوماً . وبعد قتل عبد الله بن الزبير ، ثلاثة عشر سنة وثلاثة اشهر وثمانية وعشرين يوماً ، يكون جميعها احدى وعشرين سنة وسبعة عشر يوماً . وولي سنة اربع وستين ، ومات سنة خمس وثمانين .

وأما عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، فبويع بمكة في رجب سنة اربع وستين ، وقتل للنصف من جمادي الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، فكانت مدته ، من وقت بويع ، الى ان قتله الحجاج ، ثمان سنين وأحد عشر شهراً ، وسبعة ايام .

خلافة ابي العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان :

وأمه ولّادة بنت العباس بن حَزن العبسي ، بويع يوم مات ابوه . نقش خاتمه : ربي الله لا أشرك به شيئاً . وقيل : يا وليد انت ميت ومحاسب . حاجبه : مولاه سعيد ، والقعقاع بن خويلد العبسي . مات بدير حران ، وحمل على أعناق الرجال الى دمشق ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، ودفن

بباب الصغير . وكان موته سنة ست وتسعين ، فكانت مدة خلافته تسع [1] سنين وثمانية اشهر ونصف . وبلغ تسعة وأربعين عاماً . كاتبه : ابو شريك ، ثم قبيصة ، ثم ابن ذؤيب ، ثم الضحاك بن دير ، ثم يزيد بن ابي كبشة ، ثم عبيد بن بلال .

خلافة ابي ايوب سليمان بن عبد الملك بن مروان :

وأمه : ولاّدة بنت العباس بن حزن العبسي أم الوليد ، بويع له بالرملة، بعد موت اخيه الوليد بثلاثة ايام. نقش خاتمه : آمنت بالله وحده . حاجبه: ابو عبيدة . كاتبه : ابو سليمان بن نعيم بن سلامة ، ويزيد بن المهلب ، والفضل ابن المهلب ، وعبد العزيز بن الحارث بن الحكم . صاحب شرطته : كعب بن خويلد العبسي . مات بدابق بذات الجنب ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وقد بلغ خمسة وأربعين سنة . كانت خلافته سنتين وخمسة اشهر وخمسة ايام، وولّي سنة ست وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين . قاضيه : محمد ابن حزم .

خلافة ابي حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم :

وأمه : أم عاصم قريبة بنت عاصم بن الخطاب . بويع يوم مات سليمان ابن عبد الملك بغير عهد . كان له من عمه عبد الملك ، ولا من سليمان ، وإنما كان العهد ليزيد بن عبد الملك بعد سليمان . وكان يزيد غائباً في الوقت الذي توفي فيه اخوه سليمان ، فتقدم سليمان قبل وفاته الى محمد بن شهاب الزهري ،

---

(١) قوله تسع سنين الخ. لا يخفى ما فيه وحرر لنا .

ومكحول ، ورجاء بن حيوة ، وجميع من حضره من اهل الشام . وقال : اختاروا لكم رجلاً يقوم بالأمر الى أن يقدم اخي يزيد .

فاختاروا عمر بن عبد العزيز ، وقدم يزيد فأقره على الأمر ، ورضي به ، وبايعه، على أن يكون الخليفة من بعده . نقش خاتمه: عمر يؤمن بالله مخلصاً. حاجبه : مولاه حي ، وقيس ، ومزاحم . كاتبه : الليث بن ابي رقية ، ورجاء بن حيوة الكندي . صاحب شرطته : يزيد بن قيس السكسكي . مات بدير سمعان من ارض حمص . وقبره معروف من بين قبور خلفاء بني أمية .

هكذا قال الذهبي في تاريخه. وأما أنا فزرت قبره بدير البقيرة على فرسخ من المقبرة ، وهو مشهور بذلك الموضع . كانت خلافته سنتين وخمسة اشهر ، وبلغ من العمر تسعاً وثلاثين سنة وشهراً . وكانت ولايته سنة ثمان وتسعين . ومات سنة مائة من الهجرة . وقيل : احدى ومائة في رجب . قاضيه : عبد الله بن سعد الاربلي .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان :

وأمه: عاتكة بنت يزيد بن معاوية . نقش خاتمة : قني السيئات يا عزيز. حاجبه : مولاه خالد ، وسعد [1] . كاتبه مسلمة بن زياد . مات بأذرعان وهو خارج الى بيت المقدس ، ودفن فيها . وقد بلغ اربعين سنة ، وكانت خلافته اربع سنين وشهراً وخمسة ايام . وولي سنة احدى ومائة . ومات سنة خمس ومائة ، لخمس بقين من شعبان .

---

(١) خـ ٢ سعيد .

خلافة ابي الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان :

وأمه: أم اسمعيل بنت هشام بن اسمعيل المخزومي. بويع بمدينة الرصافة على الفرات بعد موت اخيه بأربعة ايام. نقش خاتمه : الحكم لله. كاتبه : مولاه سالم. وحاجبه : مولاه خالد. وصاحب شرطته : يزيد بن يعلى ابن الجهم العبسي. بويع سنة خمس ومائة. ومات سنة خمس وعشرين ومائة بالرصافة ، ودفن بها. وقد بلغ احدى وستين سنة ، فكانت خلافته تسعة عشر سنة وتسعة اشهر وخمسة ايام. قاضيه : عمر بن صفوان الجمحي.

خلافة ابي العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

وأمه : أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي. بويع يوم مات عمه هشام بن عبد الملك. نقش خاتمه: يا وليد احذر الموت. حاجبه : قطري. كاتبه : يوسف بن مهرويه. صاحب شرطته : عبدالرحمن بن جميل الكلبي. قتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، ودفن خارج باب الفراديس. وقد بلغ تسعاً وثلاثين سنة. وكانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً. وّلي في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وقتل في جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة.

خلافة ابي خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان :

ولد يزيد بن الوليد في الكعبة ، ولم يولد في الكعبة خليفة غيره. وأمه: أم ولد ، يقال لها : ظريفة ، من بنات يزدجرد بن كسرى. بويع قبل قتل الوليد بن يزيد. نقش خاتمه : يا يزيد قم بالحق تنصَرْ. حاجبه :

مولاه سلامة . كاتبه : بكر بن الشماخ، وهو صاحب شرطته، وكاتبه ايضاً: ثابت بن سليمان . قاضيه : عثمان بن عمر بن موسى بن معمر التميمي . كانت خلافته ستة اشهر . ولّي سنة ست وعشرين ومائة ، ومات سنة سبع وعشرين ومائة ، وقد بلغ ستاً وأربعين سنة .

خلافة ابي اسحاق بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان :

وأمه : أم ولد يقال لها : نعمة . بويع يوم مات اخوه يزيد بن الوليد في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة . نقش خاتمه : توكلت على الحي القيوم . كاتبه : ابراهيم بن ابي جمعة وغيره . حاجبه : مولاه وردان . قاضيه : عثمان بن عمر التميمي . خلع نفسه من الخلافة بعد أن أقام شهرين وأربعة وعشرين يوماً ، وسلم الأمر الى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. وهو آخر خلفاء بني أمية .

خلافة ابي عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم :

وأمه : لبابة الكردية . نقش خاتمه : اذكر الموت يا غافل . حاجبه : مولاه سفيان . كاتبه : عبد الحميد بن يحيى . صاحب شرطته ، كوثر بن الاسود المغيري . بويع يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من صفر سنة ست وعشرين ومائة . وهو الذي يقال له: مروان الجعدي . ويقال له : مروان الحمار ، لأنه كان يثبت في الحرب ، ولا ينثني لشجاعته . قُتل في الحرب يوم الجمعة لثلاث عشرة من ربيع الاول سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وقد بلغ تسعاً وستين سنة . وكانت خلافته خمس سنين وعشرة اشهر وسبعة ايام . قتله عامر بن اسماعيل المزني الذي كان على مقدمة صالح بن علي . وهو آخر

خلفاء بني أمية بهذه البلاد، أعني بلاد الشرق. قاضيه: عثمان بن عمر التميمي.
ولما انتقلت الخلافة الى بني العباس هرب عبد الرحمن الداخل بن معاوية الى الأندلس، وسمي الداخل لدخوله الأندلس. وهرب عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك، فبايعه أهل الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة. وأقام والياً ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة اشهر. وتوفي في غرة جمادي الاولى سنة اثنين وسبعين ومائة. وولي ابنه هشام سبع سنين وتسعة اشهر. ثم ولّي الحكم بن هشام، سبعاً وعشرين سنة وشهراً وخمسة عشر يوماً. ثم ولّي محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم اربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً. ثم ولي المنذر بن محمد سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً. ثم ولي أخوه عبدالله خمساً وعشرين سنة ونصف شهر. ثم ولي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم، وسمي امير المؤمنين. وكان من قبله يسمون: بنو الخلايف. ولم يزل والياً خمسين سنة. ثم ولي بعده ابنه الحكم ابن عبد الرحمن خمسة عشر سنة وأشهراً. ثم ولي بعده ابنه هشام تسعاً وثلاثين سنة، الى ان قتله بن عمه سليمان، في سنة ثلاث واربعمائة. ثم ولي سليمان ثلاث سنين. ثم مات في سنة ست وأربعمائة، وانحل نظام بني أمية، وغلب على كل ناحية من الاندلس اميرها، وصار بعضها لرجل من بني الحسن، رضي الله عنه، يلقب بالمأمون.

خلافة ابي العباس السفاح:

واسمه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب[1].

(١) مطلب خلافة بني العباس.

وأمه : ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثي . بويع بالكوفة يوم الخميس بيعة الخاصة ، ومن غد يوم الجمعة بيعة العامة ، لثلاث ليال خلت من ربيع الاول سنة اثنين وثلاثين ومائة . نقش خاتمه : الله ثقة عبد الله وبه يؤمن . حاجبه : مولاه ابو غسان . وزيره وكاتبه : ابو الجهم . صاحب شرطته : عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي . اصحاب مشورته : اخوه ابو جعفر المنصور ، وأبو مسلم ، وقحطبة بن شبيب ، والحسن ، وحميد ، ابنا قحطبة ، على الحرب . مات بالجدري بالانبار من مدينته التي بناها وسمّاها الهاشمية . وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشر خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وقد بلغ ثلاثاً وثلاثين سنة . وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر ، عهد الى اخيه ابي جعفر المنصور . وكان قاضيه : ابن أبي ليلى .

خلافة ابي جعفر المنصور :

واسمه : عبدالله بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب . وامّه : سلامة بنت بشير البربرية . قدم من مكة الى بغداد ، وقد أخذت له البيعة . نقش خاتمه : اتق الله فإنك ترد فتعلم. حاجبه : عيسي بن نجيح . وزيره : سليمان بن مخلد الأهوازي . مات ببئر ميمون خارج مكة محرماً ، من وجع البطن. ودفن على باب الشعب بالحجون، وقد بلغ اربعاً وستين سنة، وكانت خلافته اثنين وعشرين سنة إلا سبعة ايام . وكانت بيعته سنة ست وثلاثين ومائة ، ومات سنة ثمان وخمسين ومائة . وعهد الى ابنه المهدي في السادس من ذي الحجة . وكانت ولايته في ذي الحجة .

خلافة المهدي محمد بن جعفر المنصور :

وامه : ام موسى بنت منصور بن يزيد الحميري. بويع بعهد من أبيه له سنة ثمان وخمسين ومائة . ومات سنة تسع وستين ومائة من المحرّم ، وصلى عليه ولده الرشيد. وقد بلغ ثلاثاً واربعين سنة ، فكانت ولايته عشر سنين، وشهراً ، ونصفاً . نقش خاتمه : حسبي الله . حاجبه : الربيع بن يونس . قاضيه : عبدالله بن علاقة ، وعاقبة بن يزيد . كاتبه : ابو الجهم، والفضل بن الربيع ، وسلامة الأبرش .

خلافة ابي موسى الهادي بن محمد المهدي :

وامه : الخيزران مولدة جرش ، وهي بنت عطاء مولى ابيه ، وهي أم الخلفاء . بويع بعهد من أبيه سنة تسعٍ وستين ومائة . ومات سنة سبعين ومائة . وقد بلغ خمسة وعشرين سنة ، ونصف ، وصلى عليه اخوه هارون . فكانت خلافته سنةً ، وشهراً ، وثلاثة وعشرين يوماً . نقش خاتمه : موسى يؤمن بالله . قاضيه بالجانب الغربي : ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم. وبالجانب الشرقي : سعيد بن ابن عبد الرحمن الجمحي . حاجبه : الفضل بن الربيع . كاتبه ووزيره : ابراهيم بن المهدي، والربيع بن يونس ، ثم عمر بن الربيع .

خلافة ابي جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي :

وأمه : الخيزران . نقش خاتمه : العظمة والقدرة لله عز وجل . وزيره : جعفر بن يحيى بن برمك . حاجبه : قيس بن ميمون ، ثم حجبه محمد بن خالد بن برمك . بلغ عمره اربعاً وأربعين سنة وخمسة اشهر ، وولي سنة

سبعين ومائة ، وذلك ليلة الجمعة لأربع عشرة خلت من ربيع الاول . وفي هذه الليلة ُولد المأمون ، وكان خليفة . وتوفي موسى الهادي ، ومات سنة ثلاث وتسعين ومـائة ، ليلة السبت لثلاث خلون من جمادي الآخرة ، وصلى عليه ابن صالح . وكانت خلافته بعد أخيه ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وثمانية ايام . قضاته : نوح بن دراج، وحفص بن غياث، والحسين بن الحسن العوفي، وعون بن عبد الله المسعودي ، ومحمـــد بن سماعة ، وشريك بن عبد الله ، وعلي بن حرملة .

خلافة ابي عبد الله محمد الامين بن هارون الرشيد :

وأمه : زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور. نقش خاتمه: لكل عمل ثواب . حاجبه : الفضل بن الربيع . وزيره : ابراهيم بن المهـــدي . قتله طاهر بن الحسين في قصة طويلة ببغداد،ودفن بها في سنة ثمان وتسعين ومائة، وقد بلغ سبعاً وعشرين سنة . وكانت بيعته سنة ثلاث وتسعين ومائة،فكانت خلافته اربع سنين وسبعة اشهر وثلاثة وعشرين يومـــاً . قاضيه : اسماعيل ابن حماد بن ابي حنيفة ، وأبو البحتري وهب بن وهب ، ومحمد بن سماعه . ولم يكن في الخلفاء من أمّـــة هاشمية سوى علي بن ابي طالب ، والحسن ، والحسين ، والأمين هذا .

خلافة ابي العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد :

وأمه من اهل البادية . نقش خاتمه : الموت حق . كاتبه : احمد بن ابي خالد الأحول ، وأحمـد بن يوسف . وزيره : الحسن بن سهل ، والفضل بن سهل ذو الرياستين . حاجبه : مولاه رشيد . مات بطرطوس سنة ثمان عشرة

ومائتين ، وبويـع سنة ثمان وتسعين ومائة . بلغ عمره ثمانية وأربعين سنة . كانت خلافته عشرين سنة وخمسة اشهر وأحد وعشرين يوماً . قاضيه : محمد ابن عمر الواقدي ، ثم محمـد بن عبد الرحمن المخزومي ، ثم بشر بن الوليد ، ثم يحيى بن اكثم .

خلافة ابي اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد :

أمـه : مارية بنت شبيب . نقش خاتمه : سل الله يعطيك . وقيل : الله ثقـة ابي اسحاق بن الرشيد وبه يؤمن . حاجبه : مولاه وصيف التركي . وزيره : الفضل بن مروان، وأحمد بن عمارة ، ومحمد بن عبد الملك الزيات . بويـع سنة ثمـان وعشرة ومائتين بسُر من رأى . مات بقصره الخاقاني ، ودفن بها سنة سبع وعشرين ومائتين ، وقد بلغ ثمانية وأربعين سنة . وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر ويومين . قاضيه : شعيب بن سهل بن محمـد ابن سماعه ، وعبد الله بن غالب، وأحمد بن داود الأباري، وقاضي القضاة ، جعفر بن عيسى من ولد الحسن البصري .

خلافة ابي جعفر هارون الواثق بن محمد المعتصم :

أمه : مولدة ، يقال لهـا : قراطيس . نقش خاتمه : لا إله إلا الله محمـد رسول الله . حاجبه : ايتاخ التركي ، ثم وصيف . مولاه : احمد بن عمارة . قاضيه : احمد بن داود . وزيره : محمـد بن عبد الملك الزيات . بويع يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول، سنة سبع وعشرين ومائتين، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر وستة ايام، بسر من رأى ، وقد بلغ عمره ستاً وثلاثين سنة . وكان موته سنة ثلاث وثلاثين ومائتين لست بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين .

خلافة ابي الفضل جعفر المتوكل بن محمد المعتصم :

وأمه : خوارزمية ، يقال لها : شجاع . نقش خاتمه : المتوكل على الله . وزيره : عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، ومحمد ابن الفضل الجرجاني . قاضيه : يحيى بن اكثم ، وجعفر بن محمد البرجي ، وجعفر بن عبد الله بن جعفر بن سليمان العباسي . حاجبه: زرافة، ووصيف، وغيرهما . قتل بسر من رأى ، ودفن بها ، وقد بلغ ثلاثاً وأربعين سنة . كانت خلافته اربع عشرة سنة وتسعة اشهر وتسعة ايام . بويع لست بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين . وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

خلافة ابي جعفر محمد المنتصر بن جعفر المتوكل :

وأمه : رومية ، يقال لها : حبشية . نقش خاتمه : محمد بن جعفر. مات بسر من رأى بوجع ذات الجنب . وقد بلغ عمره اربعاً وعشرين سنة واحدى عشر شهراً وخمسة ايام . كانت خلافته ستة اشهر ويومين . بويع يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، وتوفي ليلة السبت لعشر خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وصلى عليه المستعين . وقيل : نقش خاتمه : يؤتى الحذر من مأمنه . وقيل : انا من آل محمد ، الله وليّ ومحمد . حاجبه : وصيف ، ومرزبان ، وغيرهما . قاضيه : جعفر الهاشمي .

خلافة ابي العباس المستعين احمد بن المعتصم :

وأمه : سقلابية ، يقال لها : مخارفة . نقش خاتمه : احمد بن محمد .

حاجبه : قامس . كاتبه : احمد بن الخصيب . بلغ عمره سبعاً وأربعين سنة . كانت خلافته ثلاث سنين وتسعة ايام . بويع له يوم الاثنين لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين . خلع نفسه لأربع خلون من المحرم سنة اثنين وخمسين ومائتين . وفي هذه السنة قتل قاضيه احمد بن ابي الشوارب ، وقيل : محمد بن وزير الواسطي .

خلافة ابي عبد الله المعتز الزبير بن جعفر المتوكل :

أمه : فتيحة . نقش خاتمه : الزبير بن جعفر . حاجبه : صالح بن وصيف . وزيره : احمد بن اسرائيل . قتله حاجبه صالح ، بسر من رأى ، وطرحه في دجلة، وقد بلغ سبعاً وأربعين سنة . خلافته : اربع سنين وستة اشهر ونصف . بويع له ببغداد سنة اثنين وخمسين ومائتين . قال بعضهم : ثم خلع نفسه مكرهاً لثلاث بقين من رجب سنة خمس ومائتين. واختلف في كيفية موته . قاضيه : الحسن بن ابي الشوارب .

خلافة ابي جعفر المهتدي بن هارون الواثق :

أمه : أم ولد ، يقال لها : قرب . نقش خاتمه : المهتدي بالله يثق . حاجبه : صالح بن داود . قتله خير بك التركي ، وشرب دمه . ودفن بسر من رأى ، وقد بلغ اثنين وأربعين سنة . وكانت خلافته سنة واحدة إلا ثلاثة عشر يوماً. بويع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين. وحبس في رجب سنة خمس ، وقيل : سنة ست وخمسين .

خلافة المعتمد ابي العباس احمد بن جعفر المتوكل :

وأمه : رومية ، يقال لها : فينان . وكان القائم بأمر المملكة اخوه ابو احمد طلحة الموفق . ووزيره : اسماعيل بن بلال . حاجبه : خفيف

السمرقندي . سقي شربة فمات، ودفن ببغداد، وقد بلغ اثنين وخمسين سنة. كانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة ويومين . بويع لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وتوفي ببغداد ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وتسعين ومائتين . قاضيه : الحسن بن ابي الشوارب ، ثم اخوه علي بن محمد .

خلافة ابي العباس احمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل :

وأمه : رومية ، يقال لها : ضرار، ثم سمّاها الموفق : الخفير . وزيره : عبيد الله بن سليمان . حاجبه : صالح الأمين . نقش خاتمه : توكل تكفَ . صاحب شرطته : مؤنس الفحل . بلغ عمره احدى وأربعين سنة . كانت خلافته تسع سنين وسبعة اشهر وثلاثة ايام . وّلي سنة ثمانين ومائتين، ومات سنة تسع وثمانين ومائتين .

خلافة ابي محمد علي المقتفي بن احمد المعتضد :

وأمه : رومية ، يقال لها : نشيج . كان امير الرقة . اخذ له البيعة ببغداد القاسم بن عبد الله ، وكتب اليه بذلك ، فانحدر من الرقة . نقش خاتمه: علي بن المعتضد . حاجبه: مولاه سوسن . وزيره: القاسم بن عبدالله. قاضيه : ابو حازم ، ثم يوسف ، ثم يعقوب ، ثم ابو عمر ، ثم علي بن ابي الشوارب. وقد بلغ عمره ثلاثاً وستين سنة وعشرين يوماً . كانت بيعته لسبع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، ومات سنة خمس وتسعين ومائتين ، لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة . كانت خلافته ست سنين وستة اشهر وعشرين يوماً .

خلافة ابي الفضل جعفر المقتدر بن احمد المعتضد :

وأمه : رومية ، يقال لها : شغب . نقش خاتمه : جعفر يثق بالله . وزيره : العباس بن الحسن ، واستوزر جماعة ، منهم الفضل بن جعفر بن المهدي بن الفرات ، المعروف بإبن الخيزرانة . حاجبه : نصر القسوري . قتله يونس الخادم مولاه خارج بغداد ، ودفن ببغداد ، وقد بلغ عمره سبعاً وثلاثين سنة إلا سبعة ايام ، وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة إلا سبعة عشر يوماً . كانت بيعته في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، وقتل في شوال سنة عشرين وثلثمائة . عمره يوم بويع له : ثلاثة عشر سنة . قضاته ، جماعة ، منهم : يوسف بن يعقوب ، وابنه عمر محمد بن يوسف ، وعبد الله بن ابي الشوارب ، وغيرهم .

خلافة ابي منصور محمد القاهر بن احمد المعتضد :

أمه : مولدة ، يقال لها : فنون . وزيره : احمد بن عبيد الله الحصيني . حاجبه : مولاه . نقش خاتمه : يا املي اختم بخير عملي . قبض عليه ، وكحل حق عمي ، وخلع من الخلافة ، وقد بلغ عمره خمساً وثلاثين سنة . وكانت خلافته سنة ونصف وثمانية ايام . بويع له يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة . قاضيه : عمر بن محمد بن يوسف . وكان من وزرائه ابو علي بن مقلة .

خلافة ابي العباس محمد الراضي بن جعفر المقتدر :

أمه : رومية ، يقال لها : ظلوم . نقش خاتمه : مُنْ بالرضا . وزيره : ابو علي محمد بن علي بن مقلة ، وجماعة غيره . حاجبه : مولاه ذكي الرومي.

صاحب شرطته : لؤلؤ . مات ودفن ببغداد ، وقـد بلغ عمره ثلاثاً وثلاثين سنة وعشرة اشهر وتسعة ايام . بويع له يوم الاربعاء لست خلون من جمادي الاولى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي ليلة السبت لستة عشر ليلة خلت من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة . قاضيه : عمر بن محمد بن يوسف، وابوه يوسف بن عمر . وفي ايام الراضي ، مـات مجاهد ، في شعبان ، سنة اربع وعشرين وثلاثمائة ، ومولده سنة خمس وأربعين ومائتين ، رحمه الله .

خلافة ابي اسحاق ابراهيم المتقي بن جعفر المقتدر :

أمه : رومية ، يقال لها : حلوب . بويع بعد اخيه الراضي بسبعة ايام. نقش خاتمه : كفى بالله معيناً . وزيره : محمد بن احمد بن ميمون ، والقـائم بأمره سعيد بن شكلي . حاجبه : سلامة اخو نجح . قبض عليـــه بودون التركي، وكحل عينيه حتى عميا ، وخلعه من الخلافة ، وقد بلغ اربعاً وثلاثين سنة ، وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر يوماً او يومين . وكان بويـع يوم الاربعاء لعشر بقين من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وخلع يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفي في خلافة المطيع ، في شعبان سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وعمره إذ ذاك ستون سنة . قاضيه : ابو نصر يوسف بن عمر ، وغيره .

خلافة ابي القاسم عبد الله المستكفي بن علي المكتفي :

أمه : رومية ، يقال لهـا : غصن . وزيره : ابو الفرج محمـــد بن علي السامري . حاجبه : احمد بن خاقان . نقش خاتمه : عبد الله بن المكتفي . قبض عليه ، وكحل حتى عمي ، وخلع من الخلافة ، وقـد بلغ ستاً وأربعين سنة، وكانت خلافته سنة واحدة وأربعة اشهر وأربعة عشر يوماً . بويع له

لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، ومـات في ربيـع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

خلافة ابي القاسم الفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر :

بويع يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الآخر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة. وأمه : سقلابية ، يقال لها : مشغلة . نقش خاتمه : بالله المطيع لله . وزيره: محمد بن يحيى بن شيراز ، اخو القائم بأمر مملكته ابو الحسين احمد بن بويه الديلمي معز الدولة الاقطع . ثم وزر له المهلّبي . حاجبه : عبـد الواحد بن عمرو الشرابي . ولّي تسعاً وعشرين سنة وأربعة اشهر واحد عشر يوماً ، ثم فلج ، فخلع نفسه غير مستكره ، وولّى ابنـه المطيع لله ، ومات لثمان بقين من المحرم ، سنة اربع وستين وثلاثمائة ، وله ثلاث وستون سنة . قـاضيه : محمد بن ابي الشوارب ، وغيره .

خلافة المطيع لله واسمه عبد الكريم ويكنى أبا بكر :

بايعه أبوه المطيع بعد ان خلع نفسه غير مستكره يوم الاربعـاء ، ثالث عشر من ذي القعدة ، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وقبض عليه بهـاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة يوم السبت لاثني عشرة ليلة خلت من شعبان ، سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ، وخلع نفسه بعـد ان بويع للقادر . وكانت خلافته تسعة عشر سنة ، وتسعة عشر شهراً ، وتسعة ايام . ومات يوم الثـــلاثاء ، سلخ رمضان ، سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، ودفن بالرصافة .

خلافة القادر بالله احمد بن اسحاق بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس :

وهو ابن عم المطيع ، بويع له يوم السبت لاثني عشرة ليـــلة خلت من

رمضان ، سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ، ومات في الحادي عشر من ذي الحجة ، سنة اثنين وعشرين واربعمائة ، وله ستة وثمانون سنة . وكانت خلافته احدى واربعون سنة ، وثلاثة أشهر .

خلافة القائم بأمر الله :

وهو ابن القادر ، واسمه عبدالله بن احمد بن اسحاق بن جعفر المقتـدر . امه : بدر الدُجا . ولد هذا عبدالله القائم يوم الخميس ، ثامن عشر ذي القعدة ، سنة احدى وتسعين وثلاثمائة . بويع له بالخـلافة في ذي الحجة ، سنة اثنين وعشرين واربعمائة ، وكان سنّه يومئذ احدى وثلاثون سنة ، وكان والده قد عهد له في حياته . وتوفي القائم يوم الخميس ، ثاني عشر ، وقيل ثالث عشر من شعبان ، سنة سبع وستين واربعمائة . وكانت خلافته اربعاً وأربعين سنة ، وثمانية أشهر .

خلافة المقتدي بن القائم بالله :

واسمه المقتدي بأمر الله عبدالله بن محمد القائم بأمر الله ، ويكنى ابا القاسم . بويع له بالخلافة يوم الخميس ، ثالث عشر شعبان من سنة سبع وستين واربعمائة ، وله يومئذ تسع سنين ، وكان والده ابو العباس بن القـــائم عهد اليه . توفي المقتدي ببغداد في المحرم ، سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، ليلة السبت ، فكانت خلافته عشرين سنة ، وأربعة أشهر ، وثمانية عشر يوماً .

خلافة المستظهر بن المقتدي ، واسم المستظهر احمد بن عبدالله :

ويكنى أبا العبــاس . بويع له بالخلافة يوم الثلاثاء من المحرم ، سنة سبع وثمانين واربعمائة ، بين الظهر والعصر ، وصلى بالنـــاس الظهر ، ثم صلى عليه

ابنه المقتدي . وكان سنّ المستظهر ، يوم بويع له ، ودفن أبوه ، ستة عشر سنة ، وشهرين ، وتسعة عشر يوماً ، لأن مولده كان يوم السبت ، لعشرين من شوال ، سنة سبعين وأربعمائة .

خلافة المسترشد بالله واسمه الفضل بن احمد ويكنى أبا المنصور :

بويع له بالخلافة يوم الخميس ، رابع عشر من ربيع الاول ، سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، وكان له سبع وعشرون سنة ، لأن مولده كان ليلة الاربعاء ، رابع ربيع الاول ، سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، ثم ولي بعده ابنه الراشد بالله .

خلافة الراشد بالله بن المسترشد :

واسمه منصور بن الفضل بن احمد ، ويكنى أبا العباس . بويع له في ذي القعدة ، سنة تسع وعشرين وخمسمائة. ثم ولّي بعده عمه المقتفي لأمر الله.

خلافة المقتفي لأمر الله :

واسمه محمد ، ويكنى أبا عبدالله ، وهو عم الراشد . بويع له بالخلافة يوم الاربعاء ، الثامن عشر من ذي القعدة ، سنة ثلاثين وخمسمائة .

خلافة المستنجد بالله بن المقتفي :

واسمه يوسف ، ويكنى أبا المظفر . بويع له يوم الاثنين ، ثالث ربيع الاول ، سنة خمس وخمسين وخمسمائة . حدثنا عبد الرحمن بن علي كتابة ، قال : حدثني ابو المظفر الوزير ، قال : حدثني أمير المؤمنين المستغني بالله ، قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، منذ خمسة عشر سنة ، فقال لي :

« يبقى أبوك في الخـــلافة خمسة عشر سنة » . فكان كما قال . قلت : وفي زمان هذا الخليفة ولدتُ أنا بمرسية ، في دولة السلطان ابي عبد الله محمـد بن سعد بن مرديس ، بالأندلس ، فكنت أسمع الخطيب يوم الجمعـــة ، يخطب بالمسجد ، باسم المستنجد بالله . ثم وّلي بعده ولده المستغني بالله .

خلافة المستغني بالله :

واسمه الحسن بن يوسف بن محمد . بويـع له البيعة العامة في يوم الأحد ، تاسع ربيـع الاول ، سنة ست وستين وخمسمائة ، وخطب له السلطان بمرسية بالاندلس .

خلافة سيدنا ومولانا الناصر لدين الله :

أمير المؤمنين ابي‌العباس احمد ابن الامام الحسن ابن الامام يوسف ابن الامام محمد. بويـع له في‌الخامس والعشرين من ذي‌القعدة، سنة خمس وسبعين وخمسمائة. ونحن اليوم في شوال سنة احدى عشر وستمائة ، ابقى الله عمر سيدنا ومولانا امير المؤمنين ، وكان قد عقد لولده ابي نصر محمـد ، ثم انه استقال منه ، فأقاله امير المؤمنين ، وأشهد على نفسه بالخلع من ولاية العهد ، لعجزه عنها ، ونزع اسمه من الخطبة ، وذلك سنة احدى وستمائة . اخبرني بذلك الثقـات وأنا بالموصل ، ولم يبق له اسم في الخطبة ، بعد الخلع في جميع البلاد إلا بلاد يونان ، فإنه بقي ذكره بعد الخلع قريباً من سنة ، لأنـــه أبى السلطان كيخسرو بن قطج ارسلان بن مسعود أن يزيل اسمه بالإستفاضة من غير أمر من الديوان ، فلما أتى الامر اليـــه أزال ذكره . يبقي الله عمر سيدنا امير المؤمنين ، ويؤيده ويرشده لمصالح نفسه، ومصالح المؤمنين، ورعيته ، آمنين بعزّته ، وتوفي آخر شهر رمضان سنة اثنين وعشرين وستمائة ، وولى ابنـه

محمـــد الظاهر في امر الله ، الذي كان قد خلع نفسه ، وتوفي في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وكانت خلافته تسعة اشهر ، وولى بعده ابنـــه المستنصر ابو جعفر المنصور ، ويعرف بالقاضي، أدام الله بقاه ، وهو الخليفة الآن حين تقييدي هذا .

روينا عن الحميدي، عن محمد بن سلامة القضاعي، عن منصور بن النعمان، عن ابي مسلم الكاتب ، عن محمد بن الحسين، عن ابن دريد ، عن الحسن بن الخضر ، عن رجل من اهل بغداد ، عن المذكر ابي هشام ، قـــال : اردت البصرة فجئت الى سفينة اكتريها وفيها رجل ومعه جارية . فقـال الرجل : ليس هنـــا موضع . فسألته الجارية أن يحملني ، فحملني . فلما سرنا دعى الرجل بالغداء، ثم قال: انزلوا ذلك الفقير ليتغدا . فأنزلت على انني مسكين، فلما تغدينا ، قال : يا جارية ، هاتي شرابك ، فشرب، وأمرها أن تسقيني ، فقلت : رحمك الله ، إن للضيف حقاً ، فتركني . فلما دبّ فيه النبيذ، قال: يا جارية ، هاتي العود ، وهاتي ما عندك . فأخذت العود ، ثم غنّت تقول :

وكنا كغصني بانةٍ ليس واحدٌ   يزول من الخلّان عن رأي واحدِ
تبدّل بي خلا فخاللتُ غيرهُ   وخالفته لمـــا أراد تباعدي
فلو أن كفـّي لم تردني أبينتُهـــا   ولم يصطحبها بعد ذلك ساعدي
ألا قبح الرحمن كل مـــاذقٍ   يكون أخاً في الخفض لا في الشدائد

ثم التفت إلي وقـــال : أتحسن مثل هذا ؟ فقلت : أحسن خيراً منه ، فقرأت : إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيّرت، فجعل يبكي ، فلما انتهيت الى قوله تعالى : وإذا الصحف نُشرت ، قـــال : يا جارية ، اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى ، وألقى ما معه من الشراب في

الماء ، وكسر العود ، ثم دنا إلي واعتنقني ، وقال : أترى الله يقبل توبتي ؟ فقلت : إن الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، قال : فآخيته بعد ذلك اربعين سنة حتى مات قبلي ، فرأيته في المنام، فقلت : الى مَ صرت بعدي ؟ فقال : الى الجنة ، فقلت : يا اخي ، بمَ صرت الى الجنة ؟ قال : بقراءتك عليّ : واذا الصحف نشرت .

وذكر صاحب كتاب « اخبار الزمان » ان ابا بكر رضي الله عنه ، لما توفي غسّلته زوجته اسماء بنت عميس ، وصلى عليه عمر رضي الله عنهما ، وحمل على سرير رسول الله ﷺ ، وهو سرير عائشة رضي الله عنها ، وكان من خشبتين ساجاً منسوجاً بالليف ، وبيع في ميراث عائشة رضي الله عنها ، بأربعة آلاف درهم ، فاشتراه مولىً لمعاوية ، وجعله للمسلمين ، ويقال انه بالمدينة . ودفن ابو بكر رضي الله عنه في حجرة عائشة، ورأسه قبالة كتفي رسول الله ﷺ، وفي خلافته فتحت بصرى صلحاً ، وهي اول مدينة فتحت بالشام . ومات ابو قحافة بعد موت ابنه ابي بكر بسنة ، وقيل : سبعة اشهر ، وذلك في سنة اربع عشرة سنة ، ولم يل الخلافة من ابوه حيٌ غير ابي بكر ، ومن ذكرنا من خلفاء بني العباس ، ممن خلع نفسه لعذر ، وولى ابنه ، كالمطيع لله .

ومن اولاد ابي بكر الصديق : عبد الله ، واسماء ، لأم واحدة وهي من بني عامر ابن لؤي، ومن اولاده ايضاً : عبد الرحمن، وعائشة ، لأم واحدة، وهي أم رومان . ومن اولاده ايضاً: محمد، وأميمة، من أسماء بنت عميس.

ذكر اهل التاريخ أن شريحاً القاضي ، أقام خمساً وسبعين سنة في القضاء الى ايام الحجاج ، تعطل منها ثلاث سنين ، امتنع من الحكم زمن فتنته .

ولما ولّي الحجاج الكوفة ، استعفاه ، فأعفاه . ومات سنة سبع وثمانين، وله مائة سنة ، وقيل : مائة وعشرون سنة ، وقيل : مـات سنة تسع وسبعين . ومات في خلافة عثمان العباس بن عبد المطلب ، في سنة اثنين وثلاثين ، وله ثمانون سنة . ويقال : انه لم يُرَ بنو أبٍ أبعدَ قبوراً من بنيه عبدالله بن عباس بالطائف، والفضل بالشام، وعبيدالله بالمدينة، وقثم بسمرقند، وسعد بافريقية . ومات عبد الرحمن بن عوف في سنة واحدة مع العباس ، وكان سنّ عبد الرحمن خمساً وخمسين سنة ، وأوصى من ماله لكل رجل بقي من أهل بدر ، بأربعمائة دينار ، فكانوا يومئذ مائة رجل ، فقسمت تركته على ستة عشر سهماً ، فكان كل سهم ثمانين ألف دينار .

وكان لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اربعة عشر ولداً ذكوراً ، وثمانية إناث ، أعقب من أولاده : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، وعمر ، والعباس .

وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من الاولاد : عبدالله ، وحفصة ، وعبيدالله ، وعاصم ، وفاطمة ، وزيد ، وابو شحمة واسمه عبد الرحمن ، وهو الذي حُدّ في الشراب فمات .

والذي حفظتُ من أولاد عثمان بن عفان رضي الله عنه : عبدالله الاكبر ، وعبدالله الاصغر ، من رقية ، وعمر ، وأبان ، وخالد ، وعمر ، وسعيد ، ومغيرة ، وأم سعيد ، وأم أبان ، وعائشة ، وأم عمر ، وغيرهم .

والمحفوظ لي من أولاد الحسين رضي الله عنه : زيد ، والحسن ، وعلي زين العابدين ، وعمر ، والحسين الأشرم ، والقاسم ، وأبو بكر ، وطلحة ، وعبدالله وعبد الرحمن ، وغيرهم .

وأولاد معاوية بن ابي سفيان : عبد الرحمن ، يزيد ، عبدالله ، هند ، رملة ، صفية ، عائشة .

وأولاد يزيد بن معاوية : معاوية ، عبدالله الاكبر ، عبد الرحمن الاصغر ، عمير ، عبد الرحمن ، عتبة الاعور ، يزيد ، محمد ، ابو بكر ، حرب ، عبدالله أصغر الأصاغر ، وغيرهم . ولم يكن لمعاوية بن يزيد عقب .

وأولاد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم : حمزة ، وعبدالله ، وحبيب ، وثابت ، وعبّاد ، وقيس ، وموسى ، وغيرهم .

وأولاد مروان بن الحكم : عبد الملك ، معاوية ، ام عمرو ، عبيد الله عبدالله ، أبان ، داود ، عبد العزيز ، عبد الرحمن ، ام عثمان عمرة ، ام عمرو ، بشر ، محمد .

وأولاد عبد الملك بن مروان : الوليد ، سليمان ، مروان الاكبر ، يزيد ، مروان ، معاوية ، هشام ، بكار ، الحكَم ، عبدالله ، مسلمة ، المنذر ، عتبة ، محمد ، سعيد ، الحجاج ، قبيصة .

وأولاد الوليد بن عبد الملك : يزيد ، ابراهيم ، العباس ، عمر ، فخذ بني مروان ، وعمر ، وعبد العزيز ، وبشر ، وغيرهم :

موعظة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

حدثني يونس بن يحيى ، عن محمد بن ابي منصور ، عن حفص بن احمد ، عن الحسن بن علي بن ابي بكر بن مالك ، عن عبد الله بن احمد . حدثني أبي ، عن الوليد بن مسلم ، عن الاوزاعي ، عن يحيى بن ابي كثير ، ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، كان يقول في خطبته : أين القضاة الحسنة

وجوههم ، المعجبون بشأنهم ؟ أين المـــلوك الذين بنوا المدائن ، وحصّنوها بالحيطان ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب ؟ قد تضعضع بهم الدهر ، فأصبحوا في ظلمات القبور . الوحا الوحا ، النجا النجا .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا : حدثنـــا اسحاق بن اسماعيل ، ثنا سفيان بن عيينــة ، عن جعفر بن برقان ، عن ثابت بن الحجاج ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنــه : حاسِبوا أنفسكم قبل ان تحاَسبوا ، وزِنوا انفسكم قبل ان توزَنوا ، فانه أهون عليكم من الحساب غداً ، قبل ان تحاسبوا انفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الاكبر ، يومئذ تُعرَضون لا تَخفى منكم خافية.

وحدثنا يونس بن علي ، عن ابي الحسن بن بشر ، انه قال : حدثنا الحسين ابن صفوان ، ثنا ابو بكر القرشي ، عن ابي نصر التمار ، عن بقية بن الوليد ، عن ابراهيم بن أدهم ، عن عبـــد الله الخراساني ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَن اتقى الله لم يَشفِ غيظه ، ومَن خاف الله لم يفعل مـــا يريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون .

حدثنا يونس ، ثنا عبد الوهاب ، ان المبارك بن عبد الجبـــار ، قال : أخبرنا احمد بن علي النويري ، قال : أنا عمر بن ثابت ، قال : أنا علي بن محمد ابن ابي قيس ، ثنا ابو بكر القرشي ، عن عبـد الرحمن بن صالح العتكي ، عن يونس بن بكير ، عن عتبـة بن ابي الازهر ، عن يحيى بن عقيل ، قال : قال علي بن ابي طالب لعمر رضي الله عنهما : إن أردت ان تلحق بصاحبيك ، فاقصر الأمل ، وكل دون الشبع ، وارقع القميص ، والبس الإزار ، واخصف النعل ، تلحق بهما .

وروينا من حديث ابي زهير نعيم ، قال : ثنا سليمان بن احمد ، قال : ثنا

ابو يزيد القراطيسي ، ثنا حجاج بن ابراهيم ، عن مروان ، عن معاوية ، عن محمد بن سوقة ، قال : أتيت نعيم بن ابي هند ، فأخرج لي صحيفة ، فاذا فيها : من ابي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، الى عمر بن الخطاب : سلام عليك ، أما بعد ، فإنا عهدناك ، وشأن نفسك لك مهم ، فأصبحت وقد ولّيت أمر هذه الأمة ، احمرها ، وأسودها ، يجلس بين يديك : الشريف ، والوضيع ، والصديق ، والعدو، ولكلّ حصة من العدل، فانظر كيف انت عند ذلك يا عمر ، وإنا نحذرك يوماً تصفرّ فيه الوجوه ، وتجب له القلوب ، وتنقطع فيه الحجج بحجة ملك ، قهرهم بجبروته ، والخلق داخرون له ، يرجون رحمته ، ويخافون عقابه ، وإنا كنا نحدّث أن امر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها، ان نكون اخوان العلانية اعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا منك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا ، وإنما كتبنا به نصيحة لك والسلام .

وكتب اليهما عمر رضي الله عنهما : من عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل ، سلام الله عليكما . أما بعد ، فإنكما كتبتما إلي تذكّراني انكما عهدتماني وأمر نفسي إلي مهم، وإني أصبحت وقد ولّيت أمر هذه الأمة ، وذكر كلاماً . ثم قال : فإنه لا حول ولا قوة عند ذلك لعمر إلا بالله ، وذكرتما انكما كتبتما نصيحة لي وقد صدقتما، فلا تدعا الكتاب إلي فإنه لا غناء لي عنكما ، والسلام عليكما .

وروينا من حديث مالك ، عن زيد بن اسلم ، عن ابيه ، قال : خرجت مع عمر الى السوق فلحقته امرأة شابة ، فقالت : يا امير المؤمنين ، هلك زوجي ، وترك صبية صغاراً ، والله ما ينضجون كراعاً ، ولا لهم زرع ، ولا درع ، وخشيت عليهم الطمع ، فأنا ابنة خفاف بن اغام الغفاري ، وقد

شهد ابي الحديبية مع رسول الله ﷺ . فوقف معها عمر، ولم يمض ، وقال : مرحبـاً بنسب قريب . ثم انصرف الى بعير كان مربوطاً الى الدار ، فحمل عليه غرارتين ، ملأهما طعاماً ، وجعل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها خطامه ، وقال : اقتاديه ، فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير (١) .

وروينا من حديث ابي نعيم محمد بن معمر ، ثنا ابو شعيب الحرّاني ، ثنا يحيى بن عبد الله ، ثنا الاوزاعي ، ان عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل، فرآه طلحة ، فذهب عمر ، فدخل بيتاً ، ثم دخل بيتاً آخر ، فلمـا اصبح طلحة ، ذهب الى ذلك البيت ، فإذا عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيكِ ؟ قالت : انه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بمـا يصلحني ، ويخرج عني الأذى . فقـال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة ، اعثرات عمر تتبع ؟

ومن مواعظ عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ما روينا من حديث ابي بكر بن ابي الدنيا، قال: كتب إلي ابو عبد الله محمد بن خلف التيمي (٢)، قال : حدثنا شعيب بن ابراهيم، عن سيف بن عمر، عن يزيد بن عثمان ، قال : آخر خطبة خطبها عثمان :

« أيها الناس ، إن الله إنما اعطاكم الدنيا ، لتطلبوا بهـا الآخرة ، فلم يعطكموها لتركنوا اليهـا . إن الدنيا تفنى ، والآخرة تبقى . لا تبطرنكم

---

(١) نسخه بغيره لنا .
(٢) خـ ٢ التميمي .

الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية . آثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير الى الله . اتقوا الله ، فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغيرة ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أخدانا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

موعظة سهل بن عمر الحارث بن هشام وزياد بن حنظلة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :

حدثنا يوسف بن علي ، ثنا محمد بن الحسين ، انا ابو الحسن بن النقود ، انا ابو ظاهر المخلص ، انا احمد بن عبد الله بن يوسف ، انا السّري بن يحيى ، انا شعيب بن ابراهيم التيمي [١] ، انا سيف بن عمرو ، عن زهرة ، عن ابي سلمة ، وعن عبد الله بن سعيد ، قالا : وعظ سهل بن عمرو ، عمر بن الخطاب ، فقال : يا عمر ، إنه من ابتلي بالسلطان فقد ابتلي ببلاء عظيم ، وأي بلاء يا عمر أشد من بلاء سلط فيه لسان الوالي وفعله ، فإن هو ذكّر لم يذكُر ، وإن هو غفل أُخذ بغفلته ، فإن أذنب أسلمته ذنوبه الى الموت الذي ليس منه فوت ، وليس منه مردّ ، ولا بعده مستعتب .

موعظة الحارث بن هشام :

قال : إن حقاً على كل مسلم ، النصيحة لك يا عمر ، والاجتهاد في إداء حقك ، ولهم عليك بمثل الذي لك عليهم ، لما افضى الله عز وجل اليك من

---

(١) حـ ٢ التميمي .

هذا الأمر العظيم الذي توليته من أمة محمد ﷺ ، اسودها وأحمرها . عليك بتقوى الله عز وجل في سريرتك وعلانيتك ، والاعتصام بما شرع الله ، واعلم ان كل راع مسئول عن رعيته ، وكل مؤتمن مسئول عن امانته ، والمحسن ان أخطأ بالإحسان ممن أحسن اليه ، فاعتصم بما تعرف من امر الله ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . فأجزاهما عمر ، وقال : هداكما الله عز وجل ، وأعانكما ، وصحبكما ، عليكما بتقوى الله في امركما كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

قال : ووعظ زياد بن حنظلة عمر رضي الله عنه ، فقال : يا امير المؤمنين ، إحذر ممن إن أكرمته أهانك ، وإن أهنته أكرمك . قال عمر : مَن هذا ؟ قال : جسدك ، إن انت تابعت بطنك وبشرك فيما يريدان منك ، فضحاك وأهاناك في الدنيا والآخرة ؛ وإن انت أهنتهما وعصيتهما وقويت عليهما ، واتياك في الدنيا ، وأنجياك في الآخرة .

موعظة عتبة بن غزوان :

وكان من أهل بدر . قال خالد بن عُمير : خطب ابن غزوان ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اما بعد ، فان الدنيا قد أذنت بصَرْم ، وولّت جدّاً ، ولم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الإناء يقضي بها صاحبها ، وانتم منقلبون منها الى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما يحضركم ، فانه قد ذكر لنا ، ان الحجر يُلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ، ما يدرك لها قعراً . والله لتملأن فتعجبتم ، والله لقد ذكر لنا ، ان ما بين مصراعي الجنة مسيرة اربعين عاماً ، وليأتينّ عليها كغطيط الزحام . ولقد رأيتني ، وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت

أشداقنـــا . واني التقطت بردة ، فشققتها بيني وبين سعد ، فاتزر بنصفها ، واتزرت بنصفها ، فما اصبح منا اليوم احد حياً إلا اصبح اميراً على مصر من الامصار . واني أعوذ بالله ، ان أكون في نفسي عظيماً ، وعند الله صغيراً ، فانها لم تكن قطّ نبوّة ، إلا تناسخت حتى يكون عاقبتها ملكاً ، وستبلون او ستجربون الأمراء بعدنا .

روينا من حديث احمـــد بن حنبل ، عن شهر بن أسد ، عن سليمان بن المغيرة ، ثنا حميد يعني ابن هلال ، عن خالد بن عمير . وهذا الحديث انفرد بإخراجه مسلم .

وروينا من حديث الحميدي ، انا ابو محمد بن علي بن احمـــد بن سعيد ، أخبرنا ابو عبد الله بن ربيع ، حدثنـا ابو علي اسماعيل بن القاسم ، عن ابي بكر بن دريد ، عن الحسن بن خضر ، عن حماد بن اسحاق الموصلي ، قال : سمعت ابي يقول : قال رجل من العجم لملك كان في دهره : أُوصيك بأربع خلال ترضي بهن ربك ، وتصلح بهن رعيتك : لا يغرّنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعراً ، ولا تعدنّ عدَة ليس في نيتك وفاؤها ، واعـلم ان لله نقمات ، فكن على حذر ، واعلم ان للاعمال جزاء ، فاتقِ العواقب .

روينـا ان بعض الملوك اتخذ كاتباً مجوسياً ، ووزيراً نصرانياً ، وحاجباً يهودياً ، فأذلوا المسلمين، فوقفت لهم امرأة حسيبة في نازلة فما رفعوها عنها ، وأهانوها ، فتعرضت للملك يوم ركوبه ، فقالت له : ايهـــا الملك ، سألتك بالذي أعز المجوسية بكتابك ، والنصرانية بوزارتك ، واليهودية بحجابتك ، وأذل الاسلام بك، إلا ما نظرت في امري . فتنبه الملك، وسأل عن شأنها ، وقضي حاجتهـــا ، وتاب الى الله من فعله ذلك ، واستعمل في تلك المناصب

قوماً من المسلمين ، وأخرج هؤلائك عنهـــا . فجزاها الله من امرأة عن المسلمين خيراً .

وأخبرنا ناصر الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن العطار المصري خبر قدوم هامة الجنيّ على النبي ﷺ ، قـــال : حدثنا ابو محمد بن المبارك بن علي بن الحسين بن الطباخ ، قـال : ثنا السيد بن ابي الحسن عبيد الله بن محمد بن احمد البيهقي ، قال : حدثني جدي ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي، قال : ثنا ابو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، انا ابو ناصر محمد بن حمدوية ابن سهل الغازي المروزي ، قال : حدثنا عبد الله بن حماد الأملي ، قـال : ثنا محمد بن ابي معشر ، تكلم في ابن ابي معشر ، وهو المزني ، وقد روى عنه الكبار، قال : اخبرني ابي ، عن نافع ، عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنه ، قال : بينما نحن قعود مع النبي ﷺ على جبل من جبال تهامة إذ اقبل شيخ بيده عصىً ، فسلم على النبي ﷺ ، فرد عليه السلام ، ثم قال : نعمت جنّ رعيتهم ، من انت ؟ قال : انا هامة بن هيم بن لاقيس بن ابليس . قال النبي ﷺ : فمـــا بينك وبين ابليس إلا ابوان ، فكم أتى لك من الدهور ؟ قال : قد أفنيت من الدنيا عمرها إلا قليلا ، ليالي قتل قابيل هابيل ، كنت ابن اعوام ، من الثلاثة الى عشرة لا غـــير ، أفهم الكلام ، وآمر بإفساد الطعام ، وقطيعة الأرحام ، فقـال النبي ﷺ : بئس عمل الشيخ المتوسم ، والشاب المتلوّم ، قال : زدني من الترداد ، اني تائب الى الله عز وجل ، اني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى ، وأبكاني ، وقال: لا جرم ، اني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله ان اكون من الجـاهلين ، قال : قلت يا نوح ، اني ممن اشترك في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم، فهل تجد لي عند ربك توبة ؟ قال: يا هام،

همّ بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة ، اني قرأت فيما أنزل الله عز وجل على أنه ما من عبد تاب الى الله عز وجل بالغ امره ما بلغ إلا تاب الله عليه ، قم وتوضأ واسجد لله سجدتين ، قال : ففعلت من ساعتي ما أمرني به، فناداني : ارفع رأسك، فقد نزلت توبتك من السماء ، قال: فخررت لله ساجداً جذلاً . وكنت مع هود في مسجده مع من آمن بـــه من قومه ، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم ، وأبكاني . فقال : لا جرم، اني على ذلك من النـــادمين ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، وكنت مع آزر ، ويعقوب ، وكنت مع يوسف بالمكان الامين، وكنت ألاقي الياس في الاودية ، وأنا ألقاه الآن ، وإني لقيت موسى بن عمران، فعلـّمني من التوراة ، وقال: إن لقيت عيسى بن مريم فاقرأه مني السلام ، وقال : إني لقيت عيسى ، وقال عيسى : إن لقيت محمداً عليه الصلاة والسلام فاقرأه مني السلام، قال: فأرسل رسول الله ﷺ عينيه فبكى، ثم قال : وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا ، وعليك السلام يا هام بإدائك الأمانة، قال: يا رسول الله ، افعل بي ما فعل موسى،إنه علـّمني من التوراة، فعلمه رسول الله ﷺ سورة الواقعة ، والمرسلات ، وعمّ ، والتكوير ، والمعوذتين ، والإخلاص ، وقـال : ارفع الينا حاجتك ، ولا تدع زيارتنا ، قـال فقال عمر : فقبض رسول الله ﷺ ولم يعد الينا ، فلسنا ندري أحي هو أم ميت ؟ قلنا : اذا ثبت إسلام هـذا الشيطان فليس يريد قتـــادة بقوله : إن الشيطان لا يسلم إلا الشيطان الذي هو القرين .

حدثنا ابو بكر بن ابي الفتح الحنفي بمكة ، ثنا ابو الحسن علي بن ابراهيم ابن يحيى الانصاري الدمشقي سبط الإمام ابي الفرج الحنبلي ، قال : ثنـــا سعد الخير ابو الحسن محمد بن سهل الانصاري ، حدثنا ابو سعيد محمد بن محمد

ابن محمد بن مطرز ، ثنا ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق ، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، ثنا عبد الرحمن بن الحسن ، ثنا مسعود بن يزيد القطان ، ثنا ابو داود ، ثنا عبّاد بن يزيد عن موسى بن عقبة القرشي ، ان هشام بن العاص ، ونعيم بن عبد الله ، ورجلاً آخر قد سمّاه ، بعثوا الى ملك الروم زمن ابي بكر ، وفي حديث شرحبيل بن مسلم الخولاني ، عن ابي امامة الباهلي ، عن هشام بن العاص ، قال : بعثني ابو بكر الصديق، ورجلاً آخر الى هرقل صاحب الروم ، أدعوه الى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة ، فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني .

قال في حديث موسى بن عقبة: فدخلنا على جبلة بن الأيهم وهو بالغوطة، فإذا عليه ثياب سود ، واذا كل شيء حوله اسود ، فقال : يا هشام كلمه . فكلمه ودعاه الى الله عز وجل ، وقال : ما هذه الثياب السود ؟ فقال : لبستها نذراً ولا أنزعها حتى اخرجكم من الشام كلها ، قال : فقلنا فانبذها ، او كلمة تشبهها، فوالله لنأخذها منك حتى نغنمك مجلسك هذا، فوالله لنأخذه منك ، ونغلك الملك الاعظم ان شاء الله ، اخبرنا بذلك نبينا ﷺ ، قال : فأنتم اذاً السمراء ، قلنا : نحن السعداء ، قال : لستم هم ، قلنا : ومن هم ؟ قال : هم الذين يصومون النهار ، ويقومون الليل ، قلنا : نحن هم والله ، قال : فكيف صلاتكم ؟ فوصفنا له صلاتنا ، قال : فالله يعلم لقد غشيه سواد حتى صار وجهه كأنه قطعة طابق ، ثم قال : قوموا ، فأمر بنا الى الملك ، فانطلقنا ، فلقينا الرسول بباب المدينة ، فقال : إن شئتم اتيتكم ببغال ، وإن شئتم اتيتكم ببراذين ، فقلنا : لا والله ، لا ندخل عليه إلا كما نحن ، فأرسل اليه انهم يأبون ، فأرسل ان خلوا سبيلهم ، قال : فدخلنا معتمين متقلدي السيوف على الرواحل ، فلما كنا بباب الملك اذا هو في غرفة له

عالية ، فنظر الينا ، قال : فرفعنا رؤسنا ، فقلنا : لا إله إلا الله ، قـال : فالله يعلم لانتفضت الغرفة كلها حتى كأنها عزق نفضته الريح ، فأرسل الينـا ان هذا ليس لكم أن تجهروا بدينكم عليّ ، قال : فأرسل الينا أن ادخلوا فدخلنا ، فإذا هو على فراشه الى السقف ، واذا عليه ثيـاب حمر ، واذا كل شيء عنده احمر ، واذا عنده بطاركة الروم .

قال : واذا هو يريد ان يكلمنا برسول، فقلنا : لا والله لا نكلمه برسول، وانما بعثنا الى الملك ، فإن كنت تحب ان نكلمك ، فأذن لنـا ان نكلمك . فلما دخلنا عليه ضحك ، فاذا هو رجل فصيح بكثير العربية ، فقلنا : لا إله إلا الله ، فالله يعلم لقد نقض السقف حتى رفع رأسه هو وأصحابه ، فقـال : ما أعظم هذه الكلمة عندكم ، فقلنا: هذه كلمة التوحيد ، قال: التي قلتموها، قلنا نعم ، قال : فاذا قلتموها في بلاد عدوكم نقضت سقوفهم ، قلنـــا لا ، قال : فاذا قلتموها في بلادكم نقضت سقوفكم ، قلنـا لا ، وما رأيناها فعلت هذا ، وما هو إلا لشيء عزّت به . فقال : ما أحسن الصدق ، فمـا تقولون اذا فتحتم المدائن ؟ قلنا نقول : لا إله إلا الله والله اكبر ، قال : تقولون لا إله إلا الله ليس معه شيء ، والله اكبر من كل شيء . قلنا نعم . قال : فمـا منعكم ان تحيوني تحية لنبيكم ؟ قلنا : ان تحية نبينا لا تحلّ لك ، وتحيتك لا تحل لنا فنحيّيك بها . قال : وما تحيتكم ؟ قلنـا : تحية اهل الجنة . قال : وبها كنتم تحيّون نبيكم ؟ قلنا نعم . قال : وبها كان يحييكم ؟ قلنا نعم. قال : فمن كان يورث منكم ؟ قلنا : مَن كان أقرب قرابة. قال : وكذلك ملوككم ؟ قلنا نعم .

قال : فأمر لنـا بنزل كثير ، ومنزل حسن ، فمكثنـا ثلاثاً ، ثم أرسل الينا ليلاً ، فدخلنا عليه وليس عنـده أحد ، فاستعاد كلامنا ، فأعدنا عليه

فاذا عنده شبه الربعة العظيمة مذهبة ، واذا فيها أبواب صغار ، ففتح منها باباً ، فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء، فاذا رجل طويل اكثر الناس شعراً ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال هذا آدم .

ثم أعادها وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ، فاذا رجل ضخم الرأس عظيم ، له شعر كشعر القط ، أعظم الناس إليتين ، احمر العينين ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال هذا نوح .

ثم أعادها وفتح باباً آخر واستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة بيضاء، واذا رجل ابيض الرأس واللحية كأنه حيّ يبتسم ، قال : أتعرفون هذا : قلنا لا ، قال هذا ابراهيم .

ثم أعادها وفتح باباً آخر استخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ، قال : أتعرفون مَن هذا ؟ قلنا : هذا النبي محمد ﷺ ، قال : هذا والله محمد رسول الله ، قال : فالله يعلم أنه قام ، ثم قعد ، وقال : والله انه لهو . ثم قال : الله بدينكم انه نبيكم . قلنا : الله بديننا انه نبيّنا كأننا ننظر اليه حياً. قال : أما انه كان آخر البيوت، ولكنني عجّلته لكم لأنظر ما عندكم .

ثم أعاده وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فاذا صورة أدماء سحماء ، واذا رجل جعد ، قطط ، غائر العينين ، حديد النظر ، متراكب الاسنان ، مقلص الشفة ، كث اللحية ، كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا موسى . فاذا الى جانبه صورة تشبهه ، إلا انه مدهان الرأس ، عريض الجبين ، في عينيه قبل ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا هارون بن عمران .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء ، فاذا صورة رجل أدم، سبط، ربعة ، كأنه غضبان ، حسن الوجه ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا لوط .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فاذا فيها صورة رجل ابيض ، مشرّب بحمرة ، أقنى الانف ، خفيف العارضين ، حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا اسحاق .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فاذا فيها صورة رجل تشبه صورة اسحاق ، إلا انه على شفته السفلى خال ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا يعقوب .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة رجل ابيض ، حسن الوجه، أقنى الانف ، حسن القامة ، يعلو وجهه النور، يعرف في وجهه الخشوع ، يضرب الى الحمرة، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا اسماعيل جدّ نبيكم .

ثم فتح باباً آخر واستخرج حريرة بيضاء ، فيها صورة كأنها صورة آدم ، كأن وجهه الشمس ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا يوسف.

ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة رجل احمر، خميص الساقين ، أخفش العينين ، ضخم البطن ، ربعة ، أشبه الخلق بامرأة عجوز ، متقلداً سيفاً ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا داود .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فاذا فيها رجل ضخم الاليتين ، طويل الرجلين ، راكب على فرس طويل الرجلين ، قصير الظهر ،

كل شيء منه جناح تحت الريح ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا. قال : هذا سليمان بن داود .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة او خرقة سوداء فيها صورة بيضاء، واذا رجل شاب شديد سواد اللحية ، يعلوه صفرة ، صلت الجبين ، حسن اللحية ، كثير الشعر ، حسن الوجه ، حسن العينين يشبهه كل شيء منه ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا عيسى بن مريم .

ثم أعاده ، وأمر بالربعة فرفعت ، قلنا : من أين لك هذه الصور ؟ لأنا نعلم انها على ما صوّرت عليه الأنبياء عليهم السلام ، لأنا رأينا صورة نبينا عليه الصلاة والسلام مثله ؟ فقال : ان آدم سأل ربه عز وجل ان يريه الانبياء من اولاده فأخرج له صورهم في خرق حرير من الجنة ، وكانت في خزانة آدم عند غروب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس ، فلما كان دانيال صوّرها هذه الصور فهي بأعيانها ، فوالله لو تطيب نفسي الخروج عن ملكي ما باليت ان اكون عبداً لأسدكم بمكة ، ولكني عسى ان تطيب نفسي .

ثم أجازنا وأحسن جائزتنا وسرّحنا، فلما أتينا ابا بكر الصديق رضي الله عنه ، حدثناه بما رأيناه، وما قال لنا ، وما ادنانا ، فبكى ابو بكر، وقال: مسكين ، لو اراد الله به خيراً لفعل .

ثم قال:أخبرنا رسول الله ﷺ انهم واليهود يجدون نعتَ محمد ﷺ عندهم في التوراة والانجيل ، وقد جمعت في سياق الحديث بين الروايتين ، وإن رواية شرحبيل حدثنا بها عبد الوهاب بن علي ببغداد ، عن محمد بن ضياعة، عن احمد بن الحسين ، عن ابي عبد الله الحافظ ، كتب اليه ان ابا محمد

عبد الله اسحاق البغوي اخبرهم ، قال : حدثنا ابراهيم بن هيثم البلدي، قال: حدثنا عبد العزيز بن الوليد بن مسلم بن ادريس، قال : ثنا عبد الله بن ادريس ابن شرحبيل بن مسلم ، عن ابي امامة الباهلي، عن هشام بن العاص الأموي، ثنا ابو الخير احمد بن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن الفضل الفزاري ، عن ابي بكر احمد بن الحسين، عن ابي عبد الله الحافظ، قال: حدثني ابو العباس احمد بن سعيد البغدادي ببخارى ، قال : ثنا عبد الله بن محمود ، قال : أنبأنا عبدان بن سنان ، قال : حدثني العباس القزويني الطالقاني كتابة ، عن ابي عبد الله الحافظ ، قال : حدثني احمد بن عبد الله البرقي ، قال : ثنا يزيد بن يزيد اللؤلؤي ، قال : حدثنا ابو اسحاق الفزاري ، عن الاوزاعي ، عن مكحول ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً فإذا رجل في وادٍ يقول : اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور المثاب لها ، قال : فأشرفت على الوادي ، فإذا رجل طوله اكثر من ثلاثمائة ذراع ، فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، قال : فأين هو ؟ قلت : هو يسمع كلامك ، قال : فائته فاقرأه السلام وقل له اخوك الياس يقرأك السلام ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فجاءه حتى لقيه وعانقه وسلم عليه ، ثم قعدا يتحدثان، فقال له : يا رسول الله اني ما آكل في السنة إلا يومان ، وهذا يوم فطري ، فآكل انا وأنت ، فنزلت عليهما مائدة من السماء ، خبزاً وحوتاً وكرفس ، فأكلا وأطعماني ، فصلينا العصر ، ثم ودعه ، ثم رأيته مرّ في السحاب نحو السماء .

اتصاف ومعرفة ووصية وتنبيه وتصرف وتنزيه وموعظة وغيرها [1] :

حدثنا ابو بكر بن ابي الفتح ، قال : حدثنا ابو عبد الله محمد بن احمد بن

---

(١) نسخة وعبرة .

حامد الارياحي [1] ، قال : أجازني ابو الحسن علي بن الحسن بن عمر الموصلي القراء الحديث عنه بجميع ما يرويه ، قال : ثنا ابو القاسم عبد العزيز بن ابي محمد الحسن بن اسماعيل بن محمد الضراب ، عن ابيه ، قال : حدثنا ابو بكر احمد بن مروان الدينوري المالكي ، قال : انشدنا المبرّد بن قتيبة لأبي العتاهية رحمه الله شعراً :

مـــا أنا إلا لمن يعاني ... أرى خليلي كما يراني
لست أرى ما ملكتُ طرفي ... مكانَ مَن لا يرى مكاني
فلي الى أن أموتَ رزقٌ ... لو جهد الخلق ما عداني
فاستغن بالله عن فلانٍ ... وعن فلان وعن فلانِ
والمـــال من حله قُوامٌ ... للعرض والوجه واللسانِ
والفقر ذلٌّ عليه باب ... مفتاحه العجز والتواني
ورزق ربي له وجوهٌ ... هنٌّ من الله في ضمـان
سبحان من لم يزل عليّاً ... ليس له في العلوّ ثاني
قضى على خلقه المنـــايا ... فكلُّ حيٍّ سواه فاني
يا ربٌّ لم نبكِ من زمانٍ ... إلا بكينـا على زمـان

حكمة :

حضرت عتاباً بين شخصين في امر ما ، فلم يظهر على ذلك العتاب ثمرة ، فتذكرت قول بعضهم :

وليس عتاب المرء للمرء نافعاً ... اذا لم يكن للمرء لبٌّ يعاتبه

---

(١) نسخه الارتاعي بالتاء .

موعظة :

قال مقـاتل بن صالح : أنبأنا اسحاق بن منصور بن دينار ، قال : نظر بعض ملوك الأعاجم الى شيب في رأسه ، فجمع نساءه ، وقال : تعـــالين فاندبنني اذ مات بعضي ، لأنظر كيف تندبنني اذا مات كلي ، وأنشد :

اذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهَها تاقت الى كل باطلِ
وساقت اليه الاثم والعـار الذي دعته اليه من حلاوة عاجل

نصيحة :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه ، فانما أظهر نفاقاً على نفاق .

خبر نبوي بعمل غبطة :

حدثنا ابو عبد الله محمـد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي بمدينة فاس، قال: أنبأنا ابوالقاسم هبة الله بن علي بن مسعود الانصاري البوصيري ، قال : أنبأنا ابو عبدالله محمد بن بركات بن هلال السعدي النحوي، قال : أنبأنا ابو عبد الله محمـــد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي ، قال : أنبأنا ابو محمد عبد الرحمن بن عمر، قال: حدثنا احمد بن محمد بن زياد الاعرابي، حدثنا عبيد بن شريك البزاز ، حدثنا داود بن ابي اياد ، حدثنا اسماعيل بن عبـــاس ، عن المطعم بن مقداد ، وعنبسة بن سعيد بن غيثم الكلاعي ، عن فصيح العبسي ، عن ركب المصري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى لمن تواضع في غير منقصة ، وذلّ في نفسه من غير مسكنة ، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط اهل الفقه والحكمة، ورحم اهل الذلّ والمسكنة.

طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره . طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله » .

بلغنا ان أبا العباس السفاح ، لما وّلي الخلافة ، وصل عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم ، بألفي ألف دينار ، وهو اول خليفة وصل بهذه الجملة .

ولما أفضت الخلافة الى ابي جعفر المنصور ، قتل ابا مسلم الخراساني الذي أقام لهم الدعوة ، قتله في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة ، وأمر بتوسعة المسجد الحرام سنة تسع وثلاثين ، وحجّ سنة اربع واربعين ، وزار ومضى الى بيت المقدس ، وعاد الى الهاشمية ، وحجّ ايضاً سنة اربع واربعين ، وسنة تسع واربعين . وخرج عليه الحسن بن الحسن ، فوجّه اليه عيسى بن موسى ، فقتله في رمضان سنة خمس واربعين . وخرج ابراهيم بن عبد الله بن الحسن الى الكوفة ، فلقيه عيسى بن موسى فقتله في تلك السنة ايضاً . وفي ايامه توفي جعفر بن محمد الصادق سنة ثمان واربعين . ومات الامام أبو حنيفة سنة خمسين ومائة ، وله سبعون سنة ، وكان مولده سنة ثمانين . وقيل عاش تسعين سنة ، وكان مولده سنة ستين .

واما المهدي فيقال : انه لما حجّ سنة ستين ، دخل الكعبة ومعه منصور الحجبي ، وهو من حجبة البيت ، فقال له المهدي : اذكر حاجتك . فقال : اني أستحي من الله ان أسأل في بيته غيره . فلما خرج أرسل اليه بعشرة آلاف دينار .

وأما هرون الرشيد ، فحجّ في خلافته ثمان او تسع حجج ، وغزى ثمان

غزوات . روينـــا انه وصل الى مكة في شهر رمضان سنة تسع وسبعين ، واعتمر، ومضى الى المدينة، ثم رجع فحجّ تلك السنة ماشياً ، ولم يحجّ خليفة بعده الى زماننا . غير اني سمعت مستفاضاً أن خليفتنا الامام الناصر لدين الله تعالى ، حجّ متنكراً لا يعلم به احد ، فالله يعلم . ومات في خلافته مالك بن انس سنة تسع وسبعين ومائة ، وله ست وثمانون سنة ، وقيل سبعون سنة ، وصلى عليه ابن ابي ذؤيب . وماتت ام الرشيـد سنة ثلاث وسبعين ومائة . وكان من بنات هرون الرشيد من تعدّ لنفسها عشرة خلفاء كلهم لهـا محارم : هرون الرشيد ابوها ، الهـادي عمها ، المهدي جدّها ، المنصور جدّ ابيها ، السفاح عم جدها. الامين، والمأمون ، والمعتصم: اخوتها . الواثق، والمتوكل: ابنا اخيها .

ونكب جعفر بن برمك ، سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل : ثمان وثمانين، وقتل .

وحبس يحيى وابنه الفضل الى ان ماتا ، فمات يحيى سنة تسعين ، ومات الفضل سنة ثلاث وتسعين ومائة .

ولما وُلّي الامين ، وأقام المأمون بخراسان سنتين وأشهراً ، أغرى الفضل ابن الربيع ، على مـــا ذكر بينهما ، فنصب الامين ابنه موسى ، لولاية العهد بعده ، وأخذ له البيعة ، ولقبه الناطق بالحق ، وذلك في سنة اربع وتسعين ومائة ، وجعله في حجر علي بن عيسى ووجّه علي بن عيسى الى خراسان ، ووجّه المأمون هرثمة بن مرّة على مقدمة طاهر بن الحسين ، فقتـــل علي بن عيسى ولم يزل الحرب بين الامين ، والمأمون ، سنتين وشهوراً ، الى ان نزل طاهر بالانبـار ، وهرثمة بالنهروان . ونجا الامين الى مدينة ابي جعفر ، وخرج ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم ، سنة ثمان وتسعين ومائة ، فوقع في

أيدي اصحاب طاهر، فأتوا به طاهراً ، فقتله ونصب رأسه على الباب الحديد، ثم أنزله وبعث رأسه الى خراسان ، ودفن جثته في بستان مؤنسة . ويقال : ان المأمون ، لما رأى رأسه ، بكى واستعبر ، وذكر له اياماً محمودة، وجميلا أسداه اليه في ايام الرشيد .

وأما المأمون ، فبايع لعلي الرضى بن موسى بن جعفر ، بولاية عهده ، في شهر رمضان ، سنة احدى ومائتين ، ولبس الخضرة . فمات علي الرضى سنة ثلاث ومائتين ، وادعى ابراهيم بن المهدي لنفسه بالخلافة ، وهو عم المأمون ، ولقب نفسه المبارك ، وبويع له ببغداد ، سنة اثنين ومائتين ، وأقام احد عشر شهراً وأياماً ، ثم كان من امره ما ذكرناه في هذا الكتاب .

وفي سنة اربع ومائتين ، دعى المأمون الى لباس السواد . وفي هذه السنة مات الامام محمد بن ادريس الشافعي ، رضي الله عنه ، بمصر . وفي سنة اثنتي عشرة ، أظهر المأمون القول بخلق القرآن .

وأما المتوكل ، فحظيٌ في دولته اهل الادب ، وظهر علي بن محمد صاحب الزنج ، في شوال ، سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقتل في صفر ، سنة سبعين ومائتين ، في خلافة المعتمد .

وكان المعتمد صاحب لذّات ، فجعل أخاه طلحة ولي عهده ، ولقبه الموفق ، وجعل اليه المشرق. وجعل ابنه جعفر ولي عهد ابنه، ولقبه المفوض الى الله عز وجل ، وجعل اليه المغرب . فغلب الموفق على الامر ، وقام به احسن قيام ، ومال الناس اليه، واشتغل بقتال علي بن محمد ، صاحب الزنج . وكان المعتمد قد صار يريد مصر في جمادى الآخرة، سنة تسع وستين ومائتين، لمكاتبة جرت بينه وبين احمد بن طولون ، فلما بلغ الموفق ذلك ، وهو في

قتال علي بن محمد، أنفذ اسحاق بن كفداح ، فردّه المعتمد ، وسلمه الى صاعد ابن مخـــلد ، فأنزله دار ابن الخطيب بسرّ مَن رأى ، وحجر عليه . ولقب الموفق ، اسحاق ، ذا السيفين ، وولاه اعمـال ابن طولون . ولقب صاعد بن مخلد ، ذا الوزارتين . وجمع القضاة والفقهاء ، بدمشق ، فكلهم أفتوا بخلعه ، إلا بكار بن قتيبة ، فحبسه . وأمر الموفق بلعنة ابن طولون على المنـابر . ثم مات احمد ابن طولون لعشر خلون من ذي القعـدة ، سنة سبعين ومائتين . ومات ابنه العباس بعده باثنتي عشرة ليلة . وبلغنـــا انه أحصي من قتله ابن طولون ، ومات بحبسه ، فكان مبلغه ثمانية عشر ألفاً .

ثم مات الموفق في صفر ، سنة ثمان وسبعين ومائتين ، فردّ المعتمد ولاية العهد الى ابن الموفق ، وهو احمد المعتمد ، وخلع ابنه جعفر . والمعتضد هو الذي أسقط المكوس التي كانت تؤخذ بالحرمين ، وتزوج قطر النـدى ، بنت احمد بن طولون ، سنة احدى وثمانين ، وأصدقها ألف ألف . وأنفذ الحسين ابن عبــد الله الجوهري ، المعروف بابن الخصاص ، فحملها اليـه في آخر هذه السنة .

وفي ايام المقتـدر بالله ، بطل الحج ، سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وأخذ الحجر الاسود . وذلك ان ابا طاهر سليمان بن الحسن القرمطي ، دخل مكة يوم التروية ، فقتـل الحجاج قتلاً ذريعاً ، ورمى القتلى في زمزم ، وأخـــذ الحجر الاسود ، وعرّى الكعبة ، وقلع بابهـا . وبقي الحجر الاسود عنـدهم اثنـين وعشرين سنة إلا شهراً ، ثم ردّوه لخمس خلون من ذي القعدة ، سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان قد بذل لهم في رده خمسون الف دينار ، فمـا فعلوا ، وقالوا : اخذناه بأمر ، فلا نرده إلا بأمر . وفي ايامه ايضاً ، استولى عبيد الله المهدي على المغرب ، وبنى المهدية بأفريقية ، في سنة اثنين وثلاثمائة ،

بعد أن ادعى له بأرض القيروان ، في شهر ربيع الآخر ، سنة تسع وتسعين ومائتين ، وكان ظهوره لسبع خلون من ذي القعـــدة ، سنة ست وتسعين ومائتين ، وفيها اخذ الحسين بن منصور الحلاج ، فقطعت يداه ، ورجلاه ، وجز رأسه ، وأحرق ، في ذي القعدة ، سنة تسع وثلاثمائة .

حدثنا يونس ، حدثنا عبد الوهاب ، انا المبارك عبد الجبار ، انا احمد بن عـلي الثوري ، انا عمر بن ثابت ، انا علي بن قيس ، عن ابي بكر القرشي ، عن محمد بن يحيى ، سمعت ابا عمر الخطاب يقول : دخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة ، في يوم حار ، وبلال في حشمه ، وعنده الثلج ، فقـال بلال : يا ابا عبد الله كيف ترى بيتنا هذا ؟ قال : ان بيتك لطيّب، والجنة اطيب منه. وذكر النار يلهي عنه ، قال: ما تقول في القدر؟ قال : جيرانك من اهل القبور ، ففكر فيهم ، فإن فيهم شغلاً عن القدر . قال : ادع لي ، قال : وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا ؛ كل يقول : انك ظلمتهم ، يرتفع دعاؤهم قبل دعائي ، لا تظلم ، ولا تحتاج الى دعائي .

ومن كلام الحسن البصري : عجبـــاً لقوم أمروا بالزاد ، ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم عن آخرهم ، وهم قعود يلعبون . يا ابن آدم، السكين تحدّ ، والتنور يسجر ، والكبش يعتلف ، كفى بالتجاريب تأديباً ، وبتقلب الأيام عظة ، وبذكر الموت زاجراً عن المعصية ، ذهبت الدنيا بحال اولها ، وبقيت الايام قلائد في الأعناق ، انكم تسوقون النـاس ، والساعة تسوقكم ، وقد أسرع بخياركم ، فماذا تنتظرون المعاينة .

وكان قد حدثنا محمد بن اسماعيل ، حدثنا ابو الفرج بن عـلي بن محمد ، انا المبارك بن علي الصيرفي، انا علي بن محمد العلاف،انا عبد الملك بن بشران،

انا احمد بن ابراهيم الكندي ، انا ابو بكر محمد بن جعفر ، حدثنا ابو الفضل الربعي ، حدثنا اسحاق بن ابراهيم، عن الهيثم بن عدي، قال : كانت لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبدالعزيز جارية حسناء ، كان عمر يهواها ، فطلبها منها لنفسه ، وحرص في ذلك ، فأبت عليه ، وغارت من ذلك ، ولم يزل عمر مشغوفاً بها . فلما أفضت الخلافة اليه ، طلبت فاطمة زوجته الحظوة عنده ، بتقريب الجارية اليه، فأمرت بإصلاح شأنها، وأدخلتها عليه في احسن صورة ، وقالت له : يا امير المؤمنين ، انك كنت بفلانة جاريتي معجباً ، وسألتنيها فأبيت ذلك عليك ، وأنا اليوم قد طبت نفساً بذلك ، فدونكها . فسرّ عمر بقولها ، وظهر الفرح في وجهه ، وازداد بها عجباً ، وفيها صبابة ، فقال لها : ألق ثوبك ايتها الجارية . فلما همت ، قال لها : على رسلك ، اخبريني لمن كنتِ ومن اين انت لفاطمة ؟ قالت : كان الحجاج بن يوسف، أغرم عاملاً كان له من اهل الكوفة مالاً ، وكنت في رق ذلك العامل ، فأخذني وبعثني الى عبد الملك بن مروان ، وأنا يومئذ صبية ، فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة . فقال : وما فعل ذلك العامل ؟ قالت : هلك . قال : وما ترك ولداً ؟ قالت : بلى . قال : وما حالهم ؟ قالت : سيىء . قال : شدي عليك ثوبك . ثم كتب الى عبد الحميد عامله ، أن سرّح إلي فلان بن فلان على البريد . فلما قدم عليه ، قال : ارفع إلي جميع ما أغرم الحجاج اباك ، فما رفع اليه شيئاً إلا دفعه ، ثم امر بالجارية فدفعت اليه ، فلما اخذها بيدها ، قال : إياك وإياها ، فإنك حديث السن ، ولعل اباك أن يكون قد وطئها . فقال الغلام : يا امير المؤمنين ، هي لك . قال : لا حاجة لي فيها . قال : فابتعها مني . قال : لست اذاً ممن ينهي النفس عن الهوى . فمضى بها الفتى. فقالت له الجارية: فأين وجْدك بي يا امير المؤمنين؟

فقال : على حالها ، ولقد ازدادت . فقيل : انها ما زالت في نفس عمر حتى مات ، رحمه الله .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عن محمد بن الحسن ، عن يوسف بن الحكم ، عن عبـد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك . قال : بكى عمر بن عبد العزيز يوماً ، فبكت لبكائه زوجته فاطمة، فبكى اهل الدار، لا يدري هؤلاء ما ابكى هؤلاء ، فلما انجلت عنهم عبرتهم ، قالت له فاطمة : يا امير المؤمنين ، مم بكيت ؟ قـال : ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير . ثم صرخ وغشي عليه .

بلغني ، عن عطاء انه قال : كان عمر بن عبد العزيز في ايام خلافته يجمع الفقهاء كل ليلة ، فيتذاكرون الموت، والقيامة ، وما أعد الله في الآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بين ايديهم جنازة .

وحدثنا يوسف في آخرين، قالوا : حدثنا ابن بطيء ، عن حميد بن احمد، عن ابي نعيم ، عن ابي محمـد بن حبان ، عن ابن محمد بن عمر ، عن ابي بكر ابن عبيد ، حدثني حاتم بن عبد الله الازدي ، عن الحسن بن محمد الخزاعي ، عن رجل من ولد عثمان ، إن عمر بن عبد العزيز ، قال في بعض خطبه : إن لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة ، التقوى ، وكونوا كمن عاين مـــا أعدّ الله من ثوابه وعقابه ، ترغبوا ، وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد ، فتقسى قلوبكم ، فوالله ما بسط أمل من لا يدري ، لعله لا يصبح بعد مسائه ، ولا يمسي بعد صباحه ، ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، فكم رأيتم ورأيت من كان في الدنيا مغروراً ؟ وإنما تقرّ عين من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من آمن من اهوال يوم القيامة ، فأما من لا

يداوى كلما إلا أصابه جرح من ناحية اخرى ، نعوذ بالله ان آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتخسر صفقتي، لقد عنيتم بأمر، لو عنت به النجوم لانكدرت ، ولو عنت به الجبال لذابت ، ولو عنت به الأرض لانشقت ، أما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة ؟ وإنكم صائرون الى احداهما .

قال ابو سليم الهذليّ : خطب عمر بن عبد العزيز ، فقال : أما بعد ، فان الله عز وجل لم يخلقكم عبثا ، ولم يدع شيئاً من امركم سدى ، فإن لكم معاداً ينزل الله فيه الحكم بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض ، واشترى قليلا بكثير ، وفانيا بباقٍ ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون انكم في اسلاب الهالكين ؟ وسيخلفها لكم الباقون ، كذلك حتى نردّ الى خير الوارثين، في كل يوم وليلة تشيعون غادياً، ورائحاً الى الله عز وجل، قضى نحبه ، وانقضى اجله ، حتى تغيّبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع ، ثم تدعوه غير ممهد ولا موسّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مرتهناً بعمله ، فقير الى ما قدم ، غنياً عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت ، وأيم الله ، اني لا اقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند احد من الذنوب ، ما عندي ، وما يبلغني عن احد منكم حاجة ، إلا احببت أن اسدّ من حاجته ما قدرت عليه ، وما يبلغني أن احداً منكم لا يسعه ما عندي ، إلا وددت أن يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا ، وعيشه ، وأيم الله ، لو اردت غير ذلك من الغضارة ، والعيش، لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه ، ولكن سبق من الله عز وجل كتاب ناطق ، وسنّة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته . ثم وضع طرف ردائه على وجهه ، وبكى وشهق ، وبكى الناس ، فكانت آخر خطبة خطبها .

حدثنا محمد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن ، عن علي بن محمد بن ابي عمر ، عن محمد بن الحسن ، عن عبد الملك بن بشران ، عن ابي بكر الاجري ، عن الغرياني ، عن عمرو بن علي ، عن سفيان بن خليد الضبي ، عن سالم بن نوح العطار ، عن بشر بن البشري ، قال عمرو بن علي : حججت ، فقيل : إن بمكة بشر بن البشري ، فأتيته ، فسألته ، فحدثني عن بشر بن البشري ، عن ابي سليم الهذلي ، وذكره .

وحدثنا يونس بن يحيى ، عن محمد بن ابي منصور، عن رزق الله ، وطراد هو الزبير ، وكلاهما ، عن علي بن محمد المعدل ، عن الحسن بن صفوان ، عن عبد الله بن محمد بن عبيد، عن ابي محمد العبدي، عن عبيد الله بن محمد القرشي، عن ابن ابي شميلة ، قال : دخل رجل على عبد الملك بن مروان ، ممن كان يوصف بالعقل والأدب ، فقال له عبد الملك بن مروان : تكلم ، فقال : بما اتكلم وقد علمت ان كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله . فبكى عبد الملك ، ثم قال : يرحمك الله ، لم يزل الناس يتواعظون ، ويتواصون . فقال الرجل : يا امير المؤمنين ، ان للناس في القيامة جولة لا ينجو من غصص مرارتها ، ومعاينة الردى ، إلا من أرضى الله بسخط نفسه. قال : فبكى عبد الملك . ثم قال : لا جرم ، لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما عشت ابداً .

وروينا من حديث ابي نعيم ، عن ابي بكر بن مالك ، عن عبيد الله بن احمد بن حنبل، قال : اخبرت ، عن يسار، عن جعفر، عن مالك بن دينار، قال : كنت عند بلال بن ابي بردة ، وهو في قبة له ، فقلت : قد أصبت هذا خالياً ، فأي قصص أقص عليه ؟ فقلت في نفسي : ما له خير من ان أقص عليه ما لقي نظراؤه من الناس ، فقلت له : أتدري مَن بنى هذا الذي

انت فيه ؟ قال : بنـــاها عبيد الله بن زياد ، فقلت : وبنى البيضاء ، وبنى المسجد ، فوُلّـي ما وُلّي ، ثم قتل ، ثم وُلّي بشر بن مروان ، فقتـله اخوه امير المؤمنين ، فدفنوه . وذهب بالزنجي ، فمات بالبصرة ، فحملوه . ومات زنجي، فحمله الزنج . فذهب بأخي امير المؤمنين ، فدفنوه . ثم جعلت أقص عليه اميراً اميراً ، حتى انتهيت اليه ، فأثـّر ذلك فيه ، وبكى بكاء شديداً.

قصة الشعبي والحسن البصري مع عمرو بن هبيرة والي العراق :

حدثنا يونس بن يحيى في آخرين ، قال : انا محمد بن ناصر ، انا عبد القادر ابن محمد ، ثنا ابراهيم بن عمر البرمكي ، انا علي بن عبد العزيز ، ثنا عبدالرحمن ابن ابي حاتم ، ثنا ابو حميد الحمصي ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرّة ، قال : لما قدم عمرو بن هبيرة العراق، أرسل الى الحسن، والشعبي ، وأمر لهما ببيت ، فكانا فيه شهراً او نحوه . ثم ان الخصي غـــدا عليهما ذات يوم ، فقال : ان الامير داخل عليكما . فجـاء عمرو متوكئاً على عصا له ، فسـلّم ، ثم جلس معظماً لهما ، فقـــال : ان امير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، كتب إليّ كتباً أعرف ان في إنفاذها الهلك ، فإن أطعته عصيت الله ، وإن عصيته أطعت الله ، فهل ترَيا لي في متابعتي إياه فرجاً ؟ فقـــال الحسن للشعبي : يا ابا عمرو ، أَجب الامير . فتكلم الشعبي بكلام يريد بـه إبقاء وجه عنده . فقال ابن هبيرة : ما تقول انت يا ابا سعيد ؟ فقال : ايها الامير ، قد قال الشعبي ما قد سمعت به ، قال : ما تقول انت يا ابا سعيد ؟ قال : أقول : يا عمرو بن هبيرة ، أوشك ان ينزل بك ملك من ملائكة الله، فظّ ، غليظ ، لا يعصي الله مـــا أمره ، فيخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك . يا عمرو بن هبيرة ، لا تأمن ان ينظر الله اليك على قبح مـــا تعمل في

طاعة يزيد بن عبد الملك ، فيغلق به باب المغفرة دونك . يا عمرو بن هبيرة ، لقد أدركتُ ناساً من صدر هذه الامة ، كانوا عند هذه الدنيا ، وهي مقبلة، أشد إدباراً من إقبالكم عليها ، وهي مدبرة . يا عمرو بن هبيرة، اني اخوّفك مقاماً خوّفكه الله عز وجل، فقال: « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ». يا عمرو بن هبيرة ، إن تكن مع الله في طاعته ، كفاك يزيد بن عبد الملك ، وإن تكن مع يزيد على معاصي الله ، وكلك الله اليه . فبكى عمرو بن هبيرة، وقام بعبرته . فلما كان من الغـد ، أرسل اليهما ، فأدناهما وأجازهما ، فأكثر جائزة الحسن ، وأنقص جائزة الشعبي . فخرج الشعبي الى المسجد ، فقـال : ايها الناس ، من استطاع منكم ان يؤثر الله على خلقه فليفعل ، فوالذي نفسي بيده ، ما علم الحسن شيئاً منه ، فجهلته ، ولكني أردت ابن هبيرة، فأقصاني الله منه .

وبلغني ان عمر بن عبـد العزيز ، لما وّلي الخلافة ، أخذ إقطاع امير كبير كان أقطعه إياها سليمان بن عبد الملك ، والوليد بن عبد الملك ، فلما مات عمر ابن عبد العزيز ، وُوّلي يزيد بن عبد الملك ، جاء الامير اليه ، فقال له : ان أخاك سليمان امير المؤمنين ، والوليد ، أقطعاني شيئاً ، قطعه عني امير المؤمنين عمر بن عبـد العزيز رضي الله عنه ، فأريد منك ان تردّه عليّ . قال يزيد : لا أفعل . قال : ولِمَ ؟ قال : لأن الحق فيما فعل عمر بن عبد العزيز . قال : وبمَ ذلك ؟ قال : لأن أخواي أحسنا اليك ، وذكرتهما ، وما دعوت لهما ، وعمر بن عبـد العزيز أساء اليك ، وذكرته ، فترضيتَ عنه ، فعلمت أن عمر آثر الله على هواه ، وأما سليمان ، والوليد ، آثرا هواهما على حق الله. فوالله لا رأيته مني أبداً . وهذا من أحسن ما يحكى عن الثقاة اولات الامر اه . والحمد لله حق حمده .

ذكر ما أرّخ به الناس

من آدم الى الهجرة النبوية

فأول تاريخ ، كان بهبوط آدم عليه السلام، ثم ببعث نوح ، ثم بالطوفان، ثم بنـار ابراهيم عليه السلام ، وقد أرّخ بموت آدم ، وببعث ادريس ، عليهما السلام . ثم ان بني اسحاق بن ابراهيم عليه السلام ، أرّخوا بنـار ابراهيم الى يوسف ، ومن يوسف ، أرّخوا الى بعث موسى عليهما السلام ، وأرخوا من موسى الى ملك داود، وسليمان، عليهما السلام، ثم أرخوا بما كان من الكوائن، وكان منهم من أرخ بوفاة يعقوب ، ثم بخروج موسى من مصر ببني اسرائيل ، ثم بخراب بيت المقدس .

وأما بنو اسماعيل ، فقد أرّخوا ببنـــاء الكعبة ، ثم أرّخوا بكل يوم اخرجوا من تهامة ، ثم أرّخوا بعام الفيل ، وبيوم الفجار ، وقـد كانت بنو معدّ بن عدنان ، تؤرخ بغلبة جرّهم العماليق ، وإخراجهم إياهم من الحرم ، ثم أرّخوا بأيام الحروب ، كحرب ابناء وائل، وهو حرب البسوس ، وكحرب داحس . وكانت حميّر ، وكهلان ، تؤرخ بملوكها السابقة ، وأرّخوا بنـار ضرار ، خربت بعض اليمن ، وأرخوا بسيل العرم ، وأرخوا بظهور الحبشة على اليمن . وقد أرخت الأمم الماضية ، قبل ابراهيم ، بهلاك عاد بالريح .

وأمـا الروم ، واليونان ، فتؤرخ بظهور الاسكندر ، وأرخت القبط ، بملك بختنصّر ، ثم أرخت بملك زقلاط يانوس القبطي ، وقالوا : إنه تاريخهم الى الآن، وأرخت المجوس بآدم ، ثم أرخوا بقتل دارا ، وظهور الاسكندر، ثم بظهور ازدشير ، ثم بملـك يزدجرد ، ومـا زال التاريخ في العرب ، من عام الفيل الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فتقرر الأمر على أن يؤرخ بهجرة النبي ﷺ الى المدينـــة ، وجعلوا التاريخ في المحرم ، اول عام الهجرة .

ذكر اختلاف الامم فيما مضى من الزمان

من آدم الى هجرة نبينا عليه الصلاة والسلام

تاريخ العرب في ذلك :

روينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ان مـــا بين مدة آدم الى نبينا ، خمسة آلاف سنة ، وخمسمائة وخمس وسبعون سنة ، ثم فصّل على ما رواه الـكلبي ، عن ابي صالح ، عنه ، من آدم الى نوح الف ومائتا سنة ، ومن نوح الى ابراهيم الف ومـــائة سنة ، ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وخمس وسبعون سنة ، ومن موسى الى داود الف ومائة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود الى عيسى الف وثلاثمائة وخمس وستون سنة ، ومن عيسى الى محمـــد ستمائة سنة ، وقد روي عنه غير ذلك . وفي قول الواقدي : من هبوط آدم الى مولد نبينا عليه السلام ، اربعة آلاف وستمائة سنة . وفي قول محمـــد بن اسحاق خمسة آلاف سنة وأربعمائة سنة وست وعشرون سنة ، قـال : كان بين آدم ونوح الف ومائتا سنة ، ومن نوح الى ابراهيم الف ومائة واثنان وأربعون سنة ، ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وخمس وسبعون سنة ، ومن

موسى الى داود خمسمائة وتسع وستون سنة ، ومن داود الى عيسى الف وثلاثمائة وخمس وستون سنة، ومن عيسى الى محمد صلوات الله عليهم اجمعين، ستمائة سنة . وفي قول وهب بن منبّه : خمسة آلاف وستمائة سنة .

تاريخ مجوس الفرس في ذلك : اربعة آلاف ومائة واثنان وثمانون سنة وعشرة اشهر وتسعة عشر يوماً .

تاريخ اصحاب الريحان في ذلك : والتاريخ عندهم الذي يصح في دعواهم بالبرهان: من الطوفان، فإنهم غير مؤمنين بما وردت به الأنبياء عليهم السلام، من حديث آدم ، فقالوا : إن من اول الطوفان الى اول يوم الهجرة ، ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة وخمس وعشرون سنة فارسية وثلاثمائة وتسعة وأربعون يوماً .

تاريخ اليهود في ذلك : اربعة آلاف سنة وستمائة واثنان وأربعون سنة .

تاريخ اليونان، من النصارى في ذلك : خمسة آلاف سنة وسبعمائة واثنان وسبعون سنة وأشهر .

ذكر المؤرخون : أن عمر آدم الف سنة ، وقيل : الف إلا سبعين عاماً ، وقيل : ثمانمائة سنة . وعمر ولده شيث، وتفسيره : هبة الله ، وهو ابن آدم، سبعمائة سنة واثنا عشر سنة ، وعاش انوش بن شيث بن آدم ، سبعمائة سنة وخمساً وستين سنة . وعاش فينان بن انوش ، سبعمائة وعشرين سنة ، وعاش مهلاييل بن فينان بن انوشي بن شيث بن آدم،ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة، وعاش برد بن مهلاييل، تسعة واثنين وستين سنة، وفي زمنه عملت الأصنام . وولد كل هؤلاء في حياة آدم . وعاش ادريس بن برد، الى ان رفع الى السماء، ثلاثمائة وخمسين سنة في حياة ابيه برد ، وعاش ابوه بعد رفعه اربعمائة وخمساً

وثلاثين سنة، وقيل : رفع وهو ابن اربعمائة سنة وخمساً وستين سنة . وعاش متوشلخ بن ادريس تسعمائة واثنين وثمانين سنة ، وولد متوشلخ ، وابنه لامك في حياة آدم ايضاً ، وولد اللامك ، نوح ، وعمر لامك إذ ذاك مائة وسبع وثمانون سنة، وكان مولد نوح بعد وفاة آدم بثمانمائة سنة وستة وعشرين سنة، وذلك في سنة ست وخمسين سنة ، لهبوط آدم ، وبعث نوح ، وله اربعمائة وثمانون سنة ، وركب الفلك وله ستمائة سنة ، وأقام بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة ، وقيل : بعث وله خمسون سنة ، ومات وله الف سنة ، وقيل غير ذلك ، قيل : واستقلت السفينة لعشر خلت من رجب ، وبقيت على الماء مائة وخمسين يوماً ، ثم استقرت على الجودي في جبل بالجزيرة شهراً ، وخرج الى الأرض في المحرم، في اليوم العاشر منه ، وابتنى قرية بالجزيرة تسمى سوق ثمانين ، فإنهم كانوا في السفينة ثمانين رجلاً .

وعاش سام بعد نوح ، ستمائة سنة ، وكان سام اوسط ولد نوح ، وكان يافث اسن منه ، وقدموا ساماً بالذكر، لأنه ابو الانبياء عليهم السلام ، وكان له من الولد : آدم ، وأرسيمون ، وأرفخشد ، وعويلم ، ولاود ، وكان يسكن هو وولده الحرم ، وما حوله ، الى اليمن ، والى غسان العرب . والأنبياء كلهم ، عربيّهم ، وعجميّهم ، من ولده . واليمن كلها ، وعاد ، وثمود ، من ولده .

وأما حام بن نوح، فزعم وهب أنه كان ابيض حسن الصورة ، فغيّر الله لونه ، وألوان ذريته ، لدعوة ابيه عليه . قيل : نام نوح، فانكشفت عورته فلم يسترها حام ، فسترها سام ، ويافث ، فدعا لهما ، فالسودان كلهم على اختلاف اجناسهم ، من اولاد حام ، وكان له من غربي النيل الى ما وراءه من بحر الدبور .

وأما يافث بن نوح ، وولده ، فكانت منازلهم ارض الروم ، والروم من ولده ، والترك والخزز ، ويأجوج ، ومأجوج .

نسب هود عليه السلام :

يقال : انه عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ، وأنه وُلد بعد ما مضى من عمر نوح ستمائة وسبع وستون سنة . وقال بعضهم : هو هود بن عبيدالله ابن رباح بن الخلود بن عـاد بن عوص بن ارم بن سام ، بعثه الله عز وجل الى حي من ولد ارم بن سام ، وهم عاد بن عوص بن ارم ، وهم عاد الاولى ، فكذبوه ، فأهلكهم الله . وقصتهم مذكورة في هذا الكتاب .

ولما أهلكهم ، بعث عليهم طيراً اسود ، فنقلهم الى البحر ، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ، وكانت مساكنهم ، الشحر ، بين عمـان وحضرموت . ويقال: كان هود أشبه ولد آدم ، بآدم ، وكذا قيل في يوسف . ومات هود بمكة ، بعد هلاك قومه ، وله مائة وخمسون سنة ، وقيل غير ذلك . قـال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : قبر هود بحضرموت .

نسب صالح عليه السلام :

هو صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن جابر ابن ارم بن سام ، بعثه الله الى حيّه ، وهم ثمود ، وكانت مساكنهم الحجر ، من وادي القرى ، والشام ، وقصته ستجيء ان شاء الله تعالى .

زعم وهب ان الله بعثه حين راهق الحلم، وكان يمشي حافياً لا يتخذ نعلاً، وكانت آيته ناقة أخرجها الله من هضبة من الارض، يتبعها فصيل لها فيحلبون

منها ربّهم ، وتشرب في ذلك اليوم جميع مياههم، ويشربون هم اليوم الثاني، الماء ، ولا تأتيهم ، فلما طال ذلك عليهم ملّوها ، فاجتمعوا تسعة من شرار قومه على عقرها ، وخرجوا اليها، فعقرها رجل يعرف بقدار، احمر، ازرق، فوعدهم الله بالعذاب بعد ثلاث ، فأصابهم في اليوم الاول، وكان يوم الخميس ، صفرة ، فأصبحوا مصفرّين ، وأصبحوا في اليوم الثاني ، وجوههم محمرّة ، وأصبحوا في اليوم الثالث ، وجوههم مسودة ، وصبحهم العذاب يوم الأحد، فأتتهم صيحة من السماء ، فماتوا كلهم ، ولحق صالح ومن آمن معه من قومه بمكة ، ومات وله ثمان وخمسون سنة . وروي أن قبورهم بين دار الندوة والحجر . وذكر ريثمة أن صالحاً ، عاش ثلاثمائة سنة إلا عشرين سنة . وزعم اهل التوراة ان صدقوا ، أنه لا ذكر لعاد وثمود في كتابهم .

نسب ابراهيم عليه السلام :

وقصته ستجيء ، ونسبه مذكور في سرد نسب النبي ﷺ ، وهو ابراهيم ابن تارخ، وهو آزر بن ناحور[1] بن ساروغ بن رغو بن فالغ بن عابر، وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ، وُلد ببابل ، وقيل : بحرّان ، ونقله ابوه الى بابل ، وولد في زمن نمرود بن كوش ، وقيل : نمرود بن كنعان بن كوش . وكان النمرود ملك المشارق والمغارب .

ولما بلغ ابراهيم عليه السلام ثلاثين سنة ، ألقاه نمرود في النار ، وكان قد حبسه قبل ان يلقيه في النار ثلاث عشرة سنة ، وقيل : ألقي في النار وله ست عشرة سنة . ولما بلغ عمره سبعين سنة ، خرج ابراهيم ، ومعه ابن اخيه لوط بن هاران ، وابنة عمه سارة زوجته ، الى حرّان ، وقيل : ان أباه كان معه ، فأقاموا بها خمسين سنة . ومات بها آزر ، بعد ان خرج ابنه منها

---

(١) نسخة ٢ ياخور .

بسنتين . ثم سار ابراهيم ، ولوط ، وسارة ، من حران الى الشام ، فوجدوا في الشام جوعاً عظيماً ، فساروا الى مصر، وفرعونها اذ ذاك سنان بن علوان، وأقاموا بها ثلاثة أشهر ، ورجعوا الى الشام ، وقد أهدى سنان ، فرعون مصر ، الى سارة هاجر ، فنزلوا المسبع من ارض فلسطين ، وفارقـه لوط ، وسكن في سدوم . ثم تحول ابراهيم ، ونزل بين الرملة ، وإيلياء ، فلما بلغ ابراهيم خمساً وثمانين سنة ، وهبت له سارة جاريتها هاجر ، فولدت هاجر ، اسماعيل ، وله ست وثمانون سنة ، واختتن وله تسع وتسعون سنة ، ثم اختتن ابنه اسماعيل ، ثم ولدت سارة ، اسحاق ، وله مائة سنة ، وأنزل الله عليه عشر صحايف . وولد لاسحاق ، يعقوب ، والعيص ، بعـــد ما مضى مائة وستون سنة لابراهيم . ومات ابراهيم، وله مائة وخمس وسبعون سنة. وماتت سارة ، ولها مائة وتسع وعشرون سنة ، وكان موتها قبل وفاة ابراهيم بعـد مضي سبع وثلاثين سنة من عمر ابنها. ودفنا في مزرعة حبرون من ارض الشام.

وزعم محمد بن جرير الطبري ، ان من هبوط آدم ، الى ان وُلد ابراهيم ، ثلاثة آلاف سنة ، وثلاثمائة ، وسبعاً وثلاثين سنة ، فيكون الى موته ثلاثـة آلاف ، وخمسمائة ، واثنا عشر سنة .

نسب لوط عليه السلام :

هو لوط بن هاران بن آزر ، ارسل الى اهـل سدوم ، وقصته مع قومه ستجيء . وان جبريل اقتلع ارضهم من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بهـا الى سماء الدنيا ، حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم ، وأصوات دَيكتهم ، ثم قلبها ، وهو قوله تعـالى : « والمؤتفكة أهوى » . وأرسل على الشرار منهم حجارة من سجّيل . وكان ذلك بعـــد مضي تسع وتسعين من عمر ابراهيم .

وكانت فيما رُويَ خمس قرى : ضيعة، وضعوة ، ودوما ، وعمره ، وسدوم، وهي العظمى . وذكر ان جميع ما عمرت سدوم ، احدى وخمسون سنة .

نسب اسماعيل عليه السلام :

هو اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، وقد ذكرنا اولاده ، وحديثه بمكة . لما حضرته الوفاة أوصى الى اخيه اسحاق ، وزوّج ابنته من العيص ابن اسحاق ، وكان عمره مائة وسبعة وثلاثون سنة ، ودفن في الحجر الى قبر امه هاجر . وماتت هاجر في حياة ابيه .

نسب اسحاق عليه السلام :

فأصحّ الروايات، انه الذبيح ، ولما عرضه ابوه للذبح كان ابن سبع سنين، وكان مذبحه في بيت إيلياء . ولما علمت سارة بما أراد ابراهيم باسحاق ، من الذبح ، أخذها البَطن من الجزع يومين ، وماتت في الثالث . وقيل : كان ابن ست وعشرين سنة . ولما بلغ عمر اسحاق ستين سنة ، وُلد له العيص ، ويعقوب ، وكانا توأمين ، فولد للعيص الروم ، وكل بني الاصفر من ولده . وقيل : انما سُمّوا بني الاصفر ، لأن العيص كان اصفر اللون . وولد ليعقوب الاسباط . وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة ، وكان ضريراً ، وكانت وفاته في السنة التي استوزر يوسف فيها بمصر ، ودفن عند قبر ابيه ابراهيم .

وأما يعقوب عليه السلام :

فهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، عاش مائة وسبع واربعين سنة . توفي بمصر ، وحمله ابنه يوسف ، ودفنه عند قبر ابيه ، ثم عاد وكانت النبوة

والملك ، متصلين بالشام ونواحيها لولد اسرائيل الذي هو يعقوب بن اسحاق، الى ان زال عنهم ذلك ، بالفرس ، والروم ، بعد يحيى بن زكريا ، وبعد عيسى عليه السلام . وكان ليعقوب اثنا عشر ولداً ذكوراً ، وهم الاسباط .

وذكر بعض اهل التاريخ، ان الأنبياء كلهم من ولد يعقوب، إلا احد عشر نبياً ، وهم: نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وأيوب ، وشعيب ، وابراهيم، واسماعيل ، واسحاق ، وعيسى ، ومحمد ﷺ ، وعليهم اجمعين .

وأما يوسف عليه السلام :

فهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ، وستجيء قصته . قيل : كان سنّه في الوقت الذي رأى فيه الشمس ، والقمر ، والأحد عشر كوكباً ، سبع عشرة سنة . واسم العزيز الذي استوزره الريان بن الوليد ، وذكر انه آمن واتبع يوسف ، ومات في حياة يوسف ، ووّلي بعده قابوس ابن مصعب ، وكان كافراً .

ومات يوسف ، وله مائة وعشر سنين . وباعه اخوته ، وله سبع عشرة سنة . وأقام في الرق ثلاث عشرة سنة. واستوزر ، وله ثلاثون سنة ، وأقام وزيراً ، وله تسع سنين. واجتمع بأبيه، فكانت مدة الفراق : اثنتين وعشرين سنة . وأقام مع أبيه سبع عشرة سنة .

وقال سليمان الفارسي : مدة فراقه من أبيه اربعون سنة . وقال الحسن : ثمانون سنة . وقال ابن اسحاق : ثماني عشرة سنة . وكان يعقوب واهل بيته يوم دخولهم مصر سبعين نفساً . وبين دخول يعقوب واهله مصر وبين خروج

موسى ببني اسرائيل منها، اربعمائة وست وثلاثون سنة . وكان عدد من خرج مع موسى من بني اسرائيل من مصر ستمائة الف مقاتل . وحمل موسى تابوت يوسف معه حين خرج . وانه دفن عند آبائه .

وأما أيوب عليه السلام :

فهو ايوب بن مصوع [١] بن راح بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ، قاله : وهب بن منبّه . وقيل : هو ايوب بن عوص بن رعويل بن عيص بن ابراهيم الخليل . وقال اهل التوراة : انه من ولد عوص بن ناحور ، أخي ابراهيم الخليل ، فعلى هذا القول ليس هو من الروم . وقيل : انه من ولد العيص ، لكونه روميا . واختلف في زوجته التي ضربها بالضغث ، فقيل : هي إلياء بنت يعقوب بن اسحاق عليهما السلام . وقيل : هي رحمة بنت افراسيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق ، وكانت ام ايوب بنت لوط .

وزعم الحسن البصري انه ابتلى وله ثمانون سنة من عمره . قال وهب : وابتلى ثلاث سنين . وقيل : عاش مائتي سنة ، وعشر سنين . وقيل : نبّىء في عهد يعقوب .

وذكر الطبري ان الله بعث بعده ابنه ذا الكفل ، واسمه بشر بن ايوب ، وله خمس وسبعون سنة . ثم بعث الله بعد ذي الكفل شعيباً ، عليهم السلام.

نسب شعيب عليه السلام :

قيل : اسمه ترون بن صفوان بن الغابر ثابت بن مدين بن ابراهيم .

---

(١) نسخه أحوص بن رعيل .

روينا عن ابن اسحاق انه شعيب بن ميكائيل من ولد مدين ، وقيل : لم يكن من ولد ابراهيم ، وانمـــا هو من ولد بعض من آمن بابراهيم ، وهاجر معه. قالوا : وام ابيه هي بنت لوط، وقصته ستجيء. وبعثه الله الى أمتين : مدين ، وأصحـاب الأيكة . وهو خطيب الانبياء ، قيـل : وكان أعمى ، ومات بمكة ، وما بلغني كم عاش .

وأما الخضر عليه السلام :

فقيل : ان اسمه الخضر، هذا قول الطبري . وقيل : اسمه بلياء بن لمكان ابن قالع بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام ، وكان ابوه لمكان اختلف في نبوته ، وقصته مذكورة في هذا الكتاب .

قال ابن اسحاق : وكان الخضر نبياً ، بعثه الله الى بني اسرائيل بعـــد شعيب. قال وهب: اسم الخضر اورياء[1] بن حلقيا، وكان من سبط هارون، وهو الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها . وقال عبدالله بن شوذب : الخضر من فارس ، والياس من بني اسرائيل .

وقال بعض اهل الكتاب من اليهود : ان موسى الذي لقي الخضر ، هو موسى بن ميشا بن يوسف ، وكان نبيـاً قبل موسى بن عمران . والصحيح : ان موسى بن عمران هو صاحب الخضر . وقيل : ان هـذا الخضر كان على مقدمة عسكر ذي القرنين الاكبر ، الذي كان في ايام ابراهيم الخليل ، وبلغ معه نهر الحياة ، فشرب من مائه ، وهو لا يعلم به ، فخلـّد ، وهو حيّ الى الآن ، وهذا قول الطبري ، حكاه عنه صاحب كتاب اخبار الزمان .

---

(١) نسخه اروميا .

نسب موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام :

رهما أخوان لأب وأم ، وأبوهما عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام . واسم امهما : لوخا بنت هانة بن لاوى بن يعقوب . وقيل : يوحانذ . وقال ابن اسحاق : يخبيب . وقصته ستجيء .

وكان قابوس بن مصعب ، صاحب يوسف الثاني ، قد مات ، وأقام مكانه أخوه : الوليد بن مصعب ، وهو فرعون موسى .

ولما بلغ فرعون بولادة مولود يكون هلاك فرعون على يده ، صار يقتل الولدان سنة ، ويحييهم سنة ، فولد هارون في السنة التي لا قتل فيها ، ثم ولد موسى بعده بثلاث سنين ، في السنة التي يقتل فيها ، فجعلته امه في التابوت كما ذكر .

ولما وجد التابوت في الماء عند الشجر ، سماه فرعون : موسى مركب من ماء وشجر ، فان الماء بلغتهم : المو ، والسا : الشجر . فسمّي بصفة المكان الذي وجد فيه . ذكر ذلك شيخنا ابو زيد السهيلي في المعارف والاعلام .

وقتل القبطي وسنّه إحدى وأربعون سنة ، وأقام بمدين تسعاً وثلاثين سنة ، ثم رجع الى مصر بزوجته صفورا بنت شعيب ، ثم بعثه الله الى فرعون ، فأقام يدعوه احد عشر شهراً ، ثم سار ببني اسرائيل ، وأتبعه فرعون ، فأغرقه الله .

وأقاموا في التيه اربعين سنة ، وخسف الله بقارون في التيه ، ومات هارون في التيه وله مائة وسبعة عشر سنة ، ومات موسى في التيه وله مائة وعشرون سنة ، بعد أن استخلف يوشع بن نون . قال ابن اسحاق : انها حوّلت النبوة الى يوشع بن نون في حياة موسى عليه السلام .

نسب يوشع بن نون عليه السلام :

وهو فتى موسى، هو يوشع بن نون بن افراشيم[1] بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ، بعثه الله نبياً بعد موسى الى اريحا لحرب من فيها من الجبـــابرة ، فقاتلهم حتى أمسى ، فدعا الله ان يمسك عليه الشمس عن الغروب ، حتى يظفر عليهم . فقيل : رجعت الشمس قـــدر نصف ساعة . وقيل : رجعت اثني عشر برجاً ، ولم يبق احد ممن أبى ان يدخل المدينة من الجبارين مع موسى ، إلا مات ، ولم يشهد الفتح . قاله السدي . وقـــال ابن عباس : كل من دخل التيه ممن جاوز العشرين ، مات ، ولم يدخل المدينة غير يوشع ، وقيل : انــه فتحها في حياة موسى ، وعاش يوشع مائة وعشر سنين ، وأقام يدبّر أمر بني اسرائيل ثمانية وعشرين سنة، ثم استخلف يوشع رجلا صالحاً اسمه غالب بن يوقنا .

نسب حزقيل عليه السلام :

ذكر الطبري: انه لاخلاف بين اهل العلم بأخبار الماضين. إن القائم بأمور بني اسرائيل بعد يوشع، كان غالب بن يوقنا ، ثم حزقيل بن يوقنا ، ويقال: ابن العجوز، لأن أمه ولدته وهي عجوز عقيم ، وهو النبي الذي اصاب قومه الطاعون ، فخرجوا من ديارهم ، وهم الوف ، حذر الموت ، فقـال لهم الله : موتوا ، ثم احياهم ، وقصتهم ستجيء .

نسب الياس عليه السلام :

قيل : هو ادريس عليه السلام ، وقصته ستجيء . ذكر المحب الطبري ،

---

(١) خ ٢ ثيم .

قال : لما مات حزقيل ، كثرت الأحاديث في بني اسرائيل ، وتركوا عهد الله ، وعبدوا الأوثان ، فبعث الله اليهم الياس ، وهو الياس بن العيزار بن هارون بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ، هكذا ذكر نسبه الطبري . وذكر غيره : انه بعث الى اهل بعلبك . وبعل : اسم صنم كانوا يعبدونه، فتمادوا في طغيانهم يعمهون، فدعا عليهم الياس ، فأمسك الله الغيث عنهم ثلاث سنين ، حتى هلكت مواشيهم ودوابهم ، فسألوه أن يدعو لهم ، فدعا لهم ، فجاءهم الخير ، فلم يتوبوا ، فدعا الياس أن يقبض الله روحه ، فكساه الله الريش ، فجعل يطير مع الملائكة ، وكان انسياً ملكياً سماوياً ارضياً ، ويجتمع في كل موسم بالخضر . وقد روي أنه اجتمع برسول الله ﷺ وأكل معه من طعامه ، ويذكر أن الأبدال يجتمعون به .

وأما اليسع عليه السلام :

فهو اليسع بن يخطوب ، كان تلميذ الياس ، فدعا له ، فنبيء بعده ، وهو يعرف بابن العجوز ، ثم هلك ، ولم يزل الأمر في إدبار لكثرة التخليط ، وسلّط الله عليهم ملكاً اخذ منهم التابوت . وقصتهم ستجيء . فأقاموا في ذلك ، من اول وفاة يوشع ، اربعمائة وستين سنة ، الى ان عادت النبوة ، والملك اليهم ، بشمويل .

وأما شمويل عليه السلام :

فقد زرته على اميال من بيت المقدس ، وهو شمويل بن بالا ، ويقال : ابن هلقيا ، وهو بالعربية اسم اسماعيل .

فكان بنو اسرائيل ، لما طال عليهم البلاء ، وملكتهم العمالقة ، وضربت عليهم الجزية ، وكان ملكهم طالوت ، وكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبياً ، يقاتلون معه ، ولم يكن بقي من سبط النبوة إلا امرأة حبلى ، اسمها حنا، وكانت تدعو ان يرزقها الله النبوة ، على ما قيل، وكانت عاقراً ، فسألت الله تعالى أن يرزقها ولداً ، فولدت شمويل ، فسمته سمعون ، وهو فعلون ، من سمع الله دعائي ، والسين في لغتهم شين ، وهو من ولد فاهث ابن لاوي بن يعقوب ، فلما بلغ عشرين سنة ، ولاّه داود النبي عليه السلام.

فلما أكمل شمويل اربعين سنة ، بعثه الله نبياً ، وبعث لهم طالوت ملكاً، ولم يكن من سبط الملك ، فأبوه ، وكانت آيته أن أتاهم التابوت الذي انتزع منهم، تحمله الملائكة نهاراً ، حتى وضع بين أيديهم عند طالوت . هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما . فآمنوا حينئذ بنبوة شمويل، وبملك طالوت.

وكان في التابوت ، على ما زعم السدّي ، طست من ذهب ، كان يُغسَل فيه قلوب الأنبياء ، ورضراض الالواح ، وعصا موسى عليه السلام .

وخرج طالوت لقتال جالوت ، كما ذكرناه في هذا الكتاب . ولما قتل داود جالوت ، زوّجه طالوت ابنته ، ثم بعد ذلك حبسه ، وأراد ان يقتله، فهرب منه داود ، فندم طالوت على ما همّ به من قتل داود ، وتاب الى الله تعالى . وقال طالوت : من توبتي ان أنخلع من ملكي ، وأقاتل في سبيل الله، انا وبنيّ حتى أموت. فخرج عن ملكه ، وأخرج معه بنيه، وهم ثلاثة عشر ، فقاتلوا في سبيل الله حتى قُتلوا كلهم . وورّث الله داود ، ملك طالوت ، ونبوة شمويل ، وهو قوله تعالى : « وآتاه الله الملك » ، يعني ملك طالوت ، والحكمة : نبوة شمويل .

وتاريخ مدة ملك طالوت ، فيما حكى ابن جرير الطبري ، على زعم اهل التوراة : اربعون سنة .

وأمــا شمويل ، فعــاش اثنين وخمسين سنة ، دبّر امر بني اسرائيل منها احدى عشرة سنة .

وأما داود عليه السلام :

فهو داود بن بائس بن عويال من ولد يهوذا ، وقصته ستجيء . أطاعــه بنو اسرائيــل ، وفتح لهم الفتوحات الكثيرة . كان يقيم الزبور على اثنين وسبعين صوتاً ، وكان له تسع وتسعون زوجة . ولمــا بلغ ثمانين سنة ، ابتلي بقصة اوريا ، وتزوج زوجته ، فولدت له سليمان ، وعاش داود مــائة سنة ، وقيل : شرع في بناء بيت المقدس ، فمات قبل ان يتمــه . وكان مدة ملكه اربعين سنة ، وتبع [1] جنازته اربعون الف راهب .

وأما سليمان بن داود عليهما السلام :

وّلي ملك ابيه ، وله اثنتـــا عشرة سنة . وسخّر له الجن ، والانس ، والريح . وقصته ستجيء .

ولما مضى من ملكه اربع سنين ، بدأ ببناء بيت المقدس ، وفرغ منه في سبع سنين . ولما مضى من ملكه خمس وعشرون سنة ، جاءته ملكة سبأ ، وهي بلقيس . واختلف في تزويجه إياها ، وقد ذكرناه .

---

(١) وشيع .

وروينا من حديث ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، قال : بينما سليمان يصلي ذات يوم ، رأى شجرة ، فقال : ما اسمك ؟ قالت : الخروب . فقال : لأي شيء انتِ ؟ قالت : لخراب هذا البيت . فقال سليمان : اللهم عمّ على الجنّ موتي ، حتى تعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب . ونحت [1] من الخروب عصاً ، وتوكأ عليها حولاً ، وهو ميت حتى أكلتها الارضة ، فسقط عن كرسيه ، فعلمت الجن عند ذلك بموته . وعاش سليمان اثنين وخمسين سنة ، وملك بعده ابنه راحيم ، سبع عشرة سنة . وملك بعد ابنه أبناء بني اسرائيل ، ثلاث سنين . ولم يزل الملك في ولده الى صاحبه شعياء .

ثم بعث الله شعياء عليه السلام :

قال ابن اسحاق : اسم صاحبه صديقة . وقال غيره : صديقاً ، وهو الذي بشر بعيسى ، ومحمد ، عليهما السلام . وقصد ملك بابل قتال صديقة ، فكفاه الله . وأوحى الله الى شعياء أني قد أخرتُ أجل صديقة خمس عشرة سنة .

قال ابن اسحاق : وذكروا ان بني اسرائيل قتلوا شعياء بعد موت صديقة ، وسلط الله عليهم عدوهم ، فأفناهم . وأقام الملك في داود وبنيه ، اربعمائة وثلاثاً وخمسين سنة ، وكان آخرهم صديقاً ، وكان في زمنه ارمياء . وأقام الشام خراباً ما فيه غير السمرة ، سبعين سنة ، والملك لأهل بابل .

---

(١) واتخذ .

وبعث الله ارمياء عليه السلام :

فأخبرهم بغضب الله عليهم ، فضربوه ، وقيّدوه ، فبعث الله عليهم بخت نصّر، فقتل منهم ، وصلب ، وحرق ، والقصة ستجيء . وخرّب بيت المقدس ، وخرج ارمياء الى مصر، فأقام بها ، فأمره الله بالعوْد ، فسار حتى أشرف على خراب بيت المقدس، فقال : أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام، ثم أحياه بعد ان عَمُرَت بيت المقدس . قيل : أقامت خراباً سبعين سنة .

وزعم ابن اسحاق أن ارمياء هو الخضر. وقال قتادة : هو الذي مرّ على قرية عزير .

وأما دانيال ، وعزير :

فكانا من جملة مَن سباهم بخت نصّر، فسار بهما الى بابل ، وأقاما في يده، ثم رأى رؤيا هالته، فعبّرها له دانيال ، فأكرمه. وجاء [1] دانيال، وعزير، ومن كان تحت يد بخت نصّر بعد موته ، الى بيت المقدس .

وذكر ان ابا موسى الاشعري ، وجد قبر دانيال بالسويس ، فأخرجه وكفّنه ، وقبره ، وهو الذي كان يستمطر به اهل فارس في زمن كسرى .

وأما العُزير :

فلما عاد الى بيت المقدس، أقام لبني اسرائيل التوراة ، بعدما احترقت ، وكان من علمائهم ، ولم يكن نبياً .

---

(١) ونجا .

وقال العتبي : وأخبرني ايضاً بذلك ابو الفتوح نصر بن ابي الفرج الحنبلي بمكة ، وأنا اسمع عليه كتاب السنن لأبي داود ، فمر ذكره ، فقال : كان عزير قد اكثر المناجاة في القدر ، فمحى الله اسمه من الأنبيـــاء ، فلا يذكر فيهم . وزعم اهل التوراة ان عزرة وهـــو العزير دبر امر بني اسرائيل ، ومكث معه اربعين سنة . وذكر اهل التاريخ انه من ولادة داود الى موت العزير ، خمسمائـــة وأربع وستون سنة . وفي آخر ايام العزير ، زال ملك الفرس من الشام ، وصارت لليونانيين ، والروم .

وأما يونس عليه السلام :

وهو يونس بن متى ، بعث الى اهل نينوى ، وقصته ستجيء ، واختلف في زمان مبعثه ، فقيل : بُعث بعد سليمان ، وقيل : بعد اليـاس ، وقيل : بعد شعيب .

وأما زكريا عليه السلام :

فهو زكريا بن برخيا من ولد سليمان بن داود ، وقيل : زكريا بن آذن ، وكان زكريا ، وعمران ابو مريم متزوجين بأختين : الواحدة عنـد زكريا ، والأخرى عند عمران ، وهي أم مريم ، ولهذا كفل زكريا مريم ، فإن أباها كان قد مات ، وقيل : انه ضعف عن كفالتها ، لأزمـة أصابتهم ، فكفلها جريج النجار . فلما بلغ زكريا الكبر ، رزقه الله يحيى من زوجته تلك ، فيحيى ابن خالة مريم . وولد عيسى بعد ولادة يحيى بثلاث سنين ، وقيل : ستة اشهر ، فاتهم بنو اسرائيل زكريا بمريم ، فهرب منهم ، والقصة ستجيء .

وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام :

فولد في ملك سابور ، وذلك بعد قيام الاسكندر بثلاثمائة سنة وثلاث سنين ، ويحيى وضع عيسى في نهر الأردن .

وذكر ان ملكاً من ملوك بني إسرائيل ، شاور يحيى في تزويج امرأة ، فقال : انها بغيٌ ، فاحتالت المرأة عليه حتى قتله الملك ، وبقي دمه يغلي الى ان رفع عيسى . غزاهم ملك بابل ، وكان يقال له خروش ، وظهر عليهم ، ورأى دم يحيى يغلي ، فقتل عليه خلقاً من الناس ، وخرب بيت المقدس .

وأما عيسى بن مريم عليه السلام :

فولد بعد قيام الاسكندر بثلاثمائة وثلاث سنين ، وقيل : بثلاثمائة وتسعة عشر سنة . ذكر الحسن ان مريم حملت بعيسى ساعات ، ووضعته من يومها . وقيل : حملت به على العادة ، ومولده ببيت لحم ، وهربت به الى مصر ، فأقامت بها اثني عشرة سنة ، ثم رجعت به الى الشام ، وجاءه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة ، وكانت نبوّته ثلاث سنين . وقيل : تكلم في المهد ثلاث مرات ، ثم لم يتكلم حتى بلغ حد الكلام المعتاد . وهذا قول ابي هريرة ، وقصته ستجيء . وكان رفعه من بيت المقدس ليلة القدر . قال وهب : توفاه الله ثلاث ساعات من النهار ، حتى رفعه ، وعاشت أمه بعده ست سنين . وكان بيت المقدس حين رفع عيسى ، للروم . ولما بلغ ملك الروم ما فعل بالمسيح ، وجّه ، فأنزل المصلوب المشبّه بعيسى ، وأخذ خشبته فأكرمها ، وقتل من بني اسرائيل خلقاً كثيراً ، وأجلاهم عن فلسطين ، ومن هناك اصل النصرانية في الروم ؛ واسم هذا الملك قسطنطين ، وهو الذي بنى قسطنطينية .

وأما الثلاثة اصحاب القرية :

وحكايتهم مذكورة ، واختلف الناس فيهم ، فقال وهب : كانوا ثلاثة انبياء : صادق ، وصدوق ، وسلوم . وبعثوا الى اهل انطاكية ، وملكهم طيخشر . وقال قتادة : كانوا من الحواريين ، بعثهم عيسى بأمر الله الى انطاكية .

وأما الذي جاء من اقصى المدينة فآمن بهم ، واسمه حبيب ، فكان نجاراً بإنطاكية ، فلما آمن وطئوه بأرجلهم حتى مات ، فأحياه الله وأدخله الجنة ، وأهلك قريته بصيحة من السماء فخمدوا .

وأما ذو الكفل عليه السلام :

فإنما سمي ذا الكفل ، قيل : لأنه بعث الى ملك من بني اسرائيل، يقال له : كنعان ، فدعاه الى الايمان ، وكفل له بالجنة ، فآمن به ، فسمي ذا الكفل ، قاله العتبي . قال مجاهد : تكفل لليسع بأمته ، فوفى له ، ولم يكن نبياً . وقيل : تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي كل يوم مائة صلاة . وقيل : تكفل بتملك احد ملوك بني اسرائيل . وقال الطبري : ذو الكفل هو بشر بن ايوب ، بعثه الله بعد ابيه ايوب .

وأما لقمان الحكيم :

فكان عبداً حبشياً لرجل من بني اسرائيل ، فأعتقه ، وكان في زمن داود عليه السلام ، وكان اسم ابيه : باران ، واختلف في نبوّته ، وكان خياطاً . وقيل : كان في زمن عاد ، وكان من جملة وفد عاد الذين انفذهم الى مكة ،

يستسقون لهم ، فدعا الله ان يطيل عمره ، وكان له حينئذ مائتـــا سنة ، وقيل : عاش الفاً وثلاثمائة سنة .

وأما خالد بن سنان العبسي عليه السلام :

قيل : هو من ولد اسماعيل ، ادركت ابنته النبي ﷺ . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ظهرت نار بالبادية بين مكة والمدينة ، في الفترة ، فسمّتها العرب : بُداً ، وكادت طائفة منهم أن تعبدها مضاهاة للمجوس ، فقام خالد هذا ، فأخذ عصاه ، واقتحم النار يضربها بعصاه حتى أطفأها الله تعالى . ثم قال : اني ميت ، فإذا متّ ، وحال الحول ، فأرصدوا قبري ، فإذا رأيتم حماراً عند قبري ، فارموه واقتلوه ، وانبشوا قبري ، فإني احدثكم بكل ما هو كائن . فمات ، فلما حال الحول ، رأوا الحمار فقتلوه ، وأرادوا نبشه ، فمنعهم اولاده ، وقالوا : لا نسمى بني المنبوش . وقص النبي ﷺ قصته على اصحابه ، حين جاءته ابنته ، فانتسبت له ، فقال لهـــا : مرحباً بإبنة نبي اضاعه قومه . ثم قال عليه الصلاة والسلام: لو نبشوه لأخبرهم بشأني ، وشأن هذه الأمة ، وما يكون منها .

تاريخ نزول الكتب من عند الله عز وجل

روي ان صحف ابراهيم ، نزلت في اول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة ، لست ليال خلت من شهر رمضان ، بعـد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة ، وأنزل الزبور ، لإثني عشر ليلة خلت من شهر رمضان بعـد التوراة ، بخمسمائة عام ، وأنزل الانجيل، لثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، بعد الزبور ، بستمائة سنة وعشرين عاماً . وأنزل القرآن لسبع وعشرين ليـلة من شهر رمضان ، بعد الانجيل بستمائة وعشرين عاماً .

تاريخ قتل المختار :

قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين . وأقام ابن الزبير الحج للناس ، من سنة اربع وستين الى سنة اثنتين وسبعين . وقتل ابن الزبير، وصلب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقين من جمادي الاولى سنة ثلاث وسبعين ، وقيل : من جمادي الاخيرة سنة اثنتين وسبعين ، وماتت أمه بعده بخمسة ايام ، ولها مائة سنة . وكان ملك ابن الزبير بالحجاز والعراق ، منذ مـــات معاوية بن يزيد ، الى ان قتل ، تسع سنين .

وكان إسلام الحَكم ، طريد رسول الله ﷺ ، يوم فتح مكة ، ومات في خلافة عثمان .

ووّلي الحجاج العراق ، سنة خمس وسبعين . ونقشت الدنانير، والدراهم ، بالعربية ، سنة ست وسبعين . وقيل : سنة خمس وسبعين ، نقشها عبد الملك ابن مروان ، وكان نقشها قبل ذلك بالرومية .

وأما الوليد بن عبد الملك :

فهو الذي بنى جامع دمشق ، وزاد فيه كنيسة النصارى ، ووّلي عمر بن عبدالعزيز المدينة،وأقام بها سبع سنين وخمسة اشهر، وشيّد مسجد النبيﷺ . وفي ايامه فتحت بلاد الاندلس ، وحُملت اليه منها مائدة سليمان ، وهي من خليطين : ذهب ، وفضة ، وعليها ثلاثة اطواق من لؤلؤ ، وحمل اليه كل ما اخذ منها من لؤلؤ ، وياقوت ، وزمرد ، سوى ما أخفي : مائة وثلاثة عشر عجلة . وفي ايامـه كان الطاعون الجارف . مات في ثلاثة ايام ثلاثمائة الف . وفيهـــا مات الحجاج بواسط ، في رمضان ، سنة خمس وتسعين ، وله ثلاث

وخمسون سنة . وولّي الحجاج العراق ، عشرين سنة . وعدد من قتله الحجاج صبراً ، مائة وعشرون الفـاً ، ومات في حبسه خمسون الف رجل ، وثلاثون الف امرأة، وحج بالناس سنة ثمان وثمانين، وإحدى وتسعين، وأربع وتسعين.

وأما سليمان بن عبد الملك :

فكان نكاحاً ، شرهاً في الأكل ، يأكل في كل يوم نحواً من مائة رطل . وبنى ميناء الرملة سنة ثمان وتسعين ، وحج بالناس سنة سبع وتسعين .

وأما عمر بن عبد العزيز :

فهو الذي بنى الجُحفة، واشترى ملطية من الروم بمائة الف،وحج بالناس سنة تسع وتسعين ، وكان له ولد ناسك اسمه عبد الملك ، مات في حياته وله تسع وثمانون سنة .

وأما يزيد بن عبد الملك :

فأنه كان صاحب لذّات قد تعشق بجاريتين: اسم واحدة حبابة والاخرى سلامة ، فماتت حبابة فحزن عليها وتركها ولم يدفنها ، فعوتب فدفنهـا ثم نبشها وأخرجها ، ومات بعدها بيسير حزناً عليها . وفي ايامه خرج يزيد بن المهلب بالبصرة ، ووجّه اليه أخاه مسلمة وقتله ، ولم يحجّ في خلافته .

وأما هشام بن عبد الملك :

فخرج في خلافته زيد بن علي بالكوفة ، ودعا لنفسه ، فقتله يوسف بن عمر وصلبه ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومـائة . وفي ايامه بنى سعيد اخوه قبة بيت المقدس . وحج بالناس سنة ست وعشرين ومائة .

وأما الوليد بن يزيد :

فهو الذي دفع خالد بن عبد الله القسري الى يوسف بن عمر ، فقتله . وصار اليه ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقتله في يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة . وحبس ولديه : عثمان ، والحكَم . وكان الوليد قد عهد اليهما ولم يزالا في الحبس الى ان ولّي مروان الحِمار فقتلا . قال صالح بن الوجيه : لما قتل الوليد بن يزيد حُمل رأسه الى دمشق ، ونصب في مسجدها ، ولم يزل أثر دمه بالجدار الى أن ولّي المأمون، فأمر بحكّه .

وأما يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي قتله الوليد بن يزيد :

لما ولّي بعده فنقص الجند عطاياهم ، فسمّوه الناقص .

وأما مروان بن محمد الذي يلقب بالحمار :

يقال له الجعدي لأن خاله الجعد بن درهم ، فلم يزل مروان ظاهراً الى ان ظهر ابو مسلم الخراساني ، وبويع للسفاح بالكوفة في شهر ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وسار عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس الى مروان الحمار ، بأمر السفاح ، فانهزم مروان ، فاتبعه عبد الله حتى نزل نهر فلان بفلسطين ، وقتل جماعة من بني أمية ، فهرب مروان الى مصر ، ولقيه صالح ابن علي اخو عبد الله بن علي ببوصير قرية من صعيد مصر ، فقتله ليلة الاحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة ، تم المجلس .

موعظة عبد الله العمري للرشيد بمكة

روينا من حديث ابن اسحاق ، وهو محمد بن اسحاق بن عبد الرحمن

البغوي . قال : سمعت سعيد بن سليمان، قال: كنت بمكة في زقاق الشطوي والى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العمري ، وقد حج هارون الرشيد ، فقال له انسان : يا ابا عبد الله هوذا امير المؤمنين يسعى وقـــد أخلي له المسعى ، قال العمري للرجل : لا جزاك الله خيراً ، كلفتني امراً كنت عنه غنياً . ثم قام ، فتبعته ، فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا ، فصاح بـه : يا هارون . فلما نظر اليه قال: لبيك يا عمري، قال : إرق الصفا . فلما رقيه ، قال : إرم بطرفك الى البيت ، قال : قد فعلت . قال : كم هم ؟ قال : ومن يحصيهم ؟ قال : فكم من الناس مثلهم ؟ قـال : خلق لا يحصيهم إلا الله . قال : إعلم ايهـا الرجل أن كل واحـد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك تسئل عنهم كلهم ، فانظر كيف تكون ؟ قـــال : فبكى هارون وجلس ، وجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع .

قال العمري : وأخرى اقولها ، قـال : قل يا عم . قال : والله إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن أسرف في مـال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكي .

قال سعيد بن سليمان البغوي : فبلغني ان هارون الرشيد كان يقول : اني لأحب أن أحج في كل سنة ، ما يمنعني إلا رجل من ولد عمر ، ثم يُسمعني ما أكره. حدثني بهذه الحكاية يونس بن يحيى بمكة ،قال: ثنا ابوبكر بن منصور، عن ابي اسحاق ، عن ابراهيم بن سعيد الحبّاك ، ثنا الحافظ ، عن ابي العباس احمـد بن محمد بن الجراح ، عن محمد بن جعفر بن زاذان ، عن هـــارون بن عبد العزيز العباسي ، ثنا محمد بن خلف بن حبان ، عن محمـد بن اسحاق بن عبد الرحمن البغوي .

وروينـا من حديث ابن ودعان ، عن ابي الموفق محمد بن محمد بن الحسن النيسابوري، عن سلمة بن خلف، عن ابراهيم بن محمد ، عن احمد بن عبد الجبار العطـار ، عن وكيع بن الجراح ، عن سليمان بن ابراهيم ، عن ابي الضحى ، عن مسروق، قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعـالى : يا ابن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن ، وينقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح ، أنت فيما يكفيك ، وأنت تطلب ما يطغيك ، لا بقليل تقنع ، ولا بكثير تشبع .

وسمعنا على قول الشريف الرضي في التوديع بالنفس :

أراك ستحدث للقلب وجداً ... اذا ما الركائب ودّعن نجدا
بواكرُ يطلعنَ وقت الغوير ... شؤن النواظر نأيـاً وبُعدا
كانا بنجد غـــداة الوداع ... نداوي عيوناً من الدمع رمدا
وأيسر ما نال منا العليل ... أن لا يحس من المـاء بردا
أثاروا زفيراً يلف الضلوع ... لفّ الرياح أنابيب مُـــلدا
فكل حراراتِ أنفـــاسه ... تدل على أن في القلب وقدا
وأني للشوق من بعـــدهم ... أراعي الجنوب مراحاً ومغدا
وأفرح من نحـــو أوطانهم ... بغيثٍ يجلل برقاً ورعـدا
اذا طلـــع الركب يممتهم ... أحيي الوجوه كهلاً ومردا
واسئلهم عـن عقيق الحمى ... وعن أرض نجدٍ ومن حلّ نجدا
نشدتكم الله فلتخبرون ... بمن كان أقرب للرمل عهدا
هل الدار بالجزع مـــأهولة ... آثار الربيع عليها وأسدى
وهل جلّل الغيث أخلافـه ... على مخضر من زرود وبَندا
وهل أهله عن تنائي الديار ... يراعون عهداً ويرعون ودّا

وسمعنا على قول مهيار في التوديع بالنفس :

لو كنت تتلو غداة البين أخباري علمت أن ليس ما عيّرت بالعارِ
شوقي الى وطن المحبوب جاذب أضـ ـلاعي ودمعي جرى من فرقة الجارِ
ووقفة لم أكن فيها بأول من بان الخليط فداوى الوجد بالدارِ
ونمّ في البرق زفراتي فلو علمتْ عيناك من أين ذاك البارق الساري
طارت شراراته في جو كاظمةٍ تحت الدجى بلباناتي وأوطاري
هل بالديار على لومي ومعذرتي دعوى تقامُ على وجدي وتذكاري
أم أنت تعدل فيما لا تريد به إلا مداواة حرّ النار بالنارِ

وسماعنا على قوله ايضاً في ذلك بالنفس :

من بني وأين جيران منىّ كانت ثلاثاً لا تكون أربعا
سلبتموني كبداً صحيحةً أمس فردّوهـا عليَّ قِطعا
عدمتُ صبري فجزعتُ بعدكم ثم ذهلتُ فعدمتُ الجزَعـا
فارجعـا لي ليلة بحاجرٍ إن تمّ في الغائب أن يرتجعا
وغفلة سرقتهـا من زمنٍ بلعلعٍ سقى الغمامُ لعلعـا

ومن وقائع بعض الفقراء ما حدثنا عبد الله المروزي بمروز، قال: قال لي بعض الصالحين : رأيت في الواقعة أبا مدين وخلقاً كثيراً من اهل التصوّف لم أعرف منهم إلا أبا حامد الغزالي ، وأبا طالب المكي ، وأبا يزيد البسطامي ، فقالوا لأبي مدين : زدنا من الغذاء الباقي . فقال : التوحيد هو الأصل واليـه الطريق ، وهو القطب وعليه التخليق ، وهو تاج العارفين وبـه سادوا ، وبأخلاقه تخلـّقوا وله انقادوا، هو بهم برّ وصول، منه البداية واليه الوصول، نور قلوبهم بالحكمة والإيمان، وشرح صدورهم فتخلـّقوا بالقرآن، ففهموا معانيه

وبان لهم المراد . فدامت فكرتهم فيه فمنعهم السهاد ، وما عرّجوا على اهل ولا أولاد . ولم يشركوا بعبادة ربهم أحداً .

هو الضياء بمشكاة قلب العارف عنه ينطق وبه يكاشف ، ولم يلتفت الى ما سواه ، ولم يدّخر سوى مولاه ، وهو حياته ونشوره ، وبـه أشرقت شمسه ونوره ، يمدّه بدقائق المعاني ، فيميز بين الباقي منه والفاني ، فيعبر عنه بمعاني روحانية ، تقصر عن إدراكها الصفات البشرية ، ويعيها من هو بالتوحيد حي ذو عيان ، ويعجز عنها من رضي بنعيم الجنان . فالعارف لذته ذكره مولاه ، وهو كليته ، والظاهر بعبادته ، ومفصحه بالعلم ، وهاديه لبيانه ، أمدّ سره من سره ، فأنطق لسانه بالحكمة ، فجذب الخلق اليه ، وهدى بـــه الأمة ، فكشف له الغطاء عن اسرار التوحيد ، وتجلى لقلبه من هو اقرب اليــه من حبل الوريد . فتألفت متفرقاته ، ففني عن رسومه ، وكاشفه بـه ، وشرفه بعلومه ، فاهتزت ارضه ، ونبع ماؤه ، فوسعه قلبه ، وما وسعته ارضه ، ولا سماؤه .

هكذا جاء في الخبر ، عن سيد البشر ، هو مأوى العارف ، وهو الأمل. وقد صحّت له محبته في الأزل ، فألبسه التقوى ، وزيّنه بالتجريد ، وأقامه للعيـــان ، وأفناه في التوحيد . سقاه شراباً رويّاً ، وغذّاه بلبان اللب ، واتصل بالمحل الخالص من اللقاء والقرب .

ومن باب من يتوكل على الله فهو حسبه :

ما أخبرنا به احمـــد بن عبد الوهاب بن علي بن عبيدالله ببغداد ، قال : أخبرني والدي ، قال: انا الخطيب ابو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله الصريفيني ، انا ابو القاسم عبدالله بن محمد بن اسحاق بن سليمان بن حبابة . أخبرنا ابو القاسم

عبدالله بن محمـــد بن عبد العزيز البغوي ، قال : حدثنا علي بن الجعد ، ثنـا شعبة، عن ابي حمزة، قال : سمعت هلال بن حصن قال : أتيت المدينة فنزلت دار ابي سعيـــد الخدري فضمّني وإياه المجلس ، فحدّث انه اصبح ذات يوم وليس عندهم طعام ، وأصبح وقد عصَب على بطنه حجراً من الجوع ، فقالت لي امرأتي : إئت رسول الله ﷺ ، فقد أتاه فلان فأعطاه ، وفلان فأعطاه . قـــال : فأتيته فقلت : ألتمس شيئاً فأطلب ، فانتهيت الى النبي ﷺ وهو يخطب ويقول : مَن يستعفف يعفه الله ، ومَن يستغنِ يغنه الله، ومَن سألنا شيئاً أعطيناه وواسيناه ، ومَن استعفّ عنـــا واستغنى فهو أحبّ الينا ممن سألنا : قال : فرجعت وما سألته ، فرزقني الله تعالى حتى ما اعلم اهل بيت من الانصار اكثر أموالاً منا .

قصة ما جرى لأمير المؤمنين المنصور بمكة مع بعض الفقراء :

روينا عن غير واحد أن ابا جعفر المنصور بينما هو طائف بالبيت ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إنا نشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

فخرج المنصور ، فجلس في ناحيـــة من المسجد ، ثم أرسل الى الرجل فصلّى ركعتين ، ثم استلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال له المنصور : ما الذي سمعتك تذكر ؟ قال : إن أمّنتني يا امير المؤمنين أعلمتك بالامور كلهـا من أصولها ، وإلا اقتصرت على نفسي ، ففيها لي شغل شاغل . قال : فأنت آمن على نفسك .

فقال: يا امير المؤمنين، ان الله قد استرعاك أمر عباده وأموالهم، فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجصّ والآجرّ ، وأبواباً من الحديد، وحراساً معهم

السلاح ، ثم سجنت نفسك منهم ، وبعثت عمالك في جباية الاموال وجمعها ، وأمرت ان لا يدخل عليك من النـــاس إلا فلان وفلان ، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف اليك ، ولا أحد إلا وله في هذه الاموال حق . فلمـا رآك النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك، وأمرت ان لا يحجبوا دونك ، تجبي الاموال وتجمعها ، قالوا : هذا قد خان الله ، فما لنا لا نخونه؟ فأتمروا ان لا يصل اليك من علم أخبار الناس إلا ما أحبّوه ، ولا يخرج لك عامل إلا خوّنوه عندك وعابوه حتى تسقط منزلته عندك .

فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم . وكان اول مَن صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ، ليستعينوا بذلك على ظلم رعيتك. ثم فعل ذلك ذوو المقـــدرة والاموال من رعيّتك ، ليتوصلوا الى ظلم مَن دونَهم . فامتلأت بلاد الله ظلمـاً وبغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك وانت غافل . فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه ، وإن أراد رفع قصته اليك وجدك قد نهيت عن ذلك ، ووقفتَ للناس رجلاً ينظر في مظالمهم ، فإن جـاءك ذلك المتظلم ، وبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته اليك . فلا يزال المظلوم يختلف اليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ، فاذا جهـدَ وخرج ، وظهر اليك وصرخ بين يديك ، ضُرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره ، وانت تنظر ولا تنكر . فما بقـاء الاسلام على هذا ؟

قال : فبكى المنصور بكاء شديداً ، وقال : ويحك،كيف أحتال لنفسي؟ قال : يا امير المؤمنين ، ان للناس أعلاماً يفزعون اليهم في دينهم ، ويرضون بهم في دنياهم ، وهم : العلمـــاء وأهل الديانة . فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورِهم يسدّدوك . فقال : قد بعثت اليهم فهربوا مني . فقال : خافوا ان

تحملهم على طريقتك، ولكن : افتح بابك، وسهّل حجّابك، وانصر المظلوم، واقمع الظالم ، وخذ الفيء والصدقات على وجوههـــا ، وأنا ضامن عنهم انهم يأتونك فيساعدونك على صلاح الأمة . ثم أذن بالصلاة ، فقام يصلي وعاد الى مجلسه ، ثم طلب الرجل فلم يجده .

وأنشدنا محمد بن عبد الواحد ، عقب ما سمعته يقول هذه الحكاية :

فاعمــل لنفسك واجتهد إن كنتَ ترغب في السلامه
من قبل ان يأتي الحِمام وقبل ان تأتي القيــامه
يوماً تعضّ ندامـــةً كفّاً ومــا تغني الندامه

وأنشد بعضهم في الزهد ومعناه :

طلّق الدنيــــا ثلاثاً والتمس زوجاً سواها
إنهــــا زوجةُ سوءٍ لا تبــــالي مَن أتاها
تُبْ الى ربك منهـــا واحترِسْ قبـل أذاها
وانْهَ للنفس عن الـ ـغيِّ وجنّبها هواها
فبهذا تدخـــــل الـ جنة فاحذرْ وتنـاها

حدثنا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم، قال : قرأت على عمر ابن عبد الحميد بمكة ، أن عبدالله بن العباس قال : في قوله تعــالى : « يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » ، قــال : مرض الحسن والحسين ، عليهما السلام، وهما صبيان، فعادهما رسول الله ﷺ ، ومعه ابو بكر، وعمر، فقــال عمر لعلي : يا ابا الحسن ، لو نذرتَ عن ابنيك نذراً إن الله عافاهما ، قال : أصوم ثلاثة ايام شكراً لله . قالت فاطمة : وأنا ايضاً أصوم ثلاثة ايام

شكراً لله . وقال الصبيان : ونحن نصوم ثلاثة ايام . وقالت جاريتهما فضة : وأنا أصوم ثلاثة ايام . فألبسهما الله العافية ، فاصبحوا صياماً وليس عندهم طعام . فانطلق علي الى جارٍ له من اليهود يُقال له شمعون ، يعالج الصوف ، فقال له : هل لك ان تعطيني جزّة من صوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة آصُع من شعير ؟ قال : نعم . فأعطاه ، فجاء بالصوف والشعير ، فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت ، ثم غزلت ثلث الصوف ، وأخذت صاعاً من الشعير ، فطحنته ، وعجنته ، وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرصاً .

وصلى عليّ رضي الله عنه مع النبي ﷺ المغرب ، ثم أتى الى منزله فوضع الخوان فجلسوا ، فأول لقمة كسرها علي رضي الله عنه ، اذا مسكين واقف على الباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، انا مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة . فوضع عليّ اللقمة من يده ، ثم قال :

أفاطمة المجد واليقين   يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترَيْ ذا البائس المسكين   جاء الى الباب له حنين
كل امرىءٍ بكسبه رهين

فقالت فاطمة رضي الله عنها من حينها :

أمرك سمع يا ابن عم وطاعة   ما ليَ من لوم ولا ضراعة
غديت باللب وبالبراعة   أرجو اذا أنفقتُ من مجاعة
أن ألحق الأبرار والجماعة   وأدخل الجنة في الشفاعة

قال : فعمدت الى ما في الخوان ، فدفعته الى المسكين ، وباتوا جياعاً ، وأصبحوا صياماً ، لم يذوقوا إلا الماء القراح . ثم عمدت الى الثلث الثاني من

الصوف فغزلته ، ثم أخذت صاعاً فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً .

وصلى عليّ المغرب مع النبي ﷺ ، ثم أتى الى منزله، فلما وضعت الخوان وجلس ، فأول لقمة كسرها علي رضي الله عنه ، اذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب وقال : السلام عليكم يا اهل بيت محمد، انا يتيم من يتامى المسلمين ، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة . فوضع علي اللقمة من يده وقال :

أفاطمُ بنت السيد الكريم — قد جاءنا الله بذا اليتيم
مَن يطلب اليوم رضى الرحيم — موعده في جنة النعيم

فأقبلت السيدة فاطمة رضي الله عنها وقالت :

فسوف أعطيه ولا أبالي — وأُوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهمُ أمثالي — أصغرهم يقتل في القتال

ثم عمدت الى جميع ما كان في الخوان فأعطته اليتيم ، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح ، وأصبحوا صياماً ، وعمدت فاطمة الى باقي الصوف فغزلته ، وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزته خمسة اقراص لكل واحد قرصاً .

وصلى علي المغرب مع النبي ﷺ ، ثم أتى منزله فقرّبت اليه الخوان ، ثم جلس ، فأول لقمة كسرها اذا أسير من أسارى المسلمين بالباب فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد، إن الكفار أسرونا وقيدونا وشدّونا فلم يطعمونا، فوضع علي اللقمة من يده ، وقال :

يا فاطمة بنت النبي احمد بنت نبي سيدٍ مسوّدْ
هذا أسيرٌ جاء ليس يهتدي مكبّل في قيــده المقيّدْ
يشكو الينا الجوع والتشدد من يطعم اليوم يجده في غدْ
عند العليّ الواحد الموحّد ما يزرع الزراع يوماً يحصدْ

فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تقول :

لم يبق مما جاء غير صاع قد دبرت كفي مع الذراع
وابناي والله لقد أجاعـا يا رب لا تهلكهما ضياعـا

ثم عمدت الى ما كان في الخوان ، فأعطته إياه ، فأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء . وأقبل علي ، والحسن ، والحسين ، نحو رسول الله ﷺ وهمـا يرتعشان كالفرخين من شدة الجوع ، فلما ابصرهما رسول الله ﷺ قـــال : يا ابا الحسن أشد ما يسوءني ما أدرككم ، انطلقوا بنـــا الى ابنتي فاطمة ، فانطلقوا اليهـــا وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع ، وغارت عيناها . فلما رآها رسول الله ﷺ ضمها اليه وقال: واغوثاه . فهبط جبريل عليه السلام وقال : يا محمد ، خذ هنيئاً في اهل بيتك . قال : ومـا آخذ يا جبريل ؟ قال : ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً الى قوله : وكان سعيكم مشكوراً .

ومن محاسن الكلام ما قاله الفضل بن سهل للمأمون ، وقـد سأله حاجة لبعض اهل بنو بات دهاقين سمرقند ، وكان وعـــده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك، قال : يا امير المؤمنين، هب لوعدك مذكراً من نفسك، وهب لسائلك حـــلاوة نعمتك ، واجعل ميلك الى ذلك في الكرم حتى تشهد لك القلوب

بحقائق الكرم [1] ، والألسن بنهاية الجود . فقال له امير المؤمنين : قــد جعلت لك إجابة سؤالي عني بمــا ترى فيهم ، وأخذك بما يلزم لهم من غير استئمار ومعاودة في إخراج الصكاك من حصر الأموال متناولاً. وقال له يوماً: يا اميرالمؤمنين اجعل نعمتك صيانة لوجوه خدمك عن إراقة مائها في غضاضة السؤال . فقال : والله لا كان ذلك إلا كذلك .

ومن هذا الباب مــا حكاه ابو وجرة الأسلمي لمــا قدم على المهلب بن ابي صفرة ، فقال : أصلح الله الأمير ، اني قطعت اليك ارض الدهناء ، وضربت اليك آباط الإبل من يثرب ، فقال : هل أتيتنا بوسيلة او عشيرة او قرابة ؟ قال : لا . ولكني رأيتك لحاجتي أهلاً فإن قمت بها فأهل لذلك أنت ، وإن يحل دونها حائل لم أذمم يومك ، ولم أيأس من غدك . قال المهلب : يعطى ما في بيت المال فوجد فيه مائة الف درهم فدفعت اليه ، فأخذها ، وقال :

يا من على الجود صاغ الله راحته فليس يحسن غير البذل والجود
عمّت عطاياك من بالشرق قاطبة فأنتَ والجود منحوتان من عود

خبر الحطيئة الشاعر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لما رفع الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب أن الحطيئة آذى الناس بهجائه، فاستحضره وأنبه وأوهمه أنه يقطع لسانه ، فقــال له الحطيئة : بالله يا امير المؤمنين إلا ما أقلتني فقــد هجوت والله أمي ، وأبي ، وامرأتي ، ونفسي . فقال له عمر : ما الذي قلت في أمك ؟ قال : قلت فيها ، والجواب للأب :

ولقد رأيتكِ في النساء فسؤتِني وأبا بنيك فساءني في المجلس

---

(١) الاحسان .

وقلت فيها أيضاً :

تنحّي فاجلسي مني بعيداً — أراح الله منكِ العالمينا
أغربالاً اذا استودعت سراً — وكانوناً على المتحدثينا

ثم قلت في امرأتي :

أُطوّفُ ما أطوّفُ ثم آوي — الى بيتٍ قعيدته لكاعِ

ثم نظرتُ في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته فقلت :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً — بشرٍّ فما أدري لمن أنا قائلهْ
أرى لي وجهاً قبّح الله خلقه — فقبّح من وجه وقبح حاملهْ

فأمر به فسجن في قعب ، فكتب اليه بعد ايام يقول :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ — حمر الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة — فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه — ألقت اليك مقاليد النهى البشرُ
ما آثروك بها إذ قدّموك لها — لا بل لأنفسهم قد كانت الأثرُ

فأمر به فأحضره فاستتوبه وخلى سبيله ، اهـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار :

روينا من حديث الهاشمي يبلغ به النبي ﷺ أنه قال : أيها الناس أقبلوا على ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم ، وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم ، ولا تستعملوا جوارحاً غذيت بنعم الله في التعرض اسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته ، واصرفوا هممكم الى التقرب اليه بطاعته ، فإنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة ، ولا يدرك منها ما يريد ، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل اليه نصيبه من الدنيا ، وأدرك من الآخرة ما يريد .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى : ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي بمروزة ، قال : قال لي بعض الصالحين : رأيت في الواقعة ابا مدين، وأبا حامد ، وأبا طالب ، وأبا يزيد ، وجملة من الصوفية ، فقال ابو يزيد للشيخ ، يعني ابا مدين : زدنا من التوحيد شيئاً . فقال : التوحيد هو النور الذي منه مادة كل نور ، وما عداه فأغشية وستور . هو الساتر المستور ، وهو الاصل في كل الامور ، مادّته لكل ناقص وزائد، وما تفرّق في الوجود

فهو عنده واحد. أودع بعض العارفين من الأسرار ما ميّزه بها عن الأغيار، وأجرى ينابيع الحكمة في قلبه فأنبتت أرضه ثمار الايمان، وأزهرت بأنوار الاحسان، فأعبقت بنسيم الذكر، وجال فكره في ميدان الفكر، فرئي في حضرة الملكوت شاخصاً. واختطفه معنى الوحدانيـة مقافصاً، فأفنته عن وجوده وعن الاحساس، وغيّبته عن مشاهدة الأنواع والأجناس، فكشفت له الغطاء عن سر الأسرار، فتلاشت الآثار والاخبار، فعاين من عظمة الجلال ما يليق به، وكشف السر الإلهي لعينه من غيبه، فامتزج نوره بنور النور، وتجلّى لقلبه الملك الغفور.

فصفات العارف ابداً تسمو وترقا، وأسراره لمالكه تزداد شوقاً. قلبه له ابداً سليم، وسرّه في الحضرة معه مقيم، ليس منه في الوجود إلا ظاهره، ينتظر مـــا ترد به أوامره، لا يشغله ابداً عنه شاغل. هو معه كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه في أي الجهات كيف شاء، ويكشف عن قلبه كل غشاء، فينظره بعين التحقيق، فيرد اليه الخلق من كل طريق. فالعارف من آفات الغير محفوظ، وكل مـــا سوى الحق عنه مرفوض. ركن الى الحصن المنيع فآواه، ودق نظره في معرفته فتمعنى بمعنـاه، فنودي من حضرة مولاه: وحّدني فإني انا الله.

حُكي عن النعمان بن المنذر أنه خرج لصيد ومعه عديّ بن زيد العبّادي، فمرّ بآرام، وهي القبور، فقال عدي: أبيتَ اللعن، أتدري ما تقول هذه الآرام؟ قال لا. قال: انها تقول:

أيها الركب المخبّون (١) على الارض تمرّون
لكمـــا كنتم كنّا وكما نحـــنُ تكونون

(١) نسخة ٢: المجدون.

فقال . أعدها فأعادها ، فرجع كئيباً ، وترك صيده .

وخرج معه مرة اخرى ، فوقف على القبور بظاهر الحيرة فقال . أبيتَ اللعن ، أتدري ما تقول هذه الآرام ؟ فقال لا . فقال : انها تقول :

رُبَّ رَكبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحَوا ضعف[1] الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فانصرف ايضاً وترك صيده .

وروينا من حديث احمد بن عبدالله بن عباس ، حدّثه عن أبيه أن عمر ابن عبد العزيز شيّع جنازة ، فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة ، فقال له أصحابه : يا امير المؤمنين ، جنازة انت وليّها تأخرت عنها وتركتها ! فقال : نعم ، ناداني القبر من خلفي : يا عمر بن عبد العزيز ، ألا تسألني ما صنعت بالأحباب ؟ قلت : بلى . قال : خرقتُ الأكفان ، ومزّقت الأبدان ، ومصصت الدم ، وأكلت اللحم . قال : ألا تسألني ما صنعت بالأوصال ؟ قلت : بلى. قال: نزعت الكتفين من الذراعين، والذراعين من العضدين ، والعضدين من الوركين ، والوركين من الفخذين ، والفخذين من الركبتين ، والركبتين من الساقين ، والساقين من القدمين .

ثم بكى عمر ، ثم قال : ألا ان الدنيا بقاؤها قليل ، وغرورها كثير ، وعزيزها ذليل ، وغنيّها فقير ، وشابها يهرم ، وحبُّها يموت . ولا يغرّنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، والمغرور مَن اغترّ بها .

---

(١) نسخة ٢ : لعب .

أين سكانها الذين بنوا مدائنها ، وشقـّوا أنهـارها ، وغرسوا أشجارها ، وأقاموا فيها قليلاً ؟ غرّتهم بصحّتهم فاغترّوا بنشاطهم ، فركبوا المعاصي ، وغفلوا العاصي . إنهم كانوا والله في الدنيـا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع اليه ، محسودين على جمعه مع كثرة التعب عليه . فانظر مـــا صنع التراب بأبدانهم ، والرمل بأجسامهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم .

كانوا في الدنيا على أسرّة ممهدة ، وفرش منضّدة ، بين خدم يخدَمون ، وأهل يكرمون ، وجيران يعضدون . فاذا مررتَ فنادِهم إن كنت منادياً، ومرّ بعسكرهم ، وانظر الى تقارب منازلهم، وَسلْ غنيهم ما لقي من غناه، وَسلْ فقيرهم ما لقي من فقره ، وسل عن الألسن التي كانوا بهـا يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون ، وَسلْهم عن الجلود الرقيقـة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة، ما صنعت بها الديدان : محَت الألوان ، وأكلت اللحوم ، وعفرت الوجوه ، وقبّحت المحاسن ، وكسّرت الفقـار ، وأبانت الأعضاء ومزّقت الأشلاء . وأين حجابهم وقبابهم ؟ وأين خدمهم وعبيدهم ، وجمعهم وكنوزهم ؟ والله ما زوّدهم فراشاً ، ولا وضعوا هناك متكأ ، ولا غرسوا لهم شجراً ، ولا أنزلوهم من اللحد قراراً، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات ؟ أليس النهار والليل عليهم سواء . أليسوا في مدلهمة ظلماء ؟ قد حيل بينهم وبين الأحباء .

فكم من ناعم وناعمة ، أصبحوا ووجوههم بالية ، وأجسامهم من أعناقهم بائنة ، وأوصالهم متمزقة ، وقد سالت الحدقات على الوجنـات ، وامتلأت الأفواه ماءً وصديداً ، ودبّت دوابّ الأرض في اجسادهم وفرقت اعضاءهم ، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً . قد فارقوا الحدائق ، وساروا بعد السعة الى المضايق ، قـد تزوجت نساؤهم ، وترددت في الطرق

أبنـاؤهم ، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم . فمنهم والله الموسّع له في قبره الفضّ الناظر فيه المتنعم فيه بلذته .

يا ساكن القبر غداً ، ما الذي غرّك من الدنيـا ؟ هل تعلم انك تبقى او تبقى لك ؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطّرد ؟ وأين ثمرتك الحاضرة ينعها ؟ وأين رفيق ثيـابك ؟ وأين طيبك ؟ وأين بخورك ؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلاً ، وهو يرشح عرقاً ، ويتلمظ عطشاً ، يتقلب في سكرات الموت وغمراته . جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، وجاء من الأمر الأجل ما لا يمنع منه . هيهات هيهات يا مغمض الوالد ، والأخ ، والولد ، وغاسله ، يا مكفن الميت وحامله،ويا مخلّيه في القبر وراجعاً عنه . ليت شعري كيف أنت على خشونة الثرى ؟ يا ليت شعري بأي خدّيك بـدا البلا ؟ يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموتى . ليت شعري ما الذي يلقاني بـه ملك الموت عند خروجي من الدنيا ؟ وما يأتيني به من رسالة ربي . ثم تمثل فقال :

تسرّ بما تفنى وتشغل بالمُنى ... فما اغتر باللذات في النوم حالمُ
نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلة ... وليلك نومٌ والردى لك لازمُ
وتعمل شيئاً سوف تكره غبّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

ثم انصرف ، فما بقي بعد ذلك إلا جمعة ، ومات رحمه الله . ولنـا من هذا الباب :

شابَ فوْدَيّ وشبّ الأملُ ... ومضى العمْر وجاء الأجَلُ
عسكر الموت لنا منتظرٌ ... فـإذا سرنا اليهم رحلوا
ليت شعري ليت شعري هل دروا ... انـني بعـدهم منتقلُ
في فنون اللهو أفنى طرباً ... غافلاً عمـا اليـه انتقلُ

ولنا في المحاسبة وإضافة الأعمال الى الله تعالى ، إذ لا فاعل إلا هو :

تحاسبهم بما فعلوا ... وما فعلوا الذي فعلوا
وتطلبهم بما عملوا ... وأنت خلقت ما عملوا
فهل تنجيهم حججٌ ... وهل يزكو لهم عملُ
لئن أخذوا بما عملوا ... فاعظم منه ما جهلوا

ولنا أيضاً ، وقد تذكرتُ الأحبة في القبور :

ضمّت لنا آرامُنا الآراما ... فكأن ذاك العيش كان مناما
يا واقفين على القبور تعجبوا ... من قائمين كيف صاروا نياما
تحت التراب موسدين أكفهم ... قد عاينوا الحسنات والآثاما
لا يوقَظون فيخبرون بما رأوا ... لا بد من يوم يكون قياما

ولما سُجن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه، قال في ذلك :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
اذا دخل السجّانُ يوماً لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا وجلُّ حديثنا ... اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسُنت كانت بطيئاً مجيئها ... وإن قبحت لم ننتظر وأتت سعيا

موعظة :

ومما قيل في المحبين :

ألا أحدٌ يدعو لأهل محلةٍ ... مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ... ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

ولما سجن ابن المعتز قال :

تعلمت في السجن نسيج الفتك ... وكنت أمري قبل حبسي ملكْ
وقيدتُ بعد ركوب الجياد ... وما ذاك إلا بدَور الفلكْ
ألم تبصر الطير في جوّه ... يكاد يلابس ذات الحبكْ
اذا أبصرته خطوب الزمان ... أوقعنه في حبال الشرَكْ
فهذاك من حالقٍ قد يُصادْ ... ومن قعر بحرٍ يصاد السمكْ

ولما قُتل ، رحمه الله ، وُجد في البيت الذي قُتل فيه على الأرض مكتوب بخطه :

يا نفسُ صبراً لعل الخير عقباك ... خانتك بعد طويل الأمن دنياكِ
مرّت بنا سحراً طيرٌ فقلت لها ... طوباك يا ليتني إياك طوباكِ

مثل في الوفاء :

يقال: أوفى من فكيهة. وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة كان من وفائها أن السُّليك بن السلكة غزا بكر بن وائل ، وخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا : إن هذا الأثر قدم قد ورد الماء ، فقعدوا له ، فلما وافى حملوا عليه فعدا ، وكان من العدّائيين ففاتهم حتى ولج قبة فكيهة ، فاستجار بها ، فأدخلته تحت درعها ، فانتزعوا خمارها فنادت أخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها .

قال : وكان سليك يقول : كأني أجد خشونة ذلك الموضع على ظهري ، ولم تكن حين أدخلتني تحت درعها . وقال :

لعمر أبيك والأخبار تنمي | لنعم الجارُ أخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح أخاها | ولم ترفع لوالدها ستارا
فما ظلمت فكيهة حين قامت | بنصل السيف وانتزعوا خمارا

وكتب صاحب بريد همدان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه أن كاتب صاحب البريد المعزول أخبره أن صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على إخراج مائتي الف درهم من بيت المال واقتسماها بينهم ، فوقّع المأمون : إنا نرى قبول السعاية شراً من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه ، فأنف الساعي عنك، فإن كان في سعايته صادقاً لقد كان في صدقه لئيماً ، إذ لم يحفظ الحرمة ، ولم يف لصاحبه .

وروينا من حديث نافع ، قال : لقي يحيي بن زكريا عليهما السلام إبليس فقال : أخبرني من أحب الناس اليك ، وأبغضهم اليك ؟ قال : أحب الناس إليّ كل مؤمن بخيل، وأبغض الناس إليّ كل منافق سخي، قال : ولِمَ ذلك ؟ قال : لأن السخاء خلق الله الأعظم ، فأخشى أن يطّلع الله عليه في بعض سخائه فيغفر له .

مثل سائر :

هو أبخل من مادر . وهو رجل من بني هلال بن عمرو ، بلغ من بخله أنه سقى إبله ، فبقي في أسفل الحوض ماء قليل، فسلح فيه ، ومدر الحوض به، فسمّي مادراً .

حكاية :

ذكر أهل الادب أن بني فزارة وبني هلال تنافروا الى انس بن مدركة ،

وتراضوا به يحكم بينهم ، فقالت بنو هلال : يا بني فزارة ، أكلتم أير الحمار . فقالت بنو فزارة : ولم نعرفه . وسبب هـــذا القول ان ثلاثـه اصطحبوا فزاري ، وثعلبي ، وكلبي ، فصادوا حمــار وحش . ومضى الفزاري في بعض حوائجه ، فطبخا وأكلا ، وخبئا للفزاري ذكـَر الحمار . فلما رجع قالا له : خبأنا لك حقك فكل . فأقبــل يأكل ولا يسيغه ، فجعلا يضحكان ، ففطن وأخــــذ السيف وقام اليهما ، وقال : لتأكلا منه ، او لأقتلنكما . فامتنعا ، فضرب احدهما فقتله ، وتناوله الآخر فأكل منه . فقال فيهم الشاعر :

نشدتك يا فزار وأنت شيخ اذا خيرت تحظى في الخيارِ
أصبحانية أدمت بسَمْن أحبُّ اليك أم أير الحمــار
بلى أير الحمــــار وخصيتاه أحبُّ الى فزارة من فزار

فقالت بنو فزارة : يا بني هلال ، منكم مَن سقى إبله ، فلما رويت سلح في الحوض ومدره بخلا به . فنصرهم انس بن مدركة على الهلاليين ، فأخـــذ منهم الفزاريون مائة بعير، وكانوا تراهنوا عليها. وفي بني هلال يقول الشاعر:

لقــد جللت خزياً هلال بن عامر بني عامر ُطرّاً لسلحة مادر

ومن باب الحمــاسة : كان جحدر بن مالك لسِناً شاعراً فاتكاً شجاعاً ، وكان قد آثر على اهل هجر ناحيتها . وبلغ ذلك الحجاج بن يوسف ، فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ، ويأمره بالتجرد عليـه حتى يظفر به . فبعث العامل الى فتية من بني يربوع بن حنظلة، فجعل لهم ُجعلاً عظيماً إن هم قتلوا جحدر ، او أتوا به أسيراً ، ووعدهم ان يوفدهم الى الحجـــاج . فخرج الفتية في طلبه ، حتى اذا كانوا قريباً منه ، بعثوا اليه رجلاً منهم يريه أنهم يريدون الانقطاع اليه والتحزّب به ، فوثق بهم واطمأن اليهم ؛ فبينا هم

على ذلك إذ شدّوه وثاقاً وقدموا به الى العامل، فبعث به معهم الى الحجاج ، وكتب يثني على الفتية . فلما قدموا به على الحجاج ، قال له : أنت جحدر ؟ قال : نعم . قال : ما حملك على ما بلغني عنك ؟ قال : جراءة الجَنان ، وجفوة السلطان ، وكلب الزمان . قال : وما الذي بلغ من أمرك ، فيجترى جَنانك ، ويصلك سلطانك ، ولا يكلبك زمانك ؟ قال : لو بلاني الامير لوجدني من صالح الأعوان ، وأهم الفرسان ، ومن أوفى اهل الزمان . فقال الحجاج : أنا قاذفك في قبة فيها أسد ، فإن قتلك كفانا مؤنتك ، وإن قتلته خلّينا سبيلك ووصلناك . قال : لقد أعطيتَ أصلحك الله الأمنية، وعظمت المنّة ، وقرّبت المحنة . فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن ، وكتب الى عامله بكسكر يأمره ان يصيد له أسداً ضارياً ، فلم يلبث العامل ان بعث له بأسْدٍ ضاريات قد أثرت على اهل تلك الناحية ، ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم ، فجعل واحداً منها وهو عظيمها في تابوت يجرّ على عجلة . فلمـا قدموا به أُلقي في حيز وأُجيع ثلاثاً . ثم بعث الى جحدر ، فأخرج وأُعطي سيفاً ، ودُلّي عليه ، فمشى الى الاسد وأنشأ يقول :

ليثٌ وليثٌ في مجالٍ ضنْكِ ... كلاهما ذو أنَفٍ ومَحْكِ
وصولة في بطشةٍ وفتك ... ان يكشف الله قناع الشك
وأظفرنْ بجُؤجُرٍ ومَبْركِ ... فهو أحقّ منزلاً بترك
الذئب يعوي والغراب يبكي ... وقدرة الله مَزالُ الشكّ

حتى اذا كان منه على قدر رمح تمطى الاسد وزأر وحمل عليه ، فتلقّاه جحدر بالسيف فضرب هامته ضربة فلقها، وسقط الاسد كأنه خيمة قوّضتها الريح ، فانثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الاسد عليه، فكبّر الناس. فقال الحجاج : يا جحدر ، إن أحببتَ ان ألحقك ببلادك وأحسن صحبتك

وجائزتك فعلتُ ذلك بك ، وإن أحببتَ ان تقيم عنـــدنا أقمتَ فأسنينا فريضتك. قال : أختار صحبة الامير. ففرض له ولجماعة أهل بيته . وأنشد جحدر يقول :

يا جمل انك لو رأيتَ سيالقي ... في يوم هيجٍ مُردفٍ وعجاجِ
وتقدمي لليث أرسف نحوه ... عني أكابره عـن الإخراجِ
جهمٌ كأن جبينه لمـا بدا ... طبق الرحا متفجر الاثباج
يرنو بناظرتين يحسبُ فيهما ... من ظنّ خالهما شعاع سراج
شثنٌ براثنه كأن بتونـه ... زرق المعاول ، او سداة زجاج
وكأنما خبطت عليه عباءةٌ ... برقاء او خلق من الديباج
قرنان محتضران قـد ربتهما ... أم المنيّة غير ذات نتـاج
وعلمتُ أني إن أبيتُ نزاله ... إني من الحجاج لست بناج
فمشيت أرفل في الحديد مكبلاً ... بالموت نفسي عند ذاك أناجي
والناسُ منهم شامتٌ وعصابة ... عبراتهم لي بالحلوق شواجي
ففلقت هامته فخرّ كأنه ... أطـمٌ تقوّض مائل الأبراج
ثم انثنيت وفي قميصي شاهدٌ ... مما جرى من شاخب الأوداج
أيقنت أني ذو حفاظٍ ماجدٍ ... من نسل أملاكٍ ذوي أتواج
فلئِنْ قذفت الى المنيّة عامداً ... إني لخيرك بعد ذلك راجي
علـّم النساءُ بأنني لا أنثني ... إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

حدثنا محمد بن قاسم ، قال : سئل بعض السادة عن أول توبته ، قـال : لما تمادت بي المخالفة ، وأسرفت على نفسي إسرافاً أدى بي الى القنوط ، فوقع في قلبي أن الله لا يرحمني لما عظم في قلبي إجرامي ، فأقمت ثلاثـاً لا أذوق طعاماً ، ولا أسيغ شراباً ، وقد جعلت ذنوبي بين عينيْ ؛ فلمـا كانت الليلة

الرابعة رأيت في النوم جارية وبيدها جام من الذهب مكتوب عليه بالنور : (يا هذا اشتد بك الكرب فأين الالجا؟ واذا عظم عليك الخوف فأين الرجا؟) وعلى جبينهـا مكتوب : (يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فوضعت الجام بين يديّ، فأكلت منه طعاماً لا يشبه طعام الدنيا، فوجدت حلاوة الرجا في قلبي ، واستقمت من تلك الليلة على طاعة ربي .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لولا حب الوطن لخرب البلد السوء، فبحب الأوطان عمُرت البلدان) .

قـــال بقراط : (يداوي كل عليل بعقاقير أرضه ، فإن الطبيعة تترع الى غذائها) .

وقال بعض الحكماء : (أطلبوا الرزق في البعد عن الأوطان ، فإنكم إن لم تكسبوا مالاً غنمتم عقلاً كثيراً) .

وقال بعضهم : (لا يألف الوطن إلا ضيق العَطن) .

روينا من حديث الهيثم بن الحسن بن عمارة قـال : قدم شيخ من خزاعة ايام المختار ، فنزل على عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي ، فلما رأى مـا تصنع سوقة المختار بالمختار من الإعظام والإجلال، جعل يقول : (يا عباد الله بالمختار يصنع هذا ، والله لقد رأيته مع الإماء في الحجاز) ، فبلغ ذلك المختار فدعا به ، فقال : ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ قال : أباطيل . فأمر بضرب عنقه ، فقال : لا ، والله لا تقدر على ذلك ، قال : ولِمَ ؟ قال : اما دون أن انظر اليك وقـــد هدمت مدينة دمشق حجراً حجراً ، وقتلت المقاتلة ، وسبيت الذرية ، ثم تصلبني على شجرة على نهر ، والله اني لأعرف الشجرة الساعـة ، وأعرف شاطىء ذلك النهر .

فالتفت المختار الى اصحابه فقال لهم : أما ان الرجل قد عرف الشجرة ، وربما يقول حقاً . فأمر به فحبس حتى اذا كان الليل ، بعث اليه فقال : يا اخا خزاعة ، أومزاح عند القتل ؟ قال : انشدك الله أن أقتل ضياعاً ، قال : وما تطلب هاهنا ؟ قال : اربعة آلاف درهم اقضي بها ديني ، قال : ادفعوها اليه ، وإياك أن تصبح بالكوفة ، فقبضها وخرج .

مثل :

هو أحمق من عجل . وهو عجل بن لجيم . وذلك أنه قيل له : ما سمّيت فرسك ؟ ففقأ عينه ، وقال : سمّيته الأعور .

قال الشاعر :

رمتني بنو عجل بداءِ أبيهم   وأي امرءٍ في الحمق أحمق من عجل
أليس أبوهم غار عين جواده   فصارت به الأمثال تضرب في الجهل

ومن سماعنا في نسيب مهيار حيث يقول :

هبّت بأشواقك نجديةٌ   مطبعة انت لها واجبُ
ما انت يا قلبي وأهل الحمى   وإنما هم أمسك الذاهب
فاردد على الريح أحاديثها   ففي صباها ناقلٌ كاذب
ودون نجد وظباء الحمى   ان تقرح السّنامُ والغارب

السماع في ذلك يقول : يا ايها المحبّ العارف ، هبّت بأشواقك أنفاس متصاعدة تطمع في امر هي دونه ، ألا تراه ؟ قال : ما انت يا قلبي ؟ يقول : انت في مقام التقليب والتلوين ، وأهل الحمى في مقام الثبوت ، وهما ضدّان فلا يجتمعان كما لا يرجع أمس ابداً . وقد نبّه على كذب الاحوال بما ذكر عن

الريح بسبب الباعث لهبوبها . ثم قال : ودون نجد الذي هو النظر الأعلى ، وظباء الحمى : الارواح العلوية ، تقرح : أي ، تدمي الخف والسنام من طول السير ، وحمل الاثقال ، شبّهها بالإبل ، ثم لا وصول ، يقول : انهـا موهوبة لا مكسوبة ، فلا تعمل لها .

موعظة عطاء بن ابي رباح لعبد الملك بمكة :

حدثنا محمد بن اسماعيل ، ثنا عبد الرحمن بن علي ، انا عبـد الوهاب ، انا جعفر بن احمد ، انا عبد العزيز الضرّاب ، أخبرني أبي ، ثنا احمد بن مروان، ثنا ابراهيم بن اسحاق الحربي ، ثنـا الرياشي ، قال : سمعت الاصمعي يقول : دخـل عطاء بن ابي رباح على عبـد الملك وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن ، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته ، فلما بصر به قام اليه وأجلسه معه على السرير ، وقعد بين يديه ، وقال له : يا ابا محمـد ، مـا حاجتك ؟ قال : يا امير المؤمنين ، اتق الله في حرم الله ، ورسوله ، فتعاهده بالعمارة . واتق الله في أولاد المهاجرين، والانصار، فانك بهم جلست هذا المجلس . واتق الله في اهل الثغور ، فانهم حصن المسلمين ، وتفقد امور المسلمين ، فانك وحدك المسؤول عنه . واتق الله فيمن على بابك ، ولا تغفل عنهم ، ولا تغلق دونهم بابك . فقـال له : أفعل . ثم نهض فقبض عليـه عبدالملك فقال: يا ابا محمد، سألتنا حوائج غيرك فقد قضيناها ، فما حاجتك ؟ فقال : ما لي الى مخلوق من حاجة، ثم خرج . فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ، هذا وأبيك السؤدد .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ما حدثناهُ عبـد الله بن الاستاذ المروزي ، قال : قال بعض المريدين : رأيت ابا مدين ، وأبا حـامد ، وأبا

طالب ، وأبا يزيد ، وجماعة من الصوفية ؛ فقــال ابو يزيد لأبي مدين : تكلم لنا في شيء من التوحيد . فقال : التوحيد هو الحق ، واليه الملجأ لأهله، وبه النجاة . هو السر الخفي ، به ظهرت الأسرار ، وهو الشمس المشرقة ، ومنه ينابيع الانوار . وهو قطب العـــارفين ، وهو الدليل ، ومبرىء الأسقام ، وشفـاء كل عليل . هو الظاهر ، فما سواه حجابه ، فمن كان ذا بصر جاوز أبوابه، كشف له عن ملكه ، فعاين سلطانه ، وغيّبه به عنه، فعظّم شأنه . فبين العارف وبين ربه سر وقر في صدره ، وحكم بمدّه بهـا من غيبه ، فهي غذاؤه وشرابه، مظهر له حقيقة التوحيد ولبابه ، امتاز بها عن سائر الخلق، فواصلته وأجلسته في حضرة الحق، أختصه بالعلوم الأزلية العجيبة . فحقيقته من الحق دانية قريبة، بلا حركة من معنى الى معنى، ولا انتقال ، ولا ماضٍ، ولا مستقبل ، ولا حال . هو بسر العـارف مكشوف ، أمدّه به من خفيّ سرّه ، فسرّه من سره معروف . فجمـلة المحسوسات عـدم وهباً . فحقّق ببصيرتك تنظر عجباً ، تجد القـائم في كل الخطرات واللحظات مشاهد ، إذ هي أغطية يُستر بهـا إذ هو في الوجود واحد . فالمعرفة في حق كل مصنوع وضعه ، فكل مفترق هو أصله وجمعـه . بذلك شهدت الظواهر على غيبها ، فهو المبدىء لكل شيء والمعيـد ، والفعّال في ملكه يفعل ما يريد . فجملة هـذه العلوم عرفها العارفون ، وجهلها الأكثرون ، وعلم تأويلها الراسخون ، وما يعقلها إلا العالمون .

وروينا من حديث الهاشمي ، قال : قال رسول الله ﷺ : ايها النـاس ، بسط الأمل مقدّم على حلول الأجل ، والمعـــاد مضمار العمل ، فمغتبط بما احتقب ، غانم ، ومبتئس بما فاته من العمل ، نادم .

ايها الناس ، ان الطمع فقر ، واليأس غنى ، والقنـــاعة راحة ، والعزلة

عبادة ، والعمل كنز ، والدنيا معدن . والله ما يسرّني ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بردي هذا ، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء . وكل الى نفاد وشيك ، وزوال قريب ، فبادروا وانتم في مهل الانفاس ، وجدّة الاحلاس ، قبل ان يؤخذ بالكظم ، ولا يغني الندم .

عمرة ابي بكر الصديق في خلافته رضي الله عنه :

حدثنا محمد بن اسماعيل، عن عبد الرحمن بن علي، عن محمد بن عبد الباقي، عن ابي محمد الجوهري ، عن ابن حبوَيَة ، عن ابي الحسن بن معروف ، عن الحسين بن الفهم ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أشياخه ، قالوا : اعتمر ابوبكر الصديق رضي الله عنه في خلافته، في رجب سنة اثنتي عشرة، فدخل مكة ضحوة ، فأتى منزله وأبوه ابو قحافة جالس على باب داره ، فقيل له : هذا ابنك ، فنهض قائماً ، وعجل ابو بكر أن ينيخ راحلته ، فنزل عنها وهي قائمة ، فجعل ابو بكر يقول : يا أبت لا تقم ، ثم التزمه ، فقبّل ابو بكر بين عيني أبيه . فأخذ الشيخ يبكي فرحاً بقدومه ، وجاء ممن سمع به ممن هناك من الصحابة ، مثل عتاب بن أسيد ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن ابي جهل ، والحارث بن هشام ، فسلموا عليه : سلام عليك يا خليفة رسول الله ، فجعل ابو بكر عندما سمع ذكر رسول الله ﷺ يبكي، وأبكى القوم ، وتجدد عليه الحزن لرسول الله ﷺ ، فقال ابو قحافة : يا عتيق ، هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم ، فقال ابو بكر : يا أبت ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لقد طوقني الله أمراً عظيماً لا قوة لي به ولا يد إلا بالله . ثم دخل فاغتسل وخرج وتبعه أصحابه فنحاهم ، ولقيه الناس يعزّونه برسول الله ﷺ وهو يبكي حتى انتهى الى البيت ، فاضطبع واستلم، وطاف سبعاً ، وركع ركعتين ، ثم رجع الى منزله . فلما كانت صلاة الظهر

خرج فطاف بالبيت ، ثم جلس قريباً من دار الندوة ، فقال : هل من احد يشتكي من ظلامة ، او يطلب حقاً ؟ فما أتاه احد ، وأثنى الناس على واليهم خيراً . ثم صلى العصر وجلس ، فردفه الناس ثم خرج راجعاً الى المدينة .

وبالإسناد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، دخل في بعض حججه على نافع بن الحـــارث يعوده ، فوجده قريب عهد بعرس وفي بيته ستر من آدم مزيّن بسيور، فأخذه عمر فشقه، وقال : لِمَ لا تستروا بيوتكم بهذه المسوح، فهي أوفى وألين وأحمل للغبار ؟

وأذن له ابو محذورة بصوت شديد ، فقال : يا أبا محذورة ، أما خشيت أن تنشقّ مريطاؤك ؟ قـــال : اني احببت أن أسمعك صوتي . ثم مرّ عمر بأبي سفيان بن حرب ، فرأى أحجاراً قد بناها ابو سفيان كالدكان في وجـه داره يجلس عليها بالغداة ، فقال عمر : لا ، أرجعنّ من وجهي هـــذا حتى تقلعه وترفعه . فلما رجع عمر وجده على حاله ، فقال : ألم أقل لك اقلعه ؟ قال : انتظرت أن يأتينا بعض أهل مهنتنا ، فقال : عزمت عليك لتقلعـه بيدك ، وتنقله على عاتقك ، فلم يراجعه وفعل ذلك . فقـال عمر : الحمد لله الذي أعزّ الاسلامَ رجل من عُديّ يأمر أبا سفيان سيد بني عبـــد مناف بمكة فيطيعه .

وبالاسناد قال محمد بن سعد : حدثنا يزيد بن هارون ، ثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب ، أن عمر لمـا أفاض من منى أناخ بالأبطح فكوّم كومة من بطحاء فطرح عليهـــا طرف ثوبه ، ثم استلقى عليهـــا ، ورفع يده الى السماء وقال : أللهمّ كبرت سني ، وضعفت قوّتي، وانتشرت رعيّتي، فاقبضني اليك غير مضيّع ولا مفرّط . فلما قدم المدينة خطب الناس . قـال سعيد : فما انسلخ ذو الحجة حتى طعِنَ رضي الله عنه وأرضاه .

ذكر حجج الخلفاء الأربع في زمان خلافتهم :

أما ابو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، فاستعمل على الناس في الحج عمر بن الخطاب سنة احدى عشرة ، واعتمر في رجب ، وحجّ بالنــاس سنة اثنتي عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنــه ، فاستعمل أول سنة وليّ على الحج عبد الرحمن بن عوف ، فحجّ بالناس ، ثم لم يزل عمر يحج بالنــاس في خلافته كلها ، فحجّ بهم عشر سنين، وحجّ بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجّها. قــال ابن عباس : حججت مع عمر احدى عشرة حجة ، واعتمر في خلافته ثلاث مرات . وقالت عائشة رضي الله عنها : لما كانت آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين مررت بالمحصّب ، فسمعت رجلاً على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين ؟ وسمعت رجلاً آخر يقول : ها هنا قد كان، فأناخ راحلته ورفع عقيرته ، وقال :

عليك سلام من إمــام وباركت　　يد الله في ذاك الأديم الممزّق
فمن يسعَ او يركب جناحيْ نعامة　　ليدرك ما قدّمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها　　بوايق في أكمامهــا لم تفتق

قالت عائشة: فلم ندرِ ذاك الراكب مَن هو؟ فكنا نتحدث انه من الجن، قالت : فقدم عمر من تلك الحجة ، فطعن فمات .

وقد ذكرنا هذا الشعر في هذا الكتاب أكمل من هذا من حديث احمد بن عبد الله .

وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه :

فانه لما وّلي أمّر عبد الرحمن بن عوف على الحج ، سنة اربع وعشرين ، وحجّ عثمان سنة خمس وعشرين ، ثم لم يزل يحج الى سنة اربع وثلاثين ، ثم حصر في داره ، وحجّ بالناس عبد الله بن عباس . قال ابن سيرين : وكان عثمان أعلم الناس بالمناسك ، وبعده ابن عمر .

وأما علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

فحج كثيراً قبل ولايته الخلافة . وأما ولايته ، فانه وّلي الخلافة اربع سنين وتسعة اشهر وأياماً ؛ وكانت ولايته بعد انقضاء الحج في سنة خمس وثلاثين ، لأن عثمان ُقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة من هذه السنة . وكانت وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ، وحج بالناس ايضاً عبد الله ابن عباس . واشتغل علي رضي الله عنه بتلك الامور ، فحج بالناس سنة ثمان وثمانين قثم بن عباس . ثم اصطلح الناس في سنة تسع وثلاثين على شيبة بن عثمان ، فأقام لهم الحج . ثم قتل علي رضي الله عنه سنة اربعين .

ولنا في المحلات ، وهي ست آلات ، وانما ُسمّيت محلات لأن من كانت معه حلّ حيث شاء :

ان المحلات ستّ فاسمعنّ لها الزند والدلو والسكين والفأس
والقدر والزق لا تبغي بها عوضاً فحيث ما كنّ كان الناس والبأس

ولنا في أصناف المياه ونعوتها ، وأصناف الشرب :

ماء فرات نقاح سلسل شبمٌ سلاسلٌ وزلال نشرُه َعطِرُ
تسري الحياة به في كل ذي شبح النبت والحيوان الكلّ والبشر

ومـا سواه من الأمواه ليس له ... هـذي النعوت فما في نعته نكر
مثل الأجاج وماج مالح لغة ... فريدة وشريب طعمه خصَر
كذا الشروب وملحٌ والزعاق له ... على القعاع مقامٌ ليس يستتر
أمـا النميرُ فنعتٌ لا يخصّ به ... صنف فذاك الذي ينمى به الشجر
فهذه خمسة من بعـد عاشرةٍ ... من اللغات لهـا في نفسها سُوَر
والنشج والنضج ثم النقعُ والبغر ... ونغبة بعدها لفظ هو النجرُ

تفسيره : فالنشج والنضج . هو الشرب دون الريّ . والنقـع : الريّ . والبغر والنجر : ان يكثر الشرب فلا يروى . والنغبـة : الجرعة من الماء . وكل ما تضمنه البيت الاول هو العذب الطيب ، والشبم : البـارد . والسلسل والسلاسل: السهل الدخول في الحلق. والشريب: الذي فيه شيء من العذوبة. والشروب : دونه، وهو الذي يُشرب عند الضرورة. والأجاج : الماء المالح ، وهو ايضاً : الماج ، والقعاع ، والزعاق : فيه مرارة .

ولنا في أسماء العطش :

الصدا والأوام ثم غليلُ ... ووغيم ولوحة العطش
وكذاك الجواد مهلكة ... فاذا مـا ارتويت تنتعش

ولنا في أسماء الخيل في السباق :

قالوا المجلّى أول ثم المصلّى بعده ... ثم المسلى ثالث والتال طرف رابع
والخامس المرتاح ثم عاطف سادسهم ... ثم الحظى بعده وهو الجواد السابع
والثـامن المؤمّل ثم اللطيم تاسع ... سكيتهم عاشرهم أهلّة طوالع
فشكلهم آخرهم فلا يُعـدّ فيهم ... ان المجلّى اوّلٌ فتسعة توابع

المحفوظ عن العرب : السابق ، ثم المصلى ، والسكيب الذي هو العاشر ، والسابق هو الاول ، وهو المجلى والمبرز ايضاً . وسائر ما ذكر من الأسماء ، فان بعض الحفّاظ من اهل اللغة قال : أراها محدثة ، والله أعلم .

وروينا من حديث عمرو بن بحر الجاحظ قال : ثنـا سنان بن الحسن التستري، عن اسماعيل بن فهران العسكري، عن أبان بن عثمان، عن عكرمة، عن ابن عباس ، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، قال : لما أُمر رسول الله ﷺ ان يعرض نفسه على القبائل ، خرج وأنا معه ، وابو بكر، وكان ابو بكر عالماً بأنساب العرب ، فوقفنـا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة ، فتقـدم ابو بكر ، فسلّم عليهم ، فردّوا عليه السلام ، فقال : ممن القوم ؟ فقالوا : من ربيعة . قال : أمِن هاماتها أم من لهازمها ؟ قالوا : بل من هاماتها العظمى . قال : وأيّ هاماتها ؟ قالوا : ذهل . قال : أذهل الأكبر أم ذهل الأصغر ؟ قالوا : بل الأكبر. قال : أفمنكم عوف الذي كان يقال : لا حرّ بوادي عوف ؟ قالوا : لا . قال : أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتمي الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : أفمنكم جساس بن مُرّة حامي الزمار ومانع الجـار ؟ قالوا : لا . قال : أفمنكم المزدلف صاحب صاحب الغمام ؟ قالوا : لا . قال : أفأنتم أخوال الملوك من كنـدة ؟ قالوا : لا . قال : أفأنتم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا . قـال : فلستم من ذهل الاكبر ، إذ أنتم من ذهل الاصغر .

فقام اليه اعرابي غلام حين بقل وجهه ، فأخذ بزمام ناقته ، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته يسمع مخاطبته ؛ فقال لنـا : على مَن سألنا ان نسأله ، والعبء لا تعرفه او تحمله. يا هذا ، انك سألتنا أي مسألة شئت فلم نكتمك، فأخبرنا مَن انت : قال ابو بكر : من قريش . قال : بخٍ بخٍ أهل الشرف

والرياسة ، فأخبرني من أي قريش انت ؟ قال : من بني تيم بن مُرّة . قال : أمنكم قصيّ بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر ، فكان يقال له مجمعاً ؟ قال ابو بكر : لا . قال : أفمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر :

عمرو الذي[1] هشم الثريدَ لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

قال ابو بكر : لا . قال : أفمنكم شيبة الحمد ، الذي كان وجهه يضيء في الليلة الظلماء الداجية مطعم الطير؟ قال : لا . قال : أفمن المفيضين بالبأس انت ؟ قال : لا . قال : أفمن اهل الرفادة انت ؟ قال : لا . قال : أفمن اهل السقاية انت ؟ قال : لا . قال : أفمن اهل الحجابة انت ؟ قال : لا . قال : أما والله لو شئتُ لأخبرتك أنك لست من أشراف قريش . فاجتذب ابو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب ، فقال الاعرابي :

صادف درءُ السيل درءٌ يدفعه يرفعه طوراً وطوراً يضعه

فتبسم رسول الله ﷺ . قال علي : فقلت : يا ابا بكر ، لقد وقعتَ من هذا الاعرابي على باقعة . قال : أجل يا ابا الحسن ، ما من طامّة إلا وفوقها طامّة ، وأن البلاء موكل بالمنطق .

سأل عليّ بن ابي طالب رسولَ الله ﷺ : ما أفضل الصلاة ؟ قال : ما حضرت فيها القلوب، وذرفت فيها العيون ، وخلصت فيها النيات ، وفاضت فيها العبرات .

---

(١) نسخة ٢ : العلا .

وبكى الحسن البشري يوماً في حلقته ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : لأني أرى قوماً قد أمروا بالزاد ، ونُودِيَ فيهم بالرحيل ، وحُبس أولهم على آخرهم وهم قُعود يلعبون .

وأنشدني محمد بن عبد الواحد لبعضهم :

قالوا تقدّم فقلتُ الخوف أخّرني وقبح فعلي وزلّاتي ومجترمي
بأيّ وجهٍ اذا ما جئتُ أرفعه وقد تمرّنتُ بالتوبيخ والندمِ
وكيف أنقلُ أقداماً عصَيْتُ بها الى محل العُلا في القدس والعظم
الى الذي جاد بالإحسان مبتدئاً ومَنَّ بالفضل والآلاء والنِّعَم
وكلُّ جارحةٍ لي غيرُ طاهرةٍ لا ماء وجهي ولاجسمي ولا قدمي
قالوا فدونك من أبواب رحمته ومنتهى العفو والإحسان والكرم
فقلتُ وجهي من الزلّات محتشمٌ ولستُ أملك وجهاً غيرَ محتشِمِ

وقال بعض الأولياء : الفكرة نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والسعيد مَن وُعظ بغيره .

شعر :

إني لأذكر مولاي وأشكره في كل وقتٍ وفي داجٍ من الظلمِ
فكم له نعمَةٌ في كل جارحةٍ ضاقت لكثرتها عن شكرها هممي
فرضٌ على كل عبدٍ شكرَ خالقه فيما أفاض من الأنعام والكرم

أوحى الله الى داود عليه السلام : يا داود ، اعرفني واعرف قدر نفسك. ففكّر ساعة ، ثم قال : إلهي عرفتك بالأحدية، والقدرة ، والبقاء ؛ وعرفتُ نفسي بالعجز ، والضعف ، والفناء .

قال السريّ : اطلب حيــاة قلبك بمجالسة أهل الذكر ، واستجلب نور القلب بدوام الحزن ، والتمس تعجيل الانتقــال ، وإياك والتسويف ، ونافس الأبرار في إقامة الفرض ، ونافس المقربين في اخلاص النوافل ، واترك فضول الحلال ، واطلب حلاوة المناجاة بفراغ القلب ، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، وأكثر من الحسنات الحديثات للسيئات القديمات ، واستبقِ الحسنات بترك التبعات ، وسارع في الخيرات ، واحذر ما يوجب العقوبات .

وروينا من حديث ابن ودعان ، قال : أخبرنا ابو نصر احمد بن الخليل ، عن علي بن ابي القاسم ، عن عبد الله بن جعفر ، عن محمد بن الحسن العبدي ، عن أبيه ، قال : حدثنا ابو سلمة موسى بن اسماعيل ، عن حمــاد بن سلمة ، عن حميد وثابت جميعاً ، عن انس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله ، وان تحمدهم على رزق الله، وان تذمّهم على ما لم يؤتك الله ، ان رزق الله لا يجدّه حرص حريص ، ولا يرده كراهة كاره، وان الله تبارك وتعالى بحكمته جعل الروح والفرح فيالرضا واليقين ، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط ، إنك لن تدع شيئاً تقرّباً الى الله إلا أجزل لك الثواب عليه . فاجعل همّتك وسعيك لآخرة لا ينفـذ فيها ثواب المرضي عنه ، ولا ينقطع فيها عقاب المسخوط عليه .

وروينا من حديث الخطابي ، قال : حدثنا ابن داسة ، حدثنا ابو داود ، ثنا عمرو بن مروان ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الأشعث بن سليمان ، عن ابي بردة ، عن ثعلبــة بن ضبيعة ، قال : دخلنا على حذيفة قال : اني لا أعرف رجلاً لا تضرّه الفتن شيئاً . قال : فخرجنا فاذا فسطاط مضروب ، فدخلنا فاذا فيه محمد بن مسلمة ، فسألناه عن ذلك فقــال : ما اريد ان أستمل على شيء من أمصارهم حتى تنجلي عما انجلت .

روينا من حديث ابن الخطاب ، قال : حدثنا ابن الاعرابي ، عن ابي سعيد ، عن يحيى بن سعيد القطّان ، عن محمد بن مهران بن مسلم بن المثنى ، قال : أخبرني مسلم ، قال : كنا مع عبد الله بن الزبير ، والحجاج محاصره ، فكان ابن عمر يصلي مع ابن الزبير ، فاذا فاتته الصلاة معه ، وسمع مؤذن الحجاج ، انطلق فصلى معه ، فقيل له : تصلي مع ابن الزبير ومع الحجاج ؟ قال : اذا دعونا الى الله أجبناهم ، واذا دعونا الى السلطان تركناهم . وكان ينهى ابن الزبير عن طلب الخلافة والتعرض لها . اه . المجلس .

خبر الضبّ الذي آمن برسول الله ﷺ :

روينا من حديث ابي نعيم ، عن سليمان بن احمد إملاءً وقراءة ، عن محمد ابن علي بن الوليد السلمي البصري من كتابه ، عن محمد بن الاعلى الصنعاني ، عن معتمر بن سليمان ، عن كهمس بن الحسن ، عن داود بن ابي هند ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله بن عمر ، عن ابيه رضي الله عنه ، قال : ان رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه ، إذ جاء اعرابي من بني سُليم قد أصاب ضبّاً ، وجعله في كمه ليذهب به الى رحله ليأكله ، فقال : على مَن هذه الجماعة ؟ فقالوا : على هذا الرجل الذي يزعم انه نبي . فشقّ الناس ، ثم أقبل على النبي ﷺ ، فقال : يا محمد ، ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك ، ولا أبغض لك مني ، ولولا ان يسمّوني قومي عَجولاً ، لعجلت عليك فقتلتك ، فسَررْتُ بقتلك الناس جميعاً . قال عمر بن الخطاب ، يا رسول الله ، دعني أقتله . فقال رسول الله ﷺ : يا عمر ، أما علمتَ أن الحليم كاد ان يكون نبياً ؟ ثم أقبل على رسول الله ﷺ ، فقال : واللات والعُزّى لا آمنتُ بك . فقال رسول الله ﷺ : يا اعرابي ، ما حملك على الذي قلتَ ، وما قلت وقلت غير الحق ، ولم تكرم مجلسي ؟ فقال : وتكلمني

ايضـاً ، استخفافاً برسول الله ﷺ ، واللات والعزّى ، لا آمنتُ بك ، او يؤمن بك هذا الضبّ ؛ فأخرج الضب من كمّه وطرحه بين يديْ رسول الله ﷺ ، وقال : إن آمنَ بك هذا الضب آمنت بك . فقال رسول الله ﷺ : يا ضبّ ، تكلمْ بإذن الله ، فتكلم الضب بلسان عربي مبـين ، يفهمه القوم جميعـاً : لبّيك وسعديك يا رسول رب العالمين . فقـال رسول الله ﷺ : يا ضب ، مَن تعبد ؟ قال : الذي في السماء عرشه ، وفي الارض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النـار عذابه . قال : فمن انا يا ضب ؟ قال : انت رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، قد أفلح مَن صدّقك ، وقد خاب مَن كذّبك . فقـال الاعرابي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله حقاً. والله لقد أتيتك وما على وجه الارض احد أبغض إليّ منك، والله لأنت الساعة أحبُّ إليّ من نفسي ، ومن ولدي ، وقـد آمنتُ بك بشعري ، وبشري ، وداخلي ، وخارجي ، وسرّي ، وعلانيتي . فقـال له النبي ﷺ : الحمد لله الذي هداك الى هـذا الدين الذي يعلو ولا يُعلى عليه ، لا يقبله الله إلا بصلاة ، ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن . فعلّمه رسول الله ﷺ الفاتحة والاخلاص . وقال لرسول الله ﷺ : مـا سمعتُ في البسيط ولا في الرجز أحسن من هذا . فقال رسول الله ﷺ : ان هذا كلام رب العالمين ، وليس بشعر ، فاذا قرأتَ : قل هو الله أحد ، فكأنما قرأتَ ثلث القرآن ، واذا قرأتها مرتين ، فكأنما قرأتَ ثلثيْ القرآن ، واذا قرأتها ثلاث مرات ، فكأنما قرأتَ القرآن كله . فقال الاعرابي : نِعْمَ الإله إلهنا ، يقبل اليسير ، ويعطي الجزيل . ثم قـال رسول الله ﷺ : أعطوا الاعرابي ، فأعطوه حتى أبطروه . فقام عبد الرحمن بن عوف ، فقـال : يا رسول الله ، اني أريد ان أعطيه ناقة أتقرّب بها الى الله دون البختي وفوق العرابي، وهي عشراء تلحق

ولا تُلحَق ، أهديتَ إليّ يوم تبوك . فقال له رسول الله ﷺ : قد وصفتَ ما تعطي ، فأصف لك ما يعطيك الله جزاء . قـال : نعم . قال : لك ناقة من دُرّة جوفاء ، قوائمهـا من زبرجد أخضر ، وعنقها من زبرجد أصفر ، عليهـا هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق ، تمرّ بك الى الصراط كالبرق الخاطف .

فخرج الاعرابي من عنـد رسول الله ﷺ ، فلقيه ألف اعرابي على ألف دابة ، وألف رمح ، وألف سيف ، فقـــال لهم : أين تريدون ؟ فقالوا : نقاتل هذا الذي يكذب ويزعم انه نبي . فقال الاعرابي : اني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمـداً رسول الله . فقالوا له : صبَوْتَ . فقال : صبوتُ ، وحدّثهم الحديث . فقـــالوا بأجمعهم : نشهد أن لا إله إلا الله ، ونشهد أن محمدا رسول الله. فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فتلقـّاهم بلا رداء، فنزلوا على ركبهم يقبّلون يديه ، وما ولـّوا منه إلا وهم يقولون : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . فقالوا : مُرنا بأمر تحبه يا رسول الله . قال : تكونون تحت راية خالد ابن الوليد . قال : فليس أحد من العرب آمن منهم ألف رجل إلا هؤلاء من بني سُليم .

دلالات التائبين :

روينا من حديث ابن مروان ، عن عبد الرحمن بن مرزوق ، عن عبد الله ابن بكر السهميّ ، قال : قال بعض العبّاد : علامة التوبة الخروج من الجهل، والندم على الذنب ، والتجافي عن الشهوات ، واعتقاد مقت نفسك المسئولة ، وإخراج المظلمة ، وإصلاح الكسرة والشهوة ، وترك الكذب ، وقطع الغيبة، والإنتهاء عن اخدان السوء ، والاشتغال بما عليك ، والاستعداد لمـــا تنقلب

اليه ، والبكاء على ما سلف من عمرك ، وترك ما لا يعنيك، والخوف من ساعة تأتيك فيها رسل ربك لقبض روحك ، والتفجّع والحزن من ليلة تبيتُ في قبرك وحدك بين أطباق الثرى الى يوم المعاد .

ومما قيل في الحنين الى الأوطان للشريف الرضيّ :

لا يذكر الرمل إلا حنّ مُغترب ... له بـذي الرمل أوطارٌ وأوطان
تهفو الى البان من قلبي نوازعه ... وما بي البان بل من دارهُ البان
أسُدُّ سمعي اذا غنّى الحمامُ به ... أنْ لا يهيجَ سرُّ الوَجْد إعلان
ورُبّ دارٍ أولّيها مجانبَـة ... ولي الى الدار أطرابٌ وأشجانُ
اذا تلفت في أطلالها ابتدرت ... للعين والقلب أمواهٌ ونيرانُ

ومن قول الشريف الرضيّ في الاشتياق :

خذي نفسي يا ريحُ من جانب الحمى ... فلاقي بها ليلاً نسيم رُبا نجدِ
فإنّ بذاك الحيّ حبّاً عهدته ... وبالرغم مني أن يطول به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الهوى ... بذكر تلاقينا قضيت منَ الوجْدِ
ويـا صاحبيّ اليومَ عوجا لتسألا ... ركيباً من الغورين أينقهم تحدي
عن الحيّ بالجرعاء جرعاءَ مالكٍ ... هل ارتبعوا واخضرّ واديهم بعدي
شممتُ بنجد شيمةً حاجريّةً ... فأمطرتها دمعي وأفرشتها خدّي
ذكرتُ بها ريّا الحبيب على النوى ... وهيهات ذا يا بعدُ بينهما عندي
وإني لمجلوبٌ لي الشوق كلما ... تنفس شاكٍ ، أو تألم ذو وجدِ
تعرّض رسل الشوق والركب جاهدٌ ... فأيقظني من بين نوّامهم وحدي
فما شرب العشاق إلا بقيّتي ... ولا وردوا في الحبّ إلا على وردي

قال بعض العارفين : إن كانت الحاجة الى النـاس فالكسب أولى ، ومن لم ير غير الله ، ولم يخطر له الناس ببال ، ففي أي مقـام أقيم فهو ذاك وهو حال عزيز .

قال بعض الحكماء: بذل الحيلة في طلب الحلال . وقلة الحوايج الى الناس أفضل العبادة .

رويناه من حديث ابن مروان عن عباس بن محمـد بن الجمحي ، عن محمـد ابن سلام .

ومن الأمثال في السعي على العيال ما رويناه من حديث المالكي ، عن علي ابن الحسن ، عن أبيه ، قال : قال لي البناجي : قال بعض العبّاد : إن مثل الرجل لولده ولعياله مثل الدخنة الطيبة تحترق ويلتذ بطيب رائحتها آخرون.

ومن أحوال الدنيا ما رويناه من حديث الدينوري، عن احمد بن الحسن، عن سعيد الجرمي ، قال : قال ابن السماك لجعفر بن يحيى : إن الله عز وجل ملأ الدنيا باللذات ، وحشاهـا بالآفات ، فمزج حلالها بالموبقات ، وحرامها بالتبعات .

حكمة علوية :

أحسن الدنيا ، أقبحها عند من يبصرها ، يعني بعين عقله ، وذلك انهـا تشغل عما هو أحسن منها ، يعني الآخرة، واكتساب الخلق الفاضلة . رويناه من حديث احمد بن مروان بن ابراهيم ، عن نصر ، عن محمـد بن سلام ، عن بعض الحكماء .

ومن باب حنين الإبل وسيَرها ، قول ابي منصور بن الفضل المؤدب :

تزاورن من أذرعاتٍ يميناً نواشز ليس يطعن البرينـــا
كلفن بنجد كأن الرياض اخذن لنجد عليهـــا يمينا
وأقسمن يحملن إلا نحيـلا اليـــه ويبلغن الآخرينـا
ولما استمعن زفير المشوق ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بآنـة الواديين فأرخو النسوع وخلّـوا الوضينا

وقال ايضاً في هذا الباب :

لأي مرمىً تزجر الأيانقا إن جاوزت نجداً فلست عاشقا
وإنما كان بكائي حادياً ركبُ الغرام وزفيري سائقا

ومن هذا الباب لأبي جعفر البياضي :

نوق تراهـــا كالسّفين اذا رأيت الآل بحرا
كتب النحرُ (١) بدمائهـا في مهرق البيـــداء سطرا
فكأن أرجلهن تطلب عنـــد أيديهنّ وترا
يحملن من أهل الهوى شعثاً على الأكوار غبرا
لاح الهجـــير وجوههم فأحال منهـــا البيض سمرا

ولإبن الخفاجي من هذا الباب :

امتيحتُها فضل الأزمة شمّرٌ فمع النسيم تحية من عَرعَرِ
يا بانتي اضم ومن دين الهوى بثّ السؤال لكل من لم يخبرِ
أعلمتا قلبي أقـــام مكانه أم سار في طلب الصباح المسفرِ

---

(١) نسخه الوحي .

وله أيضاً :

دعوهـا نناضل بالأذرع فـأين العواصمُ من لعلعِ
وقودوا أزمتها بالحنين فلولا الصبابـة لم تلبعِ

وروينا عن الإمـام ابي الفرج ابن الجوزيّ الحافظ كتابة لنفسه في هذا الباب :

وحرمة شعثٍ على كل نضرٍ براهنّ من ألم ما براني
اذا ذكرتَها حُداةُ الهوى قطعن البر اقطع وجدي عنانِ
تطايرن والشوق يدني مني وكل المنى عند ذاك المكانِ
فلما علون فويق الكثيب تراءين ذاك البريق اليماني

وله ايضاً من قصيدة في هذا الباب :

لا وشعث فارقوا أوطانهم يستلينون الطريق الأوعرا
كلما غنّى بهـم حاديهم أخذت عيسُهم تغري البُرا
أعسفتْ في سيرها إذ طربَتْ أمنيً ذكّرها والأجفرا
وافقت مَن حملتْ في شوقهم فتناست بالهوى طول السُّرى

خبر فيميون وعبادته وما جرى له :

روينا من حديث ابن اسحاق ، عن المغيرة بن ابي لبيد مولى الاحنف[(١)]، عن وهب بن منبّه اليماني انه حدّثهم ، ان موقع دين النصرانية بنجران ، ان رجلا من بقايا اهل دين عيسى بن مريم عليه السلام ، يقال له فيميون ، وكان صالحاً زاهـداً مجتهداً ورعاً ، مُجاب الدعوة ، سائحاً نائحاً ينزل القرى ، لا

(١) نسخة ٢ : الأخنس أو الأخفش .

يعرف بقرية إلا خرج منها الى قرية ، لا يعرف بها . وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان بنّاء يعمل الطين، وكان يعظّم الأحد اذا كان يوم الأحد، لا يعمل فيه شيئاً ، وخرج الى فلاة من الارض فصلّى فيها حتى يمسي. قال : وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ، ففطن بشأنه رجل من أهلها يقال له صالح ، فأحبّه صالح حباً لم يحبه شيئاً كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون ، حتى خرج مرة يوم الاحد الى فلاة من الارض ، كما كان يصنع ، وقد تبعه صالح ، وفيميون لا يدري به ، فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه لا يحب ان يعلم بمكانه . وقام فيميون يصلي ، فبينا هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين : الحية ذات الرؤوس السبعة ، فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ؛ ورآها صالح ولم يدرِ ما أصابها فخافها عليه ، فعيل عوله ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ؛ فلم يلتفت اليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى ، فانصرف وعرف انه قد عُرِف ، وعرف صالح انه قد رأى مكانه ، فقال له : يا فيميون ، تعلم والله اني ما أحببت شيئا قط حبك ، وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت . قال : ما شئت امري كما ترى ، فإن علمتَ انك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح . وقد كاد اهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان اذا فاجاه العبد به الضرّ دعا له فشفي ، واذا دعا لأحد به ضرٌ لم يأته .

وكان لرجل من اهل القرية ابن ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : انه لا يأتي أحداً دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالاجرة . فعمد الرجل الى ابنه ذلك ، فوضعه في حجرته ، وألقى عليه ثوباً ، ثم جاءه فقال : يا فيميون ، اني قد أردت ان أعمل في بيتي عملا ، فانطلق معي حتى تنظر اليه فأشارطك عليه . فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له :

ما تريد ان تعمل في بيتك هـذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم كشط الثوب عن الصبي ، وقال : يا فيميون ، عبدٌ من عباد الله أصابه ما ترى، فادعُ الله له، فدعا له فيميون ، فقام الصبي ليس به بأس، وعرف فيميون انه قد عُرِف . فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشي في بعض أرض الشام ، إذ مرَّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : أفيميون ؟ قال : نعم . قال : مـا زلت أنظر وأقول متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت انك هو ، لا تبرح حتى تقوم عليَّ ، فاني ميت الآن . قال : فمات وقام عليه حتى واراه .

ثم انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدّوا عليهما ، فاختطفتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران . وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد كل سنة، اذا كان ذلك العيد ، علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلّي النساء ، ثم خرجوا اليها ، فعكفوا عليها يوماً . فابتـاع فيميون رجل من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخر. فكان فيميون اذا قام من الليل في بيته يصلي، أسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيـده ، فأعجبه ما رأى منه ، فسأله عن دينه فأخبره ، وقال له فيميون : انما انتم في باطل ، ان هـذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ، فلو دعوت عليها إلهي الذي أعبد أهلكها ، وهو الله وحده لا شريك له. فقال له سيده : فافعل، فانك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقـام فيميون ، فتطهّر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عز وجل عليها ، فأرسل ريحاً ، فجعفتها من أصلها فألقتها . فاتبعه عنـد ذلك اهل نجران على دينه ، فحملهم على

الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام قوله : فجعفتها قلعتها ، وقوله : عيل عوله ، يقال : عال الأمر اذا أثقل . وعليه قول الفرزدق :

ترى الغرّ الجحاجح من قريش اذا ما الأمر في الحدثان عالا

فمعنى عيل عوله أي غلب غلبةً ، وقهرت شدته وجلده .

ومن وقائع بعض اصحاب شيخنا ابي مَدين شعيب بن الحسن رضي الله عنه ما حدثنا به ابو محمد عبدالله بن الاستاذ صاحبنا، وهو من سادات القوم، قال بعض المريدين : رأيت في واقعتي الشيخ أبا مدين ، والشيوخ قد أحدقوا بـه يسألونه عن المعرفة ، فقـال لهم : اذا تلاشت المعرفة بالمعروف صحت المعرفة ، ثم قالوا له : صف لنا سرّك ، فقال لهم : اسمعوا ولنفسي أسمع :

يا سرُّ سرّي وجهر جهري يا نور نوري وحياة أمري
يا قلبَ قلبي وبحر فكري ومن به الفلك في البحر يجري
فأنت تكسو وأنت تعْري

قال عبد الله صاحب الواقعة : ثم أصابتني في واقعتي شبه السنَة، فرأيت أبا مدين ، والأشياخ ، كما كانوا ، فقالوا له : زدنا ، فقال لهم : انكم تحسبون أني أغيبه ، ثم سكت ، فإذا جملة من الديكة مجتمعون فتطاول واحد منهم وهو يبكي بحنين وتطويل ، فقال له ابو مدين : قل ، فنطق بلسان فصيح : إنكم تحسبون أني أغيبه ، المطبوع في البيت هو فيـه ؛ فقال له الشيخ : اين هو؟ فقال : هو فيه ، فأخذته حالة وهو يقول : هو فيه ، فبهت الحاضرون وتحيروا .

أنشدنا ابن الاعرابي :

سقى الله حياً بين ضاوة[1] والحمى ... حمىً فيه صوب المدجنات الواطر
امين وادّ الله ركباً اليهم ... بخير ووقاهم صروف المقادر

ولمهيار الديلمي في الشيب :

أسفتُ لحلم كان لي يوم بارقٍ ... فأخرجه جهل الصبابة عن بعدي
ومازلت أبكي منذ حلّت بحاجرٍ ... قوى جلدي حتى تداعى تجلدي
تحرّس بإحقاف اللوا عمر ساعةٍ ... ولولا مكان الريب قلت له ازددِ
وقل صاحبٌ لي ضلّ بألبان قلبه ... لعلك أن يلقاكَ هادٍ فيهتدي
فسلّم على ماءٍ بــه برد غلتي ... وظل أراك كان للوصل موعدي
وقل لحمــام البانتين مهنئاً ... تغني خلياً من غرامٍ وغرّدِ
فيا أهل نجد كيف بالغور بعدكم ... بقــاء تهاميّ يهيم بمنجــدِ
ملكتم عزيزاً رقه فتعطّفوا ... على منكر لــلذل لم يتعودِ

وله أيضاً من هذا الباب :

يا ليلتي بحــاجرٍ ... إن عاد ماضٍ فارجعي
أرضى بأخبار الريا ... ح والــبروق اللمعِ
وأين من برق الحمى ... شائمــةٌ بلعلعِ

وله ايضاً من هذا الباب :

أودع فؤادي حرقاً أودع ... ذاتك تؤذي أنت في أضلعي
وارم سهام الطرف ، او كفها ... انتَ بما ترمي مصابٌ معي
موقعها القلب وأنت الذي ... مسكنه بذاكَ الموضعِ

---

(١) نسخة ٢ : ضارة .

ومن ثمرات المحبة عند أهلها ما حدثني بـه عبد الرحمن ، عن ابي بكر ، عن الجيري ، عن ابن باكويه ، عن ابراهيم بن محمد المالكي ، عن يوسف بن احمد البغدادي ، عن ابن ابي الحواري ، قال : حججت أنا وأبو سليمان الداراني . فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة مـني ، وكان بردٌ عظيم ، فأخبرت أبا سليمان ، فقال : سلم وصلّ على محمد ، وقل ، يا رادّ الضالة ، ويا هادياً من الضلالة ، ردّ الضالة ، فإذا بواحد ينادي : من ذهبت له سطيحة ، فأخذتها منه ، فقال لي ابو سليمان : لا تتركنا بلا مـاء . فبينا نحن نسير اذا برجل عليه طمران ، أي ثوبان خلقان رثان ، ونحن قد تدرعنا بالفراء من شدة البرد ، وهو يرشح عرقاً ، فقال له ابو سليمان : ألا نؤثرك ببعض ما معنا ؟ فقـال الرجل : يا داراني الحر والبرد ، خلقان لله عز وجل ، إن أمرهما أن يغشياني أصاباني ، وإن أمرهما ، أن يتركاني تركاني ، يا داراني ، تصف الزهد ، وتخاف من البرد ، أنا شيخٌ أسيح في هذه البرّية منذ ثلاثين سنة ما انتقضتُ ولا ارتعدتُ . يلبسني في البرد فيحـاً من محبته ، ويلبسني في الصيف برد محبته . ثم ولّى ، وهو يقول : يا داراني ، تبكي وتصيح وتستريح على الترويح . فكان ابو سليمان يقول : لم يعرفني غيره .

قلت : كنت أطلب بيت المقدس ، فدخل عليّ شاب كالعود ، عليه أثر السياحة ، وأنا بمسجد بظاهر بيسان ، وكان صاحبي عبد الرحمن بن عـلي اللواتي يعمل لي شغلاً بين يديّ ، فدنا منا ، وأخذ السكين من يد عبدالرحمن ، فأصلح به نعلاً كان له ، ثم قال لي : تكون فقيراً وتمشي بعدة ، فقلت له : يا فقير ، تراك قد احتجت اليها ، فلو كانت ، ما يضرك ؟ فقال لي : لمـا احتجت وجدتك ، فأصلحت شأني ، وأراحني الله من حملهـا ، فكن مثلي واتركها ، فإذا احتجت اليها وجدت حاجتك عند مثلك ، وتكون بينهـا

سالم الحال مع الله . ثم خرج مسرعاً ، فطلبته فلم أره حتى الآن . سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، استغفرك وأتوب اليك.

موعظة الفضيل بن عياض لأمير المؤمنين هارون الرشيد بمكة زادها الله شرفاً :

روينـا من حديث ابي نعيم ، عن سليمان بن احمد ، عن محمد بن زكريا العلائي ، عن ابي عمر النحوي ، عن الفضل بن الربيع ، قال : حج هارون الرشيد، فأتاني، فخرجت مسرعاً ، فقلت : يا امير المؤمنين ، لو أرسلت إليّ لأتيتك ، فقال : ويحك قد حاك في نفسي شيء ، فانظر لي رجلاً أسأله . فقلت : ها هنا سفيان بن عيينة . قال : إمض بنا اليه ، فأتيناه ، فقرعت الباب ، فقال : مَن ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إليّ لأتيتك ، فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله ، فحدثه ساعة ، ثم قال : عليك دين ؟ قال : نعم ، قال : إقض دينه . فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله . فقلت له : هاهنا عبد الرزاق ، فذكر مثل ما جرى له مع سفيان. وقال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله . فقلت : هاهنا الفضيل بن عياض ، قال : إمض بنا اليه ، فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها ، قال : إقرع الباب ، فقرعت ، فقال : مَن ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، قال : وما لي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله ، أما عليك طاعته ؟ فنزل ففتح الباب ، ثم ارتقى الى الغرفة ، ثم أطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كف هارون الرشيد قبلي اليه ، فقال : يا لها من كف ما ألينها، إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل . فقلت في نفسي : ليكلمنا الليلة كلاماً من

قلب نقي ، فقال له : خذ لمـــا جئناك له رحمك الله ، فقال له : ان عمر ابن عبد العزيز لما وّلي الخلافة دعى سالم بن عبد الله،ومحمد بن كعب القرظيّ، ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : اني قد ابتليت بهذا البلاء ، فأشيروا عـليّ ، فعَدّ الخلافة بلاء ، وعددتها أنت وأصحابك نعمة . فقال له سالم بن عبدالله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصُم عن الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت.

وقـــال محمد بن كعبان : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوقر أباك، واكرم أخاك ، وتحنن على ولدك .

وقال رجـاء بن حيوة : إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إن شئت . فـإني اقول لك : يا هارون الرشيد ، إني اخاف عليك أشد الخوف يوم تزلّ فيـه الأقدام، فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه ، فقلت له : أرفق بأمير المؤمنين ، فقال : تقتله أنت وأصحابك ، وأرفق به أنا ، ثم أفاق فقال له : زدني رحمك الله ، فقـال : يا امير المؤمنين ، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى اليـه ، فكتب اليه : يا أخي اذكـّرك طول سهر اهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله عز وجل،فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : مـا أقدمك ؟ قـال : خلعت قلبي بكتابك ، لا أعود الى ولاية حتى ألقى الله ، قال : فبكى هارون بكاء شديداً ، ثم قال : زدني رحمك الله ، فقـــال : يا امير المؤمنين ، إن العباس عم المصطفى ﷺ ، جاء الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أمّرني على إمارة ، فقال له : إن الإمارة حسرة وندامة يوم

القيامة ، فإن استطعت أن لا تكون اميراً فافعل ، فبكى هارون ، وقال : زدني رحمك الله ، قال : يا حسن الوجه ، أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح او تمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فإن النبي ﷺ قال : من أصبح عنده غش لم يرح رائحة الجنة ، فبكى هارون ، وقال له: عليك دين ؟ قال : نعم ، لربي ، لم يحاسبني عليه ، والويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم إلهم حجتي ، قال : إنما أعني من دين العباد ، قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، وقد قال الله عز وجل : إن الله هو الرازق ، فقال له : هذه الف دينار، خذها وانفقها على عيالك ، وتقوّى بها على عبادتك ، فقال : سبحان الله ، أنا أدلك على طريق النجاة ، وأنت تكافئني بمثل هذا ، سلّمك الله ووفقك . ثم صمت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب قال لي هارون : إذ أدللتني على رجل فدلّني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين . فدخلت عليه امرأة من نسائه ، فقالت : يا هذا ما ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ؟ فلو قبلت هذا المال لفرّجت به عنا ، فقال لها : مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه ، فأكلوا لحمه . فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يأخذ المال ، فلما علم الفضيل بنا خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس الى جانبه ، فجعل يكلمه ولا يجيبه . فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء ، فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف رحمك الله .

وروينا من حديث ابن ودعان ، عن ظاهر بن محمد بن يوسف بن علي ابن وسيم ، عن جعفر بن ابراهيم ، عن عبد الكريم بن الهيثم ، عن ابي اليمان،

عن شعيب ، عن ابي زياد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن ابي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : إنما يوقى الناس من احدى ثلاث : إمـا من شبهة في الدين ارتكبوها ، او شهوة لذة آثروها ، او غضبة لحمية أعملوها ، فـإذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين ، وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزهد ، واذا عرضت لكم غضبة فادرؤها بالعفو ، إنه ينادي مناد يوم القيـامة : من له أجرٌ على الله فليقم ، فيقومون العافون عن الناس ، ألم تر الى قوله تعالى: فمن عفا وأصلح فأجره على الله .

ومن سماعنا على قول الرضيّ بالنفس :

أما علم الغادون والقلب خلفهم بضمّ زفير يصدع القلب ضمّه
بأن وميض البرق ما لا أشيمه وإن نسيم الروض مـا لا أشمّه

ومن سماعنا على قوله ايضاً بالنفس :

ولما أبى الإظعان إلا فراقنا وللبين وعدٌ ليس فيه كذابُ
رجعت ودمعي جازعٌ من تجلدي يروم نزولاً للجوى فيهـابُ
وأثقل محمول على العين ماؤها اذا بان أحبابٌ وعزّ إياب

وعلى قوله في التوديع ايضاً بالنفس :

وإني اذا اصطكت ركاب مطيّكم وثوّر حـادٍ بالرفاق عجولُ
أخالف بين الراحتين على الحشى وأنظر إني ملتمٍ فـأميل

ومن وقائع بعض الفقراء ، ما حدثنا به ابو محمـد عبد الله بن الاستاذ المروزيّ بإشبيلية، قال : قال لي بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين، وأبا حامد ، وأبا طالب ، وأبا يزيد ، وخلقاً كثيراً من الصوفية ، فقـال

أبو يزيد لأبي مدين: زدنا من كلامك في التوحيد، فقال : التوحيد هو الحق ، ومنوّر القلب ، ومحرّك الظواهر ، وعلام الغيوب ، نظر العارفون فتاهوا إذ لم يعمّر قلوبهم إلا هو، فهم به والهون، قلوبهم تسرح في رضاه في الحضرة العليّة ، وأسرارهم ممـــا سواه فارغة خليّة ، جالت اسرارهم في الملكوت فلاحظوا عظمته ، وتجلى لقلوبهم فأنطقهم حكمته ، فهو للعارف ضياء ونور ، وقد أشغله به عن الجنة والقصور، آنسه به فهو جليسه ، وأفناه عنه فتلاشى كثيفه ، فامتزج المعني بالمعنى ، فكان هو . ذهبت الرسوم ، وفنيت العلوم ، ولم يبق إذ ذاك إلا الحي القيوم ، وهو معنى المعاني ، والحي الباقي ، وكشف سرّ العارف مـــاذا يلاقي من البر والإحسان ، ولذة النظر ، وغيبته عن الأغيار وعن جملة البشر ، تنزّه عن تنزيه فنزّهه به ، وفني عن الاكوان بمشاهدة ربه ، فعـدا عن الاسماء ، وسما عن الصفات ، واضمحلت كليته في مشاهدة الذات .

هذه علوم، وهذه أسرار يكاشف بها من هو لها مختار، فينبتها فيالوجود، فيظهر مـــا عنده ويحيي بها القلوب ، وينجز له وعده ، فيرويها الحق بالماء الصافي ، ويعالج علـّتها بالعلم الشافي، فيبري بها من الاسقام، ومن جملة العلل، ويصلحها ويعلـّمها من الاسرار ما لم تكن تعلم؛ فعلم العارف موصول المعرفة، فيظهر له الحق فيألف لمألوفه . فاستمع لهـذه العلوم ، واصغ ِ اليها بقلبك ، فكلٌّ مَن عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

ومن باب البلاغة :

يحكى عن يحيى بن خالد ، أنه وصف الفضل بن سهل وهو غلام على دين المجوسية للرشيد ، وذكر أدبه وحسن معرفته ، فعمل على ضمّه الى المأمون ،

فقال ليحيى يوماً : أدخِل إليّ هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه . فأوصله، فلما مثل بين يديه ووقف ، تحيّر ، فأراد الكلام فارتجّ عليه ، فأدركته كبوة . فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة ، لما كان يقدّم من إفراط ثنائه عليه ، فانبعث الفضل بن سهل ، فقال : يا امير المؤمنين ، ان من أبين الدلالة على فراهة المملوك شدّة إفراط هيبته لسيده ، فقال له الرشيد : أحسنت ، والله إن كان سكوتك لتقول هذا ، إنه لحسن ، وإن كان شيء أدركك عند انقطاعك ، انه لأحسن ، او حسن . ثم جعل لا يسأله عن شيء إلا رآه فيه فقدّماً ، فضمّه الى المأمون .

حدثني ابو عبد الله بن عبد الجليل ، قال : مرّ الحجاج بن يوسف بشخص من عماله كان قد صلبه ، فوجد عند خشبته صبياً صغيراً ، فاستنطقه الحجاج فقال له : يا صبي ، ما تقول في هذا الراكب ؟ فقال : ايها الامير ، هو زرع نعمتك ، وحصيد نقمتك . فسأل عن الغلام ، فوجده ابن ذلك المصلوب ، فقرّبه وأقعده مقعد أبيه .

وحدثنا ايضاً : عن الاصمعي ، قال : لقيت بالبادية صبياً لم يدرك الحلم ، فاستنطقته فوجدته بليغاً فصيحاً ، فاستخبرته هل عنده شيء من عَرَض الدنيا ، فقال : يا عم، والله ما أملك اليوم درهماً واحداً . قال : فقلت له: تودّ ان تكون لك مائة الف وتكون أحمق ؟ فقال له : لا والله يا عم . قلت : ولمَ ؟ قال : أخاف ان يجني عليّ حمقي جناية تذهب بمالي ، ويبقى عليّ حمقي .

وحدثنا ايضاً من هذا الباب ، قال : كان الرشيد يميل لعبد الله المأمون اكثر من ميله الى محمد الامين ، فقالت زبيدة ، وهي امّ الامين : يا امير المؤمنين ، انك تميل الى المأمون اكثر من ميلك الى ولدي الامين . فقال لها :

مـا انا حيث ظننتِ ، ولكني تفرّست في النجابة اكثر من الامين . قالت : فأحِبُّ من امير المؤمنين ، ان يختبرهما بحضرتي .

قال : فبعث خلف الامين اولاً ، فقال له : يا محمد ، إني جلست هـذا المقام ، وآليت على نفسي لا يسألني منكم احد شيئاً إلا أعطيته مـا سأل : فقـال : أسألك كلب بني فلان ، وبازي بني فلان ، فكلبٌ مشهور ، وبازي مشهور. فقال له : لك ذلك ، ثم انصرف. فاستدعى المأمون ، فوقف بباب الستر ، فأذن له ، فدخل وسلّم ، فقـال له : أُدنُ فدنا ، وخدم ووقف ، فما زال يقول : ادنُ وهو يدنو ويخدم ، الى ان وقف بين يديه، فأمره بزيادة الدنوّ ، فقال له : يا امير المؤمنين ، هـذا مقام العبد من مولاه . فقال : يا بنيّ ، إني جلست هذا المقام، وآليت على نفسي لا يسألني احد منكم على شيء إلا أعطيته ما سأل . قال : فأطرق واغرورقت عيناه بالدموع ، وقال له : يا امير المؤمنين ، أسألك في الخلافة بعدك ، وأرجو الله ان لا يذيقني فقدك . فقال : انصرف .

وحدثنـا ايضاً ، قال : مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بغلمان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففرّ الصبيان خوفاً من عمر إلا عبد الله بن الزبير. فقـال له عمر : يا عبد الله ، لِمَ لم تفرّ كما فرّ اصحابك ؟ فقـال : يا امير المؤمنين، لم أكن على ريبة فأخافك، ولم أكن في الطريق الضيّق فأوسّع لك.

موعظة :

حدّثنا صاحبنا ايضاً ابو عبد الله بن عبد الجليل بمكة قـال : يُحكى أن ملكاً من ملوك اليونانيين انتبه من منامه في بعض الغدوات فاتته قيّمة ملبسه بثيابه فلبسها ، وناولته المرآة فرأى شيبة في لحيته فقال : المقراض يا جارية

فأتته به ، فقصّ الشيبة وناولها إياها ، فتناولتها ووضعتها في كفها وأصغت اليها بأذنها ساعة والملك ينظر اليها، فقال لها: ما الذي تصغين اليه يا جارية ؟ قالت : أستمع الى ما تقول هـذه الشعرة التي عظم مصابها بمفارقة الكرامة العظمى حين سخطها الملك وأقصاها . فقال لها : فما الذي سمعت من قولها ؟ قالت: زعم قلبي أنه سمعها تقول كلاماً لا يجتري لساني على النطق به لاتقائي سطوة الملك . فقال لها : قولي على حال آمنةٍ وعدم توقّ مـا لزمت أسلوب الحكمة . قالت : إنها تقول : أيها الملك المسلّط على أمرٍ قصير ، اني ظننت بك البطش والاعتداء عليّ ، فلم اظهر على سطح جسدك حتى بضت وحضنت بيضي ، فأفرخت وأعهدت لبنـــاتي بالأخذ بثأري عهداً اذ كأنهنّ خرجن فجعلن للأخذ بثأري باستئصالك او تنغيص لذتك وتنحيف قوّتك حتى تعدّ الهلك راحة . فقال : اكتبي كلامك هذا ، فكتبته في صحيفة فناولته إياها. فتأملها مراراً ، ثم قام ودخل بيت النسّاك ولبس زيّ النسك ، وترك الملك حتى لحق بربه .

وأنشدني في هذا المعنى صاحبنا علي بن محمد القفصيّ :

ونافرة بالشيب حلّتْ بعارضي فبادرتها بالنتف خوفاً من الحتفِ
فقالت على ضعفي استطلت ووحدتي رويدك للجيش الذي جاء من خلفي

ومن هذا الباب ما حدثنا ايضاً به صاحبنا ابو عبدالله قال: دخلت حرقة بنت ابي قابوس النعمان بن المنذر بن مـــاء السماء على سعد بن ابي وقاص وهو بالقادسية اذ ذاك مع جمـلة من جواريها وعليهن المسوح السود والصلبان صلت البنود، فسلمن عليه ، فلم يُميز حرقة من بين جواريها لمشاركتها إياهن في الزيّ وكنّ رواهب ، فقال سعد : أفيكنّ حرقة ؟ فقالت : هـا أناذه ، فقال : انت حرقة ، فقالت : فما تكرارك استفهامي ، اعلم ايها الامير أن الدنيا

دار قلعة وزوال ، فما تدوم على حال ، تنتقل بأهلها انتقال ، وتعقبهم حالاً بعد حال ، وإنا كنا ملوك هذه الارض ، يُجبى الينـــا خراجها ، ويطيعنا أهلها ، فدنى مدى المدة ، وزوال الدولة ، فلما أدبر الامر ، وصاح بنـــا صائح الدهر ، فصدع عصانا ، وشتت ملانا ، وكذا الدهر يا سعد ، إنه ليس من قوم أتحفهم بفرحة إلا أعقبهم بقرحة ، وأنشدت :

بينا نسوسُ الناسَ والامرُ أمرُنا   اذا نحنُ فيهمْ سوقة نتنصّفُ
فـأفّ لدنيا لا يدوم نعيمَها   تقلّب تاراتٍ بنـا وتصرّفُ

قـال : فبينما هي تخاطب سعداً رضي الله عنــه اذ دخل عمرو بن معدي كرب، فقال : انت حرقة التي كانت تفرش لك الارض من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن بالوشي ؟ قالت : نعم ، قال لهـا : ما الذي دهمك ، وأذهب محمود شيمك، وغوّر ينابيع نعمك ، وقطع سطوات نقمك ؟ قالت : يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك بالعبد المملوك ، وتخفض ذا الرفعة ، وتذلّ ذا النعمة . وان هذا امر كنا ننتظره ، فلما حل بنا لم ننكره، فسألها سعد : فيما ذا قصدت له ؟ فاستوصلته، فوصلها وقضى حوائجها،فلما انفصلت عنه سئلت ماذا لقيتِ منه ؟ فأنشدت تقول :

صان لي ذمّتي وأكرم وجهي   إنمـــا يكرم الكريمَ الكريمُ

وحدثنا ايضاً قال : قال الاصمعيّ : بينما أطوف بالبيت اذ بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تنشد وتقول :

يا ربّ إنك ذو أمن ومغفرةٍ   دارِكْ بعفوكَ أرواحَ المحبّينا
الذاكرين الهوى ليلا اذا هجعوا   والنـائمين على الأيدي مكبّينا
يا ربّ كن لهمُ عوناً اذا ظُلِموا   واعطفْ بقلب الذي يهوون آمينا

قال : فقلت : يا جارية ، أفي هذا المقـــام ، وحول هذا البيت الحرام تذكرين الهوى؟ قالت : أوتعرف الهوى ؟ قلت : وأنتِ تعرفينه ؟ قالت : بليت به صغيرة ، وأحطت به خبراً كبيرة . قلت : صفيه لي . قالت: جلّ أن يخفى ، ودق أن يرى ، فهو كامن ككمون النـار في الحجر ، إن قدحته أورى ، وإن تركته توارى . قـــال الأصمعي : فما سمعت من وصفه بمثل ما وصفته .

وحدثنا محمـد بن سعيد رحمه الله ، قال : قال وهب بن ناجية الرصافي : كنت أحد من وقعت عليه التهمة في مال مصر أيام الواثق ، فطلبني السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت عليّ الرصافة وغيرها ، فخرجت الى البـادية مرتاداً رجلاً عزيز الدار، منيع الجـار ، أعوذ به ، وأنزل عليه ، فبينما أنا أسير إذ رأيت خياماً ، فعدلت اليهـا ، فملت الى بيت منها مضروب وبفنائه رمح مركوز، وفرس مربوط، فدنوت فسلمت ، فردّ عليّ نساء من وراء السجف ، وقالت لي إحداهن : اطمئن يا حضريّ فنعم منـــاخ الضيفان بواك القدر ومهدك السفر. قلت: وأنى يطمئن المطلوب، او يأمن المرغوب، من دون أن يأوي الى جبل يعصمه ، او مأمن ، او مفزع يمنعه ، وقليلا مـــا ينجع من السلطان طالبه والخوف غالبه . قالت : لقد ترجم لسانك عن ذنب عظيم ، وقلب صغير، وإيم الله لقد حللت بفناء رجل لا يضام بفنائه أحد، ولا يجوع بساحته كبد ، هـــذا الاسود بن قنان ، أخواله كعب ، وأعمامه شيبان ، صعلوك الحي في ماله ، وسيدهم في حاله ، وسندهم في فعاله ، صدوق الجوار ، وقود النار ، وبهذا وصفته إمامة بنت خزرج حيث تقول :

اذا شئتَ أن تلقى فتىً لو وزنتَه بكل معَديّ وكل يمـــاني
وفا بها فضلاً وجوداً وسؤدداً وربّاً فذاك الاسود بن قنان
فتىّ لا يرى في ساحة الأرض مثله ليوم ضرابٍ او ليوم طعان

قال : فقلت : يا جارية وأنى لي بـه ؟ فقالت : يا خادم ، مولاك ، فلم تلبث ان جاءت وهو معها في جماعة من قومه ، وقال : أي المنعمين علينـا أنت ؟ فسبقتني المرأة وقالت : يا أبا المرهف ، هذا رجل بنت به أوطانه ، وأزعجه زمانه ، وأوحشه سلطانه ، وقد ضمنّا له ما يضمن لمثله على مثلك. قال : بل الله قاك ، أشهدكم يا بني عمي ، أن هـذا الرجل في جواري وفي ذمتي ، فمن آذاه فقد آذاني، ومن كاده فقد كادني ، وأمر ببيت فضرب الى جانبه . وقال : هـذا بيتك وأنا جارك وهؤلاء رجالك . فلم أزل بينهم في خفض عيش حتى سرت عنهم .

أنشدني يونس بن يحيى ، قـال : أنشدني ابو الفتوح محمد بن محمد بن عـلي ابن محمد الطائي ، قال : أنشدني ابو حفص عمر بن محمد الشيرازي ، قـال : أنشدني القاضي ابو علي الحسن بن علي بن محمد الوحشي ، قال : أنشدنا الفضل ابن احمد الحصيني لبعضهم :

أتلعبُ بالدعـاء وتزدريهِ   وما يدريك ما فعل الدُّعاءُ
سهام الليل لا تخطي ولكن   لها أمدٌ وللأمـد انقضاءُ

وحدثني يونس بن يحيى ، قال : أنبأنا محمد بن محمـد ، قال : انا ابو بكر محمد بن منصور السمعاني ، قـال : أخبرنا ابو منصور احمد بن الحسين بن علي العموري ، حدثنا ابو سعيد عبد الرحمن بن حمدان البصري ، انا بشر بن احمد المهرجاني ، انا ابو جعفر احمـد بن الحسن الحذّا ، انا بعض اصحابنا ، عن عبد الأعلى بن حماد البُوسيّ ، قال : دخلت على المتوكل فقال : يا ابا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فقد أفـَعَتِ الأيام، فقلت: يا امير المؤمنين سمعت مسلم ابن خالد المكي ، يقول : من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة ، ثم قلت : أفلا أنشدك بيتين قالهما بعض الشعراء ؟ قال : ما هما ؟ فأنشدته :

لأشكرنك معروفاً هممت به ... إن اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألومك إن لم يمضه قدرٌ ... فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

قال : فاستحسنها وكتبها بيده من إعجابه لها ، وأمر لي بجائزة .

روينا من حديث الهاشمي بسنده الى ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : أكثر واذكر هازم اللذات ، فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم فرضيتم به فأجرتم ، وإن ذكرتموه في غنىً بغّضه اليكم فجدتم به فأثبتم ان ذكر الموت قاطع الآمال ، والليالي مدنيات الآجال ، وإن المرء بين يومين : يوم قد مضى احصى فيه عمله فختم عليه ، ويوم قد بقي لا يدري لعله لا يصل اليه ، وان العبد عند خروج نفسه ، وحلول رمسه ، يرى جزاء ما أسلف ، وقلة غناء ما أخلف ؛ ولعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه .

لما قرأنا هذا الحديث على شيخنا الإمام اللغوي الاديب ابي ذرّ مصعب بن محمد بن مسعود الخشني ، ثم الحياني ، قال لنا : هاذم اللذات بالمعجمة ، وقال : معناه قاطع ، هكذا رواه لنا .

موعظة بعض الصالحين لعبد الملك :

روينا من حديث ابن مروان ، عن ابراهيم الحربي ، عن الرياشي ، عن الاصمعي ، قال : خطب عبد الملك بن مروان بمكة ، لما حجّ يوماً ، فلما صار الى موضع العظة ، قام اليه رجل فقال : مهلاً ، انكم تأمرون ولا تؤمرون ، وتنهوْن ولا تنهوْن ، أفنقتدي بسيرتكم في انفسكم ، أم نطيع أمركم بألسنتكم ؟ فإن قلتم اقتدوا بسيرتنا ، فأين وكيف وما الحجة ؟ وكيف الاقتداء بسيرة

الظلمـــة ؟ وإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحنا ، فكيف ينصح غيره مَن يغشّ نفسه ؟ وإن قلتم خـذوا الحكمة من حيث وجدتموها ، فعلامَ قلّدناكم ازمّة امورنا ؟ أما علمتم أن فينا مَن هو أفصح منكم بفنون العِظات،وأعرَف بوجوه اللغـــات ؟ فتلجلجوا عنها ، وإلا فأطلقوا عقـالها يبتدر اليها الذين شردتموهم في البلدان . ان لكل قائم يوماً لا يعدوه ، وكتاباً بعـده يتلوه ، لا يغـــادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

روينا من حديث ابن الخطاب ، قال : قال محمد بن احمد بن عمر الزيبقي ، ثنا محمد بن سليمان الفرار ، عن ابي بكر الحنفي ، عن بكر بن مسمار ، قال : سمعت عامر بن سعد بن ابي وقّاص ، قال : كان سعد بن ابي وقاص في إبل وغنم ، فأتاه ابنه عمر ، فلما رآه قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب . فلما انتهى اليه قال: يا أبتِ أرضيتَ ان تكون اعرابياً في إبلك وغنمك،والناس يتنازعون الملك ؟ قال: فضرب سعدٌ صدرَ عمرَ بيده وقال : اسكت يا بني، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي .

وحدثنـا بعض شيوخنا من أهل الادب والتاريخ ، رحمه الله ، في بعض مجالسه، وكان حسن المناظرة، قال : لما كان من أمر عبد الرحمن بن الاشعث الكندي مـا كان ، قال الحجاج : اطلبوا لي شهاب بن خرقة السعدي ، في الأسرى او في القتلى ، فطلبوه فوجدوه في الأسرى. فلما دخل على الحجاج ، قال له: مَن انت ؟ قال : انا شهاب بن حرقة. قال : والله لأقتلنك . قال : لم يكن الامير بالذي يقتلني . قـال : ولمَ ويلك ؟ قـال : لأن فيَّ خصالاً لا يرغب فيهنَّ إلا امير . قال : ومـا هنَّ ؟ قال : ضروب بالصحفة ، هزوم للكتيبة ، أحمي الجار ، وأذبُّ عن الدمار ، وأجود في العسر واليسر ، غير

بطيء عن النصر . قال الحجاج : ما أحسن هـــذه الخصال . فأخبرني بأشد شيء مرّ عليك . قال : نعم ، أصلح الله الامير .

شعر :

بينـــا أنا أسيرُ ... ومركبي يسيرُ
في عصبة من قومي ... في ليلتي ويومي

يمضون كالأجادل ... في الحرب كالبواسل
أنا المطاع فيهمُ ... في كل مـا يليهم

فسرت خمساً عوْما ... وبعـد خمس يومـا
حتى وردت أرضا ... ما قد ترام عرضا

من بـــلد البحرين ... عنـد طلوع العـين
فجئتهم نهـارا ... ألتمس المغـارا

حتى اذا كان السحَر ... من بعد ما غاب القمر
اذا انا بعِير ... بقوهـا حقير

موفورة متـاعا ... مقبـــلة سراعا
فصُلْتُ بالسِّنان ... مع سادة فتيـان

فسُقتها جميعـا ... أحثّها سريعا
اريد رمل عـالج ... أنهج بالمنـاعج

أسيرُ في الليـــالي ... خرقاً بعيـداً خالي
وقد لقينـا تعبـا ... وبعـد ذاك نصَبا

حتى اذا هبطنـــا من بعـد ما علونا
عنتْ لنـا سدانه قد كان فيها عانه

فرمتُها بقوسي في مهمهٍ كالترسِ
حتى اذا مـا أمعنت في القفر ثم درمت

وردت قصراً منهلا في جوفه طام خلا
وعنـده خبيمة في جوفهـا نعيْمة

غريرة كالشمسِ فاقت جميع الإنسِ
نعجتُ مهري عنـدها حتى وقفت معها

حيّيتُ ثم ردّتْ في لطفٍ وحيّتْ
فقلتُ يا لعوب والطفـلة العروب

هل عنـدكم قراء إذ نحن بالعراء
قالت نعم برُحب في لطف وقرب

اربع هنـــا عتيدا ولا تكن بعيـــدا
حتى يجيك عـامر مثل الهلال الزاهر

فعجتُ عن قريب في باطن الكثيب
حتى رأيت عـامرا يحمـل ليثاً حادرا

على عتيق سابحِ كمثل طرف اللامحِ

قال : وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً ، ثم قال : ويحك دعني من السجع والرجز وخذ في الحديث، قال : نعم ايها الامير، ثم نزل فربط فرسه

وجمع حجارة ، وأوقد عليها ناراً ، وشقّ عن بطن الاسد ، وألقى مراقه في النار، وجعلتُ اصلح الله الامير اسمع للحم الاسد تشديداً، فقالت له نعيمة : قد جاءنا ضيف وأنت في الصيد ، قال : فما فعل ؟ فقالت : هاهو ذاك بظهر الخيمة ، فأومت إليّ فأتيتها ، فإذا انا بغلام أمرد كأن وجهه دائرة القمر ، فربط فرسي الى جنب فرسه ، ودعـــاني الى طعامه فلم أمتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع ، فأكلت انا ونعيمة منه بعضه ، وأتى الغلام على آخره ، ثم مال الى زقّ فيه خمر فشرب وسقاني ، فشربت ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره . فبينما نحن كذلك إذ سمعنا وقع حوافر خيل اصحـابي ، فقمت وركبت فرسي ، وتناولت رمحي ، وسرت معهم ، ثم قلت : يا غلام خلّ عن الجارية ولك ما سواها ، فقال : ويحك احفظ المهالحة . قلت : لا بد من الجارية . فالتفت اليها وقال لهـــا : قفي وانظري فعلي في هؤلاء اللئام . ثم قال : يا فتيان هل لكم في العافية وإلا فارس لفارس ؟ فبرز اليـه رجل من اصحابي ، فقال له الغلام : من انت؟ فلست أقاتل إلا كفؤاً . قال: انا عاصم ابن كلبة السعديّ ، فشدّ عليه وأنشأ يقول :

إنك يا عاصمُ بي لجـاهلُ ... إذ رُمتُ أمراً أنت عنه ناكلُ
إني كَمِيٌّ في الحروب بازل ... ليثٌ اذا اصطك الليوث باسل
ضرّاب هامات العدا منازل ... قتال اقران الوغى مقـاتل

قال : ثم طعنه طعنة فقتله ، ثم قال : يا فتيان هل لكم في العـافية وإلا فارس لفارس، فتقدم اليه آخر من اصحابي فقال له الغلام: من انت ؟ قال : انا صابر بن حرقة السعدي ، فشدّ عليه ، وأنشأ يقول :

إنك والإله لست صـــابرا ... على سنان يجذب المقـادرا
ومنصل مثل الشهاب باترا ... في كفّ قرن يمنع الحرائرا
اني اذا ما رمت ان اقاسرا ... يكون قرني في الحروب باترا

ثم طعنه طعنة فقتله ، ثم قال : هل لكم في العافية وإلا فارس لفارس ، فلما رأيت ذلك هالني أمره ، وأشفقت على اصحابي ، فقلت : احملوا عليه حملة رجل واحد ، فلما رأى ذلك أنشأ يقول :

الآن طابَ الموتُ ثم طابا　　إذ تطلبون رُخصه كعابا
ولا نريد بعدها عتابـــا　　فدونها الطعن مع الضرابا

فركبت نعيمة فرسها ، وأخذت رمحها ووقفت ، فما زال يجادلنا ونعيمة حتى قتل منــا عشرين رجلاً ، فأشفقت على اصحابي ، فقلت : يا عامر بحق المماحلة يا غلام قد قبلنا العافية ، ثم قال : مــا كان احسن هذا لو كان اولاً ، وتركنا وسالمنا . ثم قلت : يا عامر بحق المماحلة من أنت ؟ قـــال : عامر ابن حرقة الطائي وهذه ابنة عمي ، ونحن في هذه البرية منذ زمان ودهر ، ما مرّ بنا أنسي غيركم ، فقلت : من أين طعامكم ؟ قال : من حشرات الطير والوحش والسباع ، قلت : من أين شرابكم ؟ قال : الخمر ، أجلبهــا من بلاد البحرين كل عام مرة او مرتين ، قلت : إن معي مـــائة من الإبل موفورة متاعاً ، فخذ منهـــا حاجتك ، قال : لا حاجة لي فيها ، ولو أردت ذلك لكنت اقدر عليه ، فارتحلنا عنهم منصرفين . قال الحجاج : الآن طاب قتلك يا عدو الله لغدرك بالفتى ، قال : قد كان خروجي على الامير أصلحه الله أعظم من ذلك ، فإن عفا عني الامير رجوت أن لا يؤاخذني بغيره ، فأطلقه ووصله الى بلاده . قلت : وهذا عامر بن حرقة الطائي منــا ، وربما قد ذكرته في بعض قصائدي مع المشاهير من اجدادي في المفاخرة .

ولنا في هذا الباب ، شعر :

أشدّ على قاسي اللجام سناني　　فيكرع من حوض الدماء سناني

فاروي به من حوض كل غشمشمٍ — يحمي قرونته ليوم طِعانِ
فيرجع ريّاناً وقد كان يانعاً — كما عاد مبيضّاً لأحمر قاني
حتى اذا ضاق المجال على فتىً — ضربتُ على رأس الحسام بناني
وجرّدته من غمده وكسَوته — غمداً من الهامات والأبدانِ

وحدثني بعض الأدباء ، عن الحجاج بن يوسف الثقفي أنه قال : قعد الحجاج يوماً في سكرة له فيها جماعة من الناس من جملتهم حميد الأرقط ، وكان شاعراً ، فقام وأنشد قصيدة يصف فيها الحرب ، فقال له الحجاج : أما القول فقد أجدته ، وإني سائلك يا حميد عماذا يسأل الأمير ؟ قال : هل قاتلت قط ؟ قال : لا أيها الأمير إلا في النوم ، فقال له : فكيف كانت وقعتك ؟ قال : انتبهت وأنا منهزم وقلت :

يقول لي الأميرُ بغير جرمٍ — تقدّم حين جَدّ بنا المراسي
وما لي أن أطعتُك من حياةٍ — وما لي غير هذا الرأس راسي

قيل لبعضهم : مالك لا تغزو؟ قال : والله اني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أذهب اليه ركضاً ؟

مثل :

أحذر من غراب ، وأجبن من صرصار . ويقال : من صافر . ويقال : أجبن من المنزوف ضرطاً . قال ابو ذرٍّ : كان من حديثه ان نسوة من العرب لم يكن لهن رجل ، فتزوجت واحدة منهن رجلاً كان ينام الى الضحى ، فإذا انتبه ضربنه ، وقلن له : قم فاصطبح ، فيقول : العادية نبهتني . فلما رأين ذلك يكثر منه سررن به ، وقلن: إن صاحبنا والله شجاع جريء ، ألا ترين

الى ما يقول كلما نبهناه ؟ فقالت احداهن : تعالين نجربه ، فأتينه وأيقظنه، فقـــال : أولعادية نبهتني ؟ فقلن له : نواصي الخيل معك ، فجعل يقول : الخيل الخيل ، ويضرّط حتى مات ، فضرب به المثل . يقول الفرّارة :

ما كان ينفعني مقال نسائهم   وقتلتُ خلفَ رجالهم لا يبعُد

وقال الآخر عن فراره يعتذر :

وما جبُنت ْخيلي ولكن تذكرت   مرابطها من بر بعيص ٍ وميسرا

وقيل لبعض الجبناء : انهزمت فغضب الامير عليك، قال : لغضب الأمير وأنا حي أحب إليّ من أن يرضى عليّ وأنا ميت .

حدثنا بعض الأدباء ، قـال : في اخبار عمرو بن معدي كرب الزبيدي صاحب الصمصامة ، وكان صاحب غارات ، مذكوراً بالشجاعة ، مشهوراً في العرب ، فذكر أنه هجم في بعض غاراته على شابة جميلة منفردة ، فأخذها ، فلما أمعن بها بكت ، فقال : ما يبكيكِ ؟ قالت : أبكي لفراق بنات عمي، هن مثلي في الجمال ، وأفضل مني ، خرجت معهن فانقطعنا من الحي . قال : وأين هنّ ؟ قـالت : خلف ذلك الجبل ، وددت اذا اخذتني انك تأخذهن معي ، وهن يودّن ذلك ، فأعـد الى الموضع الذي وصفته لك . فمضى عمرو الى هناك ، فمـــا شعر حتى هجم عليه فارس شاكي السلاح ، فعرض عليه المصارعة فصرعة الفارس ، ثم عرض عليـه ضروباً من المناوشة فغلبه الفارس في جميع ذلك كله، فسأله عمرو عن اسمه، فإذا هو ربيعة بن مكرم الكنانيّ، فاستنقذ الجارية منه .

حدثنا محمد بن قاسم، ثنا عمر بن عبد الحميد، قال: قال لي بعض الرجال: جلس رجل من المسرفين على نفسه في مجلس راحته مع ندمائه، ثم دعا بغلامه

فدفع اليه اربعة دراهم وأمره أن يشتري بها من المشمومات مـا يليق بمجلس راحته، فمرّ الغلام بمجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير بين يديه ، فسمعه يقول : بقيت لهذا الفقير اربعة دراهم فمن دفعها له دعوت له أربع دعوات ، فدفع الغلام له الدراهم ، فقال له منصور : ما الذي تريد أن أدعو لك به ؟ فقال : سيدي، أريد أن أتخلص منه ، فدعا له بذلك . فقال : ومـا الذي تريد أن ادعو لك به ثانية ؟ فقال : اريد أن تخلف هذه الدراهم، فدعا له . قال : فما الدعوة الثالثة ؟ قال : أحب أن يتوب الله على سيدي . فدعـا له بذلك، وسأله عن الرابعة فقال: أحب أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم الحضور ، فدعا منصور بذلك ، وانصرف الغلام راجعاً الى سيده وقد أبطأ عليه ، فقال له سيده : لِمَ أبطأت عليّ؟ وأين الحاجة التي أمرتك بشرائها ؟ فقص عليه الغلام القصة ، فقال له : اخبرني ما الذي دعا لك بـه ؟ فقال : سألته ان يدعو الله لي بالعتق ، فقال له : اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى . فما الثانية ؟ قال : ان تخلف عليّ الدراهم . فقال له : لك من مالي اربعمائة درهم ، فما الثالثة ؟ قـال : ان يتوب الله عليك . قال : فإني أشهد الله اني تائب . فما الرابعة ؟ قال : ان يغفر الله لي ولك ، وللمذكور ولأهل مجلسه . قال : ذلك لله عز وجل . فلمـــا كان الليل وقف الرجل هاتف في منامه ، فقال له : يقول الله لك : انت فعلتَ مـا اليك وانت عبد ضعيف ، أتراني ما أفعل ما كان إليّ ، وأنا المولى الكريم، قد غفرت لك، وللغلام، وللمذكور، ولأهل مجلسه .

ذكر نبذ من الأنساب :

وانتهاء بكل نسب الى الجد الذي يجتمع فيه صاحب ذلك النسب برسول الله ﷺ .

فمن ذلك : قحطان ، وهو ابو اليمن كلها ، واليه مجتمع نسبها ، وهو ابن غابر ، هنا يجتمع .

ومن ذلك : جرهم ، وهو ابن قحطان بن عامر ، وقيـل : هو جرهم بن يقطن بن عابر ، هنا يجتمع .

عاد : وهو ابن عوص بن إرَم بن سام ، هنا يجتمع .

ثمود ، وجديس : ابنا غابر بن إرَم بن سام ، هنا .

طسْم ، وعملاق ، أميم ، وأُمَيم ، بضم الهمزة وفتح الميم ، وقيل : بكسر الهمزة والميم وتشديدهما على وزن سكين ، وهؤلاء الثلاثة أبنـــاء لأولاد ابن سام هنا ، وهم عرب كلهم .

عك : هو ابن عدنان هنا .

أشعر : هو ابن بنت ابن ادد بن يزيد بن مهسع بن عمرو بن غريب بن يشخب ابن يزيد بن كهلان بن سبا بن يشخب بن يعرب بن قحطان بن غابر هنـــا . ويقال : انما هو اشعر بن سبا بن يشخب .

مدحج : قال بعض النسّابين : ليس مدحج أباً ولا أماً ، وانمـا هو اسم أكمة ولدت عليها دلة بنت منشجان فسمّيت مدحج ، فلما ولدت طيباً ، وهو جلمة بن مالك ، فقيل : طيّ ، وهو الذي سمّي مدحج . وقد قيل : ان هذا مالك هو ابو شعر ، فأشعر على هـــذا هو أشعر بن مالك ، ومالك هو مدحج فطيّ ، ومالك ، ابنا ازد ابنا زيد بن يشخب . وقيل : انما هو زيد ابن كهلان بن سبا بن يشخب بن يعرب بن قحطان بن غابر هنا . وقد قيل : طيّ بن ازد بن مالك بن ازد بن زيد بن كهلان . فهذا نسب طي قد ذكرناه .

سليم : هو ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيسان بن غيلان بن مضر هنا .

غسان : هو اسم ماء بسدّ مأرب باليمن ، وقيل : هو ماء بالمشلك ، فسمّوا به قبائل شربوا منه ، من ولد مازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، وسمّي سبا لأنه اول من سبى العرب ، ابن يشخب بن يعرب بن قحطان بن غابر ، واليه ترجع الازد ، والأوس ، والخزرج ، وغيرهم .

فأما الأوس ، والخزرج ، فهما ولدان لحارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشخب بن يعرب بن قحطان بن غابر هنا .

وأما الازد ، فهو ابن الغوث ، وقد تقدم سياق النسب .

أنشدني ابن اسحاق :

أما سألتَ فإنا معشرٌ نجُبُ الازد نسبتنا والماء غسانُ

بالسين والتاء معاً .

قضاعة ، وضباعة ، واياد : اولاد معدّ هنا .

واما قضاعة الآخر ، فهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا الاكبر بن يعرب بن يشخب بن قحطان بن غابر هنا .

جهينة : هو ابن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الجان بن قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا بن يعرب بن يشخب بن قحطان بن غابر هنا .

لخم : هو ابن عديّ بن حارث بن مرّة بن ادد بن زيد بن مهسع ، وقد

تقدم سياق النسب في الشعر. وقيل: انما هو لخم بن عدي بن عمرو بن سبا، ونسب سبا قد ذكر، والاجتماع بالاصل في غابر.

ربيعة: يجتمع ايضاً في غابر، وربيعة هو نصر بن ابي حارثة بن عمرو ابن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الازد بن الغوث، وقد ذكر نسب الازد بن الغوث.

بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن قصيّ بن جليدة بن ازد بن ربيعة ابن نزار هنا. ويقال: اقصى بن دعما بن جليدة.

ثقيف: اسمه قسيّ بن منبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر هنا. وقيل: هو قيس بن الثبت بن منبه بن منصور بن يقدم بن اقصى بن دعما بن اياد بن معدّ هنا.

قال امية بن ابي الصلت الثقفي:

قومي ايادٌ لو انهم أممُ ... ولو أقاموا فتهزل النعمُ
قوم لهم ساحة العراق اذا ... ساروا جميعاً والقِطُّ (١) والقلمُ

وقال ايضاً:

فإن مـا تسألي عني لبيباً ... وعن نسبي أخبّرك اليقينـا
فـإنا للنبيب أبي قيسٍ ... لمنصور بن يقـدم الأقدمينا

قيس، هو ابن غيلان بن مضرهنا.

---

(١) هو الكتاب ومنه عجل لنا قطنا.

جعدة بن عـــامر بن صعصعة بن معـاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضرهنا .

هذيل بن مدركة هنا .

خولان ، هو ابن عمرو بن الحــارث بن قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا ابن يعرب بن يشخب بن قحطان بن غابر هنا .

وقيل : بل هو خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مدحج .

وقيل : بل هـــو خولان بن عمرو بن مرة بن ادد بن مهيع بن عمرو ابن عريب بن سعد بن كهلان بن سبا .

والعمالقة منسوبون الى عملق ويقال : عمليق ، لغتان ، وقد نسبناه .

جشم ، هو ابن وائل بن زيد بن قيس بن عـــامرة بن مرة بن مالك ابن الأوس ، وقد ذكرنا نسب أوس .

كلب ، هو ابن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمرو بن الجـــاف بن قضاعة ، وقد ذكرنا نسب قضاعة .

همدان ، واسم همدان حلوان بن عمرو بن زيد بن ربيعـة بن اوسله بن الحيان بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، ويقال له : اوسلة بن زيد بن اوسلة الخا بن زيد بن اوسلة بن حيان بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، وقد تقدم اتصال سبا بغابر وهناك يجتمع .

خثعمة ، هو الاسد بن الغوث يشكر بن بشير بن صعب بن دهمان بن نضر بن زهران بن الحـارث بن كعب بن عبيد الله بن مالك بن الاسد بن الغوث، وقد قيل: خثعمة بن ميسر بن يشكر بن صعب بن نضر بن زهران

ابن الاسد بن الغوث بن بنت مالك بن زيـد بن كهلان بن سبا بن يشخب ابن يعرب بن قحطان بن غابر ، وهناك يجتمع وغابر وغبيران ، لغتان ، هو ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام .

وقد قيل في سياق نسب خثعمة بدل صعب كعب ، انتهى المجلس .

موعظة شيبان الراعي لهارون الرشيد بمكة :

حدثنا يونس بن سبا، عن ابي بكر بن ابي منصور، عن محمد بن عبدالملك الاسدي ، عن الحسن بن جعفر السلماسي، ثنا المعافي بن زكريا ، عن محمد بن مخلد ، عن حمّاد بن مومل، ثنا زيد بن العباس قال : لما حجّ هارون الرشيد فقيل له : يا امير المؤمنين قد حجّ شيبان الراعي، قال : اطلبوه لي فطلبوه ، فأتوا به ، فقال له : يا شيبان عظني ، قال : يا امير المؤمنين أنا رجل ألكن لا افصح بالعربيـــة ، فجئني بمن يفهم كلامي حتى أكلمه ، فأتى برجل يفهم كلامه ، فقال له : بالقبطية قل له : يا امير المؤمنين ، إن الذي يخوّفك قبل أن تبلغ المأمن أنصح لك من الذي يؤمّنك قبل أن تبلغ الخوف ، فقال له : أي شيء تفسير هذا ؟ قال : قل له يا امير المؤمنين، الذي يقول لك اتق الله فإنك رجل مسؤول عن هذه الأمة ، استرعاك الله عليها، وقلّدك امورها ، وانت مسؤول عنها ، فاعدل في الرعية ، واقسم بالسويّة ، وانفر في السرية، واتق الله في نفسك ، هذا هو الذي يخوّفك ، فإذا بلغت المأمن أمنتَ ، هو أنصح لك ممن يقول لك انت من اهل بيت مغفور لهم، وانت قرابة من قرابة نبيكم ، وفي شفاعته ، فلا يزال يؤمّنك حتى اذا بلغت الخوف عطبت. قال : فبكى هارون حتى رحمه من حوله، قال : زدني، قال : حسبك إن وقفت .

روينا من حديث ابن ودعان ، قـال : حدثنا علي بن عبد الواحد ، عن

ابي الفتح العكبري ، عن العباس بن محمد ، عن محمد بن زكريا ، عن عبد الله ابن مسلمة القعبني، عن مالك بن أنس، عن اسحاق بن عبدالله بن ابي طلحة، عن انس بن مالك ، قال : قيل لرسول الله ﷺ ، مَن اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال : الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ، واهتموا بأجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم ، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم ، فما عرض لهم من نائلها عارض إلا رفضوه ، ولا خدعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه ، خلقت الدنيا عندهم فما يجدّدونها ، وخربت بينهم فما يعمرونها ، وماتت في صدورهم فما يُحيونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، ونظروا الى أهلها صرعى ، وقد حلّت بهم المثلات ، فما يرون أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً دون ما يحذرون .

روينا من حديث محمد بن اسحاق ، عن محمد بن شهاب ، عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، انه قال : كان بين آدم ونوح عشرة آباء ، وذلك الف ومائتا سنة . وبين نوح وابراهيم عليهما السلام عشرة آباء ، وذلك الف ومائة واثنان واربعون سنة . وبين ابراهيم وموسى سبعة آباء ، وذلك خمسمائة وخمس وستون سنة . وبين داود وعيسى الف وثلاثمائة وخمسون سنة ، وهي الفترة .

وعدد الأنبياء عليهم السلام مائة الف نبي ، واربعة وعشرون الف نبي ، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر ، منهم خمسة عبرانيون : آدم ، وشيث ، وادريس، ونوح، وابراهيم. وخمسة من العرب : هود، وصالح ، واسماعيل، وشعيب ، ومحمد ﷺ .

وأرسل بين موسى، وعيسى، الف نبي من بني اسرائيل ، سوى من أرسل من غيرهم ؛ يريد بقوله أرسل مؤيدين لشريعة موسى لا ناسخين . وكان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، اربعة من الرسل ، وهو قوله تعالى : « إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعزّزنا بثالث » ، وأما الرابع فهو خالد ابن سنان ، والله أعلم فيما أحسبه ، وهو خالد بن سنان بن غيث العبسي . وعاشت مريم بعد رفع عيسى خمسين سنة ، وكان عمرها ثلاثاً وخمسين سنة . وصلّى شيث على ابيه آدم بأمر جبريل، وكبّر عليه اربعاً وتسعين تكبيرة.

وأما اصحاب الاحلام ، والآداب ، والعلم ، اربعة : العرب ، والفرس ، والروم ، والهند ، والباقون همج .

وأولوا العزم من الرسل ثلاثة : نوح ، وابراهيم ، ومحمد ، عليهم الصلاة والسلام .

وأول أنبياء بني اسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى .

والكتب التي أنزلت على الأنبياء ، مائة كتاب واربعة كتب ، أُنزل منها على شيث خمسون صحيفة ، وعلى موسى التوراة ، وعلى داود الزبور ، وعلى عيسى الانجيل ، وعلى محمد ﷺ وعليهم اجمعين القرآن .

ذكر سبب تنصّر النعمان بن المنذر ، ورفعه يوم بؤسه ، ووفاء الطائي ، وفضل شريك بن عمير :

أخبرنا بعض الأدباء من اخواننا من سيس ، ان النعمان بن المنذر ركب في يوم بؤسه ، وكان له يومان : يوم بؤس ، ويوم نعيم ، لم يلقه احد في بؤسه إلا قتله، ولا في يوم نعيمه احد إلا حبّاه وأعطاه ، فاستقبله يوم بؤسه اعرابي

من طيّ ، فأراد قتله، فقال : حيّى الله الملك، ان لي صبْية صغاراً لم أوصِ بهم الى احد ، فإن رأى الملك في ان يأذن لي في إتيانهم ، وأعطيه عهد الله ان أرجع اليه اذا أوصيت بهم حق أضع يدي في يده . فرقّ له النعمان وقال له : لا ، إلا ان يضمنك رجل ممن معنا ، فإن لم تأتِ قتلناه . وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل ، فنظر اليه الطائي وقال :

يا شريك بن عمير — هل من الموت محاله
يا أخا كل مصافٍ — يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فيك الـ — يوم عن شيخ علاله
ابن شيبان قتيل — أحسن الله فعاله

فقال شريك : هو عليّ ، أصلح الله الملك . فمضى الطائي وأجّل له أجلاً يأتي فيه . فلما كان ذلك اليوم ، احضر النعمان شريكاً ، وجعل يقول له : ان صدر هذا اليوم قد ولّى ، وشريك يقول له : ليس لك عليّ سبيل حق يمسي . فلما أمسى أقبل شخص والنعمان ينظر اليه والى شريك ، فقال له : ليس لك عليّ سبيل حق يدنو الشخص ، فلعله صاحبي ، فبينما هم كذلك إذ أقبل الطائي ، فقال النعمان : والله ما رأيت أكرم منكما ، وما ادري ايكما أكرم ، أهذا الذي ضمنك في الموت ام انت اذ رجعتَ الى القتل ؟ ثم قال للوزير الذي هو شريك : ما حمَلك على ضمانه مع علمك انه هو الموت ؟ قال: لئلا يُقال : ذهب الكرم من الوزراء. وقال للطائي : ما حمَلك على الرجوع الى القتل؟ قال : لئلا يُقال : ذهب الوفاء من الناس ، ويكون عاراً في عقبي وفي قبيلتي . قال النعمان : فوالله لا أكون ألأم الثلاثة ، فيُقال : ذهب العفو من الملوك . فعفا عنه ، وأمر برفع يوم بؤسه .

وأنشد الطائي يقول :

ولقد دعتني للخلاف جماعةٌ فأبيتُ عند تجهُّم الأقوالِ
اني امرؤٌ مني الوفاء خليقة وفعال كل مهذبٍ مِبْذالِ

فقال النعمان : ومع ما ذكرتَ ، ما حملك على الوفاء ؟ قال : ايها الملك، ديني . قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال : اعرضها عليّ ، فأعرضها عليه ، فتنصَّر النعمان .

وحدثني ابو جعفر بن يحيى قال : دخل رجل على امير المؤمنين سليمان ابن عبد الملك، فقال : يا امير المؤمنين عندي نصيحة. قال : وما نصيحتك؟ قال : فلان كان عاملاً ليزيد بن معاوية ، وعبد الملك ، والوليد ، فخانهم فيما تولاه في ايامهم ، واقتطع أموالاً جليلة ، فمُرْ باستخراجها منه . قال : انت شر منه وأخوَن حيث اطلعتَ على امره وأظهرته ، ولولا اني انفِّر النصّاح لعاقبتك، ولكن اختر مني خصلة من ثلاث، قال : اعرضهنّ يا امير المؤمنين. قال : إن شئتَ فتشنا على ما ذكرت ، فإن كنت صادقاً مقتناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت أقلناك . قال : بل يقيلني امير المؤمنين . قال : قد فعلت ، فلا تعودنّ بعد هذا الى قلة الوفاء ، وإن ظهر لك من ذي جرمة امر فاكتمه .

وحدثنا مصعب الخشني الخطيب ان مخارف بن عفان ، ومعن بن زائدة ، تلقيا رجلاً ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا مثلها شباباً وجمالاً وفصاحة ، فصاحا به ليخلّي عنها ، ومعه قوس فرمى بها ، وهابا الإقدام عليه ، ثم عاود ليرمي فانقطع وتره ، وسلّم الجارية ، واشتدّ يعدو في جبل كان قريباً منه، فابتدرا الجارية وفي أذنها قرط فيه درّة، فانتزعاها من أذنها ، فقالت :

وما قدر هذه ؟ لو رأيتما درّتين معه في قلنسوته ، وفي قلنسوته وتر قد أعدّه ونسيه من الدهشة . فلما سمعا قول الجارية تبعاه وصاحا به : ارمِ القلنسوة ، وانجُ بنفسك . فلما سمع قولهما ذكر الوتر ، فأخذه وعقده في قوسه ، فولّيا ليست لهما همة إلا النجاء ، وخلّيا عن الجارية .

وحدثنا ايضاً قال : قال سليمان بن عبد الملك : أنشدوني أحسن ما سمعتم من شعر النساء . فقال بعضهم : يا امير المؤمنين ، بينا رجل من الظرفاء في بعض طرقاته اذ أخذته السماء ، فوقف تحت مظلة ليسكن من المطر وجارية مشرفة عليه ، فلما رأته حذفته بحجر ، فرفع رأسه وقال :

لو بتفاحة رميتِ رجونا ومن الرمي بالحصاة جفاءُ

فأجابته :

ما جهلنا الذي ذكرت من الشكل ولا بالذي ذكرتَ خفـــاءُ

ودايَة معها فقالت :

قـد بدا التيه بالذي ذكرته ليت شعري فهل لهذا وفاء

وسائلة بالباب :

ولعمري دعوتهـــا فأجابت هي داءٌ وانت منهـا دواء

قال سليمان : قاتلها الله ، وهي والله أشعَرهم .

وقرأت في كتاب (المحاسن والأضداد) للجاحظ : عن عنـــان جارية الناطفي ، قـال عمرو بن بحر الجاحظ في باب المماجنات من الكتاب ، قال السلولي : دخلت يوماً على عنان وعندها رجل اعرابي ، فقالت : يا عم لقـد

أتى الله بك . قلت : وما ذاك ؟ قالت : هذا الاعرابي دخل عليّ فقال : بلغني انكِ تقولين الشعر ، فقولي بيتاً . قال السلولي : فقلت لها : قولي ، فقالت : قد ارتجّ عليّ ، فقل انت . فقلت :

لقد جلّ الفراق وعيل صبري   عشية عيرهم للبَيْن ذمتْ

فقال الاعرابي :

نظرت الى أواخرها مخبّاً   وقد بانت وأرض الشام أمّتْ

فقالت عنان :

كتمتُ هواهم في الصدر مني   على ان الدموع عليّ نمّت

فقال الاعرابي : انتِ والله أشعَرنا ، ولولا انك بحرمة رجل لقبّلتك ، ولكن اقبّل البساط .

وقرأت في الكتاب المذكور : قال عمرو وقال بعضهم : دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه ، وقد تناولها مولاها بضرب شديد وهي تبكي ، فقلت :

ان عناناً ارسلت دمعها   كالدرّ إذ ينسل من خيطه

فقالت :

فليتَ من يضربها ظالماً   تجفُ يمناه على سوطه

فقال مولاها : هي حرّة لوجه الله ، إن ضربتها ظالماً او غير ظالم .

أنشدنا ابو عبد الله بن عبد الجليل ، قال : أنشدني ابو الحسن علي المسفر بنسبته لنفسه :

يا ايهـا المبتلي بذمّي — قد علم الله مـا تقولُ
فالقول إن خفّ في لساني — أخـاني وزنه الثقيل
وحـافظ كاتب شهيدٌ — يكتب عني الذي أقول
من حاسبَ النفسَ كلَّ حين — لم يتهاون بمـا يقولُ

كان هذا الشيخ المسفر جليل القدر ، حكيماً ، عارفاً ، غامضاً في الناس محمود الذكر ، رأيته بسبتة له تصانيف ، منهـا منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد الغزالي وليس له ، وإنما هو من مصنفات هـذا الشيخ ، وكذلك كتاب النفخ والتسوية الذي يعزى الى أبي حـامد ايضاً ، وتسميه الناس : المصون الصغير .

ولهذا الشيخ ايضاً القصيدة المشهورة ، وهي هذه :

قل لإخوان رأوني ميتاً — فبكوني إذ رآوني حزنا
أتظنون بـأني ميتكم — لستُ ذاك الميت والله انا
أنا عصفور وهذا قفصي — كان سجني وقميصي زمنا
أنا في الصور وهذا جسدي — كان جسمي إذ ألفتُ السجنا
أنا كنزٌ وحجابي طلسمٌ — من ترابٍ قد تخلى للفنا
فاهدموا البيت ورضّوا قفصي — وذروا الكل دفيناً بيننا
وقميصي مزّقوه رممـاً — وذروا الطلسم بعدي وثنا
لا ترعكم هجمة الموتِ فمـا — هو إلا نقـلة من ههنا
فحياتي وسَنٌ في مقلتي — خيبة الموت تطير الوسنا
لا تظنوا الموت موتاً إنه — لحياةٌ هي غـاياتُ المنا
فاخلعوا الأجساد عن أنفسكم — تبصروا الحق جهاراً بيّنا

حسِّنوا الظنَّ بربٍّ راحمٍ تشكروا السعي وتأتوا أمنا
ما أرى نفسي إلا أنتمُ واعتقادي أنكم أنتم أنا
عنصرُ الأنفس شيءٌ واحدٌ وكذا الجسمُ جميعاً عمّنا
فمتى ما كان خيراً فلنا ومتى ما كان شرّاً فبنا
أشكر الله الذي خلّصني وبنى لي في المعالي رُكنا
فأنا اليوم أناجي ملأً وأرى الحق جهاراً علنا
عاكفٌ في اللوح أقرأ وأرى كل ما كان ويأتي ودنا
وطعامي وشرابي واحدٌ وهو رمزٌ فافهموه حسنا
ليس خمراً سائغاً أو عسلا لا ولا ماءً ولكن لبنـا
هو مشروب رسول الله إذ كان يسري فطره مع فطرنا
فافهموا السرَّ ففيه نبـأ أي معنىً تحت لفظ كمنا
قـد ترحّلت وخلّفتكمُ لست أرضى داركم لي وطنا
فخذوا في الزاد جهداً لا تنوا ليس بالعاقل منّا من ونا
أسأل الله لنفسي رحمةً رحم الله صديقاً أمّنا
وعليكم من سلامي صَيبٌ وسلامُ الله بدءاً وثنـا

وكتبتْ عنانٌ الى الفضل بن الربيع :

كن لي هديتَ الى الخليفة شافعاً بوركت يا ابن وزيره من مسلم
حثّ الإمام على شراي وقل له ريحانةٌ ذُخرتْ لأنفك فاشمم

وفيها يقول أبو نواس :

عنان يا من تشبه العِينا أنتِ على الحبّ تلومينا
حسنُك حسنٌ لا يرى مثله قـد صيّر الناس مجانينا

وقالت غريبة جارية المأمون :

وأنتم أناسٌ فيكم الغدر شيمة لكم أوجه شتى والسنة عشرُ
عجبتُ لقلبي كيف يصبو اليكم على عُظمِما يلقى وليس له صبرُ

ويقال: أن هذه الجارية هي التي يقول فيها أمير المؤمنين المأمون يخاطبها :

أنا المأمون والملك الهمامُ على اني بحبك مستهامُ
أترضي أن أموتَ عليكِ وجداً ويبقى الناس ليس لهم إمامُ

فقالت له : يا أمير المؤمنين ، أبوك الرشيد أعشق منك ، حيث يقول :

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عناني وحللن من قلبي بكل مكانِ
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهنّ وهنّ في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطانَ الهوى وبه قوينَ أعزُّ من سلطاني

فقدم ذكرهن على ذكر نفسه ، وأنت قدمتَ نفسك على من تزعم انك تهواها ، قال لها المأمون : غير اني منفرد لك ، والرشيد قسمٌ بين ثلاث ، قالت : أعرفهن : الواحدة المقصودة وهي فلانة ، والثنتان محبوبتان لها ، فأحبها لحبّها إذ ذاك مما يسرّها ، كما قال خالد بن يزيد بن معاوية في رملة :

أحب بني العوّام طرّاً لأجلها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وقال الآخر :

أحبّ لأجلها السودان حتى أحبّ لأجلها سود الكلابِ

فهؤلاء أحبوا القبيلة من أجلها فأحرى من أحبت هذا المخرج لأمير المؤمنين الرشيد ، فأين المخرج لأمير المؤمنين ؟ فسكت وعظم وجد .

ولنا في هذا المعنى في صاحب حبشي أخلص لي في محبته واسمه بدر :

أحب لحبّك الحبشان طرّاً … واعشق لإسمك البدر المنيرا

حدثنا مصعب بن محمد الخشنيّ القاضي الخطيب الجناني ، في مجلس كان بيني وبينه في الأدب ، في حق شخص كان وسيم الوجه ، وقد اصاب عينيه رمد فاحمرت عيناه، فقلت له: يا سيدي ما أحسن قول القائل في مثل هذا ؟ فقال : وما قال ؟ قلت :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم … من كثرة الفتك نالها وصبُ
حمرتها من دماء من قتلتْ … والدم في السيف شاهد عجبُ

فقال رحمه الله لنا في هذا المعنى في زمان الصبا شيء ، قلت : فانشدني :

انكر صحبي إذ رأوا طرفه … ذا حمرة يشفي بها المغرمُ
لا تنكروا الحمرة في طرفه … فالسيف لا ينكرُ فيه الدمُ

ولنا في هذا المعنى :

لا تنكروا الحمرة في طرف منْ … يسفك بالطرف دماء البشرْ
وإنما الإنكار من أنفسٍ … أرضيةٍ سالت بعين القمرْ

والنفوس هنا الدماء ، كما قال القائل :

تسيلُ على حد السيوف نفوسنا … وليس على غير السيوف تسيلُ

ثم تذاكرنا فيما قال الأدباء في فنون شتى، الى ان وقع ذكر النساء المتقدمات فقال : ما نرى في زماننا من مثل أولئك احداً ، فقلت له : يا سيدي ، هنا

عندنا بالبلد أمّ النساء بنت عبد المؤمن التاجر الفاسيّ ، وهي تجيد الشعر ، وقد أنشدت للسيد أبي علي صاحبك عندما وّلي علينا قصيدتها ، وكنت أحفظها فأنشدته إياها ، فاستحسنها ، ولا أذكر الآن منها إلا أول بيت ، وهو قولها :

جاء البشيرُ بوعدٍ كان ينتظرُ   فأصبح الحقّ ما في صفوه كدرُ
من خير هادٍ غدا بالهدى يأمرنا   وفي أوامره التسديد والنظرُ

وفيها تصفه بالحرب :

ليثٌ اذا اقتحم الأبطال حومتها   يفني الكتائبَ لا يبقي ولا يذرُ

فجرينا في هذا الميدان ساعةً ،فأمتعني منه ما ملأ القلب انساً وطبتُ به نفساً ، الى أن جرى في اثناء ذلك المجلس الزاهر ،النام بأعراف هذه الأزاهر. وذكر فضل الشاعرة ، وآدابها ، وأنها ممن جمعت بين الشعر والصوت ، فكانت تقول الشعر وتلحنه ، ثم تغني به على العود . فقلت له : هل تحفظ من شعرها الذي لها فيه صوت ؟ فقال : كثير ، فقلت : فإن رأي سيدي في ذلك فقال : روينا من حديث قاسم بن عبد الله أنه قال : كنت عند سعيد بن حميد الكاتب وقد افتصد ، فأتته هدايا فضل الشاعرة الف جدي ، وألف دجاجة ، وألف طبق رياحين وطيب ، فلما وصل ذلك كتب اليها : إن هذا يوم لا يتم السرور فيه إلا بك وبحضورك . قال القاسم يصفها : وكانت من اجود الناس شعراً ، وأملحهم صوتاً ، وأحسن الناس ضرباً بالعود. فأتته فضرب بينها وبينه حجاباً ، وأحضر ندماه ، فلما استوى المجلس بالقوم وسرى السرور أخذت العود وغنّت ، والشعر لها :

يا من أطلتُ تفرّسي   في وجهه وتنفسي
أفديك من متدلل   يزهو بقتل الأنفسِ

هبني أسأت وما أسأ ت بلى أقولُ أنا المسي
أحلفتني أن لا أسا رق نظرةً في مجلسِ
فنظرتُ نظرةَ عاشقٍ أتبعتهـــا بتنفُّسِ
ونسيت أني قد حلفـ ت فما يقالُ لمن نسي

وضربت ايضاً وغنّت :

عـاد الحبيب الى الرضا فصفحت عما قـد مضى
من بعــد ما بصدوده شمت الحسود وحرّضا
تعس البغيض فلم يزل لصدودنا متعرّضا
هبني أسأت وما أسأ ت وإن أسأت لك الرضا

قال : فما أتى عليّ يوم أسرّ من ذلك اليوم .

حكومة : جرت للمنصور عند محمد بن عمران ، ثنا يحيى ، عن محمد بن ابي منصور ، عن ثابت بن شداد ، عن عبد الوهاب المليحيّ ، عن المعافا بن زكريا ، عن محمد بن مزيد ، وحدّثنا عبد الرحمن بن علي ، عن ابي منصور، عن محمد بن علي بن ميمون ، عن محمد بن علي العلوي ومحمد بن احمد بن علّان قالا : حدثنا محمد بن عبد الله النهرواني ، عن الحسن بن محمد السكواني ، عن احمد بن سعيد الدمشقي ، قالا : حدثنا الزبير بن بكار والسياق لأبي يحيى ، حدثني عمر بن ابي بكر، عن نمير المدني قال: قدم علينا امير المؤمنين المنصور المدينة ، ومحمد بن عمران الطلحي على قضائه ، وأنا كاتبه ، فاستعدى الحمالون على امير المؤمنين في شيء ذكروه ، فأمرني ان اكتب اليه كتاباً بالحضور معهم وانصافهم ، فقلت : تعفيني من هــذا ، فإنه يعرف خطي ، فقال : اكتب ، فكتبت ، ثم ختمته ، وقال : لا يمضي به غيرك ، فمضيت بـه الى

الربيع ، وجعلت أعتذر اليه ، فقال : لا عليك ، فدخل عليه بالكتاب ، ثم خرج الربيع فقال للناس ، وقد حضر وجوه اهل المدينة والأشراف وغيرهم : إن امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم : إني قد دُعيت الى مجلس الحكم فلا اعلم احداً قام إليّ اذا خرجت ، او بدأني بالسلام . ثم خرج المسيّب بين يديه ، والربيع ، وأنا خلفه ، وهو في ازار ورداء ، فسلم على الناس فما قام اليه أحد ، ثم مضى حتى بدأ بالقبر ، فسلم على رسول الله ﷺ ، وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم التفت الى الربيع فقال : ويحك يا ربيع أخشى ان يراني ابن عمران فتدخل قلبه هيبة فيتحول عن مجلسه ، وتالله لئن فعل ذلك لأولي لي ولاية ابداً ، قال : فلما رآه ابن عمران وكان متكئاً أطلق رداءه على عاتقه ثم احتبى به ، ودعا بالخصوم والحمالين ، ثم دعى بأمير المؤمنين ، ثم ادعى عليه القوم ، فقضى لهم عليه ، فلما دخل الدار قال للربيع : اذهب فإذا خرج من عنده الخصوم فادعه ، فقال : والله يا امير المؤمنين ما دعى بك إلا بعد ان فرغ من أمور الناس جميعاً ، فدعاه ، فلما دخل عليه سلم عليه ، فرد عليه السلام وقال : جزاك الله عن دينك وعن نبيك ، وعن حسبك ، وعن خليفتك، أحسن الجزاء ، قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار فاقبضها ، فكانت عامة اموال محمد بن عمران من تلك الصلة .

وروينا من حديث ابن ودعان ، عن ابي الحسن بن السماك الواعظ ، عن ابيه ، عن ابن عرفة ، عن العباس بن محمد بن كثير ، عن حمّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن ابي رافع ، عن ابي هريرة قال : بينا رسول الله ﷺ جالس اذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه ، فقيل له مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : رجلان من امتي جثيا بين يدي ربي عز وجل ، فقال احدهما : يا رب خذ لي بظلامتي من اخي ، فقال الله تعالى : اعط أخاك مظلمته ، فقال : يا رب ما

بقي من حسناتي شيء ، قال : يا رب فليحمل من أوزاري ، وفاضت عيناي رسول الله ﷺ ، ثم قـال : إن ذلك ليوم يحتاج الناس الى ان يحمل من اوزارهم ، ثم قال الله تعالى للمطالب بحقه : ارفع رأسك فانظره الى الجنان ، فرفع رأسه ، فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة ، فقال : لمن هذا يا رب ؟ فقال : لمن أعطاني ثمنه ، قال : ومن يملك ذلك يا رب ؟ قال : أنت ، قال: بماذا ؟ قال : بعفوك عن اخيك ، قال : يا رب قد عفوت عنه ، قال : خذ بيد اخيك فادخله الجنـة ، ثم قال رسول ﷺ : فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ، فإن الله عز وجل يُصلح بين خلقه المؤمنين يوم القيامة .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ، ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي باشبيلية غير مرة من لفظه قال : قال لي بعض المريدين : رأيت في أبا حامد الغزالي، وأشياخ الصوفية، ومعهم الشيخ ابو مدين، فقال له بعضهم : أعد علينا كلامك في التوحيد ، فقال لهم : التوحيد اصل في الوجود ، وعليه أخذت المواثيق والعهود ، وهو دليل على كل مفقود ، فمن بقي على أصله فقد وفى ، ومن عدل عن رسمه فقد أخطأ الطريق وجفا ، ومن أتاه بقلب سليم، تلذذ بالنظر الى وجهه الكريم ، به يسيرون ، وبه يتلذذون ، وبه يهتدون ، وأكثر الخلق للجزاء يعملون ، ولعليين قوم آخرون ، هو قلب الوجود بـــه قام ، وهو المحرّك والمسكّن لسائر الأجرام ، سره في مخلوقاته قد انتشر ، وحكمه في مصنوعاته كما قدّر وأمر ، فما من شيء قلّ او جلّ إلا هو معه ، ولا ظاهر ، ولا باطن ، إلا وقد اتقنه وصنعه، ان قلت فقوله سبق الاقوال، وان علمت فهو خالق الاعمـال ، هو المدّ للحركات والسكون ، واذا أراد امراً فانما يقول له كن فيكون ، فسرُّ هـذا التوحيد مستور بالغيرة ، واذا صحّت الوحدة بطلب الكثرة ، فمن انتهت همته الى هذا المقام ، كان شفعه

بالخالق العلّام ، لا يلتفت الى غيره ، يتخلق بأخلاقه ويسير بسيره ، وهو الاول والغاية، وهو الآخر واليه النهاية ، به حي كل حي ، وبه نشأ كل شيء، ونحن الفقراء وهو الغني ، فسبحانه هو الواحد العلي ، فمن كانت هذه رتبته، فقد علت همته ، بنوره أشرف كل نور وسطع ، وعما سواه انقطع ، تعزز بـه كل عارف وتاه ، وتنزه عن ملاحظة ما سواه ، ولم يقنع من مولاه إلا بمولاه .

وسماعنا على قول الشريف الرضي :

يا طرباً لنفحة نجـدية	أعدل حر القلب باستبرادها
وما الصبا ريحيّ لولا انها	اذا جرت مرت على بلادها

السماع في ذلـك قول النبي ﷺ : ان لله نفحات ، ألا فتعرّضوا لنفحات ربكم العلوية التي تحصل الإنسان عنـد سجوده في مقام القرب عند مناجاته ، قال : اجعلوها في سجودكم ، يقول : وما أتقيد بريح مخصوصة ، إلا ان الصبا لمـا كانت تهب من افق الشروق ، ومطلبنا الشهود والروية ، لذلك أريدها ، وأسمع حديثها ، وعلى قوله ايضاً بالنفس :

حلفت بالمقصرين	ركبوا فأوجفوا
لانوا على العيس وخا	فوا فوتهـا فعنفوا
رجوا لأثقال الذنو	ب ساعة تخفّفوا
فاستنفذوا بجهدهم	سارين حق وقفوا
فلثموا ومسحوا	وجمّروا وطرفوا

وصية خطاب بن المعلّى المخزومي لابنه :

حدثنا يونس بن يحيى بمكة ، قال : ثنا الحاجب ابو الفتح محمـد بن عبد

الباقي بن احمد بن سليمان المعروف بابن البطي ، قال : حدثنا ابو الفضل احمـد ابن الحسن بن حبرون ، قال : حدثنـا ابو علي الحسين بن احمـد بن ابراهيم بن شادان ، قال : حدثنا ابو الحسن احمـد بن اسحاق الطيبي ، قال : أخبرنا ابو عبد الله احمد بن شاكر الريحاني ، قال : انا ابو حاتم ، قال : ثنا محمـد بن عطية ، قال : قال خطاب بن المعلى المخزومي القرشي لابنه : يا بني ، عليك بتقوى الله عز وجل وطاعته ، وتجنبْ محارمه باتبـاعك سنّته ومعاملته ، حتى يصحّ عيشك ، وتقرّ عينك ، فانه لا يخفى على الله خافيـة ، وإني قد رسمت لك رسماً ، وسمْتُ لك وسماً ، إن انت حفظته ووعيته وعملت بـه ملئت بك أعين الملوك. فأطِعْ أباك واقتصر على وصيته، وفرّغ لذلك ذهنك، واشغل به قلبك ولبّك ، وإياك وهدر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومماراة الاخوان ، فان ذلك يُذهب البهاء، ويوقع الشحناء ، وعليك بالرزانة والوقار، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تُحكى عنك ، والقَ صديقك وعدوّك بوجه الرضا وكفّ الأذى ، من غير ذلة لهم ، ولا مهـابة منهم ، وكن في جميع امورك أوسطها ، فان خير الامور أوسطها ، وأقلل الكلام ، وافشِ السلام ، وامشِ متمكناً ، ولا تخطّ برجليك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلوِ رداءك ، ولا تنظر في عطفيك ، ولا تكثر الإلتفـات وراءك ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخـذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولا تنـازع السفهاء ، وإن قضيتَ فاختصر ، وإن مدحتَ فاقتصر ، وإن جلست فتربّع، وتحفّظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذوابة سيفك ، وتخليل اسنانك ، وإدخـال يدك في أنفك ، وطرد الذباب عن وجهك ، وكثرة التثاؤب والتمطي ، وأشباه ذلك مما يستخفه النـاس منك ، ويغتمزون به فيك . وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، واصغِ الىالكلام الحسن ممن يحدثك من غير إظهار عجب

منك ، ولا تسأله إعـادة ، وغضّ عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ، ولا تحدّث عن إعجابك بولدك ، ولا خـادمك ، ولا عن فرسك وسيفك . وإياك وأحاديث الرؤيا ، فانك إن أظهرت الفرح بهـا والتعجب منها ، طمع فيك السفهاء ، فولدوا لك الاحلام ، واغتمزوا في عقلك . ولا تتصنع تصنّع المرأة ، ولا تبذل ببذل العبد ، وغب بامتشاط لحيتك ، وتوقّ نتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والاسراف في الدهن ، وليكن كحلك غبّـاً . ولا تلحّ في الحاجات ، ولا تخضع في الطلبات ، ولا تعـلم اهلك وولدك فضلاً عن غيرهم عدّة مالك ، فانهم اذا رأوه قليلاً هنتَ عليهم ، وإن كان كثيراً لم يبلغ به مرضاتهم ، واجفهم من غير عنف ، ولِنْ لهم من غير ضعف ، ولا تهازل في حاجتك أمتك ولا عبدك ، فيسقط وقارك من قلوبهم. واذا خاصمت فتوقّر ، وتحفّظ من جهلك ، وتجنب عجلتك ، وتفكّر في حجتك ، وأرِ الحـــاكم بينكما حلمك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تحفر على رتبتك ، وتوقّ حمرة الوجه ، وعِرْق الجبين . وإن سُفه عليك فاحلم ، واذا هدأ غضبك فتكلم ، وأكرِم عِرْضك ، وألقِ الفضول عنك . وإن قرّبك السلطان فكن منه على حدّ السنان ، وإن استرسل اليك فلا تأمن انقـــلابه عليك ، وارفق به كل رفقك ، وكلّمه بما يشتهي ما لم يصنع في ذلك حقاً من حقوق الله ، ولا يحملنك مـا ترى من ألطافه ، إياك وخاصته بك ان تدخل بينه وبين احد من أهله وولده ، وحشمه ، إلا بخير ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منـك فيه مطيعاً ، فان سقطة الداخل بين الملك وأهله صرعة. واذا وعدت فحقق ، واذا حدّثت فاصدُق ، ولا تجهر بمنطقك كمنـــازع الأصمّ ، ولا تخافت به كمخافتة الاخرس ، وتخيّر محاسن القول بالحديث المقبول ، واذا حدّثت بسماع فانسبه الى أهله ، وإياك والأحاديث الغريبة المستبشعة التي تنكرها القلوب ، وتقف لهـا الجلود ، وإياك ومضاعف الكلام ، نعم نعم ، ولا ولا ، وأجل

وأجل ، وما أشبه ذلك . واذا توضأت فأجد عَرْك كفيك ، ولا تتنخع في الطست ، وليكن طرحك المـاء من فيك مسترسلا ، ولا تمجّه فينضح على أقرب جلسائك ، ولا تعضّ بعض اللقمة ثم تعيد مـا بقي منها في متصبّغ ، فان ذلك مكروه. ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملوك، ولا تعبث بالمشاش، ولا تعبْ طعاماً ولا شيئاً ممـا يقرّب على المائدة ، من بقل او خلّ او تابل او عسل ، فان اصحابه صيّرت لنفسها المهـابة . ولا تمسك امساك المسكين المثبور ، ولا تبذّر تبذير السفيه المغرور ، واعرف في مالك واجب الحقوق، وحرمة الصديق، واستغنِ عن الناس يحتاجون اليك . واعلم ان الجشع (يعني الطمع) يدعو الى الطبع والرغبة ، كما قيل تدُقّ الرقبـــة ، والأكلة تمنع الأكلات، والتعفف مال جسيم، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدرَه تشرّف ذكره ، ومن تعدّى القدر هوى في بعيـد القفر ، والصدق زين ، والكذب شين ، وَالصدق يسرع عطب صاحبه احسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق، والزوجة السوء الدمن، الداء العضال، ونكاح العجوز يذهب ماء الوجه ، وطاعة النساء تزري بالعقلاء . تشبّه بأهل الفضل تكن منهم ، واتّضع للشرف تدركه ، واعلم ان كل امرىء حيث وضع نفسه ، وانما يُنسَب الصارم الى صانعه ، والمرء يُعرف بقرينه ، وإياك واخوان السوء فانهم يخونون من رافقهم ، ويخونون من صادقهم ، وقربهم أعدى من الجرَب ، ورفضهم من استكمال الأرب ، وجفوة المستجير لؤم ، والعجلة شؤم ، وسوء التدبير وهم . والاخوان اثنـان : فمحافظ عليك عنـد البـــلاء ، وصديق لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلية ، وتجنّب صديق العافية ، فانه أعدى الأعداء . ومَن اتبع الهوى ، مـال به الى الردا . ولا يعجبنك الظريف من الرجال ، ولا تحقر ضئيلا كالخلال، وانما المرء بأصغريه: قلبـه ولسانه ، ولا ينتفع منه الا بأصغريه . وتوقّ الفساد ، وإن كنت في

بلاد الآعاد . ولا تفرش عرضك لمن دونك، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عِرضك . ولا تكاثر الكلام ، فتثقل على الأقوام . وامنح البشر جليسك ، والقبول . وإياك وكثرة التبزيق ، والتلويق ، والتنويق ، فان ظاهر ذلك ينسب الى التأنيث ، والتصنع ، لمغازلة النساء . وكن منتهزاً في فرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، مثبّتاً في عجلتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، وكن مع كل قوم في سلكهم ، واحذر ما يكون بك اللائمة في آخرتك ، ولا تعجل في امر حتى تنظر في عاقبته ، وعليك بالتنوّر في كل شهر ، وإياك وحلق الإبط بالنورة، وليكن السواك من طبعك ، واذا استكتَ فعرضاً ، وعليك بالعمارة فانها أنفع من التجارة، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع، ومنازعتك اللئيم يطمع فيك ، ومن أكرم عِرضه أكرمه النـــاس ، ومعرفة الحق من اخلاص الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم . من أيسر عظم ، ومن افتقر احتقر . قصّر في المقالة مخافة الإجابة ، والساعي عاتب عليك . طول السفر ملالة ، وكثرة المنى ضلالة ، وليس للمعاتب صديق ، ولا على الميت شفيق ، والادب للشيخ عياء ، والادب للغلام شفاء ، والدين أزين الامور ، والشماتة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان ، والعادة طبيعة لازمة ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . ومن حلّ عقداً احتمل حقداً ، والفرار عار، والتقدم مخاطرة ، وكثرة العلل مع الوجود من البخل ، وشر الرجال الكثير الاعتلال (يعني في القول) ، وحسن اللقاء يذهب بالشحناء ، ولين الكلام من أخلاق الكرام .

يا بني ، ان زوجة الرجل سكنه ، ولا عيش له مع خلافها . واذا هممت بنكاح امرأة فاسأل عن أهلها ، فان العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة . واعلم ان النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقّ منهن كل ذات يد مجبولة

على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعلهـا ، إن أكرمها رأت فضلها عليه ، ولا تشكره على جميـــل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سفيه صقيل ، قد كشفت اللقحة ستر الحياء عن وجهها ، ولا تستحي من عوارها ولا من جارها ، هدّارة ، ظنّانة ، مهارشة عقاره ، وجه زوجها مكلوم ، وعِرضه مشتوم ، لا ترعاه لدنيـا ولا دين ، ولا تحفظه لصُحبة ، ولا لكبر سنّ . حجابه مهتوك ، وسرّه منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كئيبـاً ، ويمسي غائباً ، شرابه شر ، وطعامه غيظ ، وولده صائم ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فراهب ، وإن تكلم فمتكاره ، نهاره ليل ، وليله نهـــار ، تلدغه مثل الحية ، وتكرشه مثل العقرب ، صهصلق ختاره ، دُفلس لخناء تهبّ مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، محتقرة لمــا في يديه ، تضرب له الامثال ، وتقصر بـه دون الرجال ، وتنقله من حال الى حال ، حتى قلى بيتَه ، وملّ ولده ، وغبّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، حتى أنكره اخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الحمقاء ذات الدلال في غير موضعه ، الماضغة للسانها ، الآخذة في شأنها ، قــد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع ، وترتفع الشمس ولم تسمع لها صوتاً ، ولم تكنس لهـا بيتاً ، طعامها بائت ، وإناؤها وضر ، وعجينها ، وماؤها فاتر ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبتها ، المحبوبة في جيرانهـا ، الحافظة لسرها وعلنها ، الكريمة التبعّل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة بيتاً ، خادمها مسمّن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، مصونة الوفـة ، بالخير والعفاف موصوفة ، جعلك الله يا بني

ممن يقتدي بالخير ، ويأتمّ بالتقى ، ويتجنب السخط ، ويحب الرضى ، والله خليفتي عليك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن الشمائل الأريحية ما ذكره الاصمعي ، قال : دخل اسحاق النديم على امير المؤمنين الرشيد فقال : ما بالك ؟ فقال اسحاق :

سوامي سوام الأكثرين تجملا ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وآمرة بالبخل قلت لها اقصري فذلك شيء ما اليه سبيل
وكيف أخاف الفقر اوأحرم الغنى ورأي امير المؤمنين جميل
أرى الناس خلّان الجواد ولا أرى بخيلا له في العالمين خليل

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذي صحّت معانيه ، وقويت أركانه ومبانيه ، ولذّ على أفواه القائلين ، وسماع السامعين ، يا غلام ، احمل اليه خمسين الف درهم .

قال اسحاق : يا امير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعري بأكثر ما مدحتك به ؟ قال الاصمعي : فعلمت أنه أصيد للدراهم مني .

ومن هذا الباب ما حكاه الاصمعي قال : دخل المأمون ذات يوم الديوان ، فنظر الى غلام جميل على اذنه قلم ، فقال : من انت ؟ قال : أنا الناشىء في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، المؤمّل لخدمتك ، الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالإحسان بالبديهة تتفاضل العقول ، يُرفع من الديوان الى مرتبة الخاصة ، ويعطى مائة الف درهم تقوية له .

ومن صفات العارفين ما ذكره ابراهيم بن ادهم قال : من علامات العارف

أن يكون أكثر صمته التفكير والعبرة ، وأكثر كلامه الثناء والمدحة ، وأكثر علمه الطاعة والخدمة ، وأكثر نظره الى الطايف صنع رب العزة .

وُسئل بعض المحققين من اهل الله : ما علامة العارف والعابـــد والمحب والخائف ؟ فقال: الخائف ذو هرب، والعابد ذو نصب ، والمحب ذو شغف ، والعازف ذو طرب .

وقال بعضهم : سمعت بعض المنقطعين وهو يتأوه ويقول : آه على أعمـار في المعصية ضاعت ، آه على أسرار بسوء المعاملة ذاعت ، آه على أوقات في المخالفة انقرضت ، آه على ساعات اكتساب المعصية ما حفظت ، آه على توبة أبرمت ثم نقضت ، آه على عهود أكدت ثم لفظت ، آه على نفوس تكفـّل الخالق بأرزاقها فاعترضت ، آه على شباب وّلى بعـــد إقباله ، آه على شيب موذن للجسد بارتحاله ، فأين الاستعداد والاهتمام ؟ وأين التزوّد والاعتزام ؟ وأين المبادرة والاغتنام ؟ ان كنت ممن يبيع معالم الشريعة بالحطام ، فاعلم انه ليس في خسارتك كلام .

وأنشدنا محمد بن عبد الواحد لبعضهم :

اذا وافى بصولته المشيب فلا عيش يلذّ ولا يطيبُ
أتطمع في الخلود على الليالي وشيب الرأس يتبعه شعوب
اذا نزل المشيب بأرض عبدٍ فمنهل موتـــه منه قريب

وأنشدني ابو بكر بن صاف اللخمي لبعضهم :

الحمد لله ثم الحمـــد لله فما على الارض من ساهٍ ولا لاهٍ
ماذا يعاين ذو عينين من عجب يوم الخروج من الدنيا الى الله

ورويناه من حديث الهاشمي بسنده الى انس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أما رأيت المأخوذين على العزة ، والمزعجين بعد الطمأنينة ، الذين أقاموا على الشُبهات ، وجنحوا الى الشهوات ، حتى أتتهم رُسل ربهم، فلا ما كانوا أمّلوا أدركوا ، ولا الى ما فاتهم رجعوا ، قدموا على ما عملوا ، وندموا على ما خلّفوا ، او لم يغنِ الندم، وقد جفّ القلم ، فرحم الله امرءاً قدّم خيراً ، وأنفق قصداً ، وقال صدقاً ، وملك دواعي شهواته ولم تملكه ، وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه .

موعظة سفيان الثوري للمنصور بمكة :

حدثنا محمد بن اسماعيل التميمي (١) ، ثنا عبد الله بن علي بن محمد ، ثنا محمد بن ابي منصور ، عن المبارك بن عبد الجبّار، ثنا ابو اسحاق البرمكي، عن احمد بن جعفر بن سالم ، ثنا ابو بكر بن عبد الخالق ، عن يعقوب بن يوسف النسبي ، عن ابي نشيط محمد بن هارون الغرباني قال : سمعت سفيان الثوري يقول : دخلت على ابي جعفر المنصور بمنى ، فقلت له اتق الله ، فإنما أنزلت هذه المنزلة ، وصرت الى هذا الموضع ، بسيوف المهاجرين والانصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً . حجّ امير المؤمنين عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً ، وكان ينزل تحت الشجر ، فقال لي : إنما تريد ان أكون مثلك ، فقلت لا تكن مثلي ، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه ، فقال لي : اخرج ، قال الثوري : فقلت له : اني لأعلم مكان رجل واحد لو صلح صلحت الامة كلها ، قال : من هو ؟ قلت : انت يا امير المؤمنين .

---

(١) نسخة ٢ : التيمي .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى مـا حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي قـال : قال لي بعض الصالحين : رأيت في واقعتي أبا حامد ، وأبا يزيـد ، وأبا طالب ، وأشياخ الصوفية ، وأبا مدين ، فقال احدهم للشيخ ابي مدين : قل لنا شيئاً في المعرفة فقال : المعرفة هي الحجة لبلوغ العافية وثمرتها التوحيد ، واليه النهاية . فالتوحيد هو غاية الامل ، ومـا افترق في الوجود عنده اشتمل ، هو المبدأ ، وله البيان واليه المرجع ، وبـه يحصل الامان ، سره في مخلوقاته خفي وحكمه في مصنوعاته ظاهر جلي ، امره قد انتشر في الورى ، وقضاؤه وقدره في كل شيء قد جرى ، وهو الاول قبل كل شيء ، وهو الآخر ، واليه يرجع الامر كله ، وهو الآمر ، فالمحسوسات كلها هباء ، وهي حجابه سبحانه وبه خفي ، فقلب العارف طاهر مما سواه ، فإذا أعين عليه بادره برحمته فقواه بحياته امتدت حياتـه ، وبصفاته امتدت صفاته ، فمخلوقاته بأسرها اليه مضطرة ، اذ لم يخـل شيء من الاشياء من سره حتى الذرة ، قد شهدت بأسرها اليه ، ونطقت بأنه الواحد ، وأنه ليس له شريك في ملكه ، ولا ولد، ولا والد ، شهادة قد أحكمتها الفطرة ، يشهدها العارف في كل خطرة ونظرة ، فالعارفون به ظهرت لهم الغيوب ، وبذكره اطمأنت منهم القلوب ، فلم يعرجوا على شيء مما سواه ، وما منهم من قنع بشيء عوضاً عن مولاه ، فأسرار العارفين عـن الخلق محجوبة ، وعند من عرفهم ظاهرة بالحسب مطلوبة ، وقلوب الغير بالاسباب في شعب هي من المعرفـة خالية ، ومن الحكمة مسلوبة . لاحظوا أنفسهم فهم منها على غرور ، مـن اسرار العارفين خلوا ، وبظواهرهم تشبهوا ، والناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا .

روينا من حديث الخطابي قال : كان سعد ممن اعتزل ايام الفتنة ، ولم يكن مع واحد من الفريقين ، فراودوه على الخروج فأبى، وضرب لهم مثلاً:

قال الخطابي : أنا ابن الاعرابي ، حدثنا محمد بن احمد ابن ابي العوام ، حدثنا ابي ، ثنا كثير بن مروان الفلسطيني ، ثنا جعفر ابن برقان ، عن ميمون بن مهران ، قال سعد : لما دعوه الى الخروج معهم اتى عليهم وقال : لا ، إلا أن تعطوني سيفاً له عينا بصيرتان ، ولساناً ينطق بالكافر فاقتله ، وبالمؤمن فاكف عنه ، وضرب لهم مثلاً ، وقال : مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجّةٍ بيضاء ، فبينما هم كذلك اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق ، والتبس عليهم ؛ وقال بعضهم : الطريق ذات اليمين ، فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا ؛ فقال آخرون : الطريق ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال آخرون : كنا على الطريق حيث هاجت الريح فننيخ ، فأناخوا واصبحوا فذهب الريح ، فتبين الطريق ، فهؤلاء الجماعة قالوا نلزم ما فارقنا عليه رسول الله ﷺ حتى نلقاه ، ولا ندخل في شيء من الفتن . قال ميمون ابن مهران فصار الجماعة والفئة التي يدعى فيها الاسلام ما كان عليه سعد بن ابي وقاص واصحابه الذين اعتزلوا الفتن ، حتى أذهب الله عزّ وجل الفرقة ، وجمع الألفة ، فدخلوا الجماعة ، ولزموا الطاعة ، وانقادوا ، فمن فعل ذلك ولزمه نجا ، ومن لم يلزمه وقع في المهالك .

وحدثنا يونس بن يحيى الهاشمي، عن ابي الفتح محمد بن عبد الباقي بن احمد ابن سليمان المعروف بابن البطن، عن ابي الفضل احمد بن خيرون، عن ابي علي الحسن بن ابراهيم بن شادان ، عن الحسن احمد بن اسحاق ، عن ابي عبد الله احمد بن محمد ، عن عمّار بن عبد الله المصيصي ، عن مخلد بن الحسين ، عن واصل ؛ ذكر أنه أسر غلام من بطاركة الروم، وكان غلاماً جميلاً ، فلما صار الى دار الاسلام، وقع الى الخليفة، وذلك في خلافة بني أمية، فسمّاه بشيراً ، وأمر به الى الكتّاب ، فكتب ، وقرأ القرآن ، وطلب الأحاديث ، وروى

الشعر ، فلمـا بلغ أتاه الشيطان فوسوس له ، وذكـّره النصرانية دين آبائه ؛ فهرب مرتـداً من دار الاسلام الى ارض الروم الذي سبق له في أم الكتاب به ، فأتى به الى الطاغية ، فسأله عن حاله ، وما الذي دعاه الى الدخول في دين النصرانية ؟ فأخبره برغبته فيه ، فعظم في عين الملك ورأسه ، وصيـّره بطريركاً من بطاركته ، وأقطعه قرىً كثيرة ، فهي اليوم تعرف به ، يقال لها : قرى بشير .

وكان من قضاء الله وقدره أنه أسر ثلاثين أسيراً من المسلمين، فأدخلوا على بشير، فسألهم رجلا رجلاً عن دينهم ، وكان فيهم شيخ من اهل دمشق يقال له واصل ، فسأله بشير ، فأبى الشيخ ان يرد عليه شيئاً ، فقال له بشير : مالك لا تجيبني ؟ قال : لست أجيبك اليوم بشيء ، فقال بشير للشيخ : اني سائلك غداً ، فأعدّ لي جواباً ، وأمره بالانصراف . فلما كان الغد بعث اليه بشير ، فأدخل عليه الشيخ ، فقال بشير : الحمد لله الذي كان قبل أن يكون شيء من خلقه ، وخلق سبع سموات طباقـاً بلا عون كان معه من خلقه ، ودحى سبع ارضين بلا عون كان معه من خلقه، فعجب لكم يا معاشر العرب، حين تقولون : إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون .

فسكت الشيخ ، فقال : مالك لا تجيبني ؟ قـال : كيف أجيبك وأنا أسيرٌ في يديك ؟ فإن أجبتك بما تهوى أسخطتَ عليّ ربي ، وأهلكتَ عليّ ديني ، وإن أجبتك بما لا تهوى أهلكتُ نفسي ، فاعطني عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله عز وجل على النبيين ، وما أخذ النبيون على الأمم، أن لا تغدر بي ، ولا تمحلني ، ولا تبغ لي باغية سوء ، وأنك اذا سمعت الحق تنقاد له . قال بشير : فلك عليّ عهد الله وميثاقه ، ومـا اخذ الله على النبيين ، وما

اخـذ النبيون على الأمم ، أن لا اغدر بك ، ولا احل بك ، ولا ابغي بك باغية سوء ، واني اذا سمعت الحق أنقاد له .

فقال الشيخ: اما ما وصفت من صفة الله عز وجل، فقد احسنت الصفة، ولم يبلغ علمك، ولم يستحكم عليه رأيك اكثر من هذا ، والله عز وجل اعظم وأكبر مما وصفت ، ولا يصف الواصفون صفته ، وأما مـا ذكرت من هذين الرجلين ، فقد أسأت الصفة ، ألم يكونا يأكلان الطعام ، ويشربان الشراب ، ويبولان ، ويتغوطان ، وينامان ، ويستيقظان ، ويفرحان ، ويحزنان ؟ قـال بشير : بلى . قال : فلمَ فرقت بينهما ؟ قال بشير : لأن عيسى كان له روحان اثنان : فروح يبرىء بها الاكمه والأبرص ، وروح يعلم بهـا الغيب ، ويعلم ما في قعر البحار، وما يتحات من ورق الشجر، قال واصل : روحان اثنان في جسد واحد ؟ قال بشير : نعم . قال الشيخ : فهل كانت القوية تعرف موضع الضعيفة منها ام لا ؟ قال بشير : قاتلك الله ماذا تريد ان تقول إن قلت انها لا تعلم ؟ قال الشيخ : ان قلت : انها تعلم ، فما لهـذه القوية لا تطرد عنه هذه الآفات ، وإن قلت انها لا تعلم ، قلت كيف تعلم الغيوب ؟ ولا تعلم روحاً في محل واحد في جسد واحد .

قال : فسكت بشير، فقال الشيخ : بالله هل عبدتم الصليب مثالاً لعيسى ابن مريم أنه صلب ؟ قال بشير: نعم . قال الشيخ: فبرضى منه أم بسخط ؟ قال بشير : هذه اخت تلك ، ماذا تريد ان تقول ان قلت برضى منه ؟ قال الشيخ : ان قلت برضى منه، قلت فما انتم من قوم أُعطوا ما سألوا وأرادوا، وإن قلت بسخط ، قلت فلمَ تعبدون ما لا يمنع عن نفسه ؟ قـال بشير : والضارّ ، والنافع ، ما ينبغي لمثلك ان يعيش إلا في النصرانية ، أراك رجلاً

قد تعلمت الكلام ، وأنا رجل صاحب سيف ، ولكن آتيك غداً بمن يخزيك الله على يديه ، ثم أمره بالانصراف .

فلما كان الغد بعث بشير الى الشيخ ، فلما دخل عليه اذا عنده قس عظيم اللحية ، فقال له بشير : إن هـذا رجل من العرب له حكم وعقل ، وأصل في العرب ، وقد أحب ان يدخل في ديننا فكلمه حتى تنصّره ، فسجد القس لبشير ، وقال : قديماً ما اتيت إلا بالخير ، وهذا أفضل ما اتيت بـه إليّ . ثم أقبل على الشيخ وقال له : ايها الشيخ ما انت بالكبير الذي ذهب عنـه عقله ، وتفرق عنه حكمه ، ولا انت بالصغير الذي لم يستكمل عقله ، ولم يبلغ حلمه ، غداً أغطسك في المعمودية غطسة تخرج منها كيوم ولدتك امك . قال الشيخ : فما هذه المعمودية ؟ قال القس : مـــاء مقدس . قال الشيخ : مَن قدّسه ؟ قال القس : أنا قدّسته ، والأساقفة من قبلي . قال الشيخ : فهـلا كانت لك ذنوب وخطايا ، وللأساقفة من قبلك، أم انتم مبرؤن من النقص؟ قال القس : نعم ، انها لأكثر من ذلك ، ولا يسلم من الذنب والعيب إلا الله تعالى ، قال الشيخ : هل يقدّس الماء من لم يقدّس نفسه ؟

قال : فسكت القس ، ثم قال : اني لم اقدسه انا . قال الشيخ : فكيف كانت القصة اذاً ؟ قال القس : انها سنـّة من عيسى بن مريم ، قال الشيخ : فكيف كان الأمر اذاً؟ قال القس: ان يحيى بن زكريا أغطس عيسى بن مريم بالأردن غطسة ، ومسح له رأسه ، ودعا له بالبركة . قال الشيخ : واحتاج عيسى الى يحيى بن زكريا أن يمسح له رأسه ويـــدعو له بالبركة ؟ فاعبدوا يحيى ، فيحيى خـــير لكم من عيسى . فسكت القس ، واستلقى بشير على فراشه ، وأدخل فاه في كمه وجعل يضحك ، وقال للقس : قم اخزاك الله ، دعوتك لتنصره ، فإذا انت قد اسلمت .

ثم إن الشيخ بلغ امره الى الملك ، فبعث اليه الملك فقال : ما هذا الذي بلغني عنك من تنقيصك لديني ، ووقيعتك فيه ؟ قال الشيخ : ان لي ديناً كنت ساكتاً عنه ، فلما سئلت عنه ، لم اجد بداً من الذبّ عنه . قال الملك: وهل في يدك حجة ؟ قال : أدع لي من شئت حتى يحاورني ، فإن كان الحق في يدي فلمَ تلومني على الذبّ عن الحق ، وان كان الحق في يده رجعت الى الحق . فدعا الملك بعظيم النصرانية ، فلما دخل عليه سجد له الملك ومن عنده اجمعون . فقال الشيخ : ايها الملك من هذا ؟ قال : رأس النصرانية الذي تأخذ النصرانية عنه دينها . قال الشيخ : فهل له من امرأة ؟ ام هل له من ولد ؟ ام هل له من عقب ؟ فقال له الملك : هذا ازكى وأطهر من ان يدنس بالنساء ، هذا ازكى وأطهر من ان ينسب اليه الولد ، ويدنس بالحيض ، هذا ازكى وأطهر من هذا كله . قال الشيخ : فأنتم تكرهون الآدمي ، يكون منه ما يكون من بني آدم من الغائط ، والبول ، والنوم ، والسهر ، وتأخذكم غيرة من ذكر نسبة النساء اليه ، وتزعمون أن رب العالمين سكن ظلمة البطن ، وضيق الرحم ، ودنس الحيض . قال القس : هذا شيطان من شياطين البحر ، رمى به البحر اليكم فاخرجوه من حيث جاء .

فأقبل الشيخ على القس وقال : عبدتم عيسى بن مريم لأنه لا أب له ، فضمّوا آدم مع عيسى حتى يكون لكم آلهان اثنان ، وإن كنتم عبدتموه لأنه أحيى الموتى ، فهذا حزقيل مرّ بميت تجدونه في الانجيل لا تنكرونه ، فدعا الله عز وجل ، فأحياه له حتى كلمه ، فضمّوا حزقيل مع عيسى وآدم حتى يكون لكم ثلاثة ، وإن كنتم إنما عبدتموه لأنه اراكم المعجزات ، فهذا يوشع ابن نون قاتل قومه حتى غربت الشمس ، فقال لها : ارجعي بإذن الله ، فرجعت اثني عشر برجاً ، فضمّوا يوشع ايضاً الى عيسى يكون رابع اربعة ،

وإن كنتم إنمـــا عبدتموه لأنه عرج به الى السماء ، فمن ملائكة الله عز وجل مع كل نفس ، اثنان بالليل، واثنان بالنهار، يعرجون الى السماء ، ما لو ذهبنا نعدّهم لالتبس علينا عقولنا ، واختلط علينا ديننا ، ومـا زاد في ديننا إلا تحيراً . ثم قال : ايها القس اخبرني عن رجل يحل بـه الموت ، الموت اهون عليه ام القتل ؟ قـال القس : بل القتل . قال : فلمَ لم يقتل عيسى بن مريم أمه ، بل عذبها بنزع الروح ؟ ان قلت انه قتلها فما برّ أمـه في قتلها ، وإن قلت إنه لم يقتلها فما برّ أمه في تعذيبها ، بنزع النفس . فقال القس : اذهبوا به الى الكنيسة العظمى ، فإنه لا يدخلها احد إلا تنصّر . قال الملك: اذهبوا به الى الكنيسة . قال الشيخ : لماذا يذهب بي الى الكنيسة ولا حجـة عليّ دحضت حجتي ؟ قال الملك : لا يضرّك شيئاً ، إنمـا هو بيت من بيوت الله تعالى تذكر فيه ربك . قال الشيخ : اما اذا كان هكذا فلا بأس .

فذهبوا به الى الكنيسة ، فلما دخل الى الكنيسة وضع اصبعيه في اذنيه ورفع صوته بالآذان ، فجزعوا لذلك جزعـــاً شديداً ، وصرخوا لذلك ، وكتفوه ، وجاؤا به الى الملك ، فقالوا : ايهـا الملك ، أحل بنفسه القتل . قال الشيخ : ايها الملك اين ذهبوا بي ؟ قال : ذهبوا بك موضعاً تذكر ربك فيه . قال : فقد دخلته وذكرت ربي فيه بلساني ، وعظمته بقلبي ، فإن كان كلما ذكر الله في كنائسكم صغر اليكم دينكم فزادكم الله صغاراً . قـال الملك : صدق ، وما لكم عليه سبيل . قالوا : ايها الملك لا نرضى حتى نقتله . قـال الشيخ : انكم متى قتلتموني فبلغ ذلك ملكنا وضع يـده في قتل القسيسين ، والأساقفة ، ويخرّب الكنايس ، وكسر الصلبان ، ومنع النواقيس . قالوا : وانه ليفعل. قال: فلا تشكـّوا في ذلك ؟ قال: فتفكروا في ذلك فتركوه . قال الشيخ : ايها الملك بمَ علا اهل الكتاب على اهل الأوثان ؟ قال : لأنهم

عبدوا ما عملوا بأيديهم. قال : فهذا انتم عبدتم ما عملتم بأيديكم هذه الاصنام التي في كنائسكم ، فإن كان في الانجيل فلا كلام لنا فيه ، وإن لم يكن في الانجيل، فما اشبه دينكم بدين الأوثان . قال: صدق، هل تجدونه في الانجيل ؟ قال القس : لا . قال : فلمَ تشبهوا ديني بدين اهل الأوثان ؟ قال : فأمرهم بتبييض الكنايس ، فجعلوا يبيضونها ويبكون . قال القس : هذا شيطان من شياطين العرب رمى به البحر اليكم ، فاخرجوه من حيث جاء ، ولا يقطر من دمه قطرة في بلادكم فيفسد عليكم دينكم ، فوكلوا به رجالاً ، فأخرجوه من حيث جاء من بلاد دمشق . ووضع الملك يده في قتل القسيسين ، والبطاركة ، والأساقفة ، حتى هربوا الى الشام ، لما لم يجد واحداً يحاجّه ، انتهى .

اخبرني عبد الواحد بن اسمعيل العسقلاني قال : سمعتُ جدّي لأميّ عمر ابن عبد الحميد يقول : أعلمْ ان الناس في الدنيا على ابواب ملوكهم طبقات ، فمنهم الخواص المقرّبون ، والخدم المنتخبون ، والأمناء الثقات ، والكبراء السادات ، والتجار الطالبون للارباح ، والفقراء اصحاب الصدقات . فأحسن احوالك أن تنزل نفسك منزلة الفقراء والسؤال لا مقام ذي الصلة والنوال ، كم يدعون فلا يجيبون ، ويرغبون فلا يرغبون ؟ فما لكم لا تكونون كما قال الله تعالى : اذكروني اذكركم ، وأشرف الذكر ذكر القلب ، لأنه موضع نظر الله عزّ وجل من العبد .

وقال بعضهم يوبخ نفسه : اما تستحي من الله ، كم يكون منك الخطا ، ومنه العطا ، كم يكون منك الجفا ومنه الوفا؟ هلاّ كان منك التوبة فيكون منه القبول ؟ يا نفس ، كم تعصيه ويستر عليك وتتمادي في الذنب ويمهلك ؟ أما تخشى عقابه ؟ اما تستحي من عتابه؟ أخاف عليك ان لم تنتهي عن قبيح

فعلك ليصُبنّ عليك سخطه ، وليحرقنك بنار غضبه ، هذا قلبك في فلوات المعاصي ضائع ، وسرك في الاعمال القبيحة رائع ، فبادري بالتوبة والاقلاع ، والندم والاسترجاع ، فكأنك وقد كشف القناع ، ولا تغتري بالحياة الدنيا فما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع .

وأنشدني محمد بن عبد الواحد لبعضهم :

انتَ سترى كيف اهتكه   ذا طريقٌ لستُ اسلكه
املك الدنيــا بأجمعهــا   وفؤادي لستُ املكه

قال بعض العارفين للعارفين اربع علامات : ذكر المنة ، وصدق الهمة ، وعرفان الحرمة ، وخوف الفرقة. وقال بعض الصالحين: من علامات العارف أن ينظر الى الدنيا بعين الاعتبار ، والى الآخرة بعين الانتظار ، والى النفس بعين الاحتقار، والى الطاعة بعين الاعتذار، لا بعين الاستكبار ، والى المغفرة بعين الاستبشار ، والى المعروف سبحانه وتعالى بعين الافتخار .

حدثنا يونس بن يحيى ، ثنا ابن البطيء ، عن ابن شادان ، عن احمد ابن اسحاق ، عن احمد بن محمود ، عن الحسن بن عبد العزيز المخزومي ، انا ابو حفص القيسي ، عن ابي معبد ، قال : سمعت بلال بن سعيد يقول : كان أخوان في بني اسرائيل خرجا يتعبدان، فلما أرادت الطريق تفرق بينهما قال احدهما لصاحبه : خذ انت في هذا الطريق ، وأنا في هذا الطريق ، فإذا كان رأس السنة اجتمعنا في ذلك الموضع ، فلما اجتمعا قال احدهما لصاحبه : أي ذنب فيما عملت أعظم ؟ قال : بينما انا أمشي على الطريق اذا بسنبلة فأخذتها فألقيتها في احدى الارضين ، ارض عن يميني ، وأرض عن شمالي ، ولا أدري أهي للأرض التي ألقيتها فيها أم للأخرى ؟

ثم قال المسؤول للسائل : أي ذنب فيما عملت أعظم ؟ قال : لا أعلم غير اني كنت اقوم الى الصلاة ، وأميل مرة على هذه الرجل ، ومرة على هـذه الرجل ، فلا ادري ، أكنت أعدل فيما بينهما ام لا ؟ فسمعهما ابوهما من داخل الباب ، فقال : أللهمّ ان كانا صادقين فأمتهما ، فخرج فإذا بهما قد ماتا .

وروينا من حديث ابن ودعان ، عن الحسن بن شهاب ، عن ابي الهادي ، عن محمد بن منصور ، عن موسى بن اسماعيل ، عن حمّـــاد بن سلمة ، عن ايوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قـــال : قال رسول الله ﷺ : ليس شيء يباعدكم من النار إلا وقد ذكرته لكم ، ولا شيء يقرّبكم من الجنة إلا وقـــد دللتكم عليه ، ان روح القدس نفث في روعي ، انه لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه ، فاجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصيته ، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته ، ألا وان لكل امرء رزقاً هو آتيه لا محالة ، فمن رضي بـــه بورك له فيه ، فوسعه ، ومن لم يرض بـــه لم يُبارك له فيه ، ولم يسعه ، ان الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه اجله .

خبر الكنيسة التي بناها ابرهة بصنعاء الى جنب غمدان :

روينا من حديث بن اسحاق ، ان ابرهة الأشرم ، لمـا كان من امره ما كان مع ارباط ، وقتله ، وملك اليمن ، وأقره النجاشي على اليمن ، بنى كنيسة بصنعاء الى جنب غمدان ، وسماها القليس ، وحرق غمدان هو وارباط ، وكتب الى النجاشي : اني قـــد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم تبن العرب والعجم مثله ، ولن أنتهي حتى أصرف حاجّ العرب اليه ، ويتركوا الحج الى بيتهم ، فبنى القليس بحجارة قصر بلقيس التي عمرته صاحبة الصرح المذكور في القرآن ،

وكان سليمان في رواية من قال : انه تزوج بهـا ، فكان اذا جاءها ينزل عليها فيه ، قـــال ابن اسحاق : فوضع ابرهة الرجال نسقاً يناول بعضهم بعضاً الحجارة، والآلة ، حتى نقل ما كان في قصر بلقيس ، مما احتاج من الحجارة، والرخام ، والآلة ، وجدّ في بنائه ، وبناه مربعاً ، مستوى التربيع ، طوله في السماء ستون ذراعاً ، وكبسه من داخله في السماء عشرة أذرع ، وكان يصعد اليـه بدرج الرخام ، وبنى حوله سوراً بينه وبين القليس مائتا ذراع مطيف به من كل جانب ،وبنى ذلك كله بحجارة يسموها اهل اليمن الجورب، منقوشة مطابقة لا تدخل بين اطباقها الابرة مطبقة به ، وجعل طول ما بنى بـه من الجورب عشرين ذراعاً في السماء ، ثم فصل ما بين حجارة الجوارب بحجارة مثلثة تشبه الشرف متداخلة بعضها ببعض ، حجر اخضر ، وحجر اسود ، وحجر احمر ، وحجر ابيض ، وحجر اصفر ، فيما بين كل ساقين خشب ساسم مدّور الرأس ، غلظ الخشبة حضن الرجل ، ثابتة على البناء ، وكان مفصلاً بهذا البناء على هذه الصفة ، ثم فصل بإفريز من رخام منقوش ، طوله في السماء ذراعان ، وكان الرخام ثابتاً على البناء ذراعاً ، ثم فصل فوق الرخام بحجارة سود لها بريق ، ثم وضع فوقها حجارة بيضاً لها بريق ، فكان هذا ظاهر حائط القليس ، وكان عرض حائط القليس ستة اذرع ، وكان له باب من نحـاس عشرة اذرع طولاً في اربعة اذرع عرضاً ، وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً ، معلق العمل بالساج المنقوش ، ومساميره الفضة والذهب ، ثم يدخل من البيت الى إيوان طوله اربعون ذراعاً، عن يمينه وعن يساره عقد مضروبة بالفسيفساء مشجرة، بينها كواكب الذهب ظاهرة ، ثم يدخل من الإيوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في مثلها بالقصير ، فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة ، وفيها رخامة ممـا يلي مطلع الشمس من البلق مربعة عشرة اذرع في مثلها ، تغشي عين من نظر اليها من

بطن القبة ، يؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة، وكانت تحت الرخامة منبر من خشب اللبخ وهو الابنوس مفصّل بالعاج الابيض ، ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة ، وفي القبة سلاسل فضة ، وكان في القبة ، وفي البيت خشبه من ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً ، يقال لهـــا كعيبٌ وخشبة من ساج ، نحوها في الطول ، يقال لها امرأة كعيب ، كانوا يتبركون بها في الجاهلية ، وكان يقال الكعيب الاحوريّ ، وهو في لسانهم ، الحرّ ، وكان ابرهة عند بناء القليس قد أخذ العمال بالعمل اخذاً شديداً ، وقد كان آلى ان لا تطلع الشمس على عامل لم يضع يده في العمل إلا قطع يده . قال : فتخلّف رجل ممن كان يعمل فيه حتى طلعت الشمس ، وكانت له ام عجوز، فذهب بها معه لتستوهبه من ابرهة ، فأتته به وهو بارز للناس ، فذكرت له علة ابنها واستوهبته منه ، فقال : لا أكذّب نفسي ، ولا أفسد على عمالي ، فأمر بقطع يده ، فقالت له :

اضرب بمعولك ساعي بهر اليوم لك
وغداً لغيرك ليس كل الدهر لك

فقال : أدنوها ، وقال لهـا : إن الملك ليكون لغيري ؟ قالت : نعم . وكان ابرهة قـد أجمع ان يبنى القليس حتى يظهر على ظهره ، فيرى منه بحر عدن ، فقال : لا أبني حجراً على حجر بعد يومي هـذا ، فأعفى الناس من العمل . قال ابو الوليد : تفسير قولها : ساعي بهر ، تقول : اضرب بمعولك ما كان حديداً .

قال ابن اسحاق : وانتشر خبر بناء هذا البيت في العرب، وسمع به رجل من النسـاة احد بني فقيم ، ثم بني مالك بن كنانـة ، فغضب وخرج حتى أتى القليس فدخله ، فأحدث فيه ، فبلغ ذلك أبرهة ، فغضب وقال : لا أنتهي

حتى أهدم بيت العرب الذي يحجّون اليه ، يعني ، الكعبة ، فتجهّز ، وساق الفيلَ الى البيت الحرام ليهدمه ، فكان من شأنه ما ذكرناه في هذا الكتاب.

قال ابن اسحاق : ولم يزل القليس على ما كان عليه حتى وّلي امير المؤمنين ابو جعفر المنصور العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي ، اليمن ، فذكر للعباس ما في القليس من الذهب والفضة ، وعظم ذلك عنده ، وقيل له : إنك مصيب فيه مالاً كثيراً وكنزاً ، فتاقت نفسه الى هدمه وأخذ ما فيه ، فبعث الى ابن وهب بن منبّه فاستشاره في هدمه وقال : غير أن واحداً من اهل اليمن قد أشار عليّ ان لا أهدمه ، وعظم اليّ امر كعيب ، وذكر ان اهل الجاهلية كانوا يتبركون به ، وأنه كان يكلمهم ويخبرهم بأشياء مما يحبون ويكرهون .

قال ابن وهب : كل ما بلغك ، وإنما كعيب صنم من أصنام الجاهلية ، فتنوا به ، فمر بالذهل وهو الطبل ، وبمزمار ، فليكونوا قريناً ، ثم أعله الهدّامين ، ثم مُرهم بالهدم ، فإن الذهل ، والمزمار ، أنشط لهم وأطيب لنفوسهم ، وأنت مصيب مالاً ، مع أنك تأخذ بثأر من الفسقة الذين حرقوا غمدان ، وتكون قد محوت عن قومك اسم بناء الحبش ، وقطعت ذكرهم .

وكان يهودي بصنعاء عالماً ، فجاء قبل ذلك الى العباس بن الربيع يتقرب اليه ، فقال له : ان يهدم القليس يلي اليمن اربعين سنة ، فلما اجتمع له مشورة بن وهب ، وقول اليهودي ، أجمع على هدمه ، فقال مَن شهد هدمه : أصاب منه العباس مالاً عظيماً ، ثم رأيته دعا بالسلاسل فعلّقها في كعيب ، والخشبة التي معه ، فاحتملها الرجال فلم يقربها احد مخافة مما كان اهل اليمن يقولون فيها ، فدعا بالوردين وهو العجل ، وعلّق فيها السلاسل ، ثم جذبها الثيران

حتى أبرزها من السور . فلما لم يرَ الناس شيئاً مما كانوا يخافون من مضرّاتها ، اشترى رجل عراقي الخشبة ، وقطعها لدار له ، واتفق ان العراقي تجذّم فقال: من كان في قلبه تعظيم الخشبة من جهّالهم ، انمـــا أصابه ما أصابه من أجل شرائه كعيباً ، وكان الناس اذا فتشوا في هدم القليس ، وجدوا قطع الذهب والفضة ، وهذا ما كان من هدم القليس .

ومن الالحاد في الحرم المكي ، ما حدثنا بـــه محمد بن اسمعيل ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا احمـــد ابن علي ، ثنا ابو بكر الخطيب ، انا ابن بشيران ، ثنا ابن صفوان ، ثنا عبد الله بن محمـــد القرشي ، ثنا ابراهيم بن سعيد ، ثنا ابو سامة مسعر ، عن علقمة بن مرشد ، قال : بينما رجل يطوف بالبيت اذ برق له ساعد امرأةٍ فوضع ساعده على ساعدها يتلذّ بـــه ، فلصقت ساعداهما ، فخرجا من الحرم ملتصقين حياءً لما حلّ بهما ، فقال لهما بعض العلماء : ارجعا الى الموضع الذي اصابكما هـــذا فيه ، فتوبا الى الله ، وأعزما أن لا تعودا ، فرجعا فعاهدا الله ، فخلى عنهما .

ومن باب تعجيل العقوبة ، مـــا كان يحدثنا به عبد الله بن العاص الباجي المالكي في مناقب مالك وفضله في العلم ، ان امرأة غسلت امرأة ماتت ، فلما غسلت فرجها ضربت الغاسلة بيدها على فرج الميتة ، وقالت : ما كان ازناك من فرج ، فلصقت يدها بالفرج ، فسئل علماء المدينة في ذلك ، ومالك صغير طالبٌ للعلم، فاختلف علماء المدينة بين تغليب حرمة الميت على الحي، وحرمة الحي على الميت ، فمن قائل ، تقطع يدها ، ومن قائل ، يقطع الفرج، ومالك حاضر فقال : أرى ان سمعتم أن تجلد حدّ القذف (١) ، فانـــه يخلى عنها ،

---

(١) نسخة ٢ : الفرية .

قال : فجلدت ثمانين جلدة ، فانطلقت يدهـــا ، فمن هنالك علم فضل مالك في العلم .

روينا من حديث ابن باكوية ، عن ابي الفضل القطان ، عن جعفر الخلدي قــال : سمعت الجنيد يقول : حججت على الوحدة فجاورت بمكة ، فكنت اذا جن الليل دخلت أطوف فاذا بجارية تطوف وهي تقول :

أبى الحبُّ أن يخفى وكم قد كتمتُه   فأصبح عندي قد أناخ وطنّبا
اذا اشتدّ شوقي هامَ قلبي بذكره   وأن رمتُ قرباً من حبيبي تقرّبا
ويبدو فأفنى ثم احيـا بذكرهِ   ويسعدني حـــق ألذّ وأطربا

قال : فقلت لها يا جارية ، اما تتقين الله في هذا المكان ؟ تتكلمين بهـذا الكلام ، فالتفتت اليّ وقالت يا جنيد :

لولا التقى لم ترَني   أهجرُ طيبَ الوسَن
ان التقى شرّدني   كما ترى عن وطني
أفرُّ من وجدي بهِ   فحبُّه هيَّمني

ثم قالت : يا جنيد ، تطوف بالبيت ام برب البيت ؟ قلت : اطوف بالبيت ، فرفعت رأسها الى السماء وقالت : سبحانك مـــا أعظم شأنك في خلقك ، خلق كالاحجار يطوفون بالاحجار ، ثم انشأت تقول :

يطوفون بالاحجار يبغون قربَه   اليك وهم أقسى قلوباً من الصخر
وتاهوا ولم يدروا من النيّة من هم   وحلّوا محل القرب في باطن الفكر
فلو صدَقوا في الودّ غابت صفاتهم   وقامت صفات الودّ للحق في الذكر

قال الجنيد : فغشي عليّ من قولها ، فلما افقتُ لم ارها . قلت : كنت ليلة في الطواف ، فطلبتُ قلبي فلم أجده ، فهدت أن أجده ، فصعب عليّ الطواف بجسمي بقلب غير حاضر ، وداخلني خوفٌ ، فنزلت ، اطوف في الرمل وحدي ، وأقول ، وأبكي :

جسم يطوف وقلب ليس بالطائف ذات تصدو ذات مالها صارف
هيهات هيهات ما اسم الزور يعجبني قلبي له من خفايا فكره خائف

ثم وجدت لمحة برقت ، فدنوت من البيت وأنا اقول : اطوف على طوافي بالمعاني . فهتف لي هاتف خلف الستر فقال :

فغايتك الوصول الى الغواني . فقلت : فكم من طائف ما نال إلا ؟
فقال : ملاحظة من الحور الحسان . فقلت : فكم من طائف ما نال إلا ؟
فقال : عياناً في عيانٍ من عيان ، فقلت : فانبئني بحظي منه وأصدق ؛
فقال : كياناً في كيان من كيانٍ ، فقلت :

فقد اودعته التوحيد عقداً وكان يمينه بدل الجنانِ

فقال :

وربّ الراقصات بقاع سلعٍ وربّ مثالثٍ تتلو المثاني
لقد عاينته كالسلك فيه فابشرْ بالقبول وبالأماني

ولأبي عبد الله احمد بن محمد بن احمد الشيرازي :

اليك قصدي لا للبيت والأثر ولا طوافي بأركان ولا حجر
صفاء دمعي الصّفا لي حين عبرُه وزمزمي دمعة تجري من النظرِ

وفيكَ سعيي وتعميري ومزدَلفي
والهديُ جسمي الذي يغني عن الجزرِ
عِرفانهُ عَرَفاني إذ منى متن
ووقفتي وقفة في الخوف والحذرِ
وجمرُ قلبي جمارٌ تبدها شرَري
والحرم تحريمي الدنيا عن الفكرِ
ومسجد الخيْف خوفي من تباعُدِكم
ومشعري ومقامي دونكم خطري
زادي رجائي له والشوق راحلتي
والماء من عَبَراتي والهوى سفري

واقعة لبعض الفقراء :

حدثنا عبدالله بن الاستاذ المروزيّ ، قال: رأى بعض الفقراء من اصحابنا في واقعة كان الشيخ أبا مدين جالس وعلى رأسه ألوية مركوزة، واذا بشخص عليه مسح من شعر ، فسلم عليه ، ثم قال : يا سيدي ، جئت أسألك عن الروح وما سرّه ؟ فقال له الشيخ : السرُّ هو الحقيقة لا تجلى عليه خليقة ، ولا دقيقة ، هو مادة الله في الوجود ، يأتي من عين اللطف والجود ، محرّك الحركات ، ومجمّد الجمادات ، ومنتشر في النباتات ، عنصره النور الإلهي ، ومنبعها النور الخفيّ ، به أقام إمداد الوجود الى أمد ، وبه رفع السماوات بغير عمد ، فهو العمد الذي هم عنه عمون ، وإنما يراه المبصرون الذين له ينظرون ، وبه يسمعون ، وبه يعقلون .

ثم قال الشيخ : يا من خلق الخلق أطواراً ، وأنطقهم سراً وجهاراً ، وبصّرهم في نفوسهم فكرة واعتباراً ، قوم نبّهوا فانتبهوا ، وقوم أغلقوا

فبقوا حيارى . ثم قال : اذا عرفك به أمدّ سرّك من سرّه ، فكنت قريباً بقربه ، ومنعماً في قدسه ، وكشف الك عن وجهه ، فنظرت جماله بـــه ، فالفروع راجعة الى الأصول ، منها ظهرت ، وفيهــا أثرت ، فكل فرع هو أصله ، وكل مفترق هو جمعه .

وروينا من حديث محمد بن سلامة ، عن الحسن بن ميمون بن علي بن عمر الدارقطنيّ ، عن ابي بكر محمـــد بن احمد بن اسد ، عن محمـد بن عبد الملك ابن زنجويه ، عن عمر بن طـارق ، عن يحيى بن ايوب ، عن عيسى بن موسى ابن اياس بن بكير ، أن صفوان بن سلام حدّثه ، عن انس بن مـالك ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قـال : اطلبوا الخير دهركم ، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم ، فإن لله عز وجل نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده ، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ، ويؤمن روعاتكم .

خبر ذي الأكتاف كسرى مع ساطرون :

روينا من حديث ابن هاشم ، عن خلاّد قرة بن خلاّد السدوسيّ ، عن جنادة ، قال : كان كسرى سابور ذو الأكتاف ، غزا ساطرون ملك الحضر حصن بشاطىء الفرات ، فحصره سنتين ، فأشرفت بنت ساطرون يومـاً ، فنظرت الى سابور ، وعليه ثيـاب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلّل بالزبرجد ، والياقوت ، واللؤلؤ ، وكان جميـلاً ، فدست اليه : أتتزوجني ان فتحت لك باب الحصن؟ قال : نعم . فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر ، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحصن من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولىً لهـا ، ففتح الباب ، فدخل سابور ، وقتل ساطرون ، واستباح الحصن وخرّبه ، وسار بهـــا معه ، فتزوجها ، فبينما هي نائمة على

فراشها ليلاً ، إذ جعلت تتململ لا تنـام ، فدعى لها بالشمع ، ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : هذا الذي أسهرك ؟ قالت : نعم . قال : مـا كان ابوكِ يصنع بكِ ؟ قالت : كان يفرش لي الدّيباج ، ويلبسني الحرير ، ويُطعمني المخّ ، ويسقيني الخمر . قـال : أفكان جزاءُ ابيكِ مـا صنعتِ به انتِ اليّ بذلك اسرع ؟ ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنبِ فرسٍ ، ثم ركض الفرس حتى قتلها . وفي ذلك يقول عديّ بن زيد :

والحصْنُ صارَتْ عليه داهيَة | من فوقـهِ ايّد مناكبُهَا
مريبَة لم تبقِ والدَهـا | لحينـه اذا ضاع راقبُهَا
اذا غبقته صَهْباء صَافيـة | والخمرُ وهـل يهيمُ شاربُها
وأسلمتْ اهلَهـا بليْلتها | تظنّ انّ الرئيسَ خاطبُها
فكانَ حظّ العروس اذ جشر | الصبْح دماً يجري سَبَاسبُها
وخرب الحصْن واستبيح وقد | احرق في خدرها مشاجبهَا

ومن قبله في الحضر موعظة ، والحضر بـلد عظيم بين الموصل والفرات ، ونهر الشرتار . وهي :

وتأمّل ربّ الخورنق اذا فكـ | ـرَ يومـاً وللهدى تفكيرُ
واخو الحضْرِ اذ بناه واذ دَجْـ | ـلة تُجبى اليْـه والخابُورُ
شاده مَرْمَراً وَجلّلهُ كلْـ | ـساً فللطّيْر في ذُراه وكورُ
لم يَهبْه ريبُ الزمان فبـاد الـ | ـملْكُ عنه فبابُه مهجُورُ
ثمّ اضحوْا كأنهمْ ورَق جفّ | فالقربُ به الصّبا والدّبور

وقرأتُ على باب المدينة الزهراء التي صورتها فيه بعد خرابها ، فهي اليوم مأوى الطير والوحوش ، وبناء بنيانها عجيب في بلاد الأندلس ، قريبٌ من قرطبة ، ابياتاً تذكر العاقل ، وتنبّه الغافل ، وهي :

ديار بأكناف المغيب تلمعُ ... وما انْ بها من ساكن وهي بلقع
ينوحُ عليها الطير من كل جانبٍ ... فيصمتُ أحياناً وحيناً يرجّع
فخاطبتُ منها طائراً متفرداً ... له شجَنٌ في القلب وهو مروّع
فقلتُ على ماذا تنوحُ وتشتكي ... فقال على دهرٍ مضى ليس يرجعُ

اخبرني بعض مشيخة قرطبة ، عن سَبب بنيان المدينة الزهراء ، فقال : انّ عبد الرحمن احد خلفاء بني امية بقرطبة ماتت سِرّيّة له ، فتركت مالاً كثيراً ، فأمر الخليفة أن يفك بذلك المال اسرى من المسلمين ، وطلب في بلد الافرنج اسيراً فلم يجد، فشكر الله على ذلك، فقالت له الزهراء: اشتهيتُ لو بنيتَ لي مدينةً سمّيتها بإسمي ، تكون خاصةً لي ، فبناها تحتَ جبَل العروس من قبلة الجبَل وشمال قرطبة ، وبينها وبين قرطبة اليوم قدر ثلاثة أميال أو دون ذلك ، وأتقن بناءها ، وأحكمه ، وأحكم الصّنعة فيه . وقد ذكر تاريخها ابنُ حيّان ، وجعلها منتزهاً ومسكناً للزّهراء ، وحاشية أرباب دولته ، ونقش صورتها على الباب ، فلمّا قعدت الزهراء في مجلسها على الجبَل الأسود ، علتها فنظرت الى بياض المدينة وحسْنها في حجر ذلك الجبل الأسود ، قالت : يا سيدي ، ألا ترى الى حسن هذه الجارية الحسناء في حجر هذا الزنجيّ ؟ فأمر بزوال الجبل ، فقال بعضُ جلسائه : أعيذ امير المؤمنين من أن يخطر له ما يشين العقل بسماعه ، لو اجتمع الخلق وعمر الدنيا معهم ما أزالوه حفراً ، ولا قطعاً ، ولا يزيله إلا من أنشأه ، فأمر بقطع شجره ، وغرسه تيناً ولوزاً ، ولم يكن منظراً أحسن منها ، ولا سيما في زمن الازهار، وتفتح الاشجار ، وهي بين الجبل والسّهل .

تذكرتُ احبابي ، ورسم ديارهم فقلت :

درَست ربوعهم وإنّ هواهم ... ابداً جديداً بالحشى لا يُدْرَسُ

هذي طلولهم وهذي الارُبعُ ولذكرها ابداً تذوب الانفسُ
ناديتُ خلف ركابهم من حبهم يا منْ غناه الحسن ها انا مفلسُ
مرّغتُ خدّي رقةً وصبابةً فبحقّ حق هواكمُ لا تؤيِسوا
منْ ظلّ في عبراته عرقاً وفي نار الأسى حرقاً ولا متنفِس
يا موقد النار الرويدا هــذه نارُ الصّبابة شانكم فلتقبسوا

ولنا من اللّطايف العِرفانية في الإشارات :

ألا يا ترى نجدٍ تباركت من نجدِ سقتكَ سحابُ المزن جوداً على جود
وحيّاكِ من حيّاكِ خمسين حجّةً بعودٍ على بدءٍ وبدءٍ على عودِ
قطعتُ اليها كلّ قفرٍ ومَهْمَهٍ على الناقة الكوماءِ والجمل العود
الى ان تراءى البرق من جانب الغضا وقد زادني مسراه وجداً على وجد

أردت ترى نجدٍ، مركّب العقل، وسحاب المعارف، تسقيه علماً على علم، وخمسين حجة، عمر الركب في هذا الوقت، والتحية سلام الحق مردداً بلطايف التحف، والاشارة بإلبثها للحضرة، والقفر، والمهمه، الرياضة النفسية والمجاهدة البدنية ، والناقة الكوماء ، الشريعة ، والجمل العود ، العقل المجرّد ، والبرق المطلوب، والغضى ، الاشراق النوراني الذي لحجاب العزة الأحمى ، ومسراه، لمعانه من جانب الكون ، فإن السر لا يكون إلا ليلاً ، والكون الليل .

حدثنا محمد بن قاسم ، ثنا ابو الطاهر احمــد بن الحسن ، عن أبيه محمد بن الحسن ، عن السادكوي ، عن النعمان بن عبد السلام ، عن سفيان الثوري ، عن ابي اسحاق ، عن ابي بردة ، عن ابي موسى، قال : قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا الدنيا ، فنعمت مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر، اذ قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه .

بناء ابن الزبير الكعبة وسببه :

روينا من حديث الازرقي ، قال : حدثني جدي احمد بن محمد ، عن سليم ابن مسلم ، عن ابي جريج ، قال : سمعت غير واحـد من اهل العلم ممن حضر ابن الزبير حين هدم الكعبة وبناها ، قالوا : لمـا أبطأ عبد الله بن الزبير عن بيعة يزيد بن معاوية ، وتخلّف وخشي منه ، لحق بمكة ليمتنع بالحرم ، وجمع مواليه ، وجعل يُظهر عيب يزيد بن معاوية ، ويذكر أنه لا يصلح للخلافة ، لما هو عليه من الفسوق ، ويثبّط الناس عنه ، ويجمع الناس اليه ، فيقوم فيهم بين الأنام ، فيذكر مساوىء بني أمية ، وقد كان رسول الله ﷺ ذكر فيهم ما رويناه أنهم من أشرّ الملوك . فبلغ يزيد بن معاوية ، فأقسم أن لا يؤتى به إلا مغلولاً ، وأرسل اليه رجلاً من اهل الشام في خيل ، فعظم على ابن الزبير الفتنة ، وقال له الرجل : لا تستحل الحرم بسببك ، فإنه غير تاركك ، ولا تقوى عليه، وقد اجّ في أمرك، وأقسم ان لا يؤتى بك إلا مغلولاً ، وقد عمل لك غلاً من فضة ، وتلبس فوقه ثيابك ، وتبرّ قسم امير المؤمنين ، فالصلح خير عاقبة ، وأجمل بك وبه .

فقال : دعوني أياماً حتى أنظر في امري، فشاور أمه أسماء بنت ابي بكر الصديق في ذلك ، فأبت عليه أن يذهب مغلولاً ، وقالت : يا بُنيّ عش كريماً ، ومت كريماً ، ولا تمكـّن بني أمية من نفسك ، فتلعب بك ، فالموت أحسن بك من هذا ، فأبى أن يذهب اليه في غلّ ، وامتنع في مواليه ومن يألف اليه من اهل مكة وغيرهم ، فكان يقال لهم الزبيرية .

فبينا يزيد على بعثه الجيوش اليه ، اذ أتى يزيد خبر المدينة بما فعل أهلها بعماله ، ومن كان بالمدينة من بني أمية ، وإخراجهم إياهم منها إلا ما كان من

ولد عثمان بن عفان رضي الله عنـه ، فجهّز اليهم مسلم بن عقبة المزني في أهل الشام ، وأمره بقتـال اهل المدينة ، فإذا فرغ من ذلك سار الى ابن الزبير بمكة ، وكان مسلم مريضاً ، في بطنه الماء الأصفر ، فقال له يزيد : ان حدث بك حدث الموت ، فولّ الحصين بن نمير الكندي على جيشك ، فسار حتى قدم المدينة ، فقاتلوه ، فظفر بهم ودخلها ، وقتل من قتل منهم ، وأسرف في القتل ، فسمي بذلك مسرفاً ، وانتهب المدينة ثلاثـة ايام ، ثم سار الى مكة، فلما كان في بعض الطريق حضرته الوفاة، فدعى الحصين بن نمير فقال: يا برذعة الحمـار ، لولا أني أكره ان أتزوّد عند الموت معصية امير المؤمنين ، ما ولّيتك ، انظر اذا قدمت مكة فاحذر أن تمكن قريشاً من أُذنك فتبول فيها ، لا يكون إلا الوقاف، ثم الثقاف ، ثم انصراف ، فتوفي مسلم ، ومضى الحصين بن نمير الى مكة ، فقاتل بها الزبير أياماً ، وجمع ابن الزبير مواليه ، فتحصن بهم في المسجد الحرام حول الكعبة ، وضرب اصحاب ابن الزبير في المسجد الحرام خياماً زقاقاً يكتننّون فيها من حجارة المنجنيق ، ويستظلون فيها من الشمس ، وكان الحصين بن نمير قد نصب لهم المنجنيق على ابي قبيس، وعلى الاحمر ، وهما اخشبا مكة ، فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة الكعبة حتى تخرقت كسوتها عليها ، فصارت كأنها جيوب النساء .

فوهن الرمي بالمنجنيق الكعبة، فذهب رجل من اصحاب ابن الزبير ليوقد ناراً في بعض تلك الخيام ، ممـا يلي الصفا بين الركن اليماني . والمسجد الحرام يومئـذ ضيق صغير ، فطارت شرارة في الخيمـة فاحترقت . وكانت في ذلك اليوم ريح شديدة، والكعبة يومئذ مبنية بنـــاء قريش : مدماك من ساج ، ومدماك من حجارة ، من أسفلها الى أعلاها ؛ فأطارت الرياح لهب تلك النار فأحرقت كسوة الكعبة ، فاحترق الساج الذي بين البناء . وكان احتراقها

يوم السبت ، ثالث شهر ربيع الاول قبل ان يأتي نعي يزيد بن معاوية بسبعة وعشرين يوماً ، وجاء نعيه في هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء، سنة اربع وستين [١] . وكانت خلافته ثلاث سنين وسبعة أشهر .

فلما احترقت الكعبة ، واحترق الركن الأسود وتصدّع ، كان ابن الزبير بعد ربطه بالفضة ضعفت جدران الكعبة ، حتى انه ليقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها ، ففزع لذلك اهل مكة والشام جميعاً. والحصين بن نمير مقيم يحاصر ابن الزبير ، فأرسل ابن الزبير رجالاً من قريش وغيرهم ، فيهم عبد الله بن خالد ، ورجالاً من بني أميّة الى الحصين ، فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة ، وقالوا : ان ذلك كان منكم ، رميتموها بالنفط . فأنكروا ذلك ، وقالوا : قد توفي يزيد ، فعلى ماذا تقاتل ؟ ارجع الى الشام حتى تنظر ماذا يجمع عليه أمر صاحبك ، يعنون معاوية بن يزيد ، وهل يجتمع الناس عليه ؟ فلم يزالوا به حتى لان لهم . وقال له خالد بن عبد الله بن أسد : تراك تتهمني في يزيد حتى رجع الى الشام .

فلما أدبر جيش الحصين بن نمير، وكان خروجه من مكة لخمس ليال خلون من شهر ربيع الآخر ، سنة اربع وستين ، دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم ، فشاورهم في هدم الكعبة ، فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها . وقال عبد الله بن عباس : دَعْها على ما أقرّها عليه رسول الله ﷺ ، فإني أخشى ان يأتي بعدك مَن يهدمها ، فلا تزال تُهدَم وتُبنى ، ويُتهاوَن بحرمتها ، ولكن ارقعها . فقال ابن الزبير : ما يرضى أحدكم ان يرقع بيت أبيه وأمه ، فكيف أرقع بيت الله ، وأنا أنظر اليه على ما ترون من الوهن؟

---

(١) وكانت وفاته لأربع عشرة خلت من ربيع الاول سنة اربع وستين .

وكان ممن أشار بهدمها : جابر بن عبد الله ، وعبيد الله بن عمير ، وعبد الله ابن صفوان بن أمية .

ثم أجمع ابن الزبير رأيه على هدمها ، وكان يحب ان يكون هو الذي يردّها على ما قال رسول الله ﷺ ، على قواعد ابراهيم ، وعلى ما وصف رسول الله ﷺ لعائشة . وأراد ان يبنيها بالورس ، ويرسل الى اليمن في ورس يشترى له ، فقيل له : ان الورس يذهب ، لكن ابنِها بالفضة. فأرسل الى صنعاء بأربعمائة دينار ، ليُشترى له فضة ، ويُكترى عليها . ثم سأل رجلاً من اهل مكة : من أين أخذت قريش حجارتها ؟ فأخبروه، فنقل من الحجارة قدر ما يحتاج اليه .

فلما أراد هدمها خرج اهل مكة الى منى ، فأقاموا بها ثلاثاً فرقاً ، من ان ينزل عليهم عذاب لهدمها ، فأمر ابن الزبير بهدمها ، فما اجترأ على ذلك أحد . فلما رأى ذلك علاها هو بنفسه ، وأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمي بحجارتها . فلما رأوا انه لم يصبه شيء، اجترؤوا فصعدوا وهدموها . وأرقى ابن الزبير فوقها عبيداً من الحبش يهدمونها ، رجاء ان يكون فيهم صفة الحبشي الذي قال رسول الله ﷺ: انه يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبش.

وقال مجاهد : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : كأني به أصيلع أفيدع قام عليها يهدمها بمسحاته . قال مجاهد : فلما هدم ابن الزبير الكعبة ، جئت أنظر الصفة التي قال عبد الله بن عمرو ، فلم أرَها . فهدموا وأعانهم الناس حتى ألصقها كلها بالارض من جوانبها . وكان هدمها يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة اربع وستين .

ولم يقرب ابن عباس مكة حتى هدمت الكعبة حتى فرغ منها . وأرسل

الى ابن الزبير : لا تدع النـاس بلا قبلة ، انصب لهم حول الكعبة الخشب ، واجعل عليها السور حتى يطوف الناس من ورائها ويصلّوا اليها ؛ ففعل ذلك ابن الزبير، وقال ابن الزبير: أشهد لسمعت عائشة تقول: قال رسول الله ﷺ: إن قومكِ استقصروا في بناء البيت ، وعجزت بهم النفقة فتركوا في الحِجر منها أذرعاً ، ولو حداثة قومكِ بالكفر لهدمتُ الكعبة ، وأعدت ما تركوا منها ، وجعلت لها بابين موضوعين : باباً شرقياً يدخل فيها منه الناس ، وباباً غربياً يخرج منه الناس ، وهل تدرين لِمَ كان قومكِ رفعوا بابهـا ؟ قالت : قلت: لا . قال: تعززاً لئلا يدخلها إلا من ارادوا ، فكان الرجل اذا كرهوا أن يدخلها يدعونه يرتقي حتى اذا كاد أن يدخلها دفعوه فسقط ، فإن بدا لقومكِ هدمها فهلمي أريكِ ما تركوا في الحجر منهـا ، فأراها قريباً من سبعة أذرع .

فلمـا هدّم ابن الزبير الكعبة وساواها في الارض ، كشف عن اساس ابراهيم ، فوجده داخلاً في الحجر نحواً من ستة اذرع وشبر ، كأنها اعناق الإبل ، اخذ بعضها ببعض ، تحرّك الحجر من القواعد ، فتحرّك الأركان كلها . فدعى ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم ، فأشهدهم على ذلك الأساس، فأدخل رجل من القوم كان يقال له عبدالله بن قطيع عتلة كانت في يده في ركن من اركان البيت ، فتزعزعت الأركان كلها جميعاً .

ويقال ان مكة رجفت رجفة شديدة حين زعزع الاساس، وخاف الناس خوفاً شديداً حتى ندم كل من أشار على ابن الزبير بهدمهـا ، وأعظموا ذلك إعظاماً شديداً ، وسقط في ايديهم . فقال لهم ابن الزبير: اشهدوا ، ثم وضع البناء على ذلك الاساس ، ووضع حذاء الباب ، باب الكعبة ، على مدماك على الشاذروان اللاصق بالأرض،وجعل الباب الآخر بإزائه في ظهر الكعبة مقابله،

وجعل عتبته على الأخضر الطويل الذي في الشاذروان الذي في ظهر الكعبة قريباً من الركن اليماني ، وكان البناؤن يبنون من وراء الستر ، والناس يطوفون من خارج ، فلما ارتفع البنيان الى موضع الركن ، وكان ابن الزبير حين هدم الكعبة جعل الركن في ديباج ، وأدخله في تابوت ، وأقفل عليه ، ووضعه عنده في دار الندوة، وعمد الى ما كان في الكعبة من جليل، ووضعه في خزانة الكعبة في دار شيبة بن عثمان، فلما بلغ البنيان موضع الركن اليماني، أمر ابن الزبير بموضعه ، فنقر في حجرين : حجر من المدماك الذي تحته ، وحجر من المدماك الذي فوقه ، بقدر الركن ، وطوّق فوقه بينهما ، فلما فرغوا منه أمر ابن الزبير ابنه عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، وجبير بن شيبة ابن عثمان ، أن يجعلوا الركن في ثوب ، وقال لهم ابن الزبير : اذا دخلتُ في صلاة الظهر فاحملوه واجعلوه في موضعه ، فأنا أطوّل الصلاة ، فإذا فرغتم فكبّروا حتى أخفف صلاتي، وكان ذلك في جرّ الشمس . فلما اقيمت الصلاة كبّر ابن الزبير وصلى بهم ركعتين ، فخرج عبّاد بالركن من دار الندوة وهو يحمله ومعه جبير بن شيبة بن عثمان ، ودار الندوة يومئذ قريب من الكعبة ، فخرقا به الصفوف حتى أدخلاه في الستر الذي دون البناء ، فكان الذي وضعه في موضعه هذا عبّاد بن عبد الله ، وأعانه عليه جبير بن شيبة ، فلما أقروه في موضعه ، وطوّق عليه الحجر ، كبروا ، فأخف بهم ابن الزبير صلاته ، وتسامع الناس بذلك ، وغضب فيه رجال من قريش ، حيث لم يُحضِرهم ابن الزبير في ذلك ، وقالوا : والله لقد رفع في الجاهلية حين بنته قريش ، فحكموا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسجد ، فدخل رسول الله ﷺ ، فجعله في ردائه ، ودعى رسول الله ﷺ من كل قبيلة من قريش رجلا ، فأخذوا بأركان الثوب، ثم وضعه رسول الله ﷺ في موضعه ، وكان الركن قد تصدع من الحريق ثلاث فرق ، وانشظّت منه شظية كانت عند

بعض آل بني شيبة بعد ذلك بدهر طويل، فشدّه ابن الزبير بالفضة الى تلك الشظية من أعلاه ، موضعها بأعلى الركن ، ولما بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعاً قصرت بحال الزيادة التي زاد من الحجر فيها ، واستمسح ذلك ، وصارت عريضة لا طول لها ، فقال : قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش تسعة أذرع أخرى طولاً في السماء ، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع اخرى ، فبناها سبعاً وعشرين ذراعاً ، فيها ثلاث دعائم ، فأرسل ابن الزبير الى صنعاء فأتى من رخام بها يقال : انها الابلق ، فجعله في الروازن التي في سقفها للضوء ، وجعل الباب مصراعين ، وكان في بناء قريش مصراعاً واحداً وجعل ميزابها في الحجر ، فلما فرغ منها خلّقها من داخلها وخارجها ، من اعلاها الى اسفلها، وكساها القباطيّ ، وقال : من كانت عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ، ومن قدر ان ينحر بدنةً فليفعل ، ومن لم يقدر فليذبح شاةً ، فمن لم يقدر فليتصدّق بقدر طوله ، وخرج ماشياً ، وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمر من التنعيم شكراً لله . ولم يرَ يوماً كان اكثر عتيقاً ولا اكثر بدنة منحورة ، ولا شاة مذبوحة ، ولا صدقة من ذلك اليوم . ونحر ابن الزبير مائة بدنة ، فهذه هي العمرة التي يعتمرها الناس اليوم في السابع والعشرين من رجب التي يسمونها عمرة الا كمه .

ومـا زال البيتُ على حاله الى أن قتل الحجّاجُ ابن الزبير ، فاستأذن الحجاج عبد الملك فيما احدثه ابن الزبير في البيت ، فكتب اليه عبد الملك أن يهدم الجانب الذي يلي الحجر خاصة ، ويكبس البيت بـه ، ويغلق الباب الغربي ، ويرفع الباب الشرقي الى حده الاول . ففعل الحجاج ذلك ، فبلغ بعد ذلك عبد الملك أن الذي فعله ابن الزبير على حديث عائشة صحيح ، حدث به الحارث بن عبد الله ابن ربيعة المخزومي انه سمع هذا من رسول الله

ﷺ . فقال عبد الملك وددت والله اني كنتُ تركتُ ابن الزبير ومـا تحمل من ذلك .

سماع العارف على قول القائل :

هيّجتني الى الحجون شجونٍ — ليلة قـد بدا لعيني الحجونُ
حلّ في القلب ساكنوه محـلاً — من فؤادي يحلّ فيـه المكينُ
كلّ داءٍ له دواءٌ وداءُ ال — حُبّ يا صاحِ داءٌ دفـين
ليتَ شعري عمّن احبُّ يميني — عنـد ذكري كما اكون يكون

الحجون العطف الإلهي على القلوب المتعلقة به المواصلة الاحزان له ، قوله: حلّ في القلب ، بين بـه . قوله تعالى : وسعني قلب عبدي المؤمن يطلع على تلك السّعة ، ليت الى قوله كما اكونُ يكون قوله تعالى : اذكروني أذكركم ، ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . وهذا بابٌ واسعٌ في الشريعة .

وسماعنا على قول قيس المجنون ايضاً :

ألا حبذا نجدٌ وطيب ترابـه — وارواحه إن كان نجد على العهد
ألا ايت شعري عن عوارضتي قبا — بطول الليالي هل تغيّرتا بعدي
وعن جارتينا بالأثيل الى الحمى — على عهدنا ام لم يدوما على عهد
وعن اقحوان الرمل ما هو صانع — اذا مـا تراءى ليلة بثرى نجد

يقول : ألا حبّذا المراتب العليا ورفارفها وأرواحها ان كان يناسبها مني ممّنْ أخذ عليها العهد ، فليس نجد الاول هو نجدٌ الثاني وعوارضتيْ قبا موضع القدمين من الكرسيّ ، والقدمين من النفس ، هـل تغيّرتا بعدي لتغييري ؟ فإنها بصفتي تقابلان إلا أن يمن فضلاً بغير ذلك والجارتان ، القوتان بلا شك،

والأثيل ، الاصل الذي مرجعها اليه والحمى ، مقام العزة والمنع على عهدنا ا‍م لم يدوما على العهد . إنما هي اعمالكم ترد عليكم ، وشغل اقحوان الرمل مـ‍ بينه من المعرفة في الشجرة الانسانية .

وسماعنا على قول الشريف الرضي :

يا قلبُ ما انت من نجدٍ وساكنه … خلـّفت نجداً وراء المذبح الساري
اهفو الى الركب تحدو لي ركائبهم … من الحمى في اسيحات وأطهار
تفوح ارواح نجـدٍ من ثيابهم … عند النزول لقرب العهد بالدار
يا راكبان قفالي فأقضيا وطري … وخبراني عن نجـــدٍ بأخبار
هل روّضتْ قاعة الوعساء امطرت … خميلة الطلح ذات البان والغار
ام هل أبيت ودارٌ عند كاظمةٍ … داري وسُمـّار ذاك الحيّ سُمـّاري
فـلم يزالا الى أن لمّ بي نفسي … وحدّث الدمعُ عني دمعي الجاري

السماع في ذلك ، يقول لنفسه : أنتِ من عالم الخليقة ونزلت الى عـــالم الشهوة والطبع ، لكني ، أهفو الى العلى بمـا فيّ من أصالته فيما بقي عليّ من أطهار ما كان كساني ذلـك المجد عند الاشهار . قال : تفوح أرواح العلى في أخلاقهم عنـــد التنزّلات لقرب مشاهدة المنزل الذي يجمعهم . والراكبان ، خاطران عُلويان مرّا به على حاله ، فسالهما الخبر عن المقام العالي الأنزه : هل روّضت قاعة الطبيعة ؟ وهل نزلت غيوث الحياة لساحتها ؟ فأنبتت ما يؤدي الى البينونة من الكون والغيرة من ظهور الغير هنالك ، فأثبت له الحق الخاطر ، ان يكرمه على ما أخبر ، الى ان نزل عليه روحه الخاص به الذي كني عنه بالنفس ، فعقل عنها ما جاء بـه وأودعها حديثه بلسان الحال من جري الدموع على مفارقة الاوطان والربوع .

قوله : أم هل أبيت ، أي ستري عن ظلام الغيب ، ودار عند كاظمة من كظم غيظه خلقاً جميلاً ، وسُمّار ذلك الحي سماري ، بالترداد بيني وبينهم بما يكون فيه علو مقامي وارتفاع شأني .

ومن باب الفخر :

سمع رسول الله ﷺ رجلاً ينشد :

إني امرءٌ حِمْيَريٌّ حين تنسبُني   لا من ربيعة آبائي ولا مُضرِ

فقال : ذلك الأمر لك أبعد من الله ورسوله .

ومرّ العباس بن عبد المطلب بنفر من قريش يقولون : إنما مثل محمد في أهله مثل نخلة نبتت في كناسة ، فبلغ رسول الله ﷺ ، فوَجَد منه ، فخرج حتى قام فيهم خطيباً ، ثم قال: أيها الناس من انا ؟ قالوا : انت رسول الله، قال : فأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، إن الله تعالى خلق خلقه ، فجعلني من خير الفريقين ، ثم جعلهم شعوباً ، فجعلني من خيرهم شعباً ، ثم جعلهم بيوتاً ، فجعلني من خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً ، وخيركم والداً ، واني لمباهٍ لكم ، قم يا عباس ، فقام عن يمينه ، ثم قال : قم يا سعد، فقام عن يساره ، فقال : فربّ لأمرءٍ منكم عماً مثل هذا وخالاً مثل هذا .

ولبعضهم يفتخر :

اذا مُضرُ الحمراءُ كانت ارومتي   وقام بنصري حازمٌ وابن حازم
عطستُ بإنفٍ شامخ وتناولت   يداي الثريا قاعداً غير قائم

قلت : ولقد فخرت بأحسن من هذا فقلت :

لنا همّة ان الثريا لدُونها   نعم ولنا فوق السّماكين منزلُ
تقدمتُ سبقاً في المكارم والعُلى   وفي كل ما ينكي العِدا أنا أول

ولم ألفِ صمصاماً بقدر عزيمتي ولو جمعوا الأسياف عزمي أفضل
كذلك جودي لا يفي الغيث والثرى اذا كان أموالاً بـــه حين أبذل
اذا التحم الجمعان في حومة الوغى وكانت نزالاً مـــا عليها معوّل
نضيت حساماً الردى في فرنده شعاعٌ له بين الفريقين فيصل
له عزمة لا تبتغي غير كبشهم فليس له عن قمة الهام معدل
حملتُ به لا أرهب الموت والردى ولا ابتغي حمداً له النفس تعمدُ
ولكن ليعلو الدين عزّاً وشرعةً الى موضع عنه الطواغيت تسفل
أنا العربي الحاتمي أخو الندى لنـــا في العلا المجد القديم المؤثل
فكلاّ فعزمي ليس يسمو الى العلا ألا كيف يسمو والعلا منه أسفل

ولنا أيضاً من قصيدة افتخرُ فيها :

أنـــا ابن الرابعين اذا انتسبنا وعنـــدي صار خمس المسلمينا

بشرى سيف بن ذي يزن لعبد المطلب برسالة محمد ﷺ ، وخلافة بني العباس حين وفد عليه في وفد قريش :

روينا من حديث احمد بن عبد الله قال : ثنا سليمان إملاءً ، ثنـــا احمد ابن يحيى بن خالد الراقي ، نبـأ عمرو بن بكر بن بكـّار القصيّ ، عن احمد ابن قاسم الطائي ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما ظهر سيف بن ذي يزن على اليمن فظفر بالحبشة ونفاهم عنها وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه ، وتمدحه ، وتذكر مـــا كان من بلائه في طلب ثأر قومه ، فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله بن جدعان، وخويلد ابن أسد بن عبد العزّى، ووهب بن عبدمناف بن زهرة ، في أناس من وجوه

قريش ، فقدموا عليه بصنعاء ، وهو في رأس قصر له يقال له : غمدان ، وهو الذي قال فيه أمية بن أبي الصلت :

لا تطلب الثأر إلا كابن ذي يزنٍ   يُتمّمُ البحرْ للأعداء أخوالا
أتى هرقلٌ وقد شالت نعامتُه   فلم يجد عنده النصرُ الذي شالا
ثم انتهى عنه كسرى بعد تاسعة   من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحزان يحملهم   تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
من مثل كسرى شهنشاه الملوك لهم   ميلٌ وهديٌ يؤم الجيش ارسالا
لله درهم من فتيـــة صبروا   ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا
بيضٌ مرازبة غلبٌ حجاحجة   أسدٌ يُربَين في الغيضات أشبالا
يرمون عن شدفٍ كأنها غُبَطٌ   بزجل تعجل المرمى إعجالا
لا يضجرون وإن كلّت نوائلهم   ولا ترى منهمُ في الطعن ميّالا
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد   أضحى شديدُهمُ في الناس إقلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً   في رأس غمدانَ دارٌ منك محلالا
واشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم   واسبل اليومَ في بُردَيْك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ   شيباً بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

قال : فاستأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فإذا الملك متضمّخ بالعنبر ينطف ، وبيض المسك من مفرقه ، وعن يمينه ، وعن شماله الملوك ، وأبنــاء الملوك ، والمقاول ، فلما دخلوا عليه دنا منه عبد المطلب ، فاستأذن في الكلام ، قال له سيف بن ذي يزن : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنّا لك. فقال عبد المطلب : أيها الملك إن الله قد أحلّك محلا رفيعاً، شامخاً ، منيعاً؛ وأنبتك منبتاً طابت أرومته، وعَذبت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، في أطيب موطن ، وأكرم معدن ، فأنت أبيتَ اللعن رأس العرب، وربيعُها

الذي تخصبُ به ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي له تنقـاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد ، سلفك لنـا خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلم يهلك من أنتَ خلَـفه ، ولم يخمد ذكر من أنت سلفه ، نحن أيهـا الملك أهل حرم الله ورسوله ونبيّه ، أشخصنا اليك الذي أبهجنـــا لكشف الكرب الذي فدَحَنـا ، ونحن وفد التهنية لا وفد المرزية .

فقال سيف بن ذي يزن : وأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . قال : ابن اختنا . قـــال : نعم . فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم . قال : مرحباً وأهلاً ، وناقة ورحلا ، ومناخاً سهلاً ، وملكاً رعلا ، يعطي عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، وأنتم اهل الليل والنهار ، لكم الكرامة اذا أقمتم ، والحبـــاء اذا أظعنتم ، انهضوا الى دار الضيافة والوفود . وأمرهم بالإنزال ، فأقاموا شهراً لا يصلون اليه ، ولا يؤذن لهم في الإنصراف . ثم انتبه لهم انتباهة ، فأرسل الى عبد المطلب دونهم ، فلمـا دخل عليه أدناه وقرّب مجلسه واستحباه ، ثم قال له : يا عبد المطلب اني مفوّض اليك من سرّ علمي مـا لو غيرك يكون لم أبح به ، ولكن وجدتك معدنه ، فأطلعتك طلعه ، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله تعالى بالغ أمره ، اني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذي اخترناه لأنفسنا ، واحتقبناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة ، للناس كافة ، ولرهطك عامة ، ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : مثلك أيها الملك مَن سرّ وبرّ ، فما هو ؟ فداك أهل الوَبر زمراً بعد زمر . قـال : اذا وُلد بتهامة غلام به علامة ، بين كتفيه

شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة . قال عبد المطلب: أبيتَ اللعن ، لقد أبتَ بخير مـــا آب به وافد قومك ، ولولا هيبة الملك وإعظامه وإجلاله، لسألته من سآراه إياي ما ازداد به سروراً. قال سيف بن ذي يزن : هذا حين يولد فيه او قد وُلد ، اسمه محمـد ، بين كتفيه شامة ، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، قد وجدناه مراراً ، والله باعثه جهاراً، وجاعل له منا انصاراً ، يعزّ بهم أولياءه ، ويذل بهم اعداءه ، ويضرب بهم النـــاس عن عرض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يعبد الرحمن ، ويزجر الشيطان ، ويخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عـدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهي عن المنكر ويبطله . قال عبد المطلب : أيهـا الملك عز جارك ، وسعد جدك ، وعلا كعبك ، ونما أمرك ، وطال عمرك ، ودام ملكك ، فهل الملك سارّي بإفصاح ، فقـــد اوضح بعض الايضاح . قال سيف بن ذي يزن : والبيت ذي الحجب ، والعلامات ذي النقب ، انك يا عبد المطلب لجده بلا كذب .

قال : فخرَّ عبد المطلب ساجداً . فقال سيف : إرفع رأسك ، فقد ثلج صدرك، وعلا امرك، فهل احسست شيئاً مما ذكرت لك ؟ قال عبد المطلب: نعم أيها الملك ، إنه كان لي ابن، وكنت به معجباً ، وعليه رفيقاً ، فزوّجته كريمة من كرائم قومي : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فجاءت بغلام وسمّيته محمداً ، ومات ابوه وكفلته انا وعمه ، بين كتفيه شامة ، وفيه كلما ذكرت من علامة . فقـال سيف : إن الذي ذكرت لكما ذكرت ، فاحتفظ به، واحذر عليه اليهود ، فإنهم له اعداء ، ولن يجعل الله لهم عليـه سبيلاً ، واطوِ ما ذكرت لك دون هذا الرهط الذي معك ، فإني لست آمن أن يدخلهم التحاسد من أن يكون لك الرياسة فيبغون لك الغوائل، وينصبون

له الحبائل ، وهم فاعلون او ابناؤهم ، ولولا اني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه ، لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكه ، فإني اجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق، أن بيثرب استحكام أمره ، وموضع قبره . وأهل نصرته ، ولولا اني أقيه من الآفات ، وأحذر عليه من العاهات . لأوطأت اسنان العرب كعبه ، ولأعلنت على حداثة من سنّه ذكره، ولكني صارف اليك من غير تقصير بمن معك .

ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الإبل ، وعشرة أعبد، وعشرة إماء ، وعشرة أرطال فضة ، وخمسة أرطال من الذهب ، وكرش مملوء عنبراً ، وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك ، وقال له : اذا كان رأس الحول فأتني بخبره ، وما يكون من أمره .

فهلك سيف بن ذي يزن قبل رأس الحول ، وكان عبد المطلب يقول : لا يغبطني يا معشر قريش رجل منكم لجزيل عطاء الملك وإن كثر ، فإنه الى نفاد ، ولكن يغبطني بما يبقي له شرفه وذكره، ولعقبي من بعدي، فكان اذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : سيعلمن ولو بعد حين .

وفي ذلك يقول أمية بن ابي الصّلت :

جلبنا النصح معقبة المطايا ... على أكوار جمال ونوقِ
مغلغلة مرافقها تعالى ... الى صنعاء من فجّ عميق
تؤمّ بها ابن ذي يزنٍ وتفري ... بطون خِفافها أمّ الطريق
ونلمح من مخايله بروقاً ... مواصلة الوميض الى بروق
فلما واقعت صنعاء صارت ... بدار الملك والحسب العتيق

وفي الحديث المشهور عن ابن عباس ان الحبر قال لعبد المطلب : أشهد ان في احدى يديك ملكاً ، وفي الاخرى نبوءة ، وذلك قبل تزويج عبد الله في بني زهرة ، فكان كما قال : النبوّة ، والخلافة العباسية .

شرح :

شدف المعوجّ من كل شيء: وارد به القسي. والزّجر: النشاب. والارسال: الجماعات . والنوانك: جمع نانك، وهي الناقة الحسناء ذات الشحم، يقال لها: نانك الناقة، تنوك، نوكاً. اذا سمنت. والمرزية بفتح الميم، والرزية: المصيبة. الريحل، والسبحل : الضخم. احتجناه : أي اخترناه . والزعامة : السيادة، والتقدم . احتقبت البعير : اذا شددت رجله بالحقب ، وهو الحبل الذي يشدّ به .

ذكر الامام ابو الفرج ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن الى أشرف الاماكن قال : قال شاه بن شجاع الكرماني : دخلت البادية فرأيت غلاماً أمرد كأنه موسوس لا يألف اهل القافلة ، فساعة يشير الى السماء ، وساعة يصيح، فقمت لأنظر في شأنه ومن أين معاشه، ولم يكن معه زاد، ولا غطاء، ولا وطاء. فراقبته يوماً فدخل وسط اشجار ام غيلان، فتبعته فاذا هو يجني من شجره شيئاً يأكله ، فلما بصر بي أنشأ يقول :

باعتزالي عنكمُ في الخلوات صار طعمي التمر وسط الفلوات

من استنصر ببسم الله الرحمن الرحيم :

روينا من حديث الدنهوري قال : حدثنا ابراهيم بن سهلويه ، عن عبدالله ابن عبد الوهاب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بينا عمر بن الخطاب رضي

الله عنه في مسجد رسول الله ﷺ ، في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، يتذاكرون فضائل القرآن . فقائل منهم خاتمة سورة البقرة ، وقائل خاتمة بني اسرائيل ، وقائل كهيعص ، وطه . وأكثروا في القول ، وفي القوم عمرو ابن معدي كرب الزبيدي في ناحية إذ قال : يا امير المؤمنين ، فأين انتم من عجيبة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فوالله إن في بسم الله الرحمن الرحيم لعجيبة من العجب . فاستوى عمر جالساً وكان متكئاً ، وكان يعجبه حديث عمرو فقال له : يا ابا ثور ، حدّثنا بعجيبة بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : يا امير المؤمنين ، انه أصابنا في الجاهلية مجاعة شديدة ، فاقتحمت بفرسي البرية أطلب شيئاً ، فوالله ما أصبت إلا بيض النعام ، وان فرسي لتلتثم من فناء البرية . فبينما انا كذلك ، إذ رُفعتْ لي خيمة وماشية ، فأتيت الخيمة فاذا بجارية كأحسن البشر ، واذا بفناء الخيمة شيخ متكىء ، فقلت لما داخلني من هول الجارية، ومن ألم الجوع : استأسرْ ، ثكلتك امك. فقال : يا هذا ، إن أردت القِرى فانزل، وإن أردت معونة أعنّاك . فقلت : استأثر ثكلتك امك . فقال لي مثل قوله الاول ، ونهض نهوض شيخ لا يقدر على القيام ، فدنا مني وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم جذبني اليه فاذا انا تحته وهو فوقي ، فقال : أقتلك أم اخلّي عنك ؟ فقلت : بل خلّ عني . فنهض عني وهو يقول :

عرضنا عليك النزل منا تكرّماً ... فلا ترعوي جهلاً كفعل الأشائم
وجئت بعدوان وظلم ودون ما ... تمنيتَه في البيض حرّ الغلاصم

فقلت في نفسي : يا عمرو، انت فارس العرب الموت أهون من الهرب من هذا الشيخ الضعيف ، فدعتني نفسي الى معاودته ثانية ، وأنشأت أقول :

رويدك لا تعجل بليتَ بصارم ... سليل المعالي هزبريٌ قماقمِ

لئن ذلّ عمروٌ ثم ذلّ عجيبة ولم يكُ يوماً للبراز بحاجم
طمعتَ لما منّتك نفسُك تسلمن سقتكَ المنايا كأسها بالصرائم
فمالك بدْلٌ دون نفسك تسلمن هنالك او تصبر لحزّ الفلاصم
فما دون ما تقواه للنفس مطمع سوى ان أجزّ الرأس منك بصارم

ثم قلت له: استأسرْ ثكلتك امّك؛ فدنا مني وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم جذبني جذبة مثلتُ تحته، فاستوى على صدري وقال: أقتلك أم اخلّي عنك؟ فقلت: بل خلّ عني. فنهض وهو يقول:

ببسم الله والرحمن فُزنا قديماً والرحيم به قهرْنا
وهل تغني جلادة ذي حفاظٍ اذا يوماً لمعركةٍ نزلنا
وهل شيء يقوم لذكر ربي وقدماً بالمسيح هناك عُذنا
سأقصم كل ذي جنٍّ وإنسٍ اذا يوماً لمعضلة حللنا

فعاودتني نفسي، فقلت: استأسرْ ثكلتك امك. فدنا مني وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فمُلِئت منه رعباً يا امير المؤمنين، وكنا لا نعرف مع اللات والعزّى شيئاً. ثم دنا مني وجذبني جذبة فصرتُ تحته، فقلت: خلّ عني. فقال: هيهات! بعد ثلاث مرات ما انا بفاعل، ثم قال: يا جارية ائتِني بشفرة، فأتت بها، فجزّ ناصيتي، ثم نهض وهو يقول:

منَنّا على عمروٍ فعاد لحينه وثنّى فثنّينا فساءَ وما فعل
وفي اسم ذي الآلاء عزٌّ ورفعة ومحترَزٌ لو كان سامعه عقل

وكنا يا امير المؤمنين اذا جزّت نواصينا استحيينا ان نرجع الى أهلنا حتى تنبت. فرضيت ان اخدمه حولاً فلما حال الحوْل قال يا عمرو اني أريد ان

تنطلق معي الى البرّية وما بي من وجل ، واني لواثق ببسم الله الرحمن الرحيم فانطلقتُ معه حتى اتى وادياً فهتف بأهله ببسم الله الرحمن الرحيم فـلم يبق طائر في وكره الاطار ، ثم هتف الثانية فلم يبق سبـع في مربضه إلا نهض ، ثم هتف الثالثة فـــإذا هو بأسود كالنخلة السحوق ، واذا هو لابسٌ شعراً فرعبت ، فقال الشيخ : لا ترع يا عمرو اذا نحن اصطرعنا، فتلا عليه صاحبي: بسم الله الرحمن الرحيم ، قـال : فاصطرعا . فقلتُ : عليه باللّات والعزّ ، فلطمني لطمةً كاد يقلع رأسي ، فقلتُ له : لستُ بعائد ، فاصطرعا، فقلت: عليه ببسم الله الرحمن الرحيم ، قـال : فعلاه الشيخ فبعجه كما تبعج الفرس ، وشق بطنه ، واستخرج منه كهيئة القنديل الاسود . فقال لي : يا عمرو هذا غشه وكفره فقلت له : فداك ابي وأمي مالك ولهذا القوم ؟ فقال : يا عمرو ان الجارية التي رأيتها في الخباء هي الفارعة بنت المسور ، وكان رجـــلاً من الجنّ ، وكان مؤاخياً لي ، وكان على دين المسيح عليه السلام ، وهؤلاء قومها يغزونني كل سنة منهم رجلٌ فينصرني الله عليـــه ببسم الله الرحمن الرحيم : فانطلقنا حتى امعنا في البرية قال : يا عمرو قد رأيت ما كان مني وأنا جائع فالتمس لي شيئاً آكـله فالتمست فما وجدت له إلا بيض النعام ، فأتيته وهو نائم ، وقد توسد إحدى يديه ، وتحته سيفه وهو سيف طوله سبعة أشبار ، وعرضه اقـــلّ من شبرين ، وهو الصمصامة ، فاستخرجتُ سيفه من تحته فضربته ضربة قطعت منه الساقين ، فقال : يا غدّار مـا اغدرك . فلم أزلْ أضربه حتى قطعته إرباً إرباً . فغضب عمرو رضي الله عنه وقال : وأنا اقول كما قال العبـــد : ظفر بك رجل من المسلمين ، فأنعم عليك ثلاث مرات ووجدته نائماً فقتلته . والله لو كنت مؤاخذك في الاسلام بما فعلت في الجاهلية لقتلتك به .

ثم أنشأ عمر يقول :

اذا قتلت اخاً في السلم تظلمه أفٍّ لما جئته في سالف الحقُبِ
الحرُّ يأنفُ ممـــا انت تفعله تبّاً لما جئته في العُجم والعربِ
لو كنتُ آخذ في الاسلام ما فعلت في الجاهلية اهل الشرك والصلبِ
اذاً لنالتك من عدلي مشطبة يدعى لذائقها بالويل والحربِ

ثم قال : مـا كان من حديثه يا عمرو ، قال : فأتيت الخيمة فاستقبلتني الجارية فقالت : يا عمرو مـــا فعل الشيخ ؟ قلتُ : قتله الحبشيّ ، قالت : كذبت قتلته انتَ يا غدّار ؛ ثم دخلت الخيمة فجعلت تبكي وتقول :

عـين جودي لفارسٍ مغوارِ فاندبيـــه بواكفاتٍ غزارِ
سبع وهو ذو وفـاءٍ وعهدٍ ورئيس الفخار يوم الفخارِ
لهفَ نفسي على بقائك يا عمـ ـرو وأسلمته الحمـــاة للأقدارِ
بعد مـا جزّ ما به كنتَ تسمو في زبيدٍ ومعشر الكفـّارِ
ولعمري لو رُمته انت حقاً رمت منـــه كصارمٍ بتـّارِ
فجزاك المليكُ سوءاً وهونـاً عشت منـه بذّلة وَصغارِ

قال : فدخلت الخيمة أريد قتلها فلم أرَ احداً كأنّ الارض قد ابتلعتها ، فاقتلعت الخيمة ، وسقت الماشية حتى اتيتُ بها قومي بني زبيد .

دعاء مأثور لذنب مغفور :

حدثنا ببغداد سنة ثمان وستمائة صاحبنا الإمام سراج الدين عمر بن مكي بن علي بن محمد بن عبد الله الجوزي قـــال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقال : من أراد ان يغفر الله له فليدع بهـــذا الدعاء وهو : اللهم اني أسئلك

الهدى ، والتقى ، والعفـّة ، والغِنى ، فأتنا سؤلنا ، وأرزقنا امنيّتنا . و
قـال : فأتني في الدنيا والآخرة حسنة برحمتك يا أرحم الراحمين . الشك من
الراوي ولا يدري ايها ؟ قال النبي ﷺ : قال : فينبغي أن يجمع بينهما .

وحدثنا ببغداد في التاريخ ابو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى بن عـلي بن الرئيس لفظاً قـال : حدثنا ابو نصر يحيى بن هبة الله بن محمد البزار بواسط قراءة مني عليه . قـــال : سمعت ابا المكرم خميس بن علي الحافظ يقول : سمعت ابا محمد طلحة بن علي الرازي الصوفي يقول رأيت النبي ﷺ ببغداد في مسجد عتـّاب ، والمسجد غاص بأهله ، وهو عليه الصلاة والسلام في المحضر وعليه بردة كحلاء ، وهو متقلد سيفاً ، وفي الجماعـــة ابو محمد التميمي وهو يقول له : يا رسول الله ادع الله لنا ، فبسط كفيه وقال: وأنا اقول معه اللهم إني أسئلك حسن الاختيار في جميع الأقدار. ومما قلته وأنا منفرد بفلاة يتماً:

وليّ الله ليس له أنيس سوى الرحمن فهو له جليسُ
يذكـّره فيذكره فيبكي وحيد الدهر جوهره نفيس

ولنا في المعارف من باب التشبيب :

طلع البدر في رُجى الشعر وسقى الورد نرجس الخفرِ
غادة تاهت الحسان بها وزها نورها على القمر
هي أسنى من المهاة سنا صورة لا تقاس بالصور
فلك النور دون أخمصها تاجها خارج عن الاكر
ان سرت في الضمير يجرحها ذلك الوهم كيف بالبصر
لعبـــة ذكرنا يذوّبها اطفت من مسارح النظر
طلب النعت أن يبيّنها فتعالت فعـاد ذا حصر

واذا رام ان يُكيّفها   لم يزل ناكصاً على الاثر
ان أراح المطيّ طالبها   ما أراحوا مطيّة الفكر
روحنت كل من أشبّ بها   نقله عن مراتب البشر
غيرة أن يشاب رائقها   بالذي في الحياض من كدر

تمّ المجلس .

روينا من حديث ابن اسحاق عن الكلبيّ عن أبي صالح مولى ام هانيء عن ابن عباس ، قـال : كانت العرب على دينين : حلة ، وحمس . فالحمس ، قريش ، وكل من ولدت العرب ، كنانة ، وخزاعة ، وأوس ، وبنو ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، وازد شنوءة ، وحوم ، وزبيد ، وبنوا ذكوان من سُليم ، وعمرو اللّات ، وثقيف ، وغطفان ، وعوف ، وعدوان ، وعلاق ، وقضاعة .

وكانت قريش اذا أنكحوا غريباً امرأة منهم اشترطوا عليه ان كل من ولدت فهو احمس على دينهم . وزوّج الاردم تيم بن غالب بن فهر بن مالك ابنة محمد بن تيم بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، على ان ولدها منه أحمس على سنة قريش . وفيها يقول لبيد بن ربيعة الكلبيّ :

سقى قومي بني مجد وأسقى   نميراً والقبائل من هلالِ

وتزوج منصور بن عكرمة بن حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن علي بن يعصر بن قيس بن غيلان ، فولدت له هوازن ، فمرض مرضاً شديداً ، فنذرت سلمى لئن برىء لتحمسنـه ، فلما برىء أحمسته . فلم تكن نساؤهم ينسجن ، ولا يغزلن الشعر ، ولا يسلين السمن اذا أحرموا .

وكانت الحمس اذا أحرموا لا يأقطون الاقط ، ولا يأكلون السمن ، ولا يسلونه ، ولا يمخضون اللبن ، ولا يأكلون الزبد ، ولا يلبسون الوبر ، ولا يلبسون الشعر ، ولا الوبر ، ولا ينسجونه ، وانما يستظلون بالادم ، ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم ، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ، ولا يخفزون فيها بدنة ، ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية وأول الاسلام ، فإن كان من اهل المدر يعني من اهل البيوت ، والقرى ، نقب نقباً في ظهر بيته ، فمنه يدخل ، ومنه يخرج ، ولا يدخل من بابه .

وكانت الحمس تقول : لا تعظّموا شيئاً من الحل ، ولا تجاوروا الحرم في الحج، فلا يهاب الناس حرمكم، فقصّروا عن مناسك الحج والمواقف من عرفة، وهو من الحلّ ، فلم يكونوا يقفون به ، ولا يفيضون منه ، وجعلوا موقفهم في الحرم ، ومن نمرة ، وكانوا يدفعون في غروب الشمس .

وكانت الحمس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسوّرت من ظهور البيوت وأدبارها . ويحرّمون الدخول من أبوابها حتى بعث الله محمداً ﷺ فأحرم عام الحديبية ، ودخل بيته ، وكان معه رجل من الانصار ، فوقف الأنصاري بالباب فقال له : ألا تدخل ؟ فقال الأنصاري : أنا أحمس يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وأنا أحمس ، ديني ودينك سواء . فدخل الأنصاري مع رسول الله ﷺ لما رآه دخل من بابه، فأنزل الله تعالى : وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها .

وكانت الحلة تطوف بالبيت، اول ما يطوف الرجل والمرأة في اول حجة يحجّها عراة ، فكانت المرأة تضع احدى يديها على قبلها ، والاخرى على

دبرها ، ثم تقول : اليوم يبدو بعضه ، او كله ، وما بدا منه ، فما أحلّه الا ان يستعيروا من الحمس ثياباً يطوفون بها . حتى انهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للحمس : من يعير معوزاً ، من يعير مَصُوناً ؟ فإن أعاره احمسي ثوبه طاف به ، ولا يرون انهم يطوفون بالثياب التي قارفوا فيها الذنوب .

وحدثنا محمد بن قاسم ، حدثنا احمد بن محمد ، ثنا ابن علي ، ثنا محمد بن احمد ، ثنا ابن الجارحي ، ثنا محمد بن يحيى ، ثنا عبد الله بن المغيرة ، ثنا عقارة بن مسلم ، ثنا حمّاد بن سلمة ، عن ايوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله ﷺ : لا يكمل ايمان عبد حتى يكون فيه خمس خصال: التوكل على الله ، والتفويض الى الله ، والتسليم لأمر الله ، والرضا بقضاء الله ، والصبر على بلاء الله . انه مَن أحبّ لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان .

وحدثنا عبد الواحد بن اسمعيل حدثني ابي ، ثنا عمر بن عبد الحميد ، ثنا احمد بن محمد ، ثنا ابو نصر بن علي ، ثنا احمد بن عبد الله ، حدثنا نصر بن احمد ، حدثنا ابو يعلى ، حدثنا احمد بن كامل ، ثنا ابو قلابة نبأ الحسين بن حفص ، نبأ سفيان ، عن احمد ، عن سهيل ، عن ابي صالح، عن ابي هريرة، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان العبد لا يكتب في المسلمين حتى يسلم الناس من يده ولسانه ، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه ، ولا يعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، انه من خاف البيان أدلج ، ومن أدلج في المسير وصل ، وإنما تعرفون عواقب اعمالكم ، لو قد طويت صحائف آجالكم ايها الناس : ان نية المؤمن خيرٌ من عمله ، ونية الفاسق شرٌ من عمله .

وسماعنا على قول كُثيّر عزّة :

لقد حلفت جهداً بما حلفت له قريش غداة المأزمين وصلّتِ
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها كناذرةٍ نذراً فأوفت وحلّتِ
فقلتُ لها يا عزّ كلّ مصيبة اذا وطنت يوماً لها النفس ذلّتِ

السماع في ذلك : المأزمين ، المضيق الذي بين عـالم الغيب ، والشهادة ، هنالك تنحر النفوس عن أغراضها ، تنحرها حـال الجمعية التي كنى عنها بقريش. التقريش: التضييق. وصلت: دعت الى مقامها . وذاني: هي الخالفة. وقطع الحبل بيننا : انفصالها عن ظلمة هذا الهيكل لما تقاسي فيه من ذلّ الحجاب . ولولا قوتها على الذلّ فـيما يصيبها من المقام الاعز الاحمى لهلكت رأساً واحداً ، ولكن الشيء لا يهلك عن حقيقته فالذلّ لهـا ذاتي ، فإن الإمكان افتقار وعجز محض ، فالذلّ وصف لازم ، وهو في غير ذلـك المقام بالعرض .

وسماعنا على قول ابن الدمينة :

ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجدِ
لئن هتفت ورقاء في رونق الضحى على فنن غضّ النبات من الرنـدِ
بكيت كما يبكي الوليد ولم يكن جليداً وأبديت الذي لم يكن يبدي
وقـد زعموا أن المحب اذا دنا يمل وأن النأي يشفى من الوجدِ
بكلٍ تداوينا فـلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعدِ
على أن قرب الدار ليس بنافـعٍ اذا كان من تهواه ليس بذي ودّ

السماع في ذلك : النفس طالع من المقام الأعلى كني عنه بالصّبا. والسؤال بالزمان لإحساسه به في عالم التركيب أثراً لا عيناً لعلوّها عن ذلك . وكلما

توالى السرى زادت المعـارف ، فيمكن الشوق ، ويضاعف الوجد والبلوى . ثم قال : لئن هتفت النفس الأبية العلوية في زمان قوة النور الأجلي صارخة على فقن الاعتدال الأكمل، الذي نشأ الكامل عليه في اول أمره ، وجعله زنداً للدهن الذي به مادة بقاء الأنوار، وما فيه من المنافع، يكتب يقول : للنفس الحرية كما يبكي الوليد من الولادة ، لأنها منها . فجاء بما يشير به من الألفاظ اليها ، وكيف يكون جليداً فرع دعاه أصله اليه فأبدى ما لديه .

وقد زعموا وهو حق ان المحبّ اذا دنى من عـالم الملك يمل وان النأي البعيد عنه يريح من الألم صحيح ، فهذا أنبأ عن أمر محقق ، فالتجلي هناك لا يتكرر ، والنعيم به مثله فلا ملل ، وقد تداوى المجنون بهما ، وقرب دار كل محب حيث كان حبيبه خير له من بعدها ، وكنى عن النفس بالورقاء ، كما كنّت الحكماء عنها بهذا الاسم ، وفيها يقول بعضهم القصيدة التي شهرت بين العلماء[1] :

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقـــاء ذات تعزّز وتمنّعِ
محجوبـــة عن كل مقلة ناظر	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما سكنت فلما واصلت	ألِفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً في الحمى	ومنازلاً لفراقهـــا لم تقنع
حتى اذا نزلت بهـاء هبوطها	عن ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها تاء الثقيل فأصبحت	بين المنـازل والطلول الخضّع
تبكي اذا ذكرت دياراً بالحمى	بمدامع تهمي ولم تتقطع
وتظل ساجعة على الدّمن التي	درست بتكرار الرياح الأربع
حتى اذا قرب المسير من الحمى	ودنى الرحيل الى الفضاء الاوسع

(١) قصيدة النفس المعروفة للشيخ الرئيس ابن سينا .

اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها   نقص عن الاوج الفسيح المربع
هجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت   ما ليس يُدرك بالعيون الهجّع
وغدت مفارقة لكل مخالف   عنها حليف الترب غير مشيّع
فلأي شيء أهبطت من شاهق   سام الى قعر الحضيض الأوضع
فهبوطها ان كان ضربة لازبٍ   فتكون سامعة لما لم يسمع
فتصير عارفة بكل حقيقة   في العالمين فخرقها لم يرقع
ان كان أرسلها الإله لحكمة   خفيت عن الفطن اللبيب الاروع
فهي التي قطع الزمان طريقها   حتى لقد غربت بعين المطلع
وغدت تغرّد فوق ذروة شاهق   والعلم يرفع كل من لم يرفع
فكأنها برق تألق بالحمى   ثم انطوى فكأنه لم يلمع

وكتبت الى صاحب لي ببلاد الروم اسمه اسحاق بن محمد من اصحاب السلطان ممن تخدمه الدولة وتظهر به السنة :

اسحاق فاسمع لوعظ من اخي ثقة   ولا يغرّنك تقريب السلاطينِ
ان الملوك قد استغنوا بملكهم   عنا وعما بأيديهم من الدين
فاستغن بالله عن ملك الملوك وعن   سؤال من هو مسكين بن مسكين
فالله يكفيك يا عيني ويا ولدي   شرّ الملوك وأشرار الشياطين
بالبيت بالحجر بالاركان أسأله   باللوح بالقلم الاعلى وبالنون
إن قلت صدقني او بتّ سامرني   ولا يزال يناديني ويسليني

ولنا من الرموز العلوية ، ومن الاشارات الغزلية :

أيا روضة الوادي اجب ربة الحمى   وذات الثنايا الغرّ يا روضة الوادي
وظلّ عليها من ظلالك ساعة   قليلا الى ان يستقر بها النادي

وتنصب بالأجواز منك خيامها فما شئت من ظلّ غداء لميّاد
وما شئت من ظل ظليل ومن جنى شهي لدى الجاني يميس بميّاد
ومن ناشد فيها زرود ورملها ومن منشدٍ حادٍ ومن مرشد هاد

ولنا من هذا الباب :

وأحربا من كبدي وأحربا وأطربا من خلدي وأحربا
في كبدي نار جوى محرقة في خلدي بدر رُجىً قد غربا
يا مسك يا بدر ويا غصن نقي ما أورق ما أنور ما أطيبا
يا مبسماً أحببت منه الحببا ويا رضاباً ذقت منه الضربا
يا قمراً في شفق من خفرٍ نجـــده لاح لنا منتقبا
لو انـــه يسفر عن برقعه كان عذاباً فلهذا احتجبا
شمس ضحى في فلك طالعه غصن نقي في روضة قد نصبا
ظللت لها من حذر مرتقباً والغصن أسقيه سماء صيّبا
ان طلعت كانت لعيني عجباً أو غربت كانت لحيني سببا
مذ عقد الحسن على مفرقها تاجاً من التبر عشقت الذهبا
لو أن ابليس رأى من آدمٍ نور محياها عليه مـــا ابا
لو أن ادريس رأى ما رقم الـ حسن بخدّيها اذاً ما كتبا
لو أن بلقيس رأت رفرفها ما خطر العرش ولا الصرحُ ببا
يا سرحة الوادي ويا بان النقا أهدي لنا من نشركم مع الصّبا
مسكاً يفوح ريّاه لنـــا من زهر اهضابك او زهر الربا
يا بانة الوادي أرينـــا فننا في لين اعطافٍ لها أو قضبنا
ريح صبا تخبر عن عصر صبا بحاجر او بمنىً او بقبـــا
او بالنقا فالمنحنى عند الحمى او لعلعٍ حيث مراتع الظبا

لا عجبٌ لا عجبٌ لا عجبا ... من عربيٍّ يتهـــادى العربا
يغني اذا مـــا صدَحت قمرية ... بذكر من يهواه فيها طربا

ولنا من هذا الباب ، وفيه تنبيه على قوله تعـــالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» وكون الحق تعالى ما ذكر في القرآن من الأسماء التي هي أمهات إلا ثلاثة : الله ، والرحمن ، والرب . وما عداها فهي نعوت لله ، وقد يقع الرحمن نعتاً . ايضاً قولنا :

بذي سَلم والدير من حاضر الحمى ... ظباء تريك الشمس في صور الدّما
فأرقب افلاكاً وأخدم بيعـة ... واحرس روضاً بالربيع منمنما
فوقتاً أسمّي راعي الظبي بالفلا ... ووقتاً أسمّي راهباً ومنجّما
تثلث محبوبي وقد كان واحداً ... كما صيّروا الأقنام بالذات أقنما
فلا تنكرن يا صاحِ قول غزالةٍ ... تضيء لغزلان يطفن على الدّما
فللظبي أجياداً وللشمس أوجهـاً ... وللدّمية البيضاء صدراً ومعصما
كما قد أعرنا للغصون ملابساً ... وللروض أخلاقاً وللبرق مبسما

طفتُ ليلة بالبيت فأدركني التعب ، فقلت : أعتبُ نفسي على البديهة من غير رويّة :

يا أيهـــا البيت العتيق تعالى ... نورٌ لكم بقلوبنـــا يتلالا
أشكو اليك مفاوزاً قد جئتها ... أرسلتُ فيها أدمعي إرسالا
أمسي وأصبح لا ألذّ براحةٍ ... أصِلُ البُكور، وأقطعُ الآصالا
هذي الركاب اليكم سارت بنا ... شوقاً وما ترجو بذاك وصالا
ان النياق وإن أضرّ بها الوجا ... تسري وترفل في السُّرى ارفالا
قطعت اليك سباسباً ورمالاً ... وجداً وما تشكو لذاك كلالا
ما تشتكي ألم الوجا وأنا الذي ... أشكو الكلال لقد أتيتُ محالا

ولنا في باب الأرواح واللطايف :

ناحت مطوّقةٌ فحنَّ حزينُ ... وشجاه ترجيعٌ لها وحنينُ
جرت الدموع من العيون تفجعاً ... لحنينهـــا فكأنهن عيونُ
طارحتها ثكلى بفقد وحيدها ... والثكل من فقد الوحيد يكون
طارحتها والشجو يمشي بيننـا ... ما ان تبينُ وانني لأبين
بي عالج من حبّ رملة عالج ... حيث الخيام بهـا وحيث العين
من كل فاتكة اللحاظ مريضة ... أجفانها لظبيَ اللحاظ جفون
ما زلتُ أجرع دمعتي منغلبتي ... أخفي الهوى عن عاذلي وأصون
حتى اذا صاح الغرابُ بينهم ... فصاح الفراق صبابة المحزون
وصَـلوا السرى قطعوا البرى فلعيسهم
تحت المحـامل رنـّـة وأنين
عاينت أسباب المنية عندما ... أرخوا أزمّتها وشدّ وضين
إن الفراق مع الغرام لقاتلٌ ... صعب الفراق مع اللقاء يهون
ما لي عذول في هواها انهـا ... معشوقة حسناء حيث تكون

ولنا ايضاً في هذا الباب :

بـين النقـا ولعلع ... ظباء ذات الأجرع
ترعى بهـا في خمري ... خمـائلا وترتـع
مـا طلعت أهلةٌ ... بـأفق ذاك المطلع
ألا وددت انهـا ... من حـدر لم تطلع
ولا بدت لامعـةٌ ... من برق ذاك البرقـع
ألا اشتهيت انهـا ... لما بنـا لم تلمع

يا دمعتي وانسكبي ... يا مقلتي لا تقلعي
يا زفرتي خذ صَعداً ... يا كبدي تصدّع
وأنت يا حادي اتئد ... فالنار بين أضلعي
قد فنيتْ مما جرى ... خوف الفراق أدمعي
حتى اذا حلّ النوى ... لم تلفِ عيناً تدمعِ
فارحلْ الى وادي اللّوى ... مربعهم ومصرعِ
إنّ به احبّتي ... عند مياه الاجرَعِ
ونادهم منْ لفتىً ... ذي لوعةٍ مودّعِ
رمتْ به أشجانه ... وسط خرابٍ بلقعِ
يا قمراً تحت دُجىً ... خذ منه شيئاً ودعِ
وزوّديه نظرةً ... من خلف ذاك البرقعِ
فإنه يضعفُ عن ... درك الجمال الاروعِ
او علّليه بالمنى ... عساه يحيى ويعي
ما هو إلا ميتٌ ... بين النقا ولعلعِ
فمتُ اياساً وأسىً ... كما أنا في موضعي
ما صدّقتْ ريح الصَّبا ... حين اتت بالجزعِ
قد تكذب الريح اذا ... تقول ما لم تسمعِ

ولنا ايضاً في هذا الباب :

انجد الشوق وأتهم الغرام ... فأنا ما بين نجدٍ وتهامْ
وهما ضدّان لن يجتمعا ... فشتاتي ما له الدّهرِ نظامْ
ما صنيعي ما احتيالي دلّني ... يا عذولي لا ترعني بالملامْ
زفرات قد تعالت صعدا ... ودموعٍ فوق خدّي سجامْ

حنّت العيسُ الى اوطانها　　من وجا السير حنين المستهامْ
ما حياتي بعدهم إلّا الفنا　　فعليها وعلى الصبر السلامْ

ولنا ايضاً في هذا الباب :

لمعتْ لنا بالابرقين بروقُ　　فصفت لها بين الضلوع رعودُ
وهمت سحائبها بكل خميلة　　وبكل ميّادٍ عليك يميد
فجرت مدامتها وفاح نسيمها　　وهفت مطوقة وأورق عود
نصبوا القباب الحمر بين جداولٍ　　مثـل الاساود بينهن قعود
بيض او انس كالشموس طوالعٌ　　عـــين كريمات عقائل غيد

ولنا ايضاً من هذا الباب :

عند الكثيب من جبال زرود　　صيدٌ وأسد من لحاظ الغيدِ
صرعى وهم ابناء ملحمة الوغى　　ابن الاسود من العيون السود
فتكت بهم لحظاتهن وحبذا　　تلك الملاحظ من بنات الصيد

ذكر ابو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتاب مثير الغرام الساكن ، اخبرنا به كتابة ، قال : حكى عن بعض السلف انه نوى الحج ومعه ثمانمائة درهم ، وعرضت له ذات يوم حاجة ، فبعث ولده الى بعض جيرانه ، فرجع الولد يبكي ، فقال : مالك ؟ قال : دخلت على جارنا وعندهم طبيخ فاشتهيته فلم يطعموني . فذهب الرجل الى جاره فعاتبه على مـــا فعل ، فبكى الجار وقال : ألجأتني الى كشف حالي ، انا منذ خمسة ايام لم نطعم ، فطبخنا ميتة فأكلناها ، وعلمت أن ولدك يجد مـــا يحل له أكله ، ولا يحل له معنا اكله فتعجب الرجل ، وقال لنفسه : كيف النجاة وفي جوارك مثل هـذا وأنت

تتأهب للحج ؟ فرجع الى بيته وأعطاه الثلاثمائة درهم . فلما كانت عشية عرفة رأى ذو النون المصري في منامه وهو بعرفات كأنّ قائــلاً يقول له : يا ذا النون ترى هذا الزّحام على هذا الموقف ؟ قال: نعم. قال : ما حج منهم إلّا رجل تخلف عن الموقف فحج بهمّته ، فوهب الله عز وجل اهل الموقف له . فقال ذو النون : من هو ؟ قيل له : رجل يسكن دمشق . فذهب ذو النون الى دمشق ، وبحث عنه حتى عرفه وسلم عليه . أه المجلس .

ولمهيار الديلمي في حنين الإبل ، وقيل بل هو للمتنبي :

أركائب الأحباب أن الأدمعا تطس الخدود كما تطسن اليرمعـا
فأعرفن من حملت عليكن النوى وأمشين هوناً في الأزمة خضعا

وله ايضاً في هذا الباب :

اراك حبستها تشكو المضيقا اثرها ربمـــا وجدت طريقا
اجزها تطلب القصوى ودعها سدىً ترمي الغروب بها الشروقا

وله ايضاً في هذا الباب :

يا سائق البكرات استبق فضلتها على الرويدا فظهر العود معقورُ
حبساً ولو ساعة تروي بهـا مقل هيمٌ عليها الدهر منه مشكور
فالعيس طائعة والارض واسعة وإنمـــا هو تقديم وتأخير
تغلـّوا من زرودٍ وجه يومهم وحظهم بظلال البـان تهجير

وله ايضاً في هذا الباب :

مرت بنعمان على طول المدا دعهـا فليس كل ماءٍ موردا
لحـــاجة أمس ما حاجاتها تخطات أرزاقها تعمدا

ترعى وفي مشروبها ضراعة حرارة على الكبود أبردا
لا حملت ظهورها ان حملت رحلاً على الضم تفراً وبـدا

استجلاب وصية حكيم :

روينا من حديث الدينوري قال : حدثنا ابن ابي الدنيا قال : سمعت محمد ابن الحسين يقول: قال حكيم لحكيم : أوصني. قال : اجعل الله همك، واجعل الحزن على قدر ذنبك ، فكم من حزين به حزنه على سرور الأبـد ، وكم من فرحٍ نقله فرحه الى طول الشقاء .

ومن كلام ابراهيم بن ادهم في الكمد :

روينا من حديث المالكي ، عن ابراهيم بن سهلويه، عن ابن حنيف ، قال: قال ابراهيم بن ادهم : ما من العمل شيء أشد على اهله من طول الكمد ، والكمد جرح لا يندمل دون الموت .

تقلّب الأحوال ، وتنوّع الأشكال :

فيوم علينا ويوم لنـا ويوم نُساءُ ويوم نسرّ

وروينا من حديث الدينوري ، عن ابراهيم الحربي ، عن ابي نصر ، عن يعقوب بن داود ، عن السائب بن الاقرع انه قـال : هكذا الدنيا تصبح لك مسرّة ، وتمسي عليك مكرّة ، ثم أنشأ يقول :

ألا قد أرى ان لا خلود وانه سينعق في داري غراب ويحجلُ
ويقسم ميراثي رجـال أعزّة وتذهل عني الوالدات وتشغل

ومن خبر اسعد تبّع الذي كسا الكعبة ، وتوجه الى مكة ، وما اتفق له في نار اليمن :

روينا من حديث ابن اسحاق ، قال : كان تبّع وقومه اصحاب أوثان يعبدونها ، فوجّه الى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان والح ، أتاه نفرٌ من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، فقالوا : أيها الملك ألا ندلك على بيت المال وأثر غفلته الملوك قبلك ؟ فيه اللؤلؤ ، والزبرجد ، والياقوت ، والذهب ، والفضة . قال : بلى . قالوا : بيت مكة يعبده اهله، ويصلّون عنده ، وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك ، وبغى عنده ، فلما أجمع رأيه ، قالوا : أرسل الى حبرين كانا عنده ، فسألهما عن ذلك ، فقالا : ما أراد القوم إلا هلاكك ، وهلاك جندك ، ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الارض لنفسه غيره . ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن ، ويهلكن من معك جميعاً . قال : فماذا تأمراني ان اصنع ؟ قالا : اذا قدمت عليه تصنع عنده ما يصنع اهله ، تطوف به ، وتكرمه ، وتعظمه ، وتحلق رأسك عنده ، وتذلل حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله انه لبيت أبينا ابراهيم ، وانه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله ، بالدماء التي يهرقون عنده وهم نجس اهل شرك . فعرف نصحهما ، وصدق حديثهما ، وقرّب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة ايام فيما يذكرون ينحر بها للناس ، ويطعم اهلها ، ويسقيهم العسل. ورأى في المنام ان يكسو البيت، فكساه الخصف، وهي ثياب غلاظ جداً . ثم رأى ان يكسوه احسن من ذلك ، فكساه المغافر . ثم رأى انه يكسوه احسن من ذلك ، فكساه

الملا والوصايل . وأوصى بالبيت وُلاته من جُرْهم ، وأمرهم بتطهيره ، وان لا يقربوا اليه دماء ولا ميتة ، ولا ميلغاً ، وهي المحايض. وجعـــل له باباً ، ومفتاحاً ، فكان تبّع فيما يروى إنه اول من كسى البيت ، وقـال تبع في ذلك وفي مسيره :

وكسونا البيت الذي حرّم الله ملاءً معصباً وبرودا

وأقمنا به من الشهر عشراً وجعلنا لنا بــه اقليدا

وخرجنا منه نؤم سهيلاً قد رفعنا لواءنا معقودا

وفي ذلك تقول سبيعة بنت الأجبّ بن ربيبة بن حذيمة بن عوف بن نصر ابن معاوية بن بكر بن هوازن لابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد ابن تيم [1] بن مرة بن كعب بن لؤيّ ، تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها ، فذكرت تبّعاً وما كان منه في تعظيم الكعبة حيث يقول :

أبنيّ لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبيرِ

واحفظ محارمها ولا يغررك بالله الغرور

أبني من يظلم بمكة يلقَ أطراف الشرور

أبني يضرب وجهـه ويلح بخديه السعير

أبني قـــد جرّبتها فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها ومـــا بنيت بعرصتها قصور

والله آمن طيرها والعصم تامن في ثبير

ولقـــد غزاها تبّـع وكسا لبنيتها الحرير

(١) نسخة ٢ تيم وحرر اه.

وأذلّ ربي ملكه فيها فأوفى بالنذور
يمشي اليهـــا حافيـاً بفنائها ألفـــا بعير
ويظل يطعم أهلهـا لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصفّى والرخيص من الشعير
والفيـل أهلك جيشه يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلاد وفي الأعاجم والجزير
فاسمع اذا حدّثت واف هم كل عاقبة الامور

قـال ابن اسحاق : ثم خرج تبع متوجهاً الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى اذا دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه، فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن ، وقيل : لما جاء يدخل اليمن حالت حمير بينه وبين الدخول ، قالوا : لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا ، فقال لهم تبـع : انه خير من دينكم ، قالوا : فحاكمنا الى النار ، قال تبع : نعم. وكان في اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر بالمظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون بـــه في دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت النار اليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فزأرهم من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الاوثان وما قرّبوا معها وما حمل ذلك من رجـال حمير ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرّهما ، فأصفقت حمير عند ذلـك على دينه . فمند ذلك كان اصل اليهودية باليمن .

فتنة آلهية أضل بها من شاء :

أخبرني بمكة رجل ثقـــة من التجار ، يقال له ابن صوّاف من اهل

الاسكندرية ، وكان عدلاً صالحاً ، ثبت الحديث فطناً ، ولا ازكى على الله احداً ، قال لي : أخبرني بعض التجار أنـه أتجر ببعض بلاد الهند ، فعامل رجلاً من اهل ذلك البلد الى أجل معلوم ، فتوفي التاجر الهندي قبل حلول الاجل بغتة، فأسف التاجر الغريب على تلاف ماله، فقصد دار الهندي ليشهد جنازته ، باكياً على ما كان له قبله ، فقـال له بعض اهل الميت : ما شأنك تكثر البكاء ؟ فذكر ماله قِبلَ الميت ، فقال له : لا بأس عليك تأخذ مالك موفاً ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال له : ان الميت عندنا يحييه الله بعد ثلاثة ايام من دفنه ، فيفتح دكانه ان كان صاحب دكان ، ويذكر ما له وما عليه في جريدته ، ويعطي للنـاس ما لهم في قِبله من الحقوق ، فإذا لم يبق عليه تبعة قام وأغلق دكانه ، وسلم المفاتيح للورثة ، وانصرف من حيث جـاء لا يتبعه احد ، فلا نراه بعد ذلك. قال التاجر : فتعجب لخبره وهان عليّ تلف المال بمشاهدة هذه الاعجوبة .

قال : ثم إنا تبعنا الجنازة حتى دفناه ، وبقيت أترقب ، فلما كان بعد ثلاثٍ نادى مناد في البلد : معشر الناس ، من كان له عند فلان الذي مـات حق فليأت الى دكانه ، فقد قعد يعطي الناس حقوقهم .

قـال : فأسرعت الى الدكان فوجدت صاحبي بعينه لا أنكر منه شيئاً وجريدته في يده ، ومن له عنده شيء قد حضر ، فما زال ينظر في الجريدة ويقول : أين فلان ؟ فيجيبه ، فيقول : كم تسألني ؟ فيقول له : كذا وكذا ، فيعطيه ، الى أن دعاني بإسمي فقال : كم تسألني ؟ فقلت : كذا وكذا ، فنظر في الجريدة ، فقـال : صدقت ، فوافاني حقي ، وشكرني ، واعتزلت انظر آخر أمره وإلامَ يؤل ، فلما جـاء وقت العصر وتمكن ، فرغ من شغله ، وقفل الحانوت ، وانصرف الناس ، وأخذ المفاتيح ، وأسلمها للورثة ، وسلم

عليهم ، وانصرف ، فلم يتبعه أحد ، فانصرفت خلفه أسأله عن شأنه ، فإني رأيت عجباً ، فمـــا دخل زقاقاً إلا وأنا خلفه أجهد نفسي في أثره ، فلما ألححت عليه وقف وقال : يا هذا ألم تأخذ حقك ؟ قلت : بلى . قـــال : فانصرف . قلت له : أريد أن أعرف شأنك ، فإني مـا شككت في موتك ودفنك فكيف قضيتك ؟ وأقسمت عليه أن يخبرني . فقال : نعم أخبرك ، أما صاحبك التاجر الهندي فقد انتقل الى لعنة الله،وأما أنا فملكٌ على صورته أرسلني الله تعالى ، ففعلت ما رأيت ليفتنهم الله تعالى ، وقد أجرى الله لهم العادة في ذلك ، فلست صاحبك ، فانصرف عافاك الله حتى انصرف .

قال التاجر : ثم التفتّ فلم أره ، وقد عرفت خبره ، وكتمته في نفسي، وجبر الله عليّ مالي .

واقعة :

حدثنا صاحبنا عبد الله بن الاستاذ المروزي ، قال : رأى بعض المريدين من أصحابنا في واقعته الشيخ أبا مدين وقد استوى في الهواء، ومعه أبوحامد الغزالي ، فقال الشيخ : يا أبا حامد ، السرّ بالله ناظر ، والروح يتلقف منه الأوامر ، والقلب للسكينة والساكن ، والعقل حكم حاكم ، والنفس تحت قهر القاهر، والحق به ظهر الوجود ، وهو الواحد المعبود . ثم قال : يا أبا حامد، اذا تلاشت المـــعاني فاقرأ السبع المثاني ، فإنك تراه كما لم يزل ، وأنت كما لم تكن ، فرأيت عند هذا الكلام قد خصّ الشيخ بالتجلي الإلهي ، وأبو حامد معه مشارك ، فقال أبو حامد للشيخ : كيف مادة الله للسرّ ؟ فقـــال له الشيخ : اسمع ان نظرت به وجدتهما معاً لم يفترقا ولم يجتمعا . ثم قـال له : فالسرّ ما هو ؟ فقال : هو خزانة النظر . قال له : والروح ؟ قـــال : هو

خزانة النظر ، قال له : والقلب ؟ قال : هو خزانة الفكر ، قال: والعقل ؟ قال : هو خزانة العدل . والعلم ؟ قال : والنفس ؟ فقال : خزانة الأرض . ثم قال الشيخ : يا أبا حامد على هذا صنعه ، وكل متفرق جمعه .

تذكرة :

حدثنا محمد بن قاسم ، قال : سمعت عمر بن عبد الحميد يقول : تقـدّم في العمل الصالح دهرك ، واغتنم زمانك وعمرك، واعلم أن الآخرة مرآة الدنيا، فما عملت في هذه رأيت في تلك ، فأنت اليوم تعمل، وغداً ترى ، فإن كنت عاقلاً فإبك على مـــا جرى ، واذكر ما قدمت ، فكأنك قد وصلت . ثم أنشد :

ذكرتُ إساءتي فازددت حزناً ... ومثلي من تذكّـر ثم ناحـا
قطعت العمر عصياناً وجهلاً ... وجانبت المسَرّة والصلاحا
سيبدي العرض مني يوم حشرٍ ... لأهل الجمع أحوالاً قِباحـا

وأنشدني أيضاً :

معاصيك العظام عليك دَين ... ويوم الحشر تبديهـــا جميعا
فكن متجافياً عن كل ذنبٍ ... فخير النـاس من أمسى مطيعا

اجتماع سليمان بن عبد الملك مع ابي حازم :

روينا من حديث المالكي ، عن ابي غسان عبد الله بن محمد ، عن ابي سلمة يحي بن المغيرة المخزومي ، عن عبدالجبار بن عبد العزيز، عن جده ابي حازم،

قال : دخل سليمان بن عبد الملك المدينة فأقام بهـــا ثلاثاً ، فقال : ما ههنـا رجل ممن أدرك أصحاب محمد ﷺ يحدثنا ؟ فقيل له: بلى ههنا رجل يقال له أبو حازم . فبعث اليه ، فجاءه .

فقال له سليمان بن عبد الملك : يا ابا حازم ما هذا الجفاء ؟ فقال له ابو حازم : وأي جفاء رأيتَ مني ؟ قال له سليمان : أتاني وجوه اهـــل المدينة كلهم ولم تأتني ، فقال له : أعيذك بالله أن تقول مـــا لم يكن ما جرى بيني وبينك معرفة آتيك هكذا ، فقال سليمان صدق الشيخ ، ثم قال سليمان : يا ابا حازم مـــا لنا نكره الموت ؟ فقال ابو حازم : لأنكم أخربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العمران الى الخراب . قـــال : صدقت يا ابا حازم ، كيف القدم على الله ؟ فقال أما المحسن فكالغائب يقدم على اهله ، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. قال : فبكى سليمان وقال: يا ليت شعري ما لنا عند الله يا ابا حازم ؟ فقال ابو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل تعلم مالك عند الله . فقال : يا ابا حازم اين نصيب تلك المعرفة في كتاب الله عز وجل ؟ قال ابو حازم : عند قوله عز وجل : إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجّار لفي جحيم . فقـــال سليمان : يا ابا حازم فأين رحمة الله ؟ قال ابو حازم : قريب من المحسنين قال سليمان : يا ابا حازم من أعقل الناس ؟ قال ابو حازم : من تعـــلّم الحكمة وعلّمها الناس ؟ قال سليمان : يا ابا حازم من احمق الناس ؟ قال ابو حازم : من باع آخرته بدنيا غيره . فقال سليمان : ما أسمع الدعاء ؟ قال ابو حازم : دعاء المخبتين اليه . قال سليمان : ما أزكى الصدقة ؟ فقال ابو حازم : جهد المقل . فقال سليمان: يا ابا حازم ما تقول فيما نحن فيه ؟ فقال ابو حازم : اعفنا من هـــذا . فقال سليمان : نصيحة بلغتها . قال ابو حازم : إن أناساً أخذوا هذا الأمر من غير

مشورة من المؤمنين ، ولا إجماع من رأيهم ، فسفكوا فيها الدماء على طلب الدنيا ، ثم ارتحلوا عنها ، فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم ؟ فقال بعض جلسائه : بئس مـا قلت يا شيخ ، فقال ابو حازم : كذبت ، إن الله تبارك وتعالى أخـذ على العلماء ليبيننه للناس ، ولا يكتمونه . فقال سليمان : يا ابا حازم كيف لنـا بصلح ؟ قال : تدعوا التكلّف وتمسكوا بالمروءة . قال سليمان : يا ابا حازم كيف الأخذ بذلك ؟ قال ابو حازم : تأخذه من حقه ، وتضعه في أهـله . فقال له سليمان : اصحبنا يا ابا حازم ، وتصيب منا ، ونصيب منك . فقال : اعيذك من ذلك . قال سليمان : ولم ؟ قال : اخاف أن أركن اليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله منها ضعف الحياة وضعف الممات . قال سليمان : يا ابا حازم فأشر عليّ فقال ابو حازم : اتق الله أن يراك حيث نهاك وأن يفقدك حيث أمرك . قال سليمان : يا ابا حازم أدع لنا بخير . فقال ابو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوك فخذ الى الخير بنا صيته . فقال سليمان : عظني يا ابا حازم ، قـال : فقد أوجزت إن كنت وليّه ، وإن كنت عدوه ، فمـا ينفعك اذ أرمى بقوسٍ بغير وتر . فقال سليمان : يا غلام ائتِ بمائـة دينار ، ثم قال : خذها يا ابا حازم ، فقال ابو حازم : لا حاجة لي بها ، اني أخاف أن تكون لمـا سمعت من كلامي أن موسى عليه السلام ، لما هرب من فرعون ، وورد ماء مدين ، وجد عليه الجاريتين تذودان ، قال : ما خطبكما ؟ قالتا : لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهـما ، ثم تولى الى الظل فقال : رب اني لما أنزلت اليّ من خير فقير ، ولم يسأل على عون الله أجراً على دينه فلما أعجل بالجاريتين الانصراف ، انكر ذلـك ابوهما وقال : ما أعجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلاً صالحاً فسقى لنا ، قال : فمـا سمعتماه يقول ؟ قالتا :

سمعناه يقول : رب اني لما أنزلت الي من خير فقير، قال : ينبغي أن يكون هذا جائعاً ، تنطلق احداكا فتقول له : إن ابي يدعوك ايجزيك أجر ما سقيت لنا ، قال : فجزع من ذلـــك موسى عليه السلام ، وكان طريداً في فيافي الصحراء ، فأقبل والجارية أمامه ، فهبت الريح فوطتها له ، وكانت ذ خلق ، فلما بلغ الباب دخل واذا طعام موضوع ، قال شعيب : أصب يا فتى من هذا الطعام ، قال موسى عليه السلام : اعوذ بالله ، قال شعيب : ولِمَ ؟ قال موسى : لأننا من بيت لا نبيع ديننـــا بملء الارض ذهباً . قال شعيب عليه السلام : لا والله ، لكنها عادتي، وعادة آبائي؛ نطعم الطعام ، ونقرى الضعيف . فجلس موسى فأكل . فإن كانت هذه الدنانير هي عوضاً لما سمعت من كلامي ، فالآن أرى أكل الميتـــة والدم في حال الضرورة أحب إلي من أخذها . فكان سليمان أعجب بأبي حازم ، فقـال بعض جلسائه : يا امير المؤمنين ، أيسرك ان يكون الناس كلهم مثله ؟

قال الزهري : إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته بكلمة قط . قال له أبو حـازم : صدقت انك نسيت الله فنسيتني ، ولو أحببت الله لأحببتني . قال الزهري : صدقت أتشتمني ؟ قال سليمان : بل أنت شتمت نفسك ، أما علمتَ أن للجار على جاره حقاً . قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لمـا كانوا على الصواب ، وكانت الأمراء تحتاج الى العلماء ، وكانت العلمـاء تضن بدينها عن الأمراء ، فاستغنت الأمراء عن العلمـــاء ، واجتمع القوم على المعصية ، فشغلوا وانتكسوا ، ولو كانوا علمـاؤنا هؤلاء يصونون علمهم ، لكانوا لم تزل الأمراء تهابهم . قال الزهري : كأنك لي تريد ، وبي تعرض ، قـال : هو ما تسمع .

وبالاسناد :

قال : وفد هشام الى المدينة ، فأرسل الى ابي حازم ، فقـال له : يا أبا حازم عظني وأوجز ، قال ابو حازم : اتق الله ، وازهد في الدنيا ، فإن حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، قـال : لقد أوجزت يا أبا حازم ، ارفع حوائجك الى امير المؤمنين ، فقال ابو حازم : هيهات هيهات قـد رفعت حوائجي الى من تنجز الحوايج دونه ، فمـا أعطاني منها قنعت ، وما منعني منها رضيت ، وقد نظرت في هذا الامر فإذا هو نصفين : احدهما لي ، والآخر لغيري ، فأما ما كان لي فلو احتلت بكل حيلة ما وصلت اليه قبل أوانه الذي قدّر لي فيه ، وأما الذي لغيري ، فذاك الذي لا أطمع نفسي فيما مضى ، ولا أطمعها فيما بقى ، وكما منع غيري رزقي ، كذلك منعت رزق غيري ، فعلامَ أقتل نفسي ؟.

حدثنا محمد بن الفضل ، ثنا محمد بن ابي منصور ، أنا عبد القادر بن يوسف ، انا ابو الحسن بن الاينوسي ، انا ابن شاهين ، نبأ اسماعيل بن علي ، حدثني القاسم بن الخطابي ، نبأ عبيد الله بن محمد العبسي ، ثنا جعفر بن سليمان الصفي ، قال : سمعت أبا يحيى مالك بن دينار يقول شعراً :

أتيت القبور فناديتها فأين المعظـّم والمحتقرْ
وأين المذلّ بسلطانـــه وأين العزيز اذا ما قدر
وأين الملبي اذا ما دعا وأين العزيز اذا ما افتخر

قال فهتف بي هاتف يقول :

تفادوا هناك فمـا مخبرٌ وبادوا جميعاً وبادَ الخبرْ
تروح وتغدي بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناسٍ مضوا أمالك فيما مضى معتبر

أخبرني احمد بن مسعود قـال : وقع بعض الخلفاء لبعض الأدباء بشيء ، فتردد الى الديوان زماناً، فلم ينفـّذ له صاحب الديوان ما وقع له به ، فكتب الى الخليفة يقول :

خليفة الله قـد وقـّعت لي كرماً   بذلك الرسم لكن من يتممهُ
وكل من جئته بالطرس ينبذه   نبذ الحصاة كأن الطرس يؤلمه
فآه ان كان هذا قد علمت به   وآه ان كان هذا لست تعلمه

قال : فغضب الخليفة على صاحب ديوانه ، وعزله ، ونفـــذ توقيعه ، وضاعف له .

روينا من حديث الهاشمي بسنده الى ابي‌هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس لا تعطوا الحكمة غير اهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ، ولا تعاقبوا ظالماً فيبطل فضلكم ، ولا تراؤا الناس فتحبط أعمالكم، ولا تمنعوا الموجود فيقلّ خيركم . أيها الناس إن الأشياء ثلاثـــة : أمر استبان رشده فاتبعوه ، وأمر استبان غيّه فاجتنبوه ، وأمر اختلف عليكم فردّوه الى الله ورسوله، أيها الناس ألا أنبئكم بأمرين خفيف مؤنتهما، عظيم أجرهما، لم يلقَ الله بمثلهما : الصمت وحسن الخلق .

ذكر من حج من خلفاء بني أمية :

حجّ معاوية بن أبي سفيان بالناس سنة خمسين ، وحجّ عبدالملك بن مروان سنة خمس وسبعين ، وحج الوليد بن عبد الملك سنة احدى وتسعين .

ومن وقائع بعض الفقراء مـــا حدثني به عبد الله بن الاستاذ المروزي ، قـال : قال لي بعض الصالحين : رأيت في الواقعة أبا طالب ، وأبا حامد ،

وأبا يزيد ، وجمعاً من الصوفية ، وقد اجتمعوا على أبي مدين ، وقال بعضهم لأبي مدين : قل لنا في التوحيد ، فقال : التوحيد أصل وهو مع كل دقيقة ، والوجود سر وهو ظل الحقيقة، والتوحيد أحصى كل شيء عدداً ، وهو الباقي أزلاً وأبداً ، الكافي لمن هو حسبه ، فمن وفقه عَمِر بـه قلبه ، هو المظهر للأشياء ، وبحياته كانت الحياة ، فالتوحيد ثمرة المعرفة ، ولا ينال إلا بقلب الأخلاق ، والصفة ، فمن انقلبت صفته ، كان المحمود ، ومن وقفت همته على ما سواه نال المقصود ، فالعارف به له تظهر اسراره ، والى حضرة سيّده تمتد افكاره ، يلاحظ الجمال العليّ ، وينزّه ذات المالك الوفيّ ، فالتوحيد حياة القلوب ، ومظهر الأشياء ، وساتر العيوب ، ستر بـه مخلوقاته فبطن ، وأظهر به قدرته فيهم سبحانه فظهر للعارف اسرار بها يقتدي ، وأنوار بها يهتدي ، وأنواره من نور سيّده ملأت وجوده ، وأشرقت اسراره فكاشفت معبوده ، صَفت همته فباشرت المعاني ، وتنزهت صفاته فظل فانياً ، فبالتوحيد العارفون يقولون ويسمعون ، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

روينا من حديث الخطابي قال: أنا ابن الاعرابي، قال: حدثنا بكر فرقد، ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن اسماعيل بن ابي خالد ، عن قيس بن ابي حازم ، عن طلحة بن عبد الله ، أن أقل : لعيب الرجل أن يجلس في داره .

حدثنا محمد بن قاسم ، قال : قيل لحاتم الأصمّ : كيف أصبحت ؟ قال : كيف يصبح من أجله قريب ، وأمله بعيد ، والموت امامه ، والقبر مسكنه ، وهو مع ذلك مطالَب بتسع خلال ، قلت : وما هن ؟ قال : أصبحت والله سبحانه يطالبني بالفرض ، والنبي ﷺ يطالبني بالسنّة ، والعيال بالنفقة ، والنفس بالقوت ، والوالدان بالبرّ ، والملكان بصدق اللسان ، والقبر بالجسم ،

والدود باللحم ، ومنكر ونكير بالحجة ، فهؤلاء غرمائي ، وهـــذه ديوني ، فكيف يجب أن يكون من يصبح كل يوم على هذه الصفة وقد غلب تقصيري عن الوفاء .

شعر :

داويت قلبي بالهموم فما اشتفى　　　وعتبت طرْفي بالدموع فما اكتفى
ووقفت أندبُ في منازل وصلكم　　　حزناً على زمن المودة والصّفا

مثل :

هو أحمق من هبنّقة ، وله حكايات في هذا الفن عجيبة ، فمما بلغ من حمقه انه ضلّ له بعير يوماً ، فجعل ينادي : من وجد بعيري فهو له ، فقيل له : فلمَ تنشده ؟ قال : فأين حلاوة الوجدان ؟

ومن اخباره : انــه اختصمت اليه في رجل بنو طفاوة ، وبنو راسب ، فادّعى هؤلاء فيه ، وادّعى هؤلاء فيه ، فقالوا : رضينا بأول طالع علينـا حكماً ، فطلع عليهم هبنّقة ، فلما رأوه قالوا : بالله انظروا من طلع علينا ، فلما دنا قصّوا عليه قصتهم ، فقال هبنقة : الحكم في هذا بيّن ، اذهبوا بـه الى نهر البصرة ، فالقوه فيه ، فإن كان من بني راسب رسب ، وإن كان طفاوياً طفا ، فقال الرجل: لا أريد أن اكون من هذين الجنسين، ولا حاجة الى الديوان .

ومما يقرب من هذا الحكم ما اتفق في بلدنا بإشبيلية ، كان عندنا رجل من سفلة الناس يقال له : جمعة ، يبيع الخبز ، وكان يتحاكم اليه أطراف الناس ، فجاء اليه رجلان يوماً، فقال احدهما : يا جمعة إن هذا الرجل زنى بإمرأتي،

فقال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال: زعم انه رأى امرأتي في نومه فنكحها ، قال : كذلك كان ؟ فقال الخصم : نعم ، فقال جمعة : وجب الحـدّ عليه ، اذهبوا به الى الشمس ، فإذا امتد ظله في الأرض فاجلدوا ظلّـه مائة جلدة ، فقال الرجل : وما عليّ في ذلك ؟ فقال له جمعة : وما على امرأة الرجل في ذلك اذا نكح خيالها في منامها ، مالك عندي حكم غير ذلك .

واختصم اليه مرة اخرى في اشبيلية هـذا رجل طباخ يطلب حق ادامه من رجل آخر ، فقال : كيف ترتب لك ما تدعيه على هذا الرجل ؟ فقال : اني رجل طباخ ، ابيع في الدكان مـــا أطبخه ، فجاء هذا الرجل وبيده قرصة من خبز ، فجعل يأخذ اللقمة ويعرضها على بخـار القدر الصاعد ويأكل حتى فرغت ، فطلبتُ منه حق بخـار القدر ، فقال جمعة : وجب عليك يا هـــذا أعندك قطعة فضة ؟ قال : نعم ، فأخرج المدعي عليه قطعة فضة ، فقال جمعة للطباخ : اصغ باذنك ، ورمى القطعة على الحجر، فسمع لها طنين، فقال : يا طباخ خذ هذا الطنين في حق بخارك ، وردّ القطعة الفضة لخصمك، فقال الطباخ : ما نقصه شيء . فقال جمعة : ولا أخذ من قدرك شيئاً .

افتخر الحسين عليه السلام يوماً في مجلس معاوية في كلام جرى ضربنا عن ذكره ، لأنا قد عزمنا ان لا نذكر مـــا شجر بين الصحابة من قبيح القول والفعل ، لمـا يحصل في القلوب الضعيفة من ذلك . قال الحسين : انا ابن ماء السماء ، وعروق الثرى ، انا ابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب، والشرف الفائق ، والقـديم السابق ، انا ابن من رضاه رضى الرحمن ، وسخطه سخط الرحمن ، ثم رد وجهه للخصم فقال له : هل لك ابٌ كأبي او قديمٌ كقديمي؟ فإن قلت : لا تغلب ، وإن قلت : نعم، تكذب ، فقال الخصم : لا تصديقاً

لقولك . فقال الحسين عليه السلام : الحق أبلج لا يزيغ سبيله ، والحق يعرفه ذوو الالباب .

وقال معاوية يومـــاً وعنده اشراف الناس من قريش وغيرهم : اخبروني بأكرم الناس ابا ، وأما ، وعما ، وعمة ، وخالاً ، وخالة ، وجداً ، وجدة ، فقال مالك بن عجلان : وأومأ الى الحسن بن علي عليهما السلام فقال : هـــا هوذا ابوه علي بن ابي طالب ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وجدتـه خديجة بنت خويلد ، وجده رسول الله ﷺ ، وعمه جعفر الطيار في الجنة ، وعمته ام هانيء بنت ابي طالب ، فسكت القوم ، ونهض الحسن ، فقام رجل من بني سهم ، وقال : أنت أمرت ابن عجلان على مقاتلته ، فقال ابن عجلان : ما قلتُ إلّا حقاً ، وما احد من الناس يطلب مرضات مخلوق بمعصية الخالق ، إلا لم يعطِ امنيته في دنياه ، وختم له بالشقاء في آخرته ، بنو هاشم أنضركم عوداً ، وأوراكم زنداً ، كذلك يا معاوية ، فقال معاوية : اللهم نعم .

وروينا من حديث ابن عباس قال : قدمت على معاوية وقـــد قعد على سريره وجمـــع بنو امية ووفود العرب عنده ، فدخلتُ وسلمتُ وقعدت ، فقال : يا ابن عباس من الناس ؟ قلتُ : نحن ، قال : فاذا غبتم ، قلتُ فـلا احد ، قال : فكأنك ترى اني قعدت هذا المقعد بكم ، قلتُ : نعم ، فبمن قعدت ؟ قال : بمن كان مثل حرب بن امية ، يعني جده ، قلت : من انكفأ عليه اناؤه ، وأجاره بردائه ، أراد بذلك ابن عباس ، مـــا اتفق لحرب بن امية جد معاوية مع عبد المطلب لمـا استجار به حرب حين اراد قتله الزبير ابن عبد المطلب من اجل التميمي ، وذلك ان حرب بن امية لم يلق احداً من رؤوساء قريش في عقبة ، ولا مضيق إلا تقدمـه حرب حتى يجوزه ، فلقيه يوماً رجل من بني تميم في عقبة ، فتقدمه التميمي ، فقال حرب : انا حرب بن

امية ، فلم يلتفت التميمي ، وجاوزه وقال : موعدك مكة ، فخاف التميمي ثم أراد التميمي دخول مكة فقال : من تجيرني من حرب بن امية ، فقيل له عبد المطلب ، فقال : عبد المطلب أقـــل قدراً من أن يجيرني على حرب بن امية ، فأتى ليلا دار الزبير بن عبد المطلب ، فدق بابه ، فقال الزبير لعبده: قد جاءنا رجل اما طالب حاجة ، وأما طالب قرى ، وأما مستجير ، وقد اجبناه الى ما يريد ، ثم خرج الزبير اليه ، فقال التميمي :

لاقيت حربـاً في الثنية مقبلاً — والصبح أبلج ضوءه للساري
فدعا بصوت واكتنى ليريعني — وسما عليّ سموّ ليث ضاري
فتركته كالكلب ينبح ظله — وأتيت قوم معـالم وفخار
ليثاً هزبراً يستجار بعزّه — رحب المياه ومكرماً للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم — والبيت ذي الاحجار والاستار
ان الزبير لما نعى من خوفه — ما كبّر الحجاج في الامصار

فقدّمه الزبير ، وأجاره ، ودخل به المسجد ، فرآه حرب ، فقـام اليه اليه ولطمه ، فحمل عليه الزبير بالسيف ، فولى حرب يعدو هارباً حتى دخل دار عبد المطلب ، فقال : أجرني من الزبير ، فألقى عليه عبد المطلب جفنة كان هاشم يُطعم فيها الناس ، فبقي تحتها ، ثم قال له : اخرج ، فقـــال : وكيف اخرج وعلى بابك تسعة من ولدك قد اجتذبوا السيوف ؟ فألقى عليه رداء كان كساه إياه سيف بن ذي يزن له طرّتان خضراوتان ، فخرج عليهم ، فعلموا انه قد أجاره ، فتفرقوا عنه .

روينا من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : لا تفخروا بآبائكم في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج العجل برجله خير

من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية، أخذها القطب المطهّر واعظ العجم ، وكان بليغاً في اللسان الفارسي ، فوعظ الناس يوماً ، فقام اليه بعض الناس فقال : أيها الواعظ انت خير أم الكلب؟ قال : فأطرق ساعة واستعبر، وكان صالحاً فقال : يا اخي أما اني ان فزت بالجنة ، ونجوت من النار ، فأنا خير من الكلب ، وان كان غير ذلك، فالكلب خير مني. أخبرني بهذه الحكاية تلميذه صاحبنا مجد الدين ابو ابراهيم اسحاق بن محمد بن يوسف القونوي .

وكان الحسن بن ابي اسحاق البصري يقول : يا ابن آدم لمَ تفتخر وانما خرجت من سبيل البول نطفة تنسحب بأقذار ؟ قال بعض الحكماء ، وكان من الصالحين لرجل آخر يفتخر : أيفتخر مَن أوّله نطفة مَذِرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما وعاء عذرة ؟.

وأنشدنا ابن البطين لعليّ بن ابي طالب القيرواني ، وقيل : لعليّ بن ابي طالب رضي الله عنه :

الناس من جهة التمثل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواءُ
ما الفخر إلا لأهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وكان ابي كثيراً ما ينشد :

الحمد لله ليس الرزق بالطلب ... ولا العطايا على فهم ولا أدبِ
ان قدّر الله شيئاً كنت نائله ... وليس ينفعني حرصي ولا نصبي

وخطب بعض الخلفاء وقد خطر له حسن الظن بالله تعالى فقال : الحمد لله الذي أنقذني من ناره بخلافته .

ومن حسن كلام الحجاج ان كان ينفعه ذلك وقد أشاع موته بعض من يكرهه ، قال الناس يوم مات الحجاج : مات الحجاج ، فقال : مَه ، ما أرجو الخير كله إلا بعد الموت ، والله ما رضي البقاء إلا لأهون الخلق عليه ابليس ، اذ قال: ربّ انظرني الى يوم يبعثون ، قال : فإنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم أطمع الحجاج في ربه حسن ظنه به واتساع عفوه وكرمه.

شعر :

تعاظمني ذنبي فلمـا قرنته   بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وقال الآخر :

ذنبي اليك عظيم   وأنت اعظم منه

وحديث السجلّاتي ، وهو الرجل الذي ذكره رسول الله ﷺ انه ينشر له يوم القيمة تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل مدّ البصر ليس فيها خير قط إلا كلمة التوحيد ، فألقاها الله له في كفة ، والسجلّات في كفة ، فثقلت كلمة التوحيد ، وطاشت السجلات ، فدخل الجنة ، وهذا بلا شك اعظم ذنوباً من الحجاج ، فكيف لا يطمح الحجاج وكان من الذين خلطوا ؟

وروينا من حديث انس بن مالك قال: دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل، فلم نخرج من عندهم حتى قضى نحبه، فإذا عجوز عند رأسه،فالتفت اليها بعض القوم فقال: استسلمي لأمر الله واحتسبي،قالت: أمات ابني؟ قال: نعم ، قالت : أحق ما يقوله ؟ قلنا : نعم ، فمدت يدها الى السماء وقالت : اللهم انك تعلم اني أسلمت لك، وهاجرت الى نبيك محمدﷺ رجاء ان تعينني عند كل شدة ، فـلا تحملني هذه المصيبة اليوم ، قال : فكشف ابنها الذي سجيناه عن وجهه ، وما برحنا حتى طعم وشرب ، وطعمنا وشربنا معه .

في الكتاب الاول يقول الله تعالى يا ابن آدم أحدث لــك سفراً أحدث لك رزقاً .

قــال الكميت : ولن تريح هموم النفس ان حضرت . حاجات مثلك إلا الرجل والجمل .

وجد في بعض خزائن ملوك فارس لوح من حجارة مكتوب عليه : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، فإن موسى عليه السلام خرج يقتبس ناراً فنودي بالنبوة .

روينا من حديث الاصمعي قال : حججتُ مرة فإذا اعرابي قـــد كوّر عمامته على رأسه ، وقـــد تنكب قوساً ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : ايها الناس إنما الدنيا دار ممر ، والآخرة دار مقر ، فخذو من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم .

أما بعد فإنــه لن يستقبل احد يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله ، فاستعملوا لأنفسكم لما تقدمون عليه ، لا لمـــا تظعنون عنه ، وراقبوا من ترجعون اليه، فإنه لا قوي أقوى من خالق ، ولا ضعيف أضعف من مخلوق، ولا مهرب من الله إلا اليه، وكيف يهرب من يتقلّبُ في يدي طالبه ؟ وإنما توفون اجوركم يوم القيمة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

وروينا من حديث ابن ودعان ، حدثنا الحسن بن محمد الصيرفي ، نبأ ابو بكر بن محمد بن القاسم ، نبأ اسماعيل بن اسحاق ، نبأ نصر بن علي ، عـــن الاصمعي ، عن ابي عمرو ، عن عيسى بن عمير ، عن معاوية انه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبة احد العيدين الدنيا دار بـــلاء ومنزل قلعة

وعناء ، نزعت عنها نفوس السعداء ، وانتزعت بالكره من ايدي الاشقياء ، وأسعد الناس بها أرغبهم عنها ، وأشقاهم بهـا أرغبهم فيها ، هي الغاشة لمن استنصحها ، والمغوية لمن أطاعها ، والجائرة لمن انقادها ، والفائز من أعرض عنها ، والهالك من هوى فيها ، طوبى لعبد اتقى فيها ربه ، وناصح نفسه ، وقدم توبته ، وأخر شهوته ، من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة فيصبح في بطن مقفرة موحشة غبراء مدلهمة ظلماء ، لا يستطيع أن يزيـد في حسنة ، ولا ينقص من سيئة ، ثم ينشر فيحشر ، إما الى جنة يدوم نعيمها ، أو نار لا ينفك عذابها .

لـا مات عبد الملك ابن عمر بن عبد العزيز جزع عليه ابوه جزعاً شديداً فقال ذات يوم لمن حضر : هل من منشد شعر يعزيني بـه أو واعظ يخفف عني فأتسلى به ؟ فقال رجل من اهل الشام: يا امير المؤمنين كل خليل مفارق خليله ، بأن يموت أو بأن يذهب ، فتبسم عمر وقال : مصيبتي فيك زادتني مصيبة .

وفي الكتاب الاول ان الله تعالى يقول : يا عبدي إن رضيت حكمي واليتك ، وإن اتقيتني قربتك ، وإن استحييت مني اكرمتك ، وإن توكلت عليّ صدقاً كفيتك، وإن ظلمت نفسك بمعصيتي عاقبتك ، انت بيدك جرحت فؤادك لما بلغت من المعصية مرادك ، أما علمت انك لما نزعت لباس التقوى عرضت نفسك للمحن والبلوى ؟

ومن كلام علي بن ابي طالب رضي الله عنـه : الدنيا دار صدق ، ودار عافيـة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، مسجد انبياء الله ، ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ، ومتجر اوليائه ، يكسبون فيها الرحمة، ويرجون فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد أذنت بنعيمها ، ونادت بفراقها ، ونعت نفسها،

وشوقت بسرورها الى السرور ، وببلائها الى البـــلاء ، تخويفاً ، وتحذيراً ، وترغيباً ، وترهيباً ؟ فيا ايهـا الذام للدنيا ، والمفتتن بغرورها ، متى غرتك بمصارع آبائك من البلا ؟ ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى ، كم تملكت بكفيك وكم مرضت بيديك ؟ تبتغي لهم الدواء ، وتستوصف لهم الاطباء ، وتلتمس لهـــم الشفاء ، لم تنفعهم بطلبتك ، ولم تشفعهم بشفاعتك ، ولم تستشفعهم باستشفائك ، تظنك مثلت لهم الدنيـا بمصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ، ولا يغني أحباؤك ، ثم التفت الى قبور هناك وقال : يا ايهـا الثروة والعز ، الازواج قد نكحت ، والاموال قد قسمت ، والدور قد سكنت ، هذا خير ما عندنا ، فما خير ما عندكم ؟ ثم قال لمن حضر : والله لو أذن لهم لأجابوكم بأن خير الزاد التقوى .

ثم أنشد :

ما أحسن الدنيا وإقبالها ... اذا أطاع الله مَن نالهـــا
مَن لم يواسِ الناس من فضلها ... عرّض لـلإدبار إقبالهـــا

وروينا من حديث الخطابي ، قال : حدثني الخلديّ موسى بن هارون ، عن هدية بن خالد ، عن حزام القطعيّ ، قال: سمعت الحسن يقول : المداراة نصف العقل ، وأنا أقول : هو العقل كله .

وقـال محمد بن الحنفيّة : ليس بحكيم من لم يعاشِر بالمعروف مَن لم يجـد من معاشرته بداً حتى يجعل الله له فرَجاً ومخرجاً .

وروينا من حديث الخطابيّ ، قال : أنا محمـد بن هاشم ، عن الديريّ ، عن عبد الرزاق ، عن ثابت بن رافع ، قـال : اخبرني شيخ من أهل صنعاء

يقال له ابو عبد الله ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : اني وجدت من حكمة آل داود : حق على العالِم ان لا يشتغل عن اربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفضي فيها الى اخوانه الذين يصادقونه على عيوبه وينصحونه في نفسه ، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذّاتها فيما يحلّ ويحمد ، فإن هذه الساعة عون لهذه الساعات ، والاستجمام للقلوب ، وفضل وبلغة ، وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، ممسكاً للسانه ، مقبلاً على شأنه .

وأنشدنا محمد الكتانيّ لبعضهم :

عليك بالقصد لا تطلب مكاثرة فالقصد أفضل شيء أنت طالبه
واقنع بما لك لا تحسد أخاً نشبٍ فمن قليل يردّ المال واهبه
فالمرء يفرحُ بالدنيا وبهجتها ولا يفكرُ ما كانت عواقبه
حتى اذا ذهبت عنه وفارقها تبين الغبنُ فاشتدت مصائبه
وصار يروي بأن لو كان ذا عدم ولم يكن عظمت فيها مكاسبه

وأنشدنا أيضاً لبعضهم :

يا من تخلّف عن محل نجاته متشاغلا باللهو والعصيان
كفّر بحزنك في مقامي ما مضى واندب فهذا موقف الأحزان
واذرِ الدموع على الخدود بحسرة لتنال عفو الواحد المنّان

وروينا من حديث محمد بن سلامة ، أنا موسى الكاتب ، قال : اخبرنا ابن دريد ، انا عبد الله الرياشي ، وأبو حاتم ، عن الأصمعي ، قال : رأيت اعرابياً وقد وضع يده على الكعبة وهو يقول : يا رب سائلك عبدٌ ببابك ،

قد مضت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تبعته ، فارضَ عني ، واعف عني ، فإنما يُعفى عن الجاني ، ويثاب المحسن ، وأنت أفضل من عفوت ، وأكرم من رجوت .

ولنا من اللطايف والإرشادات العُلوية :

غادروني بالأثيل والنقا | أسكبُ الدمع وأشكو الحرَقا
بابي من ذبتُ فيه كمَداً | بابي من متُّ منه فرَقا
حمرة الخجلة في وجنته | وضح الصبح يناغي الشفقا
قوّض الصبر وطلب الأسى | وأنا ما بين هذين لقا
من لبَثّي من لحزني دلّني | من لوجدي من لصبٍّ عشقا
كلما صنتُ تباريح الهوى | فضح الدمعُ الجوى والأرقا
فإذا قلتُ هبُوا إلي نظرةً | قيل ما تمنع إلا شفقا
ما عسى تغنيك منهم نظرة | هي إلا لمح برق برقا
لست أنسى إذ حدى الحادي بهم | يطلب البين ويبغي إلا برقا
نعقت أغربة البين بهم | لا رعى الله غراباً نعقا
ما غراب البين إلا جمل | سار بالاحباب نصاً عنقا

وروينا من حديث ابي داود سليمان بن الأشعث قال: مات رسول الله ﷺ عن مائة الف صاحب كلهم روي عنهم حديث .

روينا من حديث بن باكويه ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن عيسى القرشي ، حدّثنا ابو الاشهب السائح قال : بينما انا اطوف اذا نحن بجويرية قد تعلقت بأستار الكعبة وهي تقول : يا وحشتي بعد الانس ، ويا ذلتي بعد العز ، ويا فقري بعد الغنى ، فقلت لها : ما لك؟ أذهب لك مال ؟ او أصبت

مصيبة ؟ قالت : لا ، ولكن كان لي قلب فقدته ، قلت : وهذه مصيبة ؟ قالت : وأي مصيبة اعظم من فقد القلوب ؟ وانقطاعها عن المحبوب ، فقلت لها : ان حسن صوتك قد عطّل على سامعيه الطواف، قالت : يا شيخ البيت بيتك أم بيته ؟ قلت : بل بيته ، قالت : فالحرم حرمك أم حرمه ؟ قلت : حرمه ، قالت : فدعنا نتدال عليه على قدر ما استزادنا عليه ، ثم قالت : بحبك لي إلا ما رددت عليّ قلبي ، فقلت لها : من أين تعلمين انه يحبك ؟ قالت : بالعناية القديمة جيّش من اجلي الجيوش ، وأنفق الأموال ، وأخرجني من بلاد الشرك فأدخلني في التوحيد ، وعرّفني نفسي بعد جهلي إياه ، فهل هذه إلا العناية ؟ قلت : كيف حبّك له ؟ قالت : اعظم شيء وأجلّه ، قلت : وتعرفين الحب ؟ قالت : فاذا جهلت الحب فأي شيء أعرف ؟ قلت : فكيف هو ؟ قالت : هو أرق من السراب ، قلت : وأي شيء هو ؟ قالت : عجنت طينته بالحلاوة ، وخمرت في إناء الجلالة ، حلو المجتنى، ما اقصر، فإذا أفرط عاد خبلا قاتلا ، وفساداً معضلا ، وهو شجرة غرسها كربة ، ومجتناها لذيذ ، ثم ولّت وأنشأت تقول :

وذي قلق لا يعرف الصبر والعزا ... له مقلة عبرا أضرّ بها البكا
وجسم عليل من شجا لاعج الهوى ... فمن ذا يداوي المستهام من الضنا
ولا سيما والحب صعب مرامه ... اذا عطفت منه عواطف بالفنا

ولنا في باب الاشارات العلوية :

ألا يا حمامات الاراكة والبان ... ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني
ترفقن لا تُظهرن بالنوح والبكا ... خفي صباباتي ومكنون أحزاني
اطارحها عند الاصيل وبالضحى ... بحنّة مشتاق وأنّــة هيمانِ

تناوحت الارواح في غيضة الفضا فمالت بأفنان عليّ فأفنني
وجاءت من الشوق المبرّح والجوى ومن طرق البلوى اليّ بأفنانِ
ومن لي بجمع والمحصّب من منى ومن لي بذات الأثل من لي بنعمان
تطوف بقلبي ساعة بعد ساعة بوجد وتبريح وتلثم أركاني
وكم عهدت ان لا تخون وأقسمت وليس لمخضوب وفاء بإيمان
ومن أعجب الأشياء ظبي مبرقع يشير بعنّاب ويومي بأجفان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا ويا عجب من روضة وسط نيران
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحبّ أنى توجهت ركائبه فالدين ديني وإيماني
لنا أسوة في بشر هند وأختها وقيس وليلى ثم ميّ وغيلان

ولنا ايضاً في هذا الباب :

أطارح كل هاتفةٍ بأيكٍ على فنن بإفنان الشجونِ
فتبكي إلفها من غير دمعٍ ودمع العين يهمل من جفوني
أقولُ لها وقد سمحت جفوني بأدمعها تخبرُ عن شؤوني
أعندكِ بالذي أهواهُ علمٌ وهل قالوا بإفياء الغصون

وروينا من حديث ابن الأشعث ، قال : ثنا عبد الله بن سلمة ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن طلحة ، عن محصن بن عليّ ، عن عوف ابن الحارث ، عن ابي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : مَن توضأ فأحسن الوضوء ، ثم راح فوجد الناس قد صلّوا أعطاه الله مثل أجر من صلاّها وحضرها ، لا ينقص ذلك شيئاً من أجرهم .

ومن باب الترغيب في إتباع السنّة ، روينا من حديث أبي داود ، عن عبيد الله بن مسعود ، نبأ عمي عن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ان النبي ﷺ بعث الى عثمان بن مطعون فجاءه ، فقال : يا عثمان أرغبتَ عن سنّتي ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، ولكن سنّتك أطلب ، قال : فأنا أنام وأصلي ، وأصوم ، وأفطر ، وانكح النساء ، يا عثمان : إن لعينك عليك حقاً ، وإن لضيفك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، فصم ، وافطر ، وصلّ ، ونم .

حديث بناء قريش الكعبة :

روينا من حديث الأزرقي ، قال : حدثني جدي ، نبأ مسلم بن خالد الزنجي ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، قال : جلس رجال من قريش في المسجد الحرام ، فيهم حويطب بن عبد العزيز ، ومخزمة بن نوفل ، فتذاكروا بنيان قريش الكعبة ، وما هاجهم عن ذلك ، وذكروا كيف كان بناؤها قبل ذلك ؟ قالوا : كانت الكعبة مبنية برضم يابس ليس بمدد ، وكان بابها بالأرض ، ولم يكن لها سقف ، والكسوة إنما تدلى على الجدُر من خارج ، وتربط من أعلى الجدر من بطنها بصخور عظام ، وكان في بطن الكعبة عن يمين من دخلها جبّ يكون فيه ما يهدى للكعبة من مال وغير ذلك ، وان الله تعالى لما سرقت جُرهُم من ذلك المال مراراً بعث حيّة تحرسه ، فلم تزل حارسة لما في الكعبة ، وكان فيها قرنا كبش اسماعيل عليه السلام الذي فداه الله به من الذبح ، فاتفق أن امرأة ذهبت تجمّر الكعبة فطاردت من مجمرتها شرارة فأحرقت كسوتها ، فأضعفت النار حجارتها ، وجاء سيل عظيم ، فدخل البيت ، وصدع حيطانه ، ففزعت قريش ، وهابت هدمها ، وخشوا

إن مسّوها أن ينزل الله عليهم عذاباً من عنده ، ثم انهم اجمعوا رأيهم على هدمها ، والذي حرّضهم على ذلك، وحثهم عليه، أن سفينة للروم انكسرت بالشعيبة ، ساحل مكة قبل جدة ، وكان في تلك السفينة روميّ يحسن البناء والنجارة ، يسمى : ماقوم ، فأخذت قريش خشب تلك السفينة ، فكان وجود الصانع ، والآلات ، والخشب ، حثهم على ذلك ، فأجمعوا وتعاونوا وترافدوا وربعوا قبائل قريش ارباعاً ، ثم قترعوا عند هبل في بطن الكعبة على جوانبها ، فطار قدح بني عبد مناف ، وبني زهرة على الوجه الذي فيه الباب ، وهو الشرقي، وطار قدح بني عبد الدار، وبني أسد بن عبد العزّي ، وبني عديّ بن كعب على الشق الذي يلي الحجر وهو الشق الشامي ، وطار قدح بني سهم، وبني جمح ، وبني عامر بن لؤي على ظهر الكعبة ، وهو الشق الغربي ، وطار قدح بني تيم ، وبني مخزوم ، وقبائل من قريش ضموا معهم على الشق اليماني الذي يلي الصفا واجياد ، فنقلوا الحجارة ، ورسول الله ﷺ غلام لم ينزل عليه وحيٌ ينقل معهم الحجارة على رقبته ، فبينا هو ينقلها إذ انكشفت نمرة كانت عليه ، فنودي : يا محمد عورتك ، وذلك أول ما نودي والله اعلم، فما رؤيت لرسول الله ﷺ عورة بعد ذلك، وأدرك رسول الله ﷺ الفزع حين نودي ، فأخذه العباس بن عبد المطلب فضمه اليه ، وقال : لو جعلت نمرتك على عاتقك تقيك الحجارة ، قال : ما أصابني هذا إلا من التعري ، فشدّ رسول الله ﷺ إزاره ، وجعل ينقل معهم ، وكانوا ينقلون بأنفسهم تبرراً وتبركاً بالكعبة .

فلما اجتمع اليهم ما يريدون من الحجارة والخشب مـا يحتاجون اليه ، وغدوا على هدمها ، فخرجت لهم الحية التي كانت في بطنها تحرسها ، سوداء الظهر ، بيضاء البطن ، رأسها مثل رأس الجدي، تمنعهم كلما أرادوا هدمها ،

فلما أرادوا ذلك اعتزلوا عند مقام ابراهيم عليه السلام ، وهو يومئذ في مكانه الذي هو فيه اليوم ، فقال لهم الوليد بن المغيرة : يا قوم ألستم تريدون بهدمها الإصلاح ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن الله لا يهلك المصلحين . ولكن لا تدخلوا في عمارة بيت ربكم إلا من أطيب أموالكم ، لا تدخلوا فيه مالاً من رباً ، ولا مالاً من ميسر ، ولا مالاً من مهر بغيّ ، وجنّبوه الخبيث من أموالكم ، فإن الله لا يقبل إلا طيباً . ففعلوا ، ثم وقفوا عند المقام ، فقاموا يدعون ربهم ، ويقولون : اللهم إن كان لك في هدمه رضاً فأتمه ، واشغل عنا هذا الثعبان ، فأقبل طائر من جو السماء كهيئة العقاب ، ظهره أسود ، وبطنه أبيض ، ورجلاه صفراوان ، والحية على جدار البيت فاغرة فاها ، فأخذ برأسها ثم طار بها حتى أدخلها اجياد الصفراء .

فقال الزبير بن عبد المطلب :

عجبتُ لما تصورت العقاب ... الى الثعبان وهي لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كشيشٌ ... وأحياناً يكون لها وثاب
اذا قمنا الى التأسيس شدّت ... تهيّبنا البنــاء ولا تهاب
فلما أن خشينا الزجر جاءت ... عقاب بالسكات لها انصباب
فضمتها اليهــا ثم خلت ... لنا البنيان ليس لها حجاب
فقمنا حاشدين الى بنــاءٍ ... لنا منـه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منــه ... وليس على مساوينا ثياب
أعز بـه المليك بني لؤيٍّ ... فليس لأصله منهم ذهـاب
وقد حشدت هناك بنو عديٍّ ... ومرة قـد تقدمها كلاب
فبوّأنا المليك بذاك عِزّاً ... وعنـد الله يلتمس الثواب

فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي عملكم ، وقبل نفقتكم ، فاهدموها ، فهابت قريش هدمه ، فقالوا : مَن يبدأ فيهدمه ؟ فقال الوليد ابن المغيرة : أنا أبدأوكم فاهدمه ، فإني شيخ كبير ، فإن أصابني أمر كان قد دنا أجلي . فعلا البيت ، وفي يده عتلة يهدم بها ، فتزعزع تحت رجله حجر ، فقال : اللهم لم نرع ، إنما أردنا الإصلاح . ثم جعل يهدمها حجراً حجراً بالعتلة ، فهدم يومه ذلك ، فقالت قريش : نخاف ان ينزل به العذاب مساء ، فلما أمسى لم يرَ بأساً ، فأصبح الوليد على عمله ، فهدمت قريش معه حتى بلغوا الأساس الأول الذي وضعته الملائكة ، وهو الذي رفع عليه ابراهيم القواعد من البيت ، وهي حجارة كبار كالإبل الخلّف ، يحرّك الحجر منها فترتج جوانبها ، وقد تشبكت بعضها ببعض ، فأدخل الوليد عتلة بين الحجرين ، فانفلقت منه فلقة ، فأخذها ابو وهب بن عمرو بن عمران بن مخزوم ، ففرت من يده حتى عادت في مكانها ، وطارت من تحتها برقة كادت تخطف أبصارهم ، ورجفت مكة بأسرها ، فلما رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا ما تحت ذلك ، فلما جمعوا ما أخرجوا من النفقة ، قلّت النفقة ان تبلغ عمارة البيت ، فتشاوروا في ذلك ، فأجمعوا رأيهم على ان يقتصروا على القواعد ، ويحجروا ما يقفون عليه من بناء البيت ، ويتركوا بقيته في الحجر عليه جدار مدار ، ويطوّفون الناس من ورائه ، ففعلوا ذلك ، وبنوا في بطن الكعبة اساساً يبنون عليه من شق الحجر ، وتركوا من البيت في الحجر ستة أذرع وشبراً ، فبنوا على ذلك ، فلما وضعوا ايديهم في بنائها ، قالوا : ارفعوا بابها من الأرض ، واكسوها حتى لا يدخلها السيول ، ولا ترقى إلا بسلّم ، ولا يدخلها إلا من أردتم .

ففعلوا ذلك ، وبنوها بسافٍ من حجارة ، وسافٍ من خشب بين الحجارة ، حتى انتهوا الى موضع الركن ، فاختلفوا في وضعه ، وكثر الكلام

فيه ، وتنافسوا في ذلك ، فقـالت بنو عبد مناف ، وزهرة : هو في الشق الذي وقع لنا ، وقالت تيم ، ومخزوم . هو في الشق الذي وقع لنا ، وقالت سائر القبائل : لم يكن الركن ممن استهمنا عليه ، فقال أبو أمية بن المغيرة : يا قوم إنمـا أردنا البرّ ، ولم نرد الشر ، ولا تحاسدوا ، ولا تنافسوا ، فإنكم اذا اختلفتم تشتت أمركم ، وطمع فيكم غيركم ، ولكن حكـّموا بينكم أول من يطلع عليكم من هذا الفجّ ، قالوا : رضينا وسلمنا . فطلع رسول الله ﷺ ، فقالوا : هذا الأمين ؛ وقد رضينا به فحكـّموه ، فبسط رداءه ، ثم وضع فيه الركن ، فدعـــا من كل رَبع رجلاً ، فأخذوا بأطراف الرداء ، وكان في الربع الأول عبد مناف بن عتبة ابن ربيعة ، وكان في الربع الثاني ابو زمعة الأسود ، وكان أسنّ القوم ، وكان في الربع الثالث العاص بن وائـل ، وفي الربع الرابع ابو حذيفة بن المغيرة ، فرفع القوم الركن ، وقـام النبي ﷺ على الجدار ، ثم وضعه عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة ، وذهب رجل من أهل نجدٍ ليناول النبي ﷺ حجراً يشدّ به الركن ، فنحى النبي ﷺ الرجل النجدي ، فغضب النجدي حيث نُحي ، فقال النجدي : واعجباً لقوم أهـل شرفٍ ، وعقل ، وسن ، وأموال ، عمدوا الى اصغرهم سناً ، وأقلهم مالاً ، فرأسوه عليهم في مكرمتهم ، وحرزهم ، كأنهم خدمٌ له ، أما والله ليفوتنهم سبقاً ، وليقمن عليهم حظوظاً وحدوداً ، وإن ذلك النجدي كان ابليس لعنة الله ، ثم بنوا حتى بنوا اربعة أذرع ، ثم كسوها ، وبنوا حتى بلغ ارتفـاع البيت ثمانية عشر ذراعاً ، زادوا التسعة أذرع على بنـــاء ابراهيم ، وجعلوا سقفها مسطحاً ، وأقاموا سقفه على ستة دعـائم في صفين ، وبنوا درجة من خشب في بطنها من الركن الشامي ، يصعد بهـــا الى سقف البيت ، وزوّقوا البيت ، وصوّروا الانبياء ، والشجر ، والملائكة ، وجعلوا لهـا باباً واحداً وكسوها من الحبرات اليمانية .

روينا من حديث الخطابي قال : أخبرني ابو الطيب طبطب الوراق ، عن محمد بن يوسف النحوي قال : حدثني بعض مشايخنا ، قال : ركبت في سفينة ومعنا شاب من العلوية ، فمكث معنا سبعاً لا نسمع له كلامـاً ، فقلنا له : يا هذا قـد جمعنا الله واياك منذ سبع لا نراك تخالطنا ، ولا نراك تكلمنا ، فأنشأ يقول :

قليل الهمّ لا ولد يموت ... ولا أمر يحاذر أن يفوت
قضى وطر الصّبا فأفاد علماً ... فغايته التفرّد والسكوت

واقعة لبعض الفقراء :

أخبرني صاحبي ابو محمد عبد الله ابن الاستاذ المروزي قـال : رأى بعض الفقراء في واقعة ابا مدين وأبا حامد الغزالي ، فسأل ابو حامد الشيخ ابا مدين عن سرّ معرفته ومحبته ، فقال له ابو مدين : المحبة مركبي ، والمعرفة مذهبي ، والتوحيد وصولي ، للمحبة سرّ لا يُكشف ، وإدراكات لا يعبّر عنها ، ولا يوصف سرها ، ومنبعها وفيّ ، وأصلها الجود العـلي ، فهي للخواص سنّة مسنونة ، دلّ على ذلك قوله تعالى: «يحبهم ويحبونه». فالمعرفة يا أخي فخري ، وهي قاعدة سرّي وأمري ، ثمرتهـا التوحيد ، ومنها وفيها يكون المزيد ، فالتوحيد أصل ، ومـا سواه فرْع ، وهو غاية المقامات ، ونهاية الأحوال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

ثم سأله عن تنزيهه ، فقال : نزهت الحق بما نزّه به نفسه ، وحمدته حمد من به قدسه ، ومجدته تمجيد من كان معناه وحسّه ، فهو المحرّك للظواهر ، ومعلن العلانية ، ومسرّ السرائر ، فسرّه لسرّي لاح ، ولُحفـه تغمرني في المساء والصباح ، إن نظرته وجدته معي ، وإن تحققته كان بصري ومسمعي ،

فهو الممدّ لوجودي، ومقلّبُ قلبي، وناصر وجودي، فحياتي بحياته ظاهرة، وصفاتي بصفاته مطهرة، وخلقي بأخلاقه متخلّقة، امدّني بتوحيده، وملأ ظاهري وباطني بجلاله وتمجيده .

ثم قال : يا واحد يا احد يا فرد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد، جمّل ناظري بالنظر اليك غداً .

وحدثنا عبد الرحمن بن عليّ ، انبأ ابو سعيد البغدادي ، عن ابي العباس الظهرانيّ ، وابو عمرو بن منبّه ، قـــالا : حدثنا ابن بوه ، عن ابي الحسن اللبياني ، عن ابي بكر القرشي ، عن ابي حاتم الرازي ، عن احمد بن عبد الله ابن عياض ، عن عبد الرحمن بن كامل ، عن علوان بن داود ، عـــن علي بن زيد ، قال : قـال طاوس : بينما أنا بمكة إذ بعث اليّ الحجاجُ ابن يوسف فأجلسني الى جنبه ، واتكأني على وسادته ، إذ سمع ملبّياً يلـبّي حول البيت رافعاً يديه فقال : عليّ بالرّجل ، فأتي به ، فقال : ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين ، قال : ليس عن الاسلام سألتُ ، قال: فعمّ سألت ؟ قال: سألتك عن البلد ، قال من اهل اليمن ؟ قال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يريـد أخاه ، قال : تركته عظيماً جسيماً لباساً ركاباً خراجاً ولّاجاً . قال : ليس عن هـــذا سألتُ . قال : فعمّ سألت ؟ قال : سألتك عن سيرته . قال : تركته ظلوماً غشوماً مطيعاً للمخلوق ، عاصياً للخالق . فقال له الحجاج : ما حملك على هذا على أن تتكلم به وأنت تعلم مكانت مِني ؟ قال الرجل : أتراه بمكانه منك أعز مني بمكانه من الله عز وجل ، وأنا وافد بيته ، ومصدق نبيّه ، وقاضي دينه ؟ فسكت الحجاج ، وقـــام الرجل من غير أن يؤذن له . قال طاووس : فقمتُ في اثره وقلت : الرجـــل حكيم ، فأتى البيت وتعلـّق بأستاره ثم قال : اللهمّ بك أعوذ ، وبك ألوذ ، اللهمّ اجعل لي في الكهف

الى جودك ، والرضى لضمانك مندوحة ، عـــن منع الباخلين ، غنىً عمّا في ايـــدي المستأثرين . اللهمّ فرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة . ثم ذهب في الناس ، فرأيته عشيّة عرفـة وهو يقول : اللهمّ ان كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي ، فـلا تحرمني الأجر على مصيبتي بتركك القبول مني . ثم ذهب في الناس ، فرأيته غداة جمع يقول : وأسوأتاه منك ، والله وأن عفوت . يردّد ذلك مراراً .

حدثنا ابو الحسن بن الصائغ بسبتة قال: سمعتُ ابا عبد الله محمد بن رزق، وكان صاحب رواية ، وعلم ، يقول : مررت يومـاً في سياحتي بجبل فرأيت رجلا ساجداً يتضرّع ويبكي ، فقلتُ : هـــذا رجل سائح متبتلٌ الى الله عز وجل ، أدنو منه فأسمع مـــا يقول في سجوده . فدنوت منه بلطف ، فسمعته يقول : اللهمّ كما صنت وجهي عن السجود لغيرك ، صُنْ يـدي عن مدّها الى غيرك . قال ابن رزق : فلزمت هـــذا الدعاء ، فرأيتُ له بركة عظيمة .

وبالاسناد قـال ابن رزق : مررت بمسجد بفلاةٍ من الارض في سياحتي ، فدخلتُ لأركع فيه ركعتين ، فوجدت فيه قلبي ، فأقمت فيه عامين ، أتعبد الله تعالى .

خبر سلمان الفارسي واسلامه :

روينا من حديث احمد بن عبد الله قال : حدثنا محمد بن احمد بن الحسن ، نبأ محمد بن عثمان بن ابي شيبة ، وحدثنا ايضاً ابو عمرو بن عمران ، نبأ الحسن ابن سفيان، قالا : حدثنا مسروق بن المرزبان الكندي عن يحيى بن زكريا بن ابي زائدة ، ثنا محمد بن اسحاق ، ثنا عاصم بن عمرو بن قتادة ، عن محمود بن

لبيد ، عن ابن عباس ، قال : حدثني سلمان فيه ، قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل اصبهان من قرية يقال لها جي ، وكان ابي دهقان في قريته ، وكنت من أحبّ الخلق اليه ، فما زال حبه إياي حتى حبسني في بيتٍ كما تحبسُ الجارية ، وكنت قد اجتهدت مع المجوسية حتى كنت قطن النار أوقدها ، لا اتركها تخبو ساعة ، اجتهاداً في ديني ، وكان لأبي ضيعة في عمله ، وكان يعالج بيتاً له في داره ، فدعاني فقال : أي بُني انه قد شغلني بنياني كما ترى ، فأنطلق الى ضيعتي هذه ، ولا تحتبس عليّ فإنك أن احتبست عليّ كنت أهمّ اليّ من ضيعتي ، ومن كل شيء ، وشغلتني عن كل شيء من امري . قال : فخرجتُ أريد الضيعة التي بعثني اليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم وهم يصلون ، وكنت لا أدري ما امر الناس لحبس ابي إياي في بيته ، فلما سمعت أصواتهم ، دخلت عليهم انظر ماذا يفعلون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم ، فقلت : والله هذا خيرٌ من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غابت الشمس ، وتركت ضيعة ابي فلم آتها ثم قلتُ لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، قال : ثم رجعت الى ابي ، وقد بعث في طلبي ، فشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : يا بني اين كنت ؟ ألمْ اكن عهدت اليك ما عهدت ؟ قال : قلت يا ابي مررت بناس يصلّون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أي بُني ليس في ذلك الدين خير ، بل دينك ودين آبائك خير ، قلت : كلا والله إنه لخيرٌ من ديننا . قال : فخافني ، وجعل في رجلي قيداً ، ثم حبسني في بيتي . قال : وبعثتُ الى النصارى فقلتُ : أن قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى . قال : فأخبروني . قال : قلت : اذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة الى بلادهم . اعلموني بهم . قال : فألقيت الحديد من رجلي ، ثم

خرجت معهم حتى قدمت الشام . قلت : من أفضل هذا الدين علماً ؟ قالوا : الاسقف في الكنيسة . قال : فجئته فأعلمته اني قد رغبت في هـذا الدين ، وأكون معك اخدمك في كنيستك ، وأتعـلم منك ، وأصلي معك . قال : فأفعل وأدخل ، فدخلت معه ، قال : فكان رجل سوءٍ يأمرهم بالصدقة ، ويرغبهم فيها ، فـإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ، ولم يعط المساكين منه شيئاً . قال : فما لبث إن مات فعرّفتُ النصارى بأمره ، قالوا : وما علمك بذلك ؟ قلت : أنا أدلكم على كنزه . قال : فأريتهم موضعه . قـال : فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وفضة ، وورقاً . فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه ، وصلبوه ، ثم رموه بالحجارة ، ثم جاؤا برجل آخر ، فجعلوه مكانه . قال : فما رأيت رجلاً يصلي الخمس أرى إنه أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، و لآداب ، ليلاً ، ونهاراً . قال : فأحببته حباً لم احب شيئاً كان مثله ، فأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة . قال : قلت له : يا فـلان اني كنت معك ، وأحببتك حباً لم احب شيئاً كان قبلك مثله ، وقـد حضرك ما ترى من امر الله تعالى ، من تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما اعلم احداً اليوم على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس ، وبدّلوا كثيرً مما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه ، فالحق به . قال : فلما غيب لحقت بصاحب الموصل فقلت: يا فلان إن فلاناً اوصاني عند موتـــه إن الحق بك ، وأخبرني انك على امره . فقال : أقم عندي . قال : فأقمت عنده فوجدته خير رجل على امر صاحبه ، فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصاني اليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فالى من توصيني ؟ قال : والله إني ما اعلم رجلاً على ما كنت عليه إلا رجلاً بنصيبين ، وهو فلان ، فالحق به . فلما مات وغيّب لحقت بصاحب نصيبين ، فجئته وأخبرته خبري وما أمرني

بـه صاحبي ، فقال : اقم عندي ، فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت معه ، فكان خير رجل ، فوالله ما لبث ان نزل به الموت، فلما حضرته الوفاة قال: قلت يا فلان إن فلانـــاً أوصاني الى فلان ، وأوصاني فلان اليك ، فالى من توصيني وما تأمرني ؟ قال : أي بـني ما اجد احداً بقي على امرنا آمرك ان تأتيه إلا رجل بعمورية من ارض الروم ، فانه على مثل امرنا ، فان احببت فأته . فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية ، وأخبرتـه خبري . فقال : اقم عندي ، فأقمت عنـده فوجدته خير رجل على هدي اصحابه وأمرهم . قال : ثم اكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به امر الله ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان اني كنت مع فلان فأوصاني الى فلان ، ثم أوصاني فلان الى فلان ، ثم أوصاني فلان اليك ، فالى من توصيني وتأمرني؟ فقال : اي بني والله ما اعلم اصبح على ما كنا عليه احد من الناس آمرك ان تأتيه ، ولكن قد اظلك زمان بـني هو مبعوث بدين ابراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة الى ارض بين الحرتين بها نخل . به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوّة ، فان استطعت ان تلحق به بتلك البلاد فافعل . قال : ثم مات وغيّب . ومكث بعمورية ما شاء الله ان أمكث .

ثم مرّ بي نفر من كلب تجار ، فقلت : أتحملوني الى أرض العرب وأعطيكم بقري هذا وغنمي هذه ؟ فأعطيتهم إياها ، وحملوني معهم حتى اذا قدموا بي وادي القرى ظلموني وباعوني من رجل يهودي ، فكنت عنـــده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البـلد الذي وصفه لي صاحبي ، فبينا أنا كذلك إذ قدم ابن عم له من المدينة من بني قريضة ، فابتاعني منـــه ، فحملني الى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بهـــا ،

وبُعِث رسول الله ﷺ ، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر ، على ما أنا عليه من شغل الرقّ ، ثم هاجر الى المدينة ، فبـــالله اني لفي رأس عذق لسيدي ، اعمل فيهـــا بعض عمله ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل عم له ، فوقف عليه فقال : يا فلان قاتل الله بني قيلة ، والله انهم الآن مجتمعون بقباً على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعم انه نبيٌّ ، قـــال : فلما سمعته اخذتني العرواء حتى ظننت اني ساقط على سيدي ، قال : فنزلت عن النخلة ، وجعلت اقول لابن عم سيدي : مـــا تقول ؟ فغضب سيدي فلطمني لطمة شديدة ، ثم قال لي : مالك ولهذا ؟ اقبل على عملك ، قال : قلت لأي شيء أردت تستثبين عما قال ؟ وكان عندي شيء قد جمعته ، فلمـــا أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله ﷺ وهو بقبا ، فدخلت المسجد عليه فقلت له : بلغني انك رجل صالح ، معك اصحاب لك غرباء ذوو إحاجة ، وهذا شيء عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، ثم قربته اليه ، فقـــال رسول الله ﷺ : كلوا ، وأمسك يده ولم يأكل ، قال : فقلت في نفسي : هـــذه واحدة ، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، ولمـــا تحوّل رسول الله ﷺ الى المدينة فجئته، فقلت له : اني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بهـــا ، قال : فأكل رسول الله ﷺ ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان ، قـــال : ثم جئت رسول الله ﷺ ، وهو ببقيع الفرقد ، تبع جنازة رجل من اصحابه ، عليه شملتان ، فسلمت عليه ، ثم استدبرته انظر الى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف اني أستثبت في شيء وُصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت الى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبّله ، وأبكي . فقال رسول الله ﷺ : تحوّل ، فتحولت ، فجلست بين يديـــه ، فقصصت حديثي كما حدثتك يا ابن عبـــاس ، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ أن يسمع

أصحابه . ثم قـال رسول الله ﷺ : كاتب يا سلمان ، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة ، أحييها بالفقر ، وبأربعين أوقية ذهب، فقال رسول الله ﷺ : أعينوا أخـاكم ، فأعانوني بالنخل : الرّجل بثلاثين ، والرجل بخمسة عشر ، والرجل بقدر ما عنده ، حتى جمعوا ثلاثمائة ودية ، فقال رسول الله ﷺ : اذهب يا سلمان ففقرها ، فإذا فرغت اكون انا أضعها بيدي ، قال : ففقرت لها ، فأعانني أصحابه ، حتى اذا فرغت ، جئته ، فأخبرته ، فخرج رسول الله ﷺ معي اليها ، فجعلنا نقرب له الودي ، ويضعه رسول الله ﷺ بيده الشريفة ، حتى فرغنا ، فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة، فأديت النخل ، وبقي عليّ المال ، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، فقال رسول الله ﷺ : ما فعل الفارسي المكاتب ؟ قال : فدعيت له ، قال : خذ هذه ، فأدّها بما عليك يا سلمان ، قال : قلت : ما تقع هذه يا رسول الله مما عليّ ؟ قال : خذها فإن الله سيؤدي بهـا عنك ، فأخذتها فوزنت لهم منهـا ، والذي نفسي بيده اربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم ، وعتق سلمان ، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ، وأحـداً ، ثم لما نعتني الفقر مخرج الماء من القناة ، فقرّت للودية تفقيراً، وهو أن يحفر حفرةً حول النخلة اذا غرست .

وصية إلهية :

روينا من حديث ابن مروان، عن عبيد بن شريك، عن ابي صالح الفرّا، عن سالم بن ميمون الخوّاص ، عن مكرم بن يوسف العابد، قال : أوحى الله الى نبي من الأنبياء أن قف على المدائن ، والحصون ، فأبلغهم عني حرفين ، وقل لهم : لا يأكلون إلا حلالاً ، ولا يتكلمون إلا بالحق .

وكان الحسن بن صالح كثيراً ما ينشد هذين البيتين :

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر
فما لك يوم الحشر شيء سوى الذي تزوّدته يوم الحساب الى الحشر

ولنا من قصيدة قريب من هذا :

سيحصد عبد الله ما كان حارثاً فطوبى لعبـــد كان لله يحرث

روينا من حديث المالكي ، عن معاذ بن المثنى ، عن يحيى بن معين ، عن ابي معاوية ، عن هشام ، قال : قيـل للحسن : لمَ لم تغسل قميصك ؟ قال : الأمر أسرع من ذلك .

وقـدم هند بن عوف من سفر ، فمهدت له امرأته فراشاً ، فنام عليه ، فكانت له ساعة يصلي فيها من الليل، فنام عنها ، فلما اصبح حلف ان لاينام على فراش ابداً .

روينا من حديث الدينوري ، عن عباس بن محمد الدوري ، عن يحيى بن معين ، عن جرير ، عـن طلق بن معاوية وهو جد حفص بن غياث ، قال : الغفلة سنة الكريم .

سأل رجل عمران بن مسلم ، فأعطاه وبكى ، فقيـل له : وما يبكيك وقد قضيت حاجته ؟ قال : بكيت حيث أحوجته الى مسئلتي .

رويـنـا هذا من حديث ابراهيم الحربي ، عن ابي الحسن الباهلي ، قال : حدثني بعض أهل المعرفة وذكره .

كتاب طاووس الى عمر بن عبدالعزيز :

روينا من حديث ابن مروان ، عن احمد بن عبّاد التميمي ، عن سليمان ابن ابي شيخ ، عن محمد بن احمد القرشي، قال بن عبدالعزيز : ما وعظني احد احسن مما وعظني به طاوس ، كتب إلي : استعن بأهل الخير يكن عملك خيراً كله ولا تستعن بأهل الشر فيكون عملك شراً كله .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا ، قال: حدثنا قاسم بن هشام نبأ عصمة ابن سلمان ، نبّأ فضل بن جعفر ، قال : خرج الحسن من دار ابن هبيرة ، واذا هو بالقراء على الباب ، قال : ما اجلسكم هنا ؟ تريدون الدخول على هؤلاء، أما والله ما مخالطتكم مخالطة لأبرار، تفرقوا ، فرق الله بين ارواحكم وأجسامكم ، خصفتم نعالكم ، وشمّرتم ثيابكم ، وجززتم رؤوسكم ، ففضحتم القراء ، فضحكم الله ، اما والله لو زهدتم فيما عندهم ، لرغبوا فيما عندكم ، ولكنكم رغبتم فيما عندهم ، فزهدوا فيما عندكم ، فأبعد الله من أبعد .

خبر اساف ونائلة الاصنام :

روينا من حديث ابن اسحاق ، ان جرهم لما طغت في الحرم دخل رجل منهم بامرأة الكعبة ، ففجر بها ، ويقال : بل قبّلها ، فمسخا حجرين اسم الرجل: اساف بن بقاء، واسم المرأة: نائلة بنت ذئب . فأخرجا من الكعبة، فنصب احدهما على الصفاء علماً ، والآخر على المروة . وانما نصبا هناك ليعتبر بهما الناس ، وينزجروا عن مثل ما ارتكبا ، لما يرون من الحال الذي صار اليه فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة. فلما كان عمرو بن لحيّ امر بعبادتهما وتعظيمهما والتمسح بهما، وقال: انهما كانا معبودين لمن قبلكم . فلما كان قصيّ بن كلاب حولهما من الصفا

والمروة ، فجعل احدهما ملصقاً بالكعبة ، وجعل الآخر في موضع زمزم . وكان يطرح بينهما ما يهدي للكعبة ، وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم . وكان ينحر عندهما ويذبح ، ولم يكن يدنو منهما امرأة ظلمت . وفي ذلك يقول بشر بن ابي حازم الأسدي اسد خزيمة بيتاً مفرداً :

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ومستلمة ، فاذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها . فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله ﷺ مع الاصنام يوم فتح مكة ، دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح ، فكان بها ثلاثمائة وستون صنماً حول الكعبة قد شد بالرصاص منها ، فطاف على راحلته وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، ويشير اليها بقضيب في يده الكريمة على بعد لا يمسّها فما منها صنم اشار الى وجهه الا وقع على دبره ، ولا اشار الى دبره الا وقع على وجهه ، حتى وقعت كلها ، فلما صلى العصر أمر بها فجمعت ، ثم احرقت بالنار ، وكسرت. وفي ذلك يقول فضالة ابن عمير ابن الملوّح الليثي في يوم الفخ شعراً :

لما رأيت محمداً وجنوده بالفتح يوم تكسّر الاصنام
لرأيت نور الله اصبح بيّناً والشرك يغشى وجهه الاظلام

وقيل : بل كان الرجل أساف بن عمرو ، والمرأة نائلة بنت سهيل ، فلما كسرا يوم الفتح مع الاصنام ، خرج من احدهما امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها ، عريانة ناشرة شعرها ، تدعو بالويل والثبور . فقيل لرسول الله ﷺ في ذلك. فقال : تلك نائلة أيست أن تعبد ببلادكم ابداً . ويقال : إن ابليس رنّ ثلاث رنات رنة حين لعن فتغيرت صورته عن زيّ الملائكة ، ورنة حين

رأى النبي ﷺ قائماً يصلي بمكة ، ورنة حين افتتح رسول الله ﷺ مكة ، فاجتمعت اليه ذريته ، فقال ابليس : أيسوا أن تردوا امـة محمدٍ الشرك بعد يومهم هذا ابداً ، ولكن افشوا فيهم النوح والشعر .

ومن محاسن المكاتبة :

ما كتب بـه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه : اما بعد فقد عاقني الشك عن عزيمة الرأي ، ابتدأتني بلطف من غير خبرة ، ثم اعقبتي جفاءً من غير ذنب ، فاطمعني اوّلك في إخائك ، وأيسني آخرك من وفائك ، فلا انا في حين الرّجا بجمع لك اطراحاً ، ولا انا في غدٍ بنصرة منك على ثقـــة ، فسبحان من لوشا وكشف ايضاح الرأي فيك ، فأقمنا على ائتلاف ، او افترقنا على اختلاف .

وقيل الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام .

لما ولى الحجاج المدينة ، وجاز فيها ، وقدم وفد المدينة وفيهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، على عبد الملك بن مروان ، فأثنى الوفـد على الحجاج ، وعيسى ساكت ، فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجـه عبد الملك ، فقام فجلس بـــين يديه فقال : يا امير المؤمنين من انا ؟ قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله : قال : فمن انت ؟ قال عبد الملك ابن مروان : قال : فجهلتنا ام تغيرت بعدنا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير فينا بالباطل ، وتحملنا أن نثني عليه بغير الحق ، والله أن اعدتـــه علينا لنعصينّك ، وإن قاتلتنا وغلبتنا وأسأت الينا قطعت ارحامنا ، ولئن قوينا عليك لنغصبنّك ملكك . فقـال له عبد الملك : انصرف وألزم بيتك ، ولا تذكرن من هذا شيئاً . قال : وقـــام من منزله ، وأصبح الحجاج غادياً على

عيسى بن طلحة ، فقال : جزاك الله خيراً عن خلوتك بأمير المؤمنين ، فقد أبدلني بكم خيراً ، وأبدلكم بي غيري ، وولاني العراق .

وحدثنا ابو الربيع الكتاني ، عن ابي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن محمد، قال: حج الشبلي، فلما وصل الى مكة جعل يقول :

ابطحاء مكة هـذا الذي أراه عيانـاً وهـذا انا

ثم غشي عليه فأفاق وهو يقول :

هـذه دارهم وأنت محبٌّ مـا بقاء الدموع في الآماق

وقال الآخر :

اذا هزّنا الشوق اضطربنا الهزه على شعب الرحل اضطراب الأراقم
فمن صبواتٍ تستقيم بمائـل ومن اريحيّات تهب بنـائم
واستشرف الأعلام حين تدلّني على طيبها مرّ الرياحِ النواسم
ومـا أنسم الأرواح إلا لأنها تمرُّ على تلك الرُّبا والمعـالم

ولنا من المعاني الغزلية :

رأى البرق شرقياً فحن الى الشرق ولو لاح غربياً لحنّ الى الغربِ
فإن غرامي بالبريق ولمعـه وليس غرامي بالأماكن والترب
روت لي الصَّبا عنهم حديثاً معنعناً
عن البيت عن وجدي عن الحزن عن كرب
عن السكر عن عقلي عن الشوق عن جوىً
عن الدمع عن جفني عـن النار عن قلبي
بأن الذي تهواه بين ضلوعكم تقلبه الأنفاس جنباً الى جنب

فقلتُ له بلـــغ اليه بأنـّه هو الموقد النار التي داخل القلب
فان كان اطفاء فوصل مخلـّد وان كان احراق فلا ذنب للصـّبّ

ولنا في هذا المعنى مقطوع :

قـــل للذي مسكنه اضلعي ومـــن له في القلب إضمارُ
ما خفتَ إذ أضرمتَ نار الأسى في اضلعي تحرقك النـــارُ

سلمنا الأمر إليه فقلنا :

ايهـــا العذب التجني والجنا ايهـــا البدْرُ سَنَاءً وسَنَا
نحن حكّمناك في أنفسنـــا فاحْكمْ انْ شيتَ علينا ولنا

(ذكر المؤاخاة التي كان واخاها النبي ﷺ بين اصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم) .

روينا من حديث محمـد بن اسحاق المطلبيّ قال : واخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار . قال رسول الله ﷺ : تواخوا في الله ، ثم اخـــذ بيد عليّ بن ابي طالب فقال : هـــذا أخي ، فكان عليّ ورسول الله ﷺ أخوين . وكان حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ، وزيـد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، أخوين. وكان معاذ بن جبل ، وجعفر بن ابي طالب ، أخوين . وكان أبو بكر الصديق ، وخارجة بن أبي زهـير ، أخوين . وكان عمر بن الخطاب ، وعتبان بن مالك ، أخوين . وكان أبو عبيدة بن الجراح ، وإسمـه عامر بن عبد الله ، وسعيد بن معاذ ، أخوين ، وكان عبد الرحمن بن عوفٍ ، وسعد بن الربيع ، أخوين . وكان الزبـــير ابن العوّام ، وسلمة بن سلامة بن وقسٍ ، أخوين . ويقال : بـــل الزبير ، وعبد الله ابن مسعود ، أخوين . وكان عثمان بن عفان ، وآوس بن ثابت بن المنـذر ، أخوين . وكان

طلحة بن عبد الله ، وكعب ابن عدن أخوين. وكان سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبي بن كعب ، أخوين . وكان مصعب بن عمير بن هشام، وأبو ايوب خالد بن زيد ، أخوين . وكان ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعبّاد بن بشر ابن وقص ، أخوين . وكان عمّـــار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، أخوين . ويقال : بـل ثابت بن قيس بن شمّاس خطيب النبي ﷺ ، وعمّار بن ياسر ، أخوين . وكان ابو ذرّ وإسمه يزيـــد ، وقيل : كان اسمه جندب بن جنادة الغفاري ، والمنــذر بن عمرو ، أخوين . وكان حاطب بن ابي بلتعة ، وعويمر ابن ساعدة ، أخوين . وكان سلمان الفارسي ، وابو الدرّداء عويمر بن زيــد ، والخلاف في ابيه أخوين . وكان بـلال ، وابو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الختعمي . قال ابن اسحاق : فهؤلاء من سمّي لنا ممن كان عليه الصلاة والسلام آخي بينهم من اصحابه رضي الله عنهم .

ذكر خراب البلاد الذي يكون في آخر الزمان :

روينا من حديث المياسي ، اسنده الى حذيفة ، قـال حذيفة : قال لي رسول الله ﷺ : وذكر الحديث بطوله ، وقـد أوردناه في الكتاب في رقم ٢٢ وفيه أن مصر آمنت من الخراب حتى تخر البصر. ثم ذكر رسول الله ﷺ أن خراب البصرة من العراق ، وخراب مصر ، من جفاف النيل ، وخراب مكة ، من الحبشة ، وخراب المدينة ، من السّيل، وخراب اليمن من الجراد، وخراب الايلة ، من الحصار ، وخراب فارس ، من الصعاليك من الديـــلم ، وخراب الديلم ، من الأرمن ، وخراب الأرمن ، من الجزر، وخراب الجزر، من الترك ، وخراب الترك ، مـن الصواعق ، وخراب السّند ، من الهند ، وخراب الهند ، من الصين ، وخراب الصين ، من الرمل ، وخراب الحبشة، من الرجفة ، وخراب الزوراء ، من السفياني ، وخراب الرّوحاء ، مـــن

الخسف ، وخراب العراق من القحط .

وحدثني عبد الواحد بن اسماعيل ابن ابراهيم العسقلاني الكتاني قال : حدثني ابي ، قال : قرأت في كتاب ابن عصمة في القران العاشر من المثلثة الترابية الموافقة لسنة خمسمائة واحد وستين من الهجرة النبوية ، تكون امور هائلة في الأقاليم ، الثالث ، والرابع ، بتقدير العزيز العليم الذي أودع علم ذلك في جري الكواكب ، وحركات الافلاك ، كما أودع السحاب ، المطر ، والأرض ، والنبات . وسائر الأسباب الإلهية ، المصنوعات بسياقها . فمن ذلك ظهور ملك المشرق ، فيعظم أمره ، ويشتد في الآفاق خبره ، ويعلو شأنه ، الى أن تصعد جناحاه الى الغرب ، والقبلة ، ويكون مؤيداً منصوراً في جميع اموره ، وذلك في اول القران ، وهو قران زحل ، والمشتري العلويين ، في برج الجدي في الثلث الاخير منه . ويستولي هذا الملك المذكور على مملكة مصر ، ويضعفها ، ويسقيها بكاس الحمام ، وينغصها ، ويهلك اعوانها ، ومن يقول بقولها ، وذلك من اول القرن الى ربعه . ويهلك الله به السودان هلاكاً لا يرجى جبرانه الى أن يعودون ذمة تحت يديه ، ويقوى على بني الاصفر ، ويكسرهم ثلاث مرات ، ويفتح بنو الاصفر على ايامهم قرية بلبيس ، ويهلك بها خلق كثير . فإذا كان الربع الثاني من القرن ظهر منه غضب ، ويتفرق ملكه على ثلاث فرق ، فيجوز كل منهم مكاناً يحوزه برجاله ، وعساكره ، ويكون احد الثلث قوياً ، والثلثان فيهم ضعف ، ويبقى الملك في عقبهم الى نصف القرن ، ثم ينتقل الكوكبان الى الديران ، وهو الثلث الثالث من القرن ، ففي ذلك الزمان يتحرك صاحب الغرب في جيوش كثيرة ، وعساكر غزيرة ، وينزلون شرقاً وغرباً ، ويعمر مدينة يقال لها شبرة او صبرة ، ويعلؤن بنيان القيروان ، فيبلغ الروم ذلك ، فيتحركون في

الاساطيل العظيمة ، فيفتحون سواحل البحر ، ويخـاف على الجزيرتين ، والاسكندرية ، فـإذا انزل حركة كيوان وجسده في البرج الغربي ، وحرك سبحانه عند ذلـك جيوش المغرب ، فينزلون قريباً من الحجر الابيض ، فيقسمون جيوشهم على ثلاث فرق فرقة تقصد الصعيد الأعلى ، وفرقـة تأخذ الطريقة الوسطى ، وفرقة تأخذ على طريق البحر فيجتمعون بأسرهم على نيل مصر ، ويكون النيل سبعة من اثنى عشر حـتى تغور بحيرة طبرية ، وتجف العيون في جميع الاقاليم ، وتغور الميـاه في قرار الأرض ، ويعدم القوت ، وتسيب البلاد ، ويجوز كل واحد موضعه ، ويفيض اللسان الأعوج في جميع الاقاليم ، وتحرق في مصر ثالثة ، ويستباح مـا فيها ، وتستباح دماء أهل الذمـة ، وأموالهم ، ويملك اكثرهم ، ويخرب الصعيد ، والريفان ، ويكون امر الخلق في ضلال من بعد أن تستباح أموالهم ، وتضعف احوالهم ، ويموت كثير منهم، والويل لمن يقيم في اقليم مصر، اذا أنزل الله كيوان برج السرطان وذلك في الربع الأخير من القران، فإذا نزل تحرّك بنو الاصفر بقوة عظيمة في الأساطيل ، ويفتحون مدينة الاسكندرية من بين البابين ، ويدخلون فيها الى أن يبلغوا سوق الريحان ، فيقتلون خلقاً كثيراً ، وينقلع بنو الاصفر من الشام جميعه حتى السواحل ، ويكون سبب خروجهم يظهر عليهم رجل من المشرق بغتة لا يعلمون بخروجه، وينضاف اليهم عساكر من الترك، يفتحون بيت المقدس ، والشام جميعه ، ويقيمون بها دون الحول ، فعند ذلك يتحرّك ملك الجزر ، يقال له : ذو العرف، يخرج بعساكره براً وبحراً ويقصد بعضهم الى الدروف ، وبعضهم الى الشام ، وبعضهم الى الاسكندرية وجزائر البحر. ويقع بينه وبين الترك خمس وقعات الى أن تجري دماؤهم كالنهر ، وفي عقب ذلك تنتصر جيوش الغرب بقوة عظيمة مائة ألف ، او اكثر ، وتعود دفعة ثانية الى مصر ، ويضربون خيامهم مـن الترك ، وعسقلان وطبرية ، ثم يخرج

السفياني بعساكر عظيمة ، فيقتلهم حتى لا يبقى منهم احد ، ويوجه السفياني جيشين جيشاً الى الكوفة فيقتل حتى لا يبقى منهم احد اصلاً وأمـا الجيش الآخر فيأتي الى مدينة يثرب ، فيستبيحها ثلاثة ايام ، ثم يرحل يطلب مكة فيخسف به في البيداء فلا يسلم منهم احد سوى رجلين ، احدهما من جهينة ، فهو الذي يأتيه بالخبر ، ثم يخرج المهدي ، فيقتل السفياني ذبحـاً تحت شجرة بخارج دمشق ، ويبايع بين الركن والمقام ، فيملأ الارض قسطاً وعدلاً ، ثم يغزو القسطنطينية بعساكر في جملتهم سبعون الفاً من ولد اسحاق فيكبرون عليها فينهدم ثلثها ، ثم يكبرون ثانية ، فينهدم الثلث الثاني ثم يكبرون ثالثة فينهدم سورها كله فيدخلونها فيكسبون فيها اموالاً عظاماً، ثم يخرج الدجال فيلبث اربعين يوماً ، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ، وسائر ايامـــه كأيامكم فينزل عيسى عليه السلام ، بـــين مهرودتين ، عند المنارة البيضاء ، بشرقي دمشق ، فيصلي العصر بالناس ، ويطلب الدجال فيقتله ببـــاب لُدّ ويخرج يأجوج ومأجوج .

وقـد ذكرنا حديثهم في هذا الكتاب ، فينحصروا في جبل الطور ، في القلعة التي بناها الملك المعظم ابن الملك العادل ، بنيان عيسى لعيسى ، وأرجو أن يدعو لبانيها ، فلا يزال محصوراً بها ، داعياً في هلاك يأجوج ومأجوج ، فيموتون موت رجل واحد بداء النغف كما ذكرنا . ثم يخرج عيسى عليه السلام وتخرج الارض خيرهـــا وبركتها ، فيتزوج ، ويولد له ، ثم يموت ، فيدفن بالمدينة ، بين النبي ﷺ ، وأبي بكر ، ويرسل الله ريحاً لينة تحت العرش ، تأخذ المؤمنين مـــن تحت آباطهم فيموتون ، فيبقى شرار الخلق عليهم تقوم الساعة .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى، ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ ،

قال: رأى بعض المريدين في الواقعة الشيخ أبا مدين جالساً في روضة من نور، وأشياخ الصوفية قد أحدقوا به ، وأحدقت بالجميع صورٌ لم أرَ أحسن منه ولا اجمل ، وعليهم من نفائس الجواهر ، واللآلىء ، ما لا أستطيع وصفه ، ولا أحسن العبارة عن نقشه ، وعلى رأس أبي مدين ثلاثة ألوية من نور ، مركوز واحد عن يمينه مكتوب عليه : حسبي الله ، وواحد على رأسه وهو أعلاها مكتوب عليه : الله ، والآخر على يساره مكتوب عليه : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال ابو حامد لأبي مدين : يا شيخ تكلم لنا على هذه الأسماء المكتوبة على هذه الألوية، فقال الشيخ : اما هذا الاسم الذي هو الله، فهو الاسم الاعظم الذي هو رأس الأسماء ، واليه يرجع كل معنى ، وهو المنزّه المتبوع الذي به ظهرت المخلوقات ، وعليه أسست الأرضون والسماوات ، وعنه صدرت الأسماء والصفات، فالمصنوعات بأسرها، من العرش الى الثرى ، تشهد بأنه موجدها . وما من ذرّة في الأرض ولا في السماء ، ولا رطبٍ ، ولا يابس إلا وهو معها . فقال له ابو حامد : فما معنى حسبي الله ؟ فقال : هو أمن وأمان من ان تغدو عليه النيران ، فمن تخلّق به سلم وصفا ، وكان ممن وفا حين وفا . فقال: ما معنى لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فقال : هو التبرّي من باطن الاحوال ، وردّها الى ظاهر الاقوال والافعال ، ثم ردّها الى ذي الكرم والجلال . فهذه وما عداها راجعة الى الاسم الاعظم الذي هو مبدأها ومنتهاها ، فهو الاسم الذي حنّ به بعض كل شيء الى بعض ، وهو نور السماوات والارض ، فإذا تجلى من نوره لمعه ، كان الله ولا شيء معه ، ثم قال له : قل لنا في التوحيد شيئاً . فقال : التوحيد سرّي ، ووطني ، ومستقري ، وسكني ، وهو مبدأي ، ومنتهاي ، وهو الاساس لبناي ، خصّني الله منه بفضائل ، وأكرمني منه بدلائل ، ان نزعت الى سبب من الاسباب؛ نوديت : اذكر ربك لا تذكر الاسباب . فالتوحيد يجلي كل ظلمة،

وهو الرافع لكل ذي همة ، هو القطب الذي عليه المدار ، وبـــه أشرق الوجود واستنار .

ثم قال ابو حامد : ما هي مادة الله في الوجود ؟ فقال : مـــادة الله في الوجود تسري ، وعلى ما سبقت به المقادير تجري ، قد سترها الغيب ، فهي منزّهة عن النقص والعيب ، فقد اخفاهـا الله سبحانه عن الكائن والبائن ، وجفّ القلم بما هو كائن فسترها عن خلقه من وجوه الرحمة والعطف، وتغيّبها عنهم من كمال الجود واللطف .

ولنا من باب الرموز والإشارات العلوية :

قالت عجبت لصبّ من محاسنه يختال ما بين أزهار ببستانِ
فقلت لا تعجبي مما ترين فقد ابصرت نفسك في مرآة انسانِ

ولنا من باب اللطائف الربانية :

بأثيلات النقا سربُ قطاً ضربَ الحسن عليه طنبا
وبأجواز الفلا من أضمٍ نَـعَمٌ ترعى لديها وظبا
يا خليليّ قفـا واستنطقا رسم دارٍ بعدهم قد خربا
واندُبا قلبَ فتىً فارقهم يوم باتوا وابكيا وانتحِبا
عـله يخبرُ حيث يمموا الجِرعاء الحِمَى أم لقِبا
رحّلوا العيسَ ولم أشعر بهم السهو كان أم طرف نبا
لم يكن ذاك ولا هذا وما كان إلا وله قـد غلبا
يا هموماً شرّدت وافترقتْ خلفهمْ تطلبهمْ أيدي سبا
أي ريـح نسمت ناديتها يا شمالي يا جنوبي يا صبا
هل لديكم خبرٌ مما بنـــا قد لقينا من هواهم نصبا

اسندت ريح الصبا اخبارهم عن نبات الشيح عن زهر الرُّبا
إن من امراضه داء الهوى فليملْ بأحاديث الصَّبا
ثم قالت يا شمال خبّري مثل ما خبَّرته او أعجبا
ثم أنتِ يا جنوبُ حدّثي مثل ما حدّثته او اعذبا
قالت الشمأل عندي فرج شاركت فيه الشمال الازيبا
كل سوءٍ في هواهم حسنٌ وعذابٌ برضاهم عَذّبا
فبِلامَ وعلامَ ولما تشتكي اللبث وتشكو الوصبا
واذا ما وعدوكم ما ترى برقه إلا بريقاً خُلّبا
رقم الغيم على رُدن الغما من سنان البرق طرازاً مذهبا
فجرَت أدمعها منها على صحن خدّيها فأذكت لهبا
وردة نابتة من أدمعٍ نرجسٍ يمطر غيثٍ عجبا
ومتى رمتُ جناها ارسلت عطف صدغيها عليها عقربا
تشرق الشمسُ اذا ما ابتسمتْ ربّ ما أنور ذاك الحببا
يطلعُ الليلُ اذا ما اسدلت فاحماً جثلاً اثيثاً غيهبا
يتجارى النحل مهما تفلتْ ربّ ما أعذب ذاك الشنبا
واذا مالت أرتنا فنناً أي رنَتْ سلّتْ من اللحظ ظبا
كم تناغي بالنقا من حاجرٍ يا سليل العربيّ العربا
أنا إلا عربيٌّ ولذا أعشق البيض وأهوى العربا
لا أبالي مشرق الوجد بنا حيثما كانت به او غربا
كلما قلتُ إلا قالوا أماً واذا ما قلتُ هل قالوا أبا
ومتى ما انجدوا او اتهموا أقطعُ البيدا أحثُّ الطلبا
سامريّ الوقتِ قلبي كلما أبصر الآثار يبغي المذهبا
واذا ما غرّبوا أو أشرّقوا كان ذو القرنين يقفو السّببا

كم دعونا بالوصال رغبــاً ... كم دعونا من فراق رهبا
يا بني الزوراء هذا قمرٌ ... عندكم لاح وعندي غربا
خربي والله منــه حربي ... كم أنادي خلفه واحربا
لهفَ نفسي لهفَ نفسي لفقٍ ... كلما غنّى حمامٌ غيّبا

حدثنا محمـد بن علي ابن اخت المقري ، حدثنا محمـــد بن احمد بن علي ، حدثنا محمـــد بن برار ، نبأ عبد الله بن قاسم ، حدثنا محمد بن القاسم ، عن أبيه ، عن علي بن حرب ، عن اسباط بن محمـد ، عن هشام بن حسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قـال : قال رسول الله ﷺ : من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ، ومن انقطع الى الدنيا وكـّله الله اليهـــا ، ومن حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد له مما رجا ، وأقرب مما اتقى ، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله عـــاد حامده منهم ذامـّاً ، ومن أرضى الناس بسخط الله وكـّله الله اليهم، ومن ارضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه .

وحدثنـــا علي بن عبد الله بن عبد الرحمن ، نبأ شعبة ، عن الحكم ، عن نافع ، عن ابن عمر، قال : قال رسول الله ﷺ : رحم الله عبداً تكلم فغنم ، او سكت فسلم ، إن اللسان املك شيء للانسان ، ألا وأن كلام العبـد كله عليه ، إلا ذكر الله ، او امر بمعروف ، او نهي عن منكر ، او اصلاح بين المؤمنين . فقال له معاذ بن جبل: يا رسول الله أنؤاخذكم بما نتكلم به ؟ قال: وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النـــار ، إلا حصائد ألسنتهم ؟ فمن أراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه ، وليحرص على ما انطوى عليه جنانه ،

وليحسن عمله، وليقصر أمله . ثم لم تمض اياماً حتى نزلت هذه الآية: « لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة او معروف او إصلاح بين الناس .

عناية ازلية :

روينـــا من حديث ابي عبد الرحمن ، قال : سمعت عن ابن عبد الرحمن الطوسيّ ، قال : سمعت علوس الدينوري ، قــال : سمعت المزنيّ يقول : كنت مجاوراً بمكة فخطر لي خاطر في الخروج الى المدينة ، فخرجت ، فبينما انا بين المسجد أمشي ، فإذا انا بشاب مطروح ينزع ، فشهق شهقة كانت فيها نفسه ، فكفنته في اطمار ، ودفنته ، ورجعت .

وبه قال الخوّاص: كنت بمكة ، فبينما انا اطوف بالبيت نوديت في سرّي: امضي الى بلاد الروم . فقلت: يا عجباً ، أكون ببيت الله الحرام ، فأتركه ، وأمضي الى بلاد الروم ؟ ثم هممت بالطواف ، فلم استطع ، فسرت الى بــلاد الروم ، فلما دخلتها سمعت الناس يقولون : إن بنت الملك قد صرعت ، وقد عرضت على الاطباء فما عرفوا لها دواء . فقلت : احملوني اليها ، فأنا غلامٌ طبيب . فحملت ، فلما دخلت عليها ، قالت : مرحباً يا خوّاص ، فقلت : مالك ؟ قالت : كنت على ديننا حتى البارحة ، واني نمت فرأيت في المنــام عرش ربي بارزاً ، فانتبهت كما ترى ، لا ينطق لساني إلا بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما رأوني هكذا ، نسبوني الى الجنون . فقلت : لعل الله عز وجلّ يخلصك منهم . قلت : فمن أين عرفت اسمي ؟ قالت : نوديت : سنبعث لكِ من تسلمين على يديه، وألهمت ذكرك . فهممت بالنهوض، فقالت: الى أين ؟ قلت : الى مكة . قالت : ها هي مكة . فنظرت ، فإذا مكة . فسرت قليلاً ، فإذا انا بالبيت .

ومن باب سماع العارفين قوله :

قفا ودّعا نجداً ومن حل بالحمى ... وقلّ لنجد عندنا أن تودّعا
وليست عشيّات الحمى برواجعٍ ... اليك ولكن خلّ عينيك تدمعا
واذكر ايام الحمى ثم انثني ... على كبدي من خشية أن تصدّعا

تفسيره : يقول لعقله ولنفسه : ودّعا الرفيق الأعلى ، والأرواح العلى التي محلها الحمى الإلهي ، على انه لا يصح مفارقته بالكنه الرقائق التي بينهما وبينه . وليست عشيّات الحمى برواجع ، أي الأنوار التي تغشى ، حمتهـا إلا لطاف الخفيّة عنها ، فهي بحجابها في عـــالم الأكوان تذكر ايامها بالحمى الإلهي ، فتنعطف على كبدها ، إشارة الى عنصر الحياة التي سرَت مـــادته في جميع الموجودات ، وتصدعه ، وتفرقه .

ولنا نظم في هذا الباب :

وزاحمني عند استلامي او انسٌ ... اتين الى التطواف معتجراتِ
حسرن عن أمثال الشموس وقلن لي ... تودّع فموت النفس في اللحظات
فكم قد قتلنا بالمحصّب من منىً ... نفوساً ابيّـــاتٍ لدى الجمرات
وفي سرحة الوادي وأعلام رامةٍ ... وجمع وعند النفر من عرَفات
ألم تدرِ ان الحسن يسلبُ من له ... عفافٌ فيدعى سالب الحسنات
فموعدنا بعــد الطواف بزمزمٍ ... لدى القبة الوسطى لدى الصخرات
هنالك من قد شفه الوجد يشتفي ... بما شاقه من نسوة عطرات
اذا خفنَ أسدلنَ الشعور فهنّ من ... غدائرهـــا في الحُف الظلمات

ولنا من باب المفاريد في باب الفخر قولنا :

في كل عصرٍ واحدٌ يسمو به ... وأنا لباقي العصر ذاك الواحدِ

خبر الفيل وأصحابه وما أظهر الله في ذلك من البينات على تعظيم الحرم :

روينا من حديث أبي الوليد ، وأبي هشام ، وابن اسحاق، وبعضهم يزيد على بعض ، والسياق لابن اسحاق ، غير اني قد ادخل في اثناء حديثه الزيادات في اماكنها .

ولما بنى ابرهة الكنيسة التي سماها : القليس . وكتب الى النجاشي بأنه عزم على ان يصرف حاجّ العرب اليه ، ويتركوا مكة . وما قال في هدم الكعبة شيئاً ، غضب رجل من النساة ، احد بني فقيم بن عدي بن عامر ابن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، فجاء الى الكنيسة المذكورة ، فقعد فيها .

قال ابن هشام : يعني أحدث فيها . ثم خرج الكنانيّ فلحق بأرضه ، فبلغ ابرهة ذلك ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحج اليه العرب بمكة، لما بلغه قولك : أصرف اليها حج العرب، غضب فجاء فأحدث فيها ، أي انها ليست لذلك بأهل . فغضب أبرهة ، وحلف ليسيرن الى البيت فيهدمه . ثم امر الحبشة فتهيأت ، وتجهزت ، ثم سار وخرج بالفيل معه ، وسمعت بذلك العرب ، فأعظموه ، ودعوا به ، ورأوا ان جهاده حق عليهم ، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام ، فخرج اليه رجل من اشراف اليمن وملوكهم ، يقال له ذو نفر ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب ، الى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله . وما يريد من هدمه وإخرابه . فأجابه من أجابه الى ذلك . ثم عرض له فقاتله ، فهزم ذو نفر ، فأتى به اسيراً . فلما اراد أبرهة قتله ، قال ذو نفر : لا تقتلني ، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي

فتركه من القتل ، وحبسه عنده في وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حليماً ورعاً ذا دين في النصرانية . ومضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج اليه ، حتى اذا كان بأرض خثعم ، خرج له نفيل بن حبيب الخثعمي ، من اكمل بني ربيعة بن عفرس في قبيلي خثعم شهران ، وباعس ، وهما ابنا عفرس بن خلف بن اقبل ، وهو خثعم ، ومن تابعه من قبائل العرب ، فقاتلهم ، فهزمهم أبرهة ، وأخذ له نفيل اسيراً فأتى به ، فلما همّ بقتله، قال له نفيل : لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يدان لك على قبيلي خثعم شهران ، وباعس ، بالسمع ، والطاعة . فخلى سبيله ، فخرج به معه يدّله ، حتى اذا مرّ بالطائف ، خرج اليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عرف بن ثقيف ، في رجال ثقيف . فقالوا : ايها الملك إنما نحن عبيدك ، سامعون لك ، مطيعون ، وليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد ، يعنون اللّات والعزى ، إنما نريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم ، فبعثوا معه أبا رغال يدّله على الطريق الى مكة ، وفي ثقيف يقول ضرار بن الخطاب الفهري لما فعلت هذا :

وقرب ثقيف الى لاتها   بمنقلب الخائب الخاسر

فخرج أبرهة ، ومعه ابو رغال ، حتى انزله بالمغمّس فلما انزله به مات ابو رغال ، فرجمت قبره العرب ، فهو قبره الذي يرجم بالمغمّس ، وهو الذي قال فيه جرير بن الخطفاء :

اذا مات الفرزدق فارجموه   كما ترمون قبر ابي رغال

فلما نزل أبرهة بالمغمّس ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له الاسود ابن

مقصود ، على خيل له حتى انتهى الى مكة ، فساق اليه اموال أهل تهامة من قريش ، وغيرهم ، وأصاب فيها مائتا بعير لعبد المطلب ابن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها . فهمت قريش ، وكنانة ، وخزاعة ، وهذيل ، ومن كان في الحرم بقتاله . ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به . فتركوا ذلك . وبعث أبرهة حناطة الحميري الى مكة ، وقال : اسأل عن سيد هذا البلد ، وشريفهم . ثم قل له : إن الملك يقول لكم : اني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت . فإن لم تعرضوا الى الحرب والقتال ، فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي ، فأتني بـه . فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم . فجاءه ، فقال له : ما أمره به أبرهة . فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله ابراهيم عليه السلام ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال حناطة : فانطلق معي اليه ، فإنه أمرني أن آتيه بك . فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذي نفر ، وكان له صديقاً ، حتى دخل عليه وهو في مجلسه ، فقال : يا ذا نفر ، هل عندك غنا فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غنا عند رجل اسير بين يدي ملكٍ ينتظر ان يقتله بكرةً وعشية ؟ ما عندي غنا في شيء مما نزل بك ، إلا انيساً سائس الفيل ، وكان صديقاً له ، فأرسل اليه ، فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، واسأله ان يستأذن لك على الملك ان يكلمك فيما بدا لك ، ويشفع عنده بخير ان قدر على ذلك . فقال : حسبي . فبعث ذو نفر الى انيس ، فقال له : ان عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عِيَر مكة ، وعينها ، وعظيمها ، يطعم الناس بالسهل والجبل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير ، فاستأذن له عليه ، وانفعه عنده

بما استطعت . قال : افعل . فلما كلّم انيس أبرهة ، قال له : أيها الملك سيد قريش ببابك ، يستأذن عليك ، وهو صاحب مكة ، وعِيَرها ، وهو يطعم الناس في السهل والجبل ، والوحوش في رؤس الجبال ، فأذن له عليك يكلمك في حاجته . قال : فأذن له ابرهة . وكان عبد المطلب اوسم الناس ، وأعظمهم ، وأجملهم ، فلما رآه ابرهة ، أجله ، وأكرمه عن أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة أن يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه الى جنبه . ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك ؟ قال له الترجمان : يقول لك الملك : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له كنت اعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني . أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ؟ وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك ، وقد جئت لهدمه ، لا تكلمني فيه . فقال عبد المطلب : ان هذه الإبل لي وأنا ربها ، وإن للبيت رباً سيمنعه . قال : ما كان ليمنع مني . قال : أنت وذاك . قال ابن اسحاق : وقد كان ذهب مع عبد المطلب الى أبرهة حين بعث اليه حناطة الحميري يعمر بن نعامة بن عدي بن الديل ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو سيد بني بكر . وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد بني هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث اموال تهامه على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت فأبى عليهم ، فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب الى مكة ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرّز في شعب الجبال ، تخوّفاً عليهم من مضرّة الجيش . ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام نفر معه من قريش ، يدعون اليه ويستنصرون على أبرهة وجنوده . فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يا رب إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ابداً محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمرٌ ما بدالك
فلئن فعلتَ فإنه أمرٌ يتم به فعالك

ثم قال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن عبد الدار :

لاهم اخذ الاسود بن مقصود الأخذ الهجمة فيها لتقليد
بين حرّاً وثبير والبيد يحبسُها وهي اولات التطريد
فضمّها الى جماجم سود احقره يا رب وأنت محمود

ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ، وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعب الجبال ، ليتحرّزوا فيها ، ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها . فلما اصبح أبرهة ، تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله وحبا جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً ، وأبرهة مجمع بهدم الكعبة ، ثم الانصراف الى اليمن . فلما وجهوا الفيل الى مكة اقبل نفيل بن حبيب الخشعمي حتى قام الى جنب الفيل ، ثم اخذ بإذنه فقال : ابرك محموداً ، وأرجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام . ثم أرسل اذنه ، فبرك الفيل ، وخرج نفيل يشتد حتى اصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم ، فأبى ، فضربوه في رأسه بالطبرزين فأبى ، فأدخلوه محاجن لهم لي مراقه فنزعوه بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً الى اليمن ، فقام يهرول ، ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه الى الشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه الى مكة ، فبرك، فأرسل الله عليهم طيراً من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طير منها ثلاثة

احجار يحملهـــا : حجر في منقاره ، وحجران برجليه ، امثال الحمص ، والعدس ، ولا يصيب منهم احد إلا هلك ، وليس كلهم اصابتهم ، فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الى اليمن ، فقال نفيل ايضاً حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة شعراً :

أين المفرّ والإله الطالبُ ... والأشرمُ المغلوب ليس الغالبُ

وقال ايضاً حين ولـّوا :

ألا حيّيت عنا يا رُدَيْنا ... نعمناكم مع الاصباحِ عيْنا
رديْنة لو رأيت ولن تريه ... لدى جنب المحصَّب ما رأينا
إذاً لعذرتنا وحمدت أمري ... ولن تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ عاينت طيراً ... وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل ... كأنــ عليٌّ للحبشان دينا

فقال عبد المطلب :

قلتُ والأشرم تردي خيله ... ان ذا الأشرم غرباً بالحَـرَمْ
كاده يتبعُ فيمن جنـّدتْ ... حِميَرٌ والحي من آل قدم
فانثنى عنه وفي أوداجهِ ... جارحٌ أمسك فيه بالكظم
نحن أهل الله في بلدتـــهِ ... لم يزل ذاك على عهدِ ابرم
نعبدُ الله وفينـــا شيمة ... صلة القربى وأبناء الذّمم
إنــ للبيت لربـــاً مانعاً ... من يرده بـــإثامٍ يُظطلم

وقال ايضاً :

وكنتُ اذا أتى باغٍ نُسلِم ... ونرجو ان يكون لنا كذلكْ
فولـّوا لم ينالوا غير خزيٍ ... وكان الحينُ مهلكهم هنالك
ولم اسمع بأرجسَ من رجالٍ ... ارادوا بانتهـاكهم حرامك

يريد : ارادوا العزّ ، فلما لم يبرز ، حذف لدلالة المعنى عليه . وقد روينا بانتهاكهم حرامك ، فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل ، وأصيب ابرهة في جسده ، وخرجوا بــه يسقط أنملة أنملة ، كلما سقطت انملة منه ، تبعتها مدة تمث قيح ودم ، حتى قدموا به صنعاء ، وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

قال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عيينة انه حدث ان اول مــا رأيت الحصبة ، والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه اوّل اوّل ما رئي بــه مرائر شجر الحرمل ، والحنظل ، والعشر ، ذلك العام .

قال ابو الوليد فيما حدّث : انه اول ما كانت بمكة حمام اليمام حمام مكة الحرمية ذلك الزمان . وقال : انهــا من نسل الطير التي رمت اصحاب الفيل حين خرجت من بحر جدة .

ولما ردّ الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم ما أصابهم من النعمة ، عظـّمت العرب قريشاً . وقالوا : أهلّ الله قاتل عنهم ، وكفاهم مؤنــــة عدوّهم ؟ وجعلوا في ذلك يقولون الأشعار ، ويذكرون فيها ما جرى .

فمن ذلك ما قال عبدالله بن الزبعري بن عديّ بن قيس بن عديّ بن سعيد ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي :

يتكلموا عن بطن مكة انها ... كانت قديماً لا يرامُ حريمُها
لم يخلق الشـّعري ليالي حرّمت ... إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل امير الجيش عنها ما رأى ... ولسوف ينبىء الجاهلين عليمها
ستون الفاً لم يَؤوبوا ارضهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عادٌ وجـَرهُم قبلهم ... والله من فوق العباد يقيمها

وقـــال صفيّ بن خيثم بن وائل ، ثم الخطميّ بن زيد بن قيس بن عامر ابن مرة بن مالك بن الأوس الانصاري :

ومن صنعه يوم فيل الحبوش إذاً كلمـــا بعثوه رزمْ
محاجنهم تحت اقرابـــه وقد شرموا أنفـه فانخرم
وقد جعلوا سوطهم معولاً اذا يمموه قفـــاه كَلَـم
فولـّى وأدبر درّاجـــه وقـد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصباً يلفـّهم مثل لفّ القزمْ
تخرّ على الصبر اجسادهم فقد ثاجوا كثواج الغنم

وقال ايضاً :

فقوموا فصلـّوا ربكم فتمسـّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشبِ
فعندكم منـــه بلاء ومصدق غداة ابي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمشي ورحله على العادقات في رؤس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردّهم جنود مليك بين ساقٍ وصاحب
فولـّوا سراعاً هاربين ولم يؤبْ الى اهله بالحبش غير عصائب

وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ وجيش أبي يكسوم إذ ملؤا الشـّعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتم لا يمنعون لكم سربا

وقال أمية بن الصلت بن ربيعة : كذا قال ابن هشام .

وقال ابن اسحاق ، وأبو الوليد ، قال ابو الصلت بن ربيعة الثقفي ، وهو جاهلي بذكر الحنيفية ، وساق الشعر من حديث ابن هشام :

إن آيات ربنـــا باقياتٌ ما يماري فيهن إلا الكفورُ
يخلق الليل والنهار فكلٌّ مستنير حسابـــه مقدور
ثم يجلو بهـــا ورب رحيم بمهـــاة شعاعُهـــا منشور
حبس الفيل بالمغمّس حتى ظلّ يحبو كأنــه معقور
لازمـــاً خلقة الحرّان كما قطـّر من رأس كوكب محدور
حوله من ملوك كندة ابطا ل ملاويث في الحروب صقور
خلـّفوه ثم ابذعرّوا جميعاً كلهم عظم ساقـه مكسور
كل دين يوم القيـــامة عند الله إلا دين الحنيفـــةِ بُور

وقال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو من حديث ابي الوليد، وابن اسحاق، رحمهما الله تعالى :

أنت حبست الفيل بالمغمسْ حبسته كأنه مُكردسْ
مذ ما همُ همّ بشرّ مجلس بمجلس تزهق فيــه الأنفس
وقت بباب ربنا لم يدنس يا واهب الحيّ الجميع الأخمس
وما لهم من طارف ومنفس وجاره مثل الجواري الكنـّس
أنت لنا في كل أمرٍ مضرّس ونفثات اخـذت بالأنفس

وقال الفرزدق، واسمه همام بن غالب احد بني مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك . ويذكر الحجاج والفيل :

فلما طغى الحجاج حين طغى به غناً قال اني مرتقٍ في السلالمِ
فكان كما قال ابن نوحٍ سارتقي الى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنوداً لسَوق الفيل حتى أعادهم هباءً وكانوا مطرخمي الطراخم
نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله اليه عظيم المشركين الأعاجم

وقـال عبد الله بن قيس الرّقيات احد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة الأشرم وفيله :

كاد الأشرم الذي جاء بالفيـ ـل فولـّى وجيشه مهزومُ
واستهلت عليهم الطيرُ بالجنـ ـدل حـــتى كأنه مرجوم
ذلك من يغزو من الناس يرجع وهو فلّ من الجيوش رميم

قول ابن عمر رضي الله عنه لحنين في استلام الركن :

روينا من حديث ابي الوليد، عن جده ، عن يحيى بن سليم، عن اسماعيل ابن كثير ، عن مجاهد ، قـال : كنا مع عبد الله بن عمر في الطواف ، فنظر الى رجل يطوف كالبدويّ لا يستلم الركن ، ولا يكبّر ، ولا يـذكر الله ، فقال له ابن عمر : أي شيء تصنع ههنا ؟ قال : اطوف . قـــال ابن عمر : مثل الجمل يخبط ، لا تستلم ، ولا تكبّر ، ولا تذكر الله ؟ ثم قال له : مـا اسمك ؟ قال : حنين . قال : فكان ابن عمر اذا رأى الرجل لا يستلم الركن قال : احنينيّ هو ؟ قلت : وقد رأيت أنا في مجاورتي رجلاً من المجاورين ، يسكن برباط تون بباب السدّة ، يقال له : اسماعيل الموصلي، يطوف بالبيت كثيراً ، مثل طواف حنين ، وربما يستدبر البيت أحياناً في طوافه ، فسألت عن صنعته ، فقيل لي : يبيع القفع . فاتفق ان حضرني أبيـات ، فذكرتها موعظة وتنبيهاً واعتذاراً عنه :

يطوف بالبيت من يدين بـــه لكنه خارجٌ عـــن البشرِ
كأنـــه في طوافه جمـلٌ يخبط لا يـــلوي على الحجر
مثل حنين وقـد رآه فتىً من أعلم الناس من بني عمر
فقال هذا الذي اقول بـه في حق هذا الانيس فازدجر

لكنني قد وجدت معذرةً كان عليها في سالف العمر
كان له قفع يطوف بـــه ومن أتى عـــادةً فقد يحر

ولنا من باب اللطائف والإشارات :

يا حادي العيس لا تعجل بها وقفاً فإنني زمنٌ في أثرها غادي
قف بالمطايا وشمر عن ازمتها بالله بالوجد بالتبريح يا حادي
نفسي تريد ولكن لا تساعدها رجلي فمن لي باسعافٍ وإسعاد
ما يفعل الصانع النحرير في شغل آلاتـــه أذنت فيه بإفساد
عرج ففي أيمن الوادي خيامهم لله درك ما تحويه يا وادي
جمعت قوماً هم نفسي وهم نفسي وهم سواد سويدا خلب اكبادي
لا درّ در الهوى ان لم أمت كمداً بحاجر او بسلعٍ او بأجياد

ولنا في هذا الباب :

يذكرني حال الشبيبة والشرخ حديثٌ لنا بين المدينة والكرخ
فقلت لنفسي بعد خمسين حجة وقد صرت من طول التفكر كالفرخ
يذكرني اكناف سلعٍ وحاجر ويذكر لي حال الشبيبة والشرخ
وسوقي المطايا منجداً ثم متهماً وقدحي لها نار الغفار مع المرخ

روينا من حديث ابن مروان ، عن محمد بن عبد العزيز ، قـال : حدثنا المضا بن جارود ، عن محمد بن عبد الله القرشي ، عن ابيه ، قال ابو الدرداء : ما من رجل من المسلمين اذا اصبح إلا اجتمع هواه وعمله ، فـإن كان هواه تابعاً لعمله ، فيومه صالح ، وإن كان عمله تابعاً لهواه ، فيومه يوم شر .

ولنا من باب الإشارات العلوية :

بان العزاء وبان الصبر اذ بانوا　　بانوا وهم في سويد القلب سكانُ
سألتهم عن مقيل الركب قيل لنا　　مقيلهم حيث فاح الشيح والبان
فقلت للريح سيري والحقين بهم　　فإنهم في ظلال الأيك قطان
وبلغيهم سلاماً من اخي شجن　　في قلبه من فراق القوم اشجان

قول النبي ﷺ انا ابن الذبيحين :

يريد اسمعيل، وأباه عبد الله . فأما اسمعيل، فما ذكر الله من قصة ابراهيم عليه السلام في رؤياه في ذبح ولده على اختلافٍ بين اسحاق ، واسمعيل ، وما فداه الله بـه ، على انه يحتمل اذا صح قول النبي ﷺ ، انه ابن الذبيحين ، انــه يريد ابراهيم ، وولده اسمعيل ، عليهما السلام . فإن وزن فعيل يكون للفاعل ، ويكون للمفعول ، فذبيح ، بمعنى ذابح ، وهو ابراهيم ، ومذبوح ، وهو اسمعيل . وقد يصح نسب النبوّة للعم ، كما تنسب للأب، على أن يكون الذبيح اسحاق. قال تعالى في قول بني يعقوب : قالوا نعبد آلهك وآله آبائك ابراهيم واسمعيل وإسحاق . وكان اسمعيل عم يعقوب ، ولم يكن آباه ، وإنما ابوه إسحاق . فإما ما كان من خبر عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ ، وهو مـــا رويناه من حديث ابن إسحاق ، قال ابن إسحاق : كان عبد المطلب بن هاشم ، قد لقي من قريش شدّة عند حفر زمزم ، فلما نصره الله عليهم نذر لئن ولد له عشرة اولادٍ ذكوراً ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، لينحرن احدهم لله عند الكعبة . فلما توافا بنوه عشرة، وعرف انهم سيمنعوه جمعهم ، ثم اخبرهم بنذره ، ودعاهم الى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه ، وقالوا: كيف ذلك تصنع ؟ فقال ليأخذ كل رجل منكم قدحاً، ثم يكتب عليه اسمه، ثم ائتوني . ففعلوا ، ثم اتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، فقال لصاحب القداح : اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذي

نذره ، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيـــه اسمه ، فلما اخذ صاحب القداح القداح ، ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح ، فخرج القدح على عبد الله ، وكان احب اولاده اليه ، فأخذ شفرة ، ثم أقبل الى اساف ، ونائلة، ليذبحه . فقامت اليه قريش من انديتهم . فقالوا : ما تريد يا عبد المطلب ؟ قال : اذبحه . قالت له قريش ، وبنوه : والله لا تذبحه ابداً حتى تعذّر فيه ، ولئن فعلت هذا ، لا يزال الرجل يأتي بإبنه حتى يذبحه ، فمـا بقي الناس على هذا . فقال له المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم : وكان عبد الله من احب الناس اليه : والله لا تذبحه ابداً حتى تعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه . وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل ، وانطلق الى الحجاز ، فإن بها عرافة لهـا تابع ، فسألها ، ثم أنت على رأس امرك ، ان أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فرج قبلته . فانطلقوا حـتى قدموا المدينة ، فوجدوها بخيبر ، فركبوا حتى جاؤها ، فقصّ عليها عبد المطلب خبره ، والقصّة كما جرت . فقالت لهم : ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فاسأله . فرجعوا مـــن عندها ، وعبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها ، فقالت لهم : جـــاء في الخبر : كم الدّية فيكم ؟ قالوا : عشرة من الابل . قالت : ارجعوا الى بلادكم، وقرّبوا صاحبكم وقرّبوا عشراً من الإبل . ثم اضربوا عليها ، وعليه ، فـــإن خرجت على صاحبكم ، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبـل ، فأنحروها عنه ، وقد رضي ربكم ، ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة . فلما أجمعوا لذلك الأمر ، قام جانباً عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبدالله، وعشراً من الإبل ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فـــلم يزالوا يضربون عليها ، وعلى عبد الله ، فتخرج على عبد الله ، فيزيدون عشراً ، حتى بلغت مائة، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل، فقالت

قريش ومن حضر : انه رضي ربك يا عبد المطلب . فزعموا ان عبد المطلب قال : لا والله حتى اضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ثلاثاً ، كل ذلك تخرج القداح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يصدّ عنها إنسان ، ولا يمنع . وانصرف عبد المطلب مسروراً آخذاً بيد عبد الله ، فمرّ به على امرأةٍ من بني أسد بن عبد العزّى ، وهي اخت ورقة بن نوفل ، فنظرت اليه وهي عند الكعبة ، فقالت له وهي تنظر في وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع ابي . قالت : هل لك مثل الإبل التي نحرت عنك ، وتقع عليّ الآن ؟ قال : أنا مع ابي ، ولا استطيع فراقه الآن . وانصرف ، فأتى به عبد المطلب الى وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة يومئذ ، فزوّجه آمنة بنت وهب ، فدخل عليها حين املكها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله ﷺ . ثم خرج من عندها ، فأتى اخت ورقة التي عرضت عليه نفسها ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليّ ما كنت عرضت ؟ قالت له : فارقك النور الذي كنت رأيته في وجهك ، فليس لي بك اليوم حاجة .

وفي رواية ابن إسحاق بن يسار ، من حديث ابن اسحاق عنه : انه حدث او اخبر إن عبد الله لما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب وقد عمل في طين له ، وبه أثر من الطين ، فدعاها الى نفسها ، فأبطأت عليه لما رأت من أثر الطين ، فغسل ما كان به من الطين ، ثم خرج عامداً الى آمنة ، فمرّ بها ، فدعته الى نفسها ، فأبى عليها ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، ، فحملت بمحمد ﷺ . ثم مرّ بإمرأته تلك ، فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا مررت بي ، وبين عينيك غرّة ، ودعوتك ، فأبيت ، ودخلت على آمنة ، فذهبت بها :

تخيّرك الله من آدمٍ فما زلت منحدراً ترتقي

ﷺ ، فقيل لآمنة : انك حملت بسيد هذه الأمة يقول لك الملك : فإذا وقـــع على الارض ، فقولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسدٍ ، وقائم وقاعدِ ، يأخذ بالمراصدِ ، في طرق المواردِ ، وسميته محمداً .

وروينا من حديث ابن جهضم ، عن محمد بن القاسم ، عن محمد بن عبيد ، عن محمد بن صالح ، قال : بينما أنا في الطواف، نظرت إعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة، وقد شخص ببصره نحو السماء ، وهو يقول : يا من وفد العباد اليه، ذهبت أيامي ، وضعفت قوتي ، وقـد فررت اليك الى بيتك المعظم المكرم بذنوب كثيرة لا تسعها الارض ، ولا تغسلها البحار ، مستجيراً بعفوك منها ، وحططت رحلي بفنائك ، وأنفقت مالي في رضاك . فمـــا الذي يكون من جزائك يا مولاي ؟ ثم أقبل على الناس بوجهه ، فقال : معاشر الناس ادعوا لمن وكزته الخطايا ، وعمرته البلايا ، ارحموا اسير ضرٍّ ، غريب فاقـــة ، سائلكم : بالذي قد عمتكم الرغبة اليه ، ألا سألتم الله عز وجل ، أن يهب لي جرمي ، ويغفرلي ذنوبي . ثم عـــاد فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : إلهي وسيدي عظيم الذنب مكروب ، وعن صالح الأعمال مطرود ، ذا فاقةٍ الى رحمتك . قال محمد بن صالح : ثم رأيته بعرفات ، وقـد وضع يساره على ام رأسه ، وهو يصرخ ، ويبكي ، ويشهق ، ويقول : آلهي وسيدي ومولاي ، اضحكت الأرض بالزهر ، وأمطرت السماء بالرحمة ، والذي أعطيت الموحدين إن نفسي لواثقة لي منك ، وكيف لا يكون كذلك ؟ وأنت حبيب من تحبب اليك ، وقرة عين من لاذبك ، وانقطع اليك ، حقاً حقاً اقول : لقد أمرت بمكارم الأخلاق ، فاجعل قرائي منك عتق رقبتي من النار .

ومن دعا فهتف بإجابته ، ما كتب الينا عبد الرحمن، عن احمد بن ظفر، عن احمد ، عن الحسن ، عن هلال بن محمد ، عن عمر بن احمد ، عن عبيدالله، عن زكريا ، عن الاصمعي ، عن سفيان بن عيينة ، قـــال : سمعت اعرابياً متعلقـــاً بأستار الكعبة وهو يقول : السائل سائل انقضت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقضت شهواته ، وبقيت تبعاته . ولكل ضعيف قرىً ، فاجعل قراي الجنة .

ثم كتب : وحدثنـا احمد ، عن الحسن ، عن عبد العزيز بن جعفر ، عن حمزة بن محمد بن عيسى المدائني ، قال : تعلـّق شاب بأستار الكعبة ، وقال: إلهي لا لك شريك فيؤتى ، ولا وزير فيرشى ، ان أطعتك فبفضلك ، ولك الحمد ، وإن عصيتك ، فبجهلي ولك الحجة عليّ ، فبإثبات حجتك عليّ ، وبانقطاع حجتي لديك ، إلا غفرت لي . فسمع هاتفـــاً يقول : الفتى عتيقنا من النار .

موعظة نبوية :

حدثنـــا محمد بن قاسم ، عن احمد بن محمد ، عن محمد بن علي ، عن احمد ابن محمـــد ، عن علي بن قاسم ، عن الشيباني ، عن ابن زهير ، عن موسى ابن معاذ، عن يحيى بن عبدالحميد، عن قيس بن الربيع، عن حر بن الصباح، عن خليفة بن الحصين ، عن قيس بن عاصم ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا قيس ، إن مع العز ذلاً ، وإن مع الحياة موتاً ، وإن مع الدنيـا آخرة ، وإن لكل سيئة عقاباً ، وإن لكل اجل كتاباً ، إنه لا بد يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي ، وتدفن معه وأنت ميت ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه ، ولا تُسئل

إلا عنده ، فلا تجعله إلا صالحاً ، فإنه ان كان صالحاً لم تستأنس إلا به ، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلا منه ، وهو فعلك .

شعر في هذا المعنى :

تزوّد قريناً من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يعملُ
وإن كنت مشغولاً بشيء فلا يكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الانسان من بعد موته ... الى قبره إلا الذي كان يفعل
ألا إنما الانسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

وقال الآخر في القبر :

القبر بيتٌ كريهٌ سوف تسكنه ... ماذا عملتَ ليوم القبر يا ساهي

ولأبي العتاهية من قصيدة :

يا بيت بيت الرجا يا بيت منقطعي ... يا بيت بيت الردى يا بيت وحشته

ورأيت على قبر بسبا مكتوباً :

ولقد وقفت كما وقفت ... ولكم نظرتُ فما اعتبرتُ
حصّل لنفسك منزلاً ... قبل الحصول لما حصلت

ورؤي على قبر مكتوب :

أنا في قبري وحدي ... قد تبرأ الأهل مني
أسلموني لذنوبي ... خِبتُ ان لم يعفَ عني

وسماعنا على قول ابن حبوس حيث يقول :

أسكّان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربع قلبي سكانُ
ودوموا على حسن الوداد فإنني بليتُ بأقوامٍ اذا احفظوا خانوا
سلوا الليل عني مذتناءت دياركم هل اكتحلت بالنوم لي فيه أجفان

السماع الروحاني في ذلــك ، سكان نعمان الأراك ، هم العارفون في نعيم حضرة المشاهدة ، ومحلها قلوبهم يقول لطيفته الربانية لهـذه الهمم : داوموا فإني دفعت الى نفوسٍ أُخذ عليها العهد الإلهي في الميثاق الأول ، فخانوا ، ثم أخذ يصف نفسه بالقيومية ، تخلقاً إلهياً ، أي قدر على التجرّد من عــالم التركيب الذي هو محل النوم ، الى العالم الأنزه الأقدس الذي لا نوم فيــه ، ميراثاً نبوياً من أنــه لا ينام قلبه ﷺ . ثم أخذ يخاطب الهمم : إن لمعان سيوفها اذا برقت من منازلها منازل الأحبة ، فغمد هاتيك السيوف أجفاني ، أي لا أنام ، يكادسنا برقه يذهب بالأبصار .

وسماعنا على قول مهيار حيث يقول :

من ناظرٌ لي بــين سلعٍ وقبا كيف أضاء البرق أم كيف خبا
نبّهني وميضه ولم تــنمْ عيّني ولكن ردّ عقلاً غربا
قرب له قد صار قلبي خافقاً واستبردته أضلعي ملتهبا
يا لبعيد مــن منىً ناديته يوهمني الصدق بريــق كذبا
وللنسيم سحراً بحــاجرٍ ردّت به عهد الصباريح الصّبا
آلية مــا فتح العطار عن أعبق منهــا نفساً وأطيبا
سل من يدلّ الناشدين بالغضا على الطريــد ويرد السلبا
أراجع لي والمنى هــل هـّلة وطالع نجم والزبانُ غرّبا
وطوله بــين القباب بمنى لا خائفــاً عتباً ولا مرتقبا

السماع الروحاني للعارف في ذلك : من ناظرٌ لي بين المقامات المحمدية كيف لمع برق المعرفة ؟ ام كيف خبا مطوياً في غيم الكون ؟ أيقظني لمعنه على أن عيني مــا نامت عنه ، ولكن كان العقل منصرفاً الى عالم التدبير فردّه الى العــالم المدبر ، فسكنت له همم القلوب بعد طيرانها خضعاً كسلة على صفوان ، واستبردت برد السرور عطفات الجنوح ، مـا كان حامياً بنود التنزلات الإلهية . فلما لاح له المعين من خلق خلقة الرصد مثال النور المنزل ليقبله منه ، عرفـه بالحفظ الإلهي ، فقال : يوهمني الصدق بريق كذباً ، ثم رجع ينادي أيضاً بالبعد من عالم الانفاس ، في البرزخ المشترك بـين النور والظلمة ، دلّ عليه وعلى عصر شبابـه ريح الصبا ، شروق نفس التنفس من نفس الرحمن ، بمـا هو أطيب من المسك عرفاً ونشراً . ثم قال : سل من يـدل الناشدين قلوبهم بمقام الاشتياق على الطريق ، عن البناء الأعز ، ويرد قلبه الذي أخذ منه على عزّة . ثم قال : اراجع لي ذلك السلب ؟ والمنى قد يكون أماني، وهل يطلع نجم سعد غرباً ؟ أي صار في الحجاب. وهل أراني طائفاً متردداً بين القباب الساترة شموساً ؟ لا خائفاً عتباً . يقول : لم وأمن ولا مترقباً ، وعدل الحصول : الاتصال ، وانتظام الشمل بالأحباب .

ومما نظمنا في هذا الباب قولنا :

بأبي الغصون المائسات عواطفاً ... العاطفات على الخدود سوالفا
المرسلات من الشعور غدائراً ... الليّنات معاقـداً ومعاطفا
الساحبات من الدلال دلادلاً ... اللابسات من الجمال مطارفا
الباخلات بحسنهنّ صيانـةً ... الواهبات متالداً ومطارفا
المونقات مضاحكاً ومباسماً ... الطيبات مقبـلاً ومراشفا
الناعمـات مجرّداً والكاعبا ... ت مهنداً والمهديات طرائفا

الخالبات بكل سحرٍ معجب عند الحديث مسامعاً ولطايفا
الساترات من الحياء محاسناً تسبي بها القلب التقي الخائفا
المبديات من الثغور لألئاً تشفي بريقتها ضعيفاً تالفا
الراميات من العيون رواشقاً قلباً خبيراً بالحروب مثاقفا
المطلعات من الجيوب اهلةً لا يلفين مع التمام كواسفا
المنشيات من الدموع سحائباً المسمعات من الزفير قواصفا
يا صاحبي بمهجتي خمصانة اسدت الي أياديا وعوارفا
نظمت نظام النمل فهي نظامنا عربية عجماء تلهي العارفا
مهما رنت سلت عليك صوارماً ويريك مبسمها بريقاً خاطفا
يا صاحبيّ قفا بأكناف الحمى من حاجرٍ يا صاحبي قفا قفا
حتى اسائل أين سارت عيسُهمْ فقد اقتحمتُ معاطباً ومخاوفا
وقطعت أبغي رسم دار قد عفى من أجلهنّ مهالكاً ومتالفا
ومعالماً ومجاهلاً بشملة تشكو الوجا وسباسباً وتنايفا
مطوية الأقراب أذهب سيرها بجثيثه منها قوًى وسدايفا
حتى وقفت بها برملة حاجر فرأيت نوقاً بالأهيل خوالفا
يقتادها قمرٌ عليه مهابة فطويت من حذر عليه شراسفا
قمرٌ تعرّض للطواف فلم أكن بسواه عند طوافه بي طائفا
يمحو بفاضل برده آثاره فتحار لو كنت الدليل القائفا

ولنا من هذا الباب :

ثلاث بدور ما يزن بريبة خرجن الى التنعيم معتجرات
حسرن عن أمثال الشموس اضاءة ولبّين بالأهلال معتمرات
وأقبلن يمشين الرويد كمثلما تمشي القطافي الحف الحبرات

ولنا من هذا الباب ايضاً :

قف بالمنازل واندب لا للألا ... وسل الربوع الدارسات سؤالا
أين الأحبة أين سارت عيسُهم ... هاتيـك تقطع في البياب الآلا
مثل الحدائق في السراب تراهم ... للأل تعظم في العيون الآلا
ساروا يريدون العُذيب ليشربوا ... ماءً بـــه مثل الحياة زلالا
فقفوت أسأل عنهم ريح الصَّبا ... هل خيموا واستظلوا الضالا
قالت تركت على زرود قبابهم ... والعيس تشكو من سراه كلالا
قد أسدلوا فوق القباب مصاونا ... يسترن من حرّ الهجير جمالا
فانهض اليهم طالبـــاً آثارهم ... وارقـل بعيسك نحوهم أرقالا
فاذا وقفت على معالم حاجرٍ ... وقطعت أغواراً بهـــا وجبالا
قربت منـازلهم ولاحت نارهم ... ناراً قـد أشعلت الحشا اشمالا
فانخ بهـــا لا يرهبَنك أسدها ... فالاشتياق يريكها اشبـــالا

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ، ما حدثنا به عبدالله بن الاستاذ المروزي قال : رأى بعض الفقراء في واقعته الشيخ أبا مدين ، ومعه ثلاثة من الصوفية، فيهم أبو حامد ، وهم جلوس، فقدم لهم صحفة فيها ثريد ، فأكلوا، ثم حمدوا ، وأثنوا . ثم قال أبو حامد : يا أبا مدين نحب غذا الروح ، فقال لهم : سرّي مسرور بأسرار ، تستمد من البحار الآلهية الأبدية الأزلية التي لا ينبغي كشفها ، ولا يجوز بثها لغير أهلها ، إذ العبارة والإشارة تعجز عن دركها ، وأبت الغيرة إلا سترها ، هي البحار المحيطة بالوجود ، لا يلجها إلا من وطنه مفقود ، وفي عالم الحقيقة بسرّه موجود ، يتقلب بالحياة الأبدية ، وينطق بالعلوم الأزلية ، فهو بجسمه ظاهر ، وبسرّ حقيقته ظافر ، يطير في عالم الملكوت ، ويسرح في عالم الجبروت ، تخلق بالأسماء والصفات ، وفـي

عنها بمشاهدة الذات ، هناك قراري ، ووطني ، وقرة عيني ، وسكني ، به دام فرحي ، وهو علانيتي وسرّي ، والممدّ لوجودي ، ومالكي ، ومعبودي ، أظهر في وجودي قدرتــه ، ورتب في بدائع صنعه حكمته ، فهـو الباطن الظاهر ، الملك القاهر ، فمن رقت همته عـن ملاحظة نفسه ، لم يلتفت الى غده وأمسه ، وإنمـا هو ابن وقته ، بالحق سبحانه يجري علمه أفعاله ، وهو راض به مسروراً ، إذ لم يكن شيئاً مذكوراً ، فمن نزّه أقواله ، وأفعاله ، فقد صفى همته ، وأحواله ، فمن كان نطقه به ، يصول ، ومن كان هو دليله ، فقد نال الوصول ، ومن حقق نظره به ، يسمع وبـه يقول ، ويسمع عنه ، ويسأل به منه ، إذ الوجود كله فاني والباقي فيه المعاني ، به كل شيء يعرف ، ولولاه لم يفهم ، ولم يوصف ، فهو المظهر سبحانه للأكوان ، وسرّ السرائر ، ومظهر الاعلان ، فرحمته لخلقه عامة ، ونعمته لهم شاملة تامة ، فهم فيهـا يغدون ويروحون ، وبأسباغها عليهم ظاهرة وباطنـة يتنعّمون ، فكل شيء بجملتها يشهد له بالوحدانية ، ويقرّ له بالحدوث والعبودية ، هو سبحانه منطقها بكرمه ومجده ، وإن من شيء ألا يسبح بحمده .

وأنشدنا من كتاب ابن زنجويه :

أيا عجبـاً كيف يعصى الآ ... ه' أم كيف يجحده الجـاحد
ولله في كل تحريـكة ... وتسكينة عـالم شاهد
وفي كل شـيء له آيـه ... تـدل على أنـه واحد

ذكر ما قيل على لسان الحرمين وحكم الجدي بينهما :

حدثنا محمد بن اسماعيل ، نبأ الحسن بن علي ، نبأ الحسن بن مخلف بن هبة الله قاسم الشامي ، نبـأ الحسن بن احمد بن فراس ، نبأ أبي عن أبيـه ابراهيم

ابن فراس ، عن ابي محمد اسحاق بن نافع الخزاعي ، عن ابراهيم بن عبدالرحمن المالكي ، عن محمد بن العباس المكي ، قال : أخبرني بعض مشايخي المكيين : أن داود بن عيسى بن موسى ، لما ولي مكة والمدينة ، وأقام بمكة ، وولي ابنه سليمان المدينة ، فأقام بمكة عشرين شهراً ، فكتب اليه أهل المدينة ، وقال الزبير بن أبي بكر : كتب اليه يحيى بن مسكين بن أيوب بن محراق ، يسأله التحوّل اليهم ، ويُعلمونه ان مُقامه بالمدينة افضل من مقامه بمكة . وأهدوا اليه في ذلك شعراً .

قال شاعرهم يقول فيه :

أداودُ قد فزت بالمكرمات ... وبالعدل في بلد المصطفى
وصرت ثمالاً لأهل الحجاز ... وسرت بسيرة اهل التقى
وأنت المهذّبُ من هاشمٍ ... وفي منصب العزّ والمرتجى
وأنت الرضا للذي نابهم ... وفي كل حال ونجل الرضا
وبالفيء أغنيت اهل الخصاص ... فعدلك فينا هو المنتهى
ومكة ليست بدار المقام ... فهاجر بهجرة من قد مضى
مقامك عشرون شهراً بها ... كثير لهم عند اهل الحجا
فضم بلاد الرسول التي ... بها الله خصّ نبيّ الهدى
ولا يفتننّك عن قربه ... مشير مشورته بالهوى
فقبر النبيّ وآثاره ... أحقّ بقربك من ذي طوى

قال : فلما ورد الكتاب ، والأبيات ، على داود بن عيسى ، ارسل الى رجال من اهل مكة ، فقرأ عليهم الكتاب ، فأجابه رجل منهم ، يقال له عيسى بن عبد العزيز السلعوسي ، بقصيدة يردّ عليه ، ويذكر فيها فضل

مكة ، وما خصّها الله تعالى بـــه من الكرامة والفضيلة ، ويذكر المشاعر والمناقب ، فقال :

أداودُ أنت الإمام الرضى ... وأنت ابن عم نبي الهدى
وأنت المهذب من كل عيب ... وكبر ومن قبله في الصبا
وأنت المؤمّل من هاشمٍ ... وأنت ابن قومٍ كرامٍ تقى
وأنت غياث لأهل الخصاص ... تسدّ خصاصتهم بالغنى
أتاك كتابُ حسودٍ جحود ... أساء في مقالته واعتدى
يخيّر يثرب في شعره ... على حرم الله حيث ابتنا
فإن كان يصدق فيما يقول ... فلا يسجدن الى هاهنـــا
وأي بلادٍ تفوق أمهـــا ... ومكة مكة أم القرى
وربي دحى الارض من تحتها ... ويثرب لا شك فيها دحا
وبيت المهيمن فينا مقيمٌ ... نصلي اليـــه برغم العِدا
ومسجدنا بيّنٌ فضـــله ... على غيره ليس في ذا مِرا
صلاة المصلـــي تعدّ له ... مئين ألوفاً صلاة وفـــا
كذاك أتى في حديث النبي ... وما قال حقٌ به يقتدى
وأعمالكم كل يومٍ وفودٌ ... الينا شوارع مثل القطا
فيرفع منها إلهي الذي ... يشاء ويترك ما لا يشا
ونحن تحجّ الينـــا العباد ... فيرمون شعثاً بوتر الحصى
ويأتون من كل فجّ عميق ... على انيق ضمّر كالقنـــا
ليقضوا مناسكهم عندنا ... فمنهم سُعاة ومنهم معّا
فكم من ملبّ بصوت حزين ... يرى صوته في الهوى قد علا
وآخر يذكر رب العباد ... ويثني عليه بحسن الثنا

فكلهم أشعث أغبرٌ   يؤمّ المعرّف أقصى المدا
فظلوا به يومهم كله   وقوفاً يضجّون عند المسا
حُفاة عراة فيا ما لهم   عجيب ينادون رب السما
رجاء وخوفاً لما قدّموا   وكلا يسائل دفع البلا
يقولون يا ربنا اغفر لنا   بعفوك والصفح عمن أسا
فلما دنا الليل من يومهم   وولى النهار أجدّوا البكا
وسار الحجيج اليهم دُجىً   فحلوا بجمع بُعيد العشا
فباتوا جميعاً فلما بدا   عمود الصباح وولى الدجا
دعوا ساعةً ثم شدّوا الشسوع   على قلص ثم أمّوا منا
فمن بين من قد قضى نسكه   وآخر يبدأ بسفك الدما
وآخر يهوى الى مكة   ليسعى ويدعوه فيمن دعا
وآخر يرمل حول الطواف   وآخر ماض يؤم الصفا
فأبوا بأفضل مما رجوا   وما طلبوا من جزيل العطا
وحجّ الملائكة المكرمون   الى ارضنا قبل فيما مضى
وآدم قد حجّ من بعدهم   ومن بعدهم احمد المصطفى
وحج الينا خليل الإله   وهجر بالرمي فيمن رمى
فهذا لعمري لنا رفعة   حبانا بهذا شديد القوى
ومنا النبي نبي الهدى   وفينا تنبّا ومنا ابتدى
ومنا ابو بكر ابن الكرام   ومنا ابو حفصٍ المرتجى
وعثمان منا فمن مثله   اذا عدّد الناس اهل التقى
ومنا علي ومنا الزبير   وطلحة منا وفينا انتشا
ومنا ابن عباس ذي المكرمات   نسيب النبي وحلف الندا
ومنا قريش وآباؤها   ونحن الى فخرنا المنتهى

ومنا الذين بهم تفخرون ... فلا تفخرون علينا بنا
ففخر أولاء لنــا رفعــة ... وفينا من الفخر ما قد كفى
وزمزم والحجر فينا فهل ... لكم مكرمات كما قد لنا
وزمزم طعم وشربٌ لمن ... أراد الطعام وفيه الشفا
وزمزم ينفي هموم الصدور ... وزمزم من كل سقم دوا
ومن جاء زمزم من جائع ... اذا ما تضلع منه اكتفى
وليست كزمزم في ارضكم ... كما ليس نحن وأنتم سوا
وفينا سقاية عم الرسول ... ومنها النبي امتلا وارتوى
وفينا المقام فاكرم به ... وفينا المحصّب والمنحنا
وفينا الحجون ففاخر به ... وفينا كداءٍ وفينا كدا
وفينا الأباطح والمروتين ... فبخ فبخ فمن مثلنا
وفينا المشاعر منشا النبي ... واجياد والركن والمتّـكا
وثور فهل عندكم مثل ثور ... وفينا ثبيرٌ وفينا حِرا
وفينا اجتبى نبي الإله ... ومعه ابو بكر المرتضى
فكم بين أحدٍ دجا فاخر ... وبين القبيس فيما ترى
وبلدتنا حرم لم تزل ... محرّمة الصيد فيما خـلا
ويثرب كانت حلالاً فـلا ... تكذّبن كم بين هذا وذا
فحرمها بعــد ذاك النبي ... فمن اجل ذلك جاز كذا
فلو قتل الوحش في يثربٍ ... لما فدى الوحش حتى اللقا
ولو قتلت عنــدنا نملة ... أخذتم بها او تؤدّوا الفدا
ولولا زيارة قبر النبي ... لكنتم كسائر من قد بدا
وليس النبي بهـــا ثاوياً ... ولكنه في جنان العلا
فإن قلت قولاً خلاف الذي ... أقول فقد قلت قول الخطا

فلا تفحشن علينا المقـال ... ولا تنطقنّ بقول الخنا
ولا تفخرن بما لا يكون ... ولا ما يشينك عند الملا
ولا تهجُ بالشعر ارض الحرام ... وكف لسانك عن ذي طوى
وإلا لجاءك ما لا تريـد ... من الشتم في ارضكم والاذى
وقد يمكن القول في ارضكم ... بسببّ عقيق ووادي قبا

فأجابها رجل من بني عجل ناسك كان مقيماً بجـــدة مرابطاً هناك فحكم بينهما فقال :

اني قضيت على اللذين تماريا ... في فضل مكة والمدينة فأسألوا
فلسوف اخبركم بحق فافهموا ... فالحكم حيناً قد يجور ويعدلُ
فأنا الفتى العجليّ جدة مسكني ... وخزانة الحرم التي لا تجهل
وبها الجهاد مع الرّباط وانها ... لبها الوقيعة لا محالة تنزل
من آل حام في أواخر دهرها ... وشهيدها بشهيد بدر يعدل
شهداؤنا قـد فضّلوا بسعادة ... وبها السرور لمن يموت ويقتل
يا أيها المدني ارضك فضلها ... فوق البلاد وفضل مكة افضل
ارض بها البيت المحرّم قبلة ... للعـالمين له المساجـد تعدل
حرمٌ حرامٌ ارضها وصيودها ... والصيد في كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلهـا ... والى فضيلتها البريّة ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مترعاً ... والحجر والركن الذي لا يجهل
والمسجد العالي الممجّد والصفا ... والمشعران ومن يطوف ويرمل
هل في البلاد محلة معروفـة ... مثل المعرّف اذ يحل محلل
او مثل جمع في المواطن كلها ... اومثل خيف منىً بأرض منزل
تلكم مواضع لا يرى محرابها ... إلا الدعاء ومحرمٌ ومحلل

شرفاً لمن وافى المعرّف ضيعة … شرفاً له ولأرضه اذ ينزل
وبمكة الحسنات يضعف أجرها … وبها المُسيء عن الخطيئة يُسئل
يجزي المسيء على الخطيئة مثلها … وتضاعف الحسنات منه وتقبل
ما ينبغي لك ان تفاخر يا فتى … أرضاً بها ولد النبي المرسل
بالشعب دون الروم مسقط رأسه … وبها نشا صلي عليه المرسل
وبها أقام وجاءه وحي السما … وسرى به الملك الرفيع المنزل
ونبوّة الرحمن فيهـا أنزلت … والدين فيها قبـل دينك اول
هل بالمدينة هاشمي ساكن … او من قريش ناشيء او مكهل
إلا ومكة أرضه وقراره … لكنهم عنها نبوا فتحولوا
فكذاك هاجر نحوكم لما أتى … ان المدينة هجرة فتحملوا
فأجرتم وقريتم ونصرتم … خير البرية حقكم ان تفعلوا
فضل المدينة بيّنٌ ولأهلهـا … فضل قـــديم نوره يتهلل
من لم يقل ان الفضيلة فيكم … قلنا كذبت وقول ذلك أرذل
لا خير فيمن ليس يعرف فضلكم … من كان يجهله فلسنا نجهل
في ارضكم قبر النبي وبيته … والمنبر العالي الرفيع الأطول
وبهـا قبور السابقين بفضلهم … عمر وصاحبه الرفيق الأفضل
والعترة الميمونة اللاتي بهـــا … سبقت فضيلة كل من يتفضل
آل النبي بنوا عليّ انهم … أمسوا ضياء للبرية يشمل
يا من تبضّ الى المدينة عينه … فيك الصغار وصغر خدك أسفل
إنا لنهواها ونهوى أهلهـــا … وودادها حق على من يعقل
قل للمديني الذي يزدار دا … ود الامير ويستحث ويعجل
قد جاءكم داود بعد كتابكم … قد كان حبلك في اميرك يفتل
فاطلب اميرك واستزره ولا تقع … في بلدة عظمت فوعظك افضل
ساق الإله لبطن مكة ديمة … تروي بهـا وعلى المدينة تسبل

قلت : اذكر الجبل الأمين الذي هو ابو قبيس وكان اولاً اسمه الأمين . فإنه أودع الله فيه الحجر الاسود الى زمن ابراهيم عليه السلام . فلما بنى البيت ناداه الجبل ، لـك عندي وديعة مخبوءة من زمن الطوفان ، فأعطاه الحجر الاسود ، وانما حدث له اسم ابي قبيس برجل بنى فيه داراً يسمى ابو قبيس . فسمى به الجبل ، وكان اسمه الامين ، فغلبت عليه اسم ابي قبيس . واذكر سواد الحجر ، وصلابته ، وتعظيمه ، وتقبيله ، وفضل ما جاء فيه من كونه يمين الله ، والسجود عليه ، وغير ذلك . وعددها احد عشر بيتاً ، وهي :

وبالجبل الأمين يمـين ربي ... قد اودعه به الروح الأمينُ
الى ان جـاء ابراهيمُ يبني ... مكان البيت ناداه الأمين
لديّ وديعة خُبئت زمانـاً ... مطهَّرة يقال لهـا اليمين
فخذهـا يا خليل الله تربح ... فهذا السوق والثمن الثمين
وكبّر واستلم واسجد وقبّل ... ليشرف عند سجدتك الجبين
وقل هـذا اليمين يمين ربي ... وإني الوالهُ الدنِفُ الحزين
ينادي من طباق القرب عبدي ... أتاك المجـدُ والعزّ المكين
ولبّتك المشاعر والمساعي ... وقال بفضلك البـلد الامين
ألا أيهـا الحجرُ المعلّى ... تغيّر وجهك الغض المصون
سوادك من سويدا كل قلبٍ ... ويبسك من قساوتها يكون
يهون عليّ فيك سوادُ عيني ... اذا بخلت بأسودها العيون

ولنـا ايضاً في الحجر ومبايعته بالتقبيل . ونبّهت فيها على رتبة المعرفة والمعارف :

يمين المؤمن الركن اليماني ... أبايعه لأحظى بالأماني
يمين ما لها حجبٌ تعالت ... عن الحجّاب والحجب المباني

آمنتُ بلثمها من كل سوءٍ		يصيّرني الى دار الهوانِ
فانعم بالكثيب وساكنيه		على مرأى من الحور الحسانِ
تنادي من اريكتها تأملْ		جمالاً ما له في الحسن ثاني
فليس الزهد في الاكوان شيئاً		لأن الكون من سر العيانِ
فلا أنوي ولا أرعيه سمعي		فاحجب بالمغانِ عن المعاني

ولنا في الفرق بين داخل الكعبة وخارجها وما يتعلق من المعرفة بذلك:

ما داخل البيت مثل خارجه		يعمّـــه داخـــلاً برحمتهِ
وما خارج البيت ان نوى جهة		منه له مـــا نوى بهمّتهِ
مـــا يبتدي من سرّه علمٌ		إلا لمن يعترف بنعمتـــه
فاز بما في الغيوب من عجبٍ		مَن فاز من بيته بحرمته

وُجد بالمدينة ورقة طمست كتابتها إلا اربعة ابيات وهي :

دع الأتراك والعَرَبا		وكنْ في حرب مَن غلبا
فقد قـــال الذين مضوا		الى رجَبٍ ترى العجبا
بمكة اصبحت فتنٌ		تجرّ الويل والخرَبا
وإنـــ تعطب فوا أسفا		وإنـــ تسلم فواعجبا

وأنشدني محمد بن ابي بكر لأبي النصير الأسديّ في الوطن :

أحبّ بلاد الله ما بين ضارج		الى قفواتٍ إذ تسحّ سحابُها
بلادٌ بها نيطت عليّ تمائمي		وأول ارضٍ مسّ جلدي ترابُها

ومن ذلك قول حبيب بن اوس :

كم منزل في الارض يألفه الفتى		وحنينه ابداً لأول منزلِ
نقّل فؤادك حيث شئت مع الهوى		ما الحب إلا الحبيب الأولِ

شرح :

اول منزل حضرة الميثاق الاول حيث كان الصفا الذي لم يشبه كدر . فلما انتقلوا في الاطوار الوجودية ، تحنّ نفوس العارفين الى أوّليتها العلي . ومكانتها الزلفى ، وسدرتها المنتهى .

ومن سماعهم على قول ابراهيم بن صول :

باتت تشوّقني برَجع حنينها   وأزيدها شوقاً برجع حنيني
نضوين مفتريين بين مهـامهٍ   طوّيا الضلوع على هوىً مكنونِ
لو سويلت عنا القلوص لاخبرت   عن مستقرّ صبابة المحزونِ

تفسيره :

حنين النفس للروح ، وحنينه لها نضوّين من عـــالم اللطف ، مفتريين وجودهم في عـــالم الابدان ، بين مهامه مقامات التبرّي ، طوايا الضلوع على لطف الهمم على الحب الخفي لو سويلت الخواطر على محل رقة العشق، لأخبرت بما هما عليه من الجوى ، والتلهف .

نصيحة عليم ومقالة حكيم :

روينــا من حديث الدينوري عن يوسف بن عبد الله ، عن عثمان بن السمرقندي ، عن عوف ، عن الحسن ، انه قــال : من استتر عن طلب العلم بالحياء لبس الجهل سربالاً ، فقطّعوا سرابيل الحياء ، فإنه من رقّ وجهــه رقّ علمه . ومن حديثه ايضاً ، عن محمد بن يونس ، عن محمد بن الحارث ، عن المدائني ، قال : قال بعض الحكماء : لا تقل فيما لا تعلم ، تجهل فيما تعلم .

قال الدينوري : أنشدنا محمد بن صالح :

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلد   واعلم بأن المرء غير مخلدِ
واصبر كما صبر الكرام فإنها   نوبٌ تنوب اليوم تنكشف في غدِ
واذا ذكرت مصيبة تشجى بها   فاذكر مصابك بالنبي محمد

ومن باب حنين الابل وسيرها قول الاديب مهيار الديلمي :

تمدّ بالآذان والمناخر   لحاجر كيف لها بحاجرْ
تقدّها عنه أحاديث الصبا   ولا نبات في الشحاب الباكر
ارض بها السابغ من ربيعها   او شوقها المكنون في الضمائر
وحيث دنّت ورنت بغامها   وبركت تفحص بالكراكر
فهل لها فهل لمن تحمله   من عاشق يحمله او زاجر
فإنها من حبها نجداً ترى   في عشب الفور شمار الغادر
يا ليت شعري والمنا تعلمه   هل بمنى لعهدنا من ذاكر
في الصوف والعرياء لي عندكم   قلب يصاح ما له من ناصر
أما قرى الباري الكريم او فردّوه الى أربابه بالحاضر

ومن هذا الباب :

يغرّها عن وردها بحاجر   شوق يعوق الماء في الخناجر
ورُدّها على الطوى سوابغاً   ذلّ الغريب وحنين الذاكر
مغرورة الأعين من أحبابها   بخالب الايماض غير ماطر

ومن هذا الباب :

أولى لها ان ترعوي نفارها   وان يقرّ بالحمى قرارها
ترعى وتروي ناضياً وناصعاً   وللرعاة بعدها اسارها

حتى تروح ضخمة جنوبها ... وانمــــا يحضّها أوبارها
وكيف لا وماء سلع ماؤها ... معلوة والعلمان دارها

ومن هذا الباب :

دعوها ترد بعدخمس شروعاً ... وارخوا ازمتها والنسوعا
وقولوا دعاء لها لا عقرت ... ولا امتد دهرك إلا ربيعا
حملن نشاوى بكأس الغرام ... وكل غدا لأخيه رضيعا
فأحيوا فؤادي ولكنهم ... على صيحة البين ماتوا جميعا
حموا راحة البين أجفانهم ... ولفّوا على الزفرات الضلوعا
أسكان رامة هل من قرىً ... فقد دفع الليل ضيفاً قنوعا
كفاه من الزاد ان تمهدوا ... له نظراً وحديثاً وسيعا

ومن هذا الباب :

حبّ اليها بالغضا مرتبعا ... وبالنخيل مورداً ومشرعا
وبالأثيلات النقا ظلالاً ... تفرشها كراكراً وأضلعا
متى لها لو جعل الدهر لها ... ان تأمن المطرد والمزعزعا
عزّت فما زال بها جور النوى ... والبيد حتى أذعنت ان تخضعا
الله يا ساقيها فإنهــــا ... جرعة خيف ان تجوز الاجرعا
اسل بها الوادي رفيقاً انما ... يسيل منها أنفساً وأدمعا

ومن هذا الباب :

دعت من تبالة جعداً لفيفا ... وسبطاً يرف عليها رفيفا
وحنّت لأيامها بالبطاح ... فمدّت وراء ضليف ضليفا

وساق لها فارس الانتجاع ... من حيث حنّت نميراً وديفا
تراود أيديها في الرّوبد ... ويأبى لها الشوق إلا الوجيفا
فهل في الخيام على المأزمين ... فلبّ يكون عليها عطوفا
وهل بان سلع على العهد منه ... يحلو ثماراً ويدنو قطوفا

ومن هذا الباب :

ردّ لها خلفَ الغمام فسَقا ... ومدمن ظلّ عليها ما وقا
فغنّ بالجرعاء يا سائقهـــا ... فإن وَنَت شيئاً فردها الابرقا
واعن عن السياط في ارجوزة ... بحاجر ترى السهامَ المُرقا
وكلما تزجرها حداتها ... رعى الحمى ربّ الغمام وسقا
حواملاً منها هموماً ثقلت ... وأنفساً لم تبق إلا رمقاً
تحملنا وان وناء اوضنا ... وان هيين أذرعاً وأسْوقا
دام عليها الليل حتى اصبحت ... تحسب نحو ذات عرق مسعقا
وداميات لا يؤدين دمـــاً ... ولا يبالين أسال أم رقا
وقفن صفاً فرأين شوكاً ... من القلوب فرمين طلقا
عرّج على الوادي فقل عن كبدي ... للبان ما شئت الجوى والحرقا
واحجر على عينيك حفظاً أن ترى ... غصنين منه دنيا فاعتنقا
فطالما استظللته مصطحباً ... سُلافة العيش به مغتبقا

ولنا من هذا الباب فيما يستحسن من صفات النساء :

هي الغادة الخود اليحيدات والرداح ... خدلجة ممكورة ثغرها أقاح
وهركولة رعبوبة ثم بضّة ... وهيفاء املود يمايسه الرياح
برهرهة ممسودة ثم طفلة ... وعطيولة تزهو اذا ذكر الملاح

هي الرود والعطبول بهنانة ترى   لها خفراً فهي النوار من السّفاح
وغانية غيظاء غيـدا خريدة   كعوب من الاعراب خمصانة الوشاح
مهفهـة شنباء معسولة اللمى   مقبّلها عذب فقبّل ولا جناح

شرحه :

الغادة ، والأملود ، والرؤد ، والطـّفلة : بفتح الطاء كلها النـــاعمة . والخود: الحسنة الخلق. واليحيدات : التامّة القصب. والرداح : الثقيلة العجز والساقين . والأملودة : المطوية الخلق . والاقاح : نبات ابيض مشبه بالاسنان لبياضه . والهركولة: العظيمة الوركين . والرعبوبة : البيضاء الناعمة والبضة الرقيقة الجلد. والهيفاء : الضامرة البطن. ويمايسه: أي يمايله، مال الغصن ذ أماله الريح فمال. والبرهرة: الناعمة. والممسودة:الممشوقة وهي الطرية اللحم. والعطبولة:الطويلة العنق. والبهنانة: الطيبة الريح،وترى لها خفراً أي حياءً. والخفرة: الحيية . والنوار:النفور من الريبة ، ومنه النور سمي نوراً لأنه ينفر الظلمة . والسّفاح : الزنا ، يقول : إنها تنفر من مواضع الريب والغانية ذات الزوج تمدح به المرأة ، لأنها تستغني بجمالها وحسنها . والغيظاء : الطويلة . والغيد : التي في عنقهـا ميل عند الالتفات ، وهو مما يستحسن يصفها بلين العنق . والخريدة : مثل الخفرة وهي الحيية . والكعوب والناهد : التي صار نهدها كالكعب. والعَروب: ذات الحسن، فقوله: من الأعراب: من الحسان. والخمصانة : الضامرة ، وهي عكس المفاضة التي هي المسترخية البطن ، قـال امرء القيس :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة   ترائبها مصقولة كالسجنجل

الترائب:عظام الصدر. والسجنجل: المرآة. وخمصانة الوشاح : يعني لطيفة

الخصر. والمهفهفة: هي ضامرة البطن. والشنباء: التي لأسنانها بريق من صفائها. والشنب: بريق الاسنان. والظّلم: الذي يُرى كالماء يجري في صفاء الأسنان. ومعسولة اللمى، وعذب المقبّل، باب واحد، يريد أن ريقها كالعسل.

ومما نظمناه فيما يستقبح من صفاتهن قولنا في ذلك:

هي العفضاج بهصلة شريمُ   وبحترة ومومسة تؤومُ
ورضعاء هي الرشحاء ايضاً   وكرْواء ودفلسُ لا تقوم
وضهباء ولخناء عجوزٌ   فمنظرها ومخبرها ذميم

قوله هي العفضاج: المسترخية البطن. والبهصلة: القصيرة. وكذلك البحترة، والشريم: هي التي يتوصل اليها من يريدها. والمومسة: الفاجرة. والرضعاء، والرشحاء: الزلاّء. والكروى: الدقيقة الساقين. والدّفلس: الحمقاء. والضهباء: التي لا تحيض. واللخناء: المنتنة الريح.

ومما نظمنا فيما يستحسن من صفات الرجال قولنا في ذلك:

جوادٌ خضمّ أريحي حلاحل   هضوم وصنديد همام سُميدع
اريبٌ سريّ لوذعيّ ومدرة   منجد حجحاج زكي ومصقع
نهيك كمي رمى صمة نهمة   غشمشم شهمٌ باسل لا يروّع
اذا ذكر الأبطال فيحومة الوغا   هو الفحل إلّا أنه لا يزعزع

شرحه:

جواد: أي سخيّ. والخضم: الكثير العطية. والهضوم: الكثير الإنفاق. والأريحي: الذي يرتاح للعطاء. والحلاحل: السيد الوقور. والصنديد: الرئيس العظيم، وكذلك الهمام، والسّميدع، والجحجاح، والسرى،

والآريب : العاقل. واللوذعيّ: الذكي القلب. والمدرة: رأس القوم، ولسانهم. والمنجد: الذي جرّب الأمور، وكذلك النحنك، والمصقع. البليغ : الفصيح. والنهيك : الشجاع ، وكذلك البطل. والكمي ، والدمي ، والصمة، والنهمة، والباسل ، والغشمشم: الذي لا يرده شيء عما يريده. والشهم: الحديد القلب .

ومما نظمناه فيما يذمّ من صفات الرجال قولنا :

هذان نخيبٌ خبّأ الخربرم   وعتريف مجمع مائق ثم اميل
عيام وزميل وكلف ولعمط   وهلباجة غمرٌ وقدم وزمل
وفي خلقه لو تبتليه شراسة   ورعديد ما فوق وخب وأعزل

شرحه :

الهذان : الضعيف . وكذا الزمل ، والزميل ، والنخيب . والرعديد : الجبان . والخبا : مقصور الخبوب . والكلف والأميل: الذي لا يثبت على الخيل . والحز : البخيل . والبرم : اللئيم . والعتريف : الخبيث . والمجمع : والعدم . البعيد الفهم : والمائق. المدله العقل : وقد يكون من العشق والعبام الثقيل الجاهل . واللعمط : الحريص . والشراسة : سوء الخلق . والرجل شرس ، والمأفون : الضعيف العقل ، والرأي . والخب : المخادع . والأعزل: الذي لا سلاح معه .

ولنا في اللطائف الروحانية ، والإشارات العلوية :

حملن على اليعملات الخدورا   وأودعن فيها الدما والبدورا
وأوعدنَ قلبي أن يرجعوا   وهل تعِدُ الخودُ إلا غرورا
وحيث بعنا بهـا للوداع   فأذرت دموعاً تهيجُ السعيرا

فلما تولت وقـــد يممت تريـــد الخورنق ثم السريرا
دعوت ثبوراً على أثرهم فردّت وقالتْ أتدعو ثبورا
فلا تدعون بهـــا واحداً ولكننا أدعو ثبوراً كثيرا
ألا يا حمـــام الأراكِ قليلاً فمـــا زادك البين إلا هديرا
ونوحك يا أيّهذا الحمـــام يُثـير المشوق يهيج الغيورا
يذيبُ الفؤاد بذود الرقـــاد يضاعفُ أشواقنا والزفـــيرا
يحومُ الحمامُ لنوح الحمـــام فنسأل منـــه البقاء يسيرا
عسى نفحة من صبا حـــاجرٍ تسوق الينا سحابـاً مطيرا
نروي بهـــا انفساً قد ظمئن فمـــا ازداد سحبك إلا نفورا
فيا راعي النجم كن لي نديماً ويا ساهر البرق كن لي سميرا
ويا راقـــد الليل هُنـّيتهُ فقبل الممات عمرت القبورا
فلو كنت تهوى الفتاة العروب لنلت النعيم بهـــا والسرورا
تعاطى الحسان خمور الخمـــار تناجي الشموس تناغي البدورا

وصية نافعة نبوية :

حدثنا عبد الواحد بن اسماعيل بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن عمر بن عبد المجيد ، عن احمد بن محمد ، عن ابي نصر بن علي ، عن محمد بن احمد ، عن ابي الحسن الحافظ ، عن ابن درستوية ، عن علي بن عبد العزيز ، عـن ابي عبيد القاسم بن سلام ، عن عبد الله بن المبارك ، عن محمد بن ابي عدي، عن عبدالله ابن مرّة ، من ابي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : توبوا الى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمـــال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم ، وبـــين ربكم ، تسعدوا ، واكثروا الصدقة ، ترزقوا . وأمروا بالمعروف ، تخصبوا وانهوا عن المنكر تنصروا ، أيهـــا الناس : اكيسكم اكثركم للموت

ذكراً ، وأحزمكم ، احسنكم له استعداداً . الأوان من علامات العقل، التجافي عن داعي الغرور، والإنابة الى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور .

ومن باب الشكوى :

ومن عجب اني أحنُّ اليهم — وأسألُ شوقاً عنهم وهم معي
ومسكنهم عيني وهم في سوادها — وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

ولنا نظم ما يسمى به الرجل زوجته ه :

اذا قمت أدعو في اللبانة زوجتي — أنادي بأسماءٍ لهـا في صحيفتي
خليلي عرسي جنتي وضعينتي — رياضي وبيتي ظلتي وقعيدتي

ومما يكتبُ على القبر :

كنا على ظهرها والدهر في مهل — والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرّق الدهرُ بالتصريف الفتنا — فصار يجمعنا في بطنها الكفن

ومن ذلك اقول :

اقول وقد فاضت دموعي جمّة — أرى الأرض تبقى والإخلاء تذهب
إخلاي لو غير الحمام أصابكم — عتبتُ ولكن ما على الموت معتب

ومن ذلك :

عشتُ دهراً في نعـــيم — وسرور واغتبـــاط
ثم صار القـــبر بيتي — وثرى الأرض بساطي

ومن ذلك :

أيهـــا الواقف بالقبـ ـر عشاءً وسحر
ان في القبر عظاماً باليـــاتٍ وعــبر

حدثنا محمد بن اسماعيل ، عن الجمال بن علي ، عن ابن دينار، عن اسمعيل ابن محمد ، عن عبد العزيز بن احمـــد ، عن عبد الله بن محمد ، عن ابي سعيد الثقفي ، عن ذي النون ، قال : بينما انا اطوف بالبيت . وقد نامت العيون ، وإذا بشخص قد حاذى باب الكعبة وهو يقول : رب عبدك المسكين الطريد الشريد ، اسألك بالعُصبة التي مننتَ عليهم ، ومننتَ عـليّ برؤيتهم ، ألا أعطيتني ما أعطيتهم ، وسقيتني مـا أسقيتهم بكأس حُبك ، وكشفت عن قلوبهم أغطية الجهالة ، والحجب . فاكشف عن قلبي أغطية الجهالة والحجب، حتى تطير روحي بأجنحة الشوق اليك ، وأناجيك في رياض بهائك . ثم بكى حـــتى سمعت لدموعه وقعاً على الحصى . ثم ضحك قهقهة ، ومضى فتبعته ، وأنا اقول : اما مجنون ، وأما عارف. فخرج من المسجد وأخذ نحو خرابات مكة ، فالتفت فرآني ، فقال : ارجع يا ذا النون ، ألـك شغل ؟ قلت : من انت ؟ ومن القوم الذين سالت بحرمتهم ؟ قـال : قوم ساروا الى الله سير من نصب المحبوب بـــين يديه ، وتجرّدوا تجرّد من أخذته الربانية بحقوبه ، وأججت النار من أجله ، وقامت عليه قيامة الشقاء ، وهو مطلوب .

وحدثنا ابو محمد بن يحيى ، عن ابن منصور ، عن شجاح بن فارس ، عن هناد ، عن محمد بن علي ، عن احمـد بن محمد ، عن صالح بن محمد ، عن حمزة البرقي ، عن علي بن يعقوب ، عن محمد بن حسين ، عن ابن الشمطي ، قال : حججت في سنة جديدة، فبينما أنا أطوف بالكعبة ، إذ بصرت بجـــارية من

أحسن الناس وجهاً ، وهي تتعلق بأستار الكعبة ، وتقول : إلهي وسيدي أنا امتك الغريبة ، وسائلتك الفقيرة ، حيث لا يخفى عليك مكاني ، ولا يستتر عليك سوء حالي ، قد هتكت الحاجة حجابي ، وكشفت الفاقة نقابي ، وكشفت لها وجهاً عند الذل ، وذليلا عند المسئلة طال ، وعزّتك ما حجبه ماء الغنى ، وصانه ستر الحياة ، قد جمدت عني أكف المرزوقين ، وضاقت بي صدور المخلوقين ، فمن حرمني لم ألمه ، ومن وصلني وكلته الى مكافآتك . فدنوتُ منها ، وقلتُ لها : من أنت ، وممن أنت ؟ فقالت : اليك عني ، من قلّ ماله ، وذهبت رجاله ، كيف يكون حاله ؟ ثم انشدت :

بعض بنات الرجال أبرزها الدهرُ كما ترى وأحوجها
أبرزها من جليل نعمتها وابتزّها ملكها واخرجها
وطالما كانت العيون اذا ما بدت تستشفّ هودجها
إن كان قد ساءها وأحزنها فطالما سرّها وأبهجها
الحمد لله ربّ معسرة قد ضمن الله ان يفرّجها

قال : فسألت عنها ، فأخبرت انها من ولد الحسين بن علي رضوان الله عليهما .

وأنشدنا ابو الربيع بن خليل لأبي الفرج بن الجوزيّ الإمام الحافظ :

يا رفيقيّ قفا وانتظرا إن عيني لدموعي لا ترى
هل خبت نارهم او وقدت او جرى واديهم او اقفرا
إن قلبي فاته شرب الحمى فهو لا ينفعه ان يمطرا
آه من طيب ليالٍ سلفت كان كل الدهر فيها سحرا
أترى يرجع لي دهر مضى أترى ينفعني قولي ترى

وأنشدنا له ايضاً :

هل عند ربع عفا خبرٌ من الخبر　　من أين يعلم قفرٌ دارس الأثر
دع ماء عينيك واحلل من مرادمه　　فإنما خلقتْ للدمع والسهر
خلفت قلبي في الاضعان إذ نزلت　　بالمأذمين زمان النفر بالنفر
ورحتَ تطلبُ في ارض العراق ضحىً
ما ضاع عند منىً واعجب لذا الحوَر
لما طرقتُ النقا كان الفؤاد معي　　فضلٌ عني بين الضال والسمر
يا ارجل العيس يهنيك الرمال فما　　أعدو بوجدي غداً إلا على الأثر
عجبت من أرقٍ في الحي أزعجني　　فجاد جفني قبل الغيم بالمطر
قصائدي بدء آياتٍ وقد نزلت　　ريف العراق فنالت رقّة الحضر
طبع الرضي وعلم المرتضى جمعا　　في لفظ شعري وفحواه الى عمر

وأنشدنا له ايضاً :

الى كم اسائل هذي المغاني　　لقد نطقت لو فهمت المعاني
فما لك شغل بما انت فيه　　من الوجد عن ذكر ماضي الزمان
وكيف ووجدي لذكراك كأن　　أعاني لتذكاره ما أعاني
قفوا بي أحيي كثيب النقا　　فإن الكثيب لمن تعلمان
بكيت لمرّ زمان مضى　　فعين السماك او المر زمان
أنيسي لرامة عهد الحمى　　دعاني فوجدي به قد دعاني

وأنشدنا له أيضاً :

اذا جزتَ بالغور عرّج يميناً　　فقد انجد الشوق عنا يمينا
وسلّم على بانة الواديين　　فإن سمعت اوشكت ان تبينا

وملْ نحو غصن بأرض النقــا		وما يشبه الأيك تلك الغصونا
وصِحْ في مغـــانيهم أين هم		وهيهات أموا طريقاً شطونا
وروّ ثرى ارضهم بالدموع		وخلّ الضلوع على مــا طوينا
أراكَ يشوقك وادي الأراك		اللدّار تبكي ام الساكنينا
سقى الله مربعنـــا بالحمى		وإن كان اورث داءً فينــا
وعــاد له فوق داء الحب		رويداً رويداً بنا قد بلينا
لمن تعذلين ألا تعـــذرين		فلو قد نفعتِ دفعتِ الأمينا
اذا غلب الحب ضـــاع العتـــاب
تعبت [1] بقيت وأيقنت وأتعبت لو تعلمينا

حكى بعض السادة ، قال : خرجت حاجاً الى بيت الله الحرام ، فإذا أنا بسعدون المجنون قــد تعلق بأستار الكعبة ، يدعو ويتضرع ، ويقول : مَن أولى بالتقصير مني؟ وقد خلقتني ضعيفاً . ومَن أولى بالعفو منك؟ وأنت مولاي . قال : فدنوت منــه فإذا عليه جبة من صوف مرقعة بالأديم ، واذا على كمه الايمن مكتوب :

عصيتَ مولاك يا سعيدُ		ما هكذا تفعل العبيدُ
فراقب الله واخشَ منه		يا عبد سوءٍ غداً الوعيدُ

وعلى كمه الأيسر مكتوب :

يا مَن يرى باطن اعتقادي		ومنتهى الأمر في فؤادي
أصلح فساد الأمور مني		ولا تدَع موضعَ الفسادِ

فقلت : يا سعدون ، أنى الك هذه الحكمة والناس يزعمون انك مجنون ؟ فولـّى وهو يقول :

---

(١) في نسخة : بقيت وايقنت .

زعمَ النـاسُ انني مجنون كيف أصحو ولي فؤادٌ مصونُ
أ ِلفَ الحزن والبكا في الدياجي فهـو بالله مشفق محزون

ثم غاب عني . حدثنا احمد بن محمد كتابةً ، حدثنا محمد بن علي ، ثنا علي ابن محمد بن علي بن الطيب ، حدثنا ابن الهادي ، ثنا احمد بن سلام ، ثنا احمد ابن منيع ، ثنا ابو معاوية ، عن سليمان بن ابراهيم ، عن ابي صالح ، عن ابي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا خير في العيش إلا لعـالم ناطق ، او مستمع واعٍ . أيها الناس : انكم في زمان هدنة ، وإن السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد ؟ ويقربان كل بعيد ، ويؤتيان كل موعود ؟ فقال له بعض أصحابه : يا نبي الله ، ومـا الهدنة ؟ قال : دار بلاءٍ وانقطاع ، فـإذا إلتبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فإنـه شافعٌ مشفع ، وشاهدٌ مصدّق ، فمن جعله امامه ، قاده الى الجنة ، ومن جعله خلفه ، ساقه الى النار ، هو اوضح دليل الى خير سبيل ، من قال به ، صدق ، ومن عمل به ، أجر ، ومن حكم به ، عدل .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ ، قـال : رأى في واقعته بعض اصحابنا الشيخ أبا مدين ، وبعض الصوفية ، فسأله عن همته ، فقال : همتي بـه متعلقة ، وحقيقتي بنور جلاله مشرقه ، حضرته موضع انسي ، وملاحظة جماله عمرت حسي ، فالمحسوسات متحركة بأمر الأمراء ، والأمر صادر عن حكم القادر ، فأحكامه سبحانه جـارية على وفق سابقته في خلقه ، وعلى حكم ما قدّره في الأزل ، لا يتغير ولا يتبدل ، فكل ناطق به نطق ، وكل سامع به سمع ، وكل بصير به أبصر، وكل باطش به بطش ، فكل الحركات والسكنات له شاهده وما أمره فيها إلا واحده ،

فاختراعه للوجود من العدم ، تذكرة ، وبيان ، ورحمـــة منه ، وفضل ، وامتنان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

ثم قـــال : إسمع ، ليس الانسان إلا أن يصفي قلبه ، ويعلّق خصره ويحضر لبّه ، فيعثر على قول سيد البشر ﷺ . من عرف نفسه عرف ربه . فهذا اقصى درجات السر والعلن ، واليه الإشارات من جانب الطور الأيمن . فإذا صحت هذه المعرفة ، وصلت الى المعروف . وإذا نظرت الى غير هذا كنت الحير المتلوف، فهذه فروع تعرب لك عن اصولها ، وجمل تنزل بك عن فصولها . وتقرع سمعك بأطنابها . وأتوا البيوت من ابوابها فأتيان البيوت من ابوابها واجب والخلق حول البيت محجوب وغائب . فمن شأنه سبحانه ظهور الأسباب . وكل ما سواه جلّت قدرته حجاب . فكل من كشف له هذا الغطاء ، فقد أجزل له في العطاء .

ثم قال ابو مدين رضي الله عنه : يا من هو سري ، ويا من هو جهري ، ويا من به نفعي ، ويا من بـــه ضري ، ويا من به أقيم ، ويا من به اسري ، فأمنن عليّ بقرب تلم به فقرى .

دعاء بعض من تحجب عن الأبصار :

حدثنا يونس بن يحيى ، ثنا محمد بن ناصر، أنا ابن المبارك بن عبد الجبار ، أنا محمد بن عـلي بن الفتح ، أنا ابن اخي تميم ، ثنا ابن صفوان ، ثنا ابو بكر القرشي ، ثنا اسمعيل بن ابراهيم ، حدثني صالح المري ، عـن عبد العزيز بن ابي داود ، انـــه كان خلف مقام ابراهيم عليه السلام جالساً تجاه الكعبة ، فسمع داعياً يدعو بأربع كلمات ، فحفظها اعجاباً بها والتفت ان يرى احداً فلم يرَ احداً ، وهي : اللهم فرّغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما خلقته لي ، ولا تحرمني وأنا اسئلك . ولا تعذبني وأنا استغفرك .

خبر الذئب الذي شهد برسالة سيدنا محمد ﷺ :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن محمد بن ابراهيم ، ثنا ابو عروبة الحرّاني عـن يزيد بن محمد ، عن ابيه ، عن معقل بن عبيد الله ، عن ابن ابي حسين ، عن شهر بن حوشب ، عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ . قال : بينما اعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له ، إذ عدى ذئب عليه ، فأخذ شاةً من غنمه ، فأدركه الاعرابي ، فاستنقذها منه وهجهجه ، فعدا الذئبُ يمشي، ثم أقعى مستثفراً بذنبه، فقال : أخذت مني رزقاً رزقنيه الله ، قـــال : وأعجباً من ذئب مقع مستثفر بذنبه يخاطبني ، فقال : والله إنك لتنظر أعجب من ذلك ، قال : وما اعجب من ذلك . فقال رسول الله ﷺ : في التحلات بين الحرّتين، يحدث الناس عن نبأ ما سبق، وما يكون، بعد ذلك . فنعق الاعرابي بغنمه حتى ألجاها الى بعض المدينة ، ثم مشى الى النبي ﷺ حتى ضرب عليه الباب ، فلما صلى النبي ﷺ ، قال : ابن الاعرابي صاحب الغنم ، فقام الاعرابي ، فقال له النبي ﷺ : حدّث الناس بما سمعت، وما رأيت ، فحدّث الاعرابي الناس بما رأى من الذئب ، وسمع ، فقال النبي ﷺ : صدق الاعرابي ، آيات تكون قبل الساعة ، والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة حتى يخرج احدكم من اهله ، فتخبره نعله ، او سوطه ، او عصاه بما أحدث اهله بعده .

دحى الله الارض من تحت الكعبة :

روينا من حديث ابي الوليد محمــد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الوليد الأزرقي ، عن جده ، حدثنا سعيد بن سالم ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء عن ابن عباس، انه قال : لما كان العرش على الماء، قبل ان يخلق الله السموات

والأرض ، بعث الله ريحاً هفافة ، فصفقت المـــاء ، فأبرزت ، فأبدت عن خسفة في موضع البيت ، كأنها قبـــة ، فدحا الأرض من تحتها فمادت ، ثم مادت ، فأوتدها الله بالجبال ، فكان اول جبل وضع فيها ابو قبيس ، فلذلك سميت مكة ام القرى .

حسن عفو واعتراف :

روينا من حديث يوسف بن عبد الله ، عن عثمان بن الهيثم ، عن عوف ، قال : شم رجل الحسن ، وأربى عليه ، فقال : امـا أنت فأبقيت شيئاً ، وما يعلم الله اكثر . وأنشد لبعض الشعراء :

لن يدرك المجد اقوامٌ ذوو كرمٍ   حتى يذلوا وأن عزوا لأقوامِ
ويشتموا فترى الألوان مشرقةً   لأصفح ذلٍّ ولكن صفح احلام

في تقلب الأحوال وما تأتي به الأيام والليالي :

فيومٌ علينا ويومٌ لنا   ويومٌ نساءُ ويوم نسرُّ

روينا من حديث ابي الدنيا ، عـــن ابي زيد النمري عن ابي عبد الله ، أنشد لبعض الشعراء :

وليس الرزق في طلب حثيثٍ   ولكن ألق دلوك في الدلاءِ
تجيءُ بملئهـا طوراً وطوراً   تجيءُ بحماةٍ وقليل مـــاءِ

كمة لقهانية في النجاة :

روينا من حديث ابراهيم الحربي ، عن ابي ُحذيفة ، عن سفيان ، قال :

سئل لقمان الحكمة ، أي علم أوثق في نفسك ؟ قال : تركي مـــا لا يعنيني . وقد ورد بذلك الشرع ، من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

همة عليّة ويدٌ علوية :

روينا من حديث احمد بن محمد الواسطي . عن ابي حسق ، عن خلف بن تميم ، قـال التقى ابراهيم ابن أدهم : وشقيق بمكة ، فقال ابراهيم : لشقيق ، ما بدء امرك الذي بلغك هذا ؟ قال : مررت ببعض الفلوات ، فرأيت طيراً مكسور الجناحين في فلاة من الأرض ، فقلت : انظر ، من أين يُرزق هذا؟ فقعدت بحذائه ، فإذا أنا بطير قد أقبل في منقاره جرادة ، فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين . فقلت لنفسي : يا نفسُ ، ان الذي قيّض هــــذا الطير الصحيح ، لهذا الطير المكسور الجناحين ، في فـلاةٍ من الأرض ، هو قـــادرٌ أن يرزقني حيث كنت ، فتركت التكسب ، واشتغلت بالعبادة . فقال ابراهيم : يا شقيق، ولم لا تكون انت الطير الصحيح الذي اطعم العليل حتى تكون افضل منه ؟ اما سمعت عن النبي ﷺ : اليد العليا خير من اليد السفلى . ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في اموره كلهـــا حتى يبلغ منازل الأبرار . قال : فأخذ بيد ابراهيم فقبّلها ، وقال: انت استاذنا يا أبا اسحاق .

امثال منظومة ومنثورة كاللآلىء :

كان رسول الله ﷺ يتمثل بهذا البيت ، ويكسره عن وزنه ، فيقول :

كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا .

روينا من حديث النضر بن عبد الله ، عـن سليمان بن حرب ، عن حمّاد ابن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، ان رسول الله ﷺ ، وذكره ، والشعر لعبيد بن الخشخاش ، وكان يتمثل به ابو حصين :

هريرة ودع ان تجهزت غـاديا　　كفى الشيب والاسلام بالمرء ناهيا

وروينا ذلك من حديث الحارث ، عن احمد بن عبد الله بن يونس ، عن ابن شهاب ، عن ابي حصين . وكان بكار بن مالك يقول : في هـذه الآية ، وجاءكم النذير انه الشيب ، ثم ينشد :

رأيت الشيب من نذر المنايا　　لصاحبه وحسبك من نذير

وروينا ذلك من حديث اسماعيل بن اسحاق ، عن محمـد بن ابي بكر المقدسيّ ، عن حصين بن نمير ، عن بكار بن مالك .

مثل :

ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد . هـذا البيت لطرفة بن العبد ، وصدره : ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا .

مثل :

وعند جهينة الخبر اليقين . وهو رجل من جهينة ، مـا يسلم من جيش السفيانيّ الذي يخسف به بين مكة والمدينة إلا هذا الجهني .

مثل :

حسنٌ في كل عين من تودّ . ويقال : القرنبا في عين أمها حسنة .

مثل :

يقال : أطمع من اشعب . ويقال : أحذر من غراب . ويقال : أشغل من ذات النحيَين . ويقال : الصيف ضيّعت اللبن . ويقال : اقبح من عاشق مفلس . ويقال : اقبح من كل قبيح صوفي شحيح . ويقال : أوفى من السموْل . وأخطب من قسّ . وأفصح من سحبان . وأعيـا من باقل . وأبخل من مادر . وأشأم من قاذر ، يعني عاقر ناقة صالح . ويقال : اكرم من حاتم ، ومن معن بن زائدة . وأزكى من اياس . وأحكم من الاحنف . وأجود من الريح والغمام . ويقال : لو صحّ منك الهوى ارشدت للحيل . ويقال : ولا خير في حب يدبّر بالعقل . ويقال: الحب للنفوس من العقول . ويقال : كل البقل ولا تسأل عن المبقلة .

نظمه أبو بكر النويمي وأنشدني إياه بمكة :

كل البقل من حيث تؤتى به ولا تسألنّ عن المبقلهْ

وأنشدني ايضاً لنفسه :

إن الفقير هو الفقيه وأنه الراء رُدّت فالتقى طرفاها

وقيل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقيل :

أرى الطريق قريباً حين اسلكه الى الحبيب بعيداً حين انصرف

وقيل :

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضىً
فــأين حــلاوة الرسائل والكتب

وقال آخر :

كأنما الطيرُ منهم فوق رؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

ويقال : كلا طرفي قصد الأمور ذميم . نظمته فقلت :

جرى مثلٌ دلّ السماع مع الحجا عليه على مرّ الزمان قديمُ
توسط اذا ما شئت امراً فإنه كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

أردتُ بالسماع خير الأمور اوسطها ، وما ورد في القرآن من ذلك .

حكمة اديب ونصيحة لبيب :

إياك وصحبة الملوك ، فإنك إن لازمتهم ملّوك ، وإن تركتهم أذلّول . يستعظمون في الثواب رد الجواب ، ويستصغرون في العقاب ضرب الرقاب .

قال الحكيم : مثل السلطان ، مثل النار ، لا ينتفع به إلا على بعد .

خبر البيت المعمور :

اختلف الناس فيـه ، فقيل : هو في السماء السادسة ، وقيل : في السماء السابعة . وقال ابن عباس : البيوت اربعة عشر بيتاً ، لو سقط الأعلى منها ، لسقط على الذي تحته ، وكذلك ، كل بيت منها في السبع سماوات ، والسبع أرضين . وأن الله خلق لها خلقاً يطوفون بهـا على صورنا ، حتى أن فيهم ابن عباس مثلي ، وهذا البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون الف ملك ، لا يعودون فيه ابداً . روينا ذلك في الحديث الصحيح .

وذكر شيخنا ابو زيد السهيلي الضرير المالقي ، في الروض الآنف له في شأن هؤلاء السبعين الف ملك الذين يدخلون البيت المعمور، في حديث رويناه عنه ، يبلغ به النبي ﷺ : ان جبريل عليه السلام ، ينغمس كل يوم في نهر الحياة غمسة، ثم ينتفض فيقطر من انتفاضه من ذلك الماء سبعون الف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكاً ، فهم الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم .

روينا من حديث ابي الوليد ، قال : حدثنا علي بن هارون العجلي ، عن ابيه ، ثنا قاسم بن عبد الرحمن الانصاري ، حدثني محمد بن علي بن الحسين ، قال : كنت مع والدي علي بن الحسين عليهم السلام ، فبينا هو يطوف بالبيت ، وأنا وراءه ، إذ جاءه رجل شرجم من الرجال ، يقال له : طويل ، فوضع يده على ظهر ابي ، فالتفت ابي اليه ، فقال الرجل : السلام عليك يا ابن بنت رسول الله ، أريد ان اسألك ، فسكت ابي ، فردّ عليه السلام ، فقال : يا ابن بنت رسول الله اريد أن اسألك ، فسكت ابي ، وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من اسبوعه ، فدخل الحجر ، فقام تحت الميزاب ، فقمتُ انا والرجل خلفه ، فصلى ركعتي اسبوعه ، ثم استوى قاعداً . فالتفت اليّ فقمتُ فجلستُ الى جنبه . فقال : يا محمد أين هذا السائل ؟ فأومأتُ الى الرجل ، فجاء فجلس بين يديّ ابي ، فقال له ابي : عمّ تسالُ ؟ قال : اسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت ، لم كان ؟ وأنى كان ؟ وحيث كان ؟ وكيف كان ؟ فقال له ابي : نعم ، من اين انت ؟ قال: من اهل الشام . قال : اين مسكنك ؟ قال : في بيت المقدس . فقال : هل قرأت الكتابين ؟ يعني التوراة ، والانجيل ، قال الرجل : نعم . قال ابي : يا اخا اهل الشام احفظ ، ولا ترو عني إلا حقاً . أما بدء هذا الطواف بهذا البيت ، فإن الله تعالى قال للملائكة : اني جاعل في الارض خليفة ، فقالت:

أي رب خليفة من غيرنا ، ممن يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ويتحاسدون ، ويتباغضون ، ويتباغون . أي رب اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ، ولا نسفك الدماء ، ولا نتباغض ، ولا نتحاسد ، ولا نتباغى ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدّس لك ونطيعك ولا نعصيك قال الله تعالى : اني اعلم ما لا تعلمون . فظنت الملائكة انما قالوا ردّاً على ربهم . وإنه قد غضب من قولهم . فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرّعون ويبكون إشفاقاً لغضبه . فطافوا بالعرش ثلاث ساعاتٍ فنظر الله اليهم فنزلت عليهم الرحمة فوضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتاً على اربع اساطين من ذبرجد ، وغشاهن بياقوتة حمراء ، وسمّى البيت الضراح . ثم قال الله عزّ وجل للملائكة : طوفوا بهذا البيت ، ودعوا العرش . قال : فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش وصار اهون عليهم ، وهو البيت المعمور الذي ذكر الله عزّ وجل يدخله كل يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه ابداً ، ثم إن الله تعالى بعث ملائكته ، فقال : ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره . فأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور . فقال الرجل : صدقت يا ابن بنت رسول الله هكذا كان ، فهذا البيت الذي هو خامس خمسة عشر بيتاً ، اعني الكعبة ، سبعة فوقه ، وسبعة تحته ، وما نزل ملك قط من السماء الى الأرض لأمر إلا استأذن ربه في الطواف ببيته ، فهبط مهلّلا .

افصاح معجز بوعظ معجز :

روينا من حديث ابراهيم الحربي ، حدثنا داود بن رشيد ، قال : دخل ابن السماك على هارون الرشيد ، فقال : عظني ، وأوجز ، قال : ما اعجب

يا امير المؤمنين ما نحن فيه ، كيف غلب علينا حب الدنيا ؟ وأعجب ما نصير اليه ، غفلتنا عجيب ، لصغير حقير ، الى فناء يسير غلب على كثير طويل ، دائم غير زائل .

دعاء عبد مبتهل لرب عز وجل :

روينا من حديث عبد الله بن مسلم ، قال : حدثنا الرياشي، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : رأيت اعرابياً عند الملتزم يقول : اللهم لك عليّ حقوق ، فتصدّق بها عليّ وللناس عليّ تبعات ، فتحملها عني . وقد اوجبت لكل ضيف قرى ، وأنا ضيفك ، فأجعل قرائي الليلة الجنة .

نطق بكلمة صدق :

روينا من حديث ابراهيم ابن حبيب الحمامي ، عن عتبة بن الوليد ، قال: كانت امرأة من التابعين تقول : سبحانك ما اضيق الطريق على من لم تكن دليله ، وما اوحش الطريق على من لم تكن انيسه .

بكاء مفرط غير مفرط :

روينا من حديث العباس بن الفضل ، حدثنا داود بن رشيد قال : قال بشر بن الحارث : مررت على رجل من العباد بالبصرة ، وهو يبكي ، فقلت: ما يبكيك ؟ قال : ابكي على ما فرط من عمري ، وعلى يوم مضى من اجلي، لم يحسن فيه عملي .

موعظة اضطرار عند شد الاستار :

روينا من حديث احمد بن عبدان ، قال: حدثنا محمد بن منصور البغدادي

قال : دخلت على عبد الله بن طاهر ، وهو في سكرات الموت، فقلت السلام عليك ايها الأمير ، فقال : لا تسمني اميراً ، وسمني اسيراً ، ثم انشأ يقول :

بادرْ فقد أسمعك الصوت ان لم تبادر فهو الفوت
من لم تزل نعمته قبله أزال عنه النعمة الموت

لكل مقام مقال :

اخبرني احمد بن مسعود بن شداد المقري بالموصل ، قال : كان لي صاحب يقال له علي الدهان ، يمر بي كل ليلة بعد هزيع من الليل، وأنا بهذه المنظرة . وكان على شاطىء الدجلة ، فينادي : يا زكي ، فأقول : لبيك . فيقول : ما أحسن ما قال :

بالله يا ركبَ الحجاز تحمّلوا مني تحيــة مغرمٍ مشتاق
وقفوا على شاطىء الفرات وخبروا اني قتيل محاجر الاحداق

قال ابن مسعود : فلم يلبث ان مات فرأيته في المنام ، فقلت له : يا علي ما احسن ما كنت تأتيني في حياتك كل ليلة ، فتنشدني . وأنشدته البيتين ، فتبسم ، وقال : يا زكي لو سمعتني كيف انشدهما اليوم ؟ فقلت : وكيف تنشدهما رحمك الله ؟ فقال :

بالله يا ركبَ الحجاز تحمّلوا مني تحيــة مغرمٍ مشتاق
وقفوا على شاطىء الفرات وخبروا اني رهينُ جَنادلٍ وطباق

حالة تلحق الرجال والنساء حالة سواء :

روينا من حديث احمد بن محمد المزنيّ ، عن محمد بن كثير ، عن سفيان بن

طلحة ، عن الشعبي ، في رجل اوصى لأرامل بني فلان ، قال : الرجال ، والنساء ، فيه سواء . ثم قال سفيان الثوري :

تلك الأرامل قد قضيت حاجتها   فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

خليفة عدل قضاء واجب حق وفضل :

رحّب رسول الله ﷺ بابنة نبيٍّ كان قبله يقال له : خالد بن سنان ، قال لها حين علم بها : مرحباً بابنة نبيٍّ اضاعه قومه . ثم قصّ خبره . وكان رسول الله ﷺ يقول : اذا اتاكم كريم قومٍ فاكرموه . ولا كريم اكرم من آل محمد . كلهم كبير ، وليس فيهم صغير .

روينا من حديث عمران ، حدثنا عيسى ، ثنا ضمرة ، قال : قال عمر ابن عبد العزيز لبعض ولد الحسين بن علي بن ابي طالب : لا تقف على بابي ساعةً واحدة إلا ساعة تعلم اني فيها جالس ، فيؤذن لك عليّ وقت تأتي ، فافعل ، فاني استحي من الله ان تقف على بابي ، فلا يؤذن لك . وأنشد لبعضهم (١) :

قالوا يزورك احمدٌ وتزورُه   قلت الفضائل لا تفارق منزلهْ
ان زارني فبفضله او زرته   فلفضله فالفضل في الحالين لهْ

نظم هذا الشاعر قول القائل : ان زرتنا فبفضلك ، او زرناك فلفضلك . فلك الفضل زائراً ومزوراً .

---

(١) سمو الامام الشافعي رضي الله عنه .

ما ذكر من بعض صفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روينا من حديث محمد بن الحسين السكّريّ ، قال : قال العتبي ، عن ابيه ، قال معاوية لصعصعة بن صوحان : صف لي عمر بن الخطاب . قال : كان عالماً برعيته ، عادلاً في نفسه ، قليل الكبر ، قبولاً للعذر ، سهل الحجاب ، مفتوح الباب ، متحري الصواب ، بعيداً من الاساءة ، رفيقاً بالضعيف ، غير صخاب ، كثير الصمت ، بعيداً من العبث . قال احمد بن ملعاب : قال علي بن عبد الله ، قال سفيان بن عيينة : كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ، وهو على مصر : كن لرعيتك كما يحب لك اميرك .

وحدثنا ابو بكر بن خلف اللخمي استاذنا ، قال: لما مرض رسول الله ﷺ عاده ابو بكر الصديق رضي الله عنه . فشفي رسول الله ﷺ ، ومرض ابو بكر ، فعاده رسول الله ﷺ ، فشفي حين عاده ، كما مرض حين عاده ، فقال الصدّيق رضي الله عنه في ذلك :

مرض الحبيبُ فعدته ... فمرضتُ من حذري عليهِ
شفى الحبيبُ فعادني ... فشفيتُ من نظري اليهِ

وأنشدني ابو بكر بن محمد بن عيسى الاديب، الكاتب لجدّه ذي الوزارتين ابي الوليد مروان بن ابي العلاء بن زهير الحكيم رحمه الله . وكان قد استدعي الى مراكش ، وخلف ابناً له صغيراً كان يحبه لم يكن له غيره ، فقال في الحال :

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا ... صغيراً تخلّف قلبي لديهِ
نأت عنه داري فواحشتي ... لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تذكّرني وتذكّرته ... فيبكي عليّ وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا ... فمنه اليّ ومني اليه

تأسيس في حق الجليس :

روينا من حديث محمد بن الفرج الحجاج ، عن ابي جريج ، عن مجاهد ، قال : جلست الى ابن عمر وهو يصلي فخفف ، ثم سلم ، وانفتل ، ثم قال : ان حقاً او سنّة اذا جلس الرجل للرجل وهو يصلي ، التطوع ، أن يخفف ، وينفتل اليه .

مفـرد :

لا يدرك الناس ما قدمت من حسنٍ ولا يفوتك فـــيما قدّموا شرف

هذا البيت ذكره ابن قتيبة ، لكعب بن الأشرف ، في قتيبة بن مسلم .

خبر الطائر الطائف :

ذكر الازرقي في كتاب مكة، قال : جاء طائرٌ أشف من الكعبة شيئاً، لونه لون الحبرة بريشة حمراء ، وريشة سوداء . دقيق الساقين ، طويلهما ، له عنق طويل ، دقيق المنقار طويله ، كأنه من طير البحر ، يوم السبت لسبع وعشرين من ذي القعدة ، سنة ستٍ وعشرين ومائتين ، حين طلعت الشمس، والناس اذ ذاك في الطواف كثير من الحاج وغيرهم ، من ناحية اجياد الصغير، حتى وقع في المسجد الحرام قريباً من مصباح زمزم ، مقابـل الركن والحجر الاسود ، ساعة طويـــلة . ثم طار على صدر الكعبة ، في نحو من وسطها ، ما بين الركن اليماني ، والركن الأسود ، وهي الى الركن الاسود اقرب . ثم وقع على منكب رجل في الطواف ، عند الركن الأسود من الحاج . ثم مـن اهـل خراسان محرم يلبي وهو على منكبه الأيمن ، فطاف الرجل اسابيع ، والناس يدنون منه ، وينظرون اليه ، وهو ساكن غـــير مستوحش منهم .

والرجل الذي عليـه الطير يمشي في الطواف في وسط الناس ، وهم ينظرون اليه ، ويتعجبون . وعينا الرجل تدمعان على خـده ولحيته . قال ابو الوليد الأزرقي : فأخبرني محمـد بن ابي عبد الله بن ربيعة ، قال : رأيته على منكبه الأيمن ، والناس ينظرون اليه ، ويدنون منه ، ولا ينفر منهم ، ولا يطير . فطفت اسابيع ثلاثة . كل ذلك اخرج من الطواف ، فأركع خلف المقام . ثم اعود ، وهو على منكب الرجل . ثم جاء انسان من اهل الطواف، فوضع يده عليه ، فلم يطر . وطاف به بعد ذلك ، ثم طار هو من قِبل نفسه حتى وقع على يمين المقام ساعة طويلة ، وهو يمـد عنقه ، ويقبضها الى جناحه ، والناس مستلفون له ، ينظرون اليه عند المقام ، اذ أقبل فتىً من الحجبة ، فضربه بيده ، وأخذه ليريـه رجلاً منهم ، كان يركع خلف المقام ، فصاح الطير في يده أشد الصياح ، وأوحشه ، لا يشبه صوته بأصوات الطير. ففزع منه ، فأرسله من يـده ، فطار حتى وقع قريباً من دار الندوة خارجاً من الظلال في الأرض ، قريباً من الاسطوانـة الحمراء ، فاجتمع الناس ينظرون اليه ، وهو مستأنسٌ في ذلك كله ، غير مستوحشٍ من الناس ، ثم طار هو من قِبل نفسه ، فخرج من باب المسجد الذي بين دار الندوة ، ودار العجلة نحو قعيقعان .

خبر الطائر المغيث :

حدثنا عبد الكريم بن حاتم بن وحشي بمكة سنة ستمائة ، قال : خرج من عندنا رجل من المجاورين يريـد مصر ، فركب بحر عيداب ، فطاب الريح بالليل ، فقام كل من في المركب إلا الذي يدير، فأراد الرجل الحاجة ، فقعد في مقدم المركب يقضي حاجته ، فزلق قدمـه ، فأخذه البحر ، وغطته الأمواج ، والرئيس ينظر اليه ، والمركب قد سار عنه بمسافة غيبته عن اعين

الناس ، والرئيس لا يتكلم مخافة أن يشوّش على الناس ، ولا ينفعه ذلك ، فلم ينشب أن رأى طائراً قد قبض عليه ، فأخرجه من الماء ، وطار به حتى ألقاه في المركب ، وقعد الطائر على جامور الصاري ساعة ، ثم ان الطائر مد منقاره من موضعه حتى الصلة بإذن الرجل ثم قبضه وطار . فلما كان من الغد حسن الرئيس ظنه بذلك الرجل ، وبادر الى اكرامه ، ففطن له الرجل فقال له : يا اخي لست والله ممن تظن ، وإنما كان مما رأيت من امر الله ، علمي ، وعلمك ، فيه سواء ما شعرت بنفسي إلا وقد أخذتني الأمواج ، وأيقنت بالتلف ، فسلمت الأمر لله ، وقلت : ذلك تقدير العزيز العليم . فإذا بذلك الطائر قد فعل ما رأيت . فقال له الرئيس : فرأيته مد منقاره اليك، فهل كلمك ؟ قال الرجل : نعم ، وذلك اني فكرت في نفسي ، ما هو هذا الطائر ؟ فألصق منقاره بأذني ، وقال لي : يا هذا أنا تقدير العزيز العليم .

حكمة :

روينا من حديث ابن اسماعيل ، عن ابي حذيفة ، عن الثوري ، قال : بلغني عن ابن مسعود ، انه قال : الدنيا كلها غموم ، فما كان فيها من سرور فهو ربح .

ومن حديث اسماعيل ايضاً ، عن نعيم ، عن ابن المبارك ، عن وهب ، قال : من اراد الدنيا فليتهيأ الذلّ .

موعظة بهلول المجنون :

حدثنا محمد بن اسماعيل ، حدثنا عبد الرحمن الدّعليّ بن علي بن محمد ، حدثنا محمد بن ابي منصور ، ثنا ابو الغنائم القرشي ، انا محمد بن علي بن

عبدالرحمن ، ثنا زيد بن حاجب ، اخبرنا محمد بن هارون ، ثنا علي بن الحسن ابن احمد ، حدثنا علي بن ابراهيم الكرخي الحافظ ، ثنـــا محمد بن الحسن الحلواني ، ثنا احمد بن عبد الله القزويني ، عن الفضل بن الربيع ، قـــال : حججت مع هارون الرشيد ، فمررنا بالكوفة ، فـإذا بهلول المجنون يهذي ، فقلت له : اسكت فقـد اقبل امير المؤمنين ، فسكت حتى حاذاه الهودج ، فقال:يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن بابل،حدثنا قدامة بن عبد الله العامريّ ، قال : رأيت النبي ﷺ بمنىً ، على جمل، وتحته رحل رثّ ، فلم يكن بمطرد، ولا ضرب ، ولا اليك . قلت : يا امير المؤمنين انه بهلول المجنون . قـال : قد عرفته . قال البهلول : يا امير المؤمنين أسمعك شعراً ؟ قال : قل :

هب انك قـــد ملكت الارض طرّاً
ودان لك العبـــادُ فـكان ماذا
أليس غـداً مصيرك جوف قبرٍ
ويحثو التربَ هـذا ثم هذا

قال : اجدت يا بهلول . أفغيره ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين : من رزقه الله جمالاً ، ومالاً ، فعفّ في جماله، وواسى في ماله، كتب في ديوان الأبرار. قال : فظن انه يريد شيئاً . قال: فإنا قد امرنا بقضاء دينك . قال: لا تفعل يا امير المؤمنين ، لا يقضى دين بدين ، أردد الحق الى اهـــله ، واقضِ دين نفسك . قال : إنا قـد أمرنا لك ان يجري عليك . قال : لا تفعل يا امير المؤمنين ، لا تعطيك إساءتي أجري على الذي أجرى عليك . لا حاجة لي في جرأتك .

ومن شعر الشريف الرضيّ في وداع الحاج :

أيهـــا الرائح المعد تحمّل حاجـــة للمعذّب المشتاقِ
أقر مني السلام أهل المصلى فبلاغ السلام بعض التـلاقي
واذا ما مررت بالحنيفي فاشهد ان قلبي اليـــه بالاشواق
واذا ما سئلتَ عني فقل نضـ ـوُ هوىً ما اظنه اليوم باقي
ضاع قلبي فانشده لي بين جمعٍ ومنىً عند بعض تلك الحداق
وابكِ عني فانني كنت من قبـ ـلُ أعيرُ الدموع للعشاق

ومن كلام مهيار الديلمي في الشوق :

يا لهوىً لمـــا أطقتُ حمله يوم الرحيل سامني ولم أطقْ
فارقتُ حولاً اهل نجدٍ والهوى ذاك الهوى وحرقي تلك الحرق
قلتُ لمن ظن البعادَ سلوةً لا تنتحل بطعم شيء لم تذق
آه لقلبٍ شق عنه اضلعي من الحمى تخال برق او شفق
ثار به الشوق فهبّ فيه ما تطلعاً ثم تراءى مـــا بَرَق

ومن شعر ابي غالب بن بشران في ذلك :

ولما ثاروا العيسَ للبين بينت غرامي لمن حولي دموعٌ وأنفاسُ
فقلت لهم لا بأس لي فتعجّبوا وقالوا الذي أبديته كله بأس
تعوّض بأس الصبر عن وحشة الاسى
فقد فارق الاحباب من ذلك الناس

ومن الشعر الذي يصرفه الصالح اذا سمعه الى الجنان والحور والولدان :

قف بالطواف ترى الغزال المحرما حج الحجيجُ وعاد يطلب زمزما
قمرٌ تعرّض في الطواف كأنه بدرٌ تطلع في السماء وأنجما

ناديته بمدامع لو انهـــا شُربت لشرّابٍ لكانت مغنما
يا طالبـــاً بالحج رحمة ربه أرضيتَ بالحرمين تقتل مسلما

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى، ما قرأ علينا عبد الله بن الاستاذ، قال: قال بعض الفقراء : رأيت في واقعتي الحق تعالى، وهو يقول لأبي‌مدين: مادّة سرك بسنا نوري ، وغذاء روحك برؤيتي وسروري ، وقلبك موضع عظمتي وجبروتي . هي احوال مني اقتبستها ، ولي رددتهـا . فأنت لي ولي صرف . يا ابا مدين جاوز نظر الناظرين نظرك ، وتعلق بي فكرك . فلمـ قدرتني قـدري ، كنت سمعك وبصرك . وعرفتك بي فعرفتني ، ونزهت سرك عن سواي فنزهتني ، فأنت ظاهر وباطن بي ، ولي . فقال ابو مدين : سبحانك سبحانك اللهم أدم فضلك . عجزت الاوهـام عن وصف وصفك ، وامتلأت الأسرار أنساً بذكرك . ثنـائي ثناؤك ، وأمري أمرك . فواصل اللهم نوري بنورك ، فلا يقتبس الفضل منك إلا بك .

خبر اللات والعزى :

روينـا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن سعيد بن سالم ، عن عثمان ابن ساج ، عن محمد بن السائب ، عن ابي صالح ، عن ابن ابن عباس رضي الله عنهما ، ان رجـلاً ممن مضى ، كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج ، اذا مرّ يلتّ سويقهم . وكان ذا غنم ، فسميت صخرة اللات . فلمـا فقده الناس ، قال لهم عمرو : إن ربكم اللات، قد دخل في جوف الصخرة .

وكانت العزّى ثلاث شجرات نخل ، وكان اول من دعى الى عبادتها عمرو ابن ربيعة ، والحارث بن كعب . وقال لهم عمرو : ان ربكم يصيّف باللاّت،

لبرد الطائف ، ويشتي بالعزّى لحرّ تهامة . وكان في كل واحد شيطان يعبد . فلما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ ، بعث بعد فتح مكة خالد بن الوليد الى العزّى يهدمها ، فخرج في ثلاثين فارساً من اصحابه الى العزى حتى انتهى اليها فهدمها . ثم رجع الى النبي ﷺ ، فقال : أهدمت ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فإنك لم تهدمها ، فارجع اليها فاهدمها . فخرج خالد بن الوليد وهو متغيظ ، فلما انتهى اليها جرّد سيفه ، فخرجت اليه امرأة سوداء عريانة ناشرة شعرها ، فجعل السادن يصيح بها ، قال خالد : وأخذني اقشعرارٌ في ظهري ، فجعل السادن يصيح ، ويقول :

أعزّاي شدّي شدّة لا تكذبي　　أعزّاي القي بالقناع وشمّري
أعزّاي ان لم تقتلي المرء خالداً　　فبوئي بذنب عاجل وتبصري

فأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه بالسيف اليها ، وهو يقول :

كفرانك اليوم ولا سبحانك　　اني رأيتُ الله قد أهانك

قال : فضربها بالسيف . ثم رجع الى رسول الله ﷺ ، فأخبره . فقال : نعم تلك العزّى ، وقد ايست ان تعبد في بلادكم ابداً . ثم قال خالد رضي الله عنه : الحمد الذي أكرمنا بك يا رسول الله ، وأنقذنا بك من الهلكة . لقد كنت أرى ابي يأتي العزى ، بخير ما له من الابل والغنم ، فيذبحها للعزى ، ويقيم عندها ثلاثاً ، ثم ينصرف الينا مسروراً ، فنظرت الى ما مات أبي عليه ، والى ذلك الرأي الذي كان يعيش في فضله ، وكيف جزع حتى صار يذبح لما لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يضرّ ، ولا ينفع . فقال رسول الله ﷺ : إن هذا الامر الى الله ، فمن يسّره للهدى ، تيسّر له ، ومن يسّره للضلالة ، كان

لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان ، سنة ثمان . وكان سادنها افلح ابن النضر السلمي من بني سليم .

حكى سعيد بن عمرو الهذلي : ان افلح سادنها ، لمـــا حضرته الوفاة ، دخل عليه ابو لهب ، يعوده وهو حزين ، فقال : مالي أراك حزيناً ؟ قال : أخاف ان تضيع العزى بعدي . فقال له : لا تحزن ، فأقوم عليهـا بعدك . فجعل أبو لهب يقول لكل من لقى ان تظهر العزى: كنت قد اخذت عندها يداً ، وان يظهر محمد على العزى ، وما اراده يظهر ، فإبن اخي . فأنزل الله تعالى : تبَّتْ يدا أبي لهب .

وجاء حسان بن ثابت الانصاري، الى رسول الله ﷺ ، وهو في المسجد، فقال : يا رسول الله أئذن لي ان اقول ، فإني لا أقول إلا حقاً ، فقال: قل. فأنشأ يقول :

شهدت بإذن الله ان محمداً رسول الذي فوق السماوات من علُ

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :

وإن أبا يحيى ويحيى كليهما له عملٌ في دينه متقبلُ

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :

وإن الذي عادى اليهود ابن مريم
رسول أتى من عند ذي العرش مرسلُ

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :

وإن أخا الأحقاف إذ يعذلونه يجاهد في ذات الإله ويعدلُ

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :

وإن التي بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فلّ عن الحق معزل

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد .

قال سفيان : يعني العزّى .

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن من حدثه ، وذكره ، وكان سدنة العزّى بنو شيبان ابن سليم ، خلفاء بني هاشم ، وكانت قريش وبنو كنانة ، وخزاعة ، وجميع مضر ، تعظمها . فإذا فرغوا من حجهم ، وطوافهم ، بالكعبة ، لم يحلوا حتى يأتوا العزّى ، فيطوفون بها ويحلّون عندها ، ويعكفون عندها يوماً .

حدثنا يونس بن يحيى ، ثنا محمد بن ناصر ، انا الحسن بن احمد ، انا الأزهري ، ثنا ابو الطيب بن حمدان ، حدثنا اسمعيل ، ثنا عباس ، حدثنا عبيد بن إسحاق العطار ، ثنا محمد بن مبشر القيسي ، عن عبيد الله الحسن ، عن ابيه ، عن جده ، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم . قال : يجتمع في كل يوم عرفة ، بعرفات ، جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، والخضر ، عليهم السلام . فيقول جبريل : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله . فيرد عليه ميكائيل فيقول : ما شاء الله ، كل نعمة من الله . فيرد عليهما إسرافيل فيقول : ما شاء الله ، الخير كله بيد الله . فيرد عليهم الخضر فيقول : ما شاء الله ، ما يدفع السوء إلا الله . ثم يفترقون ، فلا يجتمعون الى قابل في مثل ذلك اليوم .

موعظة :

إلا يا عسكر الأحياء هـذا عسكر الموتى
اجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظروا الكبرى
يحثون على الزاد ولا زاد سوى التقوى
يقولون لكم جـدوا وهـذا آخر الدنيا

مـا من يوم إلا والأرض تنادي بخمس كلمات : يا ابن آدم ، تمشي على ظهري ، ثم مصيرك الى بطني . يا ابن آدم ، تفرح على ظهري ، وتحزن في بطني . يا ابن آدم ، تـذنب على ظهري ، ثم تعـذب في بطني . يا ابن آدم ، تضحك على ظهري، ثم تبكي في بطني . يا ابن آدم، تأكل الحرام على ظهري ، ثم يأكلك الدود في بطني .

وقال عبد الرحمن : بلغني ان الرجل اذا وضع في قبره ، فعذب، وأصابه ما يكره ، نادته جيرانه من الموتى : ايهـا المخلّف في الدنيا بعد اخوانه ، وجيرانه ، اما كان لك فينا معتبر ؟ اما كان لك في تقدمنا إياك فكر ؟ اما رأيت انقطاع اعمالنا عنا في المهلة ؟ فهلا استذكرت ، واعتبرت ، بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ؟

حدثنا يوسف بن يحيى ، حدثنا محمـد بن ابي منصور ، عن ابي ظاهر ، عن الصقر، عن هبة الله بن ابراهيم الصراف، عن الحسن بن ابراهيم الضراب، عن احمد بن مروان ، عن احمد بن محمد البغدادي ، عن عبد المنعم ، عـن ابيه ، عن وهب بن منبه، قال : اصبت على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام، مكتوب :

آلهي جهولاً امله يموت من جا اجله
ومن دنا من حتفه لم تغن عنــه حيله
وكيف يبقى آخرٌ قد مات عنه اوله

حدثنا يونس بن يحيى ، ثنا محمـــد بن منصور ، عن علي بن الحسين بن ايوب ، حدثنا عبد الرحمن بن علي ، قال : انا محمد بن ابي منصور ، وعـلي ابن عمر ، قالا : أنبأنا علي بن الحسين ، أنا ابو علي بن شادان ، أنبأنا ابراهيم ابن محمد المزكي ، ثنا محمد بن إسحاق بن خزيمـــة ، حدثنا محمد بن احمد بن زيد ، او قال يونس بن زيد : أنبأنا عمرو ابن عاصم ، ثنا الحسن بن زيد ، عن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قـــال : لا أعلمه إلا مرفوعاً الى النبي ﷺ . قال : يلتقي الخضر ، والياس ، في كل عام في الموسم ، فيحلق كل منهما رأس صاحبه ، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات : باسم الله ، مـا شاء الله ، لا يأتي بالخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله . ما شاء الله ، ما كان من نعمة فمن الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال ابن عباس : من قالهن حين يصبح ، وحين يمسي ، ثلاث مرات ، آمنه الله من الغرق ، والحرق ، والسرق . وأحسبه قال : ومن الشيطان ، ومن السلطان ، ومن الحية ، والعقرب .

خبر الاربعين الرجبيين والابدال :

اعلم ان لله اربعين رجلاً من خلقه ، ينظر اليهم ، فيأخذهم عن حركاتهم ، فيقعدهم ، لا يستطيعون حراكاً في شهر رجب كله ، من أوّله ، الى آخره ، وما عندهم خبر من حالهم ، ولا مما يرد عليهم غير ما عرّفهم الحق به في تلك الأخذة ، وذلك في كل سنة . فإذا انقضى الشهر ، لم يبق عنـد الرجل منهم

خبر من حال غير ما كان ، عرفـه ، ولا يبقى له كشف ، ولا اطلاع ، ولا نداء من ذلك العـالم ، ولا شيء ، الى ان يستهل رجب ، فيرجع عليهم ذلك الحال . فلا يزال بهم الى انقضاء الشهر ، فيرون من العجائب في تلك الحال ، من الكوائن ، الى ما شاء الله . غير ان بعضهم قد يبقى معه في طوال السنة علامة مقصورة على إدراك أمر ما لا غير . وقد اجتمعنا برجل منهم في شهر رجب ، وهو محبوس في بيته ، قـد حبسته هذه الحالة ، وهو بائع للجزر والخضر العامة ، غير اني سألته عن حالتـه ، فأخبرني بكيفيّتها على ما كان علمي فيها . وكان يخبر بعجائب ، فسألته : هل يبقى لك علامة في شيء ، قال : نعم ، لي علامة من الله في الرافضة خاصة . أراهم في صور الكلاب ، لا يستترون عني ابداً ، وقد رجع منهم على يده جماعة مستورون لا يعرفونهم اهل السنة ، إلا انهم منهم عدول ، فدخلوا عليه ، فأعرض عنهم ، وأخبرهم بأمرهم ، فرجعوا ، وتابوا ، وشهدوا على انفسهم ما أخبر عنهم ، ممـا ليس عند أحد منهم خبر .

وحدّثنا محمـــد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن عليّ بن الحسن بن احمد بن طلحة ، عن محمد بن عبد الله الحيّاني ، عن عثمان بن احمـد الدقاق ، عن اسحاق بن ابراهيم الختليّ ، عن عثمان بن سعيد الانطاكي ، عن علي بن الهيثم المصيصي ، عن عبد المجيد بن بحر ، عن سلّام الطويل ، عن داود بن يحيى ، عن مولى عون الطفاوي ، عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس ، وبعسقلان ، قال : رأيت رجلا وأنا بوادي الاردن ، قائمـاً يصلي ، وسحابة تظلله من الشمس ، فلما سلّم سلّمت عليه ، وقلت : من أنت؟ فقال: الياس النبي . فقلت : ادع لي ، فقال : يا برُّ يا رحيم ، يا حي ، يا قيّوم ، يا حنّان ، يا منّان ، يا هيا ، شراهيا ، فذهب عني ما كان أصابني من هيبته . فسألته :

هل يوحى اليه اليوم ؟ قال : منذ بُعث محمد عليه الصلاة والسلام ، فلا قلت : كم من الأنبياء أحياء ؟ قال : أنا والخضر ، وادريس ، وعيسى . قلت : فهل تلتقي انت والخضر ؟ قال : نعم ، في كل عام بعرفات. قلت : فكم الابدال؟ قال : هم ستون رجلاً: خمسون ما بين العريش الى شاطىء الفرات، ورجلان، بالمصيصة ، ورجل ، بانطاكية ، وسبعة ، في سائر الأمصار . بهم تسقون الغيث ، وبهم تنصرون على العدو ، وبهم يقيم الله أمر الدين . حتى اذا أراد ان يُهلك ، يعني الدنيا ، أماتهم جميعاً . قلت : لا تنقص الابدال عن سبعة نفر ، ويزيدون الى ما شاء الله ، ليس لهم حد معروف في الزيادة ، واقتصار الياس على الستين، إنما ذكر الموجودين في ذلك الزمان الذي سئل فيه لا غير. وفصّل له تفريقهم في مساكنهم ، وأبان له ان فيهم من هو ملازم موضعاً ما. ومن هو سائح ، والله أعلم بخلقه .

ولمهيار الديلمي في حنين الابل ، وسيرها :

يا سائق الاضعان أر ... وِدْ بعض ما تعسف
فإن بين سوقهـــا ... أفئـــدة تخطّـف
يا زمني على الغضا ... ما أنت إلا الأسف
لهفي عليك ماضياً ... لو ردّك التلهف

وله ايضاً في هذا الباب :

اذا فاتها روض الحمى وجنوبه ... كفاها النسيم البابليّ وطيبهُ
فدعها تلسّ العيس طوع قلوبها ... فأمرع ما ترعاه ما تستطيبه
وان الثمار البرض في عزّ قومها ... لأينع من جمّ يذلّ غريبه
يلومُ على نجـدٍ ضنين بدمعهِ ... اذا فارق الأحباب جفّت غروبه
وما الخلّ إلا من فؤادي فؤاده ... لأهل الغضا او من حبيبي حبيبه

وله ايضاً من هذا الباب :

هل السائق الغضبان يملك أمره فما كل سير اليعمُلاتِ وحيدُ
رويداً بأخفاف المطيّ فانما تداسُ جباهٌ تحتها وجدود

روينا من حديث المالكي ، قال : أنشدني ابن قُتيبة :

وكم من جاهل في الناس أضحى له عقـل وليس له زمانُ
كفى بالمرء عيّاً ان نراه له وجـهٌ وليس له لسان
وما حُسن الرجال لهم بزينٍ اذا لم يُسعد الحسن البيـان

وقال ايضاً : أنشدني الحسن بن علي ، أنشدني محمود :

ما أفضح الموت للدنيا وزينتها جداً وما أفضح الدنيا بأهليها
لا ترجعن الى الدنيا بلائمـة فعذرها لك بادٍ في مساويها
لم يبق من عيبها شي لصاحبها إلا وقـد بيّنته في معانيها
تفنى البنين وتفنى الاهل دائبة والحرب سلم الى من لا يدانيها
فما يزيدهم قتل الذي قتلت ولا العداوة إلا رغبة فيها

وقال ايضاً : أنشدني محمد بن فضالة لغيره فيمن انقطع الى الله عزّ وجلّ :

هم القوم بين الارض في الارض قد أووا
الى كنفٍ رحبٍ مصونون في ستر
أيمـة صدق يشرحون سبيله
بألسنةٍ صينت عن اللغو والهجر

خبر حسان وعمر بن مجدي كري يبان اسعد تبّع الذي كسا الكعبة :

قال ابن اسحاق : سار حسان بن اسعد بأهل اليمن ، يريـد ان يطأ بهم ارض العرب ، وأرض الأعاجم ، حتى اذا كان ببعض اهل العراق بالبحرين ، كرهت حمير ، وقبائـــل اليمن ، السير معه ، وأرادوا الرجعة الى بلادهم ، وأهليهم . فكلموا أخاً له يقال له : عمرو ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان ، ونملكك علينـا ، وترجع بنا الى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذو رعين الحميري، فإنه نهاه عن ذلك، فلم يقبل منه، فقال ذو رعين في ذلك:

ألا من يشتري سهراً بنوم　　　سعيد من يبيت قرير عينِ
وأما حميرٌ غدرت وخانت　　　فمعذرة الإله الذي رعين

قال ابن اسحاق : ثم كتبها في رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بهـا عمراً ، فقال له : ضع لي هـــذا الكتاب عندك ، ففعل . ثم وثب عمرو على أخيه فقتله . فسموه ، موثبان ، لوثوبه على اخيـــه ، ورجع بمن معه الى اليمن . قال الشاعر :

لاه عين الذي رأى مثل حسا　　　نِ قتيلاً في سالف الاحقاب
قتلته مقاول خشية الجيش　　　غزاة قالوا لبـاب اللبّاب
ميتكم خيرنا وحيّكم ربٌ　　　علينـــا فكلكم أرباب

قال ابن اسحاق: فلما نزل عمرو بن يبان اليمن، مُنع منه النوم ، وسلـّط عليه السهر . فلما جهـــد ذلك ، سأل الأطباء ، والعرّافين ، والحرازة من الكهان ، عما به : فقال له رجل منهم : انه والله ما قتل رجل قط أخاه ، او ذي قرابة ، بغياً على مثل ما قتلت أخـاك عليه ، إلا ذهب عنه نومه ،

وُسلـّط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك : جعل يقتل كل من أمره بقتل اخيه حسان من أشراف اليمن ، حتى خلص الى ذي رعين ، فقال له ذو رعين : ان لي عندك براءة ، قـــال : وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعته لك . فأخرجه فإذا فيه البيتان . فتركه ، ورأى أنه قد نصحه ، وهلك عمرو .

لباب اللباب بلغـة حمير : لا بأس . ويروى لياب ، باليـاء نقطتين ، والمقاول : الملوك ، ولاه ، بمعنى : لله . حكي عن سيبويه انه قال : يقولون : لاه ابوك ، بمعنى : لله ابوك ، ويحذفون لام الاضافة ، واللام الاخرى .

وممن عمل ليوم العقبة ، ما حدّثنا بـــه يونس بن يحيى ، حدثنا محمد بن ناصر ، ثنا احمد بن الحسن بن حبروت ، قـال : قرأت على ابن شادان ، ان احمد بن كامل اخبره ، قـال : ثنا محمد بن يونس ، عن الاصمعي ، عن شيبة ابن شيبة ، قال : كنا بطريق مكة وبين أيدينا غداء لنا في يوم صائف ، واذا باعرابي معه زنجية ، يقول لنا : أفيكم من يكتب لي كتاباً ؟ قلنا له : أصب من غدائنا ، فإذا فرغنا كتبنا لك ما سألت . قـــال : اني صائم ، فتعجبنا من صومه في تلك البرية . فلما فرغنا من غدائنا دعوناه ، فقلنا له : ما تريد ؟ فقال : أيها الرجل ان الدنيا قد كانت، ولم أكن فيها، وستكون ، ولا أكون فيها . واني أريد ان أعتق جاريتي هذه لوجه الله عزّ وجلّ : ثم ليوم العقبة . ثم قال : تدري ما يوم العقبة ؟ قوله هـــذا عزّ وجل : فلا أقتحم العقبة ، وما أدرك ما العقبة ، فكّ رقبة . اكتب ما أقول لك ، ولا تزد عليّ حرفاً . هذه فلانة خادمة فلان ، قد أعتقها لوجه الله عزّ وجلّ ، ثم ليوم العقبة . قـال شيبة : فقدمت البصرة ، وأتيت بغداد ، فحدّثت بهذا الحديث المهدي . فأعتق المهدي مائة نسمة على غريبة الإعرابي .

ومن وقائع اصحاب الكشوف ، ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي قال : رأى بعض الفقراء بجباية في واقعته صورة حق يقول للشيخ ابي مدين:

يا شيخ قربتك مني حـق كأنــك اني
وناديت سرّك ، اياك أعني بمعنى معناك ، فكنت مني

فجاوبه الشيخ :

سبحانك سبحانك ، ادنيتني منك ، فأفنيتني عـــني
بحق حقك يا حق ، بوجودك صلني .
فأنت أقصى مناي ، يا غـــاية المتمني

ثم قال : سمعت الحق ناداه بي ، قل : وعليّ دلّ ، فأنا الكل .

وصية :

رويناها من حديث الدينوري ، عن جعفر بن محمد ، عن عيسى بن سليمان عن ضمرة ، قال : يقال : ثلاث ، من لم تكن فيه لم يجد طعم الايمان : عـلم يحجزه عن جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يعاشر به الناس.

موعظة :

من روايتنا عن ابي مروان ، عن ابراهيم بن نصر ، عن الزيادي ، عـن الاصمعي ، قال : دخلت بعض الخيام ، فإذا بجارية ، والله مـا احسبها اتت عليها عشر سنين ، وهي تقول :

عدمتُ الحيـــاة ولا نلتها اذا كنتَ في القبر قد ألحدوك
وكيف اذوق لذيذ الكرى وأنت بيمناك قـد وسدوك

دعاء حسن :

ومن روايتنا ، عن ابي مروان ، عن احمد بن علي ، عن الاصمعي ، عـن ابيه ، قال : سمعنا اعرابية تقول داعية لله عز وجل : اللهم متعنا بخيارنا . وأعنـّا على أشرارنا ، واجعل الأموال في سمحائنا . وبه قال : حدثنا النضر ابن عبد الله ، قال : اخبرني الأصمعي ، قـال : سمعت إعرابياً عند الملتزم ، يقول : اللهم أعني على الموت وكربته ، وعلى القـــبر وغربته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلتـه ، وعلى يوم القيمة وروعته . قلت : وسمعت بعض المذكرين ، يقول في خطبته : اذكروا ألم الموت ، وسكرته . وعذاب القـبر ، وظلمته ، وهول المحشر ، وبعثه . والسؤال ، وغلظته . والميزان ، وخفته . والصراط ، وزلته والقصاص وحسرته .

اعرابية المحتد عربية المشهد :

حدثنا بشأنها عبد الرحمن كتابة . قال : اخبرنا المبارك بن علي ، قال : نبأنا ابن العلاف ، انا عبد الملك بن بشران ، حدثنا احمد بن ابراهيم الكندي، عن جعفر بن محمد الخرائطي ، حدثنا ابن الجنيد ، حدثنا محمـد بن الحسين ، عن الصلت بن حكيم ، حدثني ابن السماك ، عن امرأة من اهـــل البادية ، قال : سمعتها تقول يوماً : لو تطلعت قلوب المؤمنين بفكرها ، الى ما ادخر لهـا في حجب الغيوب ، من خير الآخرة ، لم يطب لهم عيش ، ولا تقر لهم في الدنيا عين .

خبر سواد بن قارب مع هاتفه :

روينا من حديث ابن عبد الله ، حدثنا ابو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن

سفيان ، ثنا بشر بن حجر الشامي ، ثنا علي بن منصور الانباري ، عن عثمان ابن عبد الرحمن الوقاصي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قـال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنـه في المسجد ، اذ مرّ رجل في موخر المسجد ، فقال رجل : يا امير المؤمنين اتعرف هذا المار ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ فقال : هذا سواد بن قارب ، وهو رجل من اهل اليمن له فيهم شرف ، وموضع ، وهذا الذي اتاه رئيه بظهور رسول الله ﷺ . فقال عمر : عليّ به ، فدعى بـه قال : انت سواد بن قارب ؟ قـال : نعم ، قال : انت الذي أتاك رؤيك بظهور رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : فأنت على مـا كنت عليه من كهانتك ؟ فغضب سواد بن قارب ، وقال : يا امير المؤمنين ما استقبلني بهذا احدٌ منذ أسلمت ، فقال عمر : يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك، اعظم مما كنت عليه من كهانتك . اخبرني بأتيانك رئيك بظهور رسول الله ﷺ . قال : نعم يا امير المؤمنين ، بينما أنا ذات ليلة بين النائم ، واليقظان، إذ أتاني رؤييّ فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، وأفهم ، وأعقل ، انـه قـد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو الى الله والى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتحساسها ... وشدّها العيس بأحلاسها
تهوى الىمكة تبغي الهدى ... ما خيروا الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة منهاشم ... واسم بعينيك الى راسها

قال : فلما كان الليلة الثانية ، أتاني فضربني برجله ، وقال : ألم اقل لك يا سواد بن قارب ، قم ، وأفهم ، وأعقل ، إن كنت تعقل ، انـه بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو الى الله والى عبادته ؟ ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتطلابهـا — وشدّهـــا العيس بأقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى — ما صادق الجنّ ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم — ليس قداماً مثل أذنابها

قال : فـلم أرفع رأساً بقوله . فلما ان كانت الليلة الثالثة ، أتاني فضربني برجله ، وقال : ألم أقل لـك يا سواد بن قارب ، قم وأفهم ، وأعقل ، ان كنت تعقل ، انه بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله، والى عبادته. ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ وأخبارها — وشدّها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغي الهدى — ما مؤمنوا الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم — بـين روابيها وأحجارها

قال : فوقع في نفسي حب الاسلام ، ورغبت فيه . فلما اصبحت شددت على راحلتي ، وانطلقت متوجهاً الى مكة . فلمـــا كنت ببعض الطريق ، أخبرت ان النبي ﷺ ، قد هاجر الى المدينة ، فأتيت المدينة ، فسألت عن النبي ﷺ ، فقيل في المسجد ، فعقلت ناقتي، وإذا رسول الله ﷺ ، والناس حوله ، فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله ﷺ . فقال : يا ابا بكر أدنـــه أدنه ، فلم يزل لي حتى صرت بين يديه . فقال : هات فأخبرني بأتيان رئيك فقلت :

أتاني رؤيّ بعد هدءٍ ورقدةٍ — ولم أكُ فيما قد تلوتُ بكاذبِ
ثلاث ليال قوله كل ليـلةٍ — أتانا رسولٌ من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيل الأزار ووسطت — بي الدعلب الوحباء بين السباسب
فأشهد أن الله لا ربّ غيره — وأنك مأمون على كل غائب

وأنـك أدنى المرسلين وسيلةً الى الله يا ابن الاكرمين الأطائب
فمرنا بمـا يأتيك يا خير من مشى وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب

قال : فسر رسول الله ﷺ بقصتي ، واسلامي . فوثب اليـه عمر رضي الله عنه ، فالتزمه ، وقال : قد كنت احب ان اسمع هذا منك .

الدعلب والدعلبة : الناقة السريعة .

نصيحة الجرهمي لعمرو بن لحي :

روينا من حديث ابي الوليد أن عمرو بن لحي ، لمـا غير دين ابراهيم عليه السلام ، وكان امره عند العرب مطاعاً ، وما شرع لهم من دين متبعاً سيب السوايب ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحـامي وبحر البحيرة ، ونصب الاصنام حول الكعبة ، وجـــاء بهبل من هيت من ارض الجزيرة ، فنصبه في بطن الكعبة . وكان بمكة رجل من جرهم على دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ، وكان شاعراً ، فقال لعمرو بن لحي حين غير دين الحنيفية :

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلدٌ حرام
سائل بعادٍ ابن هم وكذاك محترم الانام
وبني العمالقة الذين لهم بها كان السرام

فزعموا ان عمرو بن لحي اخرج ذلـك الجرهمي . فنزل باضم ، بأعراض المدينة ، مدينة النبي ﷺ نحو الشام . فتشوق الى مكة فأنشأ يقول :

ألا ليت شعري هل ابيتن ليلةً وأهلي بهـــا بالمأزمين حلول
وهل أرين العيس تنفح فيالثرى لهـــا بمنىً وللمأزمين ذميل

منازل كنا أهلها لم يحـل بنا زمان بهـا فيا أراه يحوك
مضى اوّلو ناراً ضيين بشأنهم جميعاً وغالتني بمكة غـوك

تفسير ما ذكرنا فيه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام : البحيرة فـي ذكره المفسرون الناقـة التي كانت في الجاهلية ، اذا انتجت خمسة ابطن ، وكان آخرها ذكراً ، بحروا أذنها أي شقوها ، ولم يذبحوها ، ولم يركبوها ، ولم تطرد من ماء ، ولا تمنع من مرعى، ولم يركبها احد . قال الكلبي : كانت اذا انتجت خمسة أبطن ، فكان الخامس ذكراً ، اكله الرجال دون النساء . وإن كان انثى ، بحروا أذنها ، وشقوها ، وتركت لا يشرب لهـا لبن ، ولا تركب . وإن كانت ميتة اشترك فيها الرجال ، والنساء . يقال : بحرت إذن اللبن ، إذا شققت منها واسعاً . والناقة بحيرة مبحورة .

وأما السائبة ، فقيل : هو ما كان احدهم يفعله إذا مرض ، فينذر أن شفي أن يسيب ناقته . فإذا فعل ذلك لم تمنع من ماء ، ولا من كلأ وقـد يسيبون غير الناقة ، وكانوا إذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء . وقيل : إذا كانت الناقة ، إذا تتابعت اثناء عشر انثى ، ليس فيها ذكر ، سيّبت ، فلم تركب ، ولم يجزّ وبرها ، ولم يشرب لبنها، فما نتجت بعد ذلك من اولادها، شقت أذنها ، وخليت مع امها . فهي البحيرة بنت السائبة .

والوصيلة من الغنم، اذا ولدت الشاة سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكراً، ذبحوه وكان لحمه للرجال دون النساء . وإن كان انثى لم يذبحوها . قـال ابن عباس : ولم يشرب من لبنها غـير الذكور خاصة . وإن كان ميتة ، أكلها الرجال ، والنساء ، وتلا : وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية . وقيل : إن الوصيلة الشاة ، تنتج عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن

ليس فيها ذكر . فيقولون : وصلت ، فما ولدت بعد ذلك فهو للذكور دون الأناث ، إلا أن يموت منها شيء ، فيشترك في اكله الذكور والأناث .

وأما الحام ، فهو البعير ، ينتج من ظهره عشرة أبطن ذكوراً ، وأناثاً ، فيقولون : قد حمى ظهره ، ويخلى ، ولا يركب .

وقيل : هو الفحل ، ينتج من ظهره عشرة أناث متتابعات ، ليس بينهن ذكر . فيقولون : قد حمى ظهره ، فلا يركب ، ولا يجز ولا ينتفع بـه لغير الضراب . وقال ابن عباس : هو البعير الذي يركب اولاد اولاده .

موعظة نبوية :

قال رسول الله ﷺ : اتقوا الله حق تقاتـه ، وأسعوا في مرضاته ، وأيقنوا من الدنيا بالفناء ، ومن الآخرة بالبقاء ، وأعملوا لمـا بعد الموت . فكأنكم بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل . ألا وإن مـن في الدنيا ضيف ، وما في يـده عارية . وإن الضيف مرتحل ، والعارية مردودة ألا وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر ، والفاجر . والآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر فرحم الله امرءاً نظر لنفسه ، ومهد لرمسه ما دام رسنه مرخى، وحبله على غاربه ملقى ، قبل أن ينفذ أجله ، وينقطع عمله . شعر :

لعفوك يا مولى الموالي تشوقي　　فكن لي ولياً في مقامي وموقفي
فهـا أنا بالباب المعظم قدره　　مقل من التقوى كثير التخوف
فجدلي بعفو منك يستر زلتي　　فما زلت ذا فضل كثير التعطف

ومن ابتلي بعهد فوفى موسى المصطفى : حدثنا محمـد بن قاسم ، حدثنا عبد الله بن عبد المجيد ، عن عمرو بن حسن بن محمد بن احمد القرشي المامي ،

قال : نادى الله موسى بن عمران : يا ابن عمران لا تخيب من قصدك ، وأجر من أجارك . قـال : بينما موسى عليه السلام في سياحته ، إذا بجارح يطلب حماماً فلما رآه الحمام نزل على كتفه مستجيراً بـه ، ونزل الجارح على الكتف الآخر ، فلما هم به الجارح نزل الحمام على كمه ، فناداه الجارح بلسان فصيح : يا ابن عمران اني قاصدك ، فـلا تخيبني ، ولا تحل بيني وبين رزقي . وناداه الحمام يا ابن عمران ، اني مستجير بك فأجرني . فقال : ما اسرع ما ابتليت به ، ثم مد يده ليقطع قطعة من فخذه للجارح وفاء لهما ، وحفظاً لمـا عهد اليه فيهما . فقالا : يا ابن عمران أنا رسل ربك أرسلنا اليك ليرى صحة مـا عهد اليك شعر :

أيا سامعاً ليس السماع بنافـــع　　إذا أنت لم تفعل فما أنت سامع
إذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزاً　　فما انت في يوم القيامة صانع

وقال آخر :

لمـا غلبت وزاد الشوق في ألمي　　وقفت للذكر مغلوباً على قدمي
ولو قدرت جعلت العين لي قدماً　　يا ذا التفضل والآلاء والكرم
اشتاق ذكرك والتعظيم يمنعني　　والشوق يملأ ألفاظي بـه وفمي
فها أنا بين شوق لا اقوم به　　وبين حسرة مغلوب ومحتشم

وقال آخر :

إن قلت عبدك لم اطق نطقاً بـه　　خوفـاً من الزلات والعصيان
فالعبد يبذل في التقرب جهده　　لا يستطيع تجـاوز الإمكان
فأرحم بفضلك زلتي وتحيري　　وصل التجاوز منك بالإحسان

سمعت محمد بن قاسم ، قال : سمعت عمر بن عبد المجيد ، قال بعض السادة : رأيت رجلاً في تيه بني اسرائيل قد لوحته العبادة، حتى صار كالشن البالي ، فقلت له : ما الذي بلغ بك هذه الحالة ؟ فنظر الي منكراً لسؤالي ، وقال : ما اظنك من جملة الأحباء . هذا ثقل الأوزار ، وخوف النار ، والحياء من الملك الستار . شعر :

لما ذكرت عذاب النار ازعجني   ذاك التذكر عن اهلي وأوطاني
فصرت في القفر ارعى الوحش منفرداً   كما تراني على وجدي وأحزاني
وذا قليل لمثلي بعد جرءَتِهِ   فما عصى الله عبد مثل عصياني
نادوا عليّ وقولوا في مجالسكم   هذا المسيء وهذا المذنب الجاني
فما ارعويت وما قصرت من زللي   ولا غسلت بماء الدمع اجفاني
لكن ذكرت جواداً ماجداً صمداً   يعفو ويصفح ذا عفوٍ وإحسان
سبحانه ماجداً جلّت عوارفه   فهو الجوادُ بعفوٍ منه ألجاني
هذا اعتقادي ولو صُيّرت في قرنٍ   مع الشياطين في ادراك نيران
يا ربّ عفواً فظني فيك متسعٌ   واغفر بفضلك أسراري وإعلاني

مثل سائر :

كلبٌ جوّال ، خير من أسد رابض .

يقول الحكيم : لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فإن الكريم محتال ، والدني عيال . وأنشد :

فسرْ في بلاد الله والتمس الغنى   تعش ذا يسار او تموت فتعذرا
ولا ترضَ من عيشٍ بدون ولا تنم   وكيف ينام الليل من كان معسرا

ولحبيب بن أوس الطائي :

وطول مُقام المرء في الحي مخلقٌ لديباجتيه فاغترب تتجدّد
فإني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس اذ ليست عليهم بسرمدِ

وكان ابن السمّاك يقول: لا تشتغل بالرزق المضمون، عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولاً ، بمـا أنت عنه مسؤول غداً . وإياك ، والفضول ، فإن حسابها يطول .

لعمرو بن أذينة ه :

إني علمتُ وخير العـلم أنفعه إن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى اليــه فيعنيني تطلـّبه ولو قعـدت أتاني لا يعنيني

قال بعض الأعراب : كيف يفرح عاقل بعمر تنقصه الساعات ؟ وسلامة بدن معرّض للآفات ؟ فلقد عجبت من المرء ، يفرّ من الموت ، وهو سبيله . ولا أرى احداً إلا سيدركه الموت ؟

روينا من حديث عليّ بن الجهم ، قال : كنت في مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة ، فأقبلت جارية كأنها البدر ليلة التمام ، بلون كأنه الدرّ في البياض مع احمرار خدين ، كشقائق النعمان ، فسلـّمت، فقال لي محمد : يا أبا الحسن هذه الجنة التي كنتم توعدون . فقالت :

وما الوعد يا سؤلي ومنية مهجتي فإن فؤادي من مقالك طائرُ

فقال لها ابو محمد :

أما وإله العرش ما قلت سيئاً وما كان إلا أنني لك شاكرُ

فقال علي بن الجهم : فأقبلت تحدثنا ، فإذا عقل كامل ، وجمال فاضل ، وُحسن قاتل ، وردف مائل . فقلت لها : قد أقرّ الله عيناً تراكِ . فقالت: أقرّ الله عينكم ، وزادكم سروراً وغبطة . ثم اندفعت تغني بنغمة لم أسمع احسن منها ، وتقول :

أروح بهمٍّ من هواك مبرّح ... أناجي بـه قلباً كثير التفكّر
عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا انيشاء ابن معمر

فما زلنا في يومنا معها في الفردوس الأعلى . وما ذكرتها بعـد إلا أسفت عليها ، وعلى فراقها .

وروينا من حديث ثور بن معن السلمي ، عن ابيه، قال : قال اني دخلت على الخنساء في الجاهلية ، وعليها صدار من شعر ، وهي عريانة . قال : قال ابي : دخلت عليها تجهّراً بيتها ، فكلمتها في طرح الصدار، فقالت : يا احمق انا أحسن منك غرساً ، وأطيب منك نفساً ، وأرقّ منك نقلاً ، وأكرم منك بعلاً .

وقال عبد الرحمن بن مرة : عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال للخنساء : ما أقرح مآقي عينيك ؟ قالت : بكائي على السادات من مضر . قال : يا خنساء ، انهم في النار. قالت: ذاك أطول بعويلي عليهم.

وقيل : انها أقبلت حاجّة ، فمرّت بالمدينة، ومعها ناس من قومها ، فأتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقالوا : هذه الخنساء ، فلو وعظتها يا أمير المؤمنين ، فلقد طـــال بكاؤها في الجاهلية ، والإسلام . فقام عمر رضي الله عنه ، فأتاها ، فقال : يا خنساء ، فرفعت رأسها ، فقالت : ما تشاء ؟ قال:

ما الذي أقرح عينيك ؟ قالت : البكاء على السادات من مضر . قال : إنهم هلكوا في الجاهلية ، وهم أعضاد اللهب ، وحشو جهنم . قالت : فذاك الذي زادني وجعاً . قال : فأنشديني مما قلت ، قالت : أما اني لا أنشدك مما قلت اليوم ، ولكن أنشدك ما قلت الساعة . وقالت :

سقى جدثاً اعراق عمرة دونه ... ويدنيه وعّاث الربيع ووابلهْ
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى ... على فقد من قد فات والحزن شاغله
وأرعيهم سمعي اذا ذكروا الأسى ... وفي الصدر مني زفرة لا تزايله

فقال : دعوها ، فإنها لا تزال حزينة ابداً .

ومما يستحسن الأدباء من شعرها :

تعرّقني الدهر قرعاً وغمزا ... وأوجعني الدهر نهشاً ووخزا
وأفنى رجالي فبادوا معاً ... وأصبح قلبي لهم مستفزّا
كأن لم يكونوا حمىً يُتـّقى ... من الناس إذ ذاك مَن عزّ بزّا
وكانوا سُراة بني مالكٍ ... وزين العشيرة مجداً وعِزّا
وهم في القديم ضحاح الأديم ... والكائنون من البأس حرزا
بسمر الرماح وبيض الصفاح ... فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزا
وخيل تكردس بالدّارعين ... وتحت العجاجة يجمزن جمزا
جززنا نواصي فرسانها ... وكانوا يظنون ان لا تجزّا
ومن ظنّ ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظن عجزا
تعِفُّ وتعرف حق القِرى ... وتتخذ الحمد ذخراً وكنزا
وتلبس في الحرب نسجَ الحديد ... وفي السلم تلبس خزّاً وقزّا

حدثنا ابو جعفر الوزعي ، قـــال : روى الاصمعي ، عن رجل من أهل الشام ، وهو عبد الله بن حارث ، قال : قدمت المدينة ، فقصدت منزل ابن هرمة ، فإذا ابنة صغيرة له تلعب ، فقلت لها : أي بنيّة ، ما فعل ابوك ؟ قالت : يا عم انه قـــد وفد على بعض الاخوان ، قال : قلت : فانحري لي ناقة ، فأنا أضيافك ، فقالت : يا عم ، ما عندنا شيء، قلت : فباطل ما قال ابوك ؟ قالت : وما قال ؟ قلت : قال :

كم ناقة قد وجات منحرها بمنهل اكبر ثورٍ او جمـــل

قالت : يا عم ، فذاك القول من ابي ، أصارنا الى ان ليس عندنا شيء ، قال : فتعجبت من سرعة جوابها المسكت .

ذكر ابو حيّان التوحيدي في كتاب الامتاع ، والمؤانسة ، ان الفرس اذا وطىء أثر الذئب ، ارتعد ، وخرج الدخان من جسده كله . والذئب إن رأى الانسان يطأ خطوه ، وهو ساكت ، سكت عنه ، فإن رآه خاف ، وجبن ، اجترأ ، وحمل عليه . واذا وطىء الذئب على ورق العنصل ، مات من ساعته. ولذلك يأتي الثعلب بها في جحره، لئلا يأتي الذئب، فيأكل ولده.

حمار الوحش ، اذا ولدت اولاداً ذكوراً ، او اناثاً ، جاء الفحل ، فانتزع خِصي تلك الذكور ، وقطعها بأسنانـــه ، لكيلا يُصاد ، ويشاركه ، في طروقته . فربمـــا تضع الانثى اولادها في موضع ، لا يعرفه الفحل ، حتى يشتدوا ، وبهذا السبب ، يقلّ فيها الفحول .

الحريش : دابة صغيرة ، في جرم الحربي ، ساكنة جداً ، غير أنها من قوة الجسم ، وسرعة العدو ، ما يُعجز القانص . ولها من وسط رأسها قرن

واحـــد ، منتصب ، مستقيم ، به تناطح جميع الحيوان ، فلا يغلبها شيء . وصورة الحيلة في صيدها ، ان تتعرض لها جارية ، حسناء ، عذراء ، وضيئة ، فإن هذه الدابة ، اذا رأت الفتاة ، وثبت الى حجرها ، كأنها تريد الرضاع. وهذه فيها ، محبة طبيعية ثابتة ، فإذا صارت الى حجر الجارية ، أرضعتها من ثديها على غير حضور ابن فيها ، حتى تصير كالنشوان من الخمر ، والوسنان من النوم . فيأتيها القانص ، وهي على تلك الحالة ، فيشدها وثاقاً على سكون منها بهذه الحيلة .

قال ابو حيّان : إن اسنان الرجل في فيه ، اثنان وثلاثون سناً . وأسنان المرأة ، ثلاثون . وأسنان الخصي ، ثمان وعشرون . وأسنان الخصي من البقر ، اربعة وعشرون . وأسنان الشاة ، احدى وعشرون سناً . وأسنان المعز ، تسعة عشر سناً . قال : ومن كان من الحيوان أسنانه قليلة ، فعمره قصير . ومن كانت اسنانه كثيرة ، فعمره طويل .

قال : والفيل اذا وُلد ، نبتت أسنانه في الحال . فأما أسنانه الكبار ، وأنيابه الطوال ، فتظهر اذا كبر ، وشبّ .

قال : والذي يكسب معاشه بالليل من الحيوان : البومة ، والوطواط . قال : الرجال يشتاقون الى الجماع في الشتاء . وقال : كل ما كان من البيض مستطيلاً ، مجرّد الطرف ، يفرح الاناث . وما كان مستديراً ، عريض الاطراف ، يفرّح الذكور . وقال : من الحيوان ، اذا هاج ، ووقفت الانثى قابلة الذكر ، وهبّت الريح من ناحية الذكر ، مقبلة الى ناحيتها ، حملت من ساعتها . قيل : اسم هذا الحيوان ، القبج .

وأخبرني جماعة ، من جملتهم ، من كان صاحب تاريخ ، وتجاريب .

وقد وقع بيننا ذكر الثعبان العظيم ، قال : تعرفون من ابوه ومن أمه ؟ قلنا : لا . قال : ان العقاب ينكح الانثى من الثعالب ، فتحمل ، فإذا حان وقت ولادتها ، حفرت حفرة ، ووضعت فيها قطع لحم ، لهـــا ارتعاش ، وارتعاد ، فتأكل بعضها بعضاً ، تحت الارض ، حتى تبقى واحدة ، فينشأ من تلك الواحدة هذا التنين العظيم .

ولنا في اسماء الطبيعة :

ان الضريبة والسليقة والخليقة والغريزة
هي الطبيعة والنحيبة والسجية والنخيزة
وكذاك شنشنة يقا ل وشيمة لغة عزيزة

وكتب ابو هاشم الحرّاني الى بعض الأمراء ، عرض من الأمــير معوز ، والصبر على الحرمان معجز .

وكتب بعضهم الى صديق له : اما بعد فقد اصبح لنا من نعم الله . ما لا نحصيه ، مع كثرة ما نعصيه . وما ندري ما نشكر . جميل مــا ينشر ، ام كثير ما يستر ، ام عظيم ما أبلى ، ام كثير مــا عفا . غير انه يلزمنا في كل الأمور شكره . ويجب علينا حمده . فاستزد الله في حسن بلائه ، كشكرك في حسن آلائه .

سئل بعض البلغاء عن النطق ، والصمت ، فقال : اخزى الله الساكنة ، ما افسدها للسان ، وأجلبها للعي ، ووالله لا مماراة في استخراج حق اهدم للعي من النار في يابس العرفج . فقيل له : قد عرفت ما في المماراة من الذم . فقال : مـــا فيها اقل ضرراً من السكتة التي تورث عللاً . وتولد داء ايسره العي . ولبعضهم في الكتمان :

صن السر بالكتمان يرضيك غبّه   فقد يظهر السر المذيع فيندم

حدثنا مصعب بن محمد ، قال : دخل ابو العتاهية على المهدي وقد ذاع سره في غيبته ، فقال له : ما احسنت في حبك ، ولا اجملت في اذاعة سرك فقال :

من كان يزعم ان سيكتم حبه   حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحب اغلب للرجال بقهره   من أن يرى للستر فيه نصيب
فإذا بدا سرُّ اللبيب فإنه   لم يبد إلا والفتى مغلوب
إني لأحسد ذا هوىً مستحفظاً   لم تتهمه أعينٌ وقلوب

فاستحسن المهدي شعره، وقال : قد عذرناك على اذاعة سرك. ووصلناك على حسن عذرك . على إن كتمان السر احسن من اذاعته .

وقال آخر :

لا يكتم السر إلا كل ذي خطر   والسر عند كريم الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق   قد ضاع مفتاحه والباب مردوم

قال زياد : ليس للسر موضع إلا احد رجلين : إما صاحب آخرة يرجو ثواب الله . وإما صاحب دنيا له شرفٌ في نفسه ، وعقل يصون به حسبه ، وهما معدومان في هذا الوقت .

مثل سائر :

أبخل من صاحب نجيح . حدثنا ابو ذرّ بن محمد بن مسعود ، قال : ذكر أن نجيح بن شاكة اليربوعي خرج يوماً الى الصيد ، فأثار حمار وحشٍ ، فمضى

أمامه ، وأتبعه نجيح ، الى أن رفعه الى أكمة في فلاة ، عليها رجل قاعد ، فدنى منه ، فإذا هو أعمى اسود في اطمار ، بين يديه ذهبٌ وفضة ، ودرّ ، وياقوت . فدنا نجيحٌ من المال ، فتناول بعضه ، فلم يستطع أن يحرّك به يده ، حتى ألقاه من يده ، فقال : يا هذا ، مـا الذي بين يديك ؟ وكيف يستطاع أخذه ؟ فإني لم أجد له سبيلاً . فهو لك ام لغيرك ؟ فإني أعجب مما أرى منه فإن كنت أيها الرجل جواداً ، فإني ذو حاجة اليه ، فجد بأي ما شئت منه . وإن كنت بخيلاً فأخبرني ، أعذرك . فقال له الأعمى : اطلب رجلاً قد غاب منذ سنين ، وهو سعد بن خشرم بن شماس ، فأتني به ، يعطيك مـا تشاء ، مما تريد . قال : فانطلق نجيحٌ مسرعاً . وقد استطار مما رأى فؤاده ، حتى وصل الى قومه ، ودخل خباءه ، ووضع رأسه ، ونام لمـا به من الغم ، لا يدري من سعد بن خشرم ؟ فأتاه آتٍ في منامه ، فقال له : يا نجيح ، إن سعد بن خشرم ، في حي بني محلم ، من ولد ذهل بن شيبان . فأسأل عن بني محلم ، ثم سل عن سعد بن خشرم بن شماس . فـإذا هو بشيخ قاعدٍ على باب خبائه ، يعني خشرم ابا سعد فجاءه نجيح ، وسلم عليه ، فرد عليه خشرم . فقال له نجيح : من انت ؟ قال : انا خشرم . قال : فأين سعد ؟ قـــال : خرج في طلب نجيح اليربوعي . فعرف نجيح القصة ، وكتمه في نفسه . وصرف نجيح فرسه ، ومضى وهو يقول :

أيطلبني من قـد عناني طلابه فيا ليتني ألقاك سعد بن خشرم
أتيت ابن يربوع لتبغي لقاءه وجئت لكي ألقاك حى محـلم

فلما دنا نجيح من محلته ، استقبله سعد . فقال له نجيحٌ يا ايهـا الراكب ، لقيت سعداً في بني يربوع ؟ قال : انا سعد ، فهل تدلني على نجيح ؟ قال : انا نجيح . وحدثه بالحديث . فقال سعد : الدال على الخـير كفاعله . وهو اول

من قاله . فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الأعمى ، فأخذه سعد كله . فقال نجيح : يا سعد ، قاسمني . فقال له : اطوعن مـالي كشحاً . وأبى أن يعطيه . فانتضى نجيحٌ سيفه ، فجعل يضربه حتى برد . فلمـا وقع قتيلاً ، تحوّل الرجل الحافظ للمال ثعلاً وأسرع في اكل سعدٍ وعاد المال الى مكانه . فلما رأى نجيحٌ ذلك ، ولى هارباً الى قومه .

ويقال في المثل : أبخل من ابي عبسٍ وكان من شأنـه ، اذا وقع الدرهم في يده ، نقره بإصبعه، ثم يقول : كم من مدينة قد دخلتها ؟ ويد قد وقعت فيها ؟ فالآن استقر بك القرار. واطمأن بك الدار . ثم يرمي به في صندوقه فيكون آخر العهد به .

وشبيه ذلك شخصٌ يقال له خليل ، من أعيان اهـل فارس ، وأجلهم قدراً دخل منزلي يوماً ، فرآني أهب شيئاً من دراهم ، كانت عندي . ورأى السرور في وجهي بذلك ، فقال لي : يا سيدنا ، ما تقول في امري ؟ قلت : وما امرك ؟ قال : اني أعشق الناس في الدنيا ، والدرهم . فقلت له : جماعة من كرام الناس ، يحبون الجدة ، من اجل الجود ، فيجدون ما يهبون فقال: ما انا ممن يحب هذه الاحجار ، من اجل العطاء ، والإنفـاق . لكني أحبها لعينها أموت جوعاً ، ولا أقدر أن انفقها اصلاً وما يخرج منها من يدي شيء إلا وتخرج روحي معه .

حديث امية بن يزيد الاموي :

قال : كنا عند عبد الرحمن بن يزيد ابن معاوية ، فجاءه رجل من اهل بيته ، فسأله : المعونة على التزوج . فقال له قولاً ضعيفاً . ووعده وعداً فيه قلة اطماع فلما قام من عنده ، ومضى ، دعى صاحب خزانته ، فقال : اعطه

اربعمائة دينار فاستكثرناها ، فقلنا له : لما كلمك رددت عليه رداً ، ظننا انك تعطيه قليلاً ، فإذا انت اعطيته اكثر مما امل . قال : اني أحب ان يكون فعلي أحسن من قولي :

قلت : ونزل على جدي حاتم الطائي ضيف ، ولم يحضره القري ، فنحر ناقة الضيف ، وعشاه ، وغداه ، وقال له : يا ضيف انك قد اقرضتني ناقتك فاحتكم . قال : راحلتين . قال حاتم : لك عشرون . أرضيت ؟ قال : نعم ، وفوق الرضا . قال : فلك اربعون . ثم قال لمن حضره من قومه ، من أتانا بناقة ، فله ناقتان ، بعد الغارة فاتوه بأربعين . فدفعها الى الضيف .

وحكى لي ، عن حاتم ايضاً : انه خرج في الشهر الحرام ، يطلب حاجة فلما كان بأرض غزّة ، ناداه أسيرٌ : يا ابا سفانة ، قد اكلني الأسر ، والقمل قال : والله ما انا ببلادي ، ولا معي شيء ، وقد أسأت اليّ ، إذ نوّهت بإسمي . فذهب العرس ، فساومهم ، وقال : خلوا عنه ، وأنا اقيم مكانه في قيده ، حتى أؤدي فداءه فأتاهم بفدائه .

حدثنا ابو ذرّ ، وقد وقع ذكر حاتم طي ، فقال لي : ذكر من اخبار جدك ، انه لما مات ، يعني حاتماً ، خرج رجل من بني اسد ، يعرف بأبي البحتري ، في نفر من قومه . وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته . فأناخوا بقبره ، فقال : والله ، لأحلف للعرب ، أني نزلت بحاتم ، وسألته القرى ، فلم يفعل . وجعل يضرب برجله قبره ، ويقول :

اجعل ابا سفانة قراكا فسوف آتي سائلي ثناكا

فقال بعضهم : ما لك تنادي رمة ؟ وباتوا مكانهم . فقام صاحب القول

من نومه مذعوراً ، وقـــال : يا قوم ، عليكم مطاياكم لقرى حاتم . فقالوا : كيف ؟ قال : انه أتاني في منامي هذا فأنشدني :

ابا البحتري وأنت امـرء ... ظـلوم العشيرة شتامها
ماذا أردت الى رمـةٍ ... بدمنة قـد صبحت هامها
تبغي أذاهـا وأعسارها ... وحولـك غوث وأبغامها
وأنا لننعم أضيافنـــا ... من الكوم بالسيف نعتامها

مثل سائر : أجود من كعب بن امامة :

حكي : ان جوده قتله . وذلك انه خرج في نفر ، فيهم رجل من النميري قاسط . فخلصوا في قفر بلا ماء . فأضر بهم العطش فجعل النميري يشرب ماءه فإذا أراد كعب أن يشرب نصيبه، يقول : آثر أخاك النميري ، فيؤثره على نفسه ، حتى أضرّ به العطش . فلما رأى ذلك ، استحث ناقته ، وبادر حتى بانت له اعلام المـاء . وقيل له : رد كعب فإنك وارد . فمات قبل أن يرد الماء . ونجا رفيقه ، وكان هذا كعب من اياد .

وأنشدوا في هذا المعنى لأبي تمام :

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجّته المعروف والجود ساحله
كريم اذا ما جئت للعرف طالباً ... حباك بمـا تحوي عليه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بهـــا فليتق الله سائله

حديث يحيى بن يحيى النيسابوري مع المأمون :

حدثنا ابو محمد بن عبد الرحمن ، ثنا عبد الله بن اسماعيل ، ثنا ابو الفرج

ابن علي ، أنبأ اسماعيل بن احمد ، انا احمد ، انا يوسف بن الحسن ، قـــال : سمعت ابا علي بن الحسين بن بندار ، يقول : كان الرشيد ، بعث الى مالك بن انس ، يستحضره ، ليسمع منه الامين ، والمأمون ، فأبى ، وقال : ان العلم يؤتى ، ولا يأتي . فبعث اليه : أبعثهما اليك ؟ فقال : بشرط أن لا يتخطيا رقاب الناس ، ويجلسا حيث انتهى بهما المجلس. فحضروا وكان يحيى بن يحيى النيسابوري ، يحضر المجلس ، فحضر ، فانكسر قلمه يوماً ، فناوله المأمون قلماً ، فلم يقبل . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يحيى بن يحيى النيسابوري . فقال : أتعرفني ؟ قال : نعم ، انت المأمون بن امير المؤمنين. فكتب المأمون على ظهر جزء : ناولت يحيى بن يحيى النيسابوري قلماً في مجلس مالك ، فلم يقبله . فلما افضت الخلافة اليه ، بعث الى عامله بنيسابور ، ان تولي يحيى بن يحيى ، القضاء . فأرسل كتاب المأمون اليه . فقال : قـل لأمير المؤمنين ، ناولتني قلماً ، وأنا شاب فلم اقبل ، أفتجبرني على القضاء ، وأنا شيخ ؟ فرفع الخبر الى المأمون ، فقال : رجلا يختاره . فأختار رجلا ، فولّي فجأ القاضي الى يحيى يسلم عليه ، فضمّ يحيى فراشاً تحته . فقال له القاضي : أيها الشيخ، ألم تخترني ؟ قال : إنما قلت : اختاروه ، وما قلت لك : تقلد القضاء .

حدثنا غير واحد عن علي بن ابي عمر ، عن محمد بن الحسن ، عن عبد الملك ابن بشرانه قال: أنا ابو بكر الآجري ، قال : حدثنا جعفر بن احمد بن عاصم الدمشقي ، قال : حدثنا احمد بن الحواري ، قال : حدثنا ابراهيم بن السقا ، عن اضرم الخراساني ، قال : كتب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصري : عظني . فكتب اليه الحسن :

امـا بعد ، يا امير المؤمنين ، فكن للمثل من المسلمين أخاً . وللكبير ابناً وللصغير ابـاً وعاقب كل واحد منهم بذنبه ، على قدر جسمه . ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً ، فتدخل النار .

قال اسمعيل بن عياش: ظهر بأفريقية جور، فخرج عبدالرحمن بن زياد بن الأنعم الافريقي ، الى ابي جعفر المنصور ، ليعلمه بذلك . فلما وصل ، قال : ما اقدمك ؟ قال : ظهر الجور ببلادنا ، فجئت لأعلمك ، مستجيراً بعدلك ، فإذا الجور يخرج من دارك فغضب المنصور، وهمّ به ، ثم انه تراجع من نفسه فأمر بإخراجه الى بلاده .

حدثنا بذلك عبد الرحمن بن علي ، اجازه عن ابي منصور القزاز ، عن احمد بن علي بن ثابت ، عن البرقاني ، عن محمد بن احمد ، عن عبد الملك بن الآدمي ، عن محمد بن علي الايادي ، عن زكريا بن يحيى الساجي ، عن احمد ابن محمد ، عن الهيثم بن خارجة ، عن اسماعيل بن عياش ، وذكره ، وقال :

روينا من حديث ابن عرفة، عن ابن عياش المنصوري، عن محمد بن يوسف عن محمد بن يزيد ، عن ابن ادريس ، ان عبد الرحمن بن زياد الافريقي، قال: ارسل اليّ ابو جعفر المنصور ، فقدمت اليه ، فاستدناني ، ثم قال لي : يا عبد الرحمن ، كيف ما مررت به من اعمالنا ، الى ان وصلت الينا ؟ قال : قلت : اعمالاً فاسدة سيئة، وظلماً فاشياً ، وظننت ان ذلك لبعد البلاد منك فجعلت كلما دنوت منك ، كان الأمر أعظم . فنكس المنصور رأسه ، ثم رفع ، وقال : كيف لي بالرجال ، يا عبد الرحمن ؟ قال : قلت : أفليس عمر بن عبد العزيز يقول : السلطان بمنزلة السوق ، يجلب فيها ما ينفق فيها . فإن كان براً ، أتوه ببرّهم، وإن كان فاجراً ، اتوه بفجوره . فأطرق طويلاً، وأومأ الى الربيع ، أن يخرج ، فخرجت ، وما عدت اليه .

حدثنا بذلك تاج النساء بنت رستم، عن الارموي، عن ابي بكر الخطيب عن الازهري ، عن احمد بن ابراهيم ، عن ابراهيم ، عن محمد بن عرفة ، عن

ابي العباس المنصور ، عن محمد بن يوسف ، قـــال : علي بن محمد بن الحسن القزويني . سمعت بعض اصحابنا ، يقول : اقبل المنصور يومـــاً ، راكباً . والفرج بن فضالة جالس ، عند باب الذهب . فقـــام الناس ، ولم يقم الفرج فاستشاط غضباً ، ودعى به ، فقال : مـــا منعك من القيام حين رأيتني ؟ قال : خفت أن يسألني الله عنه ، لم فعلت ؟ ويسألك عنه : لِمَ رضيت به ؟ وقـــد كرهه رسول الله ﷺ . قال : فبكى المنصور ، ورقّ له ، وقضى حوائجه . حدثني بهـــا محمد بن اسمعيل ، عن عبد الرحمن بن علي ، عن ابي منصور القزاز ، عن ابي بكر الخطيب ، عن محمد بن عيسى ، عن عبد العزيز عن علي بن محمد بن الحسن القزويني وذكر : حدثنا يونس بن يحيى ، نبأ محمد ابن ناصر ، نبـــأ المبارك بن عبد الجبار ، انا محمد بن علي بن الحسين بن المأمون ، نبأ ابو بكر بن القاسم ، ثنا احمد بن بشار ، ثنا اسحاق بن بهلول ثنا ابي ، ثنا اسحاق بن زياد ، عن شبيب بن شيبة ، عـن خالد بن صفوان ابن الهيثم ، قال : إن ملكاً من الملوك ، خرج في عام ، قد بكر وسميه ، وتتابع وليه ، وأخضرّت الأرض فيه ، ونجم نبتها ، وضحك زهرها . وكان قد أعطى حسن الصورة ، والملك . فنظر بأبعد النظر ، فقال : إن هـــذا الذي انا فيه ، هل رأيتم مـــا انا فيه ؟ هل أعطى احد مثل ما اعطيته ؟ وعنده رجل من بقايا حملة الحجرة ، والمكبين ، على أدب الحق . فقال : أيها الملك ، انك سألت عن امر . أفتأذن في الجواب ؟ قـــال : نعم . فقال : أرأيتك هذا الذي قد أعجبت به ، أهو شيء لم تزل فيه ؟ ام هو شيء ميراثاً عن غيرك ، وهو زائل عنك ، وصائر الى غيرك ، كما صار اليك ؟ قـــال : فكذلك هو . قال : أفلا أراك ، إنما اعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً ، وتغيب عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مرتهناً . قال : ويحك ، فـــأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ قال : إما أن تهتم في ملكك ، فتعمل فيــه بطاعة

ربك ، على ما سأل ، وسرّك ، وأرمضك . وإما أن تضع تاجك ، وتلبس امساحك . وتعبد ربك ، في هذا الجبل ، حتى يأتيك اجلك . قال : فإذا كان السحر ، فأقرع على بابي ، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا تعصى . وإن اخترت فلوات الأرض ، وقفر البلاد ، كنت رفيقاً لا تخالف . فلما كان السحر ، قرع عليه بابه ، فإذا هو به قد وضع تاجه ، ولبس امساحه ، وتهيأ للسياحة . فلزما والله الجبل ، حتى اتاهما الأجل .

حدثنا في آخرين . قالوا : ثنــا محمد بن عبد الباقي ، عن احمد بن احمد ، عن ابي نعيم ، عن عبد الله بن محمد بن جعفر ، عن ابي بكر بن معدان ، عن محمد بن مسلم، عن ابي الحارث الكتانيّ ، عن محمد بن عبد الله الامويّ، قال : حدثنا ابن داود ، وكان قد بلغ ثمانين ، عن الزهريّ ، قــال : نظر سليمان ابن عبد الملك ، الى رجل يطوف بالكعبة ، له تمام ، وكمال . فقـــال له : يا ابن شهاب ، من هذا ؟ قلت : طاوس اليماني ، قد ادرك عدة من الصحابة . فأرسل اليه سليمان ، فأتاه ، فقال له : لو حدثتنا . قال : حدثني ابو موسى الاشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن اهون الخلق على الله من ولّي من امر المسلمين شيئاً ، فلم يعدل فيهم . فتغير وجه سليمان ، فأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه ، فقال : لو حدثتنا . قال : حدثني رجل من اصحاب رسول الله ﷺ ، وقال ابن شهاب : ظننت انه اراد علياً . قـــال : دعاني رسول الله ﷺ ، الى طعام في مجلس من مجالس قريش . قــال : ان لكم على قريش حقاً ، ولهم على الناس حقـــاً ، ما استرحموا فرحموا ، واستحكموا فعدلوا ، وائتمنوا فأدوا . فمن لم يفعل ذلك ، لم يقبل الله منـــه صرفاً ، ولا عدلاً . فتغير وجه سليمان ، فأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه ، فقال : لو حدثتنا .

فقال : حدثني ابن عباس ، ان آخر آية نزلت : واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

حدثنا محمد بن اسماعيل ، نبأ عبد الرحمن بن علي ، نبأ علي بن محمد بن ابي عمر ، انا محمد بن الحسن بن احمد ، عن عبد الملك بن بشران ، عن محمد بن الحسين الآجرّيّ ، حدثني عمرو بن محمد بن بكار القافلانيّ ، عن ابراهيم بن هانىء النيسابوري ، عن ابي صالح كاتب الليث بن سعد ، قال : اخذتها من الليث بن سعد ، رسالة الحسن بن ابي الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز .

أما بعد . أيها الأمير : ان الدنيا دار ظعن ، وليست بدار إقامة ، وإنما أهبط آدم من الجنة عقوبة . وقد يحسب من لا يدري ثواب الله انها ثواب . ومن لا يدري عقاب الله انها عقاب . ولها في كل حين صرعة ، وهي تهين من اكرمها . والغني فيها فقير . فكن فيها يا امير المؤمنين ، كالمداوي جرحه ، يصبر على شدة الدواء ، مخافة طول البلاء يحتمي قليلاً ، مخافة ما يكره طويلاً . فإن اهل الفضائل ، كان ، منطقهم فيها بالصواب ومشيهم بالتواضع ومطعمهم الطيب من الرزق ، مغمضي ابصارهم عن المحارم . فخوفهم من البر ، كخوفهم من البحر ، ودعاؤهم في السرّاء ، كدعائهم في الضرّاء ، لولا الآجال التي كتبت لهم ، ما تقاربت أرواحهم في أجسادهم خوف من العقاب. وشوقاً الى الثواب ، عظُم الخالق في أنفسهم ، فصغر المخلوق في أعينهم .

واعلم ان التفكر يدعو الى الخير والعمل به ، والندم على الشرّ يدعو الى تركه . وليس ما يغني وان كان كثيراً باهل ان يؤثر على ما يبقى وان كان طلبه عزيزاً. واحتمال المؤنة المنقطعه التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل

راحة منقطعة تعقب مؤنة باقية ، وندامة طويلة. فاحذر هذه الدنيا الصارعة الخاذلة القاتلة التي قد تزينت بخدعها ، وقتلت بغرورها ، وخدعت بآمالها ، فأصبحت كالعروس المجليّة ، فالعيون اليها ناظرة ، والقلوب اليها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقي بالماضي يعتبر ، ولا الآخر لما رأى من أثرها بالاول يزدجر ، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عنها مذكر . قد أبت القلوب لها إلا حباً ، وأبت النفوس لها إلا عشقاً . ومن عشق شيئاً لم يعرف غيره ، ولم يعقل سواه ، ومات في طلبه ، وكان آثر الأشياء عنده ، فهما عاشقان طالبان مجتهدان . فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغترّ وطغى ونسي ولهى ، فغفل عن مبتدأ خلقه ، ووضع ما اليه معاده ، وقلّ في الدنيا لبثه ، حتى زلّت عنه قدمه ، وجاءته منيته على شرّ ما كان عليها حالاً ، وأطول ما كان فيها أملاً ، فعظم ندمه ، وكثرت حسرته مع ما عالج من سكرته ، فاجتمعت عليه سكرة الموت بكربته ، وحسرة الفوت بغصته ، فغير موصوف ما نزل به، وآخر مات قبل ان يظفر منها بحاجته ، فمات بغمه وكمده ، ولم يدرك فيها ما طلب ، ولم يرح نفسه من التعب والنصب ، فخرجوا جميعاً بلا زاد ، وقدما على غير مهاد . فالحذر يا أمير المؤمنين : الحذر كله منها ، فإنما مثلها مثل الحيّة ، ليّن مسها وتقتل بسمها ، فاعرض عما يعجبك فيها القلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها لما قد أيقنت به من فراقها ، واجعل شدة ما اشتدّ منها رجاء ما ترجو بعدها ، وكن عند أسرّ ما تكون فيها . احذر ما يكون منها ، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور صبّحته من سرورها بما يسوءه . وكلما ظفر منها بما يحبّ انقلبت عليه بما يكره . فالسارّ منها لأهلها غارّ ، والنافع منها غداً ضارّ ، وقد وصل الرجاء فيها بالبلاء ، وجعل البقاء فيها الى الفناء ، فسرورها بالحزن مشوب ، والناعم فيها مسلوب . فانظر يا أمير

المؤمنين اليها انظر الزاهد المفارق ، ولا تنظر اليها نظر المبتلي العاشق . واعلم يا أمير المؤمنين نزيـل البلوى الساكن ، وتفجّع المترف الآمن . ولا يرجع فيها الى ما ولـّى منها ، ولا يتبع ما صفا منها إلا كدر . فاحذرها ، فإن أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وعيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأنت منها على خطر ، أما نعمة زائلة ، او بليّة نازلة ، او مصيبة فادحـة ، او منية قاضية . فلقد كدرت المعيشة لمن عقل، فهو من نعيمها على خطر ، ومن بليته على حذر ، ومن المنية على يقين . فلو كان الخالق تبارك اسمه ، لم يخبر عنهـا بخبر ، ولم يضرب لهـا مثل ، ولم يأمر فيها بزهد ، لكانت الدنيا أيقظت النائم ، ونبّهت الغافل ، وكيف وقـد جاء عن الله عزّ وجلّ منها زاجر ، وفيها واعظ ، فما لها عنده قـدر ، ولا وزن من الصغر ، وهي عنده أصغر من حصاة في الحصى ، ومن مقدار نواة في النوى . ما خلق الله عزّ وجلّ فيما بلغنا أبغض الى الله تعالى منها ، ما نظر اليها منذ خلقها ، ولقد عرضت على نبيّنا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها ، لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة ، فأبى ان يقبلها ، وما منعه من القبول لها مع ما لا ينقصه الله عزّ وجلّ شيئاً ممـا عنده كما وعده إلا انه علم ان الله عزّ وجلّ أبغض شيئاً فأبغضه ، وصغر شيئاً فصغّره ، ولو كان قبلها كانت الدليل على محبة قبوله إياها، ولكن كره ان يخالف أمره ، ويحبّ ما ابغض خالقـه ، او يرفع ما وضع مليكه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وفي الرسالة طول ، فاقتصرنا منها على هذا القدر من هذا الطريق .

ومن قصص عطاء بن ابي رباح مع هشام :

ما أخبرنا به غير واحد ، عن ابي منصور بن محمد بن عبد الملك، عن احمد ابن علي بن ثابت ، عن ابي الحسن ، عن أبي ايوب الكاتب القمي ، عن ابي عبدالله

محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، عن محمد بن احمد الكاتب ، عن عبد الله بن ابي سعيد الورّاق ، عن عمر بن ابي شيبة ، عن سعيد بن منصور الرقي ، عن عثمان بن عطاء الخراساني، قال: انطلقت مع ابي وهو يريد هشام بن عبدالملك، فلما قربنا اذا بشيخ اسود على حمار عليه قميص دنس وجبّة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة وركابات من خشب، فضحكتُ وقلتُ لأبي: من هذا الإعرابي؟ قال: اسكت هذا سيد فقهاء اهل الحجاز هذا عطاء بن ابي رباح ، فلما قرب نزل ابي عن بغلته ونزل هو عن حماره ، فتعانقا وتسالما ، ثم عادا فركبا وانطلق حتى وقفا بباب هشام . فلما رجع ابي سألته فقلت : حدثني ما كان منكما ، قال : لما قيل لهشام : عطاء بن ابي رباح، على الباب اذن له، فوالله ما دخلت إلا بسببه ، فلما رآه هشام قال : مرحباً مرحباً . ههنا ، فرفعه حتى مست ركبته ركبته ، وعنده اشراف الناس يتحدثون ، فسكتوا ، فقال هشام : ما حاجتك يا ابا محمد ؟ قال : يا امير المؤمنين اهل الحجاز وأهل نجد اصل العرب ، وقادة الاسلام ، ترد فيهم فضول صدقاتهم ، قال : نعم : اكتب يا غلام ، بأن ترد فيهم صدقاتهم . هل من حاجة غيرها يا ابا محمد ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين : اهل الثغور يرمون من وراء بيضتهم ، ويقاتلون عدوّكم ، هل اجريتم لها ارزاقاً تدروها عليهم ؟ فإنهم ان هلكوا بن بتم ، قال : نعم اكتب يا غلام ، تحمل ارزاقهم اليهم . هل من حاجة غيرها يا ابا محمد ؟ قال: نعم يا امير المؤمنين ، اهل دمنكم لا تجيء صغارهم ، ولا تتعتع كبارهم ، ولا يكلفون إلا ما يطيقون ، فإنما يجيئون معونة لكم على عدوكم . قال : نعم . اكتب يا غلام : ان لا يحملوا ما لا يطيقون . هل من حاجة غيرها ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين : اتق الله في نفسك ، فإنك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك ، وتحاسب وحدك، لا والله ما معك ممن ترى احداً قال : فأكبّ هشام ، وقام عطاء ، فلما كان عند الباب وإذا رجل قد تبعه

بكيس ما ندري فيه دراهم او دنانير ، وقال : ان امير المؤمنين امر لـك بهذا ، فقال : ما اصنع بهذا ؟ « قل ما اسئلكم عليه من اجر إن اجري إلا على رب العالمين » . قال : ثم خرج عطاء ، فوالله ما شرب عنده حسوة من ماء فما فوقها .

وحدثنا يونس ، وغيره ، حدثنا عبد الوهاب بن المبارك ، أنا ابو الحسين عبد الجبار ، انا احمد بن علي الثوري ، انا عمر بن ثابت ، حدثنا علي بن ابي قيس ، حدثنا ابو بكر القرشي ، حدثني ابو علي بن الحسين بن شفيق ، عن ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال: كتب عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك : إياك أن تدركك الصرعة عند العزّة ، فلا تقال العثرة ، ولا تمكن من الرجعة ، ولا يحمدك من خلفت مما تركت ، ولا يحمدك من تقدم عليه بما به اشتغلت .

حدثنا محمد بن اسمعيل ، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ثنا عبد الرحمن ابن محمد ، انبأنا احمد بن علي ، انبأنا محمد بن علي ، أنا محمد بن عبد الواحد ، انبأنا محمد بن العباس ، ثنا محمد بن خلف ، اخبرني محمد بن الفضل ، اخبرني بعض اهل الأدب ، عن حسن الوصيف ، قال : قعد المهدي قعوداً عاماً للناس ، فدخل رجل وفي يده نعل في منديل ، فقال : يا امير المؤمنين : هذا نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك ، قال : هاتها ، فدفعها اليه ، فقبل باطنها ووضعها على عينيه ، وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم . فلما اخذها وانصرف قال لجلسائه : اترون اني لم اعلم ان رسول الله ﷺ لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها ؟ ولو كذبناه لقال للناس : اتيت امير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ فردّها علي ، ولكان من يصدقه اكثر من ان يرفع خبره ،

إذ كان من شأن العامـــة الميل الى اشكالها ، والنصرة للضعيف على القوي ، فاشترينا لسانه ، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح .

ومن اخبار يحيى بن اكثم مع المأمون في طريق الشام :

فأمر فنودي بتحليل المتعة ، فقال لنا يحيى بن اكثم بكراً اغدو اليه ، فإن رأيتما للقول وجهاً فقولاً ، وإلا فأسكتا الى أن أدخل . قـال : فدخلنا عليه وهو يستاك فيقول وهو مغتاظ : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهـد ابي بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأنا انهي عنهما . ومن انت يا احول حتى تنهي عما فعله النبي ﷺ ؟ قال : فأمسكنا ، فجاء يحيى فجلس وجلسنا ، فقال المأمون ليحيى : مالي أراك متغيراً ؟ قال : هو غم يا امير المؤمنين لما حدث في الاسلام ، قال : وما حدث ؟ قال : النداء بتحليل الزنا قال : الزنا : المتعة ؟ قال : ومن أين قلت هـــذا ؟ قال : من كتاب الله عز وجل ، ومن حديث رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى : « قـــد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، الى قوله هم العادون » يا امير المؤمنين زوجته ، متعته ، ملك يمينه ، قال : لا ، قال : فهي الزوجة التي عنى الله : ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها ، قال : لا ، قال : قد صار متجاوز هذين من العادين ، وهـــذا الزهري يا امير المؤمنين : روى عن عبد الله ، والحسن ابني محمد بن الحنفية ، عن أبيهما محمد بن علي ، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، قـال : امرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنهي عن المتعة ، وتحريمها بعد أن كان امر بها ، فالتفت الينا المأمون فقال : محفوظ هـذا من حديث الزهري ؟ فقلنا : نعم يا امير المؤمنين : رواه جماعة ، منهم مالك ، فقال : استغفر الله ، نادوا بتحريم المتعة ، فنادوا بهـــا ، فقال الصولي :

فسمعت اسمعيل بن اسحاق يقول : وقد ذكر يحيى بن اكثم فعظم امره وقال : كان له يوم في الاسلام لم يكن لأحد مثله . وذكر هذا اليوم .

حدثنا بذلك جماعة عن ابي منصور عبد الرحمن بن محمد ، عن احمد بن علي بن ثابت عن ابي عبد الله القاضي حسين ، عن الصيمري عن محمد بن عمران المرزباني ، عن الصولي ، عن ابي العينا ، عن احمد بن ابي داود، قالوا: وقال الصولي : وحدثنا محمد بن موسى بن ابي داود ، عن المسرف ، عن سعيد ، عن محمد بن منصور ، والسياق لأبي العينا ، حدثنا سعيد بن الحسن النسائي ، عن جده الحسن بن سفيان ، عن حرملة ابن يحيى ، عن عبد الله ابن وهب ، عن سفيان بن عيينة ، قال : كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز : أعلم أن الهول الأعظم ، ومفظعات الأمور ، أمامك ، لم يقع منها بعد ، وإنه والله لا بدّ لك من مشاهدة ذلك ومعاينته ، إما بالسلامة والنجاة منه ، وإما بالعطب .

حديث سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري مع الوليد بن عبد الملك في حرق القبة :

حدثنا يونس بن يحيى . أنا ابن ابي منصور ، عن ابي القاسم ، عن ابي عبد الله بن بطة ، عن ابي صالح محمد بن احمد ، عن الحارث، عن ابي أسامة عن الواقدي ، عن موسى بن ابي بكر ، عن صالح بن كيسان ، ان الوليد ابن عبد الملك ولّى سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف على قضاء المدينة، وكان ذا دين وورع وصلابة في الدين لا تأخذه في الله لومة لائم، وأراد الوليد الحج ، فاتخذ قبه من ساج ليجعلها حول الكعبة ليطوف هو ومن أحب من أهله ونسائه فيها ، وكان فظاً مجبراً ، فأراد ابن عمه أن يطوف فيها حول الكعبة ، ويطوف الناس من وراء المقصورة ، فحملها على الإبل من الشام ،

ووجه معها قائداً من قواده في ألف فارس من الشام ، وأرسل معه مـــالاً يقسمه في أهل المدينة، فقدم بها، فنصبت في مصلّى رسول الله ﷺ ، ففزع من ذلك أهل المدينة ، فاجتمعوا ، فقالوا : الى من نفزع في هـــذا الأمر ؟ فقالوا : الى سعد بن ابراهيم، فأتاه الناس فأخبروه الخبر، فأمرهم أن يضرموها بالنار ، فقالوا : لا نطيق ذلك ، معها ألف فارس من الشام، فدعى مولىً له فقال : علي بدرعي ، فجاءه بدرع جده عبد الرحمن بن عوف التي شهد بهـا بدراً ، فصبها عليه ، ثم دعا ببغلته فركبها ، فما تخلف عنه يومئذٍ قرشي ، ولا انصاري ، حتى أتاها ، فقال : عـلي بالنار ، فأتى بنار فأضرمها فيها ، فغضب القائد ، فقيل له : هذا قاضي امير المؤمنين ومعه الناس ولا طاقة لك بهم فانصرف راجعاً الى الشام . قال ابن كيسان : وشبع أهــــل المدينة من الناطف ممـــا اكتسبوا من حديدها ، فلما بلغ ذلك الوليد كتب اليه : ولي القضاء رجلاً وأقـدم علينا ، فوّلى القضاء رجلاً ، وركب حتى أتى الشام ، فقام ببابه شهراً لا يؤذن له حتى نفذت نفقته ، وأضربـه طول المقام ، فبينا هو ذات عشية في المسجد اذا هو بفتىً سكران ، فقال : من هـذا ؟ قالوا : خال امير المؤمنين سكران يطوف في المسجد، فقال : لمولىً له : هلم السوط، فأتاه بسوطه فقال : عليّ به ، فضربه في المسجد ثمانين سوطاً ، وركب بغلته ومضى راجعاً الى المدينة . فأدخل الفتى على الوليد مجلوداً ، فقال : من فعل بـــه هذا ؟ قالوا : قاضيك على المدينة سعد بن ابراهيم ، فقال : عليّ به ، فلحق على مرحلة فدخل عليه فقال : يا أبا إسحاق ماذا فعلت بإبن اختك ؟ فقال : يا امير المؤمنين إنـك وليتنا أمراً من امورك ، فأتى حقاً لله ضائعاً سكران ، يطوف في المسجد وفيه الوفود ، ووجوه الناس ، فكرهت أن يرجع الناس عنك بتعطيل ، فأقمت عليه حـده . فقال : جزاك الله خيراً ، وأمر له بمال ، ولم يذاكره شيئاً من أمر حرق القبة .

حدّثنا محمد بن اسماعيل ، ثنا عبد الرحمن بن علي ، نبأ محمد بن الحسين ، ثنا عبد الملك بن بشران ، قـال : أنبأ ابو بكر الآجرّي ، نبأ ابن صاعد ، نبأ الحسين بن الحسين ، انا ابن المبارك ، انا هشام ، قال : حدّثني مولى مسلمة ابن عبد الملك ، قال : حدّثني مسلمة بن عبد الملك ، قال : دخلت على عمر ابن عبد العزيز بعـد صلاة الفجر في بيت كان يخلو فيه بعـد الفجر فلا يدخل عليه احد ، فجاءته جارية بطبق فيه تمر صيحاني، وكان يعجبه التمر ، فوضع في كفه منه فقال : يا مسلمه أترى لو ان رجلاً أكل من هذا ، ثم شرب عليه الماء ، فإن الماء على التمر طيّب ، فكان يجزئه الى الليل ؟ قال : فقلت : لا أدري ، فرفع أكثر منه ، قـــال : فهذا ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين كان كافيه دون هـــذا حتى لا يبالي ان يذوق طعاماً غيره ، قال : فعلام يدخل النار ؟ قال مسلمة : فما وقعت مني موعظة ما وقعت مني هذه .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، حدّثنا عبد الرحمن بن صالح ، نبأ ابو نعيم ، عن سفيان ، قال : قال معاوية لابن الكواكيف: ترى الزمان ؟ قال: يا امير المؤمنين إن تصلح يصلح .

قيل لبعض خلفاء عصرنا وقد ذكرنا انساناً لم يكن له قديم مجـد ، فقال له بعض الحاضرين : يا امير المؤمنين من هو يؤبه له ، فإن الدهر ما ساعده بشيء ؟ فقـــال : نحن الزمان ، من رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع ، وولّاه .

وتقول الصوفية : شروط السماع اربعة : اذا كلمت ، ولا مانع الزمان ، والمكان ، والاخوان ، ويعنون بالزمان : السلطان ، اذا قـــال به ، ودعا اليه ، وطاب الوقت لأصحاب القلوب ، وانبسطت النفوس .

ورويِنا من حديث ابن ابي الدنيا ، قال : قال ابو كريب : نبأ ابو بكر ابن عيّاش ، عن ابي سعيد ، قال: سمعت الحجاج وهو على المنبر يوماً يقول: يا ابن آدم بينما انت في دارك وقرارك اذ تسوّر عليك ملك الموت ، واختلس روحك ، ثم دفنك أهلك ، ورجعوا ، واختصموا فيك ، حبيباك : حبيبك من أهلك ، وحبيبك من مالك ؛ فاتق الله ، فالآن تأكل ، وغداً تؤكل . ثم بكى حتى تلقّى دموعه بعمامته .

ورويِنا من حديث ابي نعيم ، انا ابو عبد الله محمد بن احمد بن مخلد انا الحارث بن ابي أسامة ، قال : أخبرنا يزيد بن هرون ، عن ازهر بن سنان القرشي ، حدّثنا محمد بن واسع ، قال : دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت: يا بلال ان أباك حدّثني عن جدّك ، عن رسول الله ﷺ ، قال : ان في جهنم لوادياً ولذلك الوادي بئراً يقال لها هبهب ، حق على الله عزّ وجلّ ان يسكنها كل جبار ، فإياك ان تكون منهم .

وقيل : لما دفن سليمان بن عبد الملك قربت مراكب الخلافة لعمر بن عبد العزيز ، فبكى عمر وقال : دابتي أوفق لي .

وأنشدوا في ذلك :

ولولا التقى‌ثم النهى خشية الردى   لعاصيت في حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى   له صبوة اخرى الليالي الغوابر

ثم قال : إن شاء الله ، فجاءه صاحب الشرط ، فمشى بين يديه فقال : تنحّ عني ، ما لي ولك ؟ أنا رجل من المسلمين ، فسار حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر فقال : اني ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ، وقد

خلعت ما في أعناقكم من تبعتي ، فاختاروا لأنفسكم ، فصاح الناس : قد اخترناك ، فقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فإن من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ، واكثروا من ذكر الموت ، واحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، وإن من تذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم أباً حياً لمعرف له في الموت . ثم نزل فدخل وأمر بالستور، ثم ذهب يتبوء مقيلاً ، فقال له ابنه : تقبل ولا ترد المظالم ؟ فقال: يا بني إني سهرت البارحة فإذا صليت الظهر رددتها ، فقال : من لك أن تعيش الى الظهر ؟ فقبل بين عينيه وقال : الحمد لله الذي اخرج من صلبي من يعينني على ديني ، فخرج وأمر مناديه أن ينادي : كل من له مظلمة فليرفعها فرد الكل ، فقال : أيها الناس إني أنسا لم ههنا ، وأذكركم في بلادكم ، فمن ظلمه عامله فلا إذن له عليّ ، وإني والله ما أنا بخيركم ، ولكني اثقلكم محلا . ثم خير جواريه فقال : انه قد نزل بي أمر شغلني عنكن ، فمن أحب أن أعتقه أعتقته ، ومن أراد أن أمسكه أمسكته ، ولم يكن مني اليها شيء . قالت زوجته فاطمة : ما أعلم انه اغتسل من جنابة ولا من احتلام منذ ولي الخلافة الى أن مات . وقوموا ثيابه جميعاً حين استخلف فكانت اثني عشر درهماً . وقيل لزوجته : اغسلي قميصه، قالت : والله ما يملك غيره . وكتب الى عامله : لا تقيد احداً بقيد يمنع عن تمام الصلاة .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك : إياك أن تدركك الصرعة عندة العزّة ، فلا تقال العثرة ، ولا تمكن من الرجعة ، ولا يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما به اشتغلت والسلام . اخبرنا به محمد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن بن علي ، عن علي بن محمد ، عن

ابي عمرو ، عن محمد بن الحسن ، عن عبد الملك بن بشران ، عـــن ابي بكر الآجري ، عن ابي صاعد ، عن الحسين بن الحسن ، عن ابن المبارك ، عـــن عبد الرحمن بن يزيد ، عن جابر ، أن عمر بن عبد العزيز ، وذكره .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عن محمـد بن الحسين ، عن شهاب بن عياد ، عن سويد الكلبي ، ان ذرّ بن حبيش ، كتب الى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه ، وكان في آخر كتابـه : ولا يطمعنك يا امير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك ، فأنت أعلم بنفسك ، واذكر ما تكلم بـه الأولون .

إذ الرجال ولدت اولادها ... وبليت من كبرٍ أجسادها
وجعلت اسقامها نفتادها ... تلك زروع قددنا حصادها

فلما قرأ عبد الملك الكتاب بكى حتى بلّ طرف ثوبه ، ثم قال : صدق ذرّ ، ولو كتب الينا بغير هذا لكان أوفق .

حدثنا محمد بن اسمعيل ، نبأ عبد الرحمن بن علي ، حدثنا عبد الله بن علي ، أنا منصور بن عبد العزيز العسكري ، أنا ابو احمد عبد الله بن ابي مسلم ، أنا علي بن عبد الله بن المغيرة ، اخبرني احمد بن سعيد الدمشقي ، انا الزبير بن بكار ، حدثني مدائني ، عن عونة بن الحكم ، قـــال : قال الشعبي : سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبق اليه في علمي احد ، قال : أما بعد : فـإن الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، ولا يغرّنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقصر واطول الأمل بقصر الأجل. وقال مبارك بن فضالة : خطب الحجاج يوماً فقال : أما بعد : فـإن الله كفانا مؤنة الدنيا ، وأمرنا بطلب الآخرة ،

فليت الذي كان أمرنا به طلب الدنيا وكفانا مؤنة الآخرة . فلما سمعه الحسن قال : ضالة مؤمن عند فاسق خذوها .

حدثنا بهذا كتابة ابو سعد بن عبد الله بن عمر بن احمد بن منصور ، عن ظاهر بن طاهر ، عن ابي عثمان سعيد بن محمد بن احمد ، عن ابيه ، عن علي ابن المؤمل ، عن محمد بن يونس ، عن ابن عوف ، عن مبارك بن فضالة ، وذكره .

بلغنا عن هرم بن حيان ، انه بات عند حممة فبكى حممة الى الصباح ، فقال هرم : ما ابكاك يا حممة ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تناثر النجوم .

حكاية :

حدثنا يونس بن يحيى ، أنا محمد بن ناصر ، أنا محفوظ بن احمد ، أنا محمد ابن الحسين ، نبأ المعافي ، نبأ عبيد الله بن محمد الأزدي ، ثنا ابو بكر بن ابي الدنيا ، حدثني الحارث بن محمد التميمي ، عن شيخ من قريش ، قال : مرّ الاسكندر بمدينة قد ملكها املاك سبعة وبادوا ، فقال : هل بقي من نسل الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة احد ؟ قالوا : نعم ، رجل يكون في المقابر ، فدعا به قال : ما دعاك الى لزوم المقابر ؟ قال : أردت أن اعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم ، فوجدت عظام عبيدهم وعظامهم سواء ، فقال له : هل لك أن تتبعني فأحيي بك شرف آبائك ان كانت لك همة ؟ قال : إن همتي لعظيمة إن كانت بغيتي عندك ، قال : وما بغيتك ؟ قال : حياة لا موت فيها ، وشباب ليس معه هرم ، وغنىً لا فقر معه ، وسرور بغير مكروه ، قال : لا . قال : فأمض عني لشأنك ، ودعني اطلب ذلك ممن هو عنده وملكه . فقال الاسكندر : هذا أحكم مما رأيت .

وحدثنا يونس قـال : حدثنا عبد الوهاب الحافظ ، عن المبارك بن عبد الجبار ، عن محمد بن علي بن الفتح ، عـــن محمد بن عبد الله الدقاق ، أنا ابن صفوان ، عن ابي بكر بن سفيان ، عن محمد بن الحسين ، عن الوليد بن صالح عن عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز سفط فيـه دراعة من شعر وغل ، وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل فيه احد، فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط، ولبس تلك الدراعة ، ووضع الغل في عنقه ، فلا يزال يناجي ربه حتى يطلع الفجر ، ثم يعيده في السفط .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عـن محمد بن الخنيص ، عن محمد بن ايوب ، عن يزيد بن محمد بن مسلمة ، قال : حدثني مولىً لنا ، قال : بكت فاطمة بنت عبد الملك حتى غشي بصرها فدخل عليها اخواها مسلمة وهشام، فقالا لها : مـا هذا الأمر الذي قدمت عليه ؟ أجزعك على بعلك فأحق من جزع على مثله او على شيء فاتك من الدنيا ؟ فهـا نحن بـين يديك وأموالنا وأهلونا ؟ فقالت : ما من كل جزعت، ولا على واحدة منهما . أسفت، ولكن والله مـــا رأيت ليلة منظراً ، فعلمت ان الذي أخرجه الى الذي رأيت منه هول عظيم قد استكنّ به في قلبي فعرفته، قالاها : وما رأيت منه ؟ قالت : رأيته ذات ليلة قائماً يصلي وأتى على هـذه الآية « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

من تاريخ العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله قال : قال زيد بن أسلم، عن انس رضي الله عنه، ما صليت وراء امام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى : يعني بـــه : عمر بن العزيز رضي الله عنه ، وهو امير على المدينة . قال زيد بن أسلم فكان يـــتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود ، له طرق ، عـن انس ، اخرجه البيهقي في سننه ،

وغيره . وسئل محمد بن علي بن الحسين . عن عمر بن عبد العزيز فقال : هو نجيب بني امية، وإنه يبعث يوم القيمة امةً وحده . وقال ميمون بن مهران: كان العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا، حدثنا يعقوب بن اسمعيل، عن يعقوب ابن ابراهيم ، عن محمد بن مكي ، قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال : الدنيا ليست بدار قرار ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على اهلها منها الظعن ، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يرحل ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يستعد للنقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، إنما الدنيا كفيء قلص فذهب ، بينما ابن آدم ينافس فيها قرير العين بها ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه دنياه ، وصير لقوم آخرين مغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلاً وتجر حزناً طويلاً .

حدثنا يونس بن يحيى ، عن ابي بكر بن ابي منصور، عن علي بن احمد، عن ابي عبد الله بن بطة ، عن ابي دريد ، عن ابي حاتم ، عن ابي عبيدة ، قال : إذن عبد الملك للناس إذناً عاماً ، فدخل عليه رجل في هيئة إعرابي، فقال : يا أبا الوليد بلغني ان عندك مالاً فإن كان لله فاقسمه في عباده ، وإن كان لك فتفضل عليهم ، وإن كان لهم فأدفعه اليهم ، وإن كان بينك وبينهم فقد اسأت شركتهم ، ثم ولّى . فقال عبد الملك : اطلبوا الرجل فلم يقدروا عليه ، وأمر للناس بأعطائهم فكانوا يرون انه منبه من عند الله او الخضر ، والله أعلم .

روينا من حديث احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العباس ، عن محمد

ابن يونس الكريمي ، عن ابن عثمان ، عن سلام بن مسكين ، عن مالك بن دينار ، انه لقي بلال بن ابي بردة في الطريق والناس يطوفون حوله ، قال : اما تعرفني ؟ قال : بلى أعرفك ، اولك نطفة ، وآخرك جيفة ، وأسفلك دودة . قال : فهموا بـه أن يضربوه ، فقال لهم : هذا مالك بن دينار ، فترك ومضى .

حدثنا ابو الفتوح في آخرين ، قالوا : حدثنا محمد بن عبد الباقي ، عن احمد بن احمد بن عبد الله ، عن الحسن بن علي بن الخطاب الوراق، عن محمد ابن عثمان ، عن ابي شيبة ، عن ابراهيم بن عياش الكاتب ، عن الاصمعي ، عن ابيه ، قال : مر المهلب بن ابي صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته، فقال له مالك : أما علمت ان هذه المشية تكره الأبين الصفين؟ فقال له المهلب : اما تعرفني ؟ فقال مالك : اعرفك احسن المعرفة ، قال : وما تعرف مني ؟ قال : اما اولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بينهما تحمل العذرة . قال : فقال المهلب : الآن عرفتني حق المعرفة .

حدثنا يوسف بن عبد الكريم بن الحسن بالموصل ، قال : قدمت بغداد واجتمعت ببعض خواص امير المؤمنين المقتفي لأمر الله ، قد مرض مرضاً شديداً ، فنوى إن أقاله الله أن يفعل خيراً ، ثم استقيل من ألمه وشفاه الله ، فشغله تدبير الأمور عن الوفاء بما نواه ، ثم مرض المرض الذي مات فيه ، فتذكر ما نذر من الخير في مرضه الأول ، وما فرط في ذلك . فبكى ، وأنشد :

نرضي الإله إذا خفنا ونغضبه ... إذا أمنا فما يزكو لنا عملُ
إذا مرضنا نوينا كل صالحة ... وإن شفينا فمنا الزيغ والزلل

وأنشد ايضاً :

إنّ الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع امرٍ قد اتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبري منه فيما قد مضى
مات المداوي والمداوى والذي جلب الدواء وباعه ومن اشترى

ثم قال : أحملوني الى قبري ، فحمل فأطلع فيه وقد حفر ، فقال : أوسعوا عند الصدر، ثم قال : يا من لا يزال ملكه ارحم من قد زال ملكه، واسوأتاه من رسول الله ﷺ . ثم مات .

روينا من حديث الحميدي ، عن ابي محمد بن احمد ، عن الكتاني ، عن احمد بن خليل ، عن خالد بن سعد ، عن عمر بن حفص بن غالب ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن الشافعي رضي الله عنه ، عن محمد بن علي ، قال اني لحاضر مجلس امير المؤمنين المنصور وفيه ابن ابي ذئب ، وكان والي المدينة الحسن بن زيد ، فأتاه الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيئاً من امر الحسن بن زيد ، فقال الحسن : سل عنهم ابن اخي ذئب ؟ فقال : يا امير المؤمنين أشهد انهم اهل تحخصم في اعراض المسلمين ، كثيروا الأذى . قال ابو جعفر : قد سمعتهم ، فقال الغفاريون : يا امير المؤمنين . فسله عن الحسن بن زيد ؟ فقال : يا ابن ابي ذئب ما تقول في الحسن بن زيد ؟ قال : أشهد انه يحكم بغير الحق ، قال : سمعت يا حسن ما قال ؟ فقال : يا امير المؤمنين سله عن نفسك؟ فقال: ما تقول فيّ ؟ قال : او يعفيني امير المؤمنين؟ فقال : والله لتخبرني ، فقال كلمة ، فوضع المنصور في قفا ابن ابي ذئب ، وجعل يقول : اما والله لولا أنا لآخذت ابناء فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك . فقال ابن ابي ذئب : قد ولّى ابو بكر ، وعمر ، فأخذا

بالحق ، وقسمها بالسوية ، وأخـذ بأقفاء فارس ، والروم ، فخلاه ابو جعفر ، وقال : لولا إني أعـلم انك صادق لقتلتك . فقال ابن ابي ذئب للمنصور : يا أمير المؤمنين أنا أنصح لك من ابنك المهدي .

روينا من حديث محمد بن القاسم بن خلّاد ، قال ابن ابي ذئب للمنصور: يا أمير المؤمنين قد هلك الناس ، فلو أعنتهم مما في يديك من ألفيء . قال : ويلك لو ما سددت من الثغور ، وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح . فقال ابن ابي ذئب : فقد سدّ الثغور ، وجيش الجيوش ، وفتـــح الفتوح ، وأعطى الناس عطياتهم من هو خير منك . قال : ومن هو ويلك؟ قـال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فسكت المنصور ، ونكس رأسه ، ولم يعرض له ، والتفت الى محمد بن ابراهيم الإمام . فقال : هذا الشيخ خير اهل الحجاز .

حدثنا ابن منصور ، عن احمـد بن علي ، عن الجوهري ، عن محمد بن عمران ، عن احمد بن محمد بن عيسى المكي ، عن ابن خلّاد ، وذكره .

وروينا من حديث ابن هشام : انه لمـــا طال البلاء على أهل اليمن من الحبش ، وملك ارباط ، وأبرهة ، ومكسوم بن أبرهـة ، ووليها مرؤق بن أبرهة اخو مكسوم ، خرج سيف بن ذي يزن الحميري وكان يكنى بأبره ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكى اليه ما هم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث اليهم ما شاء الى الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من ارض العراق ، فشكى اليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : أن لي على كسرى وفادة في كل عام ، فأقم عندي حتى يكون ذلـك ، ففعل ،

ثم أدخله على كسرى ، وكان كسرى يجلس على ايوان مجلسه الذي فيه تاجه مثل القلقل العظيم فيما يزعمون ، والقلقل : المكيال يضرب فيه الياقوت ، والزبرجد ، واللؤلؤ ، بالذهب ، والفضة ، معلقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ، فكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حين يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه في تاجه ، فإذا استوى في مجلسه كشف عنه الثياب ، فلم يره رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له . فلما دخل سيف بن ذي يزن برك .

وفي حديث ابي عبيدة أن سيفاً لما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا أحمق يدخل عليّ من هذا البيت الطويل يطأطىء رأسه، فقيل : هذا السيف ، فقال : إنما فعلت هذا لهمي لأنه يضيق عنه كل شيء . قال ابن هشام : قال ابن اسحاق : ثم قال : أيها الملك غلبنا على بلادنا الاغربة . قال كسرى : أي الاغربة ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرني ، ويكون مُلك بلادي لك . قال : بعدت بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأربط جيشاً من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك. ثم أجازه بعشرة آلاف درهم ، وكساه كسوة حسنة ، فلما قبض ذلك سيف خرج فجعل ينثر تلك الرقعة للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن هذا لشأناً ، ثم بعث اليه ، فقال : عمدت الى حباء الملك تنثره للناس، فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال ارضي التي جئت منها إلا ذهب، وفضة، يرغب فيها . فجمع كسرى مرازبته ، فقال : ماذا ترون في أمر هذا الرجل ؟ وما حاله ؟ فقال قائل : أيها الملك إن في سجنك رجالاً قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وان ظفروا كان ملكاً ازددته. فبعث معه كسرى من كان في سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل ، استعمل عليهم

وهزر ، وكان ذا سن فيهم ، وأفضلهم حباً وبيتاً ، فخرج في ثمان سفاين ، فغرقت سفينتان ، ووصل الى ساحل عدن ست سفاين ، فجمع سيف الى وهزر من استطاع من قومه ، وقال له : رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً ، او نظفر جميعاً ، قال وهزر : أنصفت . وخرج اليه مروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع اليه جنده، فأرسل اليه وهزر ابناً له ليقاتلهم فيختبر مقاتلتهم ، فقتل ابن وهزر ، فزاده ذلك حنقاً ، فلما توافق الناس على مصافهم ، قال وهزر : أروني مَلكهم ، قالوا له : ترى رجلاً على الفيل ، عاقداً تاجاً على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم . فقال : اتركوه ، فمكث طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل عن الفرس، قال : اتركوه ، فوقف طويلاً ، فقال : علام هو ؟ قالوا : على بغلة ، قال وهزر : بنت الحمار ذلّ ، وذلّ ملكه ، إني سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم ، فإني قد أخطأته ، وإن رأيتم القوم استداروا ولاثوا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره لشدّتها ، وأمر بحاجبه فعصبها له ، ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه ، فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكص عن دابّته ، فاستدارت الحبشة ، ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا وقتلوا وهربوا في كل وجه ، فأقبل وهزر ليدخل صنعاء حتى أتى بابها ، قال: لا تدخل رايتي منكسة ابداً ، اهدموا الباب، فهُدم ، ثم دخلها ناصباً رايته . فقال سيف بن ذي يزن في ذلك :

يظنّ الناسُ بالملكـ ... ين أنهما قد التأما
ومن يسمع تلاقيهما ... فإن الخطب قد نقما
قتلنا الفيل مرؤقاً ... وروّينا الكثيب دما

وان الفيل قبل النا س وهزر مقسم قسما
برق مشمشماً حق نفى السبي والنعما

فقد ذكرنا قصيدة أمية بن ابي الصّلت في سيف بن ذي يزن في وفـد عبد المطلب ، وقريش ، عليه من حديث احمـد بن عبد الله ، وهي القصيدة التي يقول فيها :

تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

وهذا البيت في قصيدته وإنما هو للنابغة الجعدي ، كذا قال ابن اسحاق:
قال عديّ بن زيد الحيري عابد من عبّاد اهل الحيرة :

ما بعد صنعان كان يعمرها ولاة ملكٍ جزل مناصبها
رفعها من بني لدى قزع الم زن وتندى مسكاً محاربها
محفوفة بالجبال دون عرى الكا ئـل ما ترقّى غواربها
يأنس فيها صوت اللهام اذا جاوبهـا بالقسي قاصبها
ساقت اليها الأسباب جنـد بني الإحراز فرسانها مراكبها
وقورب بالبغال توسق بالحـ تف ويسعى بهـا توالبها
حتى رآها الاقوال من طرف الـ معقبل مخضرّة كتائبها
يوم ينادون البرير واليـ كسوم لا يفلحنْ هاربها
فكان يوم باقي الحديث وزا لت أمة ثابتـة مراتبها
وبدّل الفتح بالزرافة والأ يام حون جم عجائبها
بعـد بني تبّع محاورة قـد اطمأنت به مرازبها

الغارب : السّنام فاستعاره ، فأراد بقوله : غواربها ، أعاليها . واللهام : طائر . والقاصب : الزامر . والتوالب : واحدها تولب وهو ولد الثعلب .

وأمه هنا : يريد بها لغة . والفتح : الواحد . والزرافة : الجماعة . محاورة : يعني سادات . والمرازب : العظما .

قال ابن هشام : فأقـــام وهزر فولى ابنه المرزبان ، فأمر كسرى ابنه السجّان ، ثم عزله وأمّر باذان . وقد ذكرنا خبر باذان في هـــذا الكتاب واسلامه .

روينا من حديث ابن مروان ، عن ابراهيم بن اسحاق الحرميّ ، عن هارون بن عبد الله ، عن بشار بن جعفر ، عن عنبسة الخوّاص ، عن قتادة ، قال موسى عليه السلام : يا ربّ أنت في السماء، ونحن في الارض ، فما علامة غضبك من رضاك؟ قال : اذا استعملت عليكم خياركم ، فذلك علامة رضاي. واذا استعملت عليكم شراركم ، فهو علامة سخطي . وأنشدنا من حديث ابن ابي الدنيا ، قال : أنشدني ابو عبد الله البصير ، لمعبد بن طوق العنبري :

تلقى الفتى حـــذر المنية هارباً ... منها وقـــد حفّت به لا يشعرُ
نصبت حبائلها له من حوله ... فإذا أتاه يومه لا ينظر
ان امرءاً أمسى أبوه وأمه ... تحت التراب ليومه يتفكر
تعطى صحيفتك التي أمليتها ... فترى النهى فيها اذا ما تنشر
حسناتها محسوبة قد أحصيت ... والسيئات فأي ذلك أكثر

وروينا من حديث الدينوري ، من حديث أبي أسامة ، عن اسحاق بن اسماعيل ، عن ابي معاوية ، عن سليمان بن ابراهيم ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : لمـا قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام لقيه الجنود ، وعليه ازار ، وخفـّان ، وعمامة ، وهو آخـذ برأس نجيبته يخوض الماء ، وقد خلع خفيه وجعلها تحت ابطيه ، قالوا له : يا أمير المؤمنين الآن

تلقاك الجنود وبطارقة الشام ، وأنت على هذه الحالة . قال : إنا قومٌ أعزّنا الله بالاسلام ، فلن نلتمس العزّ بغيره .

وحدّثنا عبيد الله بن عمر ، ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل قربة على عنقه ، فقال له اصحابه : يا امير المؤمنين ما حملك على هذا ؟ قال : ان نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها . رويناه من حديث المالكي ، عن احمد بن يوسف ، عن عبيد الله بن محمد بن حفص ، عن حماد بن سلمة بن عبيد الله ابن عمر .

حدّثنا محمد بن اللباب ، ثنا ابن خميس ، نبأ الحميدي ، حدّثنا ابو بكر الاردستاني ، انا السلمي ، سمعت عبد الله بن عليّ الطوسي ، سمعت احمد بن محمد الردعي الشبلي ، وسئل عن قوله عزّ وجلّ : « ولله على النـــاس حجّ البيت » فوصف صفة لم يضبطها اهل المجلس . ثم أنشأ يقول :

لست من جملة المحبين إن لم　　　أدع القلب بيته والمقاما
وطوافي اجالة السرّ فيـــه　　　وهو ركني اذا أردت استلاما

قلت : فهذان البيتان من جنس ما لم يضبطه اهل المجلس ، لأن وارد الوقت واحد العين . فاعلم ذلك .

وقال محمد بن الفضل : العجب ممن يقطع الأودية ، والقفار ، والمفاوز ، حتى يصل الى بيته وحرمه ، ويرى فيه اثر أنبيائه ؛ كيف لا يقطع نفسه وهواه حتى يصل الى قلبه ، فإن فيه آثار ربه .

روينا من حديث السلمي اسحاق بن بشر ، مرفوعاً الى النبي ﷺ ان حملة العرش اربعة أملاك : ملك على صورة انسان يسأل الرزق لولد آدم ، وملك

على صورة سبع يسأل الرزق للسباع، وملك على صورة النسر يسأل الرزق للطير، وملك على صورة الثور يسأل الرزق للأنعام. قال ابن عباس: فالملك الذي على صورة الثور، لم يزل غاضاً بصره منذ عبدت بنو اسرائيل العجل، لأنهم عبدوا شيئاً يشبهه، وإن الله لما خلق هؤلاء الملائكة قال لهم: احملوا العرش فلم يطيقوا، فقال لهم: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قالوها استقلوا بالعرش على كواهلهم، ونزلت اقدامهم على متن الثرى، وقدر البروج في العرش اثنا عشر مقداراً، وقدر المنازل في الكرسي، وخلق الأيام بخلق الكرسي، فأداره، فكانت الأيام بدورانه كأنها يوم واحد، لا يتميز فيه من الايام السبعة. ثم خلق السبع سموات وأدارها، وخلق في كل فلك كوكباً، فجعل في الأعلى: كيوان، وفي الثاني: بهرام، وفي الثالث الاحمر، وفي الرابع: الشمس، وفي الخامس: الزهرة، وفي السادس: الكاتب، وفي السابع: القمر. ثم خلق النار مما يلي السماء الدنيا، وجعل منها شبه الرصد على مسالك الشياطين ذوات الأذناب، ثم خلق الهواء، وثم الماء، ثم الارض وخلق الليل والنهار، عند حركة الفلك الذي فيه الشمس. ثم خلق المعادن، والنبات، والحيوان، وآخر خلق خلقة الانسان. هكذا ركب الله العالم، فذلك تقدير العزيز العليم. ثم في هذه الافلاك، وبينها، من العوالم، والاملاك والارواح، والمنازل، والمقامات، ما لا يعلمه إلا الله. وخلق سدرة المنتهى اصلها في السماء السادسة عند الانهار الاربعة، والنيل، والفرات، منها، وفروعها بين السماء السابعة، والكرسي، وجعلها موضع الانتهاء لما ينزل من العرش من الأمر، ولما يصعد من الارض من الاعمال، والمعارج. وجعل هناك مرموماً، وهو مسكن الملائكة دون الروح الأعظم. وإن الله خلق سبعين حجاباً، ومن وراء الحجب، إسرافيل، ومن وراء إسرافيل، سبع حجب بينه، وبين العرش. وخلق الله ميكائيل، وجعل بيده الدعاء،

والرحمة ، والاستغفار ، والارزاق ، والغياث . وخلق جبريل ، وجعل له الوحي الى الانبياء والمرسلين ، والخسف ، والارجاف، وهلاك الامم الطاغية على رب العالمين . وخلق عزرائيل ملك الموت وقبض الارواح . وجعل إسرافيل سفيراً بينه سبحانه ، وبين هؤلاء الملائكة ، بما يوحى اليهم من القضاء الذي قدره وسبق في علمه كونه . وجعل اللوح المحفوظ معلقاً بالعرش فإذا قضى الله قضاءً دنا اللوح فيقرع جبهة إسرافيل ، فيسمع للوح صلصلة كالسلسلة على الصفوان ، فيكشف إسرافيل الغطاء الذي على وجهه ، ويرفع بصره ، فإذا فيه قضاء الله عز وجل الذي قضاه ، فينادي بذلك القضاء إسرافيل الملك الذي يجريه الحق على يديه ، وبين إسرافيل عليه السلام ، وبين اقرب الملائكة اليه ، سبعون حجاباً . وخلق سبحانه الناقور ، وهو الصور ، وهو قرن من نور واسع الأعلى ، ضيق الاسفل ، وجعل فيه مسكن أرواح ، الخلائق بعد ، ووكل به ملكاً عظيماً ألقمه إياه ، ينتظر متى يؤمر بالنفخ ؟ وجعل لإسرافيل فيه نفخة البعث ، فإن النفخات في الصور وهو جمع صورة نفخة الارواح في اجسادها انشاء ، وهو قوله : « ونفخت فيه من روحي » ونفخة الفزع ، وهو المذكور في سورة النمل ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيمة ، وهما المذكورتان في الروم ، فنفخة القيمة لإسرائيل .

عن ابن عباس : وبين إسرافيل سبعون إسرافيل في أعلاها ، وجبريل في أدناها ، والصور القائم بينهما قد ثنى ركبته اليمنى ، وشخص بها الى السماء ، والاخرى الى الارض ، والصور أجوف كأنه فضة بيضاء ، وقد وضعه الملك على فخذه ، وقرب أعلاه الى فيه ، وهو ينظر بإحدى عينيه الى الصور ، وبالاخرى الى جناح إسرافيل ، وقد جعل الله له علماً ، فإذا أراد الله امراً بقضاء الأجل الذي للعالم أمر إسرافيل أن يضم اليه جناحه ، وذلك بأن

يدنو اللوح من جهة إسرافيل فيرفعه ، فـإذا فيه : أن ضم اليك جناحك ، فيضم إسرافيل اليه جناحه بإذن ربه ، فإذا رأى ذلك الملك نفخ في الصور، فتمر النفخة في جميع صور العالم الحي في العرش ، والكرسي ، والسموات ، والارض ، من ملـك ، وإنس وجن ، وحيوان بري ، وبحري ، فيصعقون عن آخرهم إلا من شاء الله مثل إسرافيل ، وجبريل ، وميكائيل .

واختلف في سكان الجنة والنار ، وروح موسى عليه السلام ، فقد قيل : لا تلحقهم الصعقة ، ثم يقبض روح ميكائيل اولاً ، ثم روح إسرافيل ، ثم جبرائيل بعدهما . وقد روي انه احب خلق الله الى الله من الملائكة .

وروينا ايضاً لا يقبض حتى يعتذر له سبحانه ، بأن ذلك لمـــا سبق في علمه ، ثم يدنو ملك الموت من ربه عن أمره ، فيقول له : مت فيموت .

قال ابن عباس : فـــلا يبقى احد إلا الله سبحانه وتعالى ، فيقول : أنا مالك الملك . أنا الذي قضيت على خلقي بالفناء . وأنا الباقي ابن الجبارون ؟ ابن المتكبرون؟ لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه احد، فيقول : « لله رب العالمين » فيدعهم اربعين ، لا يدري يوماً او شهراً او سنة . ما بلغنا فيه عن احد مما رويناه عنه شيء يعتمد عليه غير إن الحسن قال : اتفق رأي اصحاب النبي ﷺ على أربعين عاماً ، فـإذا انقضت المدة ، وشاء سبحانه أن يبعث الخلق أرسل عليهم الريح العقيم ، ليجمعهم ، ثم يرسل عليهم مطراً بلا سحاب مثل مني الرجال .

وروي انه البحر المسجور، وقيل نهر الحياة الذي بين العرش والكرسي، فيمطرون أربعين صباحاً ، فينبتون نبات الطراثيث . وقــد قيل على صورة النشاة الاولى من التناسل اولاً فأولاً على التوالد ، ولكن في اقرب من لمـح

البصر . ثم يبعث الله إسرافيل عليه السلام ، فيهبط الى صخرة بيت المقدس، والصور معه، وفي الصور خمس دارات عظام في دارة ، منها أرواح الملائكة ، والانبياء والمرسلين . وفي دارة ، منها أرواح المؤمنين . وفي دارة ، منهـا أرواح الكفار ، والمنافقين . وفي دارة ، منها أرواح الجـن ، والشياطين . وفي دارة ، منها أرواح البهائم ، وسائر الحيوان . فينفخ فيــه ، فتجري الأرواح في أجسادها ، فيقوم الخلق لرب العالمـــين . ثم يبدل الله الارض ، والسموات ، ويكون الخلق عند ذلـك في ظلمة دون الجسر ، ثم تمد الارض الساهرة مد الأديم ، وهي أرض ما ينام عليها قط ، في لون الفضة البيضاء . ثم يأمر لكل سماء أن ينزل بمن فيها من عمّارها الى هذه الارض ، فإذا نزلوا وجمعت هذه الارض هذا الحشر كله، ينزل الله عز وجل لفصل القضاء فيؤتى بالجنة ، فتقاد قوداً ، معها الأمن ، والايمـان ، والرضى ، والرضوان ، حتى توقف عن يمـــين العرش . ثم يؤتى بالنار ، وتقاد قوداً ، ومعها السلاسل ، والإغلال ، وزبانيتها كالصياصي ، وأصابع كالقرون ، معهم المقامع الثقال ، فتوقف عن يسار العرش . ثم يؤتى بالقلم يليه اللوح ، يتلوه إسرافيل ، يتلوه جبريل ، يتلوه النبيون ، والمرسلون ، فيسألهم عن التبليـغ ، هـل بلغك ؟ هـل بلغك ؟ فيقر لكل واحد بالتبليـغ . والحق سبحانه وتعالى يتولى كلام الخلق في الموقف كله إلا في ثلاثة مواطن عند نشر الكتب ، وعند الميزان ، وعند الصراط ، فإن الله تعالى وكل بهذه المواطن ملائكة، هم الذين يباشرون الخلق ، وما ينادي الناس إلا بأمهاتهم ، رعـاية لعيسى عليه السلام ، وستراً على زناة الخلق . ثم يقسم الأنوار سبحانه وتعـالى على المؤمنين ، والمنافقين ، ثم يتجلى فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك، لست بربنا، فيقول: هل بينكم وبـين ربكم علامة ؟ فيقولون : نعم فيتحول لهم سبحانه وتعالى في العلامة التي يعرفونها ، فإذا أبصروها عرفوها، فقالوا : انت ربنا. فيتبعونه،

ويضرب الصراط ، ويدعون الى السجود ، فـلا يستطيع المنافقون السجود ويسجد المؤمنون. فهنالك سلب الله عنهم الانوار التي كساهم إياها مع المؤمنين فإذا رأوا ذلك المؤمنون ، يقولون عندها : « ربنا اتمم لنا نورنا، واغفر لنا، إنك على كل شيء قدير .

ومواطن القيمة أعظم من أن توصف . وقد أوردنا في هذا الكتاب ما روينا من حديث مواقف القيمة الخمسين من رواية الثقات مستوفى .

الانهار التي تجري من السماء عددها ثمانية :

وأسماؤها النيل ، والفرات ، ودجلة ، ومهران ، وسيحون ، وجيحون، والسلسبيل ، والكوثر . فستة منها في الدنيا ، وإثنان في الجنة ، وهما السلسبيل والكوثر .

روينا من حديث مسلم أربعة أنهار : اثنان للجنة ، وإثنان في الدنيا ، وذكر النيل والفرات .

ومنهم من قال : أراها في السماء السادسة. ومن قال : أراها في السدرة.

وروينا من حديث غيره عنه : سيحان ، وجيحان .

وروينا موقوفاً عن ابن عباس ، من حديث إسحاق بن بشر ، حديث دجلة ، ومهران ، قاسم السلسبيل ، والكوثر . غير ان دجلة يغلب على ظني اني رويت فيه خبراً ، عن النبي ﷺ لا أذكره الآن أما نهر مهران ، فيظهر ما بين أرض الروم من وراء أرض البصرة ، حتى يقع بأرض السند . وأما جيحون فيظهر بأرض الروم على جبل من وراء أرض ارمينية ، وهو نهر

بلخ ، واصل النيل من تحت الصخرة ، وظهوره من جبل القمر ، وهو نهـر مصر . وأمـا دجلة ، والفرات ، فقريب من رأسه ، وهو بأرض الروم . وسيحون ، فظاهر بالارض . ومرجع هـذه الأنهار كلها الى الجنة ، الى عين التسنيم ، يرفعها جبريل اليه في طست من الذهب يوم القيمة .

وأما الرياح الاربعة : فهي الجنوب، وتسمى عند الله: الازيب، والشمال، والجنوب ، تخرج من الجنة فتمرّ على النار . وأما الشمال فتخرج من النار ، فتمر بالجنة ، فبردها منها .

وأما الزمهرير والحرور ، فمن تنفّس جهنم ، والصبا ، والدبور، ومبعث هـــذه الرياح كلها ، من تحت العرش ، ومستقرها تحت الارض وهي التي تسمى : العرقر .

روينا من حديث الهاشمي ، يبلّغ به النبي ﷺ انه قال : أيها الناس، لا تشغلنكم دنياكم عن أخراكم ، ولا تؤثروا هواكم عن طاعة ربكم ، ولا تجعلوا إيمانكم ذريعة الى معاصيكم ، وحاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ، ومهّدوا لها قبل ان تعذبوا ، وتزوّدوا للرحيل قبل ان تعجزوا ، فإنما هو موقف عدل ، واقتضاء حق ، وسؤال عن واجب . ولقـــد أبلغ الاعذار ، من تقدم في الانذار .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ، ما حدّثنا عبـد الله بن الاستاذ المروزي، قال : قال بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين، وأبا حامد، وأبا يزيد ، وجماعة من الرجال ، فقالوا لأبي مدين : عد علينا من كلامك في التوحيد ، فقال : التوحيد وطن العارفين، وبه تاهوا ، وليس لهم مستقر إلا هو ، هو حياة أسرارهم ، ومادة القلوب ، وكل كليتهم ، وغيب الغيوب ،

هو السيد المتبوع ، وما عدا تبع ، والقائم بنفسه ، وقوام من صنع ، هو مجرى لأسرارهم ، وأسرارهم جداوله ، وموضع نظر العارف فيما يأتيه ، ويحاوله ، علت همته فسما ، فمن سقط عن هـذه المرتبة ، فهو مغمى عليه وأعمى ، وللعارف من معروفه دلائل ، وروائح ، يظهر طيب نسيمها الغادي ، والرائح ، يشم فيها أنوار التنزيه ، ويكشف له عن غيبه فيجده فيه ، فتلاشت أحواله ، وسماته ، ونفيت رسومه ، وصفاته ، فلا قول ، ولا قائل ، إذ كل ما سواه عدم ، وزائل ، هو اصل كل شيء ، ومادّته ، وبه حياة كل حي ، وحركته ، هو الرفيق الجليـل ، وقدرته عمّت الكثير ، والقليل ، فلذّة العارف من معروفه في التحلي ، وصفاته ظاهرة بالتبرّي ، والتخلي ، يقرى عن الكونين أدناها ، وأعلاها ، ولم يرضَ بشيء منها دون من سواها ، فسرّه من الغيب مطهّر ، والمعلوم مكاشف ، ومظهر ، قلبه في حضرة مالكه يسري ، وفكرته في ميادين المعارف تجري ، فتوحاته منه اليه دائمة ، وحقيقته عما سواه صائمة ، غذاؤه من التوحيد الدقيق ، وشرابه من الصافي الرقيق ، قد خامر سرّه فأمعن فيه ، فظلّ عند ربه يطعمه ويسقيه .

سمعت بعض اصحابنا يقول : قال بعض الصالحين : كتبت الى رجل من اخواني وأنا أقول له : يا اخي ، ربما دعوت لك في وقت الاجابة ، فعرّفني برادك . قال : فكتب اليّ : يا اخي ، شهوتي ، ومرادي في قلب منوّر ، ووجه مصفر ، وثوب مشمّر ، وقوت مُقترّ .

ومن باب السماع ، ما ذكره ابن الرميلة في ايضاح مصون الصوفية ، قال: كان بعض الفقراء يمشي في الأسواق ، فسمع بعض الباعة يصيح : الجلبان ، فغشي عليه ، فاجتمع عليه الناس ، فلما أفاق ، قال : حبيبي ، كيف قلت :

جلّ بذاته ، فما يحسّ ولا يرى ، وبان عن مخلوقاته ، فـــلا يشبهه شيء من الورى ؟

وسمع رجل آخر ، وهو بائع موز ، وهو ينادي : انفتل ، واستوى ، فغشي عليه ، فلمـا أفاق ، قال : حبيبي ، كيف قلت : انفتل ولي الله عن معصية الله ، واستوى على طاعة الله ؟ قلت : وماشيت عبد الله بن الاستاذ، وكان من السادة عند باب الفتح من باب اشبيلية ، فسمع بائع خسّ من العامة، وهو ينادي عليه : الخاص رطب ابيض ، فتأوّه ، وأخذته حالة من ذلك ، وكان قوياً ، فقال لي : يا اخي ، أما تسمع ما يقول هذا البائع ؟ الخاص من عباد الله ، لسانه رطب من ذكر الله ، وقلبه ابيض من نور الله .

وماشيت بعضهم ايضاً بقرطبة عند باب بباضة حيث دار السلطان ، فإذا جماعة من الاجناد خرجوا من دار السلطان ، يقول بعضهم لبعض : جاءت الرسل من قلعة رباح ، فاهتزّ الفقير ، وقـــال : يا اخي ، أما تسمع لهؤلاء الاجناد ، ما يقولون ؟ قلت : وما قالوا؟ قال: جاءت الرسل عليهم السلام، يقولون : من قلع عن معصيته ، ربح ما عند الله .

حدّثنا محمد بن قاسم ، قال : كان الى جانبي شاب مسرف على نفسه ، فلزم بيته ، وأظهر توبته ، وكان ممن لا يطمع في خلاصة ، فقمت له ، مهنئاً له بسلامته ، فرأيته في حالة حسدته عليها : دمع يستبق ، وفؤاد يحترق ، وقد تجرّد من قدرته ، وتعرّى من زلته ، والتحف برداء فقره ، وذلته ، فسلـّمت عليه ، وقلت له : كيف قدمت من سفر زلـّتك ؟ وكيف تخلصت من سجن غفلتك ؟ وصرت الى حرم قربتك . فقال لي : يا شيخ ، قمت يوماً على عادتي، عن بعض ما كنت عليه من المخالفة، فدخلت الحمام ، فاغتسلت،

ثم خرجت، فمررت بمسجد ، فقلت : أنا على طهارة لو دخلت ، وصلّيت ، وجعلت امشي مشية المحسن المذكر ، فقام إليّ شيخ عليه سيماء الصالحين ، فقال لي : من كان على ما كنت عليه من سوء المعاملة مع الله ، لم تكن هذه مشيته في بيته ، أما علمت يا بني ، ان الارض تلعنك من تحت قدميك ، قال الشاب : فسقطت من كلامه ، وهيبته ، على وجهي ، وغلب عليّ الحياء من ذكره ، فعقدت التوبة فيما بيني وبين الله تعالى . فهذا يا سيدي كان سبب توبتي .

وأنشدني ابو عبد الله الكتاني لبعضهم :

ذكرتُ اساءتي فازددت حزناً ... ومثلي من تذكّر ثم ناحا
قطعتُ العمر عصياناً وجهلاً ... وجانبت المروءة والصلاحا
سيبدي العرض مني يومحشري ... لأهل الجمع احوالاً قباحا

(تم الجزء الأول بحمد الله وعونه من كتاب المسامرات)
لسيدي محي الدين بن العربي قدس الله سره
ونفعنا به آمين

فهرس

المجلد الأول

الموضوع	صفحة
هذه الطبعة	٤
مقدمة المؤلف	١٢
ذكر الاسانيد المتصلة الى الدين	٢١
نسب رسول الله (ص)	٢٥
أنساب العشرة متصلة بنسبه (ص)	٢٦
نسب أمه (ص)	٢٧
نسب والده من الرضاع	٢٨
أولاده (ص)	٢٨
أعمامه (ص) وعماته	٢٨
أزواجه (ص)	٢٩
جواريه (ص)	٣١
عُمَرُهُ (ص)	٣١
ذكر غزواته (ص) التي خرج اليها بنفسه	٣٢
سراياه (ص) وبعوثه	٣٣
عدد نقبائه (ص)	٣٥
خُلقه وشمائله وحالاته	٣٦
خصائصه (ص)	٤٢

اسماء الغزوات التي قاتل فيها (ص)	٤٤
ذكر من تولى غسله (ص) لما مات	٤٥
أكفانه (ص)	٤٥
نوابه الذي استعملهم على المدينة وقت خروجه	٤٥
كتّابه	٤٧
أولاد هاشم بن عبد مناف بن قصي	٤٨
ذكر حجة رسول الله (ص) التي تسمى حجة الوداع	٤٨
ذكر الخلفاء وتاريخ مدتهم خاصة	٦٣
خلافة عمر بن الخطاب	٦٤
خلافة عثمان بن عفان	٦٥
خلافة علي بن أبي طالب	٦٥
خلافة الحسن بن علي	٦٦
خلافة معاوية بن أبي سفيان	٦٦
خلافة يزيد بن معاوية	٦٧
خلافة ابي ليلى معاوية بن يزيد	٦٧
خلافة مروان بن الحكم	٦٨
خلافة ابي الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم	٦٩
خلافة ابي العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان	٦٩
خلافة أبي أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان	٧٠
خلافة ابي حفص عمر بن عبد العزيز	٧٠
خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان	٧١
خلافة ابي الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان	٧٢
خلافة ابي العباس الوليد بن يزيد	٧٢
خلافة ابي خالد يزيد بن الوليد	٧٢
خلافة ابي اسحاق بن ابراهيم بن الوليد	٧٣

خلافة ابي عبد الملك مروان بن محمد	٧٣
خلافة ابي العباس السفاح	٧٤
خلافة ابي جعفر المنصور	٧٥
خلافة المهدي محمد بن جعفر المنصور	٧٦
خلافة ابي موسى الهادي بن محمد المهدي	٧٦
خلافة ابي جعفر هارون الرشيد	٧٦
خلافة ابي عبد الله محمد الأمين بن هارون	٧٧
خلافة ابي العباس عبد الله المأمون	٧٧
خلافة ابي اسحاق محمد المعتصم	٧٨
خلافة ابي جعفر هارون الواثق	٧٨
خلافة ابي الفضل جعفر المتوكل	٧٩
خلافة ابي جعفر محمد المنتصر	٧٩
خلافة ابي العباس المستعين احمد	٧٩
خلافة ابي عبد الله المعتز	٨٠
خلافة ابي جعفر المهتدي	٨٠
خلافة المعتمد ابي العباس	٨٠
خلافة ابي العباس احمد المعتضد	٨١
خلافة ابي محمد علي المقتفي	٨١
خلافة ابي الفضل جعفر المقتدر	٨٢
خلافة ابي منصور محمد القاهر	٨٢
خلافة ابي العباس محمد الراضي	٨٢
خلافة ابي اسحاق ابراهيم المتقي	٨٣
خلافة ابي القاسم عبد الله المستكفي	٨٣
خلافة ابي القاسم الفضل المطيع لله	٨٤
خلافة المطيع لله	٨٤

خلافة القادر بالله ٨٤
خلافة القائم بأمر الله ٨٥
خلافة المقتدي ٨٥
خلافة المستظهر بن المقتدي ٨٥
خلافة المسترشد بالله ٨٦
خلافة الراشد بالله ٨٦
خلافة المقتفي لأمر الله ٨٦
خلافة المستنجد بالله ٨٦
خلافة المستغني بالله ٨٧
خلافة الناصر لدين الله ٨٧
موعظة ابي بكر ٩١
من مواعظ عثمان بن عفان ٩٤
موعظة سهل بن عمر الحارث ٩٥
موعظة الحارث بن هشام ٩٥
موعظة عتبة بن غزوان ٩٦
حكمة ١٠٦
موعظة ١٠٧
نصيحة ١٠٧
خبر نبوي بعمل غبطة ١٠٧
قصة الشعبي والحسن البصري مع عمر بن هبيرة والي العراق ١١٧
ذكر ما أرخ به الناس من آدم الى الهجرة النبوية ١١٩
ذكر اختلاف الامم فيما مضى من الزمان ١٢٠
نسب هود عليه السلام ١٢٣
نسب صالح عليه السلام ١٢٣
نسب ابراهيم عليه السلام ١٢٤

نسب لوط عليه السلام	١٢٥
نسب اسماعيل عليه السلام	١٢٦
نسب اسحاق عليه السلام	١٢٦
يعقوب عليه السلام	١٢٦
يوسف عليه السلام	١٢٧
أيوب عليه السلام	١٢٨
الخضر عليه السلام	١٢٩
نسب موسى وهارون	١٣٠
نسب يوشع بن النون	١٣١
نسب حزقيل	١٣١
نسب الياس عليه السلام	١٣١
أليسع عليه السلام	١٣٢
شموئيل عليه السلام	١٣٢
داود عليه السلام	١٣٤
سليمان بن داود	١٣٤
شعياء عليه السلام	١٣٥
دانيال ، وعزيز	١٣٦
العزيز	١٣٦
يونس عليه السلام	١٣٧
زكريا عليه السلام	١٣٧
يحيى بن زكريا	١٣٨
عيسى بن مريم	١٣٨
الثلاثة أصحاب القرية	١٣٩
ذو الكفل	١٣٩
لقمان الحكيم	١٣٩

خالد بن سنان العبسي ١٤٠
تاريخ نزول الكتب من عند الله ١٤٠
تاريخ قتل المختار ١٤١
الوليد بن عبد الملك ١٤١
سليمان بن عبد الملك ١٤٢
عمر بن عبد العزيز ١٤٢
هشام بن عبد الملك ١٤٢
الوليد بن يزيد ١٤٣
مروان بن محمد ١٤٣
موعظة عبد الله العمري للرشيد بمكة ١٤٣
قول الشريف الرضي في التوديع بالنفس ١٤٥
باب من يتوكل على الله ١٤٧
قصة ما جرى لأمير المؤمنين المنصور بمكة ١٤٨
خبر الحطيئة الشاعر مع عمر بن الخطاب ١٥٤
من محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١٥٧
موعظة ١٦٢
مثل في الوفاء ١٦٣
مثل سائر ١٦٤
حكاية ١٦٤
موعظة عطاء بن ابي رباح لعبد الملك بمكة ١٧٠
عمرة ابي بكر الصديق في خلافته ١٧٢
ذكر حجج الخلفاء الأربع ١٧٤
عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٧٥
علي بن أبي طالب ١٧٥
خبر الضب الذي آمن برسول الله ١٨١

دلالات التائبين	١٨٣
في الحنين للشريف الرضي	١٨٤
حكمة علوية	١٨٥
خبر فيميون وعبادته	١٨٧
لمهيار الديلمي	١٩١
موعظة الفضيل بن عياض لهارون الرشيد	١٩٣
من باب البلاغة	١٩٧
موعظة	١٩٩
موعظة بعض الصالحين لعبد الملك	٢٠٤
شعر	٢٠٦
مثل	٢١٠
ذكر نبذ من الانساب	٢١٢
موعظة شيبان الراعي لهارون الرشيد	٢١٧
ذكر سبب تنصر النعمان بن بشر	٢١٩
قصائد للشيخ	٢٢٤
موعظة سفيان الثوري للمنصور بمكة	٢٤٠
خبر الكنيسة التي بناها أبرهة بصنعاء	٢٥٠
واقعة لبعض الفقراء	٢٥٧
خبر ذي الاكتاف كسرى مع ساطرون	٢٥٨
بناء ابن الزبير الكعبة	٢٦٢
من باب الفخر	٢٧١
بشرى سيف بن ذي يزن لعبد المطلب برسالة محمد	٢٧٢
شرح	٢٧٧
من استنصر ببسم الله الرحمن الرحيم	٢٧٧
دعاء مأثور لذنب مغفور	٢٨١

لإبن عربي في باب الأرواح واللطايف	٢٩١
من كلام ابراهيم بن أدهم	٢٩٥
تقلب الأحوال وتنوع الاشكال	٢٩٥
فتنة إلهية	٢٩٨
واقعة	٣٠٠
اجتماع سليمان بن عبد الملك	٣٠١
ذكر من حج من خلفاء بني أمية	٣٠٦
مثل	٣٠٨
حديث ابي داود سليمان بن الأشعث	٣١٨
حديث بناء قريش الكعبة	٣٢١
واقعة لبعض الفقراء	٣٢٦
خبر سلمان الفارسي واسلامه	٣٢٨
وصية إلهية	٣٣٣
كتاب طاووس الى عمر بن عبد العزيز	٣٣٥
خبر اساف ونائلة الاصنام	٣٣٥
ومن محاسن المكاتبة	٣٣٧
ذكر خراب البلاد الذي يكون في آخر الزمان	٣٤٠
من باب الرموز والاشارات العلوية	٣٤٥
عناية أزلية	٣٤٨
قول ابن عمر لحنين	٣٥٩
قول النبي انا ابن الذبيحين	٣٦١
موعظة نبوية	٣٦٥
ذكر ما قيل على لسان الحرمين	٣٧١
نصيحة عليم ومقالة حكيم	٣٨٠
من باب حنين الابل	٣٨١

من باب فيما يستحسن من صفات النساء	٣٨٣
وصية نافعة نبوية	٣٨٧
من باب الشكوى	٣٨٨
دعاء بعض من تحجب عن الابصار	٣٩٤
خبر الذئب الذي شهد برسالة محمد	٣٩٥
دحى الله الارض من تحت الكعبة	٣٩٥
حسن عفو واعتراف	٣٩٦
همة علية ويد علوية	٣٩٧
امثال منظومة ومنثورة	٣٩٧
حكمة اديب ونصيحة لبيب	٤٠٠
خبر البيت المعمور	٤٠٠
افصاح معجز بوعظ معجز	٤٠٢
موعظة اضطرار عند شد الاستار	٤٠٣
لكل مقام مقال	٤٠٤
حالة تلحق الرجال والنساء	٤٠٤
خليفة عدل قضاء واجب حق وفضل	٤٠٥
ما ذكر من بعض صفات عمر بن الخطاب	٤٠٦
خبر الطائر الطائف	٤٠٧
موعظة بهلول المجنون	٤٠٩
خبر اللات والعزى	٤١٢
خبر الأربعين المرجبيين والإبدال	٤١٧
خبر حسان وعمر بن مجدي	٤٢١
خبر سواد بن قارب مع هاتفه	٤٢٤
نصيحة الجرهمي لعمرو بن لحي	٤٢٧
موعظة نبوية	٤٢٩

مثل سائر	٤٣١
حديث أمية بن يزيد الأموي	٤٤٠
حديث يحيى بن يحيى النيسابوري مع المأمون	٤٤٢
ومن قصص عطاء بن أبي رباح مع هشام	٤٤٩
من أخبار يحيى بن اكثم مع المأمون في طريق الشام	٤٥٢
حديث سعيد بن ابراهيم مع الوليد	٤٥٣
حكاية	٤٥٩
الأنهار التي تجري من السماء عددها ثمانية	٤٧٤

مطبعة النجوى — بيروت — تلفون : ٢٩٣٥١٤

UNIV.-BIBL.
- 9 MRS 1970
UPPSALA
1970/91

كتاب

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

في الأدبيات والنوادر والأخبار

للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محي الدين بن عربي

المتوفي سنة ٦٣٨ هجرية

المجلد الثاني

دار اليقظة العربية

للتأليف والترجمة والنشر

جميع حقوق الطبع والترجمة
والاقتباس محفوظة
لدار اليقظة العربية
١٣٨٨ هجرية — ١٩٦٨ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن باب الحياء :

ما قرأته في كتاب المنقطعين الى الله تعالى ، قال بعضهم : رأيت شيخاً يأتي الى باب المسجد ، فيصلي عنده ، ولا يدخل فيه ، فقلت له : يا شيخ ، مالك لا تدخل المسجد ؟ قال : يا اخي ، خلوت يوماً في بعض المساجد ، فاعجبتني خلوتي ، فإذا بمنادٍ ينادي : يا شيخ ، أما تحتشم ؟ وقد عصيته ، تدخل بيته ، فما قدرت بعد على دخول مسجد حشمة وحياء .

ومن باب الصبر :

وقع كسرى بن هرمز الى بعض المسجونين : من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ، ومن طوّل له في الحبل كان فيه عطبه ، ومن أكل بغير مقدار تلفت نفسه .

موعظة في هذا الباب :

دخل ابن الزيات على الافشين وهو محبوس فقال :

اصبر لها صبر اقوامٍ نفوسُهم لا تستريح بلا غِلٍّ ولا قَوَدِ

قـــال الافشينُ : من صحب الزمان لم ينج من خيره او شره ، ووجد الكراهية ، والهوان . ثم قال :

لم ينج من خيرها او شرها احدٌ   فاذكر إساءتها ان كنت من احدِ
خاضت بك السنة الحمقاء غمرتها   فتلك أمواجها ترميك بالزبدِ

حُكي ان يوسف عليه السلام شكى الى الله تعالى طول السجن، فأوحى الله اليه : انت حبست نفسك حين قلت : « ربِّ السجنُ أحب إليّ مما يدعونني اليه » ، فلو قلت : العافية أحب إليّ ، لعوفيت . ثم أخرجه الله تعـالى كما ذكره في كتابه العزيز : فلمـا خرج من السجن ، واصطفاه العزيز ، أمر أن يكتب على باب السجن : هذه منازل البلوى ، وقبور الأحيـــاء ، وشماتة الأعداء ، ومحزنة الأصدقاء .

من كلام علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

قال يوماً لابنه الحسن رضي الله عنه : يا بنيّ أبذل لصديقك كل المودة ، ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المواساة ، ولا تفش له كل الاسرار.

ومن كتاب التراجم :

إن عيسى عليه السلام ، قال : عاشروا الناس معاشرة ، إن عشتم حنوا اليكم ، وإن متم بكوا عليكم . وأنشد :

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهم   ودٌ فيزرعـــه التسليم واللطف
يُسلي الشقيقين طول النأي بينهما   وتلتقي شعبٌ شق فتأتلف

وفي الحكمة القديمة :

ليس للعقلاء تنعم إلا بمودة الاخوان . وقـــال العباس بن جرير : المودة

تعاطف القـلوب ، وائتلاف الارواح ، وإنس النفوس ، ووحشة الاشخاص عند تنائي اللقـــاء ، وظهور السرور بكثرة التزاور ، على حسب مشاكلة الجواهر ، يكون الاتفاق في الخصال .

وروينا من حديث رباح بن عبيد الله ، قـال : خرج عمر بن عبد العزيز قبل خلافته ، وشيخ متكىء على يده ، فقلت في نفسي : أن هذا الشيخ جاف فلمـا صلى ودخل ، لحقته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، من الشيخ الذي كان متكئاً على يدك ؟ فقال : يا رباح ، رأيته ؟ قلت : نعم ، قال : ما احسبك يا رباح إلا رجلاً صالحاً ، ذاك اخي الخضر ، آتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة ، وإني سأعدل فيها .

وحكى محمد بن فضالة ، فـيما رواه ابو نعيم ، ان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وقف براهب في الجزيرة في صومعة له ، قد اتى عليه فيها عمر طويل وكان ينسب اليه علم من الكتاب ، فهبط اليه ، ولم ير هابطاً الى احد قبله ، فقال له : يا عبد الله، أتدري لم هبطت اليك ؟ قال : لا، قال : الحق بابيك انا نجده في ائمة العدل بمنزلة رجب من اشهر الحرم . قال : فسره له ابو ايوب ابن سويد ، فقال : ثلاثة متوالية : ذو القعدة ، والحجة ، والمحرم، ابو بكر وعمر ، وعثمان ، ورجب منفرد ، منها عمر بن عبد العزيز .

قلت : تكلم ابو ايوب في هـذا التفسير ببادىء رأيه ، ولم يتحقق مقصد المتكلم ، فلم يرد الراهب بقوله العدد ، فإنه ما تعرض اليه ، وكيف يتعرض للعدد ، وأئمة الهدى بعد رسول الله ﷺ : ابو بكر، وعمر، وعثمان ، وعلي، وحسن ، رضي الله عنهم أجمعين . وإنما أراد بالمثال ، انه كان بـين رجب ، والأشهر الحرم ، شهور ليست بحرم ، وليست لها تلك المرتبة ، كذلك بـين

أئمـــة العدل ، وبين عمر بن عبد العزيز ، خلفاء ليست لهم في العدل مرتبة هؤلاء المذكورين .

حكى لنا بعض الادباء ، عن ابي الجهم ، وكان بدوياً جافياً ، لمـا قدم على المتوكل ، وأنشده يمدحه بقصيدته التي يقول فيها يخاطب الخليفة :

انت كالـكلب في حفاظك لـلود وكالتيس في قراع الخطـوب
انت كالدلو لا عدمناك دلواً من كبار الدلا كثير الذنوب

فعرف المتوكل قوته ، ورقة مقصده ، وخشونة لفظه ، فعرف انـه ما رأى سوى مـــا شبه به ، لعدم المخالط ، وملازمة البادية ، فأمر له بدار حسنة على شاطىء الدجلة ، فيها بستان حسن يتخلله نسيم لطيف ، يغـذي الارواح ، والجسر قريب منه ، وأمر بالغذاء اللطيف ان يتعاهد به . وكان يركب في اكثر الاوقات ، فيخرج الى محلات بغداد ، فيرى حركة الناس ، ولطافة الخضر ، ويرجع الى بيته ، فأقـام ستة اشهر على ذلك ، والادباء ، والفضلاء ، يتعاهدون مجالسته ، ومحاضرته ، فاستدعاه الخليفة بعد هـــذه المدة ، لينشده ، فحضر ، وأنشد :

عيون المها بـــين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

فقال المتوكل : لقد خشيت عليه ان يذوب رقـــة ولطافة . وخرجت القصيدة عن فكري ، فـإن وجدتها ، فسألحقها إن شاء الله في بعض مجالس هذا الكتاب .

وأنشدنا ابو حامد الخشني الليلي عن بعض اشياخه ، عن ابن مغيث ، قال:

قال علي بن الجهم : من باب الرجوع الى الله تعالى :

توكلنا على رب السماء ... وسلمنا لأسباب القضاء
ووطنا على غير الليالي ... نفوساً سامحت بعد الآباء
وابواب الملوك محجبات ... وباب الله مبذول الفناء

هذه الأبيات ، قالها لما حبسه المتوكل .

وقال ايضاً في حبسه ذلك :

قالت حبست، قلت ليس بضائري ... حبسي وأي مهنّدٍ لا يغمدُ
أو ما رأيت الليثَ يألف غيلة ... كبرى وأوباش السباع تردّد
والنار في أحجارها مخبوءة ... لا تصطلي ما لم تثرها الأزند
والبدر يدركه الظلام فينجلي ... ايامه فكأنه متجدد
والراعبية لا يقيم كعوبها ... إلا الثقاف وجذوة تتوقد
غيرُ الليالي باديات عوّدٌ ... والمال عارية يفادُ وينفد
لا يؤسنك من تفرج كربة ... خطبٌ أتاكَ به الزمان الأنكد
فلكل حال معقبٌ ولربما ... اجلى لك المكروه عما تحمد
كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعود
صبراً فان اليوم يعقبه غدٌ ... ويد الخليفة لا تطاولها يد
والحبس ما لم تغشه لدنيئة ... شنعاء نعم المنزل المتورد
لو لم يكن في الحبس إلا انه ... لا تستذلك بالحجاب الأعبد
بيت يجدد للكريم كرامةً ... وتزار فيه ولا تزور وتقصد
يا احمد بن ابي داود انما ... تدعى لكل كريهة يا احمد
ابلغ امير المؤمنين ودونه ... خوف العدو مخاوف لا تنفد
انتم بنو عم النبي محمدٍ ... أولى بما شرع النبي محمد
ما كان من حسنٍ فانتم اهله ... كرُمَت مغارسكم وطاب المحتد

أمِنَ السوية يا ابن عم محمـدٍ   خصمٌ تقربـه وآخر تُبعد
إن الذين سعوا اليك بباطل   أعـداء نعمتك التي لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا   فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصمين عندك منزل   يوماً لبان لك الطريق الأقصد
والشمس لولا انهـــا محجوبة   عن ناظريك لما اضاء الفرقد

وفي نقيض هذا ما انشده عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لمـــا حبس احمد ابن عبد العزيز أبا دلف ، فقال :

قالت حبست فقلت خطبٌ انكدُ   أنحى عليّ به الزمانُ المرصدُ
لو كنت حراً كان سر بي مطلقاً   ما كنت احبسُ عنوة وأقيّد
لو كنت كالسيف المهند لم يكن   وقت الكريهة والشديدة يغمد
لو كنت كالليث الهصور لما رعت   فيَّ الذئاب وجذوتي تتوقـد
مَن قال ان الحبس بيت كرامةٍ   فمكابرٌ في قوله متجـلد
ما الحبس إلا بيت كل مهانةٍ   ومـــذلة ومكاره لا تنفد
إن زارني فيه العدوّ فشامتٌ   يبدي التوجع تارة ويُفنـّد
او زارني فيه الصديق فموجعٌ   يذري الدموع بزفرة تتردّد
يكفيك ان الحبس بيت لا يرى   احدٌ عليه من الخلائق يحسد
تمضي الليــالي لا اذوق لرقدةٍ   طعماً وكيف حياة من لا يرقد
في مطبق فيه النهار مشاكلٌ   لليل والظلمات فيـه سرمد
فإلى متى هـذا الشقاء موكلٌ   والى متى هـذا البلاء مجدد
ما لي مجيرٌ غير سيّدي الذي   مـا زال يقبلني ونعم السيّد
غذيت حشاشة مهجتي بنوافل   من سيبه وصنائع لا تجحـد
عشرين حولاً عشت تحت جناحه   عيش الملوك وحـالتي تتزيد

فخلا العدوّ بوضعي من قلبه فحشاه جمراً ناره لا تخمد
فاغفر لعبدك ذنبه متطولاً فالحقد منك سجية لا تعهد
واذكر خصائص خدمتي وتعاوني ايام كنتَ جميع أمري تحمد

وقال بعضهم : سئل عمار بن ياسر عن الولايات ، فقال : هي حلوة الرضاع ، مرّة الفطام .

وطلبني بعض السلاطين للولاية ، وعزم عليّ فيها ، فامتنعت عليه الى ان قال : لا اعزلك ، وعليّ العهد بذلك ، قلت : الاحوال بروق تلمع ، ولا تقم ، وهذه الحالة منك غير دائمة ، ولا سيما اذا جاء سلطان نقضها .

روي في سبب عزل الحجاج بن يوسف عن مدينة رسول الله ﷺ ، ان عيسى بن طلحة بن عبد الله ، وفد على عبد الملك بن مروان في وفد اهل المدينة ، فأثنى الوفد على الحجاج ثناء كثيراً ، وعيسى بن طلحة ساكت ، فلما انصرفوا ثبت عيسى مكانه حتى خلا له وجه عبد الملك ، فقام ، فجلس بين يديه ، فقال : يا امير المؤمنين ، من انا ؟ قال : عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، قال: فمن انت ؟ قال : عبد الملك بن مروان ، قال : أفجهلتنا ؟ أم تغيرت بعدنا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير فينا بالباطل ، ويحملنا على ان نثني عليه بغير الحق ، والله لئن أعدته علينا لنعصينك، وإن قاتلتنا، او غلبتنا ، او أسأت الينا، قطعت ارحامنا ، ولئن قوينا عليك ، غصبناك ملكك . فقال له عبد الملك : انصرف ، والزم بيتك ، ولا تذكرن من هذا شيئاً . قال : وقام الى منزله . قال : فأصبح الحجاج غادياً الى عيسى بن طلحة ، فقال: جزاك الله خيراً عن خلوتك بأمير المؤمنين ، أبدلكم بي غيري ، وولاّني العراق .

أنشدنا يونس بن يحيى بمكة ، قال : قرأ عليّ محمد بن علي الطائي ، وأنا اسمع ، قيل له : أنشدنا ، قال : أنشدنا ابو محمد الحسن بن منصور السمعاني ، قال : أنشدنا والدي الشريف المظفـّر السمعاني ، لأبي بكر بن داود السختياني :

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تكُ بدعياً لعلك تفلحُ
ولذ بكتاب الله والسنن الـتي أتت عن رسول الله تنجو وتربح
ودَع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأرجح
ولا تكُ من قوم تلهّوا بدينهم فتطعن في اهل الحديث وتقدح
اذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه فأنت على خير تبيتُ وتصبح

روينا من حديث ابي نعيم ، انا الوليد ، قال : بلغنا ان رجلاً ببعض بلاد خراسان ، قال : أتاني آتٍ في المنام ، فقـال : اذا قام اشجّ بني مروان ، فانطلق ، فبايعه ، فإنه إمام عدل . فجعلت أسأل كلما قـام خليفة ، حتى قام عمر بن عبد العزيز ، فأتاني ثلاث مرات في المنام ، فلما كان آخر ذلك ، زبرني فأوعرني ، فرحلت اليه ، فلمـا قدمت عليه لقيته فحدثته الحديث ، فقال : ما اسمك ومن انت ؟ وأين منزلك ؟ قلت : بخراسان ، قال : ومَن امير المكان الذي انت فيه ؟ ومن صديقك هنـاك ؟ ومَن عدوّك ؟ فالطف المسألة. ثم حبسني اربعة اشهر، فشكوت الى مزاحم مولى عمر بن عبدالعزيز، فقال : انه كتب فيك ، فدعاني بعد اربعة اشهر ، فقـال : اني كتبت فيك فجاءني ما أسرّ من قِبل صديقك، وعدوك، فهلم فبايعني على السمع والطاعة، والعدل ، فإذا تركت ذلك فليس لي عليك بيعة ، قال : فبايعته ، قـال : ألك حاجة ؟ فقلت له : انا غني في المال ، إنمـــا أتيتك لهذا فودّعني ، وودعته ، ومضيت .

وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته ، وقـــد صعد المنبر ، فخطب الناس ، فقال : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فـإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم .

وقال علقمة بن ليث لابنه : يا بنيّ ان نازعتك نفسك الى صحبة الرجال إذ قد تمسّ الحاجة اليهم ، فاصحب من اذا صحبته زانك ، وان تخفضت له صانك ، وإن نزلت بك مؤنة مانك ، وإن قلت صدّق قولك ، وان صُلت به شدّد صولتك ، اصحب من اذا مددت يدك اليه لفضل مدها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن بدت منك ثلمة سدها ، اصحب من لا يأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق .

شعر :

أخوك أخوك من تدنو وترجو مودته وإن دعي استجابا

وقال الآخر :

ومولاك مولاك الذي إندعوته أجابك طوعاً والدماء تصيبُ

حكي عن عكرمة ، قال : كنا جلوساً عند ابن عباس ، وعبدالله بن عمر ، فطار غراب يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير ، فقـال ابن عباس : لا خير ولا شر .

شعر :

ما فرق الاحباب بعد الله إلا الابل

والناس يلحون غراب البين لما جهلوا

وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل

ولا اذا صاح غرابٌ في الديار ارتحلوا

وما غراب البين إلا ناقة او جمل

ولنا في هذا المعنى :

نعقت أغربة البين بهم لا رعى الله غراباً نعقا
ما غراب البين إلا جملٌ سار بالاحباب نصحاً عنقا

رؤيا آمنة ام رسول الله ﷺ في وقت حملها به وما قيل لها فيه :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، ثنا سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني أنا حفص بن عمر بن الصباح البرقي، ثنا يحيى بن عبد الله البابلي ، ثنا ابو بكر ابن ابي مريم ، عن سعيد بن عمرو الانصاري ، عن ابيه ، عن كعب الاحبار في صفة النبي ﷺ، قال ابن عباس : وكان من دلالات حمل رسول الله ﷺ، إن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة ، وقالت : حمل رسول الله ﷺ ورب الكعبة ، وهو أمان الدنيا ، وسراج اهلها ، ولم يبق كاهنة من قريش، ولا في قبيلة من قبائل العرب ، إلا حجبت عن صاحبتها ، وانتزع علم الكهنة منها ، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا اصبح منكوساً ، والملك مخرساً لا ينطق يومه ، ومرت وحش الشرق الى وحش الغرب بالبشارات ، وكذلك اهل البحار يبشر بعضها بعضاً ، وفي كل شهر من شهوره نداء في الارض ونداء في السماء : ان ابشروا ، فقد آن لأبي القاسم أن يخرج الى الارض ميموناً مباركاً .

قال : وبقي في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعاً ، ولا ريحاً ، ولا مغصاً ، ولا ما يعرض للنساء من ذوات الحمل ، وهلك ابوه عبد الله وهو في بطن امه، فقالت الملائكة : إلهنا وسيدنا ، يبقى نبيك هذا يتيماً . فقال الله عز وجل للملائكة : أنا له وليّ ، وحافظ ، ونصير ، وتبركوا بمولده ميموناً مباركاً ، وفتح الله عز وجل لمولده ابواب السماء وجناته . فكانت

امه تحدث عن نفسها ، وتقول : أتاني آتٍ حين مر لي من حمله ستة أشهر ، فوكزني برجله في المنام ، وقال لي : يا آمنة ، إنك قد حملت بخير العالمين طرّاً ، فإذا ولدتيه فسميه محمداً ، واكتمي شأنك . قال : فكانت تحدث عن نفسها ، فتقول : لقد أخذني ما يأخذ النساء ، ولم يعلم بي احد من القوم ذكراً ولا انثى ، وإني لوحيدة في المنزل ، وعبد المطلب في طوافه ، قالت : فسمعت وجبة شديدة ، وأمراً عظيماً ، فهالني ذلك ، وذلك يوم الاثنين ، فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي، فذهب عني كل رعب ، وكل فزع ووجع كنت اجد ، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبناً ، وكنت عطشى ، فتناولتها ، فشربتها ، فأضاء مني نورٌ عال، ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال، كأنهن من بنات عبد مناف ، يحدقن بي ، فبينما أنا أعجب من ذلك ، وأقول : واغوثاه ، من أين علمن بي هؤلاء ؟ وأشتد بي الأمر ، وأنا اسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول ، فإذا انا بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض ، وإذا قائل يقول : خذوه عن أعين الناس .

قالت : ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم اباريق فضة ، وأنا ارشح عرقاً كالجمان ، اطيب ريحاً من المسك الأدفر ، وأنا اقول : يا ليت عبد المطلب قد دخل عليّ ، وعبد المطلب ناء عني ، قالت : فرأيت قطعة من الطير ، قد أقبلت من حيث لا اشعر حتى غطت حجرتي ، مناقيرها من الزمرد ، وأجنحتها من الياقوت ، فكشف الله عن بصري ، فأبصرت ساعتي تلك مشارق الارض ، ومغاربها ، ورأيت ثلاثة اعلام مضروبة : علماً في المشرق ، وعلماً في المغرب ، وعلماً على ظهر الكعبة ، فأخذني المخاض ، وأشتد بي الأمر جداً ، فكنت كأني مستندة الى اركان النساء ، وكثرن عليّ حتى اني لا أرى معي في البيت احداً، وأنا لا أرى شيئاً ، فولدت محمداً ﷺ

فلما خرج من بطني درت فنظرت اليه ، فـإذا هو ساجدٌ قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قـد أقبلت من السماء نزلت حتى غشيته ، فغيب عن وجهي ، فسمعت منادياً ينادي ، ويقول : طوفوا بمحمد ﷺ شرق الارض وغربها ، وادخلوه البحار كلها ، ليعرفوه باسمه ، ونعته ، وصورته ، ويعلمون أنـه يسمى فيها الماحي ، لا يبقى شيء من الشرك إلا محي به في زمنه ، ثم تجلت عنه في اسرع وقت ، فإذا انا به مدرج في ثوب صوف ابيض اشد بياضاً من اللبن ، وتحته حريرة خضراء ، وقـد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الابيض ، وإذا قائل يقول : قبض محمد ﷺ على مفاتيح النصرة ، ومفاتيح الريـح ، ومفاتيح النبوة . ثم أقبلت سحابة اخرى أعظم من الاولى ، ونور يسمع فيها صهيل الخيل ، وخفقان الاجنحة من كل مكان ، وكلام الرجال ، حتى غشيته ، فغيّب عن عيني اكثر وأطول من المـدة الاولى ، فسمعت منادياً ينادي : طوفوا بمحمد ﷺ الشرق ، والغرب ، وعلى مواليد النبيين، واعرضوه على كل روحاني من الجن، والانس، والطير ، والسباع ، واعطوه صفاء آدم ، ورقة نوح ، وخلة ابراهيم ، ولسان اسمعيل ، وصبر يعقوب ، وجمـال يوسف ، وصوت داود ، وصبر ايوب ، وزهد يحيى ، وكرم عيسى ، واغمروه في اخلاق النبيين .

ثم تجلت عنه في اسرع من طرفة عين ، فإذا انا قـد قبض على حريرة خضراء مطوية طياً شديداً ، ينبع من تلك الحريرة ماء معين ، وإذا قائـل يقول : بخٍ بخٍ ، قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها ، لم يبق خلق من اهلها إلا دخل في قبضته، طائعاً بإذن الله عز وجل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قالت آمنة : فبينما انا اتعجب إذا انا بثلاثـة نفرٍ ، ظننت ان الشمس تطلع من خلال وجوههم ، في يد احدهم ابريق من فضة ، وفي ذلك الابريق ريح

مسك ، وفي يد الثاني طست من زمرد اخضر ، عليها اربعة نواحي ، في كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء ، وإذا قائل يقول : هـــذه الدنيا شرقها ، وغربها ، برها وبحرها ، فأقبض يا حبيب الله على أي ناحية شئت ، قالت : قدرت لأنظر اين قبض من الطست ؟ فإذا هو قد قبض على وسطها ، فسمعت قائلا يقول : قبض على الكعبة ورب الكعبة ، أما ان الله تبارك وتعالى قد جعلها له قبلة ومسكناً مباركاً .

قالت : ورأيت في يد الثالث حريرة بيضاء مطوية طياً شديداً ، فنشرها فأخرج منها خاتمـاً تحارُ أبصار الناظرين دونه ، ثم حمل ابني فناوله صاحب الطست ، وأنا انظر اليه ، فغسله بذلك الابريق سبع مرات ، ثم ختم بـين كتفيه بالخاتم ختماً واحداً ، ولفــه في الحريرة ، واستدار عليه خيطاً من المسك الأدفر ، ثم حمله فأدخله بـين أجنحته ساعة . قال ابن عباس : كان ذلك رضوان خازن الجنان . قالت : وقال في اذنـه كلاماً كثيراً لم افهمه ، وقبّل بين عينيه ، ثم قال : أبشر يا محمد ، فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته ، فأنت أكثرهم علماً ، وأشجعهم قلباً ، معك مفاتيح النصرة ، وقــد ألبست الخوف ، والرعب ، فلا يسمع احد بذكرك إلا وجل فؤاده ، وخاف قلبه ، وإن لم يرك يا رسول الله . قالت : ثم رأيت رجلاً قــد أقبل نحوه ، حتى وضع فاه على فيه ، فجعل يزقه كما تزق الحمام فرخها ، فكنتُ انظر الى ابني يشير بإصبعه ، يقول : زدني زدني ، فزقه ساعة ، ثم قال : أبشر يا حبيب الله ، فما بقي لنبيّ حلم إلا وقــد أوتيته ، ثم احتمله فغيّبه عني ، فجزع فؤادي ، وذهل قلبي ، فقلتُ : ويح قريش ، والويل لها ، ماتت كلها ، أنا في ليلتي ، وفي ولادتي ، أرى ما أرى ، ويصنع بولدي ما يصنع ، ولا يقربني احد من قومي ، إن هذا لهو العجب العجاب ، قالت : فبينا أنا كذلك إذا

أنا به قد ردّ عليّ كالبدر، وريحه يسطع كالمسك، وهو يقول : خذيه ، فقد طافوا به الشرق ، والغرب ، وعلى مواليد النبيين أجمعين ، والساعة كان عند ابيه آدم ، فضمه اليه ، وقبّل بين عينيه ، وقال : أبشر حبيبي، فأنت سيد الأولين ، والآخرين ، ومضى ، وجعل يلتفت ، ويقول : أبشر يا عزّ الدنيا، وشرف الآخرة ، فقد استمسكت بالعروة الوثقى ، فمن قال بمقالتك ، وشهد بشهادتك ، حشر غـــداً يوم القيمة تحت لوائك ، وفي زمرتك ، وناولنيه ، ومضى ، ولم أره بعد تلك المرة .

زاد العباس رضي الله عنه في حديثه ، قلت : يا آمنة ، مـا الذي رأيت في ولادتك من علامة هذا الصبي ؟ فقالت : رأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت ، قد ضرب بين السماء والأرض ، ورأيت نوراً ساطعاً من رأسه ، قد بلغ السماء ، ورأيت قصور الشام كلها شعلت ناراً ، ورأيت قربي سرباً من القطا قد سجدت له ، ونشرت أجنحتها ، ورأيت نابغة شعيرة الأسدية ، قد مرت وهي تقول : ما لقي الاصنام والكهان من ولدك هذا ؟ هلكت شعيرة، والويل للاصنام ، ثم الويل لها ، ورأيت شاباً من أتم الناس طولاً ، وأشدهم بياضاً ، فأخذ المولود مني ، فتفل في فيه ، ومعـــه طاس من ذهب ، فشق بطنه ، ثم اخرج قلبه فشقه شقاً ، فأخرج منه نكتة سوداء ، فرمى بهـا ، ثم أخرج صرة من حرير أخضر ففتحها ، فـإذا فيها شيء كالدرّة البيضاء ، فحشاه به ، ثم رده الى مكانه ، ثم مسح على بطنه ، فاستيقظ ، فنطق فـلم أفهم ما قال ، إلا أنه قال : انت في امان الله ، وحفظ الله ، وكلامه ، قد حشوتك علماً ، وحلماً ، ويقيناً ، وإيماناً ، وعقلاً ، وشجاعة ، وأنت خـير البشر ، فطوبى لمن اتبعك ، وآمن بك ، وعرفك ، والويل ثم الويل ، قالها سبع مرات ، لمن تخلف عنك ، وخرج منها ولم يعرفك ، ثم تفل فيه اخرى

تفلةً شديد ، ثم ضرب الارض ضربة ، فـإذا هو بماء أشد بياضاً من اللبن ، فغمسه في ذلك الماء ثلاث غمسات ، فما ظننت إلا أنـه قد غرق ، وما من مرة يخرجه إلا رأيت ضوء وجهه كالشمس الطالعة ، ولقد رأيت بريق وجهه يقع على قصور الشام كوقوع الشمس الحديث، ثم قال : أمرني ربي عزّ وجل أن انفخ فيك بروح القدس ، فنفخ فيه ، فألبسه قميصاً ، فقال : هذا أمانك من آفات الدنيا . الحديث، رواه احمد بن ابي عبد الله ، عن محمد بن عبد الله ابن جعفر ، عن محمد بن احمـد بن ابي يحيى ، عن سعيد بن عثمان الكريزي ، عن ابي احمد الزبيري ، عن سعيد بن مسلم مولى لبني مخزوم ، عن ابي صالح، عن ابن عباس ، قال : سمعت ابي العباس يحدث ، فذكره .

لطف خفيّ من لطيف بعبد مهين ضعيف :

حدثنا عبد الرحمن بن علي كتابـة ، نبأ ابو بكر الصوفي ، أنا علي بن ابي صادق ، أنا محمد بن عبد الله الشيرازي ، قـال : سمعت محمد بن فارس يقول سمعت خير النسّاج يقول سمعت ابراهيم الخواص . وقد رجع من شدة سفره وكان قد غاب عني سنين ، فقلتُ : مـــا الذي أصابك في سفرك ؟ فقال : عطشت عطشاً شديداً حتى سقطت من شدة العطش ، فـإذا أنا بماء قد رش على وجهي ، فلما أحسست ببرده ، فتحت عيني ، فإذا رجل حسن الوجه ، والذي عليه ثياب خضر ، على فرس أشهب ، فسقاني حتى رويت ، ثم قال : ارتدف خلفي ، وكنت بالحاجر ، فلمـا كان بعد ساعة ، قال : أيش ترى ؟ قلتُ : المدينة ، قـــال : أنزل ، واقرأ على رسول الله مني السلام ، وعلى صاحبيه ابي بكر ، وعمر ، وقال : اخوك الخضر ، يسلم عليك .

وفي رواية ، قال له : رضوان يقرأ عليك السلام كثيراً .

نعت معشوق :

حدثنا يونس بن يحيى العباسي ، أنا ابن ناصر السلامي ، عن ابي طاهر بن ابي الصقر ، ثنا مكي ، أنا طاهر بن احمد ، أنا ابو محمد بن زيد ، ثنا العباس بن محمد ، ثنا الاصمعي ، عن ابي الهذلي ، عن رجال من قومه ، أن اصيلاً الهذلي قدِم على رسول الله ﷺ من مكة ، فقال له : يا اصيل، كيف تركت مكة؟ قال : يا رسول الله ، تركتها قد أبيضت بطحاؤها ، واخضرت مسلاتها ، وأمشر سلمها ، وأحجن ثمامها ، وأغدق أدخرها ، فقال : يا اصيل ، دع القلوب تقرّ ، لا تشوقها الى مكة .

المسلان: الشعاب . والمشار: ثمر السلم ، وهو ثمر احمر. والاغداق: اجتماع اصول الشجر . والاحجان : انعقافه ومنه سمي الحجون .

في الوطن :

ما من غريبٍ وإن أبدى تجلـّده   إلا تذكر بعد الغربـــة الوطنا
ولا يزال حمـــام باللوا غرد   يهيج مني فؤاد طال ما سكنا

وأنشد محمد بن مالكون لبعضهم في ذلك :

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي   وأضحى فؤادي نهبـــة للهماهم
حنيناً الى ارض بها اخضرّ شاربي   وحلت بهـــا عني عقود التمائم

وأنشد ابن سكرة لبعضهم في ذلك :

يقرّ بعيني أن أرى في مكانـه   ذرى عطفات الأجرع المتقاود
وإن أرد الماء الذي عن شماله   طروقاً وقد مل السرى كل واحد
وألصق احشائي ببرد ترابـــه   وإن كان ممزوجاً بسم الأساود

خبر عبد الله بن الثامر والأخدود من حديث ابن اسحاق :

حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي، قال : كان أهل نجران أهــــل شرك ، يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران ، فإن نجران هي القرية العظمى ، يأتي اليها جماعة اهل تلك البلاد ساحر ، يعلم غلمان اهل نجران السحر ، فلما نزلها ميمون ، قالوا : رجل ابتنى خيمة بين نجران ، وبين ملك القرية التي بها الساحر ، فجعل اهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلــك الساحر ، يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن ثامر ، مع غلمان اهل نجران ، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه مــا يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس اليه ، ويسمع منه حتى اسلم ، فوحّد الله ، وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الاسلام ، حتى إذا فقه فيهم ، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه ، وقال له : يا ابن اخي ، إنك ان تحمله اخشى ضعفك عنه ، والثامر ابو عبد الله يظن ان ابنه يختلف الى الساحر ، كما تختلف الغلمان ، فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضنّ به عليه ، وتخوّف ضعفه عنه ، عمــد الى قداح ، فجمعها ، ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه على قدح ، لكل اسم قدح ، حتى إذا احصاها اوقد لها ناراً ، فجعل يقذفها فيها قدحاً قدحاً ، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قــذف فيها بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضرّه شيء ، فأخذه ثم أتى صاحبه ، فأخبره أنه قــد علم الاسم الذي كتمه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بمــــا صنع ، قال : أي ابن اخي ، قد أصبته ، فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل ، فجعل عبد الله بن ثامر إذا دخل نجران لم يبق احدٌ به ضرر ، ألا قال له عبد الله : أتوحّد الله ، وتدخل في ديني، وأدعوا الله فيعافيك ممــا انت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ، ويسلم ،

ويدعو له ، فيشفى ، حتى لم يبق بنجران احدٌ به ضرر ، إلا أتاه ، فأتبعه على امره ، ودعا له ، فعوفي ، حتى رفع شأنــه الى ملك نجران ، فدعاه ، فقال له : أفسدت عليّ اهـل قريتي ، وخالفت ديني ، ودين آبائي ، لأمثلنّ بك . قال : لا تقدر على ذلك ، قال : فجعل يرسل به الى الجبل الطويل ، فيطرح على رأسه ، فيقع على الارض ليس به بأس ، وجعل يبعث بــه الى مياه نجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فيلقى فيهـا ، فيخرج ليس بــه بأس . فلما غلبه ، قال له عبد الله ابن الثامر : إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله ، فتؤمن بما آمنت بــه ، فإنك ان فعلت سُلطت عليّ فقتلتني . قال : فوحّد الله ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصىً في يده فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ، وهلك الملك مكانه . فاجتمع اهل نجران على دين عبد الله ابن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم عليــه الصلاة والسلام من الانجيل وحكمه ، فسار اليهم ذو نواس ذرعة بن شنار بجنوده ، فدعاهم الى اليهودية ، وخيرهم بين ذلك ، والقتل ، فاختاروا القتل ، فخذلهم ، فحرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثّل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفــاً ، وفيه نزل قوله تعالى : « قتل اصحاب الاخدود » . والاخدود: الحفر الطويل في الارض كالخندق ، والجمع أخاديد .

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن ابي بكر بن محمد عمرو بن حزام ، انه حدّث أن رجلاً من اهل نجران في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حفر خربة من خرد نجران لبعض حاجة ، فوجد عبد الله بن الثــامر تحت الحفيرة التي دفن فيها قاعداً ، واضعاً يده على ضربة في رأسه ، ممسكاً عليها بيده ، فاذا أخرت يده عنها تنبعت دماء ، واذا ارسلت يده ردّها عليها ، فأمسكت دمها ، في يده خاتم مكتوب فيه : ربي الله . فكتب به الى عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه يخبره بأمره ، فكتب اليهم: ان أقرّوه على حاله، وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه ، ففعلوا .

ومن قتله القرآن :

مـا حدثنا به عبد الرحمن بن علي كتابة ، عن عمر بن ظفر ، عن جعفر ابن احمد ، عن عبد العزيز بن علي ، عن علي بن عبد الله ، عن محمد بن داود ، عن ابي زكريا الشيرازي، قال : تهت في بادية العراق اياماً كثيرة لم اجد شيئاً أرتفق به، فلما كان بعد ايام رأيت في الفلاة خباء شعرٍ مضروباً ، فقصدته، فإذا ببيت وعليه شيء مسبل ، فسلمت فردّت عليّ عجوز من داخل الخباء ، فقالت : يا انسان ، من اين اقبلت ؟ قلت : من مكة ، قالت : وأين تريد ؟ قلت : الشام ، قالت : أرى شبحك شبح انسان بطـّـال ، ألا لزمت زاوية تجلس فيها الى ان يأتيك اليقين ؟ ثم تنظر هـذه الكسرة من أين تأكلها ؟ ثم قالت : تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم، قالت : إقرأ عليّ آخر سورة الفرقان ، فقرأتها ، فشهقت ، وأغمي عليها ، فلما أفاقت قرأت هي الآيات ، فأخذت مني قراءتها أخذاً شديداً . ثم قالت: يا انسان، إقرأها عليّ ثانياً ، فقرأتها، فلحقها مثل ذلك ، غير انها لم تفق ، فقلت: كيف استكشف حالها ؟ ماتت أم لا ؟ فتركت البيت على حاله ومشيت أقل من نصف ميل ، فأشرفت على واد فيه اعراب ، فأقبل إليّ غلامان ، معهما جارية ، فقـال احد الغلامين : يا انسان ، أتيت البيت في الفلاة ؟ قلت : نعم ، قـــال : وتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : قتل العجوز وربّ الكعبة ، فرجعت معهم حتى اتينا البيت ، فدخلت الجارية ، فكشفت عنها الحجاب، فإذا هي ميتة ، فأعجبني خاطر الغلام ، فقلت للجارية : مَن هذان الغلامان ؟ فقالت : هذه اختها ،

منذ ثلاثين سنة مـــا تأنس بكلام الناس ، تأكل في كل ثلاثة ايام أكلة ، وشربة .

ومن باب البكاء عند رؤية القبر :

ما حدّثنا بـــه حنبل بن ابي الحصين ، عن ابن المذهب ، عن ابي بكر ابن مالك ، عن عبد الله بن احمد ، عن ابيه ، عن ابي عبد الرحمن المقري ، عن عبد الله بن واقد ، عن محمد بن مالك ، عن البراء بن عازب ، قـــال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة فقـــال : علامَ اجتمع هؤلاء ؟ قيل : على قبر يحفرونه ، ففزعَ رسول الله ﷺ فبدر بـــين يدي أصحابه مسرعاً حتى انتهى الى القبر فجثا عليه ، قال : فاستقبلته بين يديه لأنظر ما يفعل ، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه ، ثم اقبل علينا فقال : اي اخواني لمثل هذا فاغدوا .

شعر :

أيهـــا المغرور في الد — نيـــا بعزٍّ تقتنيهِ
وبـأهل وبمـــال — وبقصر تبتنيـــه
كم سحبناكم عليهـــا — ذيل سلطان وتيـه
تحسب الأفلاك تجري — بخـلود ترتجيـه
اذا طوانا الدهر طيّاً — فاعتبر ما نحن فيه

روينا من حديث الهاشمي بسنده الى ابن عباس قال : قـــال رسول الله ﷺ : ايها الناس ، إن الرزق مقسوم لن يعدو امرء مـــا كتب له ، فاجملوا في الطلب . وإن العمر محدود لن يجاوز احد ما قدر له ، فبادروا قبل نفاد

الأجل . والأعمال محصاة لن يهمل منها صغيرة ولا كبيرة، فأكثروا من صالح العمل .

أيها الناس إن في القناعة لسعة ، وإن في الاقتصاد لبلغة ، وإن في الزهد لراحة ، ولكل عمل جزاء ، ولكل اجل كتاب ، وكل آتٍ قريب .

رؤيا المنصور امير المؤمنين التي كانت سبباً لبعض حججه التي احرم بها من بغداد :

حدثنا يونس بن يحيى ، عن ابن ابي منصور ، عن المبارك بن عبد الجبار، عن ابي بكر ، عن ابن المنكدر الصلت ، عن ابي بكر بن الانباري ، عن محمد بن احمد المقدمي ، عن ابي محمد التميمي ، عن منصور بن ابي مزاحم ، عن ابن سهل الحاسب ، عن طيفور قال : كان سبب احرام المنصور من بغداد ، انه نام ليلة فانتبه مرعوباً ، ثم عاود النوم فانتبه كذلك فزعاً مرعوباً ، ثم راجع النوم فانتبه كذلك ، فقال : يا ربيع ، قال الربيع : قلت : لبيك يا امير المؤمنين ، قال : لقد رأيت في منامي عجباً ، قال : ما رأيت جعلني الله فداءك ؟ قال : رأيت كأن آتياً آتاني فهينم بشيء لم افهمه ، فانتبهت فزعاً ، ثم عاودت النوم فعاودني يقول ذلك الشيء ، ثم عاودني بقوله حتى فهمته وحفظته وهو :

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... وُعرّي منه أهله ومنازله
وصار رئيس القوم من بعد بهجة ... الى جدثٍ تبنى عليه جنادله

وما أحسبني يا ربيع إلا وقد حانت وفاتي ، وحضر أجلي ، وما لي غير ربي ، قم فاجعل لي غسلاً . ففعلت ، فقام فاغتسل وصلى ركعتين . وقال :

انا عازم على الحج فهيء لي آلة الحج ، فخرج وخرجنا حتى اذا انتهى الى الكوفة ونزل النجف فأقام أياماً ، ثم أمر بالرحيل ، فتقدمت نوابه وجنوده وبقيت أنا بوابه ، وهو بالقصر ، فقال لي : يا ربيع جئني بفحمة من المطبخ، وقال لي : أخرج فكن مع دابتي الى أن اخرج ، فلما خرج وركب رجعت الى المكان كأني أطلب شيئاً ، فوجدته قد كتب على الحائط بالفحمة :

المرء يهوى أن يعيـ ... ـش وطول عيشٍ قد يضرّه
تفنى بشاشته ويبقى ... بعد حلو العيش مره
وتصرف الايام حتى ... ما يرى شيئاً يسره
كم شامتٍ بي إن هلكـ ... ـت وقائل لله دره

للسهيس انشدني عمي رحمه الله :

زمانٌ يمر وعيشٌ يمر ... ودهر يكر بما لا يسر
ونفس تذوب وهم ينوب ... ودنيا تنادي بأن ليس حر

ومن وقائع بعض الفقراء ما حدثنا به عبد الله المروزي قال : قال لي : بعض الصالحين : رأيت في واقعتي ابا مدين ، وأبا حامد ، وجماعة ينَ من الصوفية ، فقالوا لأبي مدين : قل لنا في التوحيد شيئاً ، فقال ابو مدين : التوحيد همة المرسلين والنبيين ، وهو سر الخلفاء الصديقين ، وقطب الورثة من العارفين ، به حنّت أسرارهم الى الحضرة الآلهية ، وبه انكشفت لهم الأمور الربانية ، فأمدهم بالحياة والقيومية ، وأظهر لهم اسراراً لا تكاد تطيقها الأرواح البشرية ، منها السر القائم بالوجود الذي منه بدأ واليه يعود ووراء ذلك أسرار لا ينبغي بثها ، ولا يليق بالعارف كشفها، إذ هي اسرار اذا طالعها اضمحلت رسومه ، وتلاشت افكاره وعلومه، وفني ما هو محصور

مقيد ، وبقي الواحد الفرد الصمد ، فالعارف المحقق الذي يسير بسيره ، ولم يكن له في قلبه متسع لغيره، هو قلبه وحياته ، وبه حسنت اخلاقه وصفاته فكثيفه ظاهر لكل كثيف ، ولطيفه يلاحظ اسرار اللطيف ، فتوحيد العارفين محض التحقيق ، والقصد القصد بلا تخليق، ففي التخليق فناء العمر، وفي القصد الوصول والظفر ، فالعارف مقيم بين الخلق بجسمه ، ومسافر الى جمال الحضرة العلية بسرة ، فثمرة هـذا التوحيد مناله ، بالسفر فيه تشرفوا وتنعموا ، واليه الإشارة بقوله عليه السلام سافروا تصحوا وتغنموا ، فغنيمة العارف تظهر عليه بالصفات والنعوت ، إن اختبرته وجدته بالله قائل ، وإن تحققته ألفيته مع سيده كالميت بين يدي الغاسل .

وروينا من حديث الهاشمي بلغ بـه النبي ﷺ انه قال : إياكم وفضول المطعم، فإن فضول المطعم يسم القلب بالقسوة ، ويبطىء بالجوارح عن الطاعة ويصم الهمم عـن سماع الموعظة ، وإياكم وفضول النظر ، فإنه يبذر الهوى ويولد الغفلة ، وإياكم واستشعار الطمع ، فإنـه يشرب القلب شدة الحرص ، ويختـم على القلب بطابع حب الدنيا ، فهو مفتاح كل سيئة ، وسبب احباط كل حسنة .

وأنشدني محمد بن عبد الواحد لبعضهم :

وأحبائي مـن علـيم ليس يخفى عنه حالي
منطقي يبدي جميـلا والبـلايا في فعالي
ليت شعري ما اعتذاري يوم أدعى للسؤال
كيف قولي وجوابي كيف فعـلي واحتيالي
ليتني لم أك شيئاً قبـل تحقيق السؤال

ومن حسن التلطف في المكاتبة :

ما ذكره اسمعيل بن ابي شاكر قال : لما أصاب اهل مكة السيل الذي شارق الحجر ، ومات تحته خلق كثير ، كتب عبد الله بن الحسن العلوي وهو والي الحرمين، الى المأمون : يا امير المؤمنين إن اهل حرم الله، وجيران بيته ، وآلاف مسجده ، وعمرة بلاده ، قد استجاروا بعزّ معروفك من سيل تراكمت جرياته في هدم البنيان ، وقتل الرجال والنسوان ، واجتاح الاصول ، وجرف الاثقال حتى ما ترك طارفاً ولا تالداً للراجع اليها في مطعم ولا ملبس ، فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الامهات والأولاد، والآباء والأجداد؛ فأجرهم امير المؤمنين بعطفك عليهم، وأحسانك اليهم ، تجد الله مكافئك عنهم ، ومثيبك عن الشكر منهم .

قال : فوجّه المأمون اليهم بالأموال الكثيرة ، وكتب الى عبد الله : أما بعد فقد وصلت شكيّتك لأهل حرم الله الى امير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسيب نعمته ، وهو متبع لما أسلف اليهم ، بما يخلفه عليهم ، عاجلاً وآجلاً ، أن أذن الله في تثبيت نيته على عزمه .

قال : فكان كتابه هذا أسرّ لأهل مكة من الأموال التي أنفذها اليهم :

ومن حسن الجواب :

ما حكي أن امير المؤمنين وقف على امرأةٍ من بني ثعل فقال لها : ممن العجوز ؟ قالت : من طي ، قال : ما منع طيّاً أن يكون فيها مثل حاتم ؟ قالت : الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك ، فأعجب بقولها ، ووصلها .

وقال معاوية حين أتاه سعيد بن مرّة الكندي : انت سعيد ؟ فقال : امير المؤمنين أسعد ، وأنا ابن مرّة . وقال الحجاج للمهلب : أنا اطول أم انت ؟ قال : الأمير اطول ، وأنا أبسط قامة منه .

وقيل للعباس بن عبد المطلب : انت اكبر أم رسول الله ﷺ ؟ قال : هو عليه السلام اكبر مني ، وأنا ولدت قبله .

قيل : دخل سيد بن انس على المأمون ، فقال له المأمون : انت السيد ؟ قال : انت السيد يا امير المؤمنين ، وأنا ابن انس .

حكم :

رب قول أشدّ من صول. لكل ساقطة لاقطة . لكل داهية ناهية. لكل قاصمة عاصمة . مقتل الرجل بين فكيه يعني لسانه .

وقال المهلب : اتقوا زلة اللسان، فإني وجدت الرجل يعثر قدمه ، فيقوم من عثرته ، ويزلّ لسانه ، فيكون فيه هلاكه .

وقال يونس بن عبيد : ليست خلة من خلال الخير تكون في الرجل هي احرى أن تكون جامعة لأنواع الخير كلها من حفظ اللسان .

ومن قولهم في الكتمان : كان امير المؤمنين ابو جعفر المنصور يقول : الملوك تحتمل كل شيء من اصحابها إلا ثلاثة : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك .

وقال بعض الحكماء : سرّك من دمك ، فانظر من يملكه .

وفي الحكمة القديمة : سرّك لا يطلع عليه غيرك .

وقيل لأبي مسلم : بأي شيء أدركت هذا الأمر؟ قال : ارتديت الكتمان وأتزرت بالحزم ، وحالفت الصبر ، وساعدت المقادير ، فأدركت طلبتي ، وحزت بغيتي .

وأنشد في ذلك :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت | عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
ما زلتُ أسعى عليهم في ديارهم | والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهمُ بالسيف فانتبهوا | من نومةٍ لم ينمها قبلهم احد
ومن رعى غنماً في ارض مسبعة | ونام عنها تولّى رعيها الأسدُ

روينا من حديث البغوي أخبرنا ابو سعيدٍ عبد الله بن احمد الظاهري ، أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزّار ، أنا ابو بكر بن محمد بن زكريا الغدافري ، انبأ اسحاق بن ابراهيم ، ثنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي ، عن خالد بن خالد اليشكري ، قال : خرجت زمن فتحت تستر حتى قدمت الكوفة ، فدخلت المسجد ، فإذا أنا بحلقة فيها رجل صدع من الرجال ، حسن الثغر ، يعرف فيه أنه رجل من أهل الحجاز قال : فقلت من الرجل ؟ فقال القوم : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ، قالوا : هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ ، قال : فقعدت وحدث القوم . فقال : إن الناس كانوا يجيؤن فيسألون النبي ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، فأنكر ذلك القوم عليه ، فقال لهم : اني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك : جاء الاسلام حين جاء ، فجاء أمراً ليس كأمر الجاهلية ، وكنت قد أعطيت فهماً في القرآن ، وكان رجال يسألون عن الخير ، فكنت أسأله عن الشرّ ، قلت : يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير

شر كما كان قبله شر ؟ قال : نعم ، قلت : فما العصمة يا رسول الله ؟ قال : السيف ، قلت : وهل بعد السيف بقية ؟ قال : نعم يكون جماعة على أقذاء وهدنة على دخن ، قال : قلت ثم ماذا ؟ قال : ثم ينشأ دعاة الضلالة ، فإن كان لله في الارض خليفة جلد ظهرك ، وأخذ مالك ، فألزمه ، وإلا فمت وأنت عاضٍ على جذل [1] شجرة ، قال : قلت ثم ماذا ؟ قال : ثم يخرج الدجال بعد ذلك ومعه نهر ونار ، فمن وقع في ناره وجب أجره ، وحط وزره . ومن وقع في نهره وجب وزره ، وحبط أجره . قال : ثم قلت : ماذا ؟ قال : ثم ينتج المهر فلا يركب حتى تقوم الساعة . قال البغوي الصدع من الرجال مفتوحه الدال : الشاب المعتدل . ويقال : الصدع : الربعة في خلقة رجل بين الرجلين . وقوله : فما العصمة ؟ قال : السيف . قال قتادة: يضعه على أهل الردة كانت في زمن الصديق رضي الله عنه . وقوله : هدنة على دخن : صلح على بقايا من الضغن . وقوله : على أقذاء : يكون اجتماعهم على فساد من القلوب ، شبهه بأقذاء العين .

ومن اشراط الساعة :

ما رواه علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن أشراط الساعة فقال : اذا رأيت الناس قد ضيعوا الحق ، وأماتوا الصلاة ، وأكثروا القذف ، واستحلوا الكذب ، وأخذوا الرشوة ، وشيدوا البنيان ، وعظموا أرباب الأموال ، واستعملوا السفهاء ، واستحلوا الدماء ، فصار الجاهل عندهم ظريفاً ، والعالم ضعيفاً ، والظلم فخراً ، والمساجد طرقاً ، وتكثر الشرط ، وحليت المصاحف ، وطوّلت المنارات ، وخربت القلوب

(١) أي أصلها .

من الدين ، وشربت الخمور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، وفشا الفجور، وقول البهتان ، وحلفوا بغير الله ، وأتمن الخائن ، وخـان الأمين ، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب ، فعندها قيام الساعة .

وروى حذيفة بن اليمان قال :

رأيت رسول الله ﷺ متعلقاً بأستار الكعبة ، وعيناه تذرفان بالدموع ، فقلت : ما يبكيك لا أبكى الله لك عيناً ! قال : يا حذيفة ذهبت الدنيا ، او كأنك بالدنيا لم تكن ، قلت : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، فهل من علامة يستدل بهـا على ذلك ؟ قال : نعم يا حذيفة ، إحفظ بقلبك ، وانظر بعينيك ، وأعقـد بيديك ، اذا ضيعت امتي الصلاة ، وأتبعت الشهوات ، وكثرت الخيانات ، وقلّت الأمانات ، وشربوا القهوات ، وأظـلم الهوى ، وغار الماء ، وأغبرت الأفق ، وخيفت الطريق ، وتشاتم الناس ، وفسدوا ، وفجرت الباعـة ، ورفضت القناعة ، وساءت الظنون ، وتلاشت السنون ، وكثرت الاشجار، وقلّت الثمار، وغلّت الاسعار ، وكثرت الرياح ، وتبينت الأشراط ، وظهر اللواط ، واستحسنوا الخلف ، وضاقت المكاسب ، وقلّت المطالب ، واستمروا بالهوى ، وتفاكهوا بينهم بشتيمة الآباء والأمهات، وأكل الرّبا ، وفشا الزنا ، وقلّ الرضا ، واستعملوا السفهاء ، وكثرت الخيانـة ، وقلّت الأمانة ، وزكى كل امرءٍ نفسه وعمـله ، واشتهر كل جاهل بجهله ، وزخرفت جدران الدور ، ورفـع بناء القصور ، وصار الباطل حقاً ، والكذب صدقاً ، والصحة عجزاً ، واللؤم عقـلا ، والضلالة هدى ، والبيان عمى ، والصمت بلاهة ، والعلم جهالة ، وكثرت الآيات ، وتتابعت العلامات، وتراجعوا بالظنون ، ودارت على الناس رحى المنون، وعميت القلوب ، وغلب المنكر المعروف ، وذهب التواصل ، وكثرت التجارات ، واستحسنوا

البطالات ، وتهادوا انفسهم بالشهوات ، وتهاونوا بالمعضلات ، وركبوا جلود النمور ، وأكلوا المأثور ، ولبسوا الحبور ، وآثروا الدنيا على الآخرة ، وذهبت الرحمة من القلوب ، وعمّ الفساد ، واتخذوا كتاب الله لعباً ، ومال الله دولاً ، واستحلوا الخمر بالنبيذ ، والنَّجْشَ بالزكاة ، والرّبا بالبيع ، والحكم بالرشا ، وتكافا الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وصارت المباهاة في المعصية ، والكبر في القلوب ، والجور في السلاطين ، والسفاهة في سائر الناس فعند ذلك لا يسلم الى ذي دين دينه إلا من فرّ بدينه من شاهق الى شاهق ، ومن وادٍ الى واد ، وذهب الاسلام حتى لا يبقى إلا اسمه ، واندرس القرآن من القلوب حتى لا يبقى إلا رسمه ، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيّهم ، لا يعلمون بما فيه من وعد ربهم ووعيده وتحذيره وتنذيره وناسخه ومنسوخه ، فعند ذلك تكون مساجدهم عامرة ، وقلوبهم خاربة من الايمان ، علماؤهم شر خلق الله على وجه الارض ، منهم بدت الفتنة وإليهم تعود ، ويذهب الخير وأهله ، ويبقى الشر وأهله ، ويصير الناس بحيث لا يعبأ الله بشيء من أعمالهم ، قد حبب اليهم الدينار والدرهم ، حتى ان الغني ليحدّث نفسه بالفقر .

ثم ذكر حديث خراب الأرض في باقي الحديث وقد ذكرناه في هذا الكتاب .

رؤيا سهل بن عبد الله التستري :

حدثنا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بمدينة فاس . قال : رويت فيما رويت أن سهل بن عبد الله ، قال : نمت ليلة النصف من شعبان عندما غلب عليّ السهر ، فرأيت جبريل عليه السلام والناس يعرضون عليه ، فقدم اليه رجل ،

فقال للملائكة الموكلين : كيف وجدتم هـذا العبد ؟ قالوا : عبد سوء أنعم عليه فما شكر ، وابتلي فما صبر ، وعوهد فخان وغدر ، وأمر فما أطاع ولا امتثل ، وسوّف نفسه بعسى ولعلّ ، يتبرم لقضاء المولى ، ويتحكم فيما يهوى ، ويقول : هذا أحق وهذا أولى . قال محمد بن قاسم : لمـا انتهى عمر بن عبد المجيد حين حدّثني بهذا الحديث الى قوله: وهذا أولى ، بكى ، وقال : فهذه صفتي التي عرفتها، وحالتي التي ألفتها، ثم أنشد فلا أدري أمن قبله أم متمثلاً:

ساعدوني في بكائي	واسمعوا وصفي لحالي
كل ذنبٍ هو عندي	وهو ذخري وهو مالي
وأنا عن قبح هذا	في غرورٍ واشتغالِ
هل لمثلي من عزاءٍ	ضاق بي وجه احتيال

ثم رجع الى الحديث قال : قال سهل : فأمر جبريل عليه السلام ملكاً ، فأخذ بيديه ، ونادى بين الملائكة الموكلين به عليه : هـذا عبدٌ خلعَ ربقة العبودية من اعماله، فخلـّوا بينه وبين اشـكاله . قال سهل : ثم قدم اليه رجل آخر ، فقال للملائكة الموكلين به : كيف وجدتم هذا العبد ؟ قالوا : هـذا عبدٌ صالح شكر على النـّعْما ، وصبر على البلوا ، وامتثل أمر المولى، وجانب الخيانة والجفا ، واتبع سنـّة المصطفى ، ثم أمر ملكاً فأخذ بيديه ، ونادى بين الملائكة عليه : هذا عبد لزم آداب العبودية فاعرفوه ، فإن نزل به أمر فلا تخذلوه .

ومن باب قول الله عز وجل وشاورهم في الأمر :

قالت العلماء : اذا استخار الرجل ربه ، واستشار نصيحه ، واجتهد ،

فقد قضى ما عليه ، ويقضي الله في امره ما يحبّ . وإياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن الى أفن ، وعزمهن الى وهن . وقــال بعضهم : حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة .

حكمة :

اذا قدرت فاصفح ، واذا استُشرت فانصح ، النصيحة في الملا تقريـع ، يقال : من وعظ أخاه سراً زانه ، ومن وعظه جهاراً شانه .

قال بعض الحكماء : نصف عقلك مع اخيك فاستشره ، فـإن الاعتصام بالمشورة ، لأنها تقيم اعوجاج الرأي ، وقلّ من هلك إلا برأيه ، ولا يغرّنك قول من قــال : لو لم يكن في ترك المشورة إلا استضعاف صاحبك ، وظهور فقرك اليه ، لوجب اطراح مـــا يفيده من المشورة ، وإلقاء ما يكسبه الامتنان .

وقال بعضهم : أمر الحجاج بحضور الشعبيّ ، فجاءه ابن الأشعث قادماً ، فلقيه كاتب الحجاج ابو مسلم ، فقال له الشعبيّ : أشر عليّ يا أبا مسلم فأنت أعلم بما هناك ، فقال ابو مسلم : لا ادري بمَ أشير ، ولكن اعتذر بما قدرت عليه . قــال الشعبي : وأشار عليّ بذلك كل من استشرته من اهل ودّي . قال الشعبي : فلمـــا دخلت على الحجاج اعتمدت على ربي الذي بيده تقليب قلوب الملوك ، وعزمت على مخالفة مشورة أصحابي ، ورأيت والله غير الذي قـــالوا ، وهان عليّ الأمر ، فسلـّمت عليه بالأمارة إعطاء لحق المرتبة ، ثم قلت : أصلح الله الأمير ، إن الناس قد أمروني أن اعتذر بغير مــا يعلم الله انه الحق ، ولك والله أن لا اقول في مقامي هذا إلا الحق : قـــد جهدنا وحرصنا ، فمــا كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله

علينا ، وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا ، وإن عفوت فبحلمك والحجة لك علينا. فقال الحجاج : انت والله أحب الينا قولاً ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ، ويقول : والله ما فعلت ولا شهدت ، انت آمن يا شعبي . قال الشعبي : فقلت : أيهـا الأمير اكتحلتُ والله بعدك السهر ، واستحليتُ الخوف ، وقطعتُ صالح الاخوان، ولم أجد من الأمير خلفاً ، قال : صدقت وانصرفت ، فنعم المستشار العلم ، ونعم الوزير العقل .

وقال بعض الاعزاء من العقلاء : ما استشرت أحداً إلا كنت عند نفسي ضعيفاً ، وكان عندي قوياً ، وتصاغرت له، ودخلته الغيرة ، فإياك والمشورة وإن ضاقت بك المذاهب ، واختلفت عليك المسالك ، وأداك الاستبهام الى الخطأ الفادح ، فإن صاحبها أبدا جليل في العيون ، مهيبٌ في الصدور، ولن تزال كذلك مـــا استغنيت عن ذوي العقول ، فإذا افتقرت اليها حقرتك العيون ، ورجفت بـــك أركانك ، وتضعضع بنيانك ، وفسد تدبيرك ، واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وعرفت بالحاجة اليهم انتهى .

ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن سعيد بن سالم ، عن عثمان ابن ساج ، عن الكلبي ، عن ابي صالح. قال : لما طالت ولاية جرهم استحلوا من الحرم أموراً عظاماً ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون ، واستخفوا بحرمة الحرم وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى اليها سراً وعلانية ، وكلما عـدا سفيه منهم على منكر وجـد من أشرافهم من يمنعه ، ويدفع عنه ، وظلموا من دخلها من غير أهلها ، حتى دخل رجل منهم بإمرأة الكعبة ، فيقال فجر بهـا ، أو قبّلها ، فمسخا حجرين ، فرق أمرهم فيها ، وضعفوا ، وتنازعوا امرهم بينهم

واختلفوا ، وكانوا قبل ذلـــك من أعزّ حيٍّ في العرب ، وأكثره رجالاً ، وأموالاً ، وسلاحاً ، وأعزه غرة .

فلما رأى ذلك رجل منهم يقال له مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض ابن عمرو قام فيهم خطيباً فوعظهم وقال : يا قوم اتقوا على انفسكم ، وراقبوا الله في حرمه وأمنه ، فقد رأيتم وسمعتم من هلك من صدر هذه الامم قبلكم، قوم هودٍ ، وصالح ، وشعيب ، فلا تفعلوا ، وتواصلوا ، وتواصوا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر ، ولا تستخفوا بحرم الله تعالى وبيته ، ولا يغرّنكم ما أنتم فيه من الأمن . وبالغ في وعظهم ، فما ازدادوا إلا طغياناً وتجبراً ، فلم رأى ذلـــك مضاض منهم ، عمد الى غزالين كانا في الكعبة من ذهب ، وأسياف فدفنها في موضع زمزم ، وكان زمزم إذ ذاك قد ذهب ماؤه ودرس ، فبينما هم كذلك إذ كان من أهل مأرب ، مـا ذكر أنه ألقت طريفة الكاهنة الى عمرو بن عامر ، وهو الذي يقال له مرتقب بن مـاء السماء ، وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرء القيس بن مـازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن ساس بن يعرب بن قحطان ، وكانت رأت في كهانتها أن سدّ مأرب سيخرب، وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين. وقال فيما حدثه ابو زيد الانصاري أن عمراً رأى جُرداً يحفر في سدّ مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء ، فعلم انه لا بقاء للسدّ على ذلك ، فباع أمواله ، وسار هو وقومه من بـــلد الى بلد ، لا يطول بلداً إلا غلبوا عليه ، وقهروا أهـله حتى يخرجوا منه ، فلما قاربوا مكة ساروا ومعهم طريفة الكاهنة . فقالت لهم: سيروا ، سيروا ، فلن تجتمعوا انتم ومن خلفتم ابداً ، فهم لكل أصل، وأنتم لهم فرع ، ثم قالت الكاهنة : وحق ما أقول ما علمني ما أقول إلا الحكيم المحكم رب جميع الانس من عرب وعجم . قالوا لها : ما شأنكِ يا

طريفة ؟ قالت : خذوا البعير الشذقم فخضبوه بالدم ، تسكنوا أرض جرهم جيران بيته المحرم . قال : فلما انتهوا الى مكة ، وأهلها جرهم قـــد قهروا الناس ، وحازوا ولاية البيت على بـني اسمعيل وغيرهم أرسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يا قوم أنا قـــد خرجنا من بلادنا ، فلم ننزل بلداً إلا فسح أهلها لنا ، وتزحزحوا عنا ، فنقيم معهم حتى نرسل روّادنا فيرتادون لنا بلداً يحملنا ، فأفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم بقدر مـا نستريح ، ونرسل روّادنا الى الشام ، والى الشرق فحيث مـا بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً . فـأبت جرهم ذلـك ، وبعثوا اليهم أن ارحلوا عنا ، فأرسل اليهم ثعلبة انـه لا بدّ لي من المقام في هذا البلد حولاً ، حتى ترجع اليّ رسلي ، فـــإن تركتموني طوعاً نزلت وحمدتكم ، وواسيتكم ، في الرعي ، والماء ، وإن أبيتم ، أقمت على كرهكم ، ثم لم ترتعوا معي إلا فضلاً، ولم تشربوا معي إلا زيفا، وإن قاتلتموني قاتلتكم، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء ، وقتلت الرجال ، ولم أترك منكم احداً ينزل للحرم ابـــداً . فأبت جرهم أن يتركوه طوعاً ، فاقتتلوا ثلاثة ايام ، وأفزع عليهم الصبر ، ومنعوا النصر ، ثم انهزمت جرهم ، فـلم يلتفت منهم إلا الشريد ، وكان مضاض بن عمرو بن الحارث قد اعتزل جرهم ، ولم يعنهم في ذلك وقال : قـــد كنت احذركم هذا . ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا فنوناً ، وحلى ، وما حول ذلك ، فبقايا جرهم بها الى اليوم، وأفنى جرهما السيف في تلك الحرب، فأقام ثعلبة بمكة ومـــا حولها في قومه وعساكره حولاً ، فأصابتهم الحمى فشكوا الى طريفة ما أصابهم ، فقالت لهم : قـــد أصابني الذي تشكون ، وهو مفرّق مـا بيننا . قالوا : فماذا تأمرين ؟ قالت : فيكم ومنكم الأمير ، وعلى التيسير . قالوا : فمـا تقولين ؟ قالت : فمن كان منكم ، ذا همّ بعيد ، وجمل شديد ، ومزادٍ جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد، فكانت ازد عمان.

ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على أن يأتي الدهر ، فعليه بالإدراك من بطن مرة ، فكانت خزاعه . ثم قالت : من كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، المطعمات في المحل ، فليلحق بيثرب ذات النخل ، فكانت الآوس والخزرج .

ثم قالت : من كان منكم يريد الخمر والخمير ، والملك والتأمير ، ويلبس الديباج والحرير ، فليلحق ببصرى وغوير ، وهما من ارض الشام . فكان الذي سكنوها جفنة من غسان .

ثم قالت : من كان منكم يريد البنات الرقاق ، والخيل العتاق ، وكنوز الأوراق ، والدم المهراق ، فليلحق بأرض العراق . فكان الذي سكنها آل جذيمة الأبرش ، ومن كان بالحيرة من غسان ، وآل محرق ، حتى جاءهم روّادهم ، فافترقوا من مكة فرقتين : فرقة توجهت الى عمان وهم أزد عمان، وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام ، فنزلت الآوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهم الأنصار بالمدينة ، ومضت غسان فنزلوا الشام ، وانخزعت خزاعة بمكة ، فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر وهو لحيّ ، فولي أمر مكة وحجابة الكعبة ، فلما حازت خزاعة أمر مكة ، وصاروا أهلها ، جاءهم بنو اسمعيل ، وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة ، فلم يدخلوا في ذلك ، فسألوهم السكنى معهم وحولهم ، فأذنوا لهم ، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث ، وقد كان أصابه من الصبابة الى مكة ما احزنه، أرسل الى خزاعة يستأذنها في الدخول اليهم والنزول معهم بمكة في جوارهم ، وبث اليهم براءته وتوزيعه قومه عن القتال، وسوء السيرة في الحرم ، واعتزاله الحرب ، فأبت خزاعة أن يقروهم، ونفتهم عن الحرم كله. وقال عمرو بن لحيّ وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر

لقومه : من وجد منكم جرهمياً قد قارب الحرم فدمه هدر . ففزعت ابل مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي من فنوناً تريد مكة ، فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة ، فمضى الى الجبال من نحو جياد حتى ظهر على ابي قبيس يتبصر الإبل في بطن وادي مكة ، فأبصر الإبل تنحر وتؤكل لا سبيل له اليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يقتل ، فولى منصرفاً لأهله ، وأنشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامرُ
ولم يتربع واسطاً فجنوبه ... الى المنحنى من ذي الإزالة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
وأبدلنا ربي بها دار غربةٍ ... بها الذئب يعوي والعدو المحاصر
فإن تنثني الدنيا علينا بحالها ... فإن لها حالاً وفيها التشاجر
فإن تمل الدنيا علينا بكلّها ... سيصلح حال بعدنا وتشاجر
ونحن ولينا البيت من بعد ثابتٍ ... نطوف بذاك البيت والخير حاضر
ملكنا فعزّزنا وأعظم بملكنا ... فليس لحيٍّ غيرنا ثم فاخر
فكنا ولاة البيت من بعد ثابتٍ ... بعزٍّ فما يخطى لدنيا المكاثر
وأنكح جدّ خير شخص علمته ... فأبناؤنا منه ونحن الأساهر
فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك بل للناس تجري المقادر
أقول إذا نام الخليّ ولم أنم ... إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلتُ منهم أوجهاً لا أحبها ... وحمير قد بدّلتها والبحاتر
وصرنا أحاديثاً وكنا بغبطةٍ ... كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحّت دموع العين تبكي لبلدة ... بها حرمٌ أمنٌ وفيها المشاعر
بوادٍ انيسٍ ليس يوذي حمامة ... تظل به آمناً وفيه العصافر

وفيه وحوش لا ترام أنيسة إذا خرجت منها فما[1] ان تقادر
فيا ليت شعري هل تعمّر بعدنا جياد فمعضني سيله فالظواهر
فبطن منىً وحشٌ كأن لم يسر به مضاض ومن حيّي عديّ عمائر

وقال عمرو ايضاً يذكر بكراً وغسان ومن خلفهم في مكة بعدهم :

يا ايها الحيّ سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
أنّا كما كنتم كنّا فغيّرنا دهرٌ فسوف كما صرنا تصيرونا
حثّوا المطيّ وأرخوا من أزمّتها قبل المات وقضّوا ما تقضّونا
قد مال دهرٌ علينا ثم أهلكنا بالبغي فيه وبذء الناس تأسونا

وقال حسان بن ثابت الانصاريّ يذكر الخزاع خزاعة بمكة ، ومسير الأوس والخزرج الى المدينة وغسان الى الشام :

فلما هبطنا بطن مرو تخزّعت خزاعة منا في حلول كراكر
حموا كل واد من تهامة واحتموا بسمر القنا والمرهفات البواتر
فكان لها المرباع في كل غادة تشنّ بنجد والفجاج العوابر
خزاعتنا اهل اجتهاد وهجرة وأنصارنا جند النبي المهاجر
وسرنا فلما ان هبطنا بيثرب بلا وهن منا ولا بتشاجر
وجدنا بها رزقاً غدا من بقية من آثار عاد بالخلال الظواهر
فحلّت بها الأنصار ثم تبوأت بيثربها داراً على خير طائر
بنو الخزرج الاخيار والاوس انهم حموها بفتيان الصباح البواكر
نفوا من طغى في الدهر عنها وديّنوا يهوداً بأطراف الرماح الخواطر

---

(١) فليست (نسخة) .

وسارت لنا سيّارة ذات قوةٍ بكوم المطايا والخيول الجماهر
يؤمّون نحو الشام حتى تمكنوا ملوكاً بأرض الشام فوق المنابر
يُصيبون فصل القول من كل خطبة اذا وصلوا ايمانهم بالمخاصر
أولاك بنوا ماء السماء توارثوا دمشقاً بملك كابراً بعد كابر

قال الخطّاب بن نفيل بن عبدالعزّى وبلغه ان ابا عمرو بن أمية يتواعده:

أتوعدني بنو عمرو ودوني رجالٌ لا ينهنها الوعيدُ
رجال من بني تيم بن عمرو الى أبياتهم يأوى الطريد
حجا حجة شياظمة كرامٌ مراجحة اذا فرع الحديد
خضارمة ملاوية ليوث خلال بيوتهم كرم وجود
ربيع المعدمين وكل جارٍ اذا نزلت بهم سنة كؤد
هم الرأس المقدّم من قريش وعند بيوتهم تلقى الوفود
فكيف اخاف او اخشى عدواً ونصرهم اذا ادعوا عتيد
فليس بعادلٍ بهم سواهم طوال الدهر ما اختلف الجديد

ومن مكارم ابن المبارك :

ما حدّثنا به محمد بن عبد الله ، عن ابي منصور القزّاز ، عن ابي بكر الخطيب ، عن ابي محمد الخلّال ، عن اسماعيل بن محمد ، عن محمد بن حسن المقري ، سمعت عبد الله بن احمد الزورقي ، سمعت محمد بن علي بن حسن بن شقيق ، سمعت ابي يقول : كان ابن المبارك رضي الله عنه اذا كان وقت الحج اجتمع اليه اخوانه من اهل مروٍ فيقولون : نصحبك يا ابا عبد الرحمن ؟ فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم ، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثم يكتري لهم ، ويخرجهم من مرو الى بغداد ، فلا يزال ينفق عليهم ،

ويطعمهم اطيب الطعام والحلو ، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي ، وأكمل مروءة ، حتى يصلوا الى مدينة رسول الله ﷺ ، فاذا صاروا الى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك ان تشتري لهم من متاع المدينة؟ فيقول: كذا وكذا ، فيشتري لهم ، ويخرجهم من المدينة الى مكة ، فاذا صاروا الى مكة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك ان تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول كذا وكذا ، فيشتري لهم ، ويخرجهم من مكة ، فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا الى مرو ، فاذا وصل الى مرو جصّص دورهم ، فاذا كان بعد ثلاثة ايام صنع لهم وليمة وكساهم ، فاذا أكلوا وشربوا دعا بصندوق ففتحه ودفع الى كل واحد منهم صرّته بعد ان كتب عليها اسمه . قال ابي : أخبرني خادمه أنه عمل آخر سفرة سافرها دعوة ، فقدم على الناس خمسة وعشرين خواناً فالوذج. قال ابي: وبلغنا انه قال للفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما أتجرت . وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة الف درهم .

ومن سماع اهل الله على قول ابن الدمينة :

أما والراقصات بذات عرقٍ ... ومن صلى بنعمان الأراكِ
لقد أضمرت حبكِ في فؤادي ... وما أضمرت حُباً من سواك

سماعهم في الراقصات التي هي الابل هم العارفين ، وذات عرق انبعاثها من اصل صحيح . ومن صلى بنعمان الأراك من طلب الوصال ليتنعّم بالرؤية . والبيت الثاني على اصله فانه متوجه .

وسماعهم في قول الصمّة وهو :

وحنّت قلوصي آخر الليل جنة ... فيا روعة ما راع قلبي حنينها

فقلتُ لها حنيّ فكل قرينةٍ مفارقها لا بدّ يوماً قرينها
وقلتُ لها حنيّ رويداً فإنني وإياك تخفي غـولة سنبينها

سماعهم في القلوص: مركب الحسن . وآخر الليل: انقضاء العمر. فيا روعة هول المطلع ، والروح والنفس قريبان يتفارقان بالموت ، تخفي غولة سنبينها يوم تشهد عليهم ألسنتهم .

ومن باب حنين الإبل وسيرها قوله :

ثورهـــا ناشطة عقالها قـــد ملأت من بدْنها حلالها
فـــلم تزلْ أشواقه تسُوقها حتى رَمتْ من الوجا رحالها
ماذا على الناقة من غرامه لو أنه أنصف أو رثا لهـــا
أراد أن يشربَ ماءَ حاجرٍ أربهـــا تطلبُ أم كلاها
إنّ لها على القلوب ذمّةً لأنها قـــد عرفت بلبالها
كانت لهـــا على الصبا تحيّة أعجلها السائق أن تنالها
كم تسأل البارق عن سويقة ولا يجيبُ عامـــداً سؤالها
خوفاً على قلوبها إن علمت إن الفوادي أدرست أطلالها
فعلّلوها بحديثِ حاجرٍ ولتصنع الفلاة مـــا بدا لها
وأمدت الفلاة دون خطوها كأنها قـــد كرهت زوالها

ومن هذا الباب مـــا انشدناه محمد بن عبد الله لأبي عبد الله البارع رحمه الله تعالى :

دع المطـــايا تسمُ الجنوبا إنّ لهـــا لنبأ عجيبا
حنينها ومـــا اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حبيبا

شامت بنجد بارقاً كذوبا	أذكرها عهـد هوىً قريبا
فغادر الشوق لهـا حبيبا	يضرم في اكبادها لهيبـا
تزرم ان ما استشرفت كثيبا	فإن بالرمل لهـا سقوبا
مـا حملت إلا فتىً كئيبا	يسرّ ممـا اعلنت نصيبا
يمسي إذا حنت لهـا مجيبا	لو غادر الشوق لهـا قلوبا
إذاً لآثرن بهـنّ النيبا	ان الغريب يسعد الغريبا

ولعلي بن افلح من هذا الباب :

دعها لك الخير وما بدا لهـا	من الحنين ناشطاً عقالهـا
ولا تعقها عن عقيق رامـةٍ	فإنهـا ذاكرة أفعالها
ولا تعلّلها بجيّ بابـلٌ	فهو أهاج بالجوى بلبالهـا
نشدتك الله إذا جئت الرّبى	فرد أضاها واستظلّ ضالها
وبارح الورق بشجو ثاكلٍ	اطغى لها ريبُ الرّدى اطفالها

وقال ابو نواس (١) في النسيب :

لولا تذكر من ذكرت بحاجرٍ	لم ابكِ فيه مواقد النيران
يا واقفين معي على الدار طلباً	غيري لها ان كنتما تقفان
منع الوقوف على المنازل طارق	أمر الدموع بمقلتي ونهـاني
أنا ليجمعنا البكاء وكلنـا	نبكي على شجن من الأشجان

حماية إلهية :

حدثنا عبد الرحمن ، ثنا ابو بكر الصوفي ، أنا ابو سعيد الحميري، أنا ابن باكوية ، سمعت محمد بن احمد النجار ، سمعت ابا بكر الكتاني يقول : كنت

---

(١) نسخة ٢ : ابو فراس .

بطريق مكة فإذا أنا بهميان تلمع منه الدنانير ، فهممتُ أن أخذه فأحمله الى فقراء مكة ، فهتف بي هاتف من ورائي إن اخذته سلبناك فقرك .

وبالإسناد الى البخاري قال : اخبرني ابو علي الروزبادي قال : سمعت بنان الجمال يقول : دخلت البرية على طريق تبوك وحدي، فاستوحشت فإذا بهاتفٍ يهتف : يا بنان نقضت العهد ، لم تستوحش ؟ أليس حبيبك معك ؟

ومن باب هوان الدنيا على اهل الله :

ما حدثنا به محمد بن الفضل ، ثنا ابو منصور ، ثنا ابو بكر بن ثابت ، ثنا عبد العزيز القرميني ، ثنا ابن جهضم ، ثنا الخالدي ، ثنا ابن مسروق ، حدثني محمد بن سهل البخاري قال : كنت أمشي في طريق مكة إذ رأيت رجلا من اهل المغرب على بغل وبين يديه منادٍ ينادي : من أصاب هميانا فله ألف دينار ، فإذا انسان أعرج عليه اطمار رثة يقول للمغربي أيش علامة الهميان ؟ فقال : كذا وكذا ، وفيه بضائع للقوم، وأنا أعطي من مالي ألف دينار . فقال الفقير : من يقرأ الكتابة ؟ فقلت : انا ، قال : اعدلوا الى ناحيةٍ ، فعدلنا ، فأخرج الهميان ، فجعلْ المغربي يقول : حبتين لفلانة بنت فلان بخمسمائة دينار ، وحبة لفلان بمائة دينار، وجعل يعدّ فإذا هو كما قال، فحلّ المغربي هميانه وقال : خذ ألف دينار التي وعدت، فقال الأعرج الفقير : لو كان قيمة الهميان عندي بعرتين مـا كنت تراه ، فكيف آخذ منك ألف دينار على ما هذا قيمته ؟ ومضى ولم يأخذ منه شيئاً .

أخبرني الوجيه الفاسي بمدينة مائد ، في سنة احدى وستمائة قال : كان ببخارى والي يظلم ويجور ، فركب في يوم شديد البرد ، فرأى في بعض

الأزقة كلباً اجرب قـــد أنكاه البرد ، فدمعت عيناه ، وأخذته عليه شفقة فقال لبعض جماعته : احمل هذا الكلب الى البيت حتى أرجع ، فلما رجع من وجهه الى البيت تولى موضعاً من داره جعله مربطاً لذلك الكلب ، وأطعمه وسقاه ودهنه وكساه جُلاً ، وأوقد حوله ناراً يستدفي بها على بعد. فلم يلبث الوالي بعد هذه الفعلة سوى ليلتين ومات رحمه الله . فرآه بعض الصالحين ممن كان يعرف ظلمه وجوره قال : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال له : يا هـذا أوقفني الحق بين يديه ، وقـال لي : كنت كلباً فوهبناك لكلب ، فغفر لي ، وضمن عني ، وأدخلني الجنة . فقلت : يصدق هــذا ما أخبر به رسول الله ﷺ عن بغي من بغـايا بني اسرائيل رأت كلبـاً على بئر يلهث عطشاً ، فنزعت موقها من رجلها ، واستقت له ، وسقته ، وانصرفت ، فشكر الله تعالى فعلها وغفر لها .

فتوة ومروءة :

حدّثنا عبد الرحمن ، عن ابي بكر الصوفي ، عن علي الحبري ، عن ابن باكويه ، عن ابي الحسن الحنظلي ، عن احمـد بن علي الاصطخري ، عن ابي عمر الدمشقي قـال : خرجنا مع ابي عبد الله بن الجلاء الى مكة ، فمكثنا اياماً لم نأكل ، فوقعنا في البرية الى اعرابية عندها شاة ، فقلنا لها : بكم هذه الشاة ؟ قالت : بخمسين درهماً ، فقلنا لها أحسني ، فقالت : بخمسة دراهم ، فقلنا لها: تهزئين ؟ فقالت: لا والله ولكن سألتموني الاحسان ، ولو أمكنني لما اخذت شيئاً . فقال ابن الجلاء : ايش معكم ؟ قلنا : ستمائة درهم . فقال : اعطوها واتركوا الشاة عليها . فما سافرنا سفراً أطيب منها .

سبحانك أللهم وبحمدك ، لا إله إلا انت ، أستغفرك ، وأتوب اليك .

استنصار دوس ذي ثعلبان قيصر ملك الروم على ذي نواس :

روينا من حديث ابن اسحاق، عن المكي،عن سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عباس ، ان زرعة ذا نواس ، لما قتل اصحاب الاخدود ، وقد ذكرنا قصته في هـذا الكتاب أفلت رجل منهم يقال له دوس ذو ثعلبان ، فذهب على فرس له يركض عليه حتى اعجزهم في الرمل ، فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم ذو نواس ، واستنصره ، فقال : بعدت بلادك ، ونأت دارك عنا ، ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة ، فانه على ديننا فينصرك . فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره . فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يُقال له ارباط ، وقال : ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها ، واخرب ثلث بلادها . فلما دخلوا ارض اليمن وهم في سبعين الفاً من الحبشة ، من جملتهم ابرهة الأشرم احد اجناد ارباط ، وكان طريقهم الى اليمن في البحر ، فلمـــا نزلوا بساحل اليمن سار اليهم ذو نواس في حمير ، ومن اطاعـــه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجّه فرسه في البحر فضربه فدخل بـــه حتى لجّج في البحر فكان آخر العهد بـه ، فدخل أرباط اليمن ، ففعل ما أمره به النجاشي من القتل والتخريب .

فقال ذو جدن فيما اصاب اهل اليمن :

دعيني لا أبالك ان تطيقي ... لحاكِ الله قد أنزفت ريقي
لدى عزف القيان اذا انتشينا ... واذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس عليّ عارٌ ... اذا لم يُشكني فيـه رفيقي
فان الموت لا ينهـــاه ناهٍ ... ولو شرب الشفاء مع النسوق

ولا مترهبٍ في اسطوانٍ ... يناطح حدره بيض الانوق
وعمدان الذي حدّثت عنه ... بنوه مسمّكاً في رأس نيق
بمنهمة وأسفله حروث ... وحرّ الموحل اللثق اللزيق
مصابيح السليط تلوح فيه ... اذا تمسى كتوماض البروق
ونخلته التي غرست اليه ... يكاد البسر يهصر بالغدوق
فأصبح بعد جنته رماداً ... وغيّر حسنه لهبُ الحريق
وأسلم ذو نواسٍ مستكيناً ... وحذر قومه ضنك المضيق

المنهمة : التجارة . والحروث : ارض الزرع . وحرّ الموحل : يعني الطين الحرّ الذي هو كالوحل من شدة ريّه .

وقال ذو جدن الحميري ايضاً :

هونك ما أن يردّ الدمعُ ما فاتا ... لا تهلكا أسفاً في إثر من ماتا
أبعد بينون لا عينٌ ولا أثرٌ ... وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

بينون ، وسلحين ، وعمدان : من حصون اليمن الذي هدم أرباط .

زاد ابن هشام في هذا الحديث ما قاله ربيعة بن عبد باليل الثقفي في ذلك :

لعمرك ما للفتى من مفرّ ... مع الموت يلحقه والكبرْ
لعمرك ما للفتى صخرةٌ ... لعمرك ما ان له من وزر
أبعد قبائل من حميرٍ ... أبيدوا صباحاً بذات العبر
بألف ألوفٍ وحرابةٍ ... كمثل السماء قبيل المطر
بضُمرٍ صباحهم المقربات ... ينفون من قاتلوا بالذفر
سعالى مثل عديد التراب ... تيبّس منهم رطاب الشجر

يعني من انفاسهم . وذات العبر: الداهية التي فيها عبر العين، أي سخنتها. وصار مُلك اليمن بين ارباط ، وأبرهة ، وكان أرباط فوق ابرهة . فأقـــام ارباط سنتين في سلطانه لا ينازعه احد، ثم نازعه ابرهة الحبشي الملك ، وكان في جند من الحبشة ، فانحاز الى كل واحد من الحبشة طائفة ، ثم سار احدهما على الآخر ، وكان لأرباط صنعاء وأحوازها ، وكان لأبرهة الجند وأحوازها ، فلما تقارب الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، ارسل ابرهة الى ارباط : إنك لا تصنع شيئاً بأن تلقي الحبشة بعضهم ببعض فتفني ما بيننا فيضعف امرها ، فابرز اليّ بنفسك ، وأبرز اليك ، فمن ظهر على صاحبه منا كان الامر له . فقال ارباط : أنصفت . وكان ارباط طويلاً في الرجال وسيماً عظيم الخلق . وكان ابرهة قصيراً دحداحة ، وكان ذا دينٍ في النصرانية ، وعقل وحلم . فجعل ابرهة خلفه عبداً له يحمي ظهره يقال له عتودة ، فلما دنا كل واحد من صاحبه رفع ارباط الحربة يريد نافوخ ابرهة فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفتيه ، فبذلك سمي ابرهة الاشرم ، وحمـل غلام ابرهة عتودة على ارباط من خلف ابرهة فزرقه بالحربة فقتله . فانصرف جند ارباط الى ابرهة واجتمعت عليه الحبشة باليمن .

وكان ما وقع من هذا الامر كله بين ابرهة وأرباط عن غير علـم ولا أمر من النجاشي ملك الحبشة ، وكان مسكنه باكسوم من بلاد الحبشة ، فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً وقـــال : عدا على اميري بغير امري فقتله ، وما كنت أمّرته ، ثم حلف النجاشي لا يـــدع ابرهة حتى يطأ ارضه ، ويجزّ ناصيته . فلمـــا بلغ ذلك ابرهة حلق رأسه ، ثم ملأ جراباً من تراب ارض اليمن ، ثم بعث به الى النجاشي ، وكتب اليه : أيهـــا الملك انما كان ارباط عبدك ، وأنا عبدك ، اختلفنا في امرك وكلنا طاعة لك ، إلا أني كنت أقوى

على امر الحبشة منه ، وأضبط وأسوس لهم منه ، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك ، وبعثت بـه اليه مع جراب من تراب ارضي ليضعه تحت قدميه ، فيبرّ بذلك قسمه . فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه، وكتب اليه : ان اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك امري . فأقام ابرهة باليمن الى ان هلك . وقد ذكرت قصة هلاكه في حديث الفيل .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا، عن القاسم بن هاشم، عن علي بن عباس، عن اسماعيل بن عيّاش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد أن بني اسرائيل لم يكن فيهم ملك إلا ومعه رجل حكيم ، فاذا رآه غضبان كتب له صحائف ، في كل صحيفة ارحم المسكين، واخش الموت، واذكر الآخرة . فكلما اخذ الملك صحيفة قطعها حتى يسكن غضبه .

وحدّثنا عبد الصمد بن علي قال : كان ببلاد فارس في زمان الأكاسرة ينادي كل يوم مناد على باب قصر الملك : لا يكون ملكٌ إلا بالرجال ، ولا يثبت الرجال إلا بالمال ، ولا يحصل المـال إلا بالعمارة ، ولا تصحّ العمارة إلا بالعدل .

وحدّثنا بعض الهنود ان الملك فيهم اذا خرج ركب على الفيل وبين يديه راكب مشرف على الناس ينادي بلسانهم وفي يده طشت من ذهب فيه جمجمة انسان ، وفي يده اليمنى قضيب فيقول : يا أيهـا الناس ، وقال : ينظر الى الملك ويقول : يا أيهـا الملك : انت ملك الناس قد ركبتَ على ملك السباع والى هـذا مصيرك ، ويشير بالقضيب الى الجمجمة ، والملك يبكي وينظر في أمور الناس الى ان يرجع .

ووقفت في كتاب سر الاسرار لأرسطو على دائرة اصطنعها للاسكندر

يوصيه فيها : تتضمن العالم بستان سياجه الدولة. الدولة سلطان يحجبه السنّة. السّنة سياسة يسوسها الملك . الملك راع يعضّده الجيش . الجيش أعوان يكفلهم المال . المال رزق تجمعه الرعيّة . الرعية عبيد يعبدهم العدل . العدل مألوف فيه صلاح العالم . تصل الكلام بأوله .

وقـــال عيسى بن مريم عليهما السلام : معاشر الفقهاء قعدتم على طريق الآخرة ، فـلا انتم مشيتم فوصلتم اليها ، ولا انتم تركتم احداً يجوزكم اليها ، فالويل لمن اغتربكم .

روينا من حديث ابن مروان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن الرياشي ، عن الاصمعي قال : كان بلال بن سعد يصلي الليل أجمع ، فكان اذا غلبه النوم في الشتاء، وكان في داره بركة فيجيء فيطرح عنه ثيابه وينغمس في الماء ليذهب عنه النوم ، فعوتب في ذلك فقال : ماء البركة في الدنيا خيرٌ من صديد اهل جهنم .

وكان عندنا بأشبيلية رجل عابـــد ، حسن الصوت ، كثير الاجتهاد ، سريع الدمعة ، دائم العبرة ، كثير الفكرة والتهجّد ، بتُّ معه ليالي عدّة فلم يكن يفتر ، فربمـــا أسمعه في بعض الاحايين ينشد بصوت طيّب غرد ، ودموعه تنحدر على خديه :

قطع الليل رجــال ورجــال وصلوه
رقدوا فيــه أناسٌ وأناسٌ سهروه
لا يميلون الى النو مِ ولا يستعذبوه
فكأن النوم شيءٌ لم يكونوا يعرفوه
لبسوا ثوباً من الخد مــة حتى خلعوه
مع جلبابٍ من الحز ن فمــا أن نزعوه

ورويناه من حديث الدينوري ، عن سعيد بن عمر الازدي ، عن أبيه ، عن يونس بن حازم قال : قال العتابي : مررت بدير فصحتُ يا راهب فلم يجبني أحد حتى قلتُ : يا صاحب الدير ، فإذا به قد أشرف عليّ فقلتُ له : ما منعك أن تجيبني ؟ قال : لأنك سميتني بغير اسمي فقلتُ : وما اسمك ؟ قال : الكلب العقور، وإنما حبستُ نفسي في هذا الموضع لكي لا أعقر الناس.

وقال العتابيّ ايضاً : مررت بدير فإذا راهبٌ ينادي فرفعتُ رأسي اليه فقال لي: ويحك هب ان المسيء قد عفي عنه، أليس قد فاته ثوابُ الصالحين؟

وقال ابو سليمان الداراني : لقيتُ راهباً فقلتُ له : يا راهب كيف ترى الدهر ؟ فقال : يخلق الأبدان ، ويجدد الآمال ، ويباعد الامنية ، ويقرّب المنية . فقلت له : فكيف ترى أهله ؟ فقال : من ظفر بها نصب، ومن فاتته تعب . قال : فما الغنى عنه ؟ قال قطع الرجاء منه . قال : فقلت له : فأي الاصحاب أبرّ وأوفى ؟ قال : العمل الصالح والتقى . قلت : فأين المخرج ؟ قال : في سلوك المنهج قلت : وما هو ؟ قال : بذل المجهود وخلع الراحة . قلت : فأوصني ، قال : قد فعلت .

رويناه من حديث المالكي، عن احمد بن عبّاد ، عن احمد بن ابي الحواري عن ابي سليمان، ورويناه من حديث العتابي قبله من حديثه أيضاً ، عن علي بن الحسين عنه .

واقعة لبعض الفقراء :

حدثنا عبد الله بن الاستاذ بمرشانة بدار شمس العابدات ام الفقراء ، رأى بعض الفقراء في واقعته ابا مدين ، وبعض مشايخ الصوفية ، فقال بعضهم لأبي

مدين : ما معنى الوصول ؟ فقال : اذا دلك به عليه كنتَ منه وإليه ، وإذا أفناك عن الإحساس كنت في حضرة الإيناس ، وإذا كاشفك بحبه لم تتلذذ إلا بقربه . وإذا غيّبك عن شهودك تجلّى لك من وجودك .

قلت : وأفدت ليلة في واقعة ، وذلك اني بتّ في جماعة من الصالحين ، منهم ابو العباس الحريري الامام بزقاق القناديل بمصر ، وأخوه محمد الخياط ، وعبد الله المروزي ، ومحمد الهاشمي اليشكري ، ومحمد بن ابي الفضل، فأريت نفسي والجماعة في بيتٍ شديد الظلمة ، وليس لنا فيه نور سوى ما ينبعث من ذواتنا ، فكانت الأنوار تنفهق علينا من أجسامنا فنضيء بها ، فدخل علينا شخص من أحسن الناس وجهاً ومنطقاً فقال : أنا رسول الحق إليكم ، فكنت أقول له : فما جئت به في رسالتك ؟ فقال : اعلموا أن الخير في الوجود ، والشر في العدم ، أوجد الانسان بجوده ، وجعله واجداً ينافي وجوده، تخلق بأسمائه وصفاته ، وفني عنها بمشاهدة ذاته ، فرأى نفسه بنفسه ، وعاد العدد الى أسه ، فكان هو ولا انت .

فأخبرت الجماعة بالواقعة ، فسروا وشكروا الله .

ثم وضعت رأسي في عبي فنظمت في نفسي أبياتاً في المعرفة، ونام أصحابي فاستيقظ عبد الله وناداني : يا أبا عبد الله . فلم أجبه كأني نائم . فقال لي : مـــا انت بنائم ، انت تعمل شعراً في معرفة الله وتوحيده . فرفعت رأسي وقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال لي: رأيتك تعقد شبكة رفيعة ، فأوّلتُ الخيوط المنثورة تعقدها شبكة معاني متفرقة تجمعها ، وكلاماً منثوراً تنظمه. فقلت : هذا يعمل شعراً . قلت له : صدقت ، فمن أين عرفت انه معرفة الله وتوحيده؟ قال : قلت الشبكة لا يُصاد فيها إلا ذو روح حيّ عزيز المأخذ ،

فلم أجد شعراً فيه روح وحياة وعزة إلا فيما يتعلق بالله تعالى . فكان تأويل رؤياه أعجب الينا من الرؤيا رضي الله عنهم اجمعين .

حكاية من لم يقيّد جوارحه أتعب قلبه :

حدثنا ابو محمد بن يحيى ، ثنا المبارك بن علي بن محمد ، عن عبد الملك بن بشران ، عن احمد بن ابراهيم الكندي ، عن جعفر الخرائطي ، عن ابي العباس المبرّد ، عن هشام ، عن معمر بن المثنى ، قال : حجّ عبد الملك بن مروان ، وحج معه خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم ، وكان عظيم القدر ، جليل المنزلة ، مهيب المجلس ، موقراً معظّماً عند عبدالملك ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ بَصُر برملة بنت الزبير بن العوام ، فعشقها عشقاً شديداً ، وأخذت بجميع قلبه ، وتغير عليه الحال ، ولم يملك من أمره شيئاً . فلما أراد عبد الملك القفول ، همّ خالد بالتخلف عنه ، فبعث اليه فسأله عن أمره ، فقال : يا امير المؤمنين ، رملة بنت الزبير ، رأيتها تطوف بالبيت ، فأذهلت عقلي ، فوالله ما أبديت لك ما بي حتى عيل صبري ، ولقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله ، والسلو على قلبي فامتنع منه . فأطال عبد الملك التعجب من ذلك وقال : ما كنت أقول ان الهوى يستأثر مثلك . فقال خالد : واني لأشدّ تعجباً من تعجبك مني ، فقد كنت أقول إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس : الأعراب ، والشعراء . أما الشعراء فانهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء والغزل ، فمال طبعهم الى النساء ، فضعُفت قلوبهم عن دفع الهوى ، فاستسلموا له منقادين . وأما الأعراب ، فان أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حبه لها . وجملة أمري ، ما رأيت نظرة حالت بيني وبين الحرم ، وحسُن عندي ركوب الإثم مثل نظرتي هذه. فتبسّم عبد الملك وقال : أوَكل هذا بلغ بك ؟ فقال : والله ما عرفت هذه

البليّة قبل وقتي هذا. فوجّه عبد الملك الى آل الزبير يخطب رملة على خالد، فذكروا ذلك، فقالت : لا والله او يطلّق نساءه . فطلّق امرأتين كانتا عنده، وتزوّجها وظعن بها الى الشام . وفيها يقول :

أليس يزيد الشوق في كل ليلة — وفي كل يوم من حبيبتنا قربا
خليليّ ما من ساعة تذكرانها — من الدهر إلا فرجت عني الكربا
احبّ بني العوّام طرّاً لحبّها — ومن أجلها أحببتُ أخوالها كلبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى — لرملة خلخالاً يجول ولا قُلبا[1]

ومما وجد بخطّ الامام العلّامة القاضي بدر الدين بن شهبة، رحمه الله، تتمة هذه الحكاية . فلما وقف عبد الملك على الأبيات نظم بيتاً ودسّه ليكيد به خالداً، لأن كان يروم الخلافة كأبيه يزيد، وجدّه معاوية، فقال عبد الملك : يا خالد، أأنت القائل ؟

فإن تسلمي أسلم وإن تتنصّري — تحطّ رجال بين أعينهم صُلبا

فقال خالد : لعن الله قائل هذا البيت، ولم يعلم خالد قائله . فخجل عبد الملك ولام نفسه .

كنت يوماً أطوف وقد عراني حال أعرفه، فخرجت عن البلاط من أجل الناس، وطفتُ على الرمل فحضرتني أبيات فأنشدتها أُسمع نفسي بها ومَن يليني لو كان هناك أحد وأنا أقول وأبكي :

---

(١) بضم القاف : السوار .

ليت شعري هل دَرَوْا   أيَّ قلب ملكوا ؟
وفؤادي لو درَى   أيّ شعبٍ سلكوا
أتراهم سَلموا   أم تراهم هلكوا ؟
حار أرباب الهوى   في الهوى وارتبكوا

فلم أشعر إلا وضربة بين كتفيّ من كفّ ألين من الخزّ ، فرددت وجهي فرأيت جـــارية من بنات الروم لم أرَ أحسن وجهاً ، ولا أعـذب منطقاً ، ولا أرقّ حاشية ، ولا ألطف معنى ، ولا أظرف محاورة منها . قـد فاقت النساء ظرفاً ، وأدباً ، وجمالاً ، ومعرفة . فقالت : يا سيدي، كيف قلت ؟ فقلت :

ليت شعري هل دَرَوْا   أيّ قلب ملكوا ؟

فقالت : عجباً منك وانت عارف زمانك تقول مثل هذا ؟ أليس كل مملوك معروف ؟ وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة؟ وتمني الشعور يؤذن بعدم المعرفة، والطريق لسان صدق، فكيف يتجوّز مثلك ؟ قل: فماذا قلت بعده ؟ قلت:

وفؤادي لو درى   أي شعبٍ سلكوا

فقالت : الشعب الذي بين الشغاف والفؤاد ، وهو المانع له من المعرفة به، فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول الى معرفته ؟ والطريق لسان صدق، فكيف يتجوز مثلك يا سيدي ؟ قل : فماذا قلت بعده ؟ قلت :

أتراهم سلموا   أم تراهم هلكوا

فقالت : أما هم فسلموا ، ولكن عنك ينبغي ان تسأل نفسك ، هل هلكت أم سلمت ؟ يا سيدي قل : فماذا فعلت بعده ؟ قلت :

حار ارباب الهوى   في الهوى وارتبكوا

فصاحت وقالت : يا عجباً كيف يبقى المشغوف فضلة يحار بها ؟ والهوى شأنه التعميم يخدّر الحواس ، ويذهب بالعقول ، ويدهش الخواطر ، ويذهب بصاحبه في الذاهبين ، فأين الحيرة هنا ؟ ومن هنا باق فيحار؟ والطريق لسان صدق ، والتجوّز على مثلك لا يليق. قلت : يا بنت الخالة ما اسمك ؟ قالت: قرة العين قلت لها : لي . ومن شعري فيها ما قلته :

ما رحلوا يوم بانوا البُزّل العيسا   إلا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكةٍ   تخالها فوق عرش الدّرّ بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى   شمساً على فلكٍ في حجر ادريسا
تحيي اذا قتلت باللحظ منطقها   كأنها عندما تحيي بها عيسا
توراتها لوح ساقيها سنىً وأنا   أتلو وأدرسها كأنني موسى
أسقفّة من بنات الروم راهبة   ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية ما لها انسٌ قد اتخذت   في بيت ناموسها للذكر ناووسا
قد أعجزت كل علّامٍ بملّتنا   وداودياً وحبراً ثم قسيسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبها   أقسّة او بطاريقاً شماميسا
ناديت اذ رحلت للبين ناقتها   يا حادي العيس لا تحدو بها العيسا
عيّيت أجياد صبري يوم بينهم   على الطريق كراديساً كراديسا
سألت اذ بلغت نفسي تراقيها   ذاك الجمال وذاك اللطف تنفيسا
فأسلمت ووقانا الله شرّتها   وزحزح الملك المنصور ابليسا

وكان لنا اهل تقرّ العين بها ففرّق الدهر بيني وبينها فتذكرتها ومنزلها بالحلة من بغداد فقلت :

خليليّ عوجا بالكثيب وعرّجا ... على لعلعٍ واطلب مياه يلملمِ
فان بها من قد علمت ومن لهم ... صيامي وحجّي واعتماري وموسمي
فلا أنس يوماً بالمحصّب من منىً ... وبالمنحر الاعلى اموراً وزمزم
محصّبهم قلبي لرمي جمارهم ... ومنحرهم نفسي ومشربهم دمي
فيا حادي الاجمال ان جئت حاجراً ... فقف بالمطايا ساعة ثم سلّم
ونادِ القباب الحمر من جانب الحمى ... تحيّة مشتاق اليكم مُتيّم
فان سلموا فاعدِ السلام مع الصبا ... وان سكتوا فارحل بها وتقدّم
الى نهر عيسى حيث حلّت ركابهم ... وحيث الخيام البيض من جانب الفم
ونادِ بدعدٍ والرباب وزينبٍ ... وهند وسلمى ثم لبنى وزمزم
وسلهنّ هل بالحلة الغادة التي ... تريك سنا البيضاء عند التبسّم

ولنا من باب النسب ، والاشارة للمقام الاعلى ، والمنظر الاجلى :

سلامي على سلمى ومن حلّ بالحمى ... وحق لمثلي رقة ان يُسلما
وماذا عليها لو تردّ تحيّة ... علينا ولكن لا احتكام الى الدما
سروا وظلام الليل ارخى سدوله ... فقلت لها صبّاً غريباً متيّما
أحاطت به الاشواق سوراً وأرشدت ... له راشقات النبل أيّان يمّما
فأبدت ثناياها وأومض بارق ... فلم أدري من شق الحنادس منهما
وقالت : أما يكفيه اني بقلبه ... يشاهدني سراً وجهراً أما أما ؟

خبر الحية الطائفة بالبيت :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن سعيد بن سالم ، عن سالم ، عن عثمان بن ساج ، عن بشر بن تميم ، عن ابي الطفيل قال : كانت امرأة من الجن في الجاهلية تسكن ذا طوىً ، وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره ،

وكانت تحبه حباً شديداً ، وكان شريفاً في قومه، فتزوج وأتى زوجته ، فلما كان يوم سابعه قال لأمه : يا أمَّه اني احب ان اطوف بالكعبة سبعاً نهاراً ، قالت له امـــه : أي بنيّ إني أخاف عليك سفهاء قريش ، فقال : ارجو السلامة ، فأذنت له ، فولى في صورة جان، فلما أدبر جعلت تعوّذه وتقول:

أعيذه بالكعبة المستورة ودعوات ابن ابي محذورة
وما تلى محمد من سورة إني الى حياتـــه فقيرة
وإنـــي بعيشه مسرورة

فمضى الجان نحو الطواف فطاف بالبيت سبعاً ، وصلى خلف المقام ركعتين ثم أقبل منقلباً حتى إذا كان ببعض دور بني سهم عرض له شاب من بني سهم أحمر أكشف أزرق أحول أعسر فقتله ، فثارت بمكة غبرة حتى لم تبصر لها الجبال . قال ابو الطفيل : وبلغنا أنـــه إنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن ، قال : فأصبح من بني سهم على فرشهم موتى كثير من قبل الجن ، فكان فيهم سبعون شيخاً أصلع سوى الشباب ، قـــال : فنهضت بنو سهم وخلفاؤها ومواليها وعبيدها ، فركبوا الجبال والشعاب بالثنية ، فمـا تركوا حية ، ولا عقرباً ، ولا خنفساء ، ولا شيئاً من الهوام يدب على وجه الارض إلا قتلوه ، فأقاموا بذلك ثلاثاً ، فسمعوا في الليلة الثالثة على ابي قبيس هاتفاً يهتف بصوتٍ له جهوري يسمع بين الجبلين : يا معشر قريش الله الله فإن لكم احلاماً وعقولاً ، أعذرونا من بني سهم فقد قتلوا منا أضعاف مـــا قتلنا منهم ، أدخـلوا بيننا وبينهم بصلح نعطيهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء ابـداً ففعلت ذلك قريش واستوثقوا لبعضهم من بعض فسميت بنو سهم العياطلة قتلة الجن .

ما جاء من الحكم في مثل هذه الواقعة :

حدثنا الضرير ابراهيم بن سليمان الصوفي الخابوري مـن دير الرمان بحلب قال : كنت بـذي نصر فخرج رجل يحتطب لعياله ، ففقد اياماً حتى حزن عليه أهله ، فدخل عليهم بعد ذلـك ضعيفاً ، متغير اللون ، كاسف البال ، أثر الرعب والجزع عليه ظاهر ، قال : فسألناه عن شأنه ، قـال : بينا أنا أحتطب إذ عرضت لي حية فقتلتها ، فغشي عليّ ، وغبتُ عن نفسي ، فـما أفقت إلا وأنا بأرض لا اعرفها ، بـين قومٍ لا اعرفهم ، فأخذني جماعة منهم فجاؤا بي الى شيخ فيهم كبير هو زعيمهم ، فمثلوني بين يديه فقال: ما شأنكم؟ فقالوا : هذا قتل ابن عمنا ، وأشاروا اليّ ، فقد لنا منه ، فقال الشيخ : ما تقول ؟ فقلت : لا اعرف ما يقولون ، إنما أنا رجل كنت احتطب فعرضت لي حية فقتلتها ، فقالوا : ذلك ابن عمنا، فقال ذلك الزعيم : امسكوه عندكم واستوصوا بـــه خيراً حتى أرى في امركم وأمره ، فأخذوني اليهم ، وجاؤا بأطعمة لا أعرف منها سوى اللبن ، فكنت أشربه لا أعدل الى غيره مـدة هـــذه الايام التي غبت فيها عنكم ، فبينا انا على ذلك إذ جاؤني فأخذوني وحضروا بي عند ذلك الشيخ ، فذكروا مثل مقالتهم الاولى من الدعوى ، فسألني الشيخ ، فذكرت له الأمر على ما جرى ، فقال الشيخ للقوم : ما لكم عليه حق ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تصوّر في غير صورته ، فقتل ، فـلا عقل فيه ، ولا قود ، وصاحبكم تصور في صورة حية . فخلوا سبيلي ، فقلت : يا شيخ وهل رأيت رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم كنت في وفد جن نصيبين حين قدم رسول الله ﷺ ، وما عاش لليوم من ذلك اليوم غيري ، فهؤلاء الجن قومنا ، يتحاكمون الينا في امورهم ، فأحـكم بينهم . ثم قـــال لهم : ردّوه الى حيث اخذتموه ، فما شعرت إلا وأنا في موضعي ،

فأخذت عدتي ، وجئت . فهذا ما كان من خبري في غيبتي .

خبر حية اخرى طائفة بالبيت :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن داود بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن عبيد ، عن عمير ، عن طلق بن حبيب قال : كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو بن العاص في الحجر إذ قلص الظل ، وقامت المجالس ، إذا بأيم طالع من هذا الباب ، يعني باب بني شيبة ، فأشرفت له عيون الناس ، فطاف بالبيت سبعاً ، وصلى ركعتين وراء المقام ، فقمنا اليه ، فقلنا له : ألا أيها المعتمر قد قضى الله نسكك ، وإن بأرضنا عبيداً وسفهاء وأنا نخشى عليك منهم ، فكوّم برأسه كومة بطحاء ، فوضع ذنبه عليها ، فسما في السماء حتى مثل علينا فما نراه . قال ابو محمد الخزاعي الأيّم الحية الذكر .

« وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن » كانوا أهل نصيبين ، وكانوا سبعة : حسا ، ومسا ، وشاصرا ، وناصرا ، وابنا الارب ، وأبنين ، والاخصم . هذا من حديث محمد بن اسحاق . وأما حديث اسحاق بن عبد الله ، عن ابي جعفر ، فذكر منهم الاذريان ، والاحقب .

خبر الحيّة الشهيدة العابدة :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن سليمان بن احمد ، ثنا مطّلب بن شعيب ، عن عبدالله بن صالح ، عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون ، عن معاذ ابن عبد الله بن معمر ، قال : كنت جالساً عند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجاء رجل فقال : يا امير المؤمنين ، بينا انا بفلاة كذا وكذا ، اذا

اعصاران قد أقبلت احداهما من مكان ، والاخرى من مكان آخر ، فالتقتا واعتركتا ثم افترقتا ، واحداهما أقل منها حين جاءت ، فذهبت حتى جئت معتركيهما ، فاذا من الحيات شيء ما رأيت مثله قطّ غيره ، فاذا ريح مسك من بعضها ، فجعلت أقلب الحيات أنظر من أيّها هـذه الرائحة ، فاذا ذلك من حية صفراء دقيقة . قال ابو محمد بن حيان في حديثه : تلتئي ببطن ابيض ينفح منها ريح المسك . فقلت لأصحابي : امضوا فلست ببارح حتى أنظر الى ما يصير أمر هذه الحية . قـال : فما لبثت أن ماتت ، فعمدت الى خرقة بيضاء فلففتها فيها . وفي حديث ابن معمر : في عمامتي . قـال ابن حيان : ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها ، وأدركت اصحابي في المتعشى . قال : فوالله إنا لقعود إذ أقبل اربع نسوة من قِبل المغرب ، فقـالت واحدة منهن : أيكم دفن عمراً ؟ قلنا : ومَن عمروٌ ؟ قالت : أيكم دفن الحية ؟ قال : قلت انا. فقالت: أما والله لقد دفنتَ صوّاماً قوّاماً يأمر بما أنزل الله عزّ وجلّ، ولقد آمن بنبيكم ﷺ ، وسمع صفته في السماء قبل ان يُبعث بأربعمائة سنة .

وفي حديث ابن معمر بعد ان ذكر دفنها ، فبينا انا أمشي إذ ناداني مناد ولا أراه ، فقال : يا عبد الله، ما هذا الذي صنعت ؟ فأخبرته بالذي رأيت، فقال : انك قد هديت ، هذان حيّان من الجن : بني شيبان ، وبني أقيش ، التقوا ، فكان من القتلى ما رأيت ، فاستشهد الذي أخذته ، فكان من الذين استمعوا الوحي من رسول الله ﷺ .

وفي حديث ابن حيان ، قال الرجل : فلما قضينا حجّنا مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة ، فأنبأته بأمر الحية، فقال : صدقت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لقد آمن بي قبل ان أُبعث بأربعمائة سنة .

اني رأيت أحد عشر كوكباً :

وهي : حرنان ، والطارق ، والدّيّال ، والكتفان ، ويقال ذو الكتفين ، ووناب ، وعمودان ، والفلق ، والصروح ، والضياء ، والنور ، وقابس ، والمضبح ، وذو الفرع ، يعني بالضياء ، والنور ، والشمس ، والقمر .

مفارقة حبيب :

روينا من حديث ابي بكر بن ابي الدنيا ، عن محمد بن سلام قال : احتضر سيبويه النحوي ، فوضع رأسه في حجر اخيه ، فقطرت قطرة من دموع أخيه على خده ، فأفاق من غشيته فقال :

أخيّين كنا فرّق الدهر بيننا   الى أمد الاقصى ومن يأمن الدهرا

خبر شق وسطيح مع ملك اليمن :

قال ابن اسحاق : كان ربيعة بن نصر ملك اليمن فرأى رؤياً هالته وفظع بهـا ، فلم يدع كاهناً ، ولا ساحراً ، ولا عائفاً ، ولا منجماً ، إلا جمعه اليه فقال لهم : اني رأيت رؤياً هالتني وفظعت بها ، فأخبروني بهـا وبتعبيرها ، قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ، فقال : اني ان اخبرتكم بهـا لم أطمئن الى خبركم عن تأويلها ، لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفهـا قبل ان اخبره بها ، فقـال له رجل : ان اردت علم ذلك فابعث الى شق وسطيح ، فبعث اليهما ، فقدم عليه سطيح وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان ، فقال له الملك : إني رأيت رؤيا فأخبرني بها وبتأويلها ، قـال : افعل ، رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً ،

فما عندك من تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرّتين من حنش ، لتزلن ارضكم الحبش ، فلتملكنّ ما بين أبين وجرش . فقال الملك : يا سطيح ان هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ أفي زماني ام بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، اكثر من ستين او سبعين يمضين من السنين ، قال : أفيدوم ذلك في ملكهم ام ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين تمضين من السنين ، ثم يقتلون ، ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم ؟ قال: يليه ارم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن فلا يترك احداً منهم باليمن . قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع. قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبيّ زكي يأتيه الوحي من قِبل العلي . قال : وممن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه الى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرني ؟ قال : نعم ، والشفق ، والغسق ، والفلق اذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه بعد ذلك شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر ابن عبقر بن انمار بن نزار ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان ؟ قال شق : نعم، رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت كل ذات نسمة . قال الملك : ما أخطأت يا شق شيئاً يريد المعنى ، فما عندك في تأويلها ؟ قال شق : أحلف ما بين الحرتين من انسان لينزلنّ أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة [1] البنان ،

---

(١) أي ناعمتها .

وليملكنّ ما بين أبين الى نجران . فقال الملك : ان هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ في زماني أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعدك بزمان، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشد الهوان . قال : ومن العظيم الشان ؟ قال: غلام ليس بدنيّ ولا مدن ، أراد مدني بوزن مفعل فحذف اليـــاء للسجع ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن . قـــال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرسَل يأتي بالحق والعـــدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه الى يوم الفصل . قال : ومـــا يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولات ، يدعى فيـــه من السماء بدعوات ، تسمع منها الأحيـــاء والأموات، ويجمع فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات. قال : أحق ما تقول ؟ قال : اي ورب السماء والارض ، وما بينهما من رفع وخفض ، ان ما أنبأتك لحقّ ما فيه أمض .

فوقع في نفس الملك ما قالا ، فجهز بيته وأهله الى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقـــال له سابور بن خزراد ، فأسكنهم الحيرة ، واليهم ينتمي النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر . هذا الملك صاحب الرؤيا .

رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وما قال في ذلك سطيح والكهّان :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن محمد بن جعفر ، عن عبد الرحمن بن الحسن ، عن علي بن حرب ، عن ابي أيوب يعلى بن عمران البجلي ، عن مخزوم بن هانىء المخزومي ، عن أبيه ، واتت له خمسون ومائة سنة ، قـــال : لما كان ليلة وُلد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى ، وسقطت منه اربعـــة عشر شرافة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك

بألف عـام ، وغاضت بحيرة ساوى ، ورأى الموبذان إبلا صعاباً تقود خيلا عراباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها .

فلما أصبح كسرى أفزعه مـا رأى ، فتصبّر عليه تشجّعاً ، ثم رأى ان لا يكتم ذلك عن وزرائه ، ومرازبته ، فلبس تاجه ، وقعـــد على سريره ، وأرسل الى الموبذان ، فقال : يا موبذان ، انه سقط من إيواني اربعـة عشر شرافة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام . فقـال : وأنا ايها الملك قد رأيت إبلا صعاباً تقود خيلاً عراباً حتى عبرت دجلة، وانتشرت في بلاد فارس . قال : فما ترى في ذلك يا موبذان ؟ قال : وكان رأسهم في العلم ، فقال : حدث يكون من قِبل العرب . فكتب حينئذ كسرى :

من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر، إبعث إليّ رجلا من العرب يخبرني بما أسأله عنه . فبعث اليه عبد المسيح بن حيان بن نفيلة ، فقـال : يا عبد المسيح ، هل عندك علم بما اريد ان أسألك عنه ؟ قال : يسألني الملك ، فإن كان عندي منه علم أعلمته او لا أعلمته بمن علمه عنده . فأخبره به الملك، فقال : علمه عنـــد خالٍ لي يسكن مشارق الشام يُقال له سطيح . قال : فاذهب اليه واسأله ، واخبرني بما يخبرك به . فخرج عبد المسيح حتى قدم على سطيح وهو مشرف على الموت ، فسلم عليه وحيّاه بتحية الملك ، فلم يجبـه سطيح ، فأقبل يقول :

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن ... أم فارق ازليم به شاو العنن
يا فاصل الخطـّة أعيت مَن ومن ... وكاشف الكربة في الوجه الغضن
أتاك شيخ الحي من آل سنن ... وأمه من آل ذئب بن حجن
تحمله وجناء تهوى من وجن ... حتى أتى غار الجآجي والفطن
أصكّ مهما الناب صرار الاذن

فرفع سطيح رأسه اليه ، فقال : عبد المسيح يهوي الى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان : رأى ابلا صعاباً تقود خيلا عراباً قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلاد فارس، يا عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة ، وغارت بحيرة ساوة ، وخرج صاحب الهراوة ، وفاض وادي سماوة ، فليس الشام لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرافات ، وكل ما هو آت آت ، ثم مات.

فقام عبد المسيح وهو يقول :

شمّر فإنك ماضي الهمّ شمير | لا يُفزعنك تشديدٌ وتغزيرُ
فربما ربمـا أضحوا بمنزلةٍ | يهاب صولهم الاسد المهاصير
منهم اخو الصرح بهرام واخوته | والهرمزان وسابور وشابور
والناس اولاد علّات فمن علموا | ان قد أقلّ فمهجور ومحقور
وهم بنو آدمٍ لما رأوا نسباً | فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشرّ مجموعان في قرن | فالخير متّبع والشر محذور

قال : فرجع عبد المسيح الى كسرى ، فأخبره ، فقال : الى ان يملك منا اربعة عشر تكون امور وأمور . قال : فملك منهم عشرة في اربع سنين ، وملك الباقون بعد اولاد علاتهم ، الاولاد لأب واحد ، وأمهم شتى . أسد هصور ، وهصير ، وهصار : وهو الذي يكسر أزلام القوم ازليماً ، أي ولّوا سراعاً . وشاو : اسبق . والعنن : مصدر عنّ يعنّ عنّاً ، أي اعترض ، ويكون أزلم مقصوراً من إزلام ، والجآجىء : جمع جؤجؤ ، وهو صدر الطير والسفينة. والموبذان : قاضي المجوس ، ويجمع موابذة . والشرفة: جمعها شرف ، والشرفة في غير هذا الموضع خيار المال . ورجست السماء ، وارتجست : اذا رعدت وتمخّضت .

خبر ظريف في الحنين الى الوطن

قال ابن الرومي في ذلك :

وحبّب اوطان الرجـال اليهم مأرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا الاوطان ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

روينا من حديث ابي الوليد ، عن محمد بن ابي عمر ، عن القاضي محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي ، عن القاضي الأوقص محمـد بن عبد الرحمن بن هشام ، قال : خرجت غازياً في خلافة ابن مروان ، فقفلنا من بلاد الروم ، فأصابنا مطر ، فآوينا الى قصر فاستكنا به من المطر ، فلما أمسينا خرجت جارية مولدة من القصر ، فتذكرت مكة وبكت عليها ، وأنشأت تقول :

من كان ذا شجن بالشام يحسبه فان في غيره أمسى الى الشجنُ
فان ذا القصر حقاً ما به وطنٌ لكن بمكة أمسى الاهل والوطن
من ذا يسائل عنا أين منزلنا فالاقحوانة منّا منزل قمن
اذ يلبث العيش صفواً ما يكدّره طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن

قال : فلما أصبحنا لقيت صاحب القصر فقلت له: رأيت جارية مولّدة، خرجت من قصرك ، فسمعتها تنشد كذا وكذا ، فقال : هذه جارية مولدة مكيّة اشتريتها ، وخرجت بها الى الشام ، فوالله ما ترى عيشنا ولا ما نحن فيه شيئاً ، فقلت : أتبيعها ؟ فقال : اذا فارقتُ روحي .

قولها : فالاقحوانة منّا منزل قمن : الاقحوانة منزل عند الليط بمكة ، كان مجلساً يجلس فيه من يخرج من مكة ، يتحدثون فيه بالعشيّ ، ويلبسون

الثياب المحمّرة ، والمورّدة ، والمطيّبة ، فكان مجلسهم من حسن ثيابهم يقال له : الإقحوانة .

وقالت بعض بنات الاعراب : روتني صاحبة القصر الذي على شاطىء دجلة قبالة سامرّاء يقال له عاشق ومعشوق ، وكان قد عشقها بعض الخلفاء فتزوّجها ، ونقلها من البادية، فتغيّر عليها الحال . وكانت تحنّ الى ما نشأت عليه ، فبنى لها هذا القصر ، وأمر بالإبل والغنم ان تُحلب بكرة وعشية على باب قصرها في البرية ، فأنست بعض أنس ، فدخل عليها الخليفة يوماً وهي تبكي وتقول :

وما ذنب أعرابية قذفت بها صروف النوى من حيث لم تكُ ظنّتِ
تمنّتْ أحاليبَ الرعاة وخيمةً بنجدٍ فلم يُقضى لها ما تمنّتِ
اذا ذكرت ماء العُذيب وطيبه وبرد حصاه آخر الليل حنّتِ
لها أنّة عند العشاء وأنّة سحيراً ولولا أنّتاها لجنّتِ

فذُكر أنه قال لها : إلحقي بأهلك بكل ما معك . فسُرّت ، ولحقت بأهلها .

ولنا فيما يتعلق بعفو الله ومِنّته :

الله يعلم أني لست أذكره إلا وجدت له ناراً على كبدي
لأنني بلسان الذنب أذكره وهو العليم بما أضمرت في خلدي
لكنني بجميل العفو أعرفه وبالتجاوز والاحسان والرفد
وهل تقاوم عفوَ الله معصية هيهات هيهات لا تعدل عن الرشد
الله أكرم ان تنساك منّته ومَن يجود اذا الرحمن لم يجُد
فحسّن الظنّ بالرحمن وارضَ به ربّاً فليس وجود الفرد كالأحد

ومن حديث مكة بعد خزاعة وولاية قصيّ بن كلاب البيت الحرام وما ذُكر من ذلك :

ما روينا من حديث ابي الوليـد ، عن جدّه ، عن سعيد بن سالم ، عن عثمان بن ساج ، عن ابن جريج ، وعن ابن اسحاق يزيد احدهما على صاحبه ، قال : أقامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت والحكم بمكة ثلاثمائة سنة ، وكان بعض التبابعة قد سار اليه وأراد هدمه وتخريبه ، فقامت دونه خزاعة ، فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع ، ثم آخر كذلك .

وأما تبّع الثالث الذي نحر له وكساه ، وجعل له غلقاً ، وأقـــام عنده أياماً ينحر عنده كل يوم مائة بدنة ، ولا يرزأ هو ولا احد من اهل عسكره منها شيئاً ، يردها الناس بالفجاج ، والشعاب ، فيأخذون منها حاجتهم ، ثم يقطع الطير عليها ، فتأكل ثم تنتابها السباع اذا امست، ولا يرد عليها انسان، ولا طائر ، ولا سبع . ثم رجع الى اليمن انما كان في عهد قريش ، قـال : فلبثت خزاعة على ما هي عليه ، وقريش اذ ذاك في بني كنانة متفرقة ، وقد قدم في بعض الزمان حاج قضاعة، فيهم ربيعة بن حزام بن ضبة بن عبد كبير ابن عذرة بن سعد بن زيد ، وقـد هلك كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ، وترك زهرة ، وقصياً ابني كلاب مع أمهما فاطمة بنت عمرو بن سعد ابن سبل ، وسعد بن سبل الذي يقول فيه الشاعر ، وكان أشجع اهل زمانه:

لا أرى في الناس شخصاً واحداً فاعلموا ذاك كسعد بن سبل
فارس أضبط فيـــه عسرة واذا ما عاين القِرن نزل
فارس يستدرج الخيـــل كما يدرج الحرّ القطاميّ الحجل

قال : وزهرة اكبر من قصي سناً ، فتزوج ربيعة بن حزام امهما ، وزهرة

رجل بالغ ، وقصي فطيم ، او في سن الفطيم ، فاحتملها ربيعة الى بلاده من ارض عذرة من أشراف الشام ، فاحتملت معها قصياً لصغره ، وتخلف زهرة في قومه ، فولدت فاطمة بنت عمرو بن سعد لربيعة رزاح بن ربيعة ، فكان أخا قصي بن كلاب لأمه ولربيعة بن حزام من امرأة اخرى ثلاثة نفر : حنّ، ومحمودة ، وجلهمة ، بنو ربيعة .

فبينا قصي بن كلاب في ارض قضاعة لا تنتمي الى آل ربيعة بن حزام اذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شيء ، وقصي قد بلغ ، فقال له القضاعي : ألا تلحق بنسبك وقومك فانك لست منا ؟ فرجع قصي الى امه وقد وجد مما قال له القضاعي ، فسألها عما قال له ، فقالت : أنت والله يا بُنيّ خير منه ، وأكرم ، انت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقومك عند البيت الحرام وما حوله . فأجمع قصي الخروج الى قومه ، واللحاق بهم ، وكره الغربة في ارض قضاعة ، فقالت له امه : يا بني لا تعجل بالخروج ، حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاجّ العرب ، فإني أخشى عليك ، فأقام قصي حتى دخل الشهر الحرام ، وخرج في حاج قضاعة حتى قدم مكة ، فلما فرغ من الحج أقام بها ، وكان قصي رجلا جليداً حازماً بارعاً ، فخطب الى حليل بن حبشية بن سلول الخزاعي ابنته حبي ، فعرف حليل النسب ، ورغب في الرجل ، فزوّجه ، وحليل يومئذ يلي الكعبة ، وأمر مكة ، فأقام قصي معه حتى ولدت حبي لقصي عبد الدار وهو اكبر ولده ، وعبد مناف ، وعبد العزّى ، وعبد بن قصي ، وكان حليل يفتح البيت ، فاذا اعتل أعطى ابنته حبي المفتاح ، ففتحت ، فاذا اعتلت أعطت المفتاح لزوجها قصياً ، او بعض ولدها فيفتحه، وكان قصي يعمل في حيازته اليه ، وقطع ذكر خزاعة عنه ، فلما حضرت

حليل الوفاة نظر الى قصي ، والى ما انتشر له من الولد من ابنته ، فرأى ان يجعلها في ولد ابنته، فدعا قصياً ، فجعل له ولاية البيت ، وأسلم اليه المفتاح، وكاد يكون عند حني .

فلما هلك حليل أبت خزاعة ان تدعه هنالك ، وأخذوا المفتاح من حني، فمشى قصي الى رجال من قومه من قريش ، وبني كنانة ، ودعاهم الى ان يقوموا معه في ذلك ، وأن ينصروه ، ويعضّدوه ، فأجابوا الى نصره . وأرسل قصي الى اخيه لأمه رزاح بن ربيعة ، وهو في بلاد قومه من قضاعة ، يدعوه الى نصره ، ويعلمه ما حال بينه وبين ولاية البيت ، ويسأله الخروج اليه بمن أجابه من قومه . فقام رزاح في قومه فأجابوه الى ذلك ، فخرج رزاح بن ربيعة ومعه اخوته من ابيه حنّ ، ومحمود ، وجلهمة ، بنو ربيعة ابن حزام فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب ، مجمعين لنصر قصي ، والقيام معه .

فلما اجتمع الناس بمكة خرجوا الى الحج ، فوقفوا بعرفة بجمع ، ونزلوا منىً ، وقصي مجمع على ما أجمع عليه من قتالهم بمن معه من قضاعة ، فلما كان آخر ايام منى أرسلت قضاعة الى خزاعة يسألونهم ان يسلموا الى قصي ما جعل له حليل ، وعظموا عليهم القتال في الحرم ، وحذروهم الظلم والبغي في الحرم ومكة ، وذكروهم ما كانت عليه جرهم ، وما صارت اليه حين ألحدوا فيه بالظلم ، فأبت خزاعة ان تسلم ذلك ، فاقتتلوا بمفضى المأزمين من منى .

قال : فسمي ذلك المكان المفجر ، لما فجر فيه ، وسفك فيه الدماء من الدم ، وانهتك من حرمته ، فاقتتلوا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، وفشت فيهم الحروب ، والجراحات ، وحاج العرب جميعاً ينظرون الى

قتالهم ، من مصر ، واليمن . ثم تداعوا الى الصلح ، ودخلت قبائل العرب بينهم ، فاصطلحوا على ان يحكموا بينهم رجلاً من العرب فيما اختلفوا فيه . قال : فحكّموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وكان رجلاً شريفاً ، فقال : موعدكم فناء الكعبة غداً ، فاجتمع اليه الناس ، وعدّوا القتلى ، فكانت في خزاعة اكثر منها في قريش، وقضاعة ، وكنانة ، وليس كل بني كنانة قاتل مع قصي، خزاعة ، انما كانت مع قريش من بني كنانة غلمان يسيرة ، فاعتزلت عنها بكر بن عبد مناف قاطبة .

فلما اجتمع الناس بفناء الكعبة قام يعمر بن عوف فقال : ألا اني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدميّ هاتين ، فلا تباعة لأحد على أحد في دم ، وإني قد حكمت لقصيّ بحجابة الكعبة ، وولاية أمر مكة ، دون خزاعة لما جعل له حليل، وان نخلّي بينه وبين ذلك ، وان لا تخرج خزاعة عن مساكنها من مكة. قال : فسمّي يعمر من ذلك اليوم ، الشداخ . فسلمت بذلك خزاعة لقصي ، وأعظموا سفك الدماء في الحرم ، وافترق الناس ، ووُلّي قصي بن كلاب حجابة البيت ، وأمر مكة ، وجمع قومه من قريش من منازلهم الى مكة يستعزّ بهم ، وتملّك على قومه فملّكوه ، وخزاعة مقيمة بمكة على رباعهم ، لم يتحركوا من مساكنهم ، ولم يخرجوا منها ، ولم يزالوا على ذلك حتى الآن .

فحاز قصي شرف مكة ، وبنى دار الندوة ، وفيها كانت قريش تقضي امورها ، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا ابن اربعين سنة للمشورة ، وكان يدخلها ولد قصي كلهم أجمعون ، وخلفاؤهم. وكان قصي اول

رجل من بني كنانة أصاب ملكاً ، فأطاع له به قومه، فكانت اليه الحجابة، والرفادة ، والسقاية ، والندوة ، واللواء ، والقيادة .

فلما جمع قصي قريشاً بمكة سمّي مجمعاً ، ومن أجل تجمّع قريش الى قصي سمّيت قريش قريشاً .

وقال قصي يتشكر لأخيه رزاح بن ربيعة :

أنا ابن العاصمين بني لؤيّ | بمكة مولدي وبها ربيتُ
ليَ البطحاء قد علمتْ مَعَدٌ | ومروتها رضيت بها رضيت
وفيها كانت الآباء قبلي | فما شويت أخيٌ وما شويت
فلست لغالب إن لم تؤثّل | بها أولاد قيدر والنبيت
رزاح ناصري وبه أسامي | فلست أخاف ضيماً ما حييت

فقال رزاح في إجابته أخاه قصياً :

فلما أتى من قصي رسول | فقال الرسول أجيبوا الخليلا
نهضنا اليه نعود الجياد | ونطرح عنا الملول الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح | ونكمي النهار لئلا يزولا
فهُنّ سراع كورد القطا | يجبْن بنا من قصي رسولا
جمعنا من السرّ من اشمذين | ومن كل حيٍّ جمعنا قبيلا
فيا لك حلبة ما ليلة | تزيد على الألف سيباً رسيلا
فلما مررنا على عسكر | وأسهلنا من مستناخ سبيلا
وجاوزن بالركن من ورّقان | وجاوزن بالعرج حياً حلولا
مررن على الحلى ما ذقنَه | وعالجنَ مَن مرٌ ليلا طويلا
فدنى من العود أفلاءها | إرادة ان تسترقنَ الصهيلا

فلما انتضينا [1] الى مكة ... أنخنا الرحال قبيلاً قبيلا
نعاورهم ثم حدّ السيوف ... وفي كل حوب خلسن العقولا
نخبّرهم بصلاب السنو ... ن خبر القويّ العزيز الذليلا
قتلنا خزاعة في دارها ... وبكراً قتلنا فجيلاً وجيلا
نفيناهمُ من بلاد المليك ... كما لا يحلّون أرضاً سهولا
فأصبح سبيُهم في الحديد ... ومن كل حيٍّ شفينا الغليلا

وقال ثعلبة بن عبد الله بن دينار بن الحارث بن سعد بن هديم القضاعي في ذلك ، من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه :

جلبنا الخيل مُضمرة تعالى ... من الاعراف أعراف الجنابِ
الى غورَيْ تِهامة فالتقينا ... من الفيفاء في قاعٍ يباب
فأما صفوة الحسنى فخلّوا ... منازلهم محادرة الضراب
وقام بنو عليٍّ إذ رأوْنا ... الى الاسياف كالإبل الطراب

وقال حذافة بن غانم الجمحي يمدح قريشاً وبني قصي :

أبوهم قصيّ كان يدعى مجمّعاً ... به جمع الله القبائل من فهرِ
همُ نزلوها والمياه قليلة ... وليس بها إلا كهول بني عمرو
همُ ملأوا البطحاء مجداً وسؤدداً ... وهم طردوا عنها عراة بني بكر
وهم حفروها والمياه قليلة ... ولم تستقي إلا بنكدٍ من الحفر
حليل الذي عادى كنانة كلها ... وأربط بيت الله بالعسر واليسر
أحارث امّا أهلكن فلا تزل ... لهم شاكراً حتى توسّد في القبر

(١) انتهينا .

قال : ولما استقر رزاح بن ربيعة في بلاده بعد انصرافه من قصي وقع بين رزاح بن ربيعة وبين فهر بن زيد، وحونكة بن أسلم،وهما بطنان من قضاعة، شيء فأخـــافهم ، حتى لحقوا باليمن ، وخلـّوا عن بلاد قضاعة ، وهم اليوم باليمن . قال قصي بن كلاب ، وقد كره ما فعل رزاح بهم ، شعراً :

ألا مَن مُبلغٌ عني رزاحاً فإني قد لحيتك في اثنتين
لحيتك في بني فهر بن زيد كما فرّقتَ بينهمُ وبيني
وحوتكة بن أسلم انّ قوماً عنوهم بالمساءة قــد عنوني

اعتراف عارف في أشرف المواقف :

حدثنا عبد الرحمن بن علي ، نبّأ ابو بكر الصوفي ، انا ابو سعيد الخير ، انا ابن باكويه ، نبأ محمد بن هارون ، نبأ ابن مسروق ، نبأ محمد بن الحسين ، عن وداع بن مرجا ، عن صالح المري، قال : وقف مطرف وبكر بن عبدالله بعرفة ، فقـــال مطرف : اللهم لا تردهم اليوم من أجلي . وقال بكر : ما أشرفه من موقف ، وأرضاه لأهله ، لولا اني فيهم . ورفع الفضيل رأسه الى السماء ، وقـد قبض على لحيته وهو يبكي بكاء الثكلى ويقول : واسوأتاه منك وإن عفوت .

وممن مات حياء من الله تعالى :

ما روينا من حديث ابن باكويه ، قـال : سمعت علي بن هزارمد يقول : سمعت ابن محبوب تلميذ ابي الأبّان يقول : سمعت أبا الأبان يقول : ما رأيت خائفاً إلا رجلا واحداً ، كنت بالموقف فرأيت شاباً مطرقاً منذ وقف الناس الى ان سقط القرص ، فقلت : يا هـذا ابسط يديك للدعاء ، فقـال لي : ثمّ

وحشة ؟ فقلت له : فهذا يوم العفو من الذنوب ، قال : فبسط يـده ، ففي بسطه يديه وقع ميّتاً .

ومن باب المجاهدة :

ما رويناه من حديث المالكي ، عن الرياشيّ قال : رأيت احمد بن المعدل في الموقف ، في يوم شديد الحرّ ، وقد ضحى للشمس ، فقلت : يا أبا الفضل لو أخذت بالتوسعة ، فأنشد يقول :

ضحيت له كي أستظلّ بظلّه اذا الظل أمسى في القيامة قالصا
فوا أسفاً ان كان سعيك باطلاً ويا حسرتا ان كان حظك ناقصا

ومن باب من دعا ربه في حياة قلبه :

ما رويناه من حديث ابن باكويه ، عن احمـــد بن عطاء ، عن الحسن بن احمد ، قال : قال المأمون ، قال ابراهيم بن أدهم : قال لي ابو عباد الرملي : حضرت عرفات ، فوقفت أدعو فاذا انا بفتىً قد أقبل فقال : أقوام يصلون الى هـذا الموضع يكون فيهم من الفضل ما يسألون الله عزّ وجلّ الحوائج ، إلا جعلوا حوائجهم في حياة قلوبهم ؟ ثم قال لي : انت ابو عباد الذي تركت الشهوات منذ ثلاثين سنة ، فعند تركك أفدت فائـدة ، فبكيت ، وقلت : ما أرى ، فقـــال : هيهات أبى الله ان يجعل ذخائره لمن الدنيا والآخرة في قلبه .

أنشدنا علي بن عمرو الكاتب بقرطبة قال : أنشدني ابو القاسم بن بشكوال المحدّث لأبي وهب عبد الرحمن بن الفاضل ، وقبره بقرطبة مثل قبر معروف ببغداد ، في إجابة الدعاء عنده :

برئتُ من المنــازل والقبابِ فلم يعسر على احـــد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي سماء الله او قطع السحاب
فأنت اذا أردت دخلت بيتي عليّ مسلّماً من غير باب
لأني لم أجـد مصراع بابٍ يكون من السماء الى التراب
ولا انشق الثرى عن عود نحتٍ أؤمل ان أشد بـــه ثيابي
ولا خفت الاباق على عبيدي ولا خفت الرهاص على دوابي
ولا حاسبت يوماً قهرماناً فأخشى ان أغلّب في الحساب
ففي ذارحة وبـلاغ عيشٍ فدأب الدهر ذا أبـداً ودأبي

حدثنا عبد الرحمن بن علي ، نبأ ابو غالب محمد بن الحسين الماوردتي ، انا ابو علي ، نبأ عبد الله بن محمد ، نبأ ابو اسحق الهجمي ، نبأ محمد بن زكريا الغلابي ، نبأ ابراهيم بن عمر قال : خرج ابو نواس في أيام العشر يريـد شراء أضحية ، فلما صار في المربد اذا هو باعرابي قـد أدخل شاة له يقدمها كبش فاره ، فقال : لأجرّبنّ هذا الاعرابي ، فأنظر ما عنده ، فإنه أظنه عاقلاً ، فقال ابو نواس :

أيا صاحب الشاة الذي قد يسوقها بكم ذاكم الكبش الذي قد تقدّما

فقال الاعرابي :

أبيعكه ان كنت ممن تريده ولم تك مزّاحاً بعشرين درهما

فقال ابو نواس :

أجدتَ رعاك الله ردّ جوابنا فاحسن الينا ان أردت التكرّما

فقال الاعرابي :

أحطّ من العشرين خمساً فإنني أراك ظريفاً فاقتضيه مسلّما

قال : فدفع اليه خمسة عشر درهماً ، وأخذ كبشاً يساوي ثلاثين درهماً .

حدّثنا محمد بن محمد بن محمد ، نبأ ابو القاسم الحريري ، انا ابو بكر محمد بن علي المقري ، انا ابن دوست العلّاف ، نبأ صفوان ، عن عبد الله بن صفوان القرشي ، عن ابي الحسن الازدي ، قال : وجدت على قبر بشاطىء الفرات مكتوباً :

يا عجباً للارض ما تشبع وكل حيٍّ فوقها يهجعُ
ابتلعت عاداً فأفنتهم وبعد عادٍ هلكت تبّع
وقوم نوح أدخلت بطنها فظهرها من جمعهم بلقع
يا أيها الراجي لما قد مضى هل لك فيما قد مضى مطمع

وحدّثنا يوسف بن مالك ، نبأ ابن جهور ، نبأ ابو القاسم الحريري عن محمد بن علي بن دوست ، عن ابن صفوان ، عن محمد بن الحسين ، عن ابي عمر العمري ، عن عبد الله بن صدقة بن مرداس البكري ، عن ابيه قال : نظرت الى ثلاث قبور على شرفٍ من الارض ، فإذا على احدهم مكتوب بنقش عجيب الصنع :

وكيف يلذ العيش من هو عالم بأن إله العرش لا بدّ سائله
فيأخذ منه ظلمة لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

وعلى الثاني مكتوب :

وكيف يلذّ العيش من كان موقناً بأن المنايا بغتة ستؤاجله
فتسلبه ملكاً عظيماً ونخوة وتسلبه البيت الذي هو آهله

وعلى الثالث مكتوب :

وكيف يلذّ العيش من كان صائراً الى حدثٍ تبلى الشباب مناهلهْ
ويذهب رسم الوجه من بعد صونه ويبلى سريعاً جسمه ومفاصلهْ

خبر النجباء :

كان على عهد رسول الله ﷺ اثنا عشر نجيباً زادت هذه الامة في النجباء على سائر الامم بخمسة نجباء ، فانه لكل نبي سبعة نجباء إلا نبينا ﷺ، فإنه كان له اثنا عشر نجيباً وهم :

علي بن ابي طالب ، والزبير بن العوام ، وأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وجعفر بن ابي طالب ، ومصعب بن عمير ، وبلال ، وعمّار بن ياسر ، والمقداد ، وعثمان بن مظعون ، وشك سفيان بن عيينة في عبد الله بن مسعود .

روينا أسماءهم من حديث الدينوري ، عن محمد بن عيسى المدائني ، عن سفيان بن عيينة ، عن كثير ، عن اسماعيل ، عن ابي ادريس، عن المسيّب ، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم .

وروينا عدتهم بهذا الاسناد عن النبي ﷺ .

وأما نقباء هذه الامة :

فروينا من حديث ابن مرو ، عن محمد بن عيسى ، عن سفيان بن عيينة ، عن معمر ، قال : النقباء كلهم من الأنصار ، والحواريون كلهم من قريش ، فأما النقباء :

فسعد بن خيثمة من بني عمر، وبن عوف، وسعد بن الربيع من بني النجار، وسعد بن عبادة من بني عبد الاشهل ، وعبد الله بن رواحـة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، والبرّاء بن معرور ، ورافع بن مالك الزرقي ، وعبد الله بن عمرو بن حزام ، وهو أبو جابر ، وعبادة بن الصامت من بني سلمة ، والمنذر بن عمرو من بني ساعدة . وقد ذكرنا عدد الحواريين في اول الكتاب ، وكذلك ذكرنا النقباء والنجباء .

ومن باب من جُوزي هنا بخير عمله :

ما روينا من حديث المالكي ، عن جعفر بن محمد ، وأفادنا علاّن منعماً ، حدثنا يزيد بن الحكيم ، عن الحكم بن ابّان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : أتى سائل امرأة وفي فمها لقمة فلفظتها فناولتها السائل، فلم تلبث ان رزقت غلاماً ، فلما ترعرع جاء ذئب فاحتمله، فخرجت تعدو في أثر الذئب وهي تقول : ابني ابني ، فأمر الله ملكاً أن إلحق الذئب وخـذ الصبي من فيه ، وقل لأمه : ان الله يقرئك السلام ، وقل هذه لقمة بلقمة .

ومن باب المواعظ على مجالس الذكر والصبر على الحق :

ما روينا من حديث ابي الدنيا ، عن محـمد بن الحسين ، عن ابي يعقوب الضرير ، قال : حدثني عمار بن الراهب ، قـال : رأيت سكينة الطفاوية في منامي فقلت : مرحباً يا مسكينة ، فقالت : هيهات يا عمار هيهات ، ذهبت المسكنة ، وجاء الغنى الاكبر ، قلت : هيه ، قالت : مـا تسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها تظلّ فيها حيث تشاء ، قال : قلت وبمَ ذلك ؟ قالت : بمجالس الذكر والصبر على الحق ، قال عمار : وكانت تحضر معنا مجلس عيسى

ابن زاذان بالأيلة تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة . قال عمـار : قلت يا مسكينة فما فعل عيسى بن زاذان؟ قال: فضحكت وقالت: قد كُسِيَ حلّة البهاء ، وطافت عليه بأباريق حوله الخدام، ثم حلى. وقيل: يا قارىء ارقأ ، فلعمري لقد براك الصيام ، انتهى .

ذكر اسلام الجارود وما جرى له من ذكر قس في مجلس النبي ﷺ :

روينا من حديث السلمي وهو ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمـد بن موسى ، قال : نبـأ ابو العباس الوليد بن سعيد بن حاتم بن عيسى الفسطاطي بمكة ، قال : انا محمـد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد ، أنا ابي عيسى بن محمد بن سعد [1] القرشي ، عن علي بن سليمان بن علي ، عن علي بن عبد الله بن العباس ، عن عبد الله بن العباس ، قال : قدم الجارود بن عبدالله وكان سيداً في قومه ، مطاعاً عظيماً في عشيرته ، مطاع الأمر ، رفيع القـدر ، ظاهر الأدب ، بارع الفضل ، شامخ الحسب ، بديع الجمال ، كثير الخطر ، حسن الفعال ، ذا مال ومنعة ، في وفد عبد القيس من ذوي الاخطار ، والأقدار ، والفضل ، والاحسان ، والفصاحة ، والبرهـــان ، وكل رجل منهم كالنخلة السّحوق ، على ناقة كالفحل العتيق ، وقد جنبوا الجياد ، وأعدّوا للجلاد ، جادّين في سيرهم ، حازمين في امرهم، يسيرون دميلا ، ويقطعون ميلاً فميلاً ، حتى أناخوا عند مسجد رسول الله ﷺ، فأقبل الجارود على قومه، والمشيخة من بني عمه ، فقال : يا قوم هذا محمد الأغر الأعز، سيد العرب ، وخير سلالة عبد المطلب ، فإذا دخلتم عليه ، ووقفتم بين يديه ، فاحسنوا اليـه السلام ،

---

(١) كذا في النسخ فتأمل .

وأقلّوا عنده الكلام . فقالوا : أيهـا الملك الهمام ، والأسد الضرغام ، لن نتكلم اذا حضرت ، ولن نجاوز اذا امرت ، فقل مـا شئت فإنا سامعون ، واعمل ما شئت فإنا تابعون ، وأمر بما تراه فإنا طائعون .

فنهض الجارود في كل كميّ صنديد ، قد دوّموا العمائم، وتردّوا بالصمائم، يجرّون أسيافهم ، ويسحبون أذيالهم ، يتناشدون الأشعار ، ويتذاكرون مناقب الأخيار، لا يتكلمون طويلاً، ولا يسكتون عيّاً، إن أمرهم ائتمروا، وإن زجرهم ازدجروا ، كأنهم أسد غيل، يقدمها ذو لبوة مهول ، حتى مثلوا بين يدي رسول الله ﷺ . فلما دخل القوم المسجد ، وأبصرهم أهل المشهد ، لفّ الجارود امـــام النبي ﷺ ، وحسر لثامه ، وحسن سلامـه ، ثم أنشأ يقول :

يا نبيّ الهدى أتتك رجالٌ	قطعت فدفداً وآلاً فآلا
وطوت نحوك الضحاضح ُطراً	لا تخال الكلال فيك كلالا
كل دهماء يقصر الطرف عنهـا	أرفلتهـا قلاصنا إرفـــالا
وطوتها الحيا تجمّحُ فيهـــا	بكـاة كأنجم تتـلالا
تبتغي دفع يوم بؤس عبوسٍ	أوجل القلب ذكره ثم هالا

فلما سمع رسول الله ﷺ ما سمع منه فرح فرحاً شديداً، وقرّبه وأدناه، ورفع مجلسه وحيّاه ، وأكرمه وحباه ، وقـال : يا جارود لقـد تأخر بك وبقومك الموعد ، وطال بكم الأمد . قال : والله يا رسول الله لقد أخطأ من أخطأك قصده ، وعدم رشده ، وتلك وايم الله اكبر خيبة ، وأعظم جوبة ، والرائد لا يكذب اهله، ولا يغش نفسه، لقد جئت بالحق، ونطقت بالصدق، والذي بعثك بالحق نبيـاً ، واختارك للمؤمنين وليّاً ، لقد وجدت وصفك في

الانجيل ، ولقـــد بشّر بك ابن البتول ، وطول التحية لك ، والشكر لمن إكرمك وأرسلك، ولا أثر بعد عين، ولا شك بعد يقين ، مدّ يدك فإنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله .

قـال : فآمن الجارود ، وآمن من قومه كل سيد ، وسرّ بهم النبي ﷺ سروراً ، وابتهج حبوراً ، وقـال : يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً ؟ قال : كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا من بين قومي كنت أقفوا أثره ، وأطلب خـبره ، كان قساً سبطاً من اسباط العرب ، صحيح النسب ، فصيحـاً اذا خطب ، ذا شيبة حسنة ، عمره سبعمائة سنة ، يتقفر القفار ، ولا تكنـّه دار ، ولا يقرّه قرار ، يتحسى في تقفره بيض النعام ، ويأنس بالوحوش والهوام ، يلبس المسوح ، ويتبع السياح على منهاج المسيح ، لا يقرّ من الوجدانية ، مقراً لله بالوحدانيـــة ، تضرب بحكمته الأمثال ، وتكشف به الأهوال ، وتتبعه الابدال ، أدرك رأس الحواريين سمعان ، فهو اول من تأله من العرب، وأعبد من تعبد في الحقب، وأيقن بالبعث والحساب، وحذر سوء المنقلب والمآب، ووعظ بذكر الموت، وأمر بالعمل قبل الفوت، الحسن الألفاظ، الخاطب بسوق عكاظ، العالم بشرق وغرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب ، كأني انظر اليه ، والعرب بين يديه ، يقسم بالرب الذي هو له ، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله .

وأنشأ يقول :

هاج بالقلب من هواده ادكار ... وليـــال خلالهنّ نهـــارُ
ونجوم يحثهـــا قمر الليـ ... ـل وشمس في كل يوم تدار
ضوءها يطمس العيون وإرعا ... دٌ شديدٌ في الخافقين مطار

وغـلام وأشمط ورضيـعٌ كلهم في التراب يومـاً يزار
وقصور مشيدة حوت الخيـ ـر وأخرى خلت فهنّ قفار
وكثير ممـــا يقصّر عنه حوشة الناظر الذي لا يحار
والذي قد ذكرتُ دل على اللـ ـه نفوس لها هدىً واعتبار

فقال النبي ﷺ : على رسلك على جارود، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام مونق ، مـا أظن أني احفظه ، فهل فيكم من يحفظ لنا منه شيئاً يا معاشر المهاجرين والأنصار؟ فوثب ابو بكر رضي الله عنه قائمـاً وقال : يا رسول الله اني احفظه وكنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ حين خطب فأطنب ، ورغـّب ورهـّب ، وحذّر وأنذر ، وقـال في خطبته : أيها الناس اسمعوا وعوا ، واذا وعيتم شيئاً فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبـــات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جمع وأشتات ، وآيات بعـد آيات ، إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات افجاج، وبحار ذات أمواج ، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تُركوا هنـاك فناموا ؟ أقسم قس قسماً ، حقاً لا حانثاً فيه ولا آثما ، إن لله ديناً هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد حان حينه ، وأظلكم أوانه ، وأدركـكم إبانه ، فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه .

ثم قال : تباً لأرباب الغفلة ، والأمم الخالية ، والقرون الماضية .

يا معشر اياد ، أين الآباء والأجداد، وأين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد ؟ أين من بنى وشيّد ؟ وزخرف ونجد ، آين المال والولد، أين من بغى

وطغى وجمع فأوعى؟ وقال : انا ربكم الأعلى . ألم يكونوا اكثر منكم اموالاً ؟ وأطول منكم آجالاً ، طحنهم الثرى بكلكله، ومزّقهم بطوله، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خالية [١] ، عمرتها الذئاب العاوية ، كلا ، بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود .

ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأوليـ ـن من القرون لنا بصائرْ
لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر
ورأيتُ قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين عابر
أيقنت إني لا محا لة حيث صار القوم صائر

قال : ثم جلس وقام رجل من الانصار بعده كأنه قطعة جبل، ذو هامة عظيمة ، وقامة جسيمة ، قد دوّم عمامته ، وأرخى ذؤابته ، منيف أنوف، أشدق ، أجش الصوت ، فقال : يا سيد المرسلين وصفوة رب العالمين لقد رأيت من قس عجيباً ، وشهدت منه أمراً غريباً . فقال : ما الذي رأيته وحفظته عنه ؟ فقال : خرجت في الجاهلية اطلب بعيراً إليّ شرد مني ، أقفوا أثره ، وأطلب خبره في تنائف حفاف ذات دعادع وزعازع ، ليس لها للركب مقيل ، ولا لغير الجن عليها سبيل ، واذا أنا بموئل مهول في طود عظيم ، ليس فيه إلا البوم ، وأدركني الليل فولجته مذعوراً ، لا آمن فيه حتفي ، ولا اركن الى غير سيفي ، فبتّ بليل طويل كأنه بليل موصول ،

---

(١) نسخه : خاوية .

أرقب الكواكب ، وأرمق الغيهب ، حتى اذا الليل عسعس ، وكاد الصبح ان يتنفس ، هتف بي هاتف يقول :

يا أيها الراقدُ في الليل الأجم   قد بعثَ الله نبياً في الحرمْ
من هاشم أهل الوفاء والكرم   يجلو دُجُنّات الليالي والبهمْ

قال : فأدرت طرفي فما رأيت له شخصاً ، ولا سمعت له فحصاً . فأنشأت اقول :

يا أيها الهاتف في داجي الظلم   أهلاً وسهلاً بك من طيفٍ المُ
بيّن هداك الله في اللحن الكلم   ما ذا الذي تدعو اليه يغتنمْ

قال : فإذا أنا بنحنحة ، وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، بعث الله محمداً ﷺ بالحبور ، صاحب النجيب الاحمر ، والتاج والمغفر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقمر ، والطرف الأحور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله، فذاك محمد المبعوث الى الاسود والابيض، أهل المدر والوبر، ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذي   لم يخلق الخلق عبثْ
لم يحملنا سدىً   من بعد عيسى واكترث
أرسل فينا أحمداً   خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما   حجّ له ركبٌ وحث

قال : فذهلتُ عن البعير ، واكتنفني السرور ، ولاح لي الصباح، واتسع الأوضاح فتركت الغور وأخذت الجبل فإذا أنا بالفنيق (١) يشقشق النوق ،

---

(١) الفنيق الفحل المكرم .

فملكتُ خطامه ، وعلوتُ سنامه ، فمرح طاعة ، وهزهزته ساعة ، حتى اذا لعب ، وذل منه ما صعب ، وحميت الوسادة ، وبردت المزادة ، فـإذا الزاد قـــد هش له الفؤاد ، وبركته فبرك في روضة خضراء نضرة عطراء ، ذات حوادر وقربان ، وعبقران ، وعبيتران ، وحـلى ، وأقاحي جحجات نوار ، وشقائق وبهار ، كأنما قـــد بات الجو بها مطيرا ، وباكرها المزن بكورا ، فخلالها شجر ، وقرارها نهر ، فجعل يرتع ابّا ، وأصيد ضبّا ، حـــتى إذا أكلتُ وأكل، ونهلتُ ونهل، وعللتُ وعل ، حللتُ عقاله ، وعلوت حلاله ، وأوسعتُ مجاله ، فاغتنم الحملة ، ومرّ كالنبلة ، يسبق الريح ، ويقطع عرض الفيح ، حتى أشرف بي على واد ، وشجر عاد مورقة ومونقة ، قـــد تهدل اغصانها كأنما يريدها حب الفلفل ، فدنوت فـإذا أنا بقسّ بن ساعدة في ظل شجرة ، في يده قضيبٌ من اراك ينكتُ به الارض ، وهو يترنم ويقول :

يا ناعي الموتِ والملحود في جدثٍ	عليهم من بقـــايا برّهم خرق
دعم فإنّ لهم يوماً يصاح بهم	فهم إذا نبّهوا من نومهم حرق
حتى يعودوا لحالٍ غير حالهم	خلقاً جديداً كما من قبله خلقوا
منهم عراةٌ ومنهم في ثيابهم	منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال : فدنوت منـــه وسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، وإذا بعين حزارة في ارض خوّارة ، ومسجد بين قبرين ، وأسدين عظيمين يلوذان بـــه ، ويتمسحان بأثوابه ، وإذا احدهم يسبق صاحبه الى الماء فتبعه الآخر، وطلب الماء ، فضربه بالقضيب الذي بيده وقال : ارجع ثـكلتك امك حتى يشرب الذي ورد قبلك ، فرجع ، ثم ورد بعده فقلت له : مـــا هذان القبران ؟ فقال : هذان قبرا اخوين لي ، كانا يعبدان الله معي في هـــذا المكان ، لا

يشركان بالله شيئاً ، فأدركهما الموت ، فقبرتهما ، وها انا بين قبريهما حتى ألحق بهما . ثم نظر اليهما فتغرغرت عيناه بالدموع ، فأنكبّ عليهما وجعل يقول :

خليلي هبّا طالما قد رقدتما — اجـدّكما لا تقضيان كراكما
ألم ترَيا اني بسمعان مُفرَدٌ — وما لي فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لستُ بارحاً — طوال الليالي أو يجيب صداكما
أأبكيكما طول الحياة وما الذي — يردّ على ذي عولة ان بكاكما
كأنكما والموت أقرب غائبٍ — بروحي في قبريكما قـــد اتاكما
فلو جعلت نفسٌ لنفس وقاية — لجدتُ بنفسي أن تكون فداكما

قال رسول الله ﷺ: يرحم الله قسّاً، اني لأرجو أن يبعثه الله امةً وحده.

وأنشدوا في الموت :

ذهب الأحبة بعد طول تودّد — ونأى المزارُ فأسلموك وأقلعوا
خذلوك أفقر ما تكون بغُربةٍ — لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
قضى القضاء وصرت صاحب حفرة — عنك الأحبّة اعرضوا وتصدعوا

وأنشدوا :

يا أيهـــا الواقف بالقبور — بـــين اناسٍ غيبٍ حضورِ
قد سكنوا في خرب معمور — بـين الثرى وجندل الصخور
لا تكُ عن خطبك في غرور

وأنشدوا :

صرت بعد النعيم في — منزل البعد والقـلا
وجفـاني أحبتي — حين غيّبت في الثرى
أخلق الموت جدّتي — ومحا حسني البـــلا

ومن ذلك :

سلب الموت بهجتي وشبابي وجفاني في غربتي أحبابي
بعدملكوظلعيشٍ عجيبٍ صرتُ رهناً لجندل وتراب

حدثنا محمد بن محمد بن محمد ، ثنا الحريري ، ثنا ابو بكر الخياط ، ثنا ابن دوست ، ثنا ابن صفوان ، ثنا ابو بكر القرشي، عن ابي جعفر القرشي قال: خرج رجل الى مقابر البصرة . فرأى قبراً قد نقش عليه شعر :

يا غافل القلب عن ذكر المنيّات عما قليل ستثوى بين أمواتِ
فاذكر محلك من قبل الحلول به وتب الى الله عن لهو ولذات
إن الحمام له وقتٌ الى أجلٍ فاذكر مصائب ايامٍ وساعات
لا تطمئنّ الى الدنيا وزينتها قد حانللموت يا ذا اللبّ أنيأتي

حدثنا ابو الحسن علي بن سعيد بن عبد الله اللخمي القرباني ، حدثني ابو الطاهر بن محمد بن احمد ، ثنا ابو نصر بن علي ، حدثني ابن النحاس ، عن ابن وسيم ، عن ابراهيم بن عرفة ، عن العباس بن محمد ، عن عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن ابن جبير ، عن ابن عباس ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا دار ألّا الجنة أو النار.

أخبرنا عبد الرحمن بن علي كتابة ، نبأ ابراهيم بن دينار ، انا اسماعيل بن

محمد ، عن عبــد العزيز بن احمد ، ثنا ابن حبان ، نبأ ابو سعيد الثقفي ، عن ذي النون المصري ، قال : كنت في الطواف اذ طلع نورٌ لحق بعنان السماء ، فتعجبت وأتممت طوافي ، ووقفت أتفكر في ذلـك النور ، فسمعت صوتاً حزيناً ، فنظرت فاذا انا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول :

أنت تدري يا حبيبي يا حبيبي انت تدري
ونحول الجسم والدمع يبوحان بسرّي
يا حبيبي قـد كتمت الحب حتى ضاق صدري

قال ذو النون : فشجاني ما سمعت، ثم انتحبت وبكت وقالت : يا إلهي وسيدي ومولاي بحبك لي إلا ما غفرت لي . قال : فتعاظمني ذلك ، فقلت: يا جارية أما يكفيك ان تقولي بحبي لك حتى تقولي بحبك لي ؟ فقالت : اليك عني يا ذا النون، أما علمت ان الله عزّ وجلّ قوماً يحبهم ويحبونه ؟ أما سمعت الله يقول : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » فسبقت محبته لهم قبـل محبتهم له . فقلت : من أين علمت اني ذو النون ؟ فقالت : يا بطـّال جالت القلوب في ميدان الأسرار ، فعرفتك بمعرفة الجبّار . ثم قالت لي : انظر الى من خلفك فأدرت وجهي ، فلا أدري السماء اقتلعتها ام الارض ابتلعتها .

روينا من حديث ابن باكويه ، عن عبد العزيز بن الفضل ، عن عبد الجبار ابن عبد الصمد ، عن الحسين بن احمد بن هارون ، عن محمد بن عبد الله ، عن ابي شعيب قـــال : سألت ابراهيم بن أدهم الصحبة الى مكة فقال لي : على شريطة على ان لا ينظر إلا لله وبالله ، فشرطت له ذلك على نفسي . فخرجت معه ، فبينا نحن في الطواف اذا بغلام قد افتتن الناس بحسنه وجماله ، وجعل ابراهيم يديم النظر اليه ، فلما طال ذلك قلت : يا أبا اسحاق أليس شرطت

على ان لا ننظر إلا لله وبالله ؟ قال : بلى ، قلت : فاني أراك تديم النظر الى هذا الغلام ، فقال : هذا ابني وولدي ، وهؤلاء غلماني وخدمي الذين معه ، ولكن انطلق وسلّم عليه مني ، وعانقه عني ، فمضيت اليه وسلمت عليه ، فجاء الى والده فسلم عليه ، ثم صرفه مع الخدم ، وقال : ارجع وانظر ايش يراد بك ؟ وأنشأ يقول :

هجرتُ الخلق طراً في رضاكا وأيتمت البنين لكي أراكا
فلو قطّعتني في الحب ارباً لما حنّ الفؤاد الى سواكا

حدثنا يونس ، عن ابي منصور ، عن ابي الحسين بن يوسف قال :

قال لنا ابو الحسن بن صخر : تعلق رجل بالستر وقال :

ستور بيتك ذيل الامن منك وقد علّقتها مستجيراً ايها الباري
وما أظنك لما ان عممت بها خوفاً من النار تدنيني من النار
وها انا جار بيتٍ انت قلت لنا حجّوا اليه وقد أوصيت بالجار

وأنشدنا سليمان بن خليل بمكة لأبي الفرج بن علي بن محمد بن الجوزي الامام العالم :

تملكوا واحتكموا وصار قلبي لهمُ
تصرّفوا في ملكهم فلا يقال ظلموا
ان وصلوا محبّهم أو قطعوا فهم هم
صبراً لما شاؤوا وان ساء الذي قد حكموا
قد أودعوا سرّ فؤادي حبهم واستكتموا
يا ارض سبعٍ خبّري وحدّثيني عنهم

يا ليت شعري اذ غدوا ... أأنجدوا أم اتهموا
تبكيهم ارض منىً ... وتشتكيهم زمزم
ما ضرّهم حين سروا ... لو وقفوا وسلموا
يشوقني واديهم ... وضالهم والسلم

وأنشدنا ايضاً في هذا الباب :

يا صاحبي ان كنت لي او معي ... فعد الى أرض الحمى ترتَعِ
وسل عن الوادي وأربابـــهِ ... وانشد فؤادي في ربى المجمعِ
حيّ كثيب الرمل رمل الحمى ... وقـف وسلّم لي على لعلعِ
واسمع حديثاً قد روته الصَّبا ... سندُه عن بانـــة الأجرَع
وابك بمـا في العين من فضلة ... ونُـبْ فدتك النفسُ عن مدمعي
وانزل على الشيحِ بواديهمُ ... واشمُمْ نبـاتَ البلدِ البَلقع
عند منىً كنتُ وكان النوى ... فصُمّ إلا عنهـمُ مسمعي
لهفي على طيب ليالٍ خلت ... عودي تعودي مدنفاً قد نُعي
اذا تذكرتُ زمانـــاً مضى ... فويحَ اجفـاني من أدمعي

وأنشدنا لأبي القاسم المطرزي :

صحا كل عذريّ الغرام عن الهوى ... وأنت على حكم الصبابة نازلْ
نزلنا على التوديع من دارة الحمى ... فضنت علينا بالسلام المنـازل

وقال المبرّد : أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسرّ ، مـا بلغني عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه :

ولا تُفشِ سرك إلا اليك ... فإن لكل نصيحٍ نصيحا
فإني رأيتُ وشاة الرجا ... ل لا يتركون اديماً صحيحا

ولبعضهم في هذا الباب من قصيدة :

فلا تُودِ عن الدهر سرّك احمقاً ... فإنك ان أودعته منه أحمقُ
وحسبك في سر الأحاديث واعظاً ... من القول ما قال الأديب الموفق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السرّ أضيق

روينـــا من حديث الهاشمي ، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، والآخرة قـــد تحمّلت مقبلة ، ألا وأنكم لفي يوم عمل ليس فيه حساب ، ويوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل ، وأن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض ، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب ، وأن للدنيا ابناء ، وللآخرة ابناء ، فكونوا من ابناء الآخرة ، ولا تكونوا من ابنـاء الدنيا ، إن شرّ مـــا اتخوف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل ؛ فاتبـــاع الهوى يصرف بقلوبكم عن الحق ، وطول الامل يصرف همتكم الى الدنيا ، وما بعدهما لأحدٍ من دنيا ولا آخرة .

ومن حديث انس بن مالك قال :

قال رسول الله ﷺ : ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات ، فإذا وجد الانسان قـد نفد اجـله القى عليه غمرات الموت ، فغشيته كرباته ، وغمرته غمراته ، فمن اهل بيته الناشرة شعرها ، والضاربة وجهها ، والباكية بشجوها ، والصارخة بويلهـا ؛ فيقول ملك الموت عليـه السلام : ويلكم ممن الفزع ؟ وفيمَ الجزع ؟ ما أذهبت لواحد منكم رزقاً ، ولا قرّبتُ له أجلا ، ولا أتيته حتى أُمرت ، ولا قبضت روحه حتى استأمرت ، وإن لي فيكم عودةً ثم عودة حتى لا أبقي منكم احداً .

قـــال النبي ﷺ : فوالذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه ، ويسمعون كلامه ، لذهلوا عن ميّتهم ، ولبكوا على انفسهم ، حتى اذا حُمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادي : يا اهلي ويا ولدي لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال من حلّه ومن غير حلّه، ثم خلّفته لغيري، فالمهناة له ، والتبعة عليّ ، فاحذوا مثل ما حل بي .

ومن باب الكرم الالهي ما روي عن موسى عليه السلام :

حدثنا محمد بن قاسم ، نبأ عمر بن عبد الجيد قال : بلغنا ان موسى عليه السلام سجد في بعض تقرّبه وقال : يا رب ، فقال له ربه سبحانه وتعالى : لبيك يا موسى، فلما سمع موسى عليه السلام تلبية الحق له ، سجد ثانية وقال في سجوده : سبحانك سبحانك انتَ انت، ومَنْ عبدك حتى تجيبه بالتلبية؟ فقـال له ربه سبحانه وتعـالى : يا موسى اني آليت على نفسي ان لا يدعوني عبدي بالربوبية إلا أجبته بالتلبية ، فقال موسى : يا رب هذا جعلته للطائعين من عبادك دون المذنبين ؟ فقـــال له سبحانه : يا موسى اذا أجبت المحسن لأجل إحسانه ، ولم أجب المسيء لأجل عصيانه ، فمنعته من فضلي ونعمتي ، فأين عطفي وكرمي ؟

ومن جيد الشعر في الجود والشجاعة :

ومن عجَب انّ السيوف لديكمُ تحيضُ دماءً والسيوف ذكورُ
وأعجبُ من ذا انها في أكفّكمْ تأجّج ناراً والأكُفّ بحورُ

حدّث ابو ذرّ واحمد بن يحيى ، والسياق لأبي ذرّ أن ابن يحيى النـديم قـــال : دعاني امير المؤمنين المتوكل على الله ذات يوم وهو في بعض راحاته

فقال : يا ابن يحيى انشدني قول عمارة في اهل بغداد ، فأنشدته :

من يشتري مني ملوك مخرّم　　أبع حسَناً وإبني هشامٍ بدرهم
وأعطي رجالاً بعد ذاك زيادة　　وأمنح دينـاراً بغير تندّم
فإن طلبوا مني الزيادة زدتهم　　أبـا دلف والمستطيل بن اكثم

فقـال المتوكل : ويلي على ابن النوال على عقبيه يهجو شقيق دولة ولد العباس .

ثم قال لي: يا ابن يحيى هل عندك من المديح في ابي دلف القاسم بن عيسى شيء ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه :

أبا دلف إن السماحة لم تزل　　مغلّلة تشكو الى الله غلها
فبشّرها ربي بميلاد قـاسمٍ　　فأرسل جبريلا اليها فحلّها

ومن هذا الباب قول القائل :

حرٌ اذا جئته يوماً لتسأله　　أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا
يخفي صنائعه والله يُظهرهـا　　ان الجميل اذا اخفيته ظهرا

وقال الآخر :

فتىً عاهد الرحمن في بذل ماله　　فلستَ تراه الدهر إلا على العهد
فتىً قصرتْ آمـاله عن فعاله　　وليس على الحر الكريم سوى الجهد

هذا المديح أقرب للديانة من الكرم ، فإن عطاؤه انما هو من أجل الوفاء بعده من الله حتى لا يكون من الذين ينقضون عهـد الله ، والكريم سجيته

الكرم ، فلا يحتاج الى القسم عليه إلا لعلة لنفسه ، فما وفّى هذا الشاعر مدح هذا في الكرم ما تصوّر له في خاطره، فهذا اللفظ دون ما في القصد.

وقال الآخر في هذا الباب :

أرى نفسي تتوق الى امورٍ يقصّر دون مبلغهنّ مالي
فنفسي لا تطاوعني لبخلٍ ومالي لا يبلّغني فعالي

وقال آخر :

اذا ما أتاه السائلون توقّدت عليه مصابيحُ الطلاقة والبشْرِ
له في ذرى[1] المعروف نعمى كأنها مواقع ماء المزن في البلد القفرِ

ينظر الى البيت الاول قول زهير :

تراه اذا ما جئته متهللا كمثل الذي يعطي الذي أنت سائلهْ

فإن مدحه بالفرح بما يعطي نقصٌ به اذا جاء مطلقاً فلو قيّده من أجل ما يجد ما يعطي لكان أشعر :

ومن جيّد الشعر ما قال القائل :

لئن ساءني ان نلتني بمساءةٍ لقد سرّني اني خطرت ببالكِ

لأن الاول قد أقرّ بأنه إساءة ثم اعتذر .

---

(١) نسخه ذوى .

ومن حسن الشعر ما قال الآخر في باب الشكوى :

فالليـل ان وصلت كالليـل ان هجرت
أشكو من الطول ما اشكو من القِصَرِ

وأحسن منه ما قلنا :

شغلي بها وصلت بالليل أو هجرت   فما أبالي أطال الليل أم قصُرا

فإن الاول شغله بطول الليل وقصره من اجلها ، فهو فاقد لهـا في زمن الاشتغال بغيرها ، والثاني شغله بها ومن سواها تبـغ .

وأحسن منه ما قلنا :

ولقد هممت بقتلها من حبها   كيما تكون خصيمتي في المحشر

فإن الاول جعله مطلوباً قد نهب حقها ولا تخاصم ، والثـاني جعل الحق له ، وجعل المحبوب المطلوب ، فالخصومة لازمة .

حدثني عبد الله بن رحلون الساري قال :

علـّم بعض الشعراء من اصحابنا زرزوراً الكلام حتى نطق لسانه، فعلـّمه الدعاء لخليفة الوقت ، وسوَراً من القرآن. ومن جملة ما علمه بيتان في الفصد، وأحضر بين يدي الزرزور هيئة الفصد وحركاته حتى ارتسمت في خيـاله ، فصار الزرزور اذا رأى تلك الحـــالة أنشد البيتين ، ثم أعلم حاجب الامام بذلك، ودفع اليه الزرزور . فلما علم الحاجب ان امير المؤمنين يفتصد استأذن في إدخال الزرزور عليه ، فأذن له ، فأحضر الزرزور في قفصه ، قـــال : النصر والتمكين لأمير المؤمنين. فلما جاء الفاصد، ورأى الآلات قد حضرت،

وأخرج امير المؤمنين يده للحجّام ، وأخذ المبضع ، وهمّ ان يفصده نطق الزرزور فقال :

ايها الفاصد رفقاً بأمير المؤمنين
إنما تفصد عرْقاً فيه محْيا العالمين

فأعجب الخليفة به ، وأمر لصاحبه بألفي دينار ، وقال : لو زاد زدناه.

وحُكي ان ابن اللبانة كان وزيراً للمعتمد بن عبّاد ملك الاندلس ، فلما قبض على المعتمد ، وتفرّق شمله ، مرّ ابن اللبانة على بعض أولاده بدكان صائغ وهو ينفخ في الفحم فبكى ، وتذكّر ما كان فيه من الملك والنعمة ، فقبّل يديه ، وأنشده لنفسه :

صرفت في آلة الصيّاغ انملة لم تدرِ إلا الندى والسيف والقلما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
يدٌ عهدتك للتقبيل تبسطها فتستقلّ الثريّا ان تكون فما
وددتُ إذ نظرتْ عيني اليك به لو ان عينيَ تشكو بعد ذلك عمًى
ما حطّك الدهر لما حطّ من شرفٍ ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لحْ في العلا كوكباً إن لم تلحْ قمراً وقم بها ربوةً إن لم تقم علما
واصبر فربّما أحمدتَ عاقبة من يلزم الصبرَ يحمد غبّ ما لزما
والله لو أنصفتك الشمس لانكسفت ولو وفى لك دمع العين لانسجما

فعمل في قلبه كلامه ، وثار بقلعة مراكش ، وأقام بها الى ان قُتل .

وذكر الفتح بن خاقان ان الراضي ولد المعتمد بن عبّاد سلطان الاندلس كان معتكفاً على درس العلوم والاشتغال بها ، فأراد منه ابوه المعتمد على الله

محمد بن عبّاد ان يقدّمه على جيش لمحاربة بادس بن حبوس بغرناطة ، فتمارض الراضي على ابيـــه ، وامتنع لشغفه بالعلم ، فخرج المعتمد بنفسه لمحاربته ، وتخلـّف ابنه الراضي ، فاتفق ان هزمه العدو فعاد الى اشبيلية ، وهجر ابنه الراضي ؛ فكتب اليه ابنه الراضي يقول :

لا يكثرنك خطب الحادث الجاري فما عليك بذاك الخطب من عارِ
مـــاذا على ضيغم أمضى عزيمته إن خانه حدّ أنيـابٍ وأظفار
عليك للناس ان تبقى لهم سنداً ومـــا عليك لهم اسعاد اقدار
لو يعلم الناس حقاً ان تدوم لهم لم يتحفوك بشيء غير أعمـــار

فأجابه أبوه المعتمد على الله يهزأ به :

الملك في طيّ الدفاتر فيجلّ عن قود العساكر
طف بالسرير مسلـّماً وارجع لتوديع المنـابر
وازحف الى جيش المعا رف تهزم الحبر المقامر
واطعن بأطراف اليرا ع نصرت في ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا ة مكان ماضي الحدّ باتر
أولستَ اسطاليس إذ ذكـر الفلاسفة الأكابر
وكذاك إن ذكر الخليـ ـل فأنت نحويّ وشاعر
وابو حنيفـــة ساقط في الرأي حين تكون حاضر
مَن هرمسٌ مَن سيبويـ ـه مَن ابن فورك إذ تناظر
هذي المكارم قد حويْـ ـتَ فكن لمن جاراك شاكر
واقعـــد فإنك عاصمٌ كاس وقل هل من مفاخر
لحجبتُ وجه رضاي عنـ ـك وكنت قد تلقاه سافر

أولستَ تذكر وقت ور قة حين قلبك ثم طائر
لا يستقرّ مكانـــه وأبوه كالضرغام هـادر
هـلّا اقتديتَ بفعله وأطعته إذ ذاك آمر
قد كان أبصر بالعوا قب والموارد والمصادر

فأجابه ابنه الراضي رحمهما الله :

مولاي قد اصبحت كافر بجميع ما تحوي الدفاتر
وفللتُ سكّين الدوا ة وظللت للاقلام كاسر
وعلمتُ ان الملك والـ علياء في ضرب العساكر
لا ضرب أقوال بأقـ وال ضعيفات مكاسر
قد كنتُ أحسب من سفا هٍ انهـا أصل المفاخر
واذا بها فرعٌ لهـا والجهل للانسان غادر
وهجرتُ مَن سمّيتهم وجحدتُ انهمُ أكابر
إن كان في فضل فمنـ ـك فهل لذاك النور ساتر
او كان في نقصٍ فمنـّ ـيَ غير ان الفضل غامر
ضحك الموالي بالعبيـ ـد اذا تواصل غير صائر
لا تنسَ يا مولايَ قو لة ضارع الأقوال فاجر
ضبَط الجزيرة عنـدما نزلت بعقوتها العساكر
ايام ظلتُ بهـا فريـ ـداً ليس غير الله ناصر
إذ كان يغشى ناظري لمع الأسنة والبواتر
ويصمّ آذاني بهـا قرعُ الحجارة بالحوافر
وهى الحضيض سهولة لكن ثبتّ بهـا مخاطر
هب زلّتي لنبوّتي واغفر فإن الله غافر

فلم يزده ذلك إلا تمادياً في هجرانه ، فكتب اليه ايضاً :

مولاي أشكو اليك داءً   اصبح قلبي بـــه جريحاً
سخطك قد زادني سقاماً   فابعث لي الرضى مسيحاً

قال : فرضي عنه وأدناه .

حدثنا يونس بن محمـد بن طاهر ، انبأ الحسن بن علي الجوهري ، عن ابي عمر بن حبويه ، عن ابي الحسن بن معروف ، عن الحسين بن الفهم ، عن محمد ابن سعد ، عن عبد الله بن نمير ، عن الاعمش ، عن ابي وائل ، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت : مرض ابو بكر رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه وقال : انظروا مـا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة ، فابعثوا بـــه الى الخليفة من بعدي ، فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه ، واذا ناضح كان يسقي بستاناً له ، فبعثنا بهما الى عمر . قالت : فأخبرني رسولي أن عمر بكى وقال : رحمة الله على ابي بكر ، لقد اتعب من بعده تعباً شديداً .

وقال عبد الله بن عباس : سمعت ابا بكر الصديق يقول هذين البيتين :

إذا أردت شريف الناس كلّهم   فانظر الى ملك في زي مسكين
ذاك الذي حُسنتْ في الناس سيرته   وذاك يصلح للدنيـــا وللدين

وروينا عن السري السقطي انـه قال : كنت يوماً بجامع المدينة فوقف علي شابّ ذو حشم وخول ، فسمعني اقول : عجباً لضعيف يعصى قويّـاً ، فنظرت الى لونه قـد تغـيّر وانصرف ، ثم جاءني من الغد فسلم عليّ وقال : سمعتك بالأمس تقول : عجباً لضعيف يعصي قويّاً ، فمـا معناه ؟ قلت : فما أقوى من الله ولا أضعف من العبد وهو يعصيه ، فنهض فخرج ، ثم عـاد من

الغد وعليه ثوبان ابيضان وليس معه احد فقال : يا سيدي كيف الطريق الى الله ؟ فقلت : إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل ، وإن أردت الله فاترك كلما سواه ، وليس إلا المساجد ، والخراب ، والمقابر . فقام وهو يقول : والله لا سلكت إلا أصعب الطرق . ثم ولّى خارجاً ، فلما كان بعد ايام أقبل اليّ جماعة كثيرة من الغلمان فقالوا : ما فعل احمد بن يزيد الكاتب ؟ قلت : لا اعرفه ، إلا أن رجلا جاءني من صفته كذا وكذا ، فجرى لي معه كذا وكذا ، ولا أعلم حاله . فقالوا : نقسم عليك بالله متى عرفت حاله فعرّفنا ، ودلوني على منزله ، فبقيت سنةً لا أعرف له خبراً فبينا انا ذات ليلة بعد العشاء في بيتي إذا بطارق يطرق الباب ، فأذنت له في الدخول ، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء ، وأخرى على عاتقه ، ومعه زنبيل فيه نوى ، فقبّل بين عيني وقال : يا سري اعتقك الله من النار كما اعتقتني من رق الدنيا . فأمأت الى صاحبي ان امض الى اهله فأخبرهم ، فمضى فإذا زوجته جاءت ومعها ولده وغلمانه ، فدخلت فألقت ولده في حجره وعليه حلي وحلل ، وقالت له : يا سيدي أرملتني وأنت حي ، وأيتمت ولدك وأنت حي . فنظر اليّ وقال : يا سيدتي ما هذا وفاء ، ثم نزع ما على الصبي وقال : ضعي هذا في الاكباد الجياع ، والأجساد العارية ، فانتزعت ولدها منه ، فقال : ضيّعتم على ليلتي ، بيني وبينكم الله. ثم خرج ، فضجّت الدار بالبكاء ، فقالوا : ان عدت تسمع له خبراً فأعلمنا . فلما كان بعد ايام إذا بعجوز قد جاءت فقالت: يا سري معي بالشوتيزية غلام يسألك الحضور، فمضيت فإذا هو مطروح في ثوبه ، تحت رأسه لبنة ، فسلمت عليه ، ففتح عينيه وقال : يا سري ترى تغفر تلك الجنايات ؟ فقلت : نعم، فقال : يغفر لمثلي ؟ قلت : نعم، قال : انا غريق، قلت : هو منجي الغرقا ، قال : عليّ مظالم ، قلت : إن الله يعوّض المظلومين . فقال : يا سري معي دراهم من

لقط النوى ، فإذا انا مُت فاشتر لي ما احتاج اليه ، وكفني ، ولا تعلم اهلي لئلا يغيّروا كفني بحرام . قال السري : فجلست عنه ، ففتح عينيه وقال : « لمثل هذا فليعمل العاملون » ثم مات . فأخذت الدراهم ، واشتريت ما يحتاج اليه ، وإذا الناس يهرعون ، فقلت : ما الخبر ؟ فقيل : مات وليّ من اولياء الله تعالى ، ونريد أن نصلي عليه ، فصلّينا عليه ، ودفناه . فلما كان بعد مدة بعث اهله اليّ يستعلمون خبره ، فأخبرتهم بموته . فأقبلت امرأته باكيةً ، وسألتني أن أريها قبره ، فقلت : أخاف أن تغيّروا كفنه ، فقالت لا والله ، فأريتها القبر ، فبكت ، وأمرت بأحضار شاهدين ، فأحضرتهما ، وأعتقت جواريها ، ووقفت عقارها ، وتصدّقت بمالها ، ولزمت قبره حتى ماتت .

دخل على شيخنا الأديب ابن سعد بمسجده بأشبيلية فتى وسيم الوجه به لثغ يردّ السين ثاءً ، وكان اسمه عيسى ، فقال له الاستاذ : ما اسمك يا بنيّ ؟ فقال : عيثا ، فقال الشيخ :

وأغيد كالقضيب معطفه يحكي لنا في الكلام تخنيثا
سألته والسؤال يخجله ما اسمك يا بدر قال لي عيثا

ودخل شاب آخر به لثغ يردّ الراء غيناً على الاديب الملقب بالابيض ، فجرى بين الصبي وبين الابيض حديث الى ان قال له : ما غذاؤك ؟ فقال الصبي : القاند والسكغ ، فطرب الابيض وقال في الحين :

وألثغ ما مثله ألثغ كأنه من فضة مُفرغ
قلت له مولاي ما تغتذي فقال لي القاند والسكغ

اجتمع جماعة من اصحابنا من قرطبة بقرطبة، منهم ابو الحسن بن خروفٍ الاديب ، وعمر الجزّار وغيرهم ، فرأوا حلقة فيها صبي وسيم الوجه سندي ، يلعب للنــاس ، وينطوي حتى يجعل رأسه بين رجليه ، والناس يتعجبون من لطفه ومحاسنه ، فقال واحد منهم :

ومنوّع الحركات يختلس النهى　　　لبس المحاسن عنـد خلع لباسه

وقال الآخر :

متأوّداً كالغصن فوق كتيبة　　　متلاعباً كالظبي عند كناسه

وقال الآخر :

ويضمّ للقدمين منه برأسه　　　كالسيف ضمّ ذبابه لرساسه

تاريخ فتح عمورية :

فتحها المعتصم في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وكان المعتصم شجاعاً مقداماً ، وكان يقال له : المثمن ؛ فإنه كان له الى الثمانية احـد عشر وجهاً :

الاول : انه ثامن ولدالعباس .

الثاني : انه ثامن خلفاء بني العباس .

الثالث : انه ولـّي سنة ثمانية عشرة ومائتين .

الرابع ، والخامس : انه كانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر .

السادس : انه توفي وله ثمان وأربعون سنة .

السابع : انه وُلد ثامن شهر من السنة وهو شعبان .

الثامن : انه خلف ثمانية ذكور .

التاسع : انه خلّف ثمان بنات .

العاشر : انه غزا ثمان غزوات .

الحادي عشر : انه خلف ثمانمائة الف دينار ، ومثلها دراهم ، فيكون له على هذا اثنا عشر وجهاً الى الثمانية .

فأما سبب فتحه لعمورية فهو ما ذكره اهل التواريخ ان رجلا وقف على المعتصم فقال : يا امير المؤمنين كنت بعمورية ، وجارية من أحسن النساء أسيرة ، قد لطمها علج في وجهها . فنادت : وامعتصماه ، فقال العلج : وما يقدر عليه المعتصم ؟ يجيء على ابلق ينصرك؟ وزاد في ضربها . فقال المعتصم: وفي أية جهة عمورية؟ فقال له الرجل: وأشار الى جهتها هكذا ، فردّ المعتصم وجهه اليها وقال : لبّيكِ أيتها الجارية لبيك هـذا المعتصم بالله أجابك . ثم تجهّز اليها في اثني عشر الف فرس أبلق .

وفي هذه التلبية يقول له في قصيدته حبيب مفرد :

لبّيت صوتاً رطيباً قد هرقت له   كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

فلما حاصرها وطال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له : انا نرى انك ما تفتحها إلا في زمان نضج العنب والتين ، فبعُد عليه ذلك ، واغتمّ لذلك . فخرج ليلة مع بعض حشمه متحشماً في العسكر يسمع ما يقول الناس ، فمر بخيمة حدّاد يضرب نعال الخيل وبين يديه غلامه أقرع قبيح الصورة ، وهو يضرب على السندان ويقول : في رأس المعتصم ، فقال له معلمه : اتركنا من هذا ، مالك والمعتصم ؟ فقال : ما عنده تدبير ، له كذا وكذا يوم على هذه

المدينة مع قوّته ولا يفتحها، لو اعطاني الامر ما بات غداً إلا فيها . فتعجب المعتصم مما سمع ، وترك بعض رجاله موكلا به ، وانصرف الى خبائه . فلما اصبح جاؤوه به فقال : ما حملك يا هذا على ما بلغني عنك ؟ فقال الرجل : الذي بلغك حق ، ولـّني ما وراء خبائك ، وقد فتح الله فيها ، فقال : قد ولـّيتك وخلع عليه ، وقدّمه على الحرب ، فجمع الرماة ، واختار منهم اهل الاصابة ، وجاء الى بدن من أبدان الصور ، وفي البدن من اوله الى آخره خط اسود ، عرضه ثلاثة أشبار او أكثر ، فحمى السهام بالنار ، فقال للرماة : من أخطأ منكم ذلك الخط الاسود ضربت عنقه ، واذا بذلك الخط خشب ساج ، فعندما حصلت فيه السهام المحميّة قام النار فيه واحترق ، فنزل البدن كما هو ، وتحامى الرجال ، ودخل البلد بالسيف ، وذلك قبل الزمان الذي ذكره المنجّمون .

وفي ذلك يقول حبيب في قصيدته :

السيف أصدق أنباءً من الكتبِ	في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصفائح في	متونهنّ جلاء الشكّ والريبِ
والعلم في شهب الأرواح لامعة	بين الخميسين لا في السبعة الشهُبِ
وخوّفوا الناس من دهياء داهية	اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
تخرّصاً وأحاديثاً ملفقةً	ليست بنبعٍ اذا عدّت ولا غرب

ثم مشى في القصيدة الى ذكر يعرض بتاريخ المنجمين في التين والعنب ، فقال :

تسعون الفاً كآساد الشّرى نضجت
جلودهم قبل نضج التين والعنبِ

ولم تفتتح من الوقت الذي أثبت فذكر ذلك في قصيدته ، وذكر منعتها وقوّتها فقال :

من عهد اسكندر أو قبل ذاك فقد شابت نواصي الليالي وهي لم تشبِ
بكر فما انتزعتها كفّ حادثةٍ ولا ترقّتْ اليها همّة النوّاب

فلما دخلها ومعه الرجل الذي بلّغه حديث الجارية قال له : سر بي الى الموضع الذي رأيتها فيه ، فسار به ، وأخرجها من موضعها ، وقال لها : يا جارية هل اجابك المعتصم ؟ وملّكها العلج الذي لطمها ، والسيد الذي كان يملكها ، وجميع ماله .

ومن سيَر عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ما حدثنا محمد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن بن علي ، عن محمد بن أبي طاهر ، عن الحسن بن علي الجوهري ، عن ابي عمر بن حمويه ، عن احمد بن معروف ، عن الحسين بن الفهم ، عن محمد بن سعد ، عن يزيد بن هارون ، عن يحيى بن المتوكل ، عن عبد الله بن نافع ، عن ابيه ، عن ابن عمر قال : قدمت رفقة من التجار في ايام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن: هل لك ان نحرسهم الليلة من السرّاق؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبي فوجه نحوه وقال لأمه : اتق الله واحسني الى صبيّك ، ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد اليها بمثل تلك المقالة ، ثم عاد الى مكانه ، فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه ، فعاد اليها فعاتبها في لبنها ، ثم سألها عن شأن بكائه ، فقالت له يا هذا الرجل اني اريد ان افطمه وهو يبكي على الثدي ، فقال لها : وكم له ؟ قالت : كذا

وكذا شهراً ، فقال لها : فما حملك على تعجيل فطامه ؟ قالت : ان عمر امر ان لا يفرض لصبي إلا بعد الفطام ، وأنا محتاجة ، فأحبّ ان افطمه حتى يفرض له ، فقال لها : ويحك أرضعيه ولا تعجليه بالفطام . ثم صلى الفجر بالناس وما يستبين للناس قراءته من غلبة البكاء عليه . فلما سلم قال : يا بؤساً لعمركم قتل من اولاد المسلمين ، ثم امر منادياً فنادى : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فانا نفرض لكل مولود في الاسلام .

وبالاسناد الى محمد بن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثني عبدالله ابن زيد بن أسلم ، عن ابيه ، عن جده ، قال : كان عمر يديم الصوم ، وكان زمان الرمادة ، فاذا أمسى أتى بالخبز قد ثرد بالزيت ، الى ان نحر يوماً من الايام جزوراً ، فأطعمها الناس ، وغرفوا له طيبها ، فأتى به فاذا قدر قطعة من سنام، ومن كبدٍ ، فقال : أنى هذا ؟ قالوا : يا امير المؤمنين من الجزور الذي نحرنا اليوم ، فقال : بخٍ بخٍ بئس الوالي ، انا ان أكلت طيبها ، وأطعمت الناس كراديسها ، ارفع هذه الجفنة ، وهيء لنا غير هذا الطعام ، فأتى بخبز وزيت ، فجعل يكسر بيده ، ويثرد ذلك الخبز ، ثم قال : ويحك يا يرفأ ارفع هذه الجفنة حتى تأتي بها اهل بيت ربيع ، فاني لم آتهم منذ ثلاثة ايام ، وأحسبهم مقفرين ، وضعها بين ايديهم .

وروينا من حديث انس بن مالك قال : بينما عمر يعسّ المدينة اذ رأى بيتاً من شعر لم يكن بالامس ، فدنا منه ، فسمع أنين امرأة ، ورأى رجلا قاعداً ، فدنا منه فقال : من الرجل ؟ قال : رجل من اهل البادية جئت الى امير المؤمنين أصيب من فضله . قال : فما هذا الانين ؟ قال : امرأة تمخض ، قال : هل عندها احد؟ قال : لا ، فانطلق الى منزله فقال لامرأته ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب رضي الله عنه : هل لكِ في أجر ساقه الله اليك ؟

قالت : وما هو ؟ قال : امرأة تمخض ليس عندها احد ، قالت : ان شئت، قـــال : خذي ما يصلح المرأة من الخرق والدهن ، وجيئيني ببرمة وشحم وحبوب ، فجاءت به ، فحمل البرمة ، ومشت خلفه حتى انتهى الى البيت ، فقال: ادخلي الى المرأة ، وجاء حتى قعد الى الرجل فقال له : أوقد لي ناراً، ففعل وأوقد تحت البرمة حتى أنضجها ، وولدت المرأة ، فقالت له امرأته : يا أمير المؤمنين بشّر صاحبك بغلام . فلما سمع الرجل يا امير المؤمنين كأنه هابه ، فجعل يتنحّى عنه ، فقال له : مكانك كما كنت . فحمل عمر البرمة حتى وضعها على البـــاب ، ثم قال : أشبعيها ، ففعلت ، ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب ، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدي الرجل ، فقال : كل ويحك فانك قد سهرت من الليل ، ففعل ، ثم قال لامرأته : اخرجي، وقال للرجل : اذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلح ، فأتاه ، فأجازه وأعطاه .

ومن مواعظ علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

ما رويناه من حديث ابي بكر بن ابي الدنيا قال : حدثنا علي بن الحسن ابن ابي مريم ، عن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، عن معاد الهراء قال : سمع علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجلاً يسبّ الدنيا ، فقال علي رضي الله عنه : انها لدار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنىً لمن تزوّد منها ، مسجد أحبّاء الله عز وجل، ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته، ومتجر أوليائه ، اكتسبوا فيه الرحمة ، وربحوا فيها الجنـــة . فمن ذا يذمّ الدنيا ؟ وقد أذنت بفراقها ، ونادت بعيبها ، ونعَتْ نفسها وأهلها ، فمثلت ببلائها البلاء ، وشوّقت بسرورها الى السرور ، فذمّها قوم عنـد الندامة ، وحمدها آخرون ، ذكّرتهم فذكروا : يا ايها المغرور بغرورها ، متى غرّتك مضاجع آبائك في الثرى ؟ أم مضاجع امهاتك في البلا ؟ كم قلّبت بكفيك ،

ومرضت بيديك تطلب له الشفاء وتسأل له الأطباء ؟ لم تظفر بحاجتك ، ولم تسعف بطلبتك ، قد مثلت لك الدنيا مصرعك غداً ، ولا يغني عنك بكاؤك، ولا ينفعك أحبّاؤك .

ومن مواعظ سعيد بن عامر بن حديم لعمر :

ما روينا من حديث ابن ابي الدنيا قال : حدثني يعقوب بن عبيد ، ثنا ابو مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال سعيد بن عامر بن حديم لعمر رضي الله عنه : اني موصيك بكلمات من جوامع الاسلام ومعالمه ، قال : أجل فان الله قد جعل عندك أدباً ، قال : اخشَ الله في الناس ، ولا تخشَ الناس في الله ، ولا يخالف قولك فعلك ، فان خير القول ما صدقه الفعل ، ولا تقض في أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك ، واحبب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، وخض الغمرات الى الحق حيث علمته ، ولا تخف في الله لومة لائم . قال عمر : ومَن يستطيع ذلك يا سعيد ؟ قال : مَن ركب في عنقه مثل الذي ركب في عنقك .

موعظة :

روينا من حديث المالكي قال : حدثنا علي بن الحسن الربعي قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن القرشي ، عن أبيه قال : كتب بعض الحكماء الى ملك من ملوكهم : ان أحقّ الناس بذمّ الدنيا وقلاها ، مَن بسط له فيها ، وأعطى حاجته منها ، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه، او على جمعه فتفرقه، او تأتي سلطانه من القواعد فتهدمه ، او تدبّ الى جسمه فتسقمه ، وتفجعه بمن هو ضنين به من أحبابه وأهل مودّته ، فالدنيا أحقّ بالذمّ ، هي الآخذة ما تعطي ، الراجعة فيما تهب ، بينما تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيرة ،

وبينما هي تبكي له اذ أبكت عليه، وبينما هي تبسط كفيه بالاعطاء اذ بسطتها بالمسألة ، تعقد التـاج على رأس صاحبها اليوم ، وتعفره بالتراب غداً ، سواء عليها ذهاب مَن ذهب ، وبقاء مَن بقي ، تجد في البـاقي من الذاهب خلفاً ، وترضى من كل بدلاً .

رُوي عن المزني قال : دخلت على الشافعي رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه فقلت له : كيف اصبحت ؟ فقـال : اصبحت من الدنيا راحلاً ، وللاخوان مفارقاً ، ولسوء عملي ملاقياً ، وبكأس المنية شارباً ، وعلى الله وارداً ، فلا أدري أروحي تصير الى الجنة فأهنيها ؟ أم الى النار فأعزّيها ؟ ثم أنشأ يقول :

ولمـا قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلتُ رجائي نحو عفوك سلّما
تعاظمَني ذنبي فلمـا قرَنتُهُ بعفوك ربي كانَ عفوُك أعظما
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّةً وتكرُّما

حكاية عن ملك زهدَ في الدنيا :

روينا من حديث احمـد بن محمد بن حنبل ، عن يزيد بن هارون ، ثنـا المسعودي ، عن سماك بن حرب ، عن عبـد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن ابن مسعود قال : بينا رجل ممن كان قبلكم في مملكته ، فتفكر، فعلم أن ذلك منقطع عنه ، وأن ما هو فيه قـد شغله عن عبادة ربه ، فانساب ذات ليلة من قصره ، فأصبح في مملكة غيره ، فأتى ساحل البحر ، فكان يضرب اللبن بالاجرة ، فيأكل ويتصدّق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى وصل أمره الى ملكهم ، فأرسل ملكهم اليه ان يأتيه ، فأبى ، فأعاد اليـه الرسول ، فأبى وقال : مالك ومالي ؟ فركب الملك اليه ، فلما رآه الرجل ولّى هارباً ، فلما

رأى ذلك الملك ركض في أثره فلم يدركه ، فناداه : يا عبد الله ، انه ليس عليك مني بأس ، فأقام حتى أدركه ، فقال : مَن انت يرحمك الله ؟ قال : انا فلان ابن فلان صاحب ملك كذا وكذا ، تفكرت في امري ، فعلمت ان ما انا فيه منقطع عني ، وانه قد شغلني عن عبادة ربي ، فتركته ، وجئت هاهنا أعبد ربي عز وجل . فقال : ما انت بأحوج مما سمعت مني ؟ قال : ثم نزل عن دابته فسيّبها ، ثم تبعه ، فكانا جميعاً يعبدان الله عز وجل ، فدعوا الله عز وجل ان يميتهما جميعاً ، فماتا . قال عبد الله : فلو كنت برميْلة مصر لأريتكم قبريهما بالنعت الذي نعت لنا رسول الله ﷺ .

قصة يحيى بن توغان ملك تلمسان وهو من خؤلتنا :

حدثني أخوالي ووالدي رحمهم الله ، قالوا : كان بتلمسان الملك يحيى ، فنزل يوماً في موكبه من مدينة أقادر ، يريد المدينة الوسطى ، وبينهما بقيع فيه قبور ، فبينا هو يسير واذا برجل متعبّد يمشي لحاجته ، فمسك عنانه وسلّم عليه ، فردّ الرجل العابد السلام ، وكلّمه بأشياء ، فكان من بعض ما كلمه به الملك أن قال له : ايها العابد ، ما تقول في الصلاة في هذه الثياب التي عليّ ؟ فاستغرق العابد ضحكاً ، فقال له : ممّ تضحك ؟ قال : من سخف عقلك ، وما رأيت لك ايها الملك في هذه المسألة شبيهاً إلا الكلب . قال : وكيف ؟ قال : الكلب يتمعّك في الجيفة، ويتلطخ بدمها ، فاذا أراد ان يبول رفع رجله حتى لا يصيبه البول ، وانت حرام كلك ، وتسأل عن ثيابك . فاستعبر الملك باكياً ، ونزل من حينه عن دابته ، وتجرّد من ثيابه ، فرمى عليه بعض العامة من أهل الدين ثوباً ، وقال لأهل دولته : انظروا لأنفسكم فلست لكم بصاحب .

واقتفى أثر العـــابد ، فصعد معه الى العبادة بموضع عالٍ بقبلة تلمسان ، وأقام معه ثلاثة أيام. ثم أمره العابد بالاحتطاب، فجعل الملك يحتطب ويبيع بسوق تلمسان ، ويأكل ويتصدّق بالفضل ، وكان الناس اذا أتوا الى العــابد يسألونه الدعاء فيقول : سلوا يحيى في الدعاء ، فانه خرج عن قدرة. ويقال: ان ذلك العــابد كان ابا عبد الله التنوسي . وقفت انا على قبريهما وقبر الشيخ ابي مدين بالعباد بظاهر تلمسان .

روينا من حديث احمد بن حنبل، عن اسباط بن محمد، ثنا هشام بن سعد، عن عبد الله بن عباس قال : كان للعباس ميزاب على طريق عمر ، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة ، وكان إذ ذاك خليفة ، وكان ذُبح للعباس فرخان ، فلمـــا وافى الميزاب صبّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمر ، فأمر بقلعه ، ثم رجع ، فطرح ثيابه ، ولبس ثياباً غير ثيابه ، ثم جاء فصلّى بالناس ، فأتاه العباس فقال : والله انه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ، فقــال عمر للعباس : فأنا اعزم عليك لمـــا صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ، ففعل ذلك العباس .

وروينا من مواعظ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، انه ذكّر النــاس يوماً في خلافته فقال : انكم مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً، ومضمّنون أجداثاً ، وكائنون رفاتاً ، ومبعوثون أفراداً ، ومدينون حساباً . فرحم الله عبداً اقترف فاعترف ، ووجل فعمل ، وحاذر فبادر ، وعمر فاعتبر، وحذر فازدجر ، وراجع فتــاب ، واقتدى فاحتذى ، فتأهّب للمَعاد ، واستظهر بالزاد ليوم رحيله ، ووجه سبيله ، وحال حاجته ، وموطن فاقته ، فقــدم امامه لدار مقــــامه . فمهّدوا لأنفسكم في سلامة الأبدان ، فهل ينتظر أهل غضارة الشباب إلا خوافي الهرم ؟ وأهـل بضاضة الصحة إلا نوازل السقم ؟

وأهل مدة البقـاء إلا مفاجآت الفجـا ، واقتراب الفوت ، ونزول الموت ، وخفر الأنين ، ورشح الجبين ، وامتـــداد العرنين ، وألم المضض ، وغصص الحرض ؟ فاتقوا الله تقية من شمر تجريداً ، وجدّ تشميراً ، وانكمش في مهل، وأشفق في وجل ، ونظر في كره الموئل ، وعاقبـة المصير ، ومغبة المرجع ، فكفى بالله منتقماً ونصيراً ، وكفى بالجنة ثواباً ونوالاً ، وكفى بالنار عقاباً ونـكالاً ، وكفى بكتاب الله حجيماً وخصيماً .

ومما وعظ به كعب الاحبار عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

مـــا رويناه من حديث احمد بن حنبل ، ثنا بهر بن اسد ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنـــا علي بن زيد ، عن مطرف ، عن كعب ، قال : قال عمر بن الخطاب وأنا عنـده : يا كعب خوّفنا ، قلت : يا امـير المؤمنين أليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله ؟ قال : بلى ، ولكن خوّفنا ، فقلت : يا امير المؤمنين اعمل عمل وجل، لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدريت عملك مما ترى . فأطرق عمر ملياً ، ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب ، قلت : يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ، ورجلٌ بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرّها . فأطرق عمر ملياً ، ثم أفاق فقـال : زدنا يا كعب ، قلت : ان جهنم لتزفر يوم القيـــامة زفرة لا يبقى ملكٌ مقرّب ، ولا نبي مصطفى إلا خرّ جاثيـاً على ركبتيه ، ويقول : رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي . فأطرق عمر ملياً ، فقلت : يا امير المؤمنين أوليس تجدون هذا في كتاب الله عز وجل ؟ قال : كيف ؟ قلت : يقول الله تعالى : « يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها » .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا ، حدثني القاسم بن هاشم ، قال : نبـأ

ابو اليمان قال : نبـــأ صفوان بن عمرو ، عن ابي اليمان ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب : ما تخاف علينا يا ابا اسحاق ؟ قال : يا امير المؤمنين إن في السماء ديّاناً ، وإن في الأرض ديّاناً ، فويل لديّان الارض من ديّان السماء إلا من دان نفسه لله عز وجل ، إنك تأمر ولا تؤمر ، وإنك بين الناس ، وبين ربك ، وليس بينك ، وبين الله احد . فقال له عمر : انشدك بالله كيف تجدني ؟ اخليفة أم ملكاً ؟ قال : بل خليفة ، قـال : فاستحلفه عمر ، فحلف له كعب ، وقـــال : خليفة والله من خير الخلفاء ، وزمانك خير زمان .

موعظة اعرابي للرشيد بمكة :

ذكر ابو الفرج في كتاب مثير الغرام الساكن لـه ، ان الرشيد حـجّ في بعض السنين ، فبينما هو يطوف بالبيت عرض له اعرابي فأنشده :

عشْ ما بدا لك كم تراك تعيش ... أتظنّ سهم الحادثات يَطيشُ
عشْ كيف شئت لتأتيك وقفة ... يوماً وليس على جناحكَ ريشُ

قال : فوقف الرشيد فاستعاده الشعر ، ثم بكى حتى بل وجهه ، وأمر له بخمسين الف درهم .

روينا من حديث الهاشميّ قال : قال رسول الله ﷺ : تكون امتي في الدنيا على ثلاثة اطباق :

أما الطبق الاول : فلا يرغبون في جمع المال ، وادّخـاره ، ولا يسعون في اقتنائه ، واحتكاره ، إنما رضاهم من الدنيا ما سدّ جوعة ، وستر عورة، وغناهم فيها ما بلـّغ الآخرة ، فأولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وأما الطبق الثاني : فيحبّون جمع المـــال من اطيب سبيله ، وصرفه في احسن وجوهه ، يصلون به أرحامهم ، ويبرّون به اخوانهم ، ويواسون بـــه فقراءهم، ولعضّ احدهم على الرصف أسهل عليه من ان يكسب درهماً من غير حله ، وأن يضعه في غير وجهه ، وأن يمنعه من حقه ، وأن يكون له خازناً الى حين موته ، فأولئك الذين أن نوقشوا عذبوا ، وأن عفي عنهم سلموا .

وأما الطبق الثالث : فيحبون جمع المال مما حل وحرم ، ومنعه مما افترض او وجب ، ان انفقوه انفقوه إسرافاً وبداراً ، وأن امسكوه امسكوه بخلاً واحتكاراً ، أولئك الذين ملكت الدنيـا ازمّة قلوبهم حتى أوردتهم النـار بذنوبهم .

كان عليّ بن عبدالله بن العباس عند عبد الملك بن مروان، فأخذ عبدالملك يذكر ايام بني أمية ، فبينما هو كذلك إذ نادى المنادي بالآذان ، فقـــال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فقال علي رضي الله عنه :

هذي المكارمُ لا قعبانُ من لبن   شيباً بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

فقال عبد الملك بن مروان : الحق في هذا بيّن من ان يكابر .

ومن هذا الباب :

ما ذكره علي بن محمد النديم قال: دخلت على المتوكل وعنده الرضا، فقال: يا علي من أشعر الناس في زماننا ؟ قلت : البحتري ، قال : وبعده ؟ قلت : مروان بن ابي حفصة عبدك ، والتفت إلي الرضا فقال : يا ابن عمّ من اشعر

الناس ؟ قال : علي بن محمد العلوي ، قال : ومـــا تحفظ من شعره ؟ قال : قوله هـ :

لقد فاخرتنا من قريشٍ عصابة | بمطّ خدود وامتداد أصابـع
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا | عليهم بمـا تهوى نداء الصوامع

قال المتوكل : مـا معنى نداء الصوامع ؟ قال : الشهادة . قال : وأبيك انه أشعرُ الناس .

ومن قوله هـ :

بلغنـــا السماء بأنسابنـــا | ولولا السماء لجـــزنا السماء
وحسبك من سؤدد أننا | بحسن البلاء كشفنا البلاء
يطيبُ الثناء لآبائنـــــا | وذكرُ عليّ يطيب الثناء
إذا ذكر الناسُ كنا ملوكاً | وكانوا عبيداً وكانوا اماء
هجاني رجالٌ ولم أهجهم | أبى الله لي أن أقول الهجاء

ومن باب قوله تعالى : « أن اكرمكم عند الله اتقاكم » :

ما رويناه عن رسول الله ﷺ ، عن ربـه تعالى ، قال : يقول الله جلّ ذكره يوم القيمة : « اليوم أضع نسبكم ، وأرفعُ نسبي » أين المتقون ؟

روينا من حديث ابن عباس قال : الناس يتفاضلون في الدنيا، في الشرف، والبيوت ، والإمارات ، والغنى ، والجمال ، والهيبة ، والنطق . ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى ، واليقين ، واتقاهم أحسنهم يقيناً ، وأزكاهم عمـــلا ، وأرفعهم درجة .

لبعضهم شعر :

يزين الفتى في الناس صحة عقله　　وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
وشينُ الفتى في الناس قلة عقله　　وإن كرُمت آباؤه ومناسبه

قيل لعامر بن قيس : ما تقول في الانسان ؟ قال : ومـا أقول فيمن إن جاع صغى ، وإن شبع طغى ؟ قـال الحكيم : اخوان من أب واحد ، وأم واحدة ، الواحد عاقل فساد بين الناس بعقله ، فكان له الشرفُ والسؤدد ، والآخر لا عقل له ، فلم يرفع نسبه به رأساً له ، فيقول له اخوه :

ابوك أبي والجدّ لا شكّ واحدٌ　　ولكننا عودان آسٌ وخروّعُ

وأحسن ما قيل مما يليق بهذا الباب :

إن الفتى من يقول ها أنا ذا　　ليس الفتى من يقول كان أبي

وقول الآخر :

وما ينفع الأصل من هاشمٍ　　إذا كانت النفس من باهله

روينا عن رسول الله ﷺ إنـــه أتاه أعرابي فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من اكرم الناس حسباً ؟ قال : أحسنهم خلقاً ، وأفضلهم تقوى. فانصرف الاعرابي فقال : ردّوه ، فقال : يا أعرابي لعل أردت اكرم الناس نسباً ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قـــال : يوسف صديق الله ابن يعقوب ، إسرائيل الله ابن اسحاق ، ذبيح الله ابن ابراهيم خليـــل الله ، فأين مثـل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ؟ ما كان مثلهم ولا يكون .

وفي ذلك يقول الشاعر :

ولم أرَ كالاسباط ابناء واحد　　ولا كأبيهم والداً حين ينسبُ

فمن الشرف والسؤدد الحلم ، وبه ساد الأحنف بن قيس .

ومنها الوفاء وبه ساد السموءل .

ومنها الرأي وبه ساد الحصين بن المنذر .

ومنها التحبّب الى الناس عامة وخاصة وبه ساد مالك بن مسمع .

ومنها الجود والكرم وبه ساد حاتم ، ومعن بن زائدة .

ومنها حب المساكين وبه ساد جعفر بن ابي طالب .

ومنها العطف على الارامل وبه ساد سويد بن متحوف .

ومن مكارم الاخلاق :

ما حدثه الفتح بن خاقان ، عن المتوكل قال : خرج المتوكل الى دمشق وأنا عديله ، فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار ، فانتهى ذلك اليه ، فوجّه قائداً من وجوه قوّاده اليهم ، فحاصرهم ، فلما قربنا من القوم إذا نحن بجارية ذات جمال وهيبة وهي تقول :

امير المؤمنين سما الينا ... سُموّ الليث مال به الغريفُ
فإن نسلم فعفو الله نرجو ... وأن نقتل فقاتلنا شريف

فقال لها المتوكل : أحسنت ، ما جزاؤها يا فتح ؟ قلت : العفو ، والصلة يا امير المؤمنين ، فأمر لها بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : مري الى قومك، وقولي لهم ، لا تردوا المال على التجار ، فإني أعوّضهم .

حكمة بالغة :

قال عبد الملك بن مروان لسالم بن يزيد الفهمي : أي الزمان أدركت

افضل ؟ وأي ملوكه أكمل ؟ قال : اما الملوك فلم أرَ إلا ذامّاً ، وحامداً ، وأما الزمان فرفع أقوام ، ووضع آخرين ، وكلهم يذم زمانه ، لأنــه يبلي جديدهم ، ويهرم صغيرهم ، وكل مـا فيه منقطع إلا الامل ، قال : فأخبرني عن فهم ، قال : هم كما قال الشاعر :

درج الليل والنهار على فهـ | م بن عمْرٍ فأصبحوا كالرميمِ
وخلت دارهم فأضحت نعاماً | بعـــد عزٍّ وثروةٍ ونعيم
وكذاك الزمان يذهب بالنا | سِ وتبقى ديارهم كالرُّسوم

قال : فمن يقول منكم ؟

رأيت الناس مذ خلقوا وكانوا | يحبون الغنيّ من الرجـالِ
وان كان الغني أقـل خيراً | بخيـــلاً بالقليل من النوال
فلم أدري علامَ وفيمَ هـذا | وماذا يرتجون من المُحـــال
أللدينا فليس هنـاك دنيـا | ولا يرجى لحادثـــة الليالي

قال : انا وقد كتمتها .

وروينا من حديث ابن ودعان ، عن ابي سعيد الآملي ، عن السيرافي ، عن ابي سعيد ، عن هبة الله بن عاصم ، عن محمد بن عبيد الله الخزاعي ، عن حماد بن سلمة ، عن ابي هارون ، عن ابي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل يعظه : ارغب فيما عنـد الله يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي النـــاس يحبك الناس ، الزاهد في الدنيا يربح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة ، وان الراغب يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة . ليجيئن أقوام يوم القيامة لهم حسنات كأمثال الجبال، فيؤمر بهم الى النار، فقيل: يا رسول

الله أو يُصلّون كانوا ؟ قال : كانوا يصلون ، ويصومون ، ويأخذون وهناً من الليل ، لكنهم كانوا اذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه .

وروينا من حديثه ايضاً ، عن محمد بن علي ، عن ابراهيم بن محمد ، عن عبيد الله بن جرير ، عن معاذ بن أسد ، عن ابن المبارك ، عن اسماعيل بن عياش ، عن يحيى الطويل ، عن نافع بن عمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أيها الناس ان هذه الدار دار التواء لا دار استواء ، ومنزلة ترح لا منزلة فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، ألا وان الله خلق الدنيا دار بلوى ، والآخرة دار عقبى ، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليعطي ، ويبتلي ليجزي ، وانها لسريعة الذهاب، وشبكة الانقلاب. فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها ، واهجروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها ، ولا تسعوا في غمرات دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها، فتكونوا لسخطه متعرضين ، ولعقوبته مستحقين .

ولما أتى علي رضي الله عنه العراق دخل المدائن ، فنظر الى إيوان كسرى معتبراً ، فجعل يبكي ، فقام اليه بعض الحاضرين فقال: يا امير المؤمنين أتحب أن اسمعك قول الاسود بن يعفر ؟ فقال : ان شئت ، وعلي يتلو قوله تعالى : «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية» قال : وأي آية ؟ ما أعظمها، ثم قال : يا هذا ما قال الأسود ؟ فقال :

ماذا يؤمّل بعد آل محرّقٍ ... تركوا منازلهم وبعد ايادِ
ارض الخورنق والسدير وبارقٍ ... والقصر ذو الشرفات من سنداد
نزلوا بأنفرة تسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من أطواد

ارض تخيّرها لطيب نسيمها كعب بن مامة وابن ام دُواد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعـاد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير الى بلى ونفاد

فقال علي رضي الله عنه: يا هذا أبلغ من ذلك قول الله تعالى: « كم تركوا من جناتٍ وعيون وزروع ومقامٍ كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين » .

سمعت محمد بن ابي محمد الكتاني ينشد يوماً أبياتاً فأثر بي سماعها وهي :

لو جرى دمعك يا هذا دماً ما تقدمت الينـــا قدما
انمـــا يصفو هواناً لامرءٍ حفظ العهـد وراعى الذمما
كيف يخفى لك أمرٌ بعدما نشر العُذر عليـــه علما
عنـــدنا منك امور كُلها حيرة فيها لدينـــا وعما
وأرى داءك داءً معضلاً أبـــداً تزداد فيه سقما
كم حمينـــاك فلم تبق لنـــا وتعدّيت ووافيت الحمى
نحْ علينا أسفاً او لا تنُحْ واقرع السنّ علينـا ندما
لو أردناك لنـــا ما فتّنا أو وصلنا حبلنا ما انصرما
ما رأينـــا منصفاً عامله منصف في صُفقة فاختصما
انتَ لو سالمتَنا نلتَ المُنى قلّ مَنْ سالمَ إلا سَلِمـا

كان ثوبة صاحب ليلى الاخيَلية قد قال :

ولو أن ليلى الاخيلية سلـّمَت عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة اوزقي اليها صدىً من جانب القبر صائح
ولو أن ليلى في السماء لأصعدت بطرفي الى ليلى العُيون اللوامح

فيقال : انه لما مات ثوبة مرّ زوج ليلى بليلى على قبره ، فقال لها : سلمي على ثوبة ، فانه زعم في شعره انه يسلّم عليك تسليم البشاشة ، فقالت : ما تريد الى مَن بليَت عظامه ؟ قال : والله لتفعلي ، فقالت وهي على البعير : سلامٌ عليك يا ثوبة فتى الفتيان . وكان قطاة مستظلة في نقب القبر ، فلما سمعَت الصوت طارت فصاحت ، فنفر البعير ورمى بليلى ، فماتت ودُفنت بجنب قبره .

ويحكى ان ليلى الأخيلية دخلت على الحجاج فأنشدته قولها فيه :

اذا نزل الحجّاج أرضاً سقيمةً ... تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العُضال الذي بها ... غلامٌ اذا هزّ القناة ثناها
أحجّاج لا تعطي العُصاة مُناهمُ ... ولا الله لا يعطي العصاة مُناها

فوصلها الحجاج بألف دينار ، وسألها الحجاج : هل كان بينك وبين ثوبة ريبة قطّ ؟ قالت : لا والذي أسأله صلاحك ، إلا انه قال مرة لي قولاً ، ظننتُ انه خنع لبعض شيء ، فقلت له شعراً :

وذي حاجة قلنا له لا تبحْ بها ... فليس اليها ما حييتُ سبيلُ
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه ... وانت لأخرى فازع وحليل

قالت : فما كلّمني بعد ذلك بشيء حتى فرّق بيني وبينه الموت . قال الحجاج : فما كان من بعد ذلك ؟ قالت : لم يلبث أن قال لصاحب له : اذا أتيتَ الحاضر من بني عباد فقل بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أبيتنّ ليلةً ... من الدهر لا يسري الينا خيالها

فلما سمعت الصوت خرجت فقالت :

وعنه عفا ربّي فأصلح حاله ... يعزّ علينا حالة لا ينالها

ومن الكلام الأشد في وصف الأسد :

ما حدثناه بعض الأدباء قال : دخل ابو زبيد الطائي على عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافته ، وكان نصرانياً ، فقال له : بلغني انك تجيد وصف الأسد ، فقال له : لقد رأيت منه منظراً ، وشهدت منه مخبراً ، لا يزال ذكره يتجدد على قلبي. قال : هاتِ ما مرّ على رأسك منه، فقال : خرجت يا امير المؤمنين في صبية من أفناء قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهاري بأكسائها القيروانية ، ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عناق الخيل، نريد الحارث بن ابي شمر الغساني ملك الشام ، فاخروط بنا المسير في حمارة القيظ ، حتى اذا عصبت الأفواه ، وذبلت الشفاه ، وسالت المياه ، وأذكت الجو المعر [1] ، وذاب الصخر الجندب ، وضاف العصفور الضبّ في وجاره ، قال قائلنا : ايها الركب غوروا بنا في ضوح هذا الوادي ، واذا واد كثير الدّغل ، دائم الغلل ، شجراؤه مغنة ، وأطياره مرنة . فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبَلات[2] متهدلات، فاصبنا من فضلات المزاود، وأتبعناها بالماء البارد ، فإنا لنصف حرّ يومنا ، ومماطلته ومطاولته ، اذ صرّ أقصى الخيل أذنيه ، وفحص الارض بيديه ، ثم ما لبث ان جال فحمحم ، وبال فهمهم ، ثم فعل الذي يليه واحد فواحد ، فتضعضعت الخيل ، وتكعكعت الإبل ، وتقهقرت البغال ، فمن نافر بشكاله ، وناهض بعقاله ، فعلمنا أن قد أتينا ، وانه السبع لا شك ، ففزع كل امرىءٍ اليه بسيفه ، واستلّ من جربانه ، ثم وقفنا له زردقاً ، فأقبل يتطلع في مشيته كأنه مجنون ، او في هجار ، لصدره نخيط ، ولبلاعيمه غطيط ، ولطرفه وميض ، ولأرساغه

(١) المعر ككتف .

(٢) نهبل كجعفر .

نقيض ، كأنمـــا يخبط هشيماً ، او يطأ صريماً ، واذا هامة كالمجنّ ، وخدّ كالمسَنّ ، وعينان شجراوان ، كأنهما تقدان ، وقصرة [١] ربلة ، ولهزمة رَهلة ، وكيد مغتبط ، وزور مفرط ، وساعد مجدول ، وعضد مفتول ، وكفّ شبيه المراثن الى مخالب كالمحاجن .

ثم ضرب بذنبه الارض فأرهج ، وكشر فأفرج عن أنيـــاب كالمعاول ، مصقولة غير مغلولة ، وفم أشدق كالغار الاخرق ، ثم تمطأ فأسرع بيديـــه ، وحفز وركيه برجليه ، حتى صار ظله مثليه . ثم أقعا فاقشعر ، ثم مثل فاكفهرّ ، ثم تجهّم فازبأرّ . فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزارة ، كان ضخم الجزارة ، فوهصه ، ثم أقعصه ، فقضقض متنه ، وبقر بطنه ، فجعل يألغ في دمه ، فدمرت أصحابي فبعد رأي ما ، استقدموا ، فكرّ مقشعراً لزئيرة كان بهـــا سهماً حولياً ، فاختلج من دوني رجلاً ذا حواباً ، فنفضه نفضة ، فتزايلت أوصاله ، وانقطعت أوداجه ، ثم نهض فقرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه ، فأرعشت الايدي ، واصطكت الارجل ، واطت الاضلاع ، وارتجت الاسماع ، وجمحت العيون ، وانخزلت المتون ، ولحقت البطون بالظهور ، وساءت الظنون ، وأنشأ يقول :

عبوس شموس مصلخدّ خباسرٌ   جريء على الارواح للقرن قاهرُ
منيعٌ ويحمي كل وادٍ يرومه   شديد اصول الماضغين مكابر
برايته شثن وعيناه في الدجى   لجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر
يدل بأنيــاب حدادٍ كأنها   اذا قلص الأشداق عنها خناجر

(١) في الاصل : قطعة الحديد .

فقـــال له عثمان رضي الله عنه : اكفف لا أم لك ، فلقد ارعبت قلوب المسلمين ، ولقد وصفته حتى كأنني انظر اليه يريد يواثبني .

مثل سائر :

هو أجبن من هجرس ، وهو القرد ، وذلك انه لا ينام الليل إلا وفي يده حجر مخافة ان يأكله الذئب .

قال قتيبة بن مسلم : لا تطلبوا الحوائج من كذوب ، فإنه يقرّبهـا وان كانت بعيدة ، ويبعدها وان كانت قريبة ، ولا الى رجل قـــد جعل المسألة مأكله ، فإنه يقدّم حاجته قبلها ، ويجعل حاجتك وقاية لها ، ولا الى احمق فإنه يريد نفعك فيضرّك .

قال بعضهم : لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة بذلك ، فكيف وفيه المأثم والعار ؟

مكتوب في الحكمة :

عند التراخي عن شكر المنعم يحلّ عظيم النقم .

وقيل لذي الرمة : لِمَ خصصت بلال بن ابي بردة بمدحك ؟ قـال : لأنه وطّأ مضجعي ، وأكرَم مجلسي ، وأحسَن صلتي ، فحق لكثير معروفـــه عندي ان يستولي على شكري .

وروينا من حديث عائشة أم المؤمنين قالت : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول : يا عائشة ما فعل نبيّك ؟ فأنشده :

نجزيك أو نثني عليك وإن مَنْ   أثنى عليك لما فعلتَ كمن جزا

فيقول ﷺ : صدق القائل يا عائشة ، إن الله اذا أجرى على يـد رجل خيراً فلم يشكر فليس لله بشاكر .

قـال الهيثم بن حسن بن عمارة : كان سراقة البارقي من أظرف النـاس ، وكان من اهل الكوفة ، فأسره رجل من اصحاب المختار ، وكان يومي الى انه نبيّ ، وعرف ذلك منه ، فأتى بسراقة اليه ، فقـال له المختار : أسرك هذا ؟ فقال سراقة : كذب والله ما أسرَني إلا رجل عليه ثيـاب بيض على فرس أبلق ، فقال المختار : اما ان الرجل قـد عاين الملك ، خلوا سبيله . فلما أفلتَ أنشأ يقول :

ألا بلـّـغ أبا اسحق اني رأيتُ البلق دُهماً مضمناتِ
أري عينيَّ مـا لم تورَياه كلانا عـالمٌ بالترهـاتِ
كفرت بوحيكم وجعلت نذراً عليَّ قتـالكم حتى المماتِ

قيل وما عبّر عن شيء ، فهو افضل منه ، انتهى .

كتاب رسول الله ﷺ الى قيصر ملك الروم وما كان منه في ذلك :

روينا من حديث الحافظ ابي نعيم ، قال : حدثنا محمد بن احمد بن الحسن ابو عمر، نبأ الحسن بن الجهم، نبأ الحسين بن الفرَج، نبأ محمد بن عمر الواقدي، حدثني مالك بن ابي الرجـال ، عن عمر بن عبد الله ، عن محمـد بن كعب القرظيّ ، قال : بعث رسول الله ﷺ دحيّة الكلبيّ الى قيصر ، وكتب اليه معه ، فلقيه دحية بحمص ، وقيصر ماشٍ من قسطنطينية ، فلما لقيه قال له من قومه كلب : اذا لقيته فاسجد لـه ، ثم لا ترفع رأسك حتى يأذن لك . قال دحية : لا افعل هذا ابداً ، ولا اسجد لغير الله . قال : فإذاً لا يأخذ

كتابك ، ولا يردّ جوابك . قال : وإن لم يأخذ . قال رجل من القوم : أدلك على أمر يأخذ فيه كتابك ، ولا يكلفك السجود فيه . قال دحية : وما هو؟ قال له : على كل عقبة منبر يجلس عليه فضع صحيفتك وجاه المنبر، فانه لا أحد يحرّكها حتى يأخذها هو ، ثم يدعو صاحبها . قال : أما هذا فسأفعله ، فعمد الى منبر من تلك المنابر التي يستريح عليها ، فألقى الصحيفة ، وجاه المنبر ، ثم تنحّى فجلس قريباً ، فجاء قيصر فجلس على المنبر ، ثم نظر الى الصحيفة ، فدعا بها ، فاذا عنوانها : كتاب عربي . فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ، فاذا فيه : من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم . فغضب أخ لقيصر يسمى نياق ، فضرب الترجمان في صدره ضربة شديدة أجلسته على استه ، ثم نزعها منه ، فقال : ما شأنك اختلست الصحيفة ؟ قال : تنظر في كتاب رجل بدا فيه بنفسه قبلك ؟ قال قيصر لنياق : انك والله ما علمت انك أحمق صغير ، او مجنون كبير ، أتريد ان تخرق كتاب رجل قبل ان أنظر فيه ؟ فلعمري ان كان رسول الله كما يقول ، فنفسه أحق ان يبدأ بها مني ، وان كان سماني صاحب الروم لقد صدق ، وما أنا إلا صاحبهم ، وما أملكهم ، ولكن الله سخرهم لي ، ولو شاء لسلّطهم عليّ كما سلّط فارس على كسرى فقتلوه .

ثم فتح الصحيفة فاذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : « يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون » في آيات من كتاب الله تعالى يدعوه الى الله ، ويزهّده في ملكه ، ويرغبه فيما رغبه الله عنه من دار الآخرة ، ويحذره بطش الله وبأسه .

فقرأ قيصر الكتاب فقال : يا معشر الروم اني لأظنّ ان هذا الذي بشّر به عيسى بن مريم عليه السلام،ولو أعلم انه هو لمشيت اليه حتى أخدمه بنفسي لا يسقط وضوءه إلا على يديّ . قالوا : ما كان الله ليجعل ذلك في العرب الأميين ، ويدعنا ونحن اهل الكتاب . قال : فاصل الهدى بيني وبينكم ، عندي الانجيل ، ندعو به ، فنفتحه ، فان كان هو اتبعناه ، وإلا أعدنا عليه خواتيمه كما كانت ، انما هي خواتم مكان خواتم . قال : وعلى الانجيل يومئذ اثنا عشر خاتماً من ذهب ، ختم عليه هرقل ، فكان كل ملك يليه بعده ظاهر عليه بخاتم آخر ، حتى ألفى ملك قيصر وعليه اثنا عشر خاتماً بخبر أولهم آخرهم : انه لا يحلّ لهم ان يفتحوا الانجيل في دينهم ، وأنه يوم يفتح يغيّر دينهم ، ويهلك ملكهم ، فدعا بالانجيل ، ففضّ عنه احد عشر خاتماً حتى اذا بقي عليه خاتم واحد قامت الشمامسة ، والاساقفة ، والبطارقة ، فشقوا ثيابهم، وصكّوا وجوههم ، ونتفوا رؤوسهم . قال : ما لكم ؟ قالوا: اليوم يهلك ملك ابيك ، ويتغير دين قومك . قال : فاصل الهدى ، قالوا : لا تعجل حتى نسأل عن هذا ، ونكاتبه ، وتنظر في امره ، فانك قادر ان شاء الله تعالى على ان تفضّ هذا الخاتم ، فتنظر فيه ما تريد ، وانك لا تقدر ان انفتق عليك ما تكره ان تردّه بعد فتقه . قال : فمن نسأل عنه ؟ قالوا: نسأل قوماً كثيراً بالشام . فأرسل يبتغي قوماً يسألهم قال : فجمع له ابو سفيان بن حرب وأصحابه ، فجاء قوم كلهم لله ولرسوله عليه السلام عدو ، فقال : اخبرني يا أبا سفيان من هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فلم يأل ان يصغّر أمره ما استطاع ، قال : أيها الملك لا يكبر عليك شأنه ، إنا لنقول هو ساحر ، ونقول هو شاعر ، ونقول هو كاهن . قال قيصر: كذلك والذي نفسي بيده كان يقال للأنبياء قبله ، أخبرني موضعه فيكم . قال : أوسطنا سطةً ، قال : كذلك يبعث الله كل نبي من أوسط قومه ، قال :

أخبرني عن أصحابه ، قال : غلماننا وأحداثنا سناً ، والسفهاء ، أما رؤساؤنا فلم يتبعه منهم احد . قال : اولئك والله أتباع الرسل منذ قط [1] ، أما الملأ والرؤوس فتأخذهم الحمية ، قال : فأخبرني عن اصحابه هل يفارقونه بعد ما يدخلون في دينه سخطة" له ؟ قال : ما يفارقه منهم احد ، قال : فلا يزال داخل منكم في دينه ؟ قـــال : نعم ، قال : ما تزيدونني عليه إلا بصيرة ، والذي نفسي بيده ليوشكن ان يغلب على ما تحت قدمي .

يا معشر الروم : هل الى ان نجيب هذا الرجل الى ما دعانا اليه ؟ ونسأله الشام ان لا توطأ علينا ابداً، فانه لم يكتب قطّ نبي من الانبياء الى ملك من الملوك يدعوه الى الله تعالى فيجيبه الى ما دعـاه . ثم يسأله غيرها فيسأله إلا أعطاه مسألته ما كانت ، فأطيعوني . فلنجبه الى ما دعانا اليه، ونسأله الشام ان لا توطأ. قالوا : لا نطاوعك في هذا ابداً ، أتكتب اليه تسأله في ملكك الذي تحت رجليك، وهو هنالك لا يملك من ذلك شيئاً ، فمن أضعف منك ؟ قال ابو سفيان: والله ما يمنعني من ان أقول قولاً أسقط من عينه إلا اني أكره ان أكذب عنده كذبة يأخذها عليّ فلا يصدّقني في شيء، قال : حتى ذكرت قوله ليلة أسريَ به ، قال : قلت ايها الملك ألا اخبرك عنه خبراً تعلم انه قد كذب ؟ قال : وما هو ؟ قال : يزعم لنا انه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح . قال : وبطريقُ إيلياء عند رأس قيصر ، فقال بطريق ايلياء : قد علمت تلك الليلة . قال : فنظر قيصر اليه وقال : وما علمك بهذا ؟ قال : اني كنت لا أنام ليلة ابداً حتى أغلق ابواب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقتُ الابواب

---

(١) أي الدهر هـ .

كلها غير باب واحد غلبني، فاستعنتُ عليه عمالي ومَن حضرني كلهم، فعالجته فلم نستطع ان نحرّكه كأنما نزول به جبلاً ، فدعوت النجاجرة، فنظروا اليه فقالوا : هذا باب سقط عليه النجاف ، والبنيان ، والاسطوانة، ولا نستطيع ان نحرّكه حتى نصبح فننظر من أين أتى . قال : فرجعتُ وتركت البابين مفتوحين، فلما اصبحتُ غدَوْتُ عليهما ، فاذا الحجر الذي من زاوية المسجد مثقوب ، واذا فيه اثر مربط الدابة . قال : فقلت لأصحابي : ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلّى الليلة في مسجدنا .

فقال قيصر لقومه : يا معشر الروم ، أليس تعلمون ان بين عيسى وبين الساعة نبياً بشّركم بـه عيسى كنتم ترجون ان يجعله الله منكم ؟ قالوا : نعم . قال : فان الله قـد جعله في غيركم في أقلّ منكم عدداً ، وأضيق منكم باباً ، وهي رحمة الله يضعها حيث يشاء ، فإما ان تطيعوني فيما آمركم به، وإلا رأيتم الخيـل دوابين ، نواصيها بين أظهركم ، فيُقتل الرجال ، ويُستباح المال ، وتُسبى العيال . قالوا : نصبر له عشر سنين ؟ قال : نعم ، وعشرين سنة . قالوا : نصبر عشرين سنة ؟ قال : نعم ، وثلاثين . قالوا نصبر ثلاثين ؟ قال: نعم ، واربعين . قالوا : نصبر اربعين ؟ قال : نعم ، وخمسين حتى بلغ رأس المائة يزيد عشراً عشراً ، فلما بلغ رأس المائة قالوا : ألك علم بهم ؟ كيف هم بعد المائة ؟ قال: هم بعد المائة كالدينار المضروب ثلثه هِبرِزيّ[1] خالص، وثلثه مغشوش ، وثلثه لا خير فيه . قال : ثم قال قيصر : ارجعوا عني هذا اليوم حتى أفكّر في أمري وأدبّره ، ثم اغدوا عليّ بالغداة أجمعكم . قال : فغدوا عليه حين اصبح وأشرف لهم على بيت مرتفع ، فقال: يا معشر الروم،

---

(١) بالكسر الذهب الخالص : قاموس .

ان هذا النبي الذي بشّر به عيسى بن مريم ، فأجيبوه الى ما دعا اليه . فلما رأى إلغاطهم وإباءهم صمتَ عنهم حتى سكن عنه الصوت، ثم قال : يا معشر الروم ، دعاكم ملككم ينظر كيف صلابتكم في دينكم ، فشتمتموه وسببتموه وهو بين أظهركم . قال : فخرُّوا له سُجَّداً .

غريبٌ دعاه حبيبٌ فأجابه :

حدثنا محمد بن اسمعيل ، نبأ عبد الرحمن بن علي، نبأ محمد بن ابي منصور، نبأ ابو عبد الله الحميدي ، انا الاردستاني ، نبأ ابو عبد الرحمن السلمي ، سمعت ابا الحسن بن عبد الله الطوسي، سمعت علّوس الدينوري يقول : سمعت المزني يقول : كنت مجاوراً بمكة فخطر لي خاطر في الخروج الى المدينة، فخرجت، فبينما انا بين المسجدين أمشي فاذا انا بشابّ مطروح الى جانب جبل عليه خرقتان وهو ينزع ، فقعدت عند رأسه فقلت: يا سيدي، قل لا إله إلا الله، ففتح عينيه ونظر إليّ ، وأنشد :

أنا إن متُّ فالهوى حَشوُ قلبي ... وبداءِ الهوى يموتُ الكرامُ

وشهق شهقة كانت فيها نفسه ، فكفّنته في اطماره ورجعت .

أنشدني ابو علي الغالي في الوطن :

أقول لصاحبي والعيسُ تَحدي ... بنا بين المنيفة والضمارِ
تزوّدْ من شميم عِرارِ نجدٍ ... فما بعد العشيّة من عِرار
ألا يا حبَّذا أرواحُ نجدٍ ... وريّا روضه غِبَّ القطار
وعيشك إذ يحلّ القوم نجداً ... وأنتَ على زمانك غير زار
شهورٌ تنقضين وما علمنا ... بإنصافٍ لهنّ ولا سرار

وأنشد ابو بكر الانباري في ذلك :

واستشرف الاعلامَ حتى يدلني ... على طيبها مرّ الرياح النواسمْ
وما انسم الأرواح إلا لأنهـا ... تمرُّ على تلك الربى والمعـــالم

وأنشد الشريف الرضي رحمه الله تعالى :

أقول وقد حلّت بذي الاثل ناقتي ... قرىً لا ينل منك الحنين المرجّعِ
تحنين إلا أن بي لا بـك الهوى ... ولي لا لك اليوم الخليط المودّعِ
وباتت تشكي تحت رحلي ضمانـة ... كلانا اذاً يا ناقُ نضوٌ مفجع
أحسّت بنار في ضلوعي فأصبحت ... يحثّ بهـا نار الغرام ويوضع

ومن وقائع بعض الفقراء :

ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزيّ رحمه الله قـــال : رأى بعض الفقراء ببجاية في الواقعة أبا حـــامد وجماعة من الصوفية يقولون للشيخ ابي مدين : اخبرنا عن شيء مما خصك به الحق من العلم ، فقـال لهم : بالعلم الباقي اضاء سري ، وحسُنت اخلاقي ، فعلم الله صفة ذاته ، فكل ما عرف منه سبحانه معروف ، والصفة لا تفارق الموصوف ، فما ثبت في الوجود منه فبإمداده ، وما فهموا عنه فبإرشاده ، فكل علم سواه بالاضافة اليه مذموم ، وإنما يشرف العلم بشرف المعلوم ، فانظر ما علمك وماذا ؟ فمن هناك تجازى وتنادى ، فخير العلم مـــا وصلك الى المعلوم ، وعند مشاهدة الحق تضمحل الرسوم ، ويتجلى إذ ذاك الحي القيوم ، فمن رقى عن المحسوسات نال الغيوب ، ومن قهقر عندهـــا فهو محجوب ، فالعارف ابداً يرقى ، ودقائق الاشارات واللطائف يتلقى ، ليس له التفـات الى ذيتٍ وذيت ، ولا يقنعُ من البيت

إلا برب البيت ، فهو ابــداً في التنزيه ، والمشاهدة ، يرفع عن الأغيار والمكايدة ، ملاحظ ذلك الجمال الأبدي ، متلذذ بمشاهدة الملك العليّ .

ثم قال الشيخ : مقامي مقام العبودية ، وعلومي العلوم الإلهية ، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية ، بها عمر فكري ، وهي غذاء لسرّي وجهري ، فعلمي بالله متصل ، وعن كل من سواه منفصل ، اتصاله بحضرة قدسه ، ومسرحه في رياض انسه ، فبالعلم بالله وذاته وصفاته نلتُ الجـاه ، ومعلومي هو الله ، عظمته ملأت حقيقتي وسرّي ، ونوره أضاء به برّي وبحري ، فمن أحيـاه فهو الحيّ ، ومن أماته عنه في ظلمة الغيّ اذ المقرب به عظيم ، ولا يسمو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب السليم هو الذي سلم ممـا سواه ، ولا يكون في الوعاء إلا ما جعل فيه مولاه ، فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شكّ ولا ارتياب ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرّ السحاب ، فالجبـال بقدرته سيّرها ، وبصنعه الجميل أتقنها ، فكلامه العزيز لصدور أوليائه شفا ، وهو سبحانه لشدة ظهوره خفا .

ومن محاسن المخاطبة :

ما قال عمارة بن حمزة لأبي العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله يا امير المؤمنين ، وبرّك ، فوالله لو أردنا شكرك على انعامك ليقصُرنّ شكرنا على نعمتك ، كما قصر الله بنا عن منزلتك .

ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد فقال : مالك ؟ فقال :

سوامي سوام المكثرين تجمّلا   ومالي كما قــد تعلمين قليلُ
وآمرة بالبخل قلت لها اقصري   فذلك شيء مـا اليه سبيل

وكيف أخاف الفقر او أحرم الغنى ورأي امير المؤمنين جميل
أرى الناس خلاّن الجواد ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليل

فقال الرشيد : والله هذا الشعر الذي صحّت معانيه ، وقويت اركانه ومبانيه ، ولذّ على افواه القائلين ، وأسماع السامعين، يا غلام احمل اليه خمسين الف درهم . قال اسحاق : يا امير المؤمنين كيف اقبل صلتك وقد مدحتَ شعري بأكثر مما مدحتك به ؟ قال الاصمعي : فعلمت انه أصيد للدراهم مني .

ودخل المأمون ذات يوم الديوان، فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال: من أنت ؟ قال: انا الناشيء في دولتك، المتقلب في نعمتك، المؤمّل لخدمتك، الحسن بن رجاء . فقال المأمون : بالاحسان في البديهة تتفاضل العقول ، يرفع عن مرتبة الديوان الى مرتبة الخاصة ، ويعطى مائة الف درهم تقوية له .

ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد ، وذكر أدبه وحسن معرفته ، فعمل على ضمّه الى المأمون ، فقال ليحيى يوماً: أُدخل يوماً عليّ هذا الغلام حتى انظر اليه فأوصله، فلما مثل بين يديه ووقف تحيّر ، وأراد الكلام ، فارتج عليه ، فأدركته كبوة ، فنظر الرشيد الى يحيى نظرةً منكرة ، لما كان تقدم به في حقه ، فانبعث الفضل بن سهل فقال : يا امير المؤمنين ان من أبين الدلالة على فراهة المملوك شدّة افراط هيبته لسيده ، فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذه انه لحسن، وإن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك لأحسن وأحسن . ثم جعل لا يسأله عن شيء إلا رآه فيه مقدماً ، فضمّه الى المأمون .

المزاح :

روينا من حديث الدينوري ، عن محمد بن المغيرة المازني ، عن خالد بن

عمرو ، عن الربيع بن صبح ، عن الحسن قال : المزاح يذهب بالمروءة .

وأنشد محمد بن المغيرة :

اخوك الذي أن سُؤتـَه قال أنني ... أسأت وإن عاتبته لان جانبه
فعش واحداً اوصل أخاك فإنه ... مفارق ذنبٍ مرّةً ومجانِبُه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربه

بالعدل يكثر الخراج وينمو المال :

روينا من حديث المالكي ، عن ابراهيم الحرّاني ، عن سليمان بن ابي شيخ ، عن صالح بن سليمان قــال : قال عمر بن عبد العزيز لو تجاءيت [1] الامم ، وجئنا بالحجاج ، لغلبناهم ، وما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة، لقد وُلّي العراق وهي أوفر ما تكون من العمارة ، فأخسَّ بها حتى صيّر خراجها اربعين الف الف ، وقد أدى اليَّ عاملي هذا منها ثمانين الف الف ، وإن بقيتُ الى قابل رجوتُ أن يؤدي اليّ ما أدّوا الى عمر بن الخطاب مائة الف الف .

وصية بمكارم الاخلاق ممن بلغت نفسه التراق :

روينا من حديث الدينوري ، عن ابي بكر بن ابي الدنيا ، عن زكريا بن يحيى ، نبأ عمر بن حصين ، عن جدّه حميد بن منهب ، عن جرثم قال : لمـا حضر ابي اوس بن جارثة الوفـــاة جمعنا فقال : يا بني اني قلتُ أبياتاً فاحفظوها عني :

---

(١) أي تغالبت : قاموس .

لنا خير اخلاق ونحنُ اعزّةٌ نعفُّ ونأبى أن نذمّ وننصبا
نجاور أكفانا وننزل بالرّبى ولأنك عن خير المشاهد غيّبا
ونجتنبُ الآفاتِ والأثم كله ونحمي حمانا رهبة أن نؤنبا
بذلك أوصانا أبينا وجدّنا وتحرمنا أحسابنا ان ننوّبا
فنحن مناجيبٌ لأكرم منجبٍ وجدّ أبينا كان من قبل منجبا
وما يبتغي فينا الجاور خيفـة وكلا ومن زار الصفا والمحصّبا

ومن حديثه ايضاً عن احمد بن محمد ، أنشدني اسمعيل بن زيد :

أحبّ الفتى ينفي الفواحش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطاً يداً ولا ضائقاً خيراً ولا قائلا هجرا
اذا ما أتت من صاحب لك زلـّة فكن أنت محتالاً لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سدّ فاقة فان زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

ومما لا بدّ منه ، ما قال النابغة هـ :

حسبُ الخليلين ان الارض بينهما هـذا عليها وهذا تحتها بالي

ومن باب من ُطرد فلزم حتى ُقبل :

أخبرني شيخ بالتنعيم ونحن محرمين نلبي فقال : جاور هنا شيخ سبعين سنة ما منها حجة يحجها او عمرة يعتمرها إلا يقال له عندما يقول : لبّيك ، لا لبيك ، ولا سعديك، فأحرم معه يوماً شاب فقال الشيخ : لبيك أللهم لبيك، فسمع الشاب قائلاً يقول له : لا لبيك ، فقـال له : يا عم قـد قيل لك : لا لبيك ، فبكى الشيخ ، فقال له : يا ولدي أسمعته ؟ قـال الشاب : نعم ، فقال له الشيخ : ان لي أسمعه سبعين سنة ، قـال له الشاب : ففيمَ تتعب ؟

قال : يا بني فإلى باب من ألزم؟ والى من أرجع ؟ انما لي اللزوم والجهد ، وله سبحانه القبول ان شاء ، او الردّ ، يا بني لا ينبغي ان يطرده هـذا عن باب مولاه ، ولا يحول بينه وبين خدمته . وبكى الشيخ حتى جرت دموعه على صدره ، ثم رفع صوته بالتلبية ، فسمع الشاب ذلك القائل يقول له : قـد قبلنا اجابتك ، وهكذا فعلنا بكل من حسَّن الظن بنـا ، مع الاجتهاد في خدمتنا ، ولزوم طاعتنا ، وإيثار ذكرنا على ذكر غيرنا ، لا من يتبع هواه، ويتمنى علينا الأماني. فقال الشاب: أما سمعت ما ردّ عليك ؟ قال : سمعت، وعلا نحيبه ، واشتدّ بكاؤه .

أخبرني عبد الرحمن ، عن عبد الله بن حبيب ، عن عبد الغفار بن محمد ، عن ابن ابي الصادق ، عن ابن باكويه ، عن الحسن بن احمد ، عن محمـد بن داود ، عن ابي عبد الله الجلّاء قال: كنت بذي الحليفة وشابّ يريد ان يحرم، فكان يقول : يا رب ، اريد ان أقول لبّيك اللهم لبّيك ، فأخشى ان تجيبني بلا لبّيك ، ولا سعديك . يردّد ذلك مراراً ، ثم قـال : لبيك اللهم ، مَدَّ بها صوته ، وخرجت روحه .

في شرف التواضع والعلم ميزان الخشية :

حدثنا ابو محمد بن عبد الله ، نبأ علي بن الحسن ، نبـأ عبد الله بن محمد بن احمد ، نبأ جدّي احمـد بن الحسين ، أنا ابو بكر بن الحسن القاضي ، أنا ابو جعفر احمد بن علي بن رحيم ، نبأ محمد بن الحسين بن ابي الحسن ، نبأ سعيد بن منصور ، نبأ الحارث بن عبيد الله الايادي ، ، عن ابي عمر بن الجوبي ، عـن انس قال : قال رسول الله ﷺ : بينما انا جالس إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بـين كتفيّ فقمتُ ، يعني الى شجرة فيها مثل وكري طائر ، فقعد

جبريل عليه السلام في احدهما ، وقعدتُ في الآخر ، فسمت وارتقت حتى سدّت الخافقين ، وأنا اقلبُ طرفي ، فلو شئتُ أن أمسّ السماء مسست .

وفي حديث ابن عطارد : فلو بسطت يديّ الى السماء لنلتها . ففتح بابٌ من ابواب السماء ، فرأيت النور الأعظم .

قال ابن عطارد : فدّلى بسبب ، وهبط النور، فوقع جبريل مغشياً عليه كأنه خلس ، فعرفت فضل خشيته على خشيتي .

وقال انس : فضل علمه بالله عليّ ، واذادوني حجاب ، رفرف الدرّ والياقوت .

قال ابن عطارد : فأوحى اليّ نبيّاً ملكاً ، او نبيّاً عبداً ، فأومأ اليّ جبريل وهو مضطجع ، أن تواضع ، قلتُ : لا بل نبيّاً عبداً .

وقال ابن عباس في حديثه : فما اكل بعد تلك الكلمة طعاماً ، متكئاً حتى لقي ربه . وخالفهما في المتن بل لم يذكر من الحديث إلا قصة التخيير ، فلعله هذا الحديث او غيره .

في قوله تعالى « كنتم خير امة » :

حدثنا ابو بكر السجستاني ، نبأ علي بن ابراهيم ، نبأ سعد الخير ، عن محمد بن محمد المطرّزي ، نبأ احمد بن عبد الله ، نبأ ابراهيم بن عبد الله بن اسحاق ، نبأ محمد بن اسحاق الثقفي، أنا قتيبة بن سعيد، نبأ رشيد بن سعد ، عن سعيد بن عبد الرحمن المغافري ، عن ابيه ، ان كعب الاحبار رأى حبر اليهود يبكي فقال : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت بعض الأمر، فقال له كعبٌ: أنشدك بالله لئن اخبرتك ما ابكاك لتصدقني ؟ قال : نعم ، قال أنشدك بالله

هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة ؟ فقال : يا رب إني اجد امـة في التوراة « خير امة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ويؤمنون بالكتاب الاول ، والكتاب الآخر ، ويقاتلون اهـل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال. قال : فقال موسى : رب اجعلهم امتي، قال : هم امة احمد يا موسى ، قال الحبر : نعم .

قال كعب : فأنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال : رب إني اجد امـــة هم الحمّادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا امراً ؟ قالوا : نفعله إن شاء الله فاجعلهم امتي ، قال : هم أمـة احمد يا موسى ، قال الحبرُ : نعم .

قال كعبٌ : أنشدك بالله هـــل في كتاب الله المنزل إن موسى نظر في التوراة فقال : يا رب إني اجد امةً إذا أشرف احدهم على شرف كـبّر الله ، وإذا هبط وادياً حمد الله ، الصعيد لهم طهور ، والارض لهم مسجد ، حيثما كانوا يطهّرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء ، حيث لا يجدون الماء ، غرّ محجّلون من أثر الوضوء ، فأجعلهم امتي . قال : هم امـة احمد يا موسى ، قال الحبر : نعم .

قال كعب : أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني اجد امة مرحومة ضعفاء، يرثون الكتاب، فأصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، فلا اجد واحداً منهم إلا مرحوماً ، فأجعلهم امتي . قال : هم امـــة احمد يا موسى ، قال الحبر : نعم .

قال كعبٌ : أنشدك بالله هـل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى عليه

السلام نظر في التوراة فقال : رب إني اجد في التوراة امـةً ، مصاحفهم في صدورهم ، يلبسون ثياب اهل الجنة ، يصطفون في صلاتهم كصفوف الملائكة اصواتهم في صلاتهم كدويّ النحل ، لا يدخل النار منهم احـد إلا من بريء من الحسنات مثل ما بريء الحجر من ورق الشجر، قال موسى: فأجعلهم امتي قال : هم أمة احمد يا موسى ، قال الحبر : نعم .

قـــال كعب : أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال : يا رب اني اجد في الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمد ، قال : يا رب اني أجد في الألواح أمة هم المسبّحون المستجيبون ، والمستجاب لهم ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمد ، قـال : يا رب اني اجد في الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلهم امتي ، قال : تلك أمة احمـد ، قـــال : يا رب اني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمد ، قال : يا رب اني اجـــد في الألواح أمة اذا همّ احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة ، وإن عملها كتبت له عشر حسنات، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمد، قال : يا رب اني اجد في الألواح أمة اذا همّ احدهم بسيئة فلم يعملهـــا لم تكتب ، وإن عملهـا كتبت سيئة واحدة ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمـد ، قال : يا رب اني اجد في الألواح أمـة يؤتون العلم الاول ، والعلم الآخر ، فيقتلون قرون الضلالة المسيح الدجال ، فاجعلها أمتي . قـــال : تلك أمة احمد ، قال [1] : قال الحبر : فلما عجب موسى عليـه السلام من الخير الذي أعطاه الله محمداً ﷺ ، وأمته ، قال : يا ليتني من اصحاب محمد .

---

(١) وفي نسخة قال الحبر: نعم . فلما عجب بدل قوله قال : قال الحبر تأمل .

وفي حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : يا رب اجعلني من أمة محمد . قال الحبر : نعم ، فأوحى الله تعالى اليه ثلاث آيات يرضيه بهن : « يا موسى اني اصطفيك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ مـــا آتيتك وكن من الشاكرين » . « وكتبنا له في الألواح من كل شيء ، الى قوله دار الفاسقين » . « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبـه يعدلون » . لم يذكر ابو هريرة في حديثه سوى الخصلتين : الرسالة ، والكلام . وذِكره معاوية ، والسياق من مصاحفهم في صدورهم ، في هذا الحديث إليّ من اصحاب محمـد لأبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، ذكرناه من رواية محمد بن الحسن ، عن محمـد بن عثمان بن ابي شيبة ، عن جبـــارة بن المغلس ، عن الربيع بن النعمان ، عن سهيل بن ابي صالح ، عن ابيه ، عن ابي هريرة رضي الله عنه .

بلاغة واعتراف :

روينا من حديث احمد بن داود ، عن المازني ، عن الاصمعي قـال : قيل لاعرابي : ما احسن الثناء عليك ؟ فقال : بلاء الله عندي أحسن من وصف المـادحين وأن احسنوا ، وذنوبي الى الله اكثر من عيب الذامين وأن كثروا ، فيا اسفي على ما فرطت في جنب الله ، ويا سواتاه مما قدمت .

حكمة :

قال ابن داود : قال محمد بن سلام : قال قرشي لحكيم من العرب : علمني الحلم ، فقال له : ان الحلم هو الذلّ ، فاصبر عليه .

موعظة :

روينا عن احمد بن عبّاد قال : أنشدني الرياشي :

لا يبعدُ اللهُ اخواناً لنا بعدوا   افناهمُ حدثان الدهر والأبدُ
يمدّهم كل يوم من بقيّتنا   ولا يُردُّ الينا منهم احد

وروينا من حديث احمد بن الحسين الانماطي قال : انشدنا سعيد الحرميّ، ورسول الله ﷺ اولى بما قال :

أما القبور فإنهنّ اوانسٌ   بجوار قبرك والديار قبورُ
عمّت مصيبته فعمّ هلاكه   فالناس فيهم كلهم مأجورُ
ردّت صنائعه اليه حياته   فكأنه من نشرها منشور

حدثنا ابو بكر السجستاني، نبأ هبة الله بن علي، نبأ ابن بركات السعيدي، نبأ محمد بن سلامة ، نبأ احمد بن محمد بن الحاج ، انا عبد الله الفضل بن عبيد الهاشمي ، حدثنا ابو محمد بكر بن سهل الدمياطي إملاءً ، نبأ محمد بن ابي السريّ ، نبأ عبد العزيز بن عبد الصمد ، نبأ ابان بن ابي عياش ، عن انس ابن مالك قال : خطبنا رسول الله ﷺ على ناقته الجدعاء فقال في خطبته : أيها الناس كان الحق فيها على غيرنا وجب، وكان الموت فيها على غيرنا كتب ، وكان الذين نشيع من الأموات سفرٌ عما قليل الينا راجعون ، نبوّئهم اجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة ، وآمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية ، وخالط اهل الفقه والحكمة ، وجانب أهل الذل والمعصية ، طوبى لمن ذلّ في نفسه ، وحسنت خليقته ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السّنة ولم يعدُها الى بدعة .

خبر وصي عيسى عليه السلام :

حدثنا عربشاه بن محمد بن ابي المعالي العلوي التنوخي والخبوشاني كتابة ،

ثنا محمد بن الحسن بن سهل العباسي الطوسي ، أنبأنا خالي ابو المحاسن علي بن ابي الفضل الفارمدي ، أنبأنا احمد بن الحسين بن علي قال : حدثنا ابو عبد الله الحافظ ، حدثنا ابو عمر عثمان بن احمد السماك ببغداد إملاءً ، ثنا يحيى بن ابي طالب ، ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم الراسبي ، ثنا مالك بن انس ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن ابي وقاص وهو بالقادسية أن وجّه نضلة بن معاوية الانصاري الى حلوان العراق ، فليغر على ضواحيها ، قال : فوجّه سعدٌ نضلة في ثلاثمائة فارس ، فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق وأغاروا على ضواحيها ، فأصابوا غنيمة ، وسبياً ، فأقبلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى رهقت بهم العصر ، وكادت الشمس ان تغرب ، فألجأ نضلة الغنيمة والسبي الى سفح الجبل ، ثم قام فأذن فقال : الله اكبر الله اكبر ، قال : ومجيبٌ من الجبل يجيبه ، كبرتَ كبيراً يا نضلة ، ثم قال : أشهدُ أن لا إله إلا الله ، فقال : كلمة الاخلاص يا نضلة ، ثم قال : أشهدُ أن محمداً رسول الله قال : هو الدين ، وهو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليه السلام ، وعلى رأس امته تقوم الساعة ، ثم قال : حيّ على الصلاة ، قال : طوبى لمن مشي اليها ، وواظب عليها ، ثم قال : حيّ على الفلاح ، قال : أفلح من أجاب محمداً ﷺ وهو البقاء لأمته ، ثم قال : الله اكبر الله اكبر ، قال : كبرت كبيراً ، ثم قال : لا إله إلا الله ، قال : اخلصت الاخلاص يا نضلة فحرم الله جسدك على النار .

قال : فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا من انت يرحمك الله ؟ أملك أنت ؟ أم ساكن من الجن ؟ أم من عباد الله ؟ أسمعتنا صوتك ، فأرنا شخصك ، فأنا وفد الله ، ووفد رسول الله ﷺ ، ووفد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،

قال : فانغلق الجبل عن هامة كالرّحاء ، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقلنا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رزيب بن برثملة وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام ، أسكنني هـذا الجبل ، ودعا لي بطول البقاء الى نزوله من السماء ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويتبرّأ مما نحلته النصارى .

ثم قال : ما فعل النبي ﷺ ؟ قلنا قبض ، فبكى بكاءً كثيراً طويلاً حتى خضب لحيته بالدموع ، ثم قال : من قام فيكم بعده ؟ قلنا : ابو بكر ، قال: ما فعل ؟ قلنا قبض ، قال : فمن قـام بعده ؟ قلنا : عمر ، قال : إذا فاتني لقاء محمد ﷺ فاقرؤا عمر مني السلام ، وقولوا له : يا عمر سدّد ، وقارب ، فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها ، يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال في امة محمد ﷺ ، فالهرب الهرب ، إذا استغنى الرجال ، بالرجال ، والنساء بالنساء ، وانتسبوا في غير مناسبهم ، وانتموا الى غير مواليهم ، ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم ، وترك الأمر بالمعروف ، فلم يؤمر به ، وترك النهي عن المنكر ، فلم ينته عنه ، وتعلم عالمهم العلم ليجلب بـه الدنانير والدراهم ، وكان المطر قيظاً ، والولد غيظاً ، وطوّلوا المنابر ، وفضّضوا المصاحف ، وزخرفوا المساجد ، واظهروا الرشا ، وشيّدوا البناء، واتبعوا الهوى ، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفّ بالدما ، وتقطّعت الارحام، وبيع الحكم ، وأكل الربا ، وصار التسلط فخراً ، والقتل عزّاً ، وخرج الرجل من بيته ، فقام اليه من هو خير منه ، وركبت النساء السروج .

قال : ثم غاب عنّا ، فكتب بذلـك نضلة الى سعد ، فكتب سعد الى عمر ، فكتب عمر الى سعد : أئتِ أنت ومن معك من المهاجرين والانصار

حتى تنزل هذا الجبل ، فإذا ألقيته فاقرأه مني السلام ، فإن رسول الله ﷺ قال : إن بعض اوصياء عيسى بن مريم نزل بذلك الجبل بناحية العراق ، فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين حتى نزلوا الجبل اربعين يوماً ، ينادي بالأذان في كل صلاة ، لم يتابع الراسبي على قوله ، عن مالك بن انس ، والمعروف في هذا الحديث مالك بن الازهر ، عن نافع ، وابن الازهر مجهول، قال الحكم : لم يسمع بذكره في غير هذا الحديث ، والسؤال عن النبي ﷺ ، وعن ابي بكر هو من حديث ابن لبعة ، عن ابن الأزهر، وقوله : في زخرفة المساجد ، وتفضيض المصاحف ليس على طريق الذم ، وإنما هو دلالة على قيام الساعة ، وفساد الزمان كدلالة نزول عيسى ، وخروج المهدي ، وطلوع الشمس .

وصية نبوية :

حدثنا محمد بن قاسم ، نبأ هبة الله بن مسعود ، نبأ محمد بن بركات ، نبأ محمد بن سلامة بن جعفر ، نبأ هبة الله بن ابراهيم الخولاني ، نبأ علي بن الحسين ابن بندار، نبأ اسماعيل بن احمد بن ابي حازم ، نبأ ابي ، نبأ عمرو بن هاشم، اخبرني سليمان بن ابي كريمة ، عن محمد بن عمرو ، عن ابي سلمة ، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً ، واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً ، واعمل بفرائض الله تكن عابداً ، وارض بقسم الله تكن زاهداً .

همة شريفة :

روينا من حديث جعفر بن محمد ، عن معاوية بن عمرو ، عن ابي اسحاق،

قال : كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى بعض عماله ممن عزّاه بموت سهيل بن عبد العزيز بن مروان :

وحسبي حياة الله من كل ميتٍ وحسبي بقاء الله من كل هالك

تنبيه وتعليم من عالِم شفيق :

روينا من حديث ابي قلابة عن مسلم بن ابراهيم قال : عزّى صالح المري بعض اخوانه فقـــال له : ان لم تكن مصيبتك أحدثت في نفسك موعظة فمصيبتك بنفسك أعظم .

وفي هذا المعنى لبعض الشعراء :

إن لم يكن ما به اصيب جليلا فذهابُ العزاء فيـه أجلُّ

تذكرة عاقل وتنبيه غافل :

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عن عبد الله بن محمـد قال : قرأت على ركن دار مشيد :

لو كنتَ تعقل يا مغرورُ مارقاتْ دموعُ عينيك من خوفٍ ومن حذر
ما بال قوم سهامُ الموت تخطفهم يفاخرون برفع الطين والمـــدر

وأما أنا فمررتُ بجبّانة فرأيت على قبر مكتوباً :

يا أيها الناسُ كان لي امل قصّرَ بي عن بلوغه الأجلُ
فليتق الله ربـــه رجـلٌ أمكنه في حيـــاته العمل
ما انا وحدي نقلت حيث تروا كلٌّ الى مثـــله سينتقل

ومن حسن العهد ومكارم الاخلاق :

ما روينا من حديث ابراهيم الحربي ، عن عثمان بن محمد الانماطي ، عن عمرو بن ابي قيس ، قال : خرج عبد الله بن جعفر الى حيطان المدينة ، فبينما هو يسير إذ نظر الى اسود على بعض الحيطان وهو يأكل ، وكلب رابض بين يديه ، فكلما اخذ لقمةً رمى للكلب مثلها ، فلم يزل كذلك حتى فرغ من أكله وعبد الله بن جعفر واقف على دابّته ينظر اليه ، فلما فرغ دنا منه فقال له : يا غلام لمن انت ؟ فقال : لورثة عثمان بن عفان رضي الله عنه . فقال : لقد رأيت منك عجباً . قال : وما الذي رأيتَ من العجب يا مولاي ؟ قال: رأيتك تأكل ، وكلما تأكل لقمة رميتَ للكلب مثلها . فقال له : يا مولاي ، هو رفيقي منذ سنين ، ولا بدّ ان أجعله كأسوتي في الطعام . فقال له : فدون هذا يكفيه . فقال له : يا مولاي ، إني لأستحي من الله عز وجل ان آكل وعين تنظر إليّ .

ثم مضى عنه حتى أتى ورثة عثمان بن عفان ، فنزل عندهم ، فقال : جئت في حاجة. فقالوا له : وما حاجتك ؟ فقال : تبيعوني الحائط الفلاني، فقالوا: قد وهبناك إياه . فقال : لست آخذه إلا بثمن، فباعوه. فقال لهم: وتبيعوني الغلام الأسود ؟ فقالوا له : ان الأسود ربّيناه ، وهو كأحدنا . فلم يزل بهم حتى باعوه ، فانصرف عنهم . فلما اصبح غدا على الغلام وهو في الحائط ، فخرج اليه فقال: أما شعرتَ أني قد اشتريتك، واشتريت الحائط من مواليك؟ فقال له: بارك الله لك فيما اشتريت، ولقد غمّني مفارقتي لمواليّ ، انهم ربّوني. فقال له : فأنت حرٌ والحائط لك . فقال : إن كنتَ صادقاً يا مولاي ، فاشهد أني قد أوقفته على ورثة عثمان بن عفان . قال : فتعجّب عبد الله بن

جعفر منه ، وقال : ما رأيت كاليوم . فقال له : بارك الله فيك ، ودعا له، ومضى . انتهى .

ومن باب فضل مواساة أهل البيت وإيثارهم بالنفقة على الحج الى البيت :

ما حدّثناه يونس بن يحيى ، عن محمد بن ناصر ، عن الحسن بن احمد ، عن ابي الحسن علي بن احمد الهذلي ، حدّثني ابو الحسين بن شمعون ان عبد الله بن المبارك قال : كان بعض المتقدمين قد حبّب اليه الحج ، قال : فحدّثت انه ورد الحاج في بعض السنين الى بغداد فعزمت على الخروج معهم الى الحج ، فأخذت في كمي خمسمائة دينار ، وخرجت الى السوق أشتري آلة الحج ، فبينا انا في بعض الطريق عارضتني امرأة فقالت : يرحمك الله ، اني امرأة شريفة، ولي بنات عراة ، واليوم الرابع ما أكلنا شيئاً . قال : فوقع كلامها في قلبي، فطرحت الخمسمائة دينار في طرف إزارها، وقلت: عودي الى بيتك فاستعيني بهذه الدنانير على وقتك . فحمدت الله ، وانصرفت ، ونزع الله عزّ وجلّ حلاوة الخروج في تلك السنة ، فخرج الناس ، وحجّوا ، وعادوا ، فقلت : أخرج للقاء الاصدقاء ، والسلام عليهم، فخرجت ، فجعلت كلما لقيت صديقاً سلمت عليه وقلت له : قبِلَ الله حجك، وشكر سعيك . يقول لي : وأنت قبل الله حجك . فطال علي ذلك ، فلما كان الليل ، نمت فرأيت النبي ﷺ في المنام يقول لي : لا تعجب من تهنئة النـــاس لك بالحج ، أغثت ملهوفاً ، وأغنيت ضعيفاً ، فسألت الله تعالى ، فخلق في صورتك ملكاً فهو يحجّ عنك في كل عام ، فان شئت تحجّ ، وان شئت لا تحج .

ولمهيار الديلمي في النسيب :

وبجرعاء الحمى عني فعُجْ   بالحمى واقرأ على قلبي السلاما

وترحّل فتحدّث عجباً ان قلباً سار عن جسم اقاما
قل لجيران الفضا آهٍ على طيب عيشٍ بالفضا لو كان داما
حمّلوا ريح الصبا نشركمُ قبل ان تحمل شيحاً وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى إن أذنتم لجفوني ان تناما

مَن حجّ من خلفاء بني العباس :

حجّ ابو جعفر المنصور بالناس في سنة١٤٠ ، ثم في سنة ١٤٤ ، ثم في سنة ١٤٧ ، ثم في سنة ١٥٢ ، ثم في سنة ١٥٨ ، وتوفي قبل التروية بيومين .

وحجّ المهدي بالناس في خلافته سنة ١٦٠ .

وحجّ الرشيد في خلافته سنة ١٧٠ ، ثم في سنة ١٧٣ ، ثم في سنة ١٧٤.

روينا من حديث ابن ودعان ، عن محمد بن علي بن سليمان ، عن عثمان الدّقاق ، عن اسماعيل بن اسحاق ، عن سليمان بن حرب ، عن حمّاد بن زيد، عن ايوب، عن نافع ، عن ابن عمر قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فكان مما ضبطت منها : أيها الناس إن افضل النـاس من تواضع عن رفعه ، وزهد عن غنيه ، وأنصف عن قود ، وحلم عن قدرة ، وان افضل الناس عبداً أخذ من الدنيا الكفاف ، وصاحب فيها العفاف ، وتزوّد للرحيل ، وتأهب للمسير . ألا وان اعقل النـاس عبد عرف ربه فأطاعه ، وعرف عدّوه فعصاه ، وعرف دار إقامته فأصلحها ، وعرف سرعة رحيله فتزوّد لها . ألا وان خير الزاد ما صحبه التقوى، وخير العمل ما تقدمته النية ، وأعلى الناس منزلةً أخوفهم منه .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى :

ما حدّثنا عبد الله بن الاستاذ المروزيّ قال : قال لي بعض اصحاب ابي

مدين رأيت في الواقعة الشيخ أبا مدين ، وهو في قبة من نور ، وقد أحدق المريدون بتلك القبة ، وهم لا يرونه ، فخاطبهم من باطن القبة فقال لهم : مَن هنده من يراني به فليراني ، فقال له بعض الحاضرين : اني أراك ، فقال: بمَ رأيتني ؟ فقال له : أمدّ نورك نوري فرأيتك . فقال عند ذلك الشيخ : لا يرى صديقاً إلا صديق ، ولا نبياً إلا نبي ، ولا رسولاً إلا رسول ، ولا ملَكاً إلا ملَك . فالمحسوسات لا معنى لها من نفسها ، إذ هي المستمدة من غيرها ، والوقوف مع الاجسام قصورٌ وعيّ ، ولا يرى مَن ليس كمثله شيء ، فالمحسوسات انما تواجه مَن له مكانٌ وجهَه ، والله سبحانه وتعالى عزّ ان يُرى بهذه الصفة، فنحن في هذه الدار الفانية ، كمثل قواديس السانية، وأصل الرؤية قوة الايمان ، وبقدر ما يصحب كل احد منه يكون العيان ، اذ الحق سبحانه لا يحويه حجاب ، تعالى عن ذلك ربّ الأرباب ، والحجب صفة البشر ، وبقوة اسرار القلوب وضعفها يكون النظر ، ففي بدائع صنع الله ما يعجز الاوهام عن وصفه ، وتكلّ الافكار عن الإحاطة بكنه علمه . فالارضون وما منها ظلمات ، وإنما أضاءت بنور السموات ، فما من ارض إلا ولها سماءٌ تحييها بما تنزل عليها من الماء .

ومن سماعنا على قول الرضي بالقلب :

ترى النازلين بأرض العرا ق قد علموا إن وجدي كذا
دنا طرباً والهوى نازحٌ فيا بعد ذاك ويا قربَ ذا

وسماعنا على قول الأشجع بالسرّ :

ألا ليتَ حياً بالعراق عهدتهم ذوي غبطة في عيشهم وأمانِ
يرَوْن دموعي حين يشتمل الدجى عليّ وما ألقى من الحدَثان

أمن بشر ميمون تحنّ صبابةً الى أهل بغدادٍ وتلك أماني
بعدت وبيت الله عمّن تحبّه هواك عراقيٌ وانت يمـــاني
اذا ذُكِرَتْ بغدادُ لي فكأنما تحرّك في صدري شياهُ سنان

ومن سماعنا على قول موسى بن عبدالملك بالنفس والروح ، لما حجّ ووصل الى الثعلبية اشتدّ شوقه فقال :

لما وردتُ الثعلبية عنـد مجتمع الرفاق
وشممتُ من برد الحجا ونسيم أنفاس العراق
أيقنتُ لي ولمن هويـ ت بجمع شمل واتفاق
ما بيننـا إلا تصرّ م هـذه السبع البواقي
حتى يطول حديثنـا بصنوف ما كنا نلاقي

وسماعنا على قول جرير في التوديع بالنفس لا غير :

أتبعتهم مقـلةً انسانها غرق هل ما ترى تارك للعين انسانا
يا حبّذا جبل الرّيان من جبل وحبّذا ساكن الرّيان مَن كانا
وحبّذا نفحاتٌ من ثمانيــةٍ تأتيك من قبل الرّيان احيانا
هل يرجعنّ وليس الدهر مرتجعاً عيشٌ لنا طال ما احلولى وما لانا

ورأينا في تراجم الكتب المتقدمة أن الله تعـــالى أوحى الى موسى عليه السلام :

يا ابن عمران حبّبني الى عبـادي . قال : يا ربّ كيف أصل الى ذلك ؟ فأوحى الله تعـالى اليه : يا ابن عمران ذكّرهم إحساني اليهم ، وعظيم تفضّلي عليهم ، فانهم لا يعرفون مني إلا الحسن الجميل . يشهد لصحّة هــذا الخبر

أخبار الله تعالى لنـا في القرآن : « وذكّرهم بأيام الله » . جاء التفسير بآلاء الله ونعَمه ، فكنـّى عنها بالزمان الذي أوجدها فيه . المعنى .

روينا من حديث ابن ماجه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعـالى لموسى : اشكرني حقّ الشكر. قال : ومَن يقدر على ذلك ؟ قال : يا موسى اذا رأيتَ النعمة مني فقد شكرتني .

حدثنا محمـد بن قاسم من حديث السبع لما ذكر النور الأبهى ، حيث كان الروح القدس الأسنى ، بالمعراج المحمدي الأعلى ، على الرفرف الأنزه الأزهى ، ان عنده بين يديه او خلفه لا أدري أيّ ذلك ؟ قـال : صوّر على صور ابن آدم ، فاذا فعل العبد هنا قبيحاً تغير وجه تلك الصورة الشبيهة به هنـاك ، فيرسل الله ستراً بينها وبين تلك الصور . واذا فعل العبد هنـا حسنة أحسن وجه تلك الصورة الشبيهة به هناك، فيرفع الله الستر بينها وبين سائر الصور، فتنظر تلك الصور الى مـا أعطيت الصورة من الحسن . قال : وعيادة تلك الصور هناك .

سبحان مَن أظهرَ الجميل ، وسترَ القبيح . وأنشدنا :

جعلت توسُّلي دمعي وذلـّي ومثلي مَن توسّل بالدموعِ
وبالحزن الشديد ووضع خدّي على أرض التنصُّل والخضوع
عسى المولى يجود بكشف ضُرّي ويقضي بالإنابــة والرجوع

قال ابن عطاء : اذا تنفـّس العبد افتقاراً ، وذلاً ، هتك بذلك النفَس كل حجاب حال بين سرّه ، وبين مشاهدة ربه. يؤيّد هذا القول في باب المعرفة : مَن عرف نفسه عرف ربّه .

قال القائل :

لبستُ ثوب الرّجا والناس قد رقدوا　　وقمتُ أشكو الى مولاي ما أجدُ
وقلت يا أملي في كلّ نائبـــةٍ　　ومَن عليه لكشف الضُّرّ أعتمد
أشكو اليك ذنوباً انت تعلمهـا　　ما لي على حملها صبرٌ ولا جَلَد
وقد مددتُ يدي بالذُّلّ صاغرةً　　اليك يا خيرَ مَن مُدَّتْ اليه يد
فلا تردَّنهـــا يا ربّ خائبــةً　　فبحرُ جودك يروي كلَّ مَنْ يَرِد

وقال الآخر :

اليك قصدي بفقري لا الى أحدٍ　　فخُذْ بفضلك من بحر الهوى بيدي
وانظرْ إليَّ فكم أوليتَني حسَناً　　ما مرّ يوماً على بالي ولا خلَدي
يا مَن أجابَ دعائي بعد معصيتي　　ومَن عليه وإن أخطأتُ معتمدي

حكى لنا بعض شيوخنا ان الحسن بن هانىء الشهير بالمعاصي ، رآه بعض اصحابه في النوم ، وهو على حالة حسنة ، فقال له ، وقد أنكر في نفسه ما رآه من حسن حاله ، مع ما يعرفه من خبث سيرته : مـا فعل الله بك يا أبا نواس ؟ قال : غفر لي ، وصيَّر حالي الى ما ترى . قلت : فهل تعرف لذلك سبباً سوى جوده سبحانه ؟ فقال : يا اخي من جود الله وعظيم منّته ، أن وقفني قبل ان يقبضني ، الى ابيات عملتها في حالتي بقلب منكسر ، وحسن ظن ، بمن لجأت اليه في وقت ضرورتي ، فقبل ذلك مني ، وغفر لي . قال : فقلت : أنشدني اياها . قال لي : تراهـــا في تحت وسادتي . فاستيقظت ، وجئت البيت ، واستأذنت ، فرفعت الوسادة التي كانت تحت رأسه ، فـإذا بالرقعة تلوح ، فتناولتها ، فإذا فيها :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً　　فلقد علمتُ بأن عفوكَ أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحم
مالي اليك وسيلة إلا الرجا وجميل ظني ثم اني مسلم

غضب السلطان على جماعة من العلماء خرجوا عليه ، ووقعوا فيه ، فلما ظفر بهم أمر بقتلهم ، فبلغ الخبر شيخنا أبا مدين رحمه الله ، وكان مرعي الجانب عند السلطان ، والخاصة ، والعامة ، فأخذ عصاه وخرج ، فلما جاء دار السلطان أبصر القوم على تلك الحالة ، فبكى ، وأُخبر السلطان بمكانه فتلقاه ، وقال : ما جاء بالشيخ في هذا الوقت ؟ فقال : الشفاعة في هؤلاء . فقال السلطان : أوما تعرف يا شيخ إساءتهم ؟ فقال : يا أبا علي وهل على المحسنين من سبيل ؟ وهل الشفاعة إلا في اهل الكبائر من المسيئين ؟ فاستعبر السلطان ، وعفا عن الجميع ، وانصرف .

قرأنا في الخبر الاول ، أن الخليل عليه السلام ، اتفق له قضيتان متعارضان : ادب في الواحدة ، وشكر في الاخرى ، فإن الله تعالى هو متولي أدب عباده الصالحين . أما التي شكر عليها فمن هذا الباب ، وذلك انه عليه السلام ، نزل به رجل من عبدة الأوثان ، فأضافه الخليل ، وأكرمه ، فضجت الملائكة في السماوات ، وقالوا : ربنا خليلك يضيف عدوّك ، فقال لهم : جَلّتْ قدرتي يا ملائكتي ، أنا أعلم بخليلي منكم . ثم أمرَ جبريل عليه السلام ، فنزل ، وعرض عليه قول الملائكة . فبكى ابراهيم عليه السلام ، وقال له : يا جبريل قل لمولاي ، منك تعلمت الكرم ، يشير الى حكاية الادب التي أسوقها بعد هذه ان شاء الله تعالى ، رأيتك تحسن الى من أساء فتعلمت منك.

وأما حكاية الأدب ، فنزل به عليه السلام رجل من عبدة الأوثان ،

فاستضافه ، فقال له ابراهيم : لا أضيفك حتى تسلم، فأبى عليه ، وانصرف ، فأمر الله جبريل ان ينزل على ابراهيم عليهما السلام ، فقال له : يا ابراهيم يقول لك ربك استضافك عبدي فشرطت عليه ان يترك دينه من اجل لقمة يأكلها عندك ، وأنا أرزقه منذ ثمانين سنة على شركه ، فلما أبى تركته . قال : فبكى ابراهيم، ثم قام يقفو أثر الوثني الى أن لحق به، فعرض عليه الرجوع ، فأبى عليه او يخبره بسبب ذلك، فقال له ابراهيم عليه السلام : إن الله عاتبني فيك ، وقال لي ذيت وذيت ، فبكى الوثني وقال : يا ابراهيم أسلمت لرب العالمين . فأسلم الوثني هذا نتيجة الكرم .

وأنشد بعضهم :

أطمعتني بالجود حين بدأتني أفلا أؤمّل نعمة الاتمامِ
حاشى الكريم اذا تفضّل منعماً مما يَشين محاسن الانعامِ

وفي معنى هذين البيتين ، ما سمعت شيخنا ابن الشحنة بإشبيلة وهو يقول لرجل ، وما رأيت رجلاً قط أحسن شيبة ، ولا وجهاً منه ، ودموعه قد اخضلت لحيته : يا اخي حاشا الكريم ان يمنّ عليّ بالاسلام ابتداءً قبل ان أسأله ، ثم ينزعه مني بعد سؤالي . هذا نقيض الكرم . وعلا بكاؤه ، وعظم انتحابه . فبكينا لبكائه رضي الله عنه . وهو من اجلّ من لقيت في طريق الله .

ومن حميد الخصال :

ما اشترط عبد الملك بن مروان على الشعبي، لما دخل عليه قال : يا شعبي جنبني خصالاً أربعاً ، وما شئت فافعل . قال : يا امير المؤمنين وما هي ؟ قال : الواحدة : لا تطريني في وجهي، ولا أجربن عليك كذبة ، ولا تغتابن

عندي احـداً ، ولا تفشين لي سراً . فقل ما شئت يا شعبي . فقال الشعبي : ائذن لي يا أمير المؤمنين في الانصراف . فقال: انصرف فانصرف وما تكلم .

ولبعضهم في الكتمان :

النجم أقرب من سري إذا اشتملت ... مني على السر أضلاعي وأحشائي

ولنا في مصراع من قصيدة :

(فالسرّ ميتٌ بقلب الحرّ مدفون)

اخذته من قول القائل : قلوب الاحرار قبور الاسرار .

وقال الآخر :

ونفسك فاحفظها ولا تفش للعدى ... من السرّ ما يطوي عليه ضميرها
فـما يحفظ المكتوم من سرّ اهله ... إذا عقد الاسرار ضاع كبيرها
من القوم إلا ذو عفافٍ بعينه ... على ذاك منه صدق نفسٍ وخيرها

يقال لكاتم سره : من كتمانـه احد فضيلتين : الظفر بحاجته ، والسلامة من شره .

موطن شكر :

قال في الحكمة ينبغي لذي اللبّ أن يصون شكره عمن لا يستحقه ، ويستر ماء وجهه بالقناعة ، وهو الرضى بالموجود في الوقت ، وعدم التجاوز عنه الى ما يذهب بماء الوجه ، فمن أراد أن تعظم منزلته فليكفّ مسألته . ومن أحبّ الزيادة من النعم فليشكر .

قال الله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

يحكى عن بعض الاعراب انــه رؤي وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : احمدُك سبحانك ولا اشكرك . فعاتبه بعض الطائفين في ذلــك ، فقال : إنه اعطاني الفقر ، فإن شكرته عليه أخاف من زيادة فقري ، فـإن وعده حق . ثم انصرف ، فلما جاءت السّنة الثانية رؤي حسن الهيئة ، وهو يحسن الثناء والشكر على الله ، فقيل له : فأين هذا من ذاك ؟ فقال : إنــه سبحانه أنعم عليّ بالخير بالشاء ، والإبل ، فاشكر للزيادة فإن وعده حق .

قال بعضهم : من احبّ بقاء عزّه فليسقط دالته ومكره .

محل صنائع المعروف :

في الحكمة الاولى : المعروف الى الكرام يعقبُ خيراً ، والى اللئام يعقبُ شراً .

ومثل ذلك : المطر يشرب منه الصدف فيعقبُ لؤلؤاً ، ويشرب منـه الافاعي فيعقبُ سُمّاً .

حكاية : ذكر أن جماعة من الاعراب اثاروا ضبعاً ، فدخلت خباء شيخ ، فقصدوها ، فخرج اليهم فقال : مـا بغيتكم ؟ قالوا : جارك ، قال : أما إذ قد سميتموه جاري فإن هذا السيف دونه . فتركوه . وكانت الضبع هزيلاً ، فأحضر لها من لقامه ، وجعل يسقيها حتى عاشت ، فنام الشيخ فوثبت عليه فقتلته . فقال شاعرهم في ذلك :

ومن يصنع المعروف مع غير أهله   يلاقي الذي لاقى مجير ام عامرِ
أقام لها لمــا اناخت ببابه   لتسمن ألبانَ اللقاح الدرائر
فأسمنها حتى إذا مــا تمكنت   فرته بأنيابٍ لهــا وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من   يعود بإحسان الى غير شاكر

يا اخي أمالك فيما ترى معتبر ؟ الله يرسل نعمته على عبديه ، فالكريم منهما يطيعه بها ، واللئيم منهما يستعين على معصيته بها .

يقول سفيان : وجدنا اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام .

يحكى عن بعض الاعراب انه اخذ جرو ذئبٍ عندما ولد قبل أن يعرف امه ، فاحتمل الى خبائه ، وقرب له شاة ، فجعل يمتص من لبنها حتى كـُبر وسمن ، ثم شدّ على الشاة فقتلها . فقال الاعرابي في ذلك :

غذتك شويهتي ونشأت عندي ... فما أدراك أن اباك ذيبُ
فجعتَ نسيبتي وصغار قومٍ ... بشاتهم وأنت لهم ربيب
إذا كان الطباع طباع سوء ... فما يجدي التحفظ والأديب

ومن باب الاخلاق ومكارمها :

في الحكمة : عليك بالصدق ، فما السيف القاطع في كفّ الشجاع بأعزّ من الصدق . والصدق عزّ وإن كان فيه ما تكره . والكذب ذلّ وإن كان فيه ما تحبّ . ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق .

ولبعضهم :

لا يكذب المرء إلا من مهانته ... او عادة السوء او من قلة الادب

مذكور في كتابٍ لهندي : ليس لكذوبٍ مروءة . ولا لضجور رياسة . ولا لملول وفاء . ولا لبخيل صديق .

يقول بعضهم : الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل . والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور .

من عفا عن قدرة :

يحكى عن امير المؤمنين هارون الرشيد ، أمر يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ، ثم سأل عنه الرشيد فقيل : هو كثير الصلاة والدعاء ، فقال للموكل به : عرّض له بأن يكلمني ، ويسألني اطلاقه ، فقال له الموكل ذلك ، فقال : قل لأمير المؤمنين ان كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي ، فالامر قريب ، والموعد الصراط ، والحاكم الله . فخرّ الرشيد مغشياً عليه ، ثم أفاق وأمر باطلاقه .

حكاية :

ظفر المأمون برجل كان يطلبه ، فلما دخل عليه قال : يا عدوّ الله أنت الذي تفسد في الارض بغير الحق ؟ يا غلام خـذه اليك فاسقه كأس المنية ، فقال : يا امير المؤمنين دعني أنشدك أبياتاً ، فقال : هات ، فأنشده :

زعموا بأن الصقر صادف مرةً ... عصفورَ برّ ساقـه المقدورُ
فتكلم العصفور تحت جناحه ... والصقر منقضّ عليـه يطير
ما كنتُ خاميراً لمثلك لقمة ... ولئن شُويتُ فإنني لحقير
فتهاون الصقر المدلّ بصيده ... كرماً وأفلت ذلك العصفور

فقال له المأمون : أحسنت ، ما جرى ذلك على لسانك إلا لبقية بقيت من عمرك . فأطلقه ، وخلع عليه ، ووصله .

حكاية مضحكة :

ذكر ان معلماً كان يعلم الصبيان ، وكان اسمه ابو عاصم ، فبينا هو ذات

يوم قاعد وبين يديه ثلاثة من صبيان العرب صغار يعلمهم ، اذ بـه ضرط ، فقال احدهم :

وضرطةٍ جاءت على غفلة من مغلق الشيخ ابي عاصمِ

فقال الآخر :

فأيقظت ما كان نائم وأقعدت ما كان من قائم

فقال الثالث :

وانهدت الارض وأجبالها والتزم المظلوم بالظالم

حكاية في معناها :

حُكي عن بعضهم ان والياً أتى برجل جنى جناية فأمر بضربه ، فلما مُدّ قال : بحق رأس امك إلا عفوت عني ، فقال : أوجعه ، قال : بحق خدّيها، ونحرها ، قال : اضرب ، قال : بحق ثديها ، قال : اضرب ، قال : بحق سرّتها ، قال : ويلكم دعوه لا ينحدر قليلاً .

وأتى محتسبٌ كان عندنا بفاس بشاعر جنى جناية ، فأمر بضربه ، فسأله العفو حتى أغضبه ، فصاح على الضرّاب ، شدّ عليه، ففي صحيته تلك ضرط المحتسب ضرطات . فقال الشاعر في ذلك ، والسياط تأخذه :

اسمعوني واعجبوا ضرط المحتسبُ
ضرطةً صافيةً طار منها العتبُ
سهلت حلق سَلى وعرت وادي سبُ
سبعة في نسق ب ب ب بوب ب بُ

كتاب رسول الله ﷺ الى كسرى ملك فارس وما كان منه في ذلك :

روينا من حديث احمد بن عبد الله قال : ثنا ابراهيم بن اسماعيل ، عن صالح بن كيسان قال : قال ابن شهاب ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان ابن عباس أخبره ان رسول الله ﷺ ، بعث بكتابه الى كسرى ، مع عبد الله بن حُذافة ، وأمر ان يدفعه الى عظيم البحرين، فرفعه عظيم البحرين الى كسرى ، فلما قرأه كسرى خرّقه . قال ابن شهاب : فحسبت ان المسيّب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ ان يمزّقوا كل ممزّق .

قال محمد بن اسحاق: وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة بن قيس ابن عديّ بن سعيد بن سهم الى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم :

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله ، فإني رسول الله الى الناس كافة « لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » فأسلم تسلم ، فان أبيت فان إثم المجوس عليك .

فلما قرأ كتاب رسول الله ﷺ شققه ، وقال : يكتب الي بهذا الكتاب وهو عبدي . قال محمد بن اسحاق : فبلغني ان رسول الله ﷺ قال : أللهم مزّق ملكه ، حين بلغه شق كتابه .

ثم كتب كسرى الى باذان ، وهو على اليمن : ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدين ، فليأتياني به . فبعث باذان قهرمانه ، وهو

أنوبوبة، وكان كاتباً حاسباً بكتاب ملك فارس، وبعث معه برجل من الفرس يقال له خرخرشونة ، وكتب معهما الى رسول الله ﷺ ، يأمره ان ينصرف معهما الى كسرى ، وقـال لأنوبوبة : ويلك ، انظره ما الرجل ؟ وكلّمه ، وائتني بخبره . فخرجا حتى قدما الطائف ، فسألاهم عنـه ، فقالوا : هو بالمدينة ، فاستبشروا بهما ، وفرحوا . فقـال بعضهم لبعض : ابشروا فقد نصب له [1] ملك الملوك . كفيتم الرجل .

فخرجا حتى قدِما المدينة على رسول الله ﷺ ، فكلّمه انوبوبة وقال : ان شاه شاه ملك الملوك كسرى ، بعث الى الملك بادان ، يأمره بأن يبعث اليك من يأتي بك ، وقـد بعثني اليك لتنطلق معي ، فإن فعلتَ كتب فيك الى ملك الملوك بكتاب يمنعك [2] منه ، ويكفّ به عنك ، وإن أبيتَ فهو من قد علمت ، وهو مهلكك ، ومهلك قومك ، ومخرب بلادك .

ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقـا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ، فكره النظر اليهما وقال : ويلكما ، مَن أمركما بهذا ؟ قالا : أمرنا بهذا ربنا، يعنيان كسرى . فقال رسول الله ﷺ : لكن ربي أمرني بإعفـاء لحيتي ، وقصّ شاربي . ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتياني غداً .

وأتى رسول الله ﷺ الخبر ، أنّ الله عز وجل سلّط على كسرى ابنـه شيرويه ، فقتله في شهر كذا وكذا ، في ليلة كذا وكذا ، لعدة ما مضى من الليل ، سلّط عليه ابنه شيرويه ، فقتله . فقـالا : هل تدري ما تقول ،

---

(١) نسخة : لكم .
(٢) نسخة : ينفعك .

فنكتب بهذا عنك ، ونخبر الملك ؟ قـال : نعم ، أخبراه ذلك عني ، وقولا له : ان ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ُملك كسرى ، وينتهي الى منتهى الخفّ والحافر . وقولا له : انك إن أسلمتَ أعطيتك ما تحت يديك ، وملّكتك على قومك . ثم أعطى خرخرشونة منطقة فيها ذهب وفضة ، كان أهداها له بعض الملوك . فخرجا من عنده حتى قدما على باذان ، فأخبراه الخبر، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، واني لأرى هذا الرجل نبياً كما يقول . ولننظرنّ ما قال ، فلئن كان ما قد قال حقاً ، ما فيه كلام ، انه لنبي ُمرسَل ، وإن لم يكن ، فسنرى فيه رأينا . فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : اما بعـد ، قد قتلتُ كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس ، لما كان استحلّ من قتل أشرافهم ، وتجهيزهم ، ونعوتهم . فاذا جاءك كتابي هـــذا فخُذ لي الطاعة ممن قِبَلك . وانظر الرجل الذي كتب اليك كسرى ، فلا تهجْه حتى يأتيك أمري . فلمـــا انتهى كتاب شيرويه الى باذان قال : ان هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت الأبنـــاء من فارس ، من كان منهم باليمن . فكانت حِمْير تقول : لخرخرشونة ذو المعجزة للمنطقة التي أعطاه رسول الله ﷺ ، والمنطقة بلسان حمير المعجزة ، فبنوه اليوم باليمن، ُينسبون اليها خرخرشونة ذو المعجزة . وقد قال انوبوبة لباذان : ما كلّمتُ رجلاً َقطّ أهيب عندي منه . فقال له باذان : هل معه شرط ؟ قال : لا .

انسٌ بعرفان وخلوة برحمان :

حدثنا محمد بن اسمعيل ، نبأ علي بن النفيس ، نبأ عبـد الرحمن بن علي بن محمـــد ، انا ابو بكر الصوفي ، انا ابو سعيد الحيري ، انا ابو بكر ، انا ابن باكويه الشيرازي ، نبأ عبد الواحد بن بكر الورثاني ، انا ابو بكر احمـد بن محمـد المارستاني ، عن محمـد بن عيسى القرشي ، حدثني ابو الاشهب السائح :

رأيت بين الثعلبية والخزيمية ، غلاماً قائماً يصلّي عند بعض الاسيال ، قد انقطع عن الناس، فانتظرته حتى قطع صلاته، ثم قلت له : ما معك مونس؟ قال : بلى . قلت : وأين هو ؟ قال : أمامي ، ومعي ، وخلفي ، وعن شمالي ، وعن يميني ، وفوقي . فعلمت أن عنده معرفة ، فقلت له : أما معك زاد ؟ قال: بلى. قلت : وأين هو ؟ قال : الاخلاص لله عز وجل، والتوحيد له ، والإقرار بنبيّه ﷺ ، وإيمان صادق ، وتوكل واثق . قلت : هل لك في مرافقتي ؟ قال : الرفيق شغل عن الله عز وجل ، ولا احبُّ ان ارافق احداً فأشتغل به عنه طرفة عين . قلت : أما تستوحش في هذه البرّية وحدك ؟ قال : الانس بالله قطع عني كل وحشة، حتى لو كنت بين السباع ما خفتُها ، ولا استوحشتُ منها . قلت : فمن أين تأكل ؟ قال : الذي غذّاني في ظلم الأرحام صغيراً تكفّل بي كبيراً . فقلت : في ايّ وقت تجيئك الاسباب ؟ فقال : لي حدّ معلوم ، ووقت مفهوم ، اذا احتجتُ الى الطعام أصبته في أي موضع كنت ، وقد علّمني ما يصلحني ، وهو غير غافل عني . قلت : لك حاجة ؟ قال : نعم . قلت : وما هي ؟ قال : إن رأيتني فلا تكلّمني ، ولا تُعلم احداً انك تعرفني . قلت : لك ذلك . فهل حاجة اخرى ؟ قال : نعم . قلت : وما هي ؟ قال : إن استطعت ان لا تنساني في دعائك ، وعند الشدائد اذا نزلت بك فافعل . قلت : كيف يدعو مثلي لمثلك وأنت أفضل مني خوفاً وتوكلاً ؟ قال : لا تقل هذا ، إنك قد صليت لله قبلي ، وصمت قبلي ، ولك حق الاسلام ، ومعرفة الايمان . قلت : فإن لي ايضاً حاجة . قال : وما هي ؟ قلت : أدعُ الله لي . قال : حجب الله طرفك عن كل معصية ، وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه ، حتى لا يكون لك همّ إلا هو . قلت : يا حبيبي متى ألقاك وأين اطلبك ؟ قال : اما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقاء فيها ، وأما الآخرة فإنها مجمع المتقين ، فإياك

أن تخالف الله فيما أمرك وندبك اليه . وإن كنت تبتغي لقـائي فاطلبني مع الناظرين الى الله تعالى في زمرتهم . قلت: وكيف علمت ؟ قال : بغضّ طرفي له عن كل محرّم ، واجتنابي فيه كل منكر ، ومأثم . وقـد سألته ان يجعل حبي النظر اليه . ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري .

تذكرة بلسان حال :

روينا من حديث المالكي ، عن محمد بن غالب ، عن محمد بن ابراهيم ، عن اسماعيل بن عبد الكريم ، عن عقيل بن معقل ، عن وهب بن منبّه ، قال: ما من شعرة تبيضّ إلا تقول للسوداء : يا اختاه قد اتاكِ الموت فاستعدي .

حدثنا محمد بن احمد الهرَوي ، عن عبد الرحمن بن أبي الفضل ، عن محمد ابن احمد الماهباني، سمعت محمد بن القاسم الصقار، سمعت حمزة بن عبدالعزيز، سمعت أبا بكر الابهري ، سمعت يوسف بن الحسين ، سمعت ذا النون المصري يقول : الحسود لا يسود .

ايقاع وحسن استماع :

حدثنا محمـد بن احمد ، ثنـا الثقفي ، حدثنا ابو عبد الرحمن السلمي ، حدثنا احمد بن سعيد ، ثنا محمد بن سعيد المروزي ، ثنـا العباس الترفقي ، نبأ عبد الله بن عمرو الورّاق ، نبأ الحسين بن علي بن منصور ، نبأ ابو غياث البصري ، عن ابراهيم بن محمـد الشافعي ان سعيد بن المسيب مرّ في بعض أزقة مكة فسمع الاخضر الجدي يتغنى في دار العاص بن وائل ويقول :

تضوّع مسكاً بطنُ نعمان إن مَشَتْ ... بـه زينبٌ في نسوةٍ عطراتِ
فلما رأت ركب النميري أعرضتْ ... وهنّ من ان يلقينـه حذراتِ

قال : فضرب برجله الارض زماناً وقال : هذا ممـا يلذّ سماعه ، وكانوا يرون ان الشعر لسعيد :

وللشريف الرضي :

أنشدني ابن فرقد :

ألا هل الى ظلّ الاثيل تخلصٌ وهل لثنيّات الغوير طلوعُ
وهل لليالينا الطوال تصرّمٍ وهل لليالينا القصار رجوعُ

وأنشد له ايضاً في ذلك :

أقول لركب رائحـــين لعلكم تحلـّون من بعد العقيق اليمانيا
خذوا نظري مني ولاقوا به الحمى ونجداً وكثبان اللوى والمطاليا
ومرّوا على ابيات حيٍّ برامةٍ وقولوا لديغ يبتغي اليوم راقيا
عدمتُ دوائي بالعراق فربمـا وجدتم بنجدٍ لي طبيباً مداويا
وقولوا لجيرانٍ على الخيف من منىً تراكم من استبدلتمُ بجـــواريا
ومن ورد الماء الذي كنتُ وارداً به ورعى العشب الذي كنت راعيا
فوا حزناً كم لي على الخيف شهقة تذوبُ عليهـا قطعة من فؤاديا
ترحّلت عنكم الى امامي نظرةٌ وعشرٌ وعشرٌ بعدكم من ورائيا

ومن نظمه ايضاً في ذلك :

من مُعيدٌ لي ايـ ـامي بجزع السمراتِ
ولياليـنـــا بجمـعٍ ومـــنىً والجمرات
يا وقوفاً مـا وقفـ ـنا في ظلال السلمات

نتشاكى مـــا عنانا		بكلام العـــبرات
آه من جيد الى الد		ار طويل اللفتــات
وغرام غير مــاضٍ		بلقـــاءٍ غـير آت
فسقى بطنَ منىً		والخيف صوب الغاديات
غرستْ عندي غرس الش		ـوق مرور الحسنات
أين راقٍ لغرامي		وطبيبٌ لشكاتي

دعاء مجاب لبعض نساء الاعراب :

روينـا من حديث ابن مروان ، عن اسماعيل بن يونس ، عن الرياشي ، عن الاصمعي ، قـال : سمعت اعرابية بعرفات وهي تقول : اللهم إن كان رزقي في السماء فانزله، وإن كان في الارض فاخرجه، وإن كان نائياً فقرّبه ، وإن كان قريباً فيسّره .

حفظ اللسان دليل على عقل الانسان :

رأيتُ اللسان على أهله		اذا ساسه الجهل ليثاً مغيرا

وقال بعض الاعراب لآخر يعظه : إياك ان تضرب لسانك عنقك . وقال أكثم بن صيفيّ: معقل[1] الرجل بين فكيه، يعني لسانه. والفكان: اللحيان.

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه كثيراً ما ينشد :

اخزن لسانك لا تقول فتُبتلى		انَ البلاء موكلٌ بالمنطقِ

وقال المؤمّل :

شفّ المؤمّل يوم الحيرة النظرُ		ليت المؤمّل لم يخلق له بصرُ

فعمي في مجلسه ذلك .

(١) نسخة : مقتل .

ومن باب العناية الالهية :

ما حدّثنا بـه عبد الرحمن بن علي ، ومحمد بن محمد ، فأما محمد بن محمد فقال : كتب الينا . وأما عبد الرحمن فقال : قرأت على ابي القاسم الحريري، عن ابي طالب العشاري ، عن مبادر بن عبد الله الصوفي قـال : سمعت أبا الازهر عبد الواحد بن محمد الفارسي قال : لقيت ابراهيم الختلي بمكة بعـد رجوعه الى وطنه ، وتزويجه ابنة عمه، وكان قد قطع البادية حافياً ، فحدثني انه لما رجع الى بلده، وتزوج شغف بابنة عمه شغفاً شديداً حتى ما كان يفارقها لحظة . فتفكرت ليلة في كثرة ميلي اليها ، فقلت : ما يحسن بي ان أرد القيامة وفي قلبي هذه ، فتطهرت ، وصليت ركعتين ، وقلت : سيدي رُدّ قلبي الى ما هو أولى . فلما كان من الغد أخذتهـا الحمى ، وتوفيت في اليوم الثالث . فنويت الخروج حافياً من وقتي الى مكة ، فقلت : هكذا يحمي الله أولياءه ويختار لهم ويرعاهم .

ومن باب حثّ النفس على المحامد :

ما حدّثنا به محمـد بن الفضل ، عن ابي منصور القزّاز ، عن ابي بكر الخطيب ، عن ابي سعيد الصيرفي ، عن ابي عبد الله الاصفهاني ، عن ابي بكر القرشي ، عن الحسين بن عبد الرحمن قال: حج سعيد بن وهب ماشياً ، فبلغ منه الجهد ، فأنشد :

قدمي اعتورا رمل الكثيب   وأطرقا الآجن من ماء القليب
ربّ يوم رُحتما فيـه على   زهرة الدنيا وفي وادٍ خصيب
وسماع حسن من حسنٍ   صحب المزهر كالظبي الربيب
فاحسبا ذاك بهـذا واصبرا   وخذا من كل فنّ بنصيب
انمـا أمشي لأني مذنبٌ   فلعل الله يغفر عن ذنوبي

ومن هذا الباب في حنين الابل وسيرها :

يا لزماني على الحمى عجباً ... وأي زمان مضى وأي حمى
حلفت بالراقصات مجتهداً ... عناقاً خفوضاً وأظهراً سنما
تحسب اشخاصها اذا اختلطت ... بالأكم الوقص في الدجا أكما
تحمل شقا اذا هم ذكروا ... ذخيرة الأجر غالطوا السأما
غدوا نزاعاً من عامهم وتقىً ... أيام جمع والاشهر الحُرما
حتى أناخوا بذي الستور ملبّ ... ين بأرض كادت تكون سما

ومن هذا الباب :

أحاديها لو أمكنت من زمامها ... أريد وراءً والهوى من امامها
فما الحزن إلا بين حلمي وخوفها ... وبين زفيري خائفاً وبغامها
يعزّ علينا يومها تحت كورها ... بما فات من أيامها في مشامها
وان تعلف الرّطب الخليط ببابل ... مكان اراكٍ حاجر وبشامها
فليت بلاد أسْرها في قصورها ... فذاك بيوت خيرها في خيامها

ومن هذا الباب :

ردّوا لها أمامها بالغميم ... ان كان من بعد شقاء نعيمْ
ولا تدلّوها فقد آمّها ... أدلة الشوق وهادي الشميم

ومن هذا الباب :

أمن خفوق البرق ترزمينا ... حتى فما اتبعك الحنينا
سري يماناً وسراك شامة ... فضلت ما ان تتلقّنينا
نعم تشاقين ونشتاق له ... ونعلنُ الوجد وتكتمينا
فأين منك اليوم او منا الهوى ... وأين نجدٌ والمغورُونا

ومنه ايضاً :

أين تريـد يا مثير الظعن   أوطن بنـــا برامة بوطنِ
حبساً ولو زادك من مضضه   بين الفرار خائفاً والوسن
لعلهـــا أن تشتفي نائحةٌ   بالعبرات أعـــين من اعين
كم كبدٍ كريمـــةٍ في برّةٍ   خزمتها ومُهجة في رسن
يا قاتل الله العذيب موقفاً   على ثبوت قـــدمي ازلني
يا زمتي بالخيف بل يا جيرتي   فيـــه وأين جيرتي وزمتي
ليتَ الذي كان فطار شعباً   بـــه الفراق بيننا لم يكن

خبر لخنبعة مع ذي نواس :

ولي حمير باليمن بعد هلاك عمرو بن أسعد تبّع لخنبعة ذي شناتر ، فقتل خيارهم ، وعبث ببنين اهل مملكته، وكان يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل الى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشرفة له قـــد صنعها لذلك . فإذا فرغ من فسقه بالغلام يطلع من مشرفته تلك الى حرسه ، وقد أخذ سواكاً فجعله في فيه يعلمهم انه قد فرغ منه حتى بعث الى ذي نواس وهو زرعة ابن اسعد تبع الذي كسا الكعبة ، وكان وسيماً ذا هيبةٍ، وعقل من اجمل الناس فلما أتاه رسول ذي شناتر عرف زرعة مـــا يريد به ، فأخذ سكيناً لطيفاً فخباه بين قدمه ونعله . ثم أتاه ، فلما خلا معه، وثب اليه ، فواثبه ذو نواسٍ فوجأه حتى قتله ، ثم جزّ رأسه ، فوضعه في الكوّة التي كان يشرف منها ، ووضع مسواكه في فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذو نواس ارطبُ ام يباس ؟ فقـــال : سل نخماس ، استرطبان ذو نواس ، استرطبن لأباس . فنظروا الى الكوة فإذا رأسُ خنبعة مقطوع ، فخرجوا في أثر ذي نواس ،

أرطب ، أدركوه ، وقالوا له : ما ينبغي أن يملكنا غيرك . إذ ارحتنا من هذا الخبيث . فملكوه ، واجتمعت عليه حمير ، وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير ، ويسمى يوسف . وعاش في الملك زماناً .

الشناتر : الأصابع بلغة حمير . وتحماس : الراس بلغتهم . واسترطبان : بمعنى استرطب . والكلام حميريّ يفهم بالفرض والقرينة ، لأنه يخالف ألف كلام العرب .

قال محمد بن سنان الخفاجي :

ودع النسيم يعيد من أخباره ... فله حواشٍ للحديث رِقاقُ
ما ثمّ من علق العُذيب بغائبٍ ... إلا وقد شهدت بـه الآماق

وقال :

ومهوّن للوجد يحسبُ انّه ... يودي العذيب مدامع وخدود
سل بانة الوادي فليس يفوتها ... خبرٌ يطول به الجوى ويزيد
وأنشد معيضوء الصباح وقل له ... كم تستطيل بك الليالي السود
وإذا هبطت الواديين وفيهما ... دُمنٌ حُبس على البكا وعهود
فأخدع فؤادي في الخليط لعله ... يهفـو على آثارهم ويعود
أصبابةٌ بالجزعِ بعد سويقه ... شغل لعمرُك يا اميمُ جديد

وقال عبد الرحمن بن علي حدثنا كتابةً :

في شغل عن الرقاد شاغِل ... من هاجه البرق بسفح عاجِل
يا صاحبي هذي رياح ربعهم ... قـد اخبرت شمائل الشمائل
نسيمُهم سُحيريّ الريح مـا ... تشبهه روائـحُ الاصائل

ما للصّبا مولعة بذي الصبى | او صبأ فوق الغرام القاتل
ما للهوى العذريّ في ديارنا | اين العُذيبُ من قصور بابل
لا تطلبوا ثاراً لبنايا قومنا | دمـــاؤنا في اذرع الرواحل
لله درّ العيش في ظـلالهم | ولي وكم اثار في المفاصل
واطربا إذا رأيتُ ارضهم | هـــذا وفيها رُميت مقاتلي
باطرة الشيخ سُقيتِ أدمعاً | ولا ابتليتِ بالهوى تماثـلي
ميلكِ عن زهوٍ وميلي عن اسى | ما طرب المخمور مثل الثاكل

وقال مهيار الديلمي :

اهفو لعلويّ الرياح إذا جرت | وأظنّ رامة كل دار اقفرت
ويشوقني روض الحمى متقضباً | يصف الترائب والبروق إذا سرت
يا دين قلبي من ليالي حاجرٍ | مكرت به يوماً عليه وأبكرت

رسالة الى بكر الصديق وأتباع عمر بن الخطاب لها الى علي بن ابي طالب مع ابي عبيد بن الجراح وجواب علي عن ذلك ومبايعته لأبي بكر رضي الله عنهم أجمعين :

عن ابي حيّان علي بن محمد التوحيدي البغدادي قـــال : سمرنا ليلة عند القاضي ابي حامد احمد بن بشر المروزي العامري في دار ابي حُبشان في شارع المازبان ، فتصرف الحديث بنا كل متصرف ، وكان ابو حامد والله مِعنتاً ، مفتاً ، مخلطاً ، مزيلاً ، غزير الرواية، لطيف الدراية، له في كل جو متنفس ، ومن كل نار مقتبس .

فجرى حديث السقيفة ، وشأن الخلافـة ، فركب كل منا متناً ، وقـال

قولاً ، وعرّض بشيء ، ونزع الى فنّ . فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وجواب علي له ، ومبايعته إياه عقيب تلك المناظرة ؟ فقالت الجماعة التي بين يديه : لا والله . قال : هي من بنات الحقاق ، ومخبآت الصناديق في الخزائن ، ومذ حفظتها ما رويتها إلا للمهلبي ابي محمد في وزارته . وكتبها عني في خلوة ، وقال : لا اعرف على وجه الارض رسالة اعقل منها ، ولا أبين . وانها لتدل على حلم ، وفصاحة ، وفقاهة ، ودهاء ، ودين ، وبُعد غور ، وشدة غوص. فقال له ابو بكر العباداني: أيها القاضي لو أتممت المنة بروايتها سمعناها، ونحن أوعى لها عنك من المهلبي ، وأوجب ذماماً عليك ، فاندفع فقال :

حدثنا الخزاعي بمكة قال : حدثنا ابن ابي ميسرة ، حدثنا محمد بن فليح، نبأ عيسى بن داب ، نبأ صالح بن كيسان ، ويزيد بن رومان وكان معلم عبد الملك بن مروان ، قالا : حدثنا هشام بن عروة ، نبأ ابو النفاح مولى ابي عبيدة بن الجراح . وروي هذا الحديث وكان له عليه جرأة ظاهرة ، وكان من محفوظاته القديمة. فلما كان بعد ذلك بدهر ذاكرنا بأحرف من هذه الرسالة ابن مروان، وكان نسيج وحده حفظاً ، وبياناً واتباعاً . فعرفناه ان الحديث عندنا من جهة ابي حامد . فزعم ان استاذه ابن شجرة احمد بن كامل القاضي سرده ، ولم يكن فيه صالح بن كيسان . وذكر مولى ابي عبيدة ابا النفاح بالنون والفاء ، وخالف في احرف ، وأنا أكرر على الرسالة والحديث بعد ذكرهما ، وأسمي حرفاً حرفاً مما وقع فيه الخلاف على جهة التصحيف ، او على جهة التحريف ، على انني ما سمعت بحديث في طوله ، وغرابته ، بأحسن سلامة منه . وانما ذلك لأنه صار الينا من رواية هذين الشيخين العلّامتين . وكان سماعنا من ابي حامد سنة ستين ، ومن ابي منصور سنة خمس وسبعين .

قال ابو حامد : قال ابو النفاح : سمعت ابا عبيدة بن الجراح يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والانصار، وحظ بعين الهيبة والوقار. وان كان لم يزل كذلك بعد هنة كاده الشيطان بها ، فدفع الله عز وجل شرها ، ورحض عرّها ، ويسّر خيرها ، وأزاح ضيرها ، وردّ كيدها ، وقصم ظهر النفاق والفسوق ، من اهلها .

بلغ ابا بكر الصديق رضي الله عنه، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه، تلكؤ وشماس ، وتهمهم ونفاس ، وكره ان يتمادى الحال ، وتبدو العداوة ، وتنفرج ذات البين ، ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور ، او عاقل ذي دهاء ، او صاحب سلامة ، ضعيف القلب ، خوار العنان .

دعاني فحضرته وعنده عمر بن الخطاب وحده ، وكان يرمل ارضه بالسرجين ، وكان عمر قبساً له ، ظهيراً معه ، يستضيء برأيه ، ويستملي على لسانه . فقال لي : يا ابا عبيدة ما أيمن ناصيتك ، وأبين الخير بين عينيك ، وعارضتيك، ولقد كنت من رسول الله ﷺ بالمكان المحوط، والمحل المغبوط. ولقد قال فيك في يوم مشهود : ابو عبيدة امين هذه الامة ، وطال ما أعز الله بك الاسلام ، وأصلح فساده على يديك . ولم تزل للدين ملجأ ، وللمؤمنين دوحاً ، ولأهلك ركناً ، ولاخوانك رداء . قد اردتك لأمر له ما بعده ، خطره مخوف، وصلاحه معروف . وان لم يندمل جرحه بمسبرك، ولم تستجب حيته لرقيتك ، فقد وقع اليأس ، وأعضل البأس ، واحتيج بعد ذلك الى ما هو أمرّ من ذلك وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ، والله أسأل تمامه بك ، ونظامه على يديك . فتأتِ له يا ابا عبيدة وتلطف فيه ، وأنصح الله تعالى ولرسوله ﷺ ، ولهذه العصابة ، غير آلٍ جهداً ، ولا قال جداً . والله كالئك ، وناصرك ، وهاديك ، ومبصرك ، وبه الحول والتوفيق .

إمض الى عليّ واخفض جناحك له ، واغضض من صوتك عنده . واعلم انه سلالة ابي طالب ، ومكانه ممن قد فقدناه بالأمس ﷺ مكانه ، وقل له : البحر مفرقه ، والبرّ مغرقه ، والجو أكلف ، والليل أغلف ، والسماء جلواً ، والأرض صلماً ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق رؤف عطوف ، والباطل شنوف عنوف ، والضغن رائد البوار ، والتعريض شجار الفتنة ، والقحة ثقوب العداوة ، وهذا الشيطان متكىء على شماله ، متحبّل بيمينه ، نافخ حضنيه لأهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدبّ بين الأمة بالشحناء والعداوة ، عناداً لله ولرسوله ﷺ ولدينه ، ناكباً يوسوس بالفجور ، ويُدَلّي بالغرور ، ويمنّي اهل الشرور ، ويوحي الى اوليائه بالباطل ، دأباً له مذ كان على عهد ابينا آدم ﷺ ، وعادة منه منذ أهانه الله عز وجل في سالف الدهر ، لا ينجى منه إلا بعض الناجذين على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووطء هامة عدو الله ، وعدو الدين ، بالأشد فالأشد ، والأجدّ بالأجدّ ، وإسلام النفس لله عز وجل فيما رضاه ، وجنب سخطه .

ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضرّ السكوت ، وخيف غبّه (١) . ولقد ارشدك من أفاد ضآلتك ، وصافاك من أحيى مودته لك بعتابك ، وأراد الخير بك من آثر البقاء معك . ما هذا الذي تسوّل لك نفسك ؟ ويدوي به قلبك ، ويلتوي به عليك رأيك ، ويتخاوص دونه طرفك ، ويسري فيه ظعنك ، ويترادّ معه نفسك ، وتكثر معه صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك ، أعجمة بعد إفصاح ؟ اتلبيسٌ بعد ايضاح ؟ أدين غير دين الله عز وجهه ؟ أخلق غير خلق الله ؟ أهدي غير هدي النبي ﷺ ؟ أمثلي يمشي له الضرّا ؟

---

(١) نسخة : منه .

ويدبّ اليـــه الحمراء ؟ أم مثلك ينقبض عليه الفضاء ؟ او يكسف في عينه القمر؟ ما هذه القعقعة بالشنان ؟ وما هذه الوعوعة باللسان؟ انك جدّ عارف باستجابتنا لله عز وجل ولرسوله عليه‌السلام، وخروجنا عن اوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبّتنا هجرةً الى الله تعالى عز ذكره، ولنصرة نبيه ﷺ في زمان أنت فيه في كنّ الصبي ، وخدر الغرارة ، غافل عما يشيب ويريب ، لا تعي ما يراد ويشاد ، ولا تحصّل ما يساق ويقاد ، سوى ما انت جار عليــه الى غايتك التي اليها عدّي بك ، وعندها حط رحلك ، غير مجهول القدر ، ولا مجحود الفضل .

ونحن في اثناء ذلك نعاني احوالاً تزيل الرواسي ، ونقاسي اهوالاً تشيّب النواصي، خائضين غمارها ، راكبين تيارها ، نتجرع صابها ، ونشرح عيابها، ونتبلّغ عبابها ، ونحكم اساسها ، ونهزم أمراسها ، والعيون تحدّج بالحسد ، والأنوف تعطس بالكبر، والصدور تستعر بالغيظ، والأعناق تتطاول بالفخر، والشفار تشحذ بالمكر، والارض تميد بالخوف، ولا ننتظر عند المساء صباحاً ، ولا عند الصباح مساء ، ولا ندفع في نحر أمر لنا إلا بعــد ان نحسوا الموت دونه ، ولا نتبلغ الى شيء إلا بعد جرع الغصص معه ، ولا نقود بناد إلا بعد اليأس من الحياة عنده ، فأدين في كل ذلك لرسول الله ﷺ بالأب ، والأم ، والخال، والعم ، والنشب، والسيد ، واللبد ، والهلة ، والبلة ، بطيب نفس، وقرور عين ، ورَحب اعطان ، وثبـــات عزائم ، وصحة عقول ، وطلاقة اوجه ، وذلاقة ألسُن ، هذا الى خفيات اسرار ، ومكنونات اخبار ، كنت عنهــا غافلا ، ولولا سنك لم تكن عنها [1] ناكلا ، كيف وفؤادك مشهوم ، وعودك معجوم ، وغيبك مخبور ، والقول فيك كثير ؟

---

(١) نسخة : عن شيء منها .

والآن قد بلّغ الله بك ، وأرضَ الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك . وعن علم اقول مـــا تسمع : فارتقب زمانك ، وقلّص اليه أردانك ، ودع التجسس والتعسس [1] لمن لا يطلع اليك اذا أخطى ، ولا يتزحزح عنك اذا أعطى ، فالأمر غضّ ، والنفوس [2] فيها مضّ ، وإنك أديم هــذه الأمة ، فلا تحكم لجاجاً ، وسيفها الغضبُ فلا تفبو اعوجاجاً ، وماؤهـا العذب ، فلا تحيل اجاجاً ، والله لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر فقـــال لي : يا ابا بكر هو لمن يرغب عنه ، لا لمن يرغب فيـــه ، ويجاحش عليه ، ولمن يتضاءل له ، لا لمن تنفخ اليه ، ولمن يقال : هو لك ، لا لمن يقول : هو لي ، والله لقد شاورني رسول الله ﷺ في الصهر ، فذكر فتيانـــاً من قريش . فقلت : أين أنت من علي ؟ فقال : إني لا أكره [3] لفاطمة ميعة شبابه ، وحداثة سنه . فقلتُ له : متى كنفته يدك ، ورعته عينك ، حفت بهما البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير حطبت به عنك ، ورغبته فيك . ومـا كنتُ عرفتُ منك في ذلك حوجا ولا لوجا . فقلتُ : ما قلتُ ، وأنا أرى مكان غيرك ، وأجد رائحة سواك . وكنتُ لك إذ ذاك خيراً منك الآن لي. ولئن كان عرض بك رسول الله ﷺ فقد كنى عن غيرك. وإن كان قال فيك فمـا سكت عن سواك . وأن يختلج في نفسك شيء فهلم فالحكم مرضي ، والصواب مسموع ، والحق مطاع .

ولقد نقل رسول الله ﷺ الى مـــا عند الله عزّ وجل ، وهو عن هذه العصابة راض . وعليها حدب . يسرّه ما يسرّها . ويكيده مـــا كادها .

---

(١) نسخة : والتعبس .

(٢) نسخة : النفس .

(٣) ظاهر ما يأتي انها لأكره لكن هكذا وجد والله اعلم .

ويرضيه ما ارضاها . ويسخطه ما اسخطها . ألم تعلم إنـــه لم يدع أحداً من اصحابه وخلطائه وأقاربه وشجرائه إلا أبانـــه بفضيلة ، وخصّه بكرمة ، وأفرده بجلاله ؟ لو اصفقت الأمـــة عليه لكان عنده إيالتها ، وكفالتها ، وكرافتها ، وغزارتها . أتظنُّ أنه ﷺ ترك الأمة نشراً سدى ، بردأ عدى، مباهل طلاحي ، مفتونة بالباطل ، مغبونة عن الحق ، لا زائد، ولا حائط، ولا ساقي ، ولا راقي ، ولا هادي ، ولا حادي . كلا والله ما اشتاق الى ربه تعالى ، ولا ساله المصير الى رضوانه ، حتى ضرب الصُّوى ، وأوضح الهدى، وأمّن المهالك والمطارح ، وسهّل المبارك والمهايع . إلا بعـد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله عزّ وجل. وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جدُّه. وجدع انف الفتنة في ذات الله تبارك اسمه . وتفل في وجه الشيطان بعون الله جلّ ذكره . وصدع بملءِ فيه ، وبده امر الله عزّ وجل .

وبعـــد فهؤلاء المهاجرين ، والانصار ، عندك ومعك في دار واحدة ، وبقعة جامعة ، ان استقلوني لك ، وأشاروا عندي بك ، فأنا واضع يدي في يدك ، وصائر الى رأيهم فيك . وأن تكن الأخرى فادخل فـــيما دخل فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم ، والفاتـح لمغالقهم ، والمرشد لضآلهم ، والرادع لغاويهم . فقـــد أمر الله عزّ وجل بالتعاون على البر . وأهاب الى التناصر على الحق . ودعنا نقضي هذه الحياة الدنيا بصدور بريئةٍ من الغلّ . ونلقى الله عزّ وجل بقلوب سليمة من الضغن .

وبعد فالناس ثمامة ، فأرفق بهـم ، وأحن عليهم ، ولن لهم ، ولا تشق نفسك بنـا خاصة فيهم . وأترك ناجم الحقد حصيداً . وطائر الشر واقعاً . وباب الفتنة غلقاً . فـلا قال ولا قيل . ولا لوم ولا تبيع . والله عزّ وجل على ما نقول وكيل . وما نحن عليه بصير .

قال ابو عبيدة : فلما تهيأت للنهوض قال لي عمر : كن لدا الباب هنية ، فلي معك درّ من القول ، فوقفتُ ولا أدري مـــا كان بعدي إلا أنه لحقني ووجهه يندي تهللاً وقال : قل لعليّ الرقاد محلمة ، واللجاج ملحمة ، والهوى مفحمة . وما منا احدٌ إلا وله مقامٌ معلوم . وحق مشاع او مقسوم . ونبأ ظاهر او مكتوم. وأن أكيّس الكيس من منح الشارد تألفاً . وقارب البعيد تلطفاً . ووزن كل امرءٍ بميزانه . ولم يخلط خبره بعيانه . ولم يجعل فـتره مكان شبره . ولا خير في معرفة مشوبة بنكره . ولا في علم معتل في جهل . ولسنا كجلدة رقع البعير بين العجان وبين الذنب . وكل صال فبناره . وكل سيل فالى قراره . وما كان سكوتُ هذه العصابة الى هذه الغاية لعيّ وشي . وكلامها اليوم لفتق او رتق . قد جدع الله بمحمد ﷺ آنف كل ذي كبر . وقصف ظهر كل جبار. وقطع لسان كل كذوب. فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ما هذه الخنزوانة التي في فراش رأسك ؟ وما هذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك ؟ ومـــا هذه الوحرة التي أكلت شراً سيفك ؟ والقذاة التي أغشت ناظرك؟ وما هذا الدخس والداس اللذان يدُلان علىضيق الباع وخور الطباع؟ وما هذا الذي ليست بسببه جلدة النمر ، واشتملت عليه بالشحناء والنكر ؟ لشدّ ما استسعيت اليها . وسَرَيت سُرى ابنِ انقد اليها . إن العوان لا تعلم الخرة . وإن الحصان لا تكلم خبره . وما أحوج الفرعاء الى قال . وما أفقر الصلعاء الى حال .

لقد خرج رسول الله ﷺ ، والامر محبّس ليس لأحــد فيه ملمس ، ولا مأيس ، ولم يسيّر فيك قولاً ، ولم يستنزل فيك قراناً ، ولم يحزم في شأنك حكماً ، ولسنا في كسروية كسرى ، ولا في قيصرية قيصر تانك ، لا أخدان فارس ، وأبناء الاصفر ، قوماً جعلهم الله جرزاً لسيوفنا ، وحرزاً لرماحنا ،

ومرميّ لطعاننا ، وتبعاً لسلطاننا ، بل نحن في نور نبوّة ، وضياء رسالة ، وثمرة حكمة ، واثرة رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عصمة ، بين أمة مهدية بالحق والصدق ، مأمونة على الفتق والرتق . لها من الله عزّ وجلّ قلب ابيّ ، وساعد قوي ، ويد ناصرة ، وعين باصرة . أتظن ان ابا بكر الصديق وثب على هذا الامر مفتاتاً [1] على هذه الامة ، خادعاً لها ، متسلّطاً عليها ؟ أتراه امتلخ احلامها ، وزاغ ابصارها ، وحلّ عقدها ، وأحال عقولها ، واستلّ من صدورها حميتها ، وانتزع من أكبادها عصبيتها ، وانتكث رشاها ، وانتضب ماءها ، وأضلها عن هداها ، وساقها الى رداها ، وجعل نهارها ليلاً ، ووزنها كيلاً ، ويقظتها رقاداً ، وصلاحها فساداً ، ان كان هكذا ان سحره لمبين ، وان كيده لمتين . كلا والله بأي خيل ورجل ، وبأي سنان ونصل ، وبأي قوة ومنة ، وبأي ذخر وعدة ، وبأي أيد وشدة ، وبأي عشيرة وأسرة ، وبأي تدرّع وبسطة ، لقد اصبح عندك بما وسمته منيع العقبة ، رفيع العتبة . لا والله ولكن سلا عنها فولهت اليه وتطامن لها فلصقت به ، ومال عنها فمالت اليه ، واشتمل دونها فاشتملت عليه . حبوة حباه الله بها ، وعاقبة بلّغه الله إياها ، ونعمة سربله الله جمالها ، ويد أوجب عليه شكرها ، وأمة نظر الله به لها . ولطال ما حلقت فوقه في أيام رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت لفتها ، ولا يرتصد وقتها . والله أعلم بخلقه ، وأرأف بعباده . يختار ما كان لهم الخيرة . وانك بحيث لا يُجهل موضعك من بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، وكهف الحكمة ، ولا يُجحد حقك فيما آتاك ربك ، ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضخم من منكبك ، وقرب أمسّ من قربك ، وسنّ أعلى من سنك ، وشيبة أروع من شيبتك ، وسادة لها عرف من الجاهلية ، وفرع من الاسلام ،

---

(١) بفاء وتاءين بينهما الف : أي متعدياً .

والشريعة . ومواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقـــة . ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقة، ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع، ولا تخرج منها ببازل[١] ولا ُهبع.فان عذرت[٢] نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك[٣]،فاعذرنا فيما تسمع منا في لين وسكون ، مما لا تبعده منه ، ولا تناضله عليه . ولئن خزيت بهـــذا نفسك ، لينتخشنّ عليك ما ينسيك الاولى ، ويلهيك عن الاخرى . ولو علم من ضننا به بما في انفسنا له وعليه ، لما سكن ، ولا اتخذت انت وليجة الى بعض الارب .

فأما ابو بكر الصديق فلم يزل حبه سويداء قلب رسول الله ﷺ، وعلاقة همه ، وعيبة سرّه ، ومثوى حربه [٤] ، ومفزع رأيه ، ومشورته ، وراحة كفه ، ومرمق طرفه ، وذلك كله بمحضر الصادر ، والوارد ، من المهاجرين، والانصار . شهرته مغنية عن الدلالة عليه .

ولعمري انك اقرب الى رسول الله ﷺ قرابة ، لكنه اقرب قربـــة . والقرابة لحم ودم ، والقربة روح ونفس . وهـذا فرق قد عرّفه المؤمنون . وكذلك صاروا اجمعين .

أجمعين ههنا ، ليست التي يراد بهـــا التوكيد ، انما هي المستعملة في قول العرب : جاء القوم بأجمعهم . وكان الاصمعي يقول : انمـــا هو بأجمعهم بضم الميم لأن المفتوحة الميم لا تضاف، ولا تكون إلا مؤكدة. وخالفه ابن الاعرابي

---

(١) البازل : البعير تاسع سنه. والهبع: كصرد الحمار. قاموس وسيأتي غيره .
(٢) نسخة عددت .
(٣) صاغيتك : الذين يميلون اليك في حوائجهم .
(٤) نسخة : حزنه .

في ذلك وأجاز فتح الميم . وقال : ليست هذه تلك ، كما ان كلا ، المستعملة في قولنا : كل القوم ذاهب ، ليست المستعملة في قولنا : مررت بالقوم كلهم .

ومهما شككت فيه فلا تشك ، ان يد الله مع الجماعة ، ورضوانه لأهل الطاعة ، فادخل فيما هو خير لك اليوم ، وأنفع لك غداً ، وألفظ من فيك ما تعلّق بلهاتك ، وانفث سخيمة صدرك عن ثقاتك . فان لم يكن في الامد طول ، وفي الاجل فسحة ، فستأكله مرياً ، او غير مريء ، وستشربه هنياً ، او غير هنيء ، حين لا رادّ لقولك إلا من كان منك ، ولا تابع لك إلا من كان طامعاً فيك ، يمض اهابك ، ويفري قادمتك ويزري على هديك ، هناك تقرع السن من ندم ، وتجرع الماء ممزوجاً بدم . وحينئذ تأس على ما مضى من عمرك ، ودارج قومك ، فتودّ ان لو سُقيت بالكأس التي أبيتها ، ورددت للحال التي استبريتها ، ولله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه ، وغيب هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لضرّائها وسرّائها ، وهو الولي الحميد ، الغفور الودود .

قال ابو عبيدة رضي الله عنه : فمشيت مزملا [1] اتوجّأ كأنما أخطو على أمّ رأسي ، فرقـــاً من الفرقة ، وشفقاً على الأمة ، حتى وصلت الى عليّ في خلاءٍ فأبثثته بثي كله ، وبرئت اليه منه ، ورفقت له . فلما سمعها ، ووعاها ، وسرَت في اوصاله حمّياها . قال : حلت معلوّطه ، وولت مخروّطه ، حل لا حليت النفس ، أدنى لها من قول اما :

احدى لياليكِ فهيسي هيسي   لا تنعمي الليـلة بالتعريسِ

نعم يا أبا عبيدة ، أكل هذا في أنفس القوم يحثون عليه ويطّبعون به ؟

(١) نسخة : متزملا .

قال ابو عبيدة : فقلت : لا جواب لك عندي، إنما انا قاضٍ حق الدين، وراتق فتق الاسلام للمسلمين . وساد ثلمة الأمة ، يعلم الله ذلك من خلجان قلبي ، وقرارة نفسي .

قال علي رضي الله عنه : والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصداً للخلافة ، ولا إنكاراً للمعروف ، ولا زراية على مسلم ، بل لما وقدني به رسول الله ﷺ بفراقه، وأودعني من الحزن بفقده ، وذلك اني لم أشهد بعده مشهداً إلا جدد لي حزناً ، وذكرني شجواً ، وأن الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره ، فقد عكفت على عهد الله انظر فيه ، واجمع ما تفرّج منه ، رجاء ثوابٍ معدٍّ لمن اخلص عمله ، وسلّم لعلمه ، ومشيئة ربه ، على اني ما علمت ان التظاهر عليّ واقع ، ولا عن الحق الذي سبق إليّ دافع ، واذا قد أفعم الوادي بي ، وحشد النادي من اجلي ، فلا مرحباً بما ساء احداً من المسلمين . وفي النفس كلام : لولا سابق قول ، وسالف عهد ، لشفيت غيظي ، بخنصري وبنصري ، وخضت لجته بأخمصي ومفرقي ، لكني ملجمٌ الى ان القى ربي عز وجل ، وعنده احتسب ما نزل بي ، وأنا عادل الى جماعتكم ، ومبايع لصاحبكم ، وصابر على ما ساءني وسرّكم ، ليقضي الله امراً كان مفعولاً ، وكان الله على كل شيء شهيداً .

قال ابو عبيدة : فعدت الى أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، فنصصت القول على غرّه، ولم اختزل شيئاً من حلوه ومرّه، وذكرت غدوه الى المسجد.

فلما كان صباح يومئذ وافى عليٌّ فخرق الى ابي بكر فبايعه ، وقال : خيراً ، ووصّف جميلاً ، وجلس زميناً ، واستأذن للقيام ، ونهض ، فشيعه عمر تكرمه له ، واستيثاراً لما عنده . فقال له عليّ : ما قعدت عن صاحبكم

كارهاً له ، ولا أتيته فرقاً منه ، وما اقول مـا اقول تعلّة ، واني لأعرف مسمى طرفي ، ومخطى قدمي ، ومنزع قوسي ، وموقع سهمي ، ولكني قد ازمت على فأسي ثقة بالله في الابالة في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر: كفكف عزبك ، واستوقف سربك ، ودع العصا بلحائها ، والدّلا برشائها ، فإنا من خلفها وورائها ، إن قدحنا اورينـــا ، وإن منحنا اروينا ، وإن جرحنا أدمينـــا ، وإن نصحنا أربينا ، ولقد سمعت اماثيلك التي لفوت بها عن صدر آكل بالجوى ، ولو شئت لقلت على مقالتك مـا اذا سمعته ندمت على ما قلته ، زعمت انك قعدت في كسر بيتك لمـا وقدك به رسول الله ﷺ بفراقه .

أفراق رسول الله ﷺ وقدَك وحـــدك ، ولم يَقِدِ سواك ؟ بل مصابه أعظم، وأعز من ذلك ، فإن من حق مصابه أن لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ، ولا يزرى على اخيارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها ، هذه العرب حولنا ، والله لو تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في ممسا .

وزعمت ان الشوق الى اللحاق بـه كافٍ عن الطمع في غيره ؛ فمن الشوق اليه نصرة دينه ، وموازرة اولياء الله تعالى جده ، ومعاونتهم فيه .

وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع مـــا تبدّد منه ؛ فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده ، والرقّة على خلقه ، وبذل ما يصلحون به ، ويرشدون اليه .

وزعمتُ أنك لم تعلم أن التظاهر عليك واقع ، ولك عن الحق الذي سبق اليك دافع . فأي تظاهر وقع عليك ؟ وأي حق لك ليط دونك ؟ قد علمت

ما قالت الانصار لك بالأمس سرّاً وجهراً . وما تقلبت عليه بطناً وظهراً . فهل ذكرتك ، او أشارت بك، او وجدنا رضاها عندك ؟ هؤلاء المهاجرون، من الذي قال بلسانه . تصلح لهذا الأمر ؟ او اومأ بعينه ، او همهم في نفسه أتظن أن الناس قد ضلوا من اجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك ؟ وباعوا الله عزّ وجل ، ورسول الله ﷺ ، تحاملاً عليك ؟ لا والله ولكنك اعتزلت تنتظر الوحي ، وتتوكف مناجاة الملك لك . ذلك امرٌ طواه الله عزّ وجل بعد محمدٍ ﷺ . أكان الأمر معقوداً بأنشوطة ، او مشدوداً [١] بأطراف ليطة ؟ كلا والله إن الغيابة لمحقة ، وإن الشجرة لمورقة ، ولا عجماء بعد حمد الله إلا وقد فصحت ، ولا عجفاء إلا وقد سمنت ، ولا بلهاء إلا وقد فطنت ، ولا شوكاء إلا وقد نفحت .

ومن أعجب شانك قولك : لولا سابق قول ، وسالف عهد ، لشفيت غيظي . وهل ترك الدينُ لأحدٍ من اهله أن يشفي غيظه بيده ولسانه ؟ تلك جاهلية قد استأصل الله شافتها ، ودفع عن الناس آفتها ، وأقلع جرثومتها ، وهوّر ليلها ، وغوّر سيلها، وأبدل منها الروح والريحان، والهدى والبرهان.

وزعمت انك ملجم . فلعمري ان من اتقى الله عزّ وجل وآثر رضاه ، وطلب ما عنده ، أمسك لسانه ، وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما واراه [٢] .

قال علي رضي الله عنه : والله ما بذلت وأنا أريد فلتة ، ولا اقررت بما اقررت ، وأنا أريد [٣] حولاً عنه ، وأن أخسر الناس صفقة عند الله عزّ

---

(١) نسخة : مسدوداً .

(٢) نسخة : وراءه .

(٣) نسخة : ابغي .

وجل من آثر النفاق ، واحتضن الشقاق . وبالله سلوة من كل كارث ، وعليه التوكل في كل [1] الحوادث .

ارجع يا أبا حفصٍ ناقعُ القلب، فسيح البال ، مبرود الغليل فصيح اللسان فليس وراء ما سمعته وقلته إلا ما يشدّ الأزر ، ويحط الوزر ، ويضع الأصر ويجمع الألفة ، ويرفع الكلفة ، ويوقع الزّلفة بمعونة الله عزّ وجل وحسن توفيقه .

قال ابو عبيدة : وانصرف عمر ، وهذا أصعب ما مرّ بناصيتي بعد فراق رسول الله ﷺ .

قال ابو حيّان : وروي لنا هذا كله ابو حامد ، ثم اخرج لنا أصله ، فقابلنا به ، فما كان غادر منه إلا ما لا بال له .

فأما ما رواه لنا ابو منصور الكاتب ، فإنه خالف في احرف في حواشي الكتاب ، كل حرفٍ بإزاء نظيره الذي هو مبدل منه . وقد كان ابو منصور بلغة العرب . أبصر ، وفي غرائبها أنقد .

وإنما قدمتُ رواية ابي حامد لأنه بشأن الشريعة أعلم ، ولا عاجيبها احفظ ، وفيما اشكل فيها [2] افقه . وكان اسناد الحديث من جهته .

وقال لنا ابو منصور الكاتب في حديثه ، ولما حضر علي أبا بكر رضي الله عنهما، فقال له ابو بكر : إن عصابةً أنت فيها لمعصومة. وإن أمةً أنتَ

---

(١) نسخة : جميع .
(٢) نسخة : منها .

فيها لمرحومة . ولقد اصبحت عزيزاً علينا ، كريمـــاً لدينا . نخاف الله إذا سخطت . ونرجوه إذا رضيت . ولولا أني شدهت لمـــا أجبت اليه . ولقد حط الله عن ظهرك ما اثقل به كأهلي. وما اسعد من نظر الله اليه بالكفاية. وأنا اليك محتاجون وبفضلك عالمون . والى الله عزّ وجل في جميع الامور [1] راغبون .

شرح ما وقع في هذه الرسالة من فنّ الغريب :

المغن : الذي يتصرّف في كل فنّ . والمخلط : الذي يخلط بعض الأمور ببعض . والمزيل : الذي يفصل بعضها عن بعض . والمعن : الذي يتصرّف في المعـــاني . والجوى : الهوى . والجواء : الناحية من الارض . والمتنفس : الاستراحة والاتساع .

والسقيفة : التي ذكرها هي سقيفة بني ساعدة التي اجتمع فيها المهاجرون والانصار ، عند موت رسول الله ﷺ .

والفن : النوع ويجمع على فنون .

والمتن : في الحديث نصه على وجهه ، وهو من كل شيء ظهره .

والحقاق : جمع حقة وهي وعاء يحبس فيه الطيب والجوهر .

والاعلاق والغوص : الدخول في الشيء الغامض .

قوله نسيج وحده : أي فريد ماله نظير ، وأصله في الثوب الرفيع الذي الذي لا مثال له ، يصنع له منسجٌ وحده لا ينسج عليه غـــيره . واستعير ذلك للرجل الذي لا نظير له في فنه .

---

(١) نسخة : الاحوال .

سرد الحديث : تتابع ألفاظه ، وكلماته ، كما هي ، لا يقدم المتأخر ، ولا يؤخر المتقدم . ويقال : سردُ الحديث ، نصّه ووصل اسناده .

والهنة : اللطيف من كل شيء .

قوله ورحض عرها : أزال مكروهها ، وأصله من العر ، وهو داء يأخذ الابل .

قال الشاعر :

كذا العرّ يكوي غيره وهو راتع

والتلكؤ : التأخر . وأزاح ضوءها : أذهب ضررها . والشماس : النفار. والتهمهم ، والهمهمة : كلام لا يصرّح به . والنفاس : المنافسة ، والجدل . يرمل : يصلح . والسرجين ، والسرقين : لغتان للزبل . تنفرج : تفترق .

وذات البين : الحال المتصلة به ، من قوله تعالى : « لقد تقطع بينكم » .

والظهير : المعيّن الذي يشد به ظهره .

مثإه ، والثأي : الافساد . وأصله في الخرز ، وهو ان يثقب الخرزة ، فتصير الاثنان واحدة . يقال : أثأن الخرز فهو مثاء .

والمغبوط : الذي يتنافس فيه .

والقبس : عود في طرفه النار ، فضرب مثلاً لمن يستعان برأيه .

وقوله خوار العنان : يقال : فرس خرار العنان ، اذا كان صاحبه يصرفه كيف ما أراد ، فضرب مثلاً .

الدوح : الشجر العظيم . والردء : العون . وقوله يندمل يقول : يعبق .

والمسبار : فتيل يدخل في الجرح . يقال : سبرت الجرح ، اذا اختبرته بالمسبار ، وهو المرود الذي يدخل في الجرح ليرى كم عمقه .

وقوله : غير آل : أي مقصر .

والجهد : بضم الجيم ، الطاقة . وبفتح الجيم الغاية . وقد سوّي بينهما .

والقالي : المبغض المكاره . والجد : التشمير، والاجتهاد . وقوله مفرقة : يفرق فيه . وقوله مفرقة : يفرق من الفزع ، يقول : يفزع من السير فيه .

والجو : الهواء . وأكلف : أغبر . وأغلف : شديد الظلمة . وجلوا : ظاهرة النجوم . وصلعاء : لا نبات فيها .

والصعود : المرتفع ، وبضم الصاد المصدر ، وكذلك الهبوط بالفتح المكان المنحدر وبالضم المصدر .

والثقوب : الناقة الغزيرة اللبن ، قال : والصواب ثقوب العداوة ، والثقوب ، الحطب ، وما يهيج به النار .

والقعة : التأخر ، والقعود عن الامر ، وهو مأخوذ من قولهم : وقع الرجل وهو وقع الرجل اذا اشتكى لحم قدمه ، ولم يقدر على المشي .

وقوله شجار الفتنة : الشجار خشب الهودج ، ضربه مثلاً .

وقوله يدلى بالغرور : الادلاء ، الادخال في الأمر ، وأصله ادخال الدّلو في البئر . والشنوف : المبغض . والعنوف : الشديد : والشالب : الطاعن . والضغن : العداوة . وقوله رائد البوار: قائد الهلاك . وقوله يوحي : يشير . والناجد : آخر الاضراس . وقوله من أفاد ضالتك : أي ردّها .

والحوص : بالحاء غير المعجمة ضيق في العين ، وبالخاء المعجمة غور فيها . والطعن : النهوض . وقوله ما يغيض : أي ما يبين ولا يفهم .

والصعداء : النفَس العالي في الغضب والهمّ .

والخمر : ما التف من الشجر ، وكذلك الضراء ، يقال : يمشي فلان لفلان الضراء ، اذا كان يخفي له العداوة حتى يجد فرصة .

قال الشاعر :

يمشي الضراء وينفي : وأصله ان يستتر الصياد عن الصيد حتى يرميه .

الهدى : الطريق المستقيم . ينقض : يضيق ، وينغلق . والفضاء : المتسع من الارض . والشنان : جمع شن وهي القربة اليابسة . والقعقعة : صوتها اذا حُرّكت ، فاذا حُرّكت للبعير الشارد سكن ، فضرب مثلاً بمن يهدّد بما لا حقيقة له . والوعوعة : صوت الذئب . والشنان : العداوة .

وقوله يريء : أي يوقد ناراً . والتشبب : نحو منه ، وأصله من شبب النار اذا اوقدها .

وقوله ونحن في أثناء ذلك : الاثناء الاعطاف ، والجوب ، واحدها ثنى. والرواسي : الجبال الناتئة . والنواصي : الذوائب . والغمار : الماء الكثير ، وهو جمع غمرة يغمر من يدخل فيه. الامراس : الحبال الذي يستقي بها الماء.

الصاب : الصبر . وقوله نشحذ : نسنّ . والعباب : الموج . والعياب : جمع عيبة .

وقوله تحدج : أي تنظر . وقوله تميد : أي تحيد . والنشب : الضياع . والسبد : الشعر . والوبر : يعني الابل . واللبد : الصوف يعني الغنم ، بقوله ما له لا سبد ولا لبد . والهلة : الفرح وما يستر به الرجل . والبلة : أصله الرطوبة ، والبلل ، ثم يستعمل بمعنى الصلة . والرحب : السعة . والذلاقة : الفصاحة . والمكنونات : المستترات . والأعطان : مبَارك الإبل عند الماء . والمخبور : المجرّب . وأرهص : معناه قدم واصل .

وقوله قلص : يقول شمر . والأردان : الأكام . وقوله يضلع : يعرج .

وقوله اعطى هنا : تنـــاول . والمضّ : والمضض ، والمضاضة الحرقة . واللجاج في الأمر : التلوّن . والأجاج : ضد العذب .

وقوله : ولا يحلم ، يقال : حلم الأديم اذا وقع فيه السوس . والعَضبُ : القاطع ، ويقال : نبأ السيف بنبُو اذا ضربَ به فلم يقطع .

وقوله يجاحش : يدافع . يتضاءل : يتصاغر .

وقوله يتنفج : أي يتفرشخ . والجوجاء : الحاجة . واللوجاء : اتبـــاع وتداخل في الأمر . والتعريض : ضد التصريح . والكناية : كذلك .

وقوله يختلج : أي يضطرب . والعصابة : الجماعة .

وقوله حدب : مشفق . والشجراء : جمع شجير وهو الصديق .

وقوله اصفقت: اجتمعت. والابالة: السياسة. والكفالة: التكفل بالأمور.

وقوله نشراً : النشر ان تنشر الغنم في المرعى فتعدوا عليهـــا الذئاب . والسدى : الشيء المهمل المتفرّق . والعــدا : الاعداء . والعــدى : الغرباء . والعباهل من الابل التي لا حافظ لها . والطلاحي : التي تكلّ فلا تقدر على النهوض . والمباهل : الابل التي لا تمنع اخلافها فيحلبها كل من اراد .

وقوله : بملء فيه ، يعني بكلامه ودفـــاعه . صدع : أظهر . الذائد : الدافع . والحائط : الذي يحوط اي يحفظ وكذلك الواقي . والهادي : الذي يمشّي الأمر الأسدّ . والحادي : الذي يمشي وراء الإبل .

اليافوخ : اصل الدماغ . الصّوى : علامة تجعل في الطريق يهتدى بهـا .

أوضح : بيّن . شدخ : كسر . شرم : شق أنفه . الرادع : القـامع . الغاوي : الضالّ ، المفسد . والضغن : العداوة . والغلّ : البغض .

النامة : شجر ضعيف . هنيئة : أي ساعة . والرقاد محلمـة : أي ظرف الحلمة يحلم فيه اشياء لا حقيقة لهـا . والملحمة : موضع القتال . والمفحمة : دخول الانسان فيما لا ينبغي . والتآلف : التعطف والتمسكين . والفتر : مـا بين السبّابة والإبهام .

وقوله مشوبة : أي ممزوجـة . وقوله معتمل : أي منطبع . والرفع : أصل الفخذ. والصّالي: المتسخن بالنار. والقرار: المكان الذي يستقر به الماء.

وقوله العيّ وشيّ : الشي اتبـاع لعي كقولهم : حسن بسَن ، وشيطان ليطان ، وجايع نايع ، يقال : عيٌ شيٌ وشويٌ .

الرتق : ضد الفتق . الفرق : الفزع . الرهق : فساد الشيء .

وقوله قصف : أي قصم . الختروانة : التكبّر. الفراش : عظام الخيال .

الشجي : ما يغصُ به من عود وعظم ونحوه . والوجرة : الحقد .

الشراسف : أطراف الضلوع . والدخس : ورم يصيب الدابة في حافرها شبيه الانتفـــاخ من العصب . والداس : البحث عن الاخبـار بالتجسس . والخور : الضعف .

وقوله : لبست بسببه جلدة النمر، يقال : لبس فلان لفلان جلد النمر اذا تنكر له وتهيأ لجرحه .

الشحناء : العداوة. والسُّرى : سَير الليل. اتقد[1] بالدّال غير المعجمة: وهو القنقد . الخمرة : شدّ الخمار على الرأس . والحصان : المرأة العفيفة .

---

(١) نسخة : ابن انقد .

والخبرة : الاختبار . والعون : التي كان لهـا زوج . والفرعاء : الكثيرة الشعر . والحالي : العنق المزيَّن بالحلى . محبَّس : مقيد . معبد : مذلل .

وقوله : ملمس ، أي مـا يلمس . وقوله : مأيس ، أي تأثير . والمزع : القطع . والأثرة : ما يؤثر به الرجل دون غيره ، أي يخصّ .

وقوله : مأمونة على الرتق والفتق ، المعنى الاصلاح والافساد .

وقوله : مفتاتاً ، يعني بغير اختيارهم . والحمية : الانفة .

وقوله : انتكث رشاها ، يقول : نقض حبلها .

وقوله: انتضب ماءها، يقال: نضب الماء اذا جفّ وانضبته أنا وانتضبته.

المتين : القوي . الأيد : القوة . والأسرة [1] : الطبقة .

وقوله : بأي تدرّع من الدّرْع . وقوله ولهت : حنـّت . وتطامن : انخفض . والحبوة : العطية . وقوله : سربله ، أي ألبسه سربالها .

وقوله : لا يلتفت لفتها ، أي جهتها . والكهف : الجبل .

وقوله : وقربي أمَسُّ ، أي ألصق . والعرق : الاصل . والبازل : الجمل المسنّ. والهُبَّع: الصغير من اولاد الإبل وهو الذي يولد في آخر زمن النتاج ، فإن ُولد في أوله فهو ربع .

وقوله تهدر به شقشقتك : يقـال : هدر البعير اذا صاح ، والشقشقة : ما يخرج من حلقه عند هديره. والصاغية : القرابة. المناضلة: المراماة بالسهام.

وقوله خزيت : اي خضعت . وقال بعضهم : وخزيت هنا لا معنى له ، والصواب أنفت . ليفتحشنّ : ليقومنّ ويتحركنّ .

---

(١) قوله : والاسرة الطبقة في القاموس والاسرة من الرجل رهطه الادنون .

وقوله والفظْ : أي اطرحْ . وقوله وانفث : المعنى ابعـد . والسخيمة : العداوة . والنفاث : ما ينفث به . وقوله مريئاً : أي طيباً .

وقوله يعضّ اهابك : اي يشق جـلدك . ويفري قادمتك : اي يقطع ، والقـادمة : ريش مقدّم الجناح تجمع على قوادم .

وقوله استبرأتها : اي تحلـّيت منها . التزمـّل : الالتفاف .

وقوله أتوجّى: أتمارج . وقوله حلـّت مغلوّطة: اي نزلت، والمغلوّطة: النـــاقة توسم في عنقها بالنار . واسم تلك السمة الغلاطة .

وقوله مخروّطة : اي رقيقة المؤخر ، وهو مكروه في الإبل . ويقـال للناقة اذا زجرت حل حل ، يقال : حلحلتُ بالإبل اذا قلت لها حل حل ، فاذا لم تزدجر قلت لها لا حليتِ : اي لا ظفرتِ بما أردتِ . ومثله قوله : فهيسي هيسي ، فانه يضرب مثلاً لمن وقع في داهية وأمر عظيم ، يحتـاج فيه الى الانزعاج ، وترك الإخلاد الى الراحـة . والهيس : السير الشديد . وأصل هذا المثل ان طسماً وقعت بجديس ، وأبادتها ، من قصة طويلة جرت بينهما ، فقال في ذلك بعض الرجال : ما ذكره في الرسالة .

وقوله لعا : كلمة تقال للعاثر اذا عثر ، ومعناه : انتعشْ وقمْ .

وقوله على غرة : اي على طبه الاول، ويُضرب مثلاً للأمر الذي لا يغيّر عما كان عليه . والزميت : الساكن .

وقوله مخطىقدمي: اي حيث يخطو قدمي. ومنزع قوسي: ايحيث أرمي.

وقوله أزمت على فاسي فاس اللجام: ما يدخل منه في فم الفرس، يقال: أزم الفرس على فارس اللجام اذا عضّ عليه .

الابالة : الحالة وانقلاب الامور ، وهي الادالة . والغرب : الحد هنـا .
واللحـا : القشر . والرشا : الحبل . أورى الزند : اذا ظهر منه النـار .
والماتح : الذي يخرج الماء من البئر .

وقوله إن نصحنا : أصله مَن نصح اذا خاط ، وأربينا : أصلحنا .

أكِل مقصور : اي مقروح . والجوى : داء يعترض في الجوف . العصام : حبل القربة فضربه مثلاً . المؤازرة : المعاونة .

وقوله تداعت : اي دعا بعضها بعضاً . العهد هنا : القران .

وقوله ليط : اي ستر . الإيماء : الاشارة . الهمهمة : كلام لا يُصرَّح به.
الانشوطة : العقدة التي يُجذب بطرفها فتنحلّ. واللّيط : قشر القصب.
الغيابة : ما أظلّ الانسان فوق رأسه كالسحابة او الغبرة .

وقوله محلقة : اي مستديرة . وقوله استأصل : اي انتزعها من أصلها .
والشافة : قرحة تخرج في القدم فتكوى . فضرب مثلاً .

جرثومة : كل شيء أصله ، والجرثومة ما يجتمع في أصل الشجرة .

وقوله وهور ليلها : أصله من هور الرجل البنيان اذا هدمه فيريد أذهبَ ليلها . والنكث : النقض . وقوله خولاً : اي تخوُّلاً .

وقوله احتضن : اي تأبّط ، والحضن : الإبط . والشقـاق : الخلاف .
وهو ناقع القلب : اي يرتوي .

وقوله مبرود الغليل : الغليـل : حرقة العطش . الفسيح : الواسع .
واللبان : الصدر . والأزر : القوة . والوزر : الثقل ، وأراد به هنا الإثم .
والاصر : الثقل . وقوله شدهت : اي تحيرت . والكاهل : أعلى الكتفين .

ابو بكر الصديق رضي الله عنه :

قاتل أهل الردة حتى رجعوا الى الاسلام . وقتـــل مسيلمة الكذاب ، والأسود بن كعب العبسي ، وأسر طليحة الكذاب ، وفتح اليامة .

وأما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه :

فهو الذي فتح الفتوح ، ودوّن الدواوين، وأقطع الاجناد ، ورتب الناس في العطاء على منازلهم ، وقرّبهم من رسول الله ﷺ ، وجمع النـــاس لصلاة التراويح في شهر رمضان ، وتلاوة القرآن في جميع المساجد . وجعل الخلافة من بعده في ستة :

عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن ابن عوف ، على ان يختاروا من الستة .

وأوصى عبد الرحمن بن عوف ان يعطي لمن بقي من أهل بدر لكل رجل منهم مائة دينار . وأخذ عثمان بن عفان معهم ، وهو خليفة ، مائة دينار .

وأما عثمان بن عفان رضوان الله عليه :

فكان ممن أنفق ماله على رسول الله ﷺ ، وفي مصالح المؤمنين ، وفي جيش العسرة، وبئر رومة، وفي أيامه حيي الخراج، وكان يفرّقه على الصحابة حتى استغنى الناس . وجمع القرآن في المصحف ، وكان متفرقاً ، وأعانـه على ذلك من حضر من اصحاب رسول الله ﷺ. وكانت في ايامه فتوحات كثيرة.

وأما علي بن ابي طالب رضوان الله عليه :

فكان في ايامه حروب كثيرة ، منها يوم الجمل ، وسار الى قتـــال اهل

البصرة وهو يوم الجمل في ثلاثين الفاً . وسار الى صفين في خمسة وعشرين الفاً. وسار الى النهروان في اربعة عشر الفاً.خرج عليه بعد صفين عبد الله بن عمرو اليشكري في اهل حروراء .

وأما الحسن بن علي رضوان الله عليه :

فلما سار الى معاوية ، والتقيا بأرض الانبار ، نظر الى العسكرين وأفكر فيما يكون بينهما من القتل ، أحبّ السلامة ، وطلب العافية ، وصلاح الامة ، وحقن دماء المسلمين . صالح معاوية ، وسلم الامر اليه ، وبايعه ، ودخلا جميعاً الكوفة مع عسكريهما . ودفع معاوية الى الحسن بن علي رضي الله عنهما جميع ما أراد من المال وغيره ، وردّه الى المدينة ، وولي على الكوفة المغيرة ابن شعبة الثقفي ، ورجع معاوية الى الشام بالعسكرين ، وفعل الله هذا الصلح تصديقاً لقوله ﷺ : وقد نظر الى الحسن رضي الله عنه ابني هذا سيد يُصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

ذكر ما روي عن العشرة الذين هم أكابر الصحابة رضي الله عنهم من الحديث ما رويناه من حديث تقي بن مخلد :

ابو بكر الصديق رضي الله عنه : روي عنه مائة حديث ، واثنان وثلاثون حديثاً .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه : روي عنه خمسمائة حديث ، واثنان وثلاثون حديثاً .

عثمان بن عفان رضي الله عنه : مائة حديث ، وستة وأربعون حديثاً .

علي بن ابي طالب رضي الله عنه : خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثاً .

سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه : مائتا حديث وأحد وسبعون حديثاً .

الزبير بن العوّام رضي الله عنه : ثمانية وثلاثون حديثاً .

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : ثمانية وثلاثون حديثاً .

ابو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه : اربعة عشر حديثاً .

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : خمسة وستون حديثاً .

سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل رضي الله عنه : ثمانية وأربعون حديثاً .

ما روى [1] اهل البيت ونساؤه وخدمه ومواليه رضي الله عنهم :

والسياق ليس على الترتيب ، وانما هو على حسب ما وقع بـه الذكر في الوقت .

خديجة ام المؤمنين : حديث واحد .

بنت حمزة بن عبد المطلب : حديث واحد .

عقيل بن ابي طالب : ستة أحاديث .

انس بن مالك : الفا حديث ، ومائتا حديث ، وستة وثمانون حديثاً .

عائشة ام المؤمنين : الفـا حديث ، ومائتا حديث ، وعشرة أحاديث .

عبد الله بن عباس : الفا حديث ، وستمائة حديث ، وستون حديثاً .

ام سلمة ام المؤمنين : ثلاثماية حديث ، وثمانية وسبعون حديثاً .

---

(١) نسخة : رواه .

اسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ : مائة حديث ، وثمانية وعشرون حديثاً .

ميمونة ام المؤمنين : ستة وسبعون حديثاً .

ثوبان مولاه ﷺ : مائة حديث ، وثمانية وعشرون حديثاً .

ابو رافع مولى رسول الله ﷺ : ثمانية وستون حديثاً .

سلمان الفارسي : ستون حديثاً .

حفصة ام المؤمنين : ستون حديثاً .

ام هانىء بنت ابي طالب : ستة وأربعون حديثاً .

العباس بن عبد المطلب : خمسة وثلاثون حديثاً .

عبد الله بن جعفر بن ابي طالب : خمسة وعشرون حديثاً .

الفضل بن العباس : اربعة وعشرون حديثاً .

فاطمة بنت رسول الله ﷺ : ثمانية عشر حديثاً .

شعبة مولى رسول الله ﷺ : اربعة عشر حديثاً .

الحسن بن علي : ثلاثة عشر حديثاً .

زينب بنت جحش ام المؤمنين : عشرة أحاديث .

ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب : احد عشر حديثاً .

صفية ام المؤمنين : عشرة أحاديث .

الحسين بن علي : ثمانية احاديث .

جويرية ام المؤمنين : سبعة احاديث .

سلمى مولاه عليه السلام : سبعة احاديث .

سودة ام المؤمنين : خمسة احاديث .

زيد بن حارثة مولاه عليه السلام : اربعة احاديث .

عبيد مولاه ﷺ : ثلاث احاديث .

احمد مولاه ﷺ : ثلاث احاديث .

ميمونة بنت ابي لهب : حديثان .

ابو سلمى راعي رسول الله ﷺ حديثان .

مهران ، وكيسا ، وابو أثيلة ، مواليه عليه السلام : حديث واحد .

روينا من حديث ابن اسحاق بن بشر القرشي ، عن مقاتل بن سليمان ، عن الضحّاك بن مزاحم ، عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يخلق الخلق ولا خلق ، خلق نوراً ، وخلق من ذلك النور ظلمة ، وخلق من تلك الظلمة نوراً ، وخلق من ذلك النور ياقوتةً خضراء غلظها غلظ السبع سموات والسبع الارضين وما بينهن ، ثم دعا تلك الياقوتة ، فلما سمعت كلام الله عزّ وجل ذابت الياقوتة فرقا حتى صارت ماءً ، فارتقى الماء من دهش تلك المهابة والخوف . ثم خلق الريح ، ثم وضع الماء على متن الريح .

ثم خلق العرش ، فوضع العرش على الماء ، وخلق للعرش الف لسان ، لكل لسان الف لون من التسبيح ، والتحميد .

وكتب في قباله إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ، ومحمد عبدي ورسولي . فمن آمن برُسلي ، وصدق بوعدي ادخلته جنتي .

ثم خلق الكرسي بعد عرشه بألفي عام من غير الجوهر الذي خلق منه العرش ، والكرسي في جوف العرش كحلقة في وسط فلاة ، والسموات والأرض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة في وسط فلاة .

ثم خلق القلم من نور ، وجعل طوله من السماء الى الأرض ، فخرّ لله ساجداً .

ثم خلق اللوح المحفوظ ، فخرّ أيضاً ساجداً .

ثم قال لهما : ارفعا رؤسكما ، وخلق ثلاثمائة وستين سناً للقلم يستمد كل سنٍ من ثلاثمائة وستين بحراً من العلوم .

واللوح من زمرّدة خضراء له دّفتان من ياقوتة فقال للقلم: اكتب، فقال: ماذا اكتب يا ربي ؟ قال : اكتب في اللوح ، فالقلم يكتبُ والحق يملي ما هو كائن الى يوم القيمة .

وفي حديث مجاهد ، عن ابن عباس ان اللوح من درّة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، حافتاه الدرّ والياقوت ، ودّفتاه ياقوتة حمراء . واللوح في حجر ملك اسمه ماطريون . ولله في كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة .

ومن حديث اسحاق أيضاً ، عن ابي بكر الهذلي ، عن الحسن : ليس شيء عند ربكم من الخلق أقرب اليه من إسرافيل ، وبينه وبين ربه سبعة حجب :

حجاب العزّة ، ثم حجاب الجبروت ، ثم حجاب من نار ، ثم حجابٌ من غمام ، ثم حجاب من ياقوت، ثم حجاب من ماء ، ثم حجاب من دخان.

غلظ كل حجاب خمسمائة عام . وإسرافيل دونها يراه بين منكبيه كذا كذا سنة ، ورأسه من تحت العرش ، ورجلاه في تخوم الثرى ، له جناح بالمشرق ، وجناح بالمغرب ، وجناح من تحته ، وجناح من فوقه ، قد غشى رأسه ، وغطى وجهه ، وليس شيء أقرب الى الله عزّ وجل بعد إسرافيل من ثلاثة :

الرحمة ، وأم الكتاب ، والحكمة .

فالرحمة عن يمينه ، وأم الكتاب عن اليمين الاخرى .

فإن كلتي يدي الله يمين مباركة طيبة والحكمة فيما بين ذلك فإذا أراد الله أن يقضي قضاءً قضاه بعلمه ، ولا يشهده من خلقه احدٌ حين يحكمه .

خبر قصيّ لما اسنّ وما صنع مع اولاده :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جدّه عن سعيد، عن عثمان بن جريج، وعن ابن إسحاق، وكل يزيد على صاحبه في حديثه : فلما كبر قصيّ بن كلاب وكان اوّل ولده عبد الدار ، وكان ولده عبد مناف قد شرف في زمن ابيه ، ذهب شرفه كل مذهب . وعبد الدّار ، وعبد العزّى ، وبنو قصيّ ، بها لم يبلغوا ولا احدٌ من فوقهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر، والشرف والعزّ ، وكان قصيّ وحبيّ بنت حُليل يحبان عبد الدّار ، ويرقان عليه ، لما يريان من شرف عبد مناف عليه وهو أصغر منه . فقالت له حبيّ : لا والله لا أرضى حتى تخصّ عبد الدار بشيء يلحقه بأخيه . فقال قصيّ : لا والله لا لحقته به ، ولأحبونه بذروة الشرف حتى لا يدخل احدٌ من قريش وغيرها الكعبة إلا بإذنه . ولا يقضون امراً ، ولا يعقدون لواءً إلا عنده . وكان ينظر في العواقب . فأجمع قصيّ على أن يقسم امور مكة الستة التي

فيها الذكر ، والشرف ، والعزّ بين ابنيه ، فأعطى عبد الدار السدانة وهي الحجابة ، ودار الندوة ، واللواء . وأعطى عبد مناف السقاية ، والرّفادة ، والقيادة ، وكانت الرفــادة خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من اموالها الى قصيّ بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحجاج [1] ، فيأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ، وكان قصي هو الذي فرضه على قريش . قال لهم : يا معشر قريش انكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وان الحجاج ضيف الله ، وزوّار بيته ، وهم أحق ضيف الله بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً ايام الحج حتى يصدروا عنكم. ففعلوا ، فكانوا يخرجون لذلك كل عام خرجاً، فيدفعون اليه ، فيصنعه طعاماً ايام منى ، فاستمر ذلك الى اليوم .

فلما هلك قصي أقيم امره في قومه بعــد وفاته ، على ما كان عليه في ايام حيــاته . ووليّ عبد الدار ، فلم يزل على اثر [2] ابيه حتى هلك . وجعــل عبد الدار الحجابة بعده الى ابنه عثمان بن عبد الدار . وجعل دار الندوة الى ابنه عبد مناف بن عبد الدار . فـلم يزل بنو عبد مناف بن عبد الدار يلون الندوة دون ولد عبد الدار . فكانت قريش إذا أرادت أن تشاور في أمر فتحها لهم عــامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، او بعض ولده ، او ولد اخيه . وكانت الجــارية إذا حاضت ادخلت دار الندوة ، ثم يشق عليها بعض ولد عبد مناف بن عبد الدار درعهــا ، ثم درّعها إياه ، وانقلب بهــا اهلهــا فحجبوها . فكان عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار يسمى محيضاً . ولم يزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون الحجابة دون ولد عبد الدار .

---

(١) نسخة : للحاج .

(٢) نسخة : عهد .

ثم وليها عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار . ثم وليها ولده ابو طلحة عبد الله ابن عبد العزّى بن عبد الدار . ثم وليها ولده من بعده حتى كان فتح مكة ، فقبضها رسول الله ﷺ من ايديهم ، وفتح الكعبة ، ودخلها . ثم خرج رسول الله ﷺ من الكعبة مشتملاً على المفتاح ، فقال له العباس بن عبد المطلب بأبي انت وأمي يا رسول الله اعطنا الحجابة مع السقاية ، فأنزل الله تعالى على نبيّه « إن الله يأمركم أن تؤدّوا الامانات الى اهلها » قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فما سمعتها [1] من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة . فتلاها ثم دعا عثمان بن طلحة ، فدفع اليه المفتاح ، وقال : غيّبوه . ثم قال : خذوها يا بني ابي طلحة بأمانة الله ، فاعملوا فيها بالمعروف خالدة وتالدة لا ينزعها من ايديكم إلا ظالم . فخرج عثمان بن طلحة الى هجرته مع النبي ﷺ ، وأقام ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابي طلحة ، فلم يزل يحجب هو وولد اخيه وهب بن عثمان حتى قدم ولد عثمان بن طلحة بن ابي طلحة ، وولده شافع بن طلحة بن ابي طلحه في المدينة . وكانوا بها دهراً طويلاً . فلما قدموا حجبوا مع بني عمهم ، فولد ابي طلحة يحجبون جميعاً .

وأما اللواء فكان في ايدي عبد الدار كلهم ، يليه منهم ذو السن ، والشرف ، في الجاهلية حتى كان يوم احد ، فقتل عليه من قتل منهم .

وأما السقاية ، والرفادة ، والقيادة ، فلم تزل لعبد مناف بن قصي يقوم بها حتى توفي . فولى بعده هاشم بن عبد مناف بن قصي السقاية ، والرفادة . وولى عبد شمس بن عبد مناف القيادة . فكان هاشم بن عبد مناف يطعم

---

(١) نسخة : سمعناها .

الناس في كل موسم بما يجتمع عنده من ترافد قريش ، كان يشتري بما يجتمع عنده رقيقاً ، ويأخذ من كل ذبيحة من بدنة او بقرة او شاة ، ثم يجمع ذلك كله ، فيحرر به الدقيق ، ثم يطعمه الحاج . فلم يزل ذلك من أمره حتى أصاب الناس سنةٌ وجدبٌ شديد ، فخرج هاشم بن عبد مناف الى الشام ، فاشترى بما اجتمع عنده ومن ماله دقيقاً وكعكاً ، فقدم به مكة في الموسم، فهشم ذلك الكعك ، ونحر الجزر ، وطبخه ، وجعله ثريداً ، وأطعم الناس ، وكانوا في مجاعة شديدة ، حتى أشبعهم . فسمّي بذلك هاشم ، وكان اسمه عمرو .

وفي ذلك يقول ابن الزبعريّ السهمي :

كانت قريش بيضة فتفلّقتْ فالمخّ خالصُها لعبد منافِ
الرائشين وليس يوجد رائش والقائلين هلمّ للأضياف
والخالطين غنيّهم بفقيرهم حتى يعود فقيرهم كالكاف
والضاربين الكبش يبرق بيضة والمانعين البيض بالأسياف
عمرو العلا هشمَ الثريد لمعشر كانوا بمكة مسنتين عجاف

يعني بعمرو العلا هاشماً ، فلم يزل هاشم على ذلك حتى توفي . وكان عبد المطلب يفعل ذلك ، فلما توفي عبد المطلب قام بذلك ابو طالب . وكان عبد المطلب في السقاية يسقي لبن النوق بالعسل في حوض من ادم، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم . وقام بأمر السقاية بعده العباس .

ومما نظم في معنى قول عمر بن ابي ربيعة :

لبثوا ثلاث مِنىً بمنزل قلعةٍ فهمُ على غرضٍ لعمْرُك ما هُمُ
متجاورين بغير دار إقامةٍ لو قدّ اجدر حبلهم لم يندموا

ولهن بالبيت العتيق لبانة — والبيت يعرفهنّ لو يتكلمُ
لو كان حياً قبلهن ظعائناً — حيّا الحطيمُ وجوههن وزمزمُ

ولنا في هذا المعنى :

يا خليليّ ألِمّا بالحمى — واطلبا نجداً وذاك العلَما
ورِدا ماءً بخيمات اللّوا — واستظلا ظِلها والسَّلما
واذا ما جئتما وادي منىً — فالذي قلبي به قد جئتما
أبلغا عني تحيات الهوى — كل من حل به او اسلما
واسمعا ماذا يجيئون به — وأخبرا عن دنف القلب بما
يشتكيه من صبابات الهوى — معلناً مستخبراً مستفهما

ومن قول العرجيّ في منى :

الشهر تمّ الحوْل يتبَعُه — ما الدّهرُ إلا الحول والشهرُ

حدثنا يونس بن يحيى ، نبأ ابو بكر بن ابي منصور ، نبأ احمد بن محمد البخاري ، انبأ ابو محمد الجوهري ، نبأ ابو حبويه ، نبأ محمد بن خلف ، قال: قال ابو عمر الشيباني : لما ظهر بقيس من الجنون ما ظهر ، ورأى قومه ما ابتلى به اجتمعوا الى ابيه وقالوا له : لو خرجت به الى مكة فطاف ببيت الله عز وجل ، وزار قبر رسول الله ﷺ ، رجونا ان يرجع عليه عقله ، فخرج به ابوه حتى أتى مكة ، فجعل ابوه يطوف به ، ويدعو الله له بالعافية ، وقيس يقول :

دعا المحرمون الله يستغفرونه — بمكةَ وهناً ان تمحّى ذنوبها
وناديتُ أي يا رب اوّل سؤلتي — لنفسيَ ليلى ثم انتَ حسيبها
فإن اعط ليلى في حياتي لم يتبْ — الى الله خلق توبة لا اتوبُها

حتى اذا كان بمنى نادى منادٍ من بعض تلك الخيام : يا ليلى ، فخرَّ قيس مغشياً عليه ، واجتمع الناس حوله ، ونضحوا على وجهه المـاء ، وأبوه يبكي عند رأسه . ثم أفاق وهو يقول :

وداعٍ دعا إذ نحنُ بالخيف من منىً ... فهيّجَ اطرابَ الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرهـا فكأنما ... اطار بليلى طائراً كان في صدري

أخبرني بعض الادباء في تلطف محبته، ورقّة معناها (١) ، أنه قربَ يوماً من حيّ ليلى في وادٍ كثير الثلج ، في زمن البرد ، وهو يأخـذ الجليد فيلقيه على فؤاده ، فتذيبه حرارة الفؤاد . فرآه نسوة من الحي ، فجاء بعض فتيات الحي الى ليلى فأخبرنها بما رأين من أمر قيس ، فخرجت مسرعة معهن حتى أشرفت عليه، وهو على تلك الحالة، وهو ينادي: ليلى ليلى، فرمت بنفسها ، وعانقته ، وضمته ، وقـالت : انا بغيتك ، انا مطلوبك ، انا قرّة عينـك . فنظر اليها وتأوه ، فكادت الزفرة تحرقها ، وقال لها : إليك عني ، فإن حبكِ شغلني عنكِ . وأخذ في ولهه ينادي : ليلى ليلى .

ولنا في هذا المعنى :

شغِل المحبُّ عن الحبيب بحبه ... هذا يعلّ وذاك ليس يُعلـّلُ
لولا الخيال له وبرد وصالهِ ... أضحى بنيران الهوى يتحللُ

ولبعض الناس في ذلك :

اذا وجدت اوارَ الحبّ في كبدي ... اقبلتُ نحو سِقاء القوم ابتردُ
هذا يبرّد بَرْد المـاء ظاهره ... فمنْ لحرّ على الاحشاء يتقـدُ

---

(١) نسخة ٢ : معناه .

ثم ولّت في أترابها تطلبُ الحي خوفاً من اهلها ، وهي تقول :

تنفّست الغداة وقد تولّت وعيسُهم معـارضة الطريق
فنادوا بالحريق ففاض دمعي فعـادوا بالحريق وبالغريق

ومن باب كتمان الهوى قوله هـ :

باح مجنون عامرٍ بهواهُ وكتمتُ الهوى فمتُّ بوجدي
فإذا كان في القيامة نودي مَن قتيل الهوى تقدمت وحدي

ومن باب النّفر من منىً :

غدا النفرُ فانظر ما يكون من النفر غدا فرقة الأحباب هل لي من صبرْ
غدا يرحل الظبيُ الغرير بمهجتي وتبقى قلوب العاشقين على الجمر
فقومٌ الى بغداد شدّوا رحيلهم وقوم الى الشام وقوم الى مصر
فإن طلبوا بغداد كنت زميلهم وان طلبوا مصراً فيا حبّذا مصر
وان طلبوا شاماً تعللت بالبكا لعلّهم في الحبّ ان يقبلوا عذري

ومن باب النسيب ، وله وجه في الاعتبار لطيف قوله :

يا ذا الذي حجّ في عهـد الصبا فمضى عنا هـلالاً ووافى نحونا قمرا
صف المناسك لي كيف انتقلت بها فلم أقلّب لبدرٍ بعـدك البصرا
أمّا الجمار فمن قلبي رميت بهـا كا بآخر عمري كنت معتمرا
عن بئر زمزم خبّرني على ظمأ وان في فيك منه الريّ والخصرا
وشفع الحجة الاولى بثانيـة لكي أقبّل ثغراً قبّل الحجرا

ومن قول ابن المعتزّ :

لله درّ منىً وما جمعت وبكا الأحبّة ليلة النَّفْرِ
ثم اغتدوا فرقاً هنا وهنا يتلاحظون بأعين الذكر
ما للمضاجع لا تلايمني وكأن قلبي ليس في صدري

ومن باب النسيب في الطائفات :

قلتُ لها في الطواف معترضاً لا تستحلّي بالله سفك دمي
فكان من قولها وقد جعلت تستر ذاك الشقيق بالعَنَم
نحن ظباءٌ ولا يحلّ لكم في الدين صيد الظباء في الحرم

حدّثنا موسى بن محمد قال : حجّ رجل أعجمي فيه خير وديانة . فبينما هو في الطواف عن الركن اليماني ، وصوت خلخال من قدم بعض الحسان الطائفات قد وقع في أذنه ، فأثر في قلبه ، فالتفت الى الشخص ، فخرجت يد من ركن البيت فضربته على عينه التي التفت بها ، فألقتها على خده، وسمع عند الضربة صوتاً من جدار البيت قائلا يقول : تطوف الى بيتنا ، وتنظر الى غيرنا ، هذه نظرة بلطمة أفقدناك فيها عينك . وان زدت زدنا . قال : وكانت له امرأة يحبها فتوفيت . قال موسى : ربما لو اعتنى بتاريخ موتها لوجد في تلك الساعة التي نظر فيها . فعوقب ضعفين : فقد عينه ، وأهله . قلت لموسى بن محمد : رأيت انت الرجل ؟ فأظنه قال : نعم رأيته .

وقال الشريف الرضي :

أعاد لي عيد الصفا جيراننا على مِنى
كم كبدٍ معقورةٍ للعاقرين البدنا
تخفي تباريح الجوى وقد عنانا ما عنا

وبارق أشيمُهُ كالطـّرف أغنى ورَنا
ذكـّرني الأحباب والذ كرى تهيج الحزنا
من بطن مرٍّ والسوى نور عسفان بنـا
وبالعراق وطوى يا بعـد ما لاح لنا

وأنشد ابن هلال :

الى كم تعدني ليلةً بعـد ليلة بخيف منىً اذ نام اهل المنازل
قتيل بأرض الشام من غير علـّةٍ تواطت على خديه أيدي الرواحل
يقولون مَن هذا القتيل الذي نرى وينظر شذراً من حلال المحامل
ولو عاينوا ما حل في مضمر الحشا رأوا شخص مقتول يلوذ بقاتل

وقال مهيار الديلمي :

وما بنـا إلا هوى حيّ على خيفٍ منى
يا حسن ذاك موقفاً ان كان شيئاً حسنا
منى لعيني ان ترى تلك الثلاث من منى

ومن ريحانة العاشق :

خرس اللسان ولا دموعٌ تنطق إن الهوى بحشاشتي متعلقُ
لمـا رأيت احبـّتي يوم النوى شط الرحيل ببينهم فتفرّقوا
سلطتُ طوفان الدموع عليهم وبعثتُ أنفاسي لكي لا يغرقوا
فتأوّه الحادي وقال لهم قفوا فبأثركم لا شك من يتعشقُ
فأجبتهم من تحت صوت باهتاً قامت قيامـة عبدكم فترفقوا
ردّوا الصباح لناظريّ فما أرى إلا سيوف الموت حولي تبرق

ومن بستان الوامق :

يا قلبُ من مواطن — لم يرض منها وطنا
ويوم سلعٍ لم يكن — يومي بسلعٍ هيّنا
وقفتُ استسقي الظما — فيه واستشفي الضّنا
وفضحت سرّ الهوى — عيني فصار علنـا
ويوم ذي ألبان تبا — يعنـا فحزتُ الغبنا
كان الغرام المشتري — وكان قلبي الثمنا

وقال جميل بن معمر العدوي :

الحبّ اول ما يكون الحاجةِ — تأتي بـه وتسوقه الاقدارُ
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى — جاءت أمورٌ لا تطاق كبار

وقال الآخر :

الحبُّ اوله حـلو وأوسطه — مرٌّ وآخره التوديعُ والأجل

ومن باب نوح الحمام :

حمـامَ الأراكِ ألا خـبّرينا — بمـن تهتفين ومن تندبينا
لقد شقتِ ويحكِ منّا قلوباً — وأذرفت ويحكِ منـا عيونا
تعالي نُقمْ مأتمـاً للفراق — ونندُبُ أحبابنا الظاعنينا
وأسعدكِ النوح كي تسعدينا — كذاك الحزينُ يوالي الحزينا

وروينا من حديث ابن باكويه ، عن ابي زرعة الطبري ، عن ابي زرعة ، الدمشقي ، قال : خرج علي بن الفتح الحلبي يومـاً فرأى الناس يتقرّبون الى

الله تعالى فقال: يا رب أرى الناس يتقرّبون اليك بألوان الذبائح وإني تقرّبت اليك بحزني ، ثم غشي عليه ، فأفـاق ثم قال : إلهي الى متى تردّدي في دار الدنيا محزوناً فأقبضني اليك . فوقع من ساعته ميتاً .

ولبعضهم في هذا المعنى :

للنـاس حجّ ولي حج الى سكني تهدي الاضاحي وأهدي مهجتي ودمي

ولنا فيه غير إني زدتُ فيه معنى عرفانياً :

وأهدي عن القربان نفساً معيبـةً وهـل ريء خلقٌ بالعيوب تقرّبا

وروينا من حديث ابي بكر احمد بن الحسن البيهقي، عن ابي سعيدٍ الماليني عن ابي بكر محمد بن محمد بن يعقوب ، عن محمـد بن يوسف قال : سمعتُ أبا ثابتٍ الخطاب يقول : سمعتُ ابراهيم بن موسى يقول : رأيتُ فتىً صلى يوم عيد الاضحى وقـد شمّ روائح اللحوم ، فدخل الى زقاق ، فسمعته يقول : تقرب المتقرّبون اليك بقربانهم ، وأنا أتقربُ اليك بطول حزني . يا محبوبي . كم تتركني في ازقة الدنيا محزوناً ؟ ثم غشي عليه ، وحمل الى منزله ، فدفنّاه بعد ثلاثٍ . هذا هو فتح بن شرف الموصلي من سادات القوم ، شعر :

ضحى الحبيبُ بقلبي يوم عيدهم والناس ضحوا بمثل الشاء والغنم
إن الحبيب الذي يرضيه سفك دمي دمي حلالٌ له في الحلّ والحرم
للناس حجّ ولي حجّ الى سكني تهدى الاضاحي وأهدي مهجتي ودمي
يطوف بالبيت قومٌ لا بجارحـةٍ بالحب طافوا فأغناهم عـن الحرم
يا لائمي لا تلمني في هواه فـلو عاينت منه الذي عاينتُ لم تـلم

ذكر ما رثى به عمات النبي ﷺ اباهن عبد المطلب :

روينا من حديث محمد بن اسحاق قال : حدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس ، عن بعض اهله ان عبد المطلب توفي ، ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنين . قال ابن اسحاق : عن محمد بن سعيد ابن المسيب ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعلم انــه يموت جمع بناته ، وكنّ ستّ نسوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى . فقـال لهن : أبكين عليّ حتى اسمع ما تقلن قبل ان اموت . قال ابن هشام: ولمّ أر احداً من اهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر إلا انه لما رواه عن محمـــد بن سعيد ابن المسيّب كتبناه .

فقالت صفية ابنته تبكيه هـ :

ارقتُ لصوت نائحةٍ بليل — على رجل بقارعـة الصّعيدِ
ففاضت عند ذلكمُ دموعي — على خدي كمنحدر الفريـد
على رجل كريمٍ غير وغل — له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شيبةَ ذي المعالي — أبيك الخير وارث كل جود
صدوق في المواطن غير نكسٍ — ولا شخب المقام ولا سنيد
طويل الباع أروع سَبطميّ — مطاع في عشيرتــه حميد
رفيـع البيت ابلج ذي فضول — وغيث الناس في الزمن الجرود
كريم الجد ليس بذي وصُومٍ — يروق على المسَوّد والمسُود
عظيم الحلم من نفر كرام — خضارمة ملاوثـــة اسُود
فلو خلد امرءٌ لقديم مجدٍ — ولكن لا سبيل الى الخـلود
لكان مخلداً اخرى الليـالي — لفضل المجـد والحسب التليد

وقالت ابنته برّه تبكيه هـ :

أعينيّ جودا بدمعٍ درر … على طيّب الخيمِ والمعتصَرْ
على ماجد الجد وارى الزناد … جميل المحيّــا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذي المكرمات … وذي المجد والعزّ والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبات … كثير المكارم جَمّ الفخر
له فضل مجدٍ على قومــه … منــير يلوح كضوء القمر
أتته المنــايا فـلم تشوه … بصرف الليالي وريب القدر

وقالت ابنته عاتكة تبكيه :

أعينيّ جودا ولا تبخلا … بدمعكما بعــد نوم النيام
أعينيّ واستعبرا واسكبا … وشوبا بكاءكما بالسّدام
أعينيّ واستخرطا واسجما … على رجل غير نكسٍ كهام
على الجحفل الغمر في النائبات … كريم المساعي وفيّ الذمـام
على شيبة الحمد وارى الزناد … وذي مصدق بعد ثبت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة … ومردى المخاصم عند الخصام
وسهل الخليقة طلق اليدين … وفٍ عدملي صمصم لهـــام
تذبّك [١] في بادخٍ بيته هـ … رفيع الذؤابــة صعب المرام

وقالت أم حكيم البيضاء ابنته تبكيه :

ألا يا عين جودي واستهلّي … وابكي ذا الندى والمكرماتِ
ألا يا عين ويحـك اسعديني … بدمعٍ من دمـوع هاطلات

---

(١) أي : ترفع .

وابكي خير مَن رَكـِب المطايا   أباك الخير ثيّـــار الفرات
طويل الباع شيبة ذا المعــالي   كريم الخيم محمود الحبـــات
وَصُولاً للقرابـــة هبزرياً   وغيثــاً في السنين الممحلات
وليثــاً حين تشتجر العوالي   تروق لـه عيون الناظرات
عقيل بني كنانة والمرجى   اذا مــا الدهرُ اقبل بالهنات
ومفزعها اذا ما هاج هيجٌ   بداهيـــة خصيم المعضلات
فابكيه ولا تسمى لحزنٍ   وابكي مــا بقيت الباكيات

وقالت أميمة ابنته تبكيه :

ألا هلك الداعي العشيرة ذوالعقد   وساقي الحجيج والحامي عن المجدِ
ومَن يألف الضيف الغريب بيوته   اذا ما سماءُ الناس تبخلُ بالرعد
أبو الحارث الفياض خلّى مكانه   فلا تبعدنّ فكل حيّ الى بُعد
فأنى لباكٍ ما بقيت وموجع   وكان له اهلاً لمــا كان من وجد
سقاك وليّ الناس في القبر ممطراً   وسوف أبكيه وإن كنت في اللحد
وقــد كان زينــاً للعشيرة كلها   وكان حميداً حيث ما كان من حمد

وقالت ابنته اروى تبكيه هـ :

بكت عينيّ وحق لها البكاء   على سمحٍ سجيّته الحيــاءُ
على سهل الخليقــة أبطحيٌّ   كريم الخيم نيتــه العلاء
على الفيّاض شيبة ذي المعــالي   أبيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظميّ   أغرّ كأن غرّته ضياء
أقبّ الكشح أروع ذي فضول   له المجـــد المقــدّم والثناء
أبيّ الضيم أبلج هبرزيّ   قديم المجــد ليس له خفاء

ومعقل مالكٍ وربيع فهرٍ — وفاصلها اذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرماً وجوداً — وبأساً حين تنسكب الدماء
اذا هاب الكماة الموت حتى — كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قِدماً بذي رأي حسيب — عليـــه حين تبصره البهاء

قال : فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيّب انه أشار برأسه وقد أصمت ان هكذا فأبكيتني .

وقال حذيفة بن غانم اخو بني عدي بن كعب بن لؤي : يبكي عبد المطلب ابن هاشم ، ويذكر فضله ، وفضل قصي على قريش ، وفضل ولده من بعــده عليهم . وذلك انه اخذ يغرم اربعة آلاف درهم بمكة ، فوثق بها ، فمرّ به ابو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب فافتكـّه :

أعينيّ جودا بالدموع على الصدر — ولا تسأما أسقيتما وابل القطرِ
وجودا بدمع واسفحا كل شارق — بكاء امرءٍ لم يسوه نائب الدهر
وسحّا وُجمّا واسجُما ما بقيتما — على ذي حياء من قريش وذي ستر
على رجل جَلد القوى ذي حفيظةٍ — جميل المحيّا غير نكس ولا هدر
على الماجد البهلول ذي الباع واللها — ربيع لؤي في القحوط وفي العسر
على خير حاف من مَعدّ وناعل — كريم المساعي طيّب الخير والنحر
وخيرهم أصلا وفرعاً ومعدناً — وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر
وأولاهم بالمجد والحلم والنهى — وبالفضل عند المجحفات من الغبر
على شيبة الحمد الذي كان وجهه — يضيء سواد الليل كالقمر البدر
وساقي الحجيج ثمّ للخبز هاشم — وعبد مناف ذلك السيّد الفهر
طوى زمزماً عند المقام فأصبحت — سقايته فخراً على كل ذي فخر

لِيبكِ عليه كل غادٍ بكربة وآل قصيّ من مقلّ وذي وَفر
بنوه سراة كلهم وشبابهم تفلّق عنهم بيضة الطائر الصّقر
قصيٌّ الذي عادى كنانة كلها ورابط بيتِ الله في العسر واليسر
فإن تك غالته المنايا وصرفها فقد عاش ميمون النقيبة والامر
وأبقى رجالاً سادةً غير عزّل مصاليت أمثال الرّدينية السمر
ابو عتبة الملقى اليّ حباؤه أعزّ هجان اللون من فِقرٍ غرّ
وحمزة مثل البدر يهتزّ للندى نقيّ الثياب والذّمام من القذر
وعبد مناف ماجدٌ ذو حفيظةٍ وصُول لذي القربى رحيم بذي الصهر
كهولهم خير الكهول ونسلهم كنسل ملوكٍ لا تبورُ ولا تجري
متى ما تلاقى منهم الدهر ناشئاً تجــده بأجرياً أوائله تجري
هُمُ ملأوا البطحاء فخراً وعزةً اذا استبق الخيرات في سالف العصر
وفيهم ثبــات للعلا وعمارة وعبد منافٍ جدّهم جابر الكسر
بانكاح عوفٍ بنته فكّ أسرنا من أعدائنا اذ أسلمتنا بنو فهر
فسرنا بها غور البلاد ونجدها بأمنة حتى خاضت العير في البحر
وهم حضروا والناس بادٍ فريقهم وليس بها إلا شيوخ بني عمرو
بنوا هادياتٍ جمّةٍ وطووا بها بياراً لسحّ الماء من تبحّ بحر
لكي يشرب الحجاج منها وغيرهم اذا ابتدروها صبح تابعة النحر
ثلاثــة أيام تظلّ رِكابهم مخيّسة بين الأخاشب والحجر
وقدماً غنينا قبل ذلك حقبة ولا يستقي إلا بجمٍّ او الحفر
هُمُ يغفرون الذنب ينقم دونـه ويعفون عن قول السفاهة والهجر
فخارج إما أهلكنّ فلا تزل لهم شاكراً حتى تغيب في القبر
ولا تنسَ ما أسدى ابن لُبنى فإنه قد أسدى يداً محفوفة منك بالشكر
فأنت ابن لبنى من قصيٍّ اذا انتموا بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر

فأنت تناولتَ العُلى فجمعتها | الى محتدٍ للمجد ذي نتحٍ حبر
سقيتَ وفقتَ القوم بذلاً ونائلاً | وسُدت وليداً كل ذي سؤدد غمر
وأمك سر من خزاعة جوهر | إذا حصل الاحسان يوماً ذوو الخبر
الى سائر الابطال تنمي وتنتمي | واكرم بها منسوبة في ذرى الدهر
ابو سمر منهم وعمرو بن مالك | وذو جدنٍ من قومها وابو الجبر
وأسعد فاز الناس عشرين حجة | يؤيد في تلك المواطن بالنصر

وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكيه :

يا أيها الرجل المحول رحله | هلّا سألت عن آل[1] عبد منافِ
هبلتك امك لو حللت بدارهم | ضمنوك من جرم ومن اقراف
المنعمين إذا النجوم تغيّرت | والظاعنين لرحلة الايلاف
والمطعمين إذا الرياح تناوحت | حتى تغيب الشمس في الرجاف
اما هلكت أبا الفعال فما جرى | من فوق مثلك عقد ذات نطاف
إلا[2] أبيك اخي المكارم وحده | والفيض مطلبه ابي الاضياف

ومما سُمع من بكاء الجن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن سليمان بن احمد ، عن محمد بن عثمان بن ابي شيبة ، نبأ عمي ابو بكر ، نبأ عبد الله بن ادريس ، عن ليث ، عن معروف بن ابي معروف قال : لما أصيب عمر رضي الله عنه سمعت صوتاً يقول :

---

(١) بدرج الهمزة : آل .
(٢) هكذا في النسخ .

ليبك على الاسلام من كان باكياً فقد اوشكوا هلكي وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرهـا وقد ملها من كان يؤمن بالوعد

قال احمد بن عبد الله : وحدثنا أيضاً ابو حامد بن جبلة ، نبـأ محمد بن اسحاق ، نبـأ الجوهري حاتم بن الليث ، حدثني سلمة بن حفص السعدي ، نبأ ابو عامر الاسدي ، عن المطلب بن زياد بسنده قـال : رثت الجن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين مات وكان فيما قالوا :

ستبكيك نساء الحي تبكين الشجيات
وتخمس وجوهاً كالد نانـير النقيات
ويلبس ثيـاب السو د بعـد القصبيات

وقال الجن تبكيه :

ابعد قتيل بالمدينة اصبحت له الارض تهتز العُضاة بأسوق
جزى الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسع او يركب جناح نعامة ليدرك ما سريت بالأمس يسلبق
قضيت اموراً ثم غادرت بعدها بوائق في اكامها لم تفتق
وما كنت اخشى أن تكون وفاته بكفي سبنتي أزرق العين مطرق
فلقاك ربي في الجنان تحيـة ومن كسوة الفردوس لا تتمزّق

حدثنا بهـذه الأبيات ، عن ابي نعيم ، عن الحسن بن علي الوراق ، عن عبد الله بن محمد البغوي ، عن شجاع ، عن مخـلد ، عن محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن عمير ، عن الصقر بن عبد الله ، عن عروة ، عـن عائشة رضي الله عنها قال : بكت الجن على عمر بعد ثلاث، وذكرت الأبيات

مـــا عدا البيت الأخير ، فإنه من حديث انس بن مالك . وقال : الإهاب بدل الأديم .

ومن حديث ابن ابي مليكة (عليك سلامٌ من أمـــير باركت) بدل ، جزى الله خيراً من أمير وباركت .

ومما بكت الجن به عثمان بن عفان رضي الله عنه :

وروينا أيضاً من حديث احمد بن عبد الله ، عن ابي احمد بن محمد بن احمد ، عن محمد بن ابراهيم الغازي ، نبأ عبد الرحمن بن عمر بن سنة ، نبأ ابو عاصم ، نبأ عثمان بن مرّة ، عن امه قالت : سمعت الجن تنوح على عثمان فوق مسجد رسول الله ﷺ ثلاث ليال . قال : فكانت تنشد لنا بعض ما قالوا :

ليـلة الحصبة إذ ير — مون بالصخر الصلاب
ثم جاؤا بكرة ينـ — عون صقراً كالشهاب
زينهم في الحي والمجا — لس فكاك الرقـاب

قال احمد بن عبد الله ، وحدثني ابراهيم بن عبد الله وإبن جبلة ، قـالا : نبأ محمد بن اسحاق ، عن قتيبة بن سعد ، عن الليث بن سعد ، عـن الزهري إن رجلاً رأى في زمن عثمان كأن آتٍ أتاه في منامه ، فقال له عِ عني مـــا أقول لك :

لعمرُ أبيك وآبائـــه — لقد ذهب الخير إلا قليلا
لقد سفِه الناس في دينهم — وخلى ابن عفان شراً طويلا

قال : فأتاه مخلياً به ، فقال : والله مـا أنا بشاعر ، ولا راوية للشعر ، وقد أتيت الليلة فألقي عليّ هذان البيتان. فقال له عثمان: اسكت عن هذا .

فلما كان العام المقبل أتاه ذلك الرجل ايضاً فقال : والله مـا انا بشاعر ، ولا أروي الشعر ، وقد ألقي عليّ بيتان :

لعمري لقد نغصتمونا معيشة تقرّ بها عينُ التقيّ المهاجر
فياليت هذا اشترى العين قبله وليتَ فلاناً غيّبته المقـابر

فقال له عثمان : اسكت من ذكرها ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى قتل عثمان رضي الله عنه .

وقال جَدّي عديّ بن حاتم ، وكان يقال له مقبل الظعن لطوله : سمعت صوتاً يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو :

ألا ابشر يا ابن عفان ، بروح وريحان ، ورب غير غضبان .

ألا ابشر يا ابن عفان ، برضوان وغفران .

روينا من حديث ابي نعيم ، عن محمد بن احمد بن الحسن ، عن الحسن بن علي بن الوليد ، عن احمد بن عمران الاخنسي ، عن خـالد بن عيسى ، عن الاعمش ، عن خيثمة ، عن عدي بن حاتم ، ممـا ناحت به الجن على الحسين ابن علي رضي الله عنهما :

مسَحَ النبيُّ جبينه فله بريقٌ في الخدود
أبواه في عليا قريشٍ وجَدّه خيرُ الجدود

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن ابي حامد بن جبلة ، عن محمد بن الحسين ، عن ابي بكر بن خلف ، عن محمـد بن الحجاج ، عن معروف بن واصل ، عن حبيب بن ابي ثابت ، قـال : سمعت الجن تنوح على الحسين رضي الله عنه ، وذكر البيتين .

ومن حديثه ايضاً ، عن سليمان بن احمد ، عن القاسم بن عبّاد، عن سويد ابن سعيد ، عن عمرو بن ثابت ، عن حبيب ، عن ابي ثابت ، قــال : قالت أم سلمة رضي الله عنها: ما سمعت نوح الجن مذ قبض رسول الله ﷺ إلا ليلة، وما أرى الحسين إلا قتل، فأخرجت جاريتها تسأل، فأخبرت بقتل الحسين ، فإذا جنّية تنوح :

ألا يا عين فاحتفلي بجهـدِ ... ومن يبكي على الشهداء بعدي[1]
على رهط تقودُهمُ المنـايا ... الى متجبّر في ملك عبـدِ

ومن حديثه ، عن سليمان بن احمـد ، عن زكريا بن يحيى الساجيّ ، عن محمد بن يحيى بن صالح الازديّ ، عن السريّ بن منصور بن عبّاد، عن ابيه ، عن ابي لهيعة ، عن ابي قبيل ، قال : لما قتل الحسين رضي الله عنـه احتزّوا رأسه ، وقعدوا في اول مرحلة يشربون النبيذ ، ويتحيّون بالرأس . فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب سطراً بدم شعر :

أترجو أمةٌ قتلت حسيناً ... شفاعةَ جدّه يوم الحساب ؟

قال : فهربوا وتركوا الرأس ثم رجعوا .

وقال جـابر الحضرميّ ، عن أمه ، قال : سمعت الجن تنوح على الحسين وهي تقول :

أنعي حسيناً هبـلا ... كان حسينٌ رجلا[2]

---

(١) نسخة : الشهداء بجهد .
(٢) نسخة : جبلا .

لسان كريم :

روينا من حديث المالكي ، عن عبد الله بن عمرو الوراق ، نبـأ أبي ، عن يحيى بن خليفة المجاشعي ، نبأ ادريس ، عن مروان بن ابي حفصة يعني عن ابيه ، قال : انشدت معن بن زائدة اربعة ابيات فأعطاني اربعة آلاف دينار ، فبلغت أبا جعفر فقال : ويلي على الاعرابي الجلف . فاعتذر اليه وقال له : يا امير المؤمنين إنما أعطيته على جودك ، فسوّغه اياها . فلما مات معن بن زائدة رثاه مروان فقال :

أَلِمَّا على معن وقولا لقبره ... سُقيتَ الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبرَ معن كنت اول حفرة ... من الارض خطت للمكارم مضجعا
ويا قبر معن كيف واريتَ جودَه ... وقد كان منه البحر والبرّ ممرعا
ولكن ضممت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا
ولما مضى معنٌ مضى الجود والندى ... وأصبح عرنينُ المكارم اجدعا
وما كان إلا الجود صورة خُلقه ... فعاش زماناً ثم مات وودّعا
فتىً عيش من معروفه قبل موته ... كما كان قبل السيل مجراه مرتعا
تعزّ أبا العباس عنه ولا تكن ... ثوابك من معن بأن يتضعضعا
تمنّى رجالٌ شأوَه من ضلالهم ... فأضحوا على الاذقان صرعى وظلما

وحدّثني المهدي عبد الكريم بن يوسف بالموصل، عن الحسن بن عمار قال: قدم علينا نور الهدى الواعظ الاسكندراني الموصلي ، وكان بينه وبين اخي صحبة جميلة ، وكان اخي قد توفي فسألني ان أزور معه قبره ، فزرنا قبره ، وترحّمنا عليه ساعة ، وذكر ما كان بينهما من جميل العشرة ، وخلوص الولاء ، وإيثار الصحبة . ثم عدنا الى المنزل قال : فرأيت اخي في النوم ، فذكرت

له ما كان من نور الهدى ومنى في زيارة قبره ، من ذكر ليال سلفت بينهما في الله ولله . فقال الميت : رأيته عندما زارني، وأنست بجميل طلعته ، وتذكار عهده ، وسررت بترحمه ، ودعائه ، واستقللت زمان وقوفه ، فما اشتفيت من سماع لفظه الشهي ، وبديع منطقه البهي .

وقد قلت في ذلك شعراً . قال ابن عمار : فأنشدني :

أهـلاً بزائرنا الذي   أهـدى تحيته الينا
فشفتْ أوامَ الاشتياق   وجدّدت روحاً علينا
لـمـا التقت أرواحنا   عجل الفراق وما اشتفينا

قال : فاستيقظت وقد حفظتها من قبله فذكرتها لنور الهدى ، فأوردها على المنبر في مجلسه. فلم أرَ احسن من مجلس ذلك اليوم،ولا أكثر باكياً منه:

وقال مهيار الديلمي في الإشتياق :

ألا فتىً يسأل قلبي ما له   ينزو اذا برقُ الحمى بدا له
فهبّ يرجو خبراً من الغضا   يسنده عنه فما روى له
أراد نجـداً معه ببابلٍ   ارادةً هاجت له بلباله
وابتسم الريح الصبا ومن له   بنفحة من الصبا طوبى له
ويوم ذي البان وما أشار من   ذي البان إلا ان اقول ما له

المعرفة أشرف من صفة :

قال ابو عبد الله البراثي : بالمعرفة هانت على العالمين العبادة ، والرضى عن الله عزّ وجل في تدبيره . زهدوا في الدنيا ، ورضوا منها لأنفسهم بتقديره .

رويناه من حديث ابن مروان ، عن اسحاق بن ابراهيم ، عن حكيم بن جعفر ، عن البراثي ، ومن حديثه ايضاً ، عن محمد بن عيسى البغدادي قال : ما لك من عمرك إلا ما أطعت الله عز وجل فيه ، فأما ما عصيت الله فيه فلا تعده عمراً .

ومن الشعر الذي هو برسول الله ﷺ أولى اذ ذاك النعت له حقيقة ، قول ابي نواس :

أوجده الله فما مثله　　لطالبٍ ذاك ولا ناشدِ
وما على الله بمستنكر　　ان يجمع العالم في واحد

ومن باب مطارحة العشاق :

دعوني ونعمانَ الأراك أروده　　يجاوب صوتي طيره المتناوحا
عسى سارحٌ من دار ميّة آمن　　يقيّض لي عن شائم طار بارحا

ومن باب حنين الابل وسيرها :

يقودها الحادي الى مراده　　وهمها أحرى اليها لم تقدْ
وانما يتمّها بمحاجرٍ　　أيامها بمحاجر لم تسترد
لو كان لي على الزمان إمرة　　مُطاعة قلت أعدها لي أعِد
فكم على وادي الغضا من كبدٍ　　يحكم فيها بسوى العدل والكبد

ومنه :

متى رفعت لها بالغور نار　　وقرّ بذي الأراك لها قرارُ
فكل دمٍ أراق العين منها　　بحكم الشوق مطلول جبار

ومنه :

أثرها على حبّ الوفاء وحسنه تصعّبُ في أسطانها وتلينُ
جوافل من طرد الرماح قريبة عليها فجاج الارض وهي شطون
لها وهي خرسى تحت عفر رحالها تشكّ اذا شدّ الثرى وأنين

حدّثنا يونس بن يحيى بن منصور ، أنا هبة الله بن احمد الموصلي ، انا عبد الملك بن احمد بن بشران ، نبأ ابو سهل احمد بن محمد القطّان ، انا محمد بن يونس الشامي ، انا محمد بن عبيد الله العتبي قال : حدّثني ابي ، عن المسيب ابن شريك عن عبد الوهاب بن عبيد الله بن ابي بكرة قال: وقف إعرابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال :

يا عمَر الخير جُزيتَ الجنه اكسُ بُنيّاتي وأمّهُنّه
أقسم بالله لتفعلنه

قال عمر رضي الله عنه فإن لم افعل يكون ماذا ؟ قال :

تكون عن حالي لتسئلنه يوم تكون الأعطيات ثَمّهْ
والواقف المسؤل بينهُنه إما الى نارٍ وإما جَنّه

فبكى عمر رضي الله عنه حتى اخضلت لحيته . وقال لغلامه : يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره . قال : امــا والله لا املك غيره . فكان عمر يدني يده من النار ، ثم يقول : يا ابن الخطاب هل لك على هـذا صبر ؟ وبكى حتى كان بوجهه خطان اسودان من البكاء . وكان يقول : ألا من يأخذها بما فيها يعني الخلافة ليتني لم أخلق . ليت امي لم تلدني . ليتني لم اكن شيئاً . ليتني كنت نسياً منسياً .

ورويِنا من حديث ابن ابي الوليد ، عن ابي الحسن ، عن ابن جعدوية ، عن اسمعيل بن ابي حكيم ، عن سعيد بن المسيب قال : حج عمر رضي الله عنه فلما كان بصحبات قال : لا إله إلا الله العظيم المعطي ما شاء لمن يشاء . كنت أرعى ابل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف ، وكان فظاً يتعبني إذا عملت ، ويضربني إذا قصّرت ، وقد أمسيت ليس بيني وبين الله احد : ثم تمثل :

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمٍ يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والأنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت نوافلها ... من كل اوب اليها راكب يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

هذا كان لباسه وهو يرعى الغنم . وخطب الناس وهو خليفة وعليه أزار فيه اثني عشرة رقعة رضي الله عنه .

خطبة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين :

روينا من حديث ابن ابي الدنيا قال : حدثنا محمد بن اسماعيل ، عن جابر ابن عوف قال: اول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك ان قال يعني في خلافته الحمد لله الذي ما شاء صنع ، وما شاء رفع، وما شاء وضع، وما شاء اعطى، وما شاء منع ان الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل وزينة ، تضحك باكياً ، وتبكي ضاحكاً ، وتخيف آمناً ، وتؤمن خائفاً ، وتفقر مثريها ، وتثري فقيرها ، ميالة لاعبة بأهلها .

يا عباد الله : اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً . فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولا ينسخه كتابٌ بعده . فاعلموا عباد الله ان القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس وأدبار الليل إذا عسعس .

خبر خولة بنت حكيم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روينا عن قتادة قال : خرج عمر بن الخطاب من المسجد ، والجارود العبدي معه ، فبينما هما خارجان إذا بإمرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردّت عليه السلام ، ثم قالت : رويدك يا عمر حتى اكلمك كلماتٍ قليلة ، قال لها : قولي، قالت : يا عمر عهدي بك وأنت تسمّى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين . فاتق الله في الرعية ، واعلم إنه من خاف الموت خشي الفوت . فبكى عمر رضي الله عنه . فقال الجارود : هيه ، قد اجترأت على امير المؤمنين وابكيتيه . فقال عمر : دعا ، اما تعرف هذه يا جارود ؟ هذه خوله بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه . فعُمرُ والله أحرى أن يسمع كلامها . أراد بذلك ؟ قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله .

ومن خطب الحجاج :

ما روينا من حديث ابن ابي الدنيا قال : حدثني محمد بن الحسين قال : حدثنا خلف بن تميم ، نبأ ابو رجاء الهروي ، عن ابي بكر الهذلي قال : رأيت الحجاج يخطب على المنبر ، فسمعته يقول :

أيها الناس إنكم غداً موقوفون بين يدي الله عزّ وجل ، ومسؤلون . فليتق الله امرؤ ، ولينظر ما يعدّ لذلك الموقف ، فإنه موقف يخسرُ فيه المبطلون ، وتذهل فيه العقول ، ويرجع الأمر فيه الى الله « لتجزى كل نفس بما كسبت ان الله سريع الحساب » .

بادروا آجالكم بأعمالكم قبل أن تخترموا دون آمالكم . قال : ثم بكى وانتحب وهو على المنبر ، فرأيت دموعه تنحدر على لحيته .

حديث ابي ذرّ مع عبد الله بن عامر :

حدّثنا محمد بن محمد ، نبأ ابو القاسم الحريري ، انا ابو طالب العشاري ، انا ابو بكر البرقاني ، نبأ ابراهيم بن محمد المزكي ، انا محمد بن محمد بن اسحاق الثقفي ، نبأ هارون بن عبد الله ، نبأ سيار ، نبأ جعفر ، نبأ ابو عمران الجوني ، عن نافع الطاحي قال : مررت بأبي ذرّ فقال لي : ممن انت؟ قلت: من اهل العراق . قال : أتعرف عبد الله بن عامر ؟ قلت : نعم . قال : فانه كان يتقرا معي ويلزمني ، ثم طلب الامارة ، فاذا قدمت البصرة فترايا له . فانه سيقول لك حاجة فقل: اخلني . فقل له: انا رسول ابي ذرّ اليك ، وهو يقرئك السلام . فلما قلتها خشع لها قلبه . ويقول لك : انا نأكل من التمر ، ونروى من الماء ، ونعيش كما تعيش . قال : فحلّ إزاره ، ثم أدخل رأسه في جيبه ، ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء .

روينا من حديث احمد بن حنبل قال: حدّثنا عبد الله ، نبأ سعيد بن ابي ايوب عبد الله بن الوليد وقال : سمعت عبد الرحمن بن حجيرة يحدّث عن ابيه ، عن ابن مسعود انه كان يقول :

أما بعد انكم في ممرّ الليل والنهار في آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة . فمن زرع خيراً يوشك ان يحشد رغبة ، ومن زرع شراً يوشك ان يحصد ندامة ، ولكل زارع ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظة ، ولا يدرك حريص ما لا يقدر له .

حديث ملك متقدم :

حدثنا يونس ، عن محمد بن ناصر ، انا محفوظ بن احمـــد ، انا محمد بن الحسين ، نبأ المعافي ، انا عبد الله بن محمـد بن جعفر ، نبأ ابو بكر بن ابي الدنيا ، عن القاسم ، عن هاشم ، نبأ الحكيم بن هاشم ، عن صفوان بن عمر ابن عبد الرحمن بن عبد الله الخزاعي ، أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في أيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم ، قـد احتفروا قبوراً ، فاذا اصبحوا تعاهدوا تلك القبور، فكنسوها ، وصلوا عندها ، ورعوا البقل كما ترعى البهائم . وقـد قيّض الله لهم من ذلك معاشاً من نبات الارض . فأرسل ذو القرنين الى ملكهم ، فقـال الرسول : أجب الملك ذا القرنين ، فقال : مالي اليه حاجة ، فأقبل اليه ذو القرنين فقـــال : اني أرسلت اليك لتأتيني فأبيت، فها انا ذا قد أتيتك. فقال : لو كانت لي اليك حاجة لأتيتك. فقال له ذو القرنين : مالي أراكم على الحالة التي رأيت لم أرَ احـداً من الأمم عليها . قالوا : وما ذاك ؟ قال : ليس لكم دنيا ، ولا شيء ، أفـــلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها ؟ قالوا : انما كرهناها ، لأن احداً لم يُعطَ منها شيئاً إلا تاقت نفسه الى افضل منه . فقال : ما بالكم قد احتفرتم قبوراً فاذا أصبحتم تعهّدتموها وكنستموها وصليتم عندها ؟ قالوا : أردنا اذا نظرنا اليها ، وأملنا الدنيا ، منعتنا قبورنا من الامل. قال : وأراكم لا طعام لكم إلا البقل

من الارض ، أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وذبحتموها واستمتعتم بها ؟ فقالوا : إنا رأينا ان في نبات الارض بلاغاً . ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين ، فتناول جمجمة ، فقـال : يا ذا القرنين أتدري مَن هذا ؟ قال : لا ، مَن هو ؟ قال : هذا ملك من ملوك الارض ، أعطاه الله سلطاناً على اهل الارض ، فغشم ، وظلم ، وعتا . فلما رأى ذلك منه جسّمه بالموت فصار كالحجر الملقى، قد أحصى الله عمله عليه ، حتى يجزيه في آخرته. ثم تناول جمجمة اخرى بالية ، فقال : يا ذا القرنين أتدري من هذا ؟ قال : ومن هذا ؟ قال : ملك ملـّكه الله بعده ، قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الظلم ، والظلم ، والتجبّر ، فتواضع وخشع لله عز وجل ، وعمل بالعدل في مملكته ، فصار كما ترى قـــد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته . ثم أهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال :

وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين ، فانظر يا ذا القرنين مـــا انت صانع . فقال له ذو القرنين : هل لك في صحبتي فاتخذك وزيراً ، وشريكاً ، فيما اتاني من هذا المال ؟ فقال : ما اصلح أنا وأنت في مكان ، قال : ولِمَ ؟ قال : من اجل ان الناس كلهم لك عدو ، ولي صديق ، قال : ولِمَ ذلك ؟ قال : يعادونك لمـــا في يديك من المال ، والملك . ولا اجد احداً يعاديني لرفضي في ذلك . فانصرف عنه ذو القرنين ، هو ذو القرنين الاكبر ، وقيل : هو المذكور في القرآن .

قال بعض المؤرخين : هو اول القياصرة ، وهو ابن سام بن نوح . يقال : انه لقي ابراهيم عليه السلام ، فطاف البـلاد ، وسدّ على يأجوج ومأجوج ، واختلف في تسميته ذو القرنين ، لأنه لقبٌ له، واسمه عبد الله بن الضحاك . روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما . وقال بعضهم : كان بعـــد نمرود

ابن كنعان ، وهو الذي بنى الاسكندرية . وقد ذكرنا في هـذا الكتاب من اخباره بعض ما وصل الينا . قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه :كان عبداً صالحاً ، ولم يكن نبياً بعثه الله في قومه ، فضربوه على قرنه فقتلوه ، ثم بعثه الله اخرى ، فضربوه على قرنـه فقتلوه ، ثم بعثـه الله اخرى ، فضربوه على قرنه فمات .

قال غيره : كان له شبه القرنين نابتين في رأسه ، وقيل : لبلوغه قطري الارض ، ومات بأرض بابل .

وأما ذو القرنين الاصغر فهو الاسكندر بن فيلسوف اليوناني ، قتل دارا ، وسلبه ملكه ، وتزوج ابنته ، وكانت من اجمل الناس . فلما اجتمع له ملك الروم ، وملك فارس سمي هذا ذو القرنين لهما . وقيل : انه رأى في منامه كأنه اخذ بقرني الشمس ، فسمي بذلك . ثم رجع الى العراق بعد طلبه عين الخلد ، ومات بشهرزور ، وقيل : بميافارقين . وحمل الى أمـه في تابوت من ذهب الى الاسكندرية ، وكان عمره ستة وثلاثين سنة ، ومـدة ملكه اربـع عشرة سنة . وكان قبل المسيح بثلاثمائة وثلاث سنين . وقيل : تسع عشرة سنة . وقد روي انه هو الذي سد على يأجوج ومأجوج .

روي من حديث أسلم ، انه قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلاً ، حتى اذا كنا بموضع اذا نار فقال : يا أسلم اني لأرى هنـا ركباً قصّر بهم الليل والبرد ، فانطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا بأمراة معها صبيان صغار ، واذا بقدرٍ منصوبة على نار ، وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا اصحاب الضوء ، وكره ان يقول : يا اصحاب النار ، فقالت : وعليكم السلام ، فقال : أدنو ؟ فقالت : ادن بخير ، او دع ،

قال : فدنا ، فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصّر بنا الليل والبرد ، قال : وما بال هذه الصبية يتضاعفون ؟ قالت : من الجوع ، قال : فأي شيء في هـذا القدر ؟ قالت : ماء ، اسكتهم حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر . قـال : أي رحمك الله ، وما يدري عمر بكم ؟ قالت : يتولى امرنا ، ثم يتغافل عنا . قال : فأقبل عليّ فقال : انطلق بنا ، فخرجنا حتى اتينـا دار الدقيق ، فأخرجنا عِدلاً من دقيق ، وكبة من شحم ، فقـال : أحمله عليّ ، فقلت : انا أحمله عنك ، فقـال : انت تحمل وزري ؟ لا أمّ لك ، فحمّلته عليه ، فانطلق ، وانطلقت معه اليها اهرول ، فألقى ذلك عندهـا ، وأخرج من الدقيق شيئاً ، وجعل يقول لها : درّي عليّ، وأنا أحرّك لك . وجعل ينفخ تحت القدر ، ثم افرغهـا في صفحة ، وقال : أطعميه للصبية ، ولم يزل حتى شبعوا . وترك عندها فضل ذلك . فجعلت تقول : جزاك الله خيراً . كنت اولى بهذا الأمر من امير المؤمنين. فيقول : قولي خيراً إذا جئت امير المؤمنين وجدتني هناك . ثم تنحّى ناحية و فربض كالأسد . فقلت : لك شأن غـير هذا ؟ فلم يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرخون ، ثم ناموا ، وهدوا . فقال: يا اسلم ان الجوع أسهرهم ، وأبكاهم . فأحببت ان لا انصرف حتى أرى مـا رأيت .

سؤال معاوية لضرار أن يصف علياً رضي الله عنهم :

روينا من حديث ابن باكويه قال : نبأ عبد الله بن فهد بن ابراهيم الساجي قال : نبأ محمد بن زكريا بن دينار ، نبـأ العباس بن بكار ، نبأ عبد الواحد ابن ابي عمرو الاسدي ، عن الكلبي ، عن ابي صالح قال : قال معاوية بن ابي سفيان لضرار بن ضمرة .

صف لي علياً قال : او تعفيني ؟ قال : لا اعفيك . قال : اما إذ لا بد إنه والله كان بعيد المدى ، شديد القوى . يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه . يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما خشب. كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ويتجنى . والله مع تقريبه لنا ، وقربه هنا ، لا نكلمه هيبة ، ولا نبتديه لعظمته عندنا . ان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم. يعظم اهل الدين. ويحب المساكين . لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف في عدله . فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين . فكأني أسمعه ويقول :

يا دنيا يا دنيا ، اليّ تعرّضت ، ام اليّ تشوفت [١] ؟ هيهات هيهات ، غرّي غيري ، قد ابنتُكِ ثلاثاً ، لا رجعة لي فيك ، فعمرُكِ قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كثير . آه من قلّة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة الطريق .

قال : فذرفت دموع معاوية ، فما ملكها وهو ينشفّها بكمّه . وقد اختنق القوم بالبكاء . ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها في حجرها ، فلا ترقأ عبرتها ، ولا يسكن حزنها :

---

(١) نسخة : بالقاف .

روي ان عليـــاً رضي الله عنه رأى رجلاً من قريش يمشي ويخطر بيده تكبراً فقال :

يا موثر الدنيـــا على دينه ه والتـــائه الحيران في قصده
اصبحت ترجو الخلد فيها وقد ابرز ناب الموت عن حـدّه
هيهات ان الموت ذو اسهم من يرمِه يوماً بهـــا يُردِه
لا يشرح الواعظ صدر امرءٍ لم يعـزم الله على رشده ه

وروينا من حديث ابن حنبل قال : نبأ وهب بن اسماعيل ، قال : نبـأ محمد بن قيس ، عن علي بن ابي ربيعة ، عن علي بن ابي طالب ، قال : جاءه ابن التياح فقال: يا امير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء ، وبيضاء ، قال: الله اكبر ، فقام متوكأ على ابن التياح حتى قام على بيت المال فقال :

هذا جناء وخياره فيه وكل جان يده الى فيه

قال : ثم نادى في الناس فأعطى جميع ما في بيت المـــال المسلمين وهو يقول: يا صفراء ، يا بيضاء ، غرّي غيري . ها وها حتى ما بقي فيه دينار، ولا درهم . ثم أمر بنضحه ، وصلى فيه ركعتين .

حدثنا يونس بن يحيى بمكة ، عن محمد بن ناصر، عن جعفر بن احمد ، عن ابي علي التميمي ، عن ابي بكر بن جعفر ، عن عبد الله بن احمد ، عن ابيـه احمد بن حنبل ، بالاسناد .

ومن كلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

ما حدثنا يوسف بن علي ، ويونس بن يحيى ، قال يونس: أنا عبدالوهاب، أنا عبد الله بن احمد السكري ، قال : أنا احمد بن محمد بن الصلت ، قـال :

حدثنا حمزة بن قاسم الهاشمي قال : نبأ حنبل بن اسحاق قال : نبأ داود ابن سبيب ، نبأ حمّاد بن سلمة ، عن عمرو ان عمر بن عبد العزيز قال لعنبسة ابن سعيد : يا عنبسة اكثر ذكر الموت ، فإنك لا تكون في ضيق من امر معيشتك ، فتذكر الموت إلا وسّع ذلك عليك .

كلام ابي بكرة لمعاوية رضي الله عنه :

حدثنا يونس انا عبد الوهاب ، انا المبارك بن عبد الجبار ، انا احمد بن علي الثوري ، انا عمر بن ثابت ، انا علي بن قيس، انا ابو بكر القرشي ، انا العباس ابن هشام بن محمد ، عن ابيه ، عن شيخ من الازد ، أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال : اتق الله يا معاوية ، واعلم انك في كل يوم يخرج عنك ، وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ، ومن الآخرة إلا قرباً ، وإن على أثرك طالباً لا تفوته، وقد نصب لك علماً لا تجوزه ، فما اسرع ما تبلغ ، وما اوشك ان يلحقك الطالب . وإنا وما نحن فيه وأنت زائل ، والذي نحن اليه صائرون باق ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ .

ما كلم به ابو مسلم الخولاني معاوية :

وبالاسناد الى ابي بكر القرشي قال: نبّأ شجاع بن الأشرس،عن اسماعيل ابن عيّاش ، عن ابي بكر بن عبد الله ، عن عطية بن قيس ان ابا مسلم أتى معاوية ، فقام بين السّماطين ، فقال : السلام عليك أيها الاجير ، فقال : من عنده : السلام عليك ايها الامير ، فقال ابو مسلم : السلام عليك أيها الاجير ، فقال معاوية : دعوا ابا مسلم ، فانه أعلم بما يريد . فقال : اعلم انه ليس من احد استرعى رعيةً إلا ربّ الرعية سائله عنها ، فان كان داوى مرضاها ،

وجبر كسراها ، وهنا جرباها ، وردّ أولاها على أخراها ووضعها في انف من الكلأ وصفو من الماء وفاهُ أجره ، وان كان لم يداوِ مرضاها ، ولم يهنا جرباها ، ولم يجبر كسراها، ولم يردّ أولاها على أخراها، ولم يضعها في أنفِ من الكلأ ، وصفو من المـاء ، لم يؤته اجرها . فانظر أين انت يا معاوية من ذلك ؟ فقال معاوية : يرحمك الله يا ابا مسلم .

ودخل عليه مرة فقال له :

ما اسمك ؟ قال : اسمي معاوية . قـال : لا ، بل أحدوثة . فإن جئت بشيء فلك شيء ، وان لم تأتِ بشيء فلا شيء لك . يا معاوية انك لو عدلت بين جميع قبائل العرب ، ثم ملت الى أقلّها قبيلة ، مال جورك بعد ذلك . يا معاوية إنا لا نبالي بكدر الأنهار اذا صفى لنا رأس العين .

حدّثنا بهذا محمد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن بن علي ، عن اسماعيل بن احمد ، عن عمر بن عبد الله، عن ابي الحسين بن بشران، عن عثمان بن احمد ، عن حنبل ، عن جفر بن ميمون ، عن ابيه ، عن عبد الله بن يوسف ، عن خالد بن يزيد ، عن ابي عيلة ان ابا مسلم الخولاني دخل على معاوية فذكره .

آية بيّنة لقوم يعقلون :

روينا من حديث ابن قتيبة قال : ثنا اسحاق بن ابراهيم بن حبيب قال: نبأ قريش بن انس ، عن كليب بن وائل ان رجلاً من الصالحين قال : ببلاد الهند شجر له ورد احمر فيه بياض مكتوب : محمد رسول الله ﷺ .

وأنشدني عبد الله بن مسلم بن قتيبة لبعض الشعراء في النبي ﷺ :

لو لم تكن فيه آياتٌ مبيّنةٌ   كانت بديهته تنبيك بالخبرِ

بلاغة أبانت عن حقيقة :

روينا من حديث محمد بن يونس قال : حدّثنا الاصمعي قـــال : مررت بأعرابية وبين يديها شاب في السياق ، ثم رجعت وبين يديها قدح من سويق تشربه ، فقلت لها : ما فعل الشاب ؟ قالت : وارنياه ، قلت : ما هـــذا فقالت :

على كل حال يأكل القوم زادهم ... على البؤس والنعما وفي الحدثانِ

ومن روايتنا . قال محمد بن عبد الرحمن الحنفي : أنشدنا ابي لغيره :

اصبر لكل مصيبة وتجلّدِ ... واعلم بأن المرء غير مخلّدِ
واذا ذكرت مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمـد

من حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه :

روينا من حديث يعقوب بن يوسف المطوعي ، نبأ ابو الربيع الزهراني ، عن محمد ، عن حمّاد بن زيد قال : قيل للأحنف بن قيس : بمَ سدت قومك وأراد عيبه ؟ فقــال الاحنف : بتركي من امرك ما لا يعنيني ، كما عناك من امري ما لا يعنيك .

تأديب حكيم وتعليم عاقل عليم :

وروينا منه بحديث محمد بن يونس، انا الاصمعي، عن ابي عمرو بن العلاء ، وعن ابيه قالا : قال الاحنف بن قيس : ما دخلت بين اثنين قط حتى يكونا هما يدخلاني في امرهما ، ولا أقمت من مجلس قط ، ولا حجبت عن باب قط، ولا رددت عن حاجة قط . قيل له : ولِمَ ؟ قال : لأني لا أطلب المحال .

استمالة حكيم عفو سلطان حليم :

وروينا من حديث عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال : حدّثنا الرياشي قال: أخذ بعض الامراء رجلا فقال له: ان عاقبت جازيت، وان عفوت أحسنت، والعفو أقرب .

وصية محكمة وموعظة منظمة :

وروينا من حديث ابراهيم الشيعي قال :

وأنشدني الرياشي لأبي العتاهية :

ألا إن خيرَ الدهر خيراً تنيله — وشرّ كلام القائلين فضولهُ
ألم ترَ ان المرء في دار بُلغةٍ — الى غيرها والموت فيها سبيله
وأي بلاغٍ يكتفي بكثيره — اذا كان لا يكفيك منه قليله
مضاجعُ سكان القبور مضاجعٌ — يُفارق فيهنّ الخليل خليله
تزوّد من الدنيا بزادٍ من التقى — فكلٌ بها ضيف وشيكٌ رحيله
وخذ المنايا لا أبا لك عدّةً — فانّ المنايا من أتت لا تقيله
وما حادثات الدهر إلا لعزّةٍ — تبثُّ قُواها او لمُلكٍ تزيله

ومن ذلك بالاسناد لأبي العتاهية :

عيبُ ابن آدم ما علمتُ كثيرُ — ومجيئه وذهـابه تغريرُ
غرّتك نفسُك للحياة محبّة — والموتُ حقٌ والبقاء يسير
لا تغبط الدنيا فإن جميع مـا — فيها يسيرٌ لو علمتَ حقير
يا ساكن الدنيا ألم ترَ زهرة الدنيـا على الايام كيف تصير

بل ما بدا لك ان تنال من الغنى ... إن أنت لم تقنع فأنت فقير
يا جامع المال الكثير لغيره ... إن الصغير من الذنوب كبير
هل في يديك من الحوداث قوةٌ ... أم هل عليك من المنون خفير
ماذا تقول اذا رحلت الى البلا ... واذا خلا بك منكرٌ ونكير

خلق كريم مع ذي ذمة ذميم :

روينا من حديث ابي حصين ، قال : نزل يهودي بأعرابي فمات عنده ، فقام الاعرابي ، فصلى عليه ، وقال : اللهم ضيف، وقد علمت حق الضيف ، فامهلنا الى ان يقضي زمامه ، ثم شأنك به .

نفس أبية وهمة علية :

روينا من حديث اسمعيل بن يونس، قال: أنشدنا الرياشي للخليل بن احمد الفراهيدي :

أبلغ سليمان اني عنه في سعةٍ ... ولي غنىً غير اني لستُ ذا مالِ
أسخو بنفسي لأني لا أرى أحداً ... يموتُ هزلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن قدرٍ لا الضعف يمنعه ... ولا يزيدك فيه حول محتال

ومن ذلك وصية سنية :

روينا من حديث محمد بن موسى القطان عن المازني لأعرابي :

أيها الراغبُ الحريص المعنّى ... لك رزق فسوف تستوفيهِ
قبّح اللهُ نائلا ترتجيهِ ... من يَدَي من يريدُ أن يقتضيهِ
إنما الجودُ والسماحُ لمن يُعـ ... طيك عفواً وماءُ وجهك فيه

لا ينال الحريصُ شيئاً فيكفيـ ـه وان كان فوق مـا يكفيه
فاسأل الله وحـده ودع النا س واسخطهم بمـا يرضيـه

حكمة :

قال : أنشدنا محمد بن صالح الانماطيّ لبعضهم :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

ولبعضهم :

لا تضرعنّ لمخلوق على طمعٍ فإن ذاك مضرّ منك بالدين
واسترزق الله رزقاً من خزائنه فإنما هي بين الـكاف والنون

صفة حميدة وحالة سعيدة :

روينا من حديث عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، قال : حدثنا محمد بن عبيد ، قال : نبأ ابن عيينة ، قال بعض الخلفاء لأبي حازم يعني الأعرج : ما مالك ؟ فقال : الرضى عن الله ، والغنى عن الناس .

ثم أنشد ابن قتيبة في معناها لبعضهم :

للناس مال ولي مالان ما لهما اذا تحارسَ أهل المال حراسُ
مالي الرضى بالذي اصبحت املكه ومالي البأس فيما يملك الناس

وهذا ابو حازم هو الذي قال له هشام ، لما ولـّي البحرين واجتمع به : ما طعامك ؟ قال : الخبز والزيت . فقال له : أفلا تسئمها ؟ قال ابو حازم : اذا سئمتها تركتها حتى اشتهيتها .

قوله تعالى: وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت:

روينا من حديث محمد بن سلام ابياتاً لأعرابي وهي :

وما هذه الايام إلا معارةٌ فما اسطعتَ من معروفها فتزودِ
فإنك لا تدري بأية بلدةٍ تموتُ ولا ما يُحدثُ الله في غد
يقولون لا تبعد ومن يك بعدُه ذراعين من قرب الأحبة يبعُدُ

عبرة بنفوذ قضاء على يد كاره له :

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عن ابي زيد ، قال : حدثنا الاصمعي، قال : أتى يزيد بن مسلم رجلٌ برقعة وسأله ان يرفعها الى الحجاج ، فنظر فيها يزيد ، فقال : ليس هذه من الحوائج التي ترفع للأمير. فقال له الرجل : فإني اسئلك ان ترفعها فلعلها ان توافق قدراً فيقضيها وهو كاره . فأدخلها ، وأخبره بمقالة الرجل . فنظر الحجاج في الرقعة فقال ليزيد : قل للرجل انها قد وافقت قدراً ، وقد قضيناها ونحن كارهون .

حكمة من امرأة :

روينا من حديث احمد بن مروان قال: أنشدنا الحسين [1] بن علي لامرأة من ولد حسان بن ثابت شعر :

سَل الخيرَ اهل الخير قِدماً ولا تسل فتىً ذاق طعمَ العيش منذ قريب

---

(١) نسخة ٢ : الحسن .

خبر الخضر في مسجد النبي ﷺ :

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال : ثنا المبارك بن علي بن الحسين ، ثنا عبيد الله بن محمد ، ثنا احمد بن الحسين ، ثنا ابو سعيد الماليني ، ثنا ابو احمد ابن عدي الحافظ، ثنا محمد بن يوسف بن عاصم، ثنا احمد بن اسماعيل القرشي، ثنا عبد الله بن نافع ، عن كثير بن عبد الله ، عن ابيه ، عن جده ان رسول الله ﷺ كان في المسجد ، فسمع كلاماً من زاوية، فاذا هو قائل : أللهم أعنّي على ما ينجيني مما خوّفتني . فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك : ألا تضم اليها اختها ؟ فقال الرجل : أللهم ارزقني شوق الصادقين الى ما شوّقتهم اليه. قال رسول الله ﷺ لانس بن مالك وكان معه: اذهب يا انس اليه ، فقل له: يقول لك رسول الله : استغفر لي . فجاءه انس فبلّغه . فقال الرجل : يا انس انت رسول رسول الله لي ؟ فقال : كما انت ، فرجع ، واستثبته ، فقال رسول الله ﷺ : قل له نعم . فقال له : اذهب فقل لرسول الله ﷺ: فضلك على الأنبياء بمثل ما فضل به رمضان على الشهور . وفضل أمّتك على الامم بمثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الايام . فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر عليه السلام .

موعظة منظومة :

روينا من حديث احمد بن مُحرز الهروي قال : وجد على ميل في طريق مكة مكتوب :

ألا يا طالب الدنيا دع الدنيا لشانيكا
الى كم تطلب الدنيا وظلّ الميل يكفيكا

هذه الأبيات لبهلول المجنون ، وعظ بهــا أمير المؤمنين هارون الرشيد ، في طريق مكة ، لما حجّ راجلاً من اجل يمينه ، فقعد يستريح في ظل الميل ، فرآه بهلول ، فأنشده الأبيات ، وفيها من الزيادة في غير هذه الرواية :

هب الدنيا تؤاتيكا   أليس الموت يأتيكا

ما ينبغي ان يكون عليه الخليل :

روينا من حديث ابراهيم الحربي قال : نبأ ابو نصر ، عن الاصمعي قال : قيل لخالد بن صفوان ، أيّ الاخوان أحب اليك ؟ قال : الذي يغفر زللي ، ويسدّ خللي ، ويقبل عللي .

مكاتبة استلطاف :

روينا من حديث ابن قتيبة قــال : كتب رجل الى صديق له : وجدت المودّة ُمنقطـّة ، ما كانت الحشمة منبسطة . وليس يزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة ، ولا تقع المؤانسة إلا بالبرّ والملاطفة .

إيقاظ وعبر واتعاظ :

روينا من حديث الحسن بن علي قال : أنشدنا محمد بن سلام لبعضهم :

نعي نفسي الى مرّ الليــالي   تصرّفهُنّ حالاً بعد حالِ
فمالي لستُ مشغولاً بنفسي   ومالي لا أبالي الموت مالي
لقد أيقنت أني غيرُ باقٍ   ولكني أراني مــا أبالي
أما لي عبرة في ذكر قومي   تفانوا ربما خطروا ببالي
كأن ممرّضي قد قام يسعى   بنعشي بين أربعة عجال

ولو أني قنعت لكنت حراً ولم أطلب مكاثرةً بمالي
هب الدنيا تساق اليك عفواً أليس مصير ذاك الى زوال
فما ترجو بشيء ليس يبقى وشيكاً ما تغيّره الليالي

ومن هذا الباب ما روينا من حديث احمد بن عباد قال : أنشدنا الرياشي :

حصنت بيتك جاهداً ولعلّ غيرك صاحب البيت

وروينا من حديث محمد بن يونس ، عن الاصمعي قال : قيل للأحنف انك تطيل الصيام ، قال : إني أعدّه لسفر طويل .

تحريض على الدعاء وتحضيض :

ومن روايتنا ما أنشده ابن قتيبة لبعضهم :

واني لأدعو الله والأمر ضيّق عليّ فما ينفكّ ان يتفرّجا
وربّ فتىً سُدّت عليه وجوهه أصاب له في دعوة الله مخرجا

شروط الايمان أخلاق حسان :

حدّثنا محمد بن قاسم ، نبأ هبة الله بن علي ، نبأ محمد بن بركات ، نبأ محمد ابن سلامة ، أنا ابو محمد عبد الرحمن بن عمر الصفار قال : انا احمد بن ابراهيم ابن جامع بن علي بن عبد العزيز ، نبأ حجاج ، نبأ حمّاد بن سلمة ، عن عاصم ابن بهدلة ، عن ابي بهدلة ، عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت .

افصاح لسان الزمان بما هو عليه الانسان :

ورويناً من حديث ابن مروان احمد المالكي قـــال : أنشدنا ابو صالح الهمداني لبعض الشعراء :

خذ من الدهر ما كفا   ومن العيش ما صفا
لا تلحّن بالبكا   ء على منزل عفـــا
خلّ عنك العتاب ان   خان ذو الودّ او هفا
عين منْ لا يحبّ وصـ   لك تبدى لك الجفا

تصاريف الزمان وتقلب الحدثان :

روينا من حديث الحارث الرياشي، عن الاصمعي قال: قال خال الفرزدق:

إذا ما الدّهر ذلّ على أناسٍ   حوادثـــه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنـــا افيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

ايمان وحسن عشرة اخوان :

روينا من حديث عبيد بن مرداس ، نبأ سليمان بن حرب ، نبـأ حمّاد بن زيد قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم فقال له : أتيتك في حاجةٍ رفعتها الى الله قبلك ، فـــإن قضيتها حمدنا الله ، وشكرناك . وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك . قال : فأمر له بحاجته .

استعطاف كريم واستمالة لئيم :

روينا من حديث ابراهيم الحربي قال : حدثني ابو نصر ، عن الاصمعي ، عن ابي الاشهب قال : لزم بعض الحكماء باب كسرى في حاجة له دهراً ، فلم

يصل اليه ، فتلطف بالحاجب في إيصال رقعة له ، ففعل ، وكان فيها اربعة اسطر :

السطر الاول : الضرورة والأمل اقدماني عليك .

الثاني : العدم لا يكون معه صبر على المطالبة .

والثالث : الانصراف بلا فائدة شماتة الاعداء .

والرابع : فأما نعم مثمرة ، وأما لا مريحة .

فلما قرأه وقع في كل سطر بأربعة آلاف . فأعطى ستة عشر ألفاً من المثاقيل .

إفصاح بغالب الاحوال ممن يعد من الابدال :

روينا من حديث ابراهيم بن ابي اليسع الشيعي ، عن احمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائني قال : قال الحسن يعني البصري : ما اعطى رجل شيئاً من الدنيا إلا قيل خذه ، ومثله من الحرص .

ومن ذلك ما رويناه من حديث احمد بن علي المقري قال : نبأ الاصمعي قال : العيال ارضنة المال .

وبالاسناد الاول وهو من باب التذكير ، قال الحسن : أشد الناس صراخاً يوم القيمة رجل سنّ ضلالاً فاتبع عليه ، ورجل سيء الملكة ، ورجل فادع استعان بنعم الله على معاصيه .

حكمة بالغة :

روينا من حديث ابراهيم بن حبيب ، حدثنا نعيم بن حماد ، نبأ ابن

المبارك ، نبأ حبيب بن حجر قال : كان يقال : ما احسن الايمان بزينة العلم وأحسن العلم بزينة العمل ، وأحسن العمل بزينة الرفق . ومـا أضيف شيء الى شيء أزين من حلم الى علم .

تذكرة حكيم :

روينا من حديث يوسف بن عبد الله ، عن سهل بن محمد ، عن الاصمعي، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن بكر المزني . قال : جاء رجل فشتم الأحنف بن قيس ، فسكت عنه فأعاد عليه ، وألح ، والأحنف ساكتٌ . فقال : والهفاه ، ما يمنعه عن جوابي إلا هواني عليه ؟

ملاطفة وحلم :

روينا من حديث محمد بن يونس ، نبأ الاصمعي قال : اسمع رجل الشعبي كلاماً فقال له الشعبي : إن كنت صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك .

ثم أنشأ يقول :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ　　　لعزّة من اعراضنا ما استحلت

نفسٌ أبيّة :

روينا من حديث احمد بن موسى البصري ، عن ابي زيد ، عن الاصمعي، عن ابي سفيان بن العلاء قال : إني لأرفع نفسي أن يكون ذنبٌ ، اوزن من حلمي ، وإذا قال : هذا خلق حقير ، فعفوا لله أسمح ، وحلمه أرجح .

ومن هذا الباب :

ما رويناه من حديث محمد بن عبد العزيز ، عن ابن عائشة قال : ذكر اعرابي رجلاً ، فقال : كان أحلم من فرخ طائر . شعر :

إني لأعرض عن أشياء أسمعها ... حتى يظن رجالٌ إن بي حمقا
أخشى جواب سفيه لا حياء له ... فسلٌ يظنُّ أناسٌ إنه صدقا

ومن هذا الباب ما رويناه من حديث ابن مرون قال : نبأ احمد بن داود ، عن الرياشي ، عن الاصمعي قال : بلغني إن رجلاً قال لآخر : والله إن قلت لي واحدة لتسمعن عشراً . قال : لكنك لو قلت عشراً لم تسمع واحدة .

وأنشدني لبعض الشعراء ابو بكر بن خلف :

اذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخيرٌ من إجابته السكوتُ
سكتُّ عن السفيه فظنّ أني ... عييتُ عن الجواب وما عييت
ولكني اكتسيتُ بثوب حلمٍ ... وجُنِّبت السفاهة ما بقيت

ومن هذا الباب ما رويناه من حديث احمد بن داود قال : نبّأ الرياشي قال : أنبأ الاصمعي قال : كان الاحنف بن قيس يقول :

من لم يصبر على كلمة سمع كلمات . وربّ غيظ قد تجرّعته مخافة ما هو أشدّ منه .

وأنشد لبعض الشعراء :

وان الله ذو حلم ولكن ... بقدر الحلم ينتقم الحليمُ
لقد ولّت بدولتك الليالي ... وأنت ملعنٌ فيها ذميم

وزالت لم يعش فيها كريم ... ولا استغنى بثروتها عديم
فبُعداً لا انقضاء له وسحقاً ... فغير حسابك الجدث العظيم

وروينا من حديث جعفر بن شاكر، عن معاوية بن عمرو، عن ابي اسحاق الاوزاعي ، ان عمر بن عبد العزيز كان اذا اراد ان يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة ايام ، ثم عاقبه كراهة ان يعجل في اول غضبه . أرى ذلك ، والله أعلم في اقامة الحدود التي ليس له ان يعفو عنها . والتعزيز الذي فيه المصلحة للناس . وأما فيما كان يرجع اليه . فالعفو كان سيمته .

وأسمعه رجل كلاماً فقال : اردت ان يستفزني الشيطان فأتاك منك بما تناله انت مني في يوم القيمة . انصرف عني عافاك الله .

خبر الشجرة التي سلمت على رسول الله ﷺ وإتيانها اليه :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن سليمان بن احمد ، نبأ محمد بن عثمان بن ابي شيبة ، نبأ عبادة بن زياد الأسدي قال : حدّثنا حبّان بن علي، عن صالح بن حبان ، عن ابن يزيد ، عن ابيه ، قال : جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله قد أسلمت ، فأرني شيئاً أزدد به يقيناً . فقال : ما الذي تريد ؟ فقال : ادعُ تلك الشجرة ، فلتأتك . قال : اذهب فادعها . فأتاها الاعرابي قال : فأجيبي رسول الله ﷺ . قال : فمالت على جانب من جوانبها قطعت عروقها ، ثم مالت على الجانب الآخر قطعت عروقها ، حتى أتت النبي ﷺ ، فقالت : السلام عليك يا رسول الله . فقال الاعرابي : حسبي حسبي . فقال لها النبي ﷺ : ارجعي ، فرجعت ، فجلست على عروقها ، وفروجها (١) . فقال الاعرابي : ائذن لي يا رسول الله ان أقبّل

(١) أي شقوقها .

رأسك ، ورجليك ، ففعل . ثم قال : ائذن لي ان اسجد لك . فقال : لا يسجد احد لأحد . ولو أمرت احـــداً ان يسجد لأحد ، لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها لعظيم حقه عليها .

مرافقة المتقين الاخيار في الاسفار :

حدّثنا عبد الرحمن بن علي ، نبأ عبـد الوهاب الحافظ ، انا المبارك بن عبد الجبار ، نبأ علي بن احمد الملطي ، نبا ابن دوست ، نبا ابن صفوان ، نبا القرشي ، نبا محمد بن الحسين ، حدّثنا بعض اصحابي ، قال : جاءني بهيم العجلي فقال : تعلم لي رجلاً من جيرانك واخوانك يريد الحج ترضاه لمرافقتي؟ قلت : نعم ، فذهبت به الى رجل به صلاح ودين ، فجمعت بينهما ، وتواطآ على المرافقة ، ثم انطلق بهيم الى اهله ، فلما كان بعد أتاني الرجل فقال : أريد ان تزوي عني صاحبك ، ويطلب رفيقاً غيري . فقلت : ولِمَ ؟ فوالله ما أعلم بالكوفة له نظيراً في حسن الاخلاق والاحتمال . قـال : حدّثت انه طويل البكاء لا يكاد يفترّ ، فهذا ينغص علينا العيش . فقلت له : انمـــا يكون البكاء احياناً عند التذكرة ، أوما تبكي انت ؟ قـال : بلى . ولكنه بلغني انه امر عظيم من كثرة بكائه . قلت : اصحبه فلعلك ان تنتفع به . قال : أستخير الله . فلما كان اليوم الذي أرادا ان يخرجا فيه جيء بالإبل ، فوطىء لهما ، فجلس بهيم يبكي في ظل حائط ، فوضع يـــده تحت لحيته ، وجعلت دموعه تسيل على خدّيه ، ثم على لحيته ، ثم على صدره ، حتى والله رأيت دموعه على خديه ، ثم على الارض . فقال لي صاحبي : يا مخول قـــد ابتدأ صاحبك ، ليس هذا لي برفيق . فقلت له : ارفق لعله ذكر عياله، ومفارقته إياهم . فسمعها بهيم فقال : يا اخي والله ما هو ذاك ، وما هو إلا اني ذكرت بها الرحلة الى الآخرة ، وعلا صوته بالنحيب ، فقال لي صاحبي : مـــا هذا

بأول عداوتك لي ، ما لي ولبهم ؟ إنمـا كان ينبغي ان ترافقوا بين بهم وبين داود الطائي، وسلام ابي الأخوص، حتى يبكي بعضهم الى بعض، فيستشفون، او يموتون . فلم أزل أرفق به ، وأقول له : لعلها خير سفرة سافرتها ، وكل ذلك لا يعلم به بهم ، ولو يعلم مـــا صاحبه ، فخرجا ، وحجّا ، ورجعا . فلما جئت أسلم على جاري قال لي : جزاك الله عني يا أخي خيراً ، ما ظننت ان في هذا الخلق مثل ابي بكر،كان والله يتفضل عليّ في النفقة وهو معدوم، وأنا موسر ، وفي الخدمــة وأنا شابٌ ، وهو شيخ ، ويطبخ لي وأنا مفطر ، وهو صائم . قلت : كيف كان امرك معه في الذي تكرهه من طول البكاء ؟ قـــال : والله ألفتُ ذلك البكاء ، وسرّ قلبي حتى كنت اساعده عليه حتى تأذي بنا الرفقة ، ثم ألفوا ذلك ، فجعلوا اذا سمعونا نبكي يبكون ، وجعل بعضهم يقول لبعض : ما الذي جعلهم أولى بالبكاء منـــا ، والمصير واحد ؟ فيبكون ، ونبكي . ثم خرجت من عنده وأتيت بهيماً ، وقلت: كيف رأيت صاحبك ؟ قال : خير صاحب ، كثير الذكر لله عز وجل ، طويل التلاوة ، سريع الدمعة ، جزاك الله عني خيراً .

شوق وانزعاج عند وداع الحاج :

حدثنا ابو الثنا محمود بن المظفر اللبان ، عن محمد بن نصر ، نبأ الحميدي ، نبأ ابو بكر ، عن السلميّ ، قال بعضهم : خرجت أم أيمن ببنت عليّ امرأة ابي علي الروذباريّ من مصر ، لما برز الحجاج الى الصحراء ، فكانت الجمـال تمرُّ بها وهي تبكي وتقول : واضعفاه ، وتنشد على أثر قولها :

فقلتُ دعوني وأتباعي ركابكم ... أكن طوع ايديكم كما يفعلُ العبدُ
وما بال عني لا يهون عليهمُ ... وقد علموا ان ليس لي منهم بُدُّ

وتقول : هذه حسرة من انقطع عن الوصول الى البيت ، فكيف حسرة من انقطع عن رب البيت ؟

ولمهيار الديلمي في الاشتياق :

وما اتبعتُ ظعنَ الحيّ طرفي	لإغـنم نظرةً فتكونُ زادي
ولكني بَعثتُ بلحظ عيـني	وراء الركب يسأل عن فؤادي

وله أيضاً :

سَل ابْرق الحنان واحسن به	أين ليالينـا على الأبرَقِ
وكيف باناتٌ بسقط اللوى	ما لم يجدها الدمعُ لم تورقِ
هل حمَلتْ لا حمَلتْ بَعدنا	عنك الصبا عرفـاً لمستنشق
أغناك صوبُ الدمع عن منة	أحملهـا للمُرعد المـبرق
دمعي على الخيف جنى ما جنى	بكاءُ حسّانٍ على جُلـّق
لله دهرٌ لـك يومَ النـّقى	لولا وفـاء الحب لم يعلـَق
يا سائقَ الاضعان رفقاً وإن	لم يُغن قولي للعسوف أرفق
لولا زفيري خلف اجمـالهم	وحرٌ انفـاسي لم تنسـَق
لا تبردوا بالعدل قلبي فما	استنجد الدمـع على محرق
سميت لي نجداً على بعدهـا	يا ولـه المشئم بالمعْـرق
داوِ بهـا حبي فها مهجتي	اول مجنونٍ بنجدٍ رُقي

وفي المعنى لبعضهم :

يا سائق العيس ترفق واستمع	مني وبلـّغ ان وصلتَ عني
وقف بأكناف الحجاز ناشداً	قلبي فقد ضاع الغداةَ مني

وقل اذا وصلت نحو ارضهم ... ذاك الاسيرُ موثقٌ بالحزن
عرّض بذكري عندهم عساهم ... ان سمعوك سايلوك عني
قل ذلك المحبوس عن قصدكم ... معذّبُ القلب بكل فن
اقول قد أملّتُ ان ازورَكم ... في جملة الوفد فخابَ ظني
أقعدُ في الجدلان عن قصدكم ... ورُمتُ أن أسعى فلم يَدَعني

ومن وقائع بعض الفقراء :

ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي ، قال : رأى بعض المريدين في الواقعة شيخنا أبا مدين ، وجملة من الصوفية قد احدقوا به ، فقال بعضهم لأبي مدين : ما معنى سر السر وحقيقة الحقيقة ؟ فقال : هو محل الاسرار ، وعند حقيقته عجزت الاوهام ، والأفكار ، وطاشت عقول ذوي الأبصار ، إذ العقول لا تعدو طورها ، ولا تعرف حدها ، جهل ذلك من جهله ، وعلمه من علمه ، فلا يدرك الحق إلا الحق، ولا يعرف الحق إلا بالحق . فهذه خلقي وخليقي . وعلى هذا انطوت حقيقي . فالتشوّق الى هذا مما لا يدرك ، والخوض فيه واجب ان يترك .

فقال له السائل : أسألك عن التوحيد ما هو ؟ فقال : التوحيد همتي ، وهو شريعتي ، وسنتي . التوحيد هو الغاية القصوى ، والملجأ والمأوى . هو الاساس الذي هو قام به الوجود ، وعليه فترة كل مولود . لكن الناس فيه على مراتب ، فمنهم القريب ، ومنهم الصاحب . فالرتبة العليا هي الترقي من الاسماء والصفات الى توحيد الذات . هناك أفنيتُ عمري ، وأتعبت خاطري وفكري ، الى أن نلتُ منه المعنى ، ولاحظت ذاك الجمال الاسنى . وذلك بن الله سبحانه ابتداء وانتهاء « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها »

ثم قال : عمرت سرّي بك فأحييتني، ومما سواك أبعدتني، وبك عن الكونين أثنيتني ، وبالفضل منك ألهمتني . فأنا الفقير وأنت الغني . ثم قال للسائل : إسمع مخلوقاته بعزّ كبريائه مذلولة. والأشياء كلها من العرش الى الثرى معلولة، إذ هو سبحانه مذلها بالقهر . وقاهرها بالأمر . ومصرّفها بقدرته فيما نفع وضرّ . قدرته في الثرى كقدرته في العرش والسما . وهو معكم اينما كنتم احاط بكل شيء علماً . وأحصى كل شيء عدداً هو الاول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو بكل شيء عليم . على العرش استوى. وهو خالق العرش والثرى ، وما بينهما . فالكل قائم به ، وممسوك بقدرته واطفه . وما من ذرّة فما فوقها إلا وهو معها ، معية ليست بحلول وانتقال ، ولا تغير، ولا زوال، فالمخلوقات بأسرها ظل. وهو سبحانه وتعالى حقيقة الكل.

ومن باب محاسن الكلام :

ما قال الفضل بن سهل للمأمون ، وقد سأله حاجة لبعض بيوتات سمرقند ، وكان وعده تعجيل نفاذها ، فتأخر عن ذلك ، فقال له : يا امير المؤمنين هب لوعدك مذكراً من نفسك . وهب سائلك حلاوة نعمتك . واجعل ميلك الى ذلك في الكرم. وحاثا على اصطفاء شكر الطالبين، تشهد لك القلوب بحقائق الكرم . والألسن بنهاية الجود .

فقال المأمون : قد جعلت اليك إجابة سؤالي عني بما ترى [1] فيهم ، وأخذك بالتقصير فيما يلزم لهم من غير استمار ولا معاودة .

---

(١) نسخة : تريد .

وقال الفضل بن سهل للمأمون : يا امـــير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها في غضاضة السؤال .

فقال المأمون : والله لا كان ذلك إلا كذلك .

وصية بخلق كريم :

روينا من حديث ابن مروان قال : أنشدنا المبرّد :

إذا اعتذر الصديق اليك يوماً — من التقصير عذر أخٍ مقرِ
فصنه عن عتابك وأعف عنه — فـإن العفو سيمة كل حر

حدثنا يونس بن يحيى ، نبـأ محمد بن ناصر ، عن الحسن بن احمد ، عن محمد بن احمد ، عن محمد الوراق ، عن خالد بن محمد ، عن محمد بن علي ، عن بشر بن الحارث قال : رأيت على جبل عرفـة رجلا قد حكم عليه الوله وهو يقول :

سبحان من لو سجدنا بالعيون له — على سنا الشوك والمحمى من الابر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته — ولا العشير ولا عشر من العشر
هو الرفيع فلا الابصار تدركه — سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو أنسي إذ خلوت به — في جوف ليلي وفي الظلما وفي السحر
انت الحبيب وأنت الحب يا املي — من لي سواك ومن ارجوه يا ذخري

ومن باب من عمل من حيث العبودية :

حدثنا عبد الواحد بن اسمعيل ، نبأ عمر بن عبد المجيد قال : ابو الحسن ابن شمعون الواعظ قـال : وصف لي رجل من العباد فسرت اليه ، فرأيت

من فضله ما ملأ عيني ، وسمعي ، وقلبي . فبتّ متعجباً من امره ، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس يحاسبون، فيؤمر بقوم الى الجنة وبقوم الى النار ، فنودي بالشيخ فأمر به الى النار . فرأيت ذلك ثلاث ليال متوالية . فعرّفت الشيخ بذلك ، فقلت له : خفف يرحمك الله من تعبك ، واقصر من تعبدك . فنظر اليّ وقال لي : يا ابن شمعون هـذا وأنت واعظ العارفين ، تأمرني ان اخفف من خدمة مولاي لما رأيت أني من اهل النار . انما انا عبد من جملة عبيده ان شاء نعّمني ، وإن شاء عذّبني. امرني فامتثلت، ونهاني فانتهيت ، فأمري بعـد ذلك مصروف اليه . فانصرفت من عنده ، وقد عظم تعجّبي من امره . فلمـا كان الليل رأيت المنام بعينه ، فنودي بالشيخ وبين عينيه مكتوب بالنور « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنـده امّ الكتاب » ثم أُمر به الى الجنة . فبكرت الى الشيخ مبشراً له، فقال : يا ابن شمعون انما أُدّبت بمـا رأيت لتعلم ان لله عبيداً لا يقطعهم عن خدمته عذاب ولا نعيم .

شعر :

سبحان مَن ذكره عزٌّ لذاكره ... وان تحفّل في الاقوال واجتهدا
لم يتخذ سكناً في قـدم عزّته ... ولم يلده أبٌ حقاً ولا ولدا
ولا استعان بشيء في حقيقته ... ولم يزل بعظيم العزّ منفردا
لا يبلغ الخلق من تعظيمه طرفاً ... ولو أقاموا على تعظيمه ابدا
سبحانه وتعـالى في جلالته ... هو المهيمن لا أشرك بـه احدا

حكمة :

روينا من حديث ابن مروان ، عن الحربي ، عن مسلم بن ابراهيم ، عن

الحسن بن ابي جعفر قال: قال أكثم بن صيفي: الافراط في الانس مكسب[1]

ومن حديثه ، عن يوسف بن عبد الله الحلواني ، عن عثمان بن الهيثم ، عن ابيه قال : قال بزرجمهر الحكيم : احذروا اسطورة الكريم اذا شبع ، وصولة اللئيم اذا جاع . وبه قال ايضاً : ارهب تحذر ، وانعم تشكر ، ولا تمزح فتحقر .

خبر مناة :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده احمد بن محمد ، عن سعيد بن سالم القداح ، عن عثمان بن ساج ، عن محمد بن اسحاق ان عمر بن لحيّ نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد ، وهي التي كانت الأزود ، وغسان ، يحجّونها، ويُعظّمونها ، فاذا أطافوا بالبيت، وأفاضوا من عرفات ، وفرغوا من منىً لم يحلـّوا إلا عند مناة ، وكانوا يهلـّون لها ، ومن أهلّ لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما نهيك مجاود الريح ، ومطعم الطير . وكان هـذا الحيّ من الانصار يهلـّون لمناة وكانوا اذا هلـّوا بحجّ او او عمرة لم يظلّ احدهم سقف بيتٍ حتى يفرغ من حجّته او عمرتـه . وكان الرجل اذا أحرم لم يدخل بيته وان كان له فيه حاجة ، تسوّر من ظهر بيته لا يحز رتاج الباب رأسه ، فلما جاء الله بالإسلام وهدم امر الجاهلية أنزل الله عزّ وجلّ في ذلك : « وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقي وأتوا البيوت من أبوابها » .

---

(١) نسخة : يكسب .

وكانت مناة للأوس ، والخزرج ، وغسان من الازد ، ومن كان بدينهم من اهل يثرب وأهل الشام . ومناة صخرة لهذيل .

موعظة :

حدثنا محمد بن محمد، نبأ الحريري، نبأ ابو بكر الخياط ، نبأ ابن دوست، نبأ ابن صفوان ، عن ابي بكر بن ابي الدنيا ، عن ابي جعفر مولى بني هاشم ، عن عمرو بن الحصين ، عن يحيى بن العلاء ، عن زيد العمي قال : شهدت جنازة هشام بن عبد الملك فسمعت كاتبه يقول :

وما سالمٌ عمـا قليلٍ بسالمٍ ولو كثرت أحراسه وكتائبهْ
ومن يك ذا باب شديد وحجب فعما قليل يهجر الباب حاجبه
وتصبح بعد الحجب للناس عبرة رهينة بيتٍ لم تسيّر جوانبه
فما كان إلا الدفن حتى تحوّلت الى غيره أجناده ومواكبه
وأصبح مسروراً به كل كاشحٍ وأسلمه جيرانه وأقاربه

ووقف الفضل الرّقاشي على المقبرة فقال :

يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة التي نطق بالخراب فناؤها ، وشيّد بالتراب بناؤها ، فمحلّها مقترب ، وساكنها مغترب ، لا يتواصلون تواصل الاخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكلكله البلا ، وأكلهم الجندل والثرى . عليكم منا السلام . وأنشد :

سلامٌ على اهل القبور الدوارس كأنكم لم تجلسوا في المجالسِ
ولم تشربوا من بارد الماء شربةً ولم تأكلوا ما بين رطبٍ ويابس
ألا خبّروني اين قبر ذليلكم وقبر العزيز الباذخ المتشاوس

ورأيت على قبر باذخ لسيده مكتوباً شعر :

أرى اهل القبور [1] اذا توافوا   بنوا تلك المقابر بالصخورِ
أبَوا إلا مباهـــاةً وفخراً   على الفقراء حتى في القبور
لعمر أبيهـــم لو أبرزوهم   لمـــا علموا الغنيَّ من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالي   ولا عرفوا الاناث من الذكور
ولا البدَن الملبسُ ثوب صوفٍ   ولا البدَن المنعّمُ في الحرير
اذا مـــا مات هذا ثم هذا   فمـــا فضل الغنيّ على الفقير

وقام الحسنُ على قبر فقال : إن امرءاً هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله ، وأن امرءاً هذا اوله لحقيق ان يخاف آخره .

شعر :

تناجيك أجداث وهنّ صموت   وأجسامهم تحت التراب خفوتُ
أيا جامع الدنيـــا لغير بلاغة   لمن تجمع الدنيـــا وأنتَ تموت

ما يقول القبر في كل يوم وليلة :

حدثنا المكين بن رستم إمام مقـام ابراهيم عليه السلام ، عن الكرخيّ ، عن العورجيّ ، عن المحبوبي ، عن ابي عيسى الترمذي ، نبأ محمد بن احمد ، وهو ابن مدوية ، نبأ القاسم بن الحكم العرقيّ ، نبأ عبيد الله ، قال ابن الوليد الوضافي ، عن عطية ، عن ابي سعيد، قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاّه ،

(١) نسخة : القصور .

فرأى اناساً كأنهم يكتشرون فقال : أمـا انكم لو اكثرتم ذكر هادم اللذات اشغلكم عما أرى ، فأكثروا ذكر هـادم اللذات ، الموت ، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيقول: انا بيت الغربة، انا بيت الوحدة ، انا بيت التراب، انا بيت الدود . فإذا دُفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبـاً وأهلاً ، انك كنتَ لأحب من يمشي على ظهري إليّ ، فإذا وليتك اليوم ، وصرت إليّ ، فسترى صنيعي بك ؛ فيتسع مدّ بصره، ويفتح له باب الى الجنة . واذا دُفن العبد الفاجر الكافر قال له القبر : لا مرحباً ولا اهلاً ، أما انك كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليّ ، فإذا أوليتكَ اليوم ، وصرت إليّ فسترى صنيعي بك . قال : فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه .

وقال رسول الله ﷺ : بأصابعه ، فأدخل بعضها في جوف بعض، قال : ويقبض له تسعون تنيناً ، لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا ، فتنهشه وتخدشه حتى يقضى به الى الحساب .

قـال رسول الله ﷺ : إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار .

وأنشد بعضهم :

كأني بأصحابي على حافتيْ قبري ... يهيلون من فوقي وأعينهم تجري
ستنسون أيامي اذا مـا رجَعتم ... وغادرتموني رهن دورية قفري
ألا أيهـا المذري عليَّ دموعَهُ ... ستقصرُ في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني حين (١) أصبحُ ثاوياً ... أُزارُ فلا ادري وأُجفى فلا ادري

(١) نسخه ٢ : يوم .

قـال عبيد الله بن عمير : ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يُدفن فيها : انا بيت الظلمة والوحدة ، فإن كنت في حياتك لله مطيعاً كنت اليوم عليك رحمة ، وإن كنت لربك في حياتك عاصياً فـأنا اليوم عليك نقمة ، انا بيتُ الذي من دخلني مطيعاً خرج مني مسروراً ، ومن دخلني عاصيـاً خرج مني مثبوراً .

وخرج عطاء السلمي الى المقبرة ذات ليلة ،فلما توسطها نادى بأعلى صوته ه:

أهل المقابر قـد تساوى بينكم   أين الوضيعُ من الكريم السيدِ
أين الملوك بني الملوك وأين من   قد كان في الدنيـا قليل المحفد
أين الحسان ذوو النضارة والنهى   أين المليحُ من القبيح الأسود
أين الذين تجـبروا وتعظموا   وعتوا عتوّاً لم يكن بالمرشد

فأجابه من قبرٍ مجيبٌ ينشد شعراً :

إن المنيّة عاصَفتهم بغتةً   فهمُ خمودٌ جوْف قبر مُلحد
قد دبّتِ الديدان في اجسامهم   وسَعت هوامُ الأرض في الوجه الندي
كم من وجوهٍ قـد تناثر لحمها   ومفاصل بانت وبانَ منَ اليَد

بات بعض الصالحين المنقطعين من اهل الخلوات في المقـابر ليلة ، فبينما هو يفكر في شأنها إذ هتف به هاتف ينشد :

وقف بالقصور على دُخـلة   حزيناً وقل اين اربابهـا
وأين الملوك ولاة العهـود   رقـاة المنـابر غلابها
تجيبك آثارهم عنهـم   اليك فقـد مات اصحابها

الدخلة : بالضم باطن الأمر . يقال : هو عـالم بدخلته ، أي بباطن امره انتهى .

رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك :

كتب بعض أدباء المغرب الى بعض اخوانه بمكة :

اخي الأعز الاكرم الأفضل ، الأبرّ الأوفى الأوصل ، الذي استوحشُ لفراقه ، أذوبُ أسىً وكمداً ان لم اجتمع به في تلك المشاهد الكريمة ، وإلا قد بلغك الله المنى . وأحلك عن قريبٍ بعرفات ومنى . رسمته اليك من فاس والأشواق بعدك تصعد الانفاس ، فـإلى الله الكريم اشكو بينك ، واليه سبحانه أتوسل وله أسأل أن يجمع بحرمه الكريم آخراً كما جمع اولاً بيني وبينك فلقد فارقت وودّعت . وأودعت الجوانح من تباريح الشوق مـا اودعت ، وفطرب الافئدة بحسب مقصدك المبارك المحرس ، وصعدت فيسرّ الله الى تلك المثابة الامنية عودة وصولك ، وبلغك من لقائها غـاية سولك ، وسنى في ذلـك الحرم الشريف المنيف بغية حصولك ، وأجرى فلكك بريح السلامة حـين ينتهي إن شاء الله عن كل ولي من اولئك الى تلك المشاهد المعظمة، والمعاهد المكرّمة ، تحيته العاطرة وسلامه، وتذكرة عند مباشرتك تقبيل الحجر الاسود واستلامه ، بحول الله عزّ وجل ، فإذا بدأت على بركة الله تعالى بأول المناسك ، فاشعر نفسك لبؤس المحبة أيهـا الناسك ، ومن أي مواقيت الحج احرمت، وقد أشعلت بعد الاغتسال نار شوق الوقادة في قلبك واضرمت ، فاغتبط أيها الوافد على حرم الله تعالى فقد استكرمت ، فارفع صوتك بالاهلال ، ملبياً دعوة ذي الجلال ، حتى إذا شارفت مكة الغرّاء ، وأن تجتلي في منصتها العروس الزهراء ، فادخل على اسم الله وسنّة نبيّه من باب بني شيبة ، وقل اللهم صن من لفح نارك هــذه الشيبة ، فإذا اكتحلت عيناك بسناء الكعبة البيت الحرام وذهلت ، فهناك استهونت كل مشقة لقيتها في طريقك ، واستسهلت ودنوت حتى وقفت خلف الحجر الاسود ، وجعلته

على يسارك وكبرت ، وقبّلت حيث قبّل المصطفى ﷺ ، واستعبرت . وأخذت في الاشواط الثلاثة بالرمل ، وقــد ايقنت ببلوغ اقصى الأمل ، ثم اكملت بالسعي مأمولك بقية اسبوعك ، فحينئذ تجد برد السلوة عن اوطانك وربوعك ، ثم اركع ركعتي الطواف خلف المقام ، وأدع لمن بعدك بالمقــام ، وتعلق بالاستار داعياً عند الملتزم ، وتضلع عند شربك من مـــاء زمزم ، وأنوفيه نيّة من أخلص لله عمله ، فماء زمزم لما شرب له، ثم اجعل خروجك على باب الصفا والمروة ، وقف على درجاتها ، وأدع بخلاص نفسك ونجاتها ، ثم انحدر في وادي ابراهيم عليه السلام ، فإذا بلغت الميل الاخضر ، فخذ في الرمل اخذ الجد إذا احضر ، فـــإذا أتممت السعي فبادر بالحلاق ، وتجنب التقضير ، فللمحلقين وجبت الدعوة النبوية وجوب استحقاق ، فـإن لم تكن معرفــاً فاخرج متى شئت للتنعيم ، وأحرم من مسجد عائشة رضي الله عنها بعمرة ، وقل : طوبى لمن أفنى في هذه الاحوال السنيّة ، والمشاعر المرضية، عمرة ، ولازم الحجر الكريم ، وقف داعياً تحت ميزابــه ، وتذكر اخوانك بالدعاء ، وكلما اسلفت من خير تجزى به ، وصل على الرخامتين الخضرواتين فهما علامتا قبري اسمعيل وأمه هاجر ، وقـــل : الحمد لله الذي جعلني ممن انقطع الى حرمـــه المعظم وهاجر ، وإذا فتح باب الكعبة المعظمة المكرّمة فكن فيها اول داخل ، وأول خارج ، وهنىء قدميك تربيهما في تلك المدارج وتوخ مصلى النبي ﷺ متوسلاً الى الله ذي المعارج ، واستدع معاينة المقــام الكريم عند باب الرحمة وقيل فيه ، واشرب مـــاء زمزم في أثر القدمين المباركين ، فطوبى لمن باشرهما بغية . وفي أثناء مقامك تعهد المعاهد الشريفة والآثار ، وحرّك فيها شوقك المثــار ، وزر المولد المقدّس المبارك ، واجعل فيه نظرك واعتبارك ، والمم بــدار الخيزران ، وسائر تلك المنازل الشريفة والمواطن .

وصل بما أمكنك من الصدقة كل ثاوٍ فيها وقاطن . وزر القبور الطاهرة بالمعلّى . واعلِ على جبل ابي قبيس ، وقيقعان ، فحقّ ان يشرف عليهما ويعلى . واقصد جبل حراء ، واصعد في ذروته ، ففيه رأى النبي ﷺ اول علامات نبوّته . وارقأ جبل ثور ، ولج الغار ، وتذكر ثاني اثنين إذ هما فيه، فنفس كل جبل عليه وغار . حتى اذا ظلّ شهر ذي الحجة ، وأحرم وفود الله لهلاله ، وبدا كل احـــد باهلاله ، وارتفعت بالتلبية الاصوات في اعقاب الصلوات ، وأقاموا على التلبيه، متأهبين ليوم التروية ، فيا لك من يوم تسابق فيه الى منىً بالصعود . واستبشروا بمطالع السعود . فتعدّوا منى الى عرفات. موقنين برحمة الله عزّ وجلّ ومنازل الآمن في الغُرفات ، مرتفعين عن بطن عرفة ، علماً بأن مَن وقف فيه فقـــد ذهب حجة عامه ذلك وفات . ثم اصبحوا يوم عرفة وقد جلـّلت الارض فساطيط اهل العراق، وسائر الآفاق، كأنها قطع أزهار ذات ألوان ، صنوان وغير صنوان . تخال البسيطة منها في بستان . فارتقوا جبل الرحمـــة ، ثم نزلوا الى دار آدم يسألون ربهم المغفرة والرحمة . وفي أثناء ذلك ابتاعوا قرابينهم المتقبـّلة ، ليأكلوا منها ، ويجعلوا بقاياها على البائس الفقير مسبلة ، فـــإذا اغتسلوا وتطهروا للجمع بين الظهر والعصر في مسجد ابراهيم ، فهم أيها الأخ الأكرم في تلك المسالك المباركة وَجداً وشوقاً فحقّ أن تهيم . وهنالك لا تنسَ اخاك، وحاشاك ان تنساه ، وواسِه بدعوة ، فمثلك من واساه . ثم اجتمعوا مـــع العشيّ بأزاء موقف النبي ﷺ عند الصخرات، وقد ارتفعت بالتهليل والتكبير والتلبية الأصوات، وأسيلت العبرات ، وصعدت الزفرات ، وأثيرت بازدحام الركائب الغبرات ، وقـد واجهوا الكعبة المقدسة واستقبلوها ، ورجوا الرحمة من الله عز وجل وأملوها ، واقفين شعثاً غُبراً ، لا يُرى منهم إلا ذو مقلة عبراً ، يتذكرون بذلك الموقف العظيم موقف الحشر فمـــا يستطيعون صبراً ، باسطوا ايديهم

لمولاهم الكريم الكفيل بارتقابهم ، يتضرعون اليه في فكاك رقابهم ، وحط أوزارهم التي حملوها باحتقابهم ، يباهي بهم الله عز وجل ملائكة السماء .

ويقول : اشهدوا بأني قد رحمتهم فأنا ارحم الرحماء .

وقد غصّت بذلك الجمع الأرض الأريضة ، والشمس تجنح للغروب مريضة ، حتى اذا وجبَت ، حلت الافاضة ووجبت ، فوصلوا مع الليل جمعاً ، وقرنوا به بين المغرب والعشاء جمعاً ، ومسجده المبارك قد استنار مشاعل وشمعاً ، ولكثرة الضجيج والعجيج لا يستطيع احد سمعاً ، ولا تملك العيون دمعاً ، وباتوا يتلفظون ويكسرون حصا الجمار ، وكلٌ مسرورٌ بسميره تلك الليلة ، فيا شرف تلك الأسمار ، وعند الأسفار وقفوا داعين ، ثم افاضوا الى منى مسرعين ، وأجازوا وادي محسّر بالنـّطّ والرَّمَل ، فائزين من الله عز وجل بالصنع الأجمل ، مقتدين بما ورد في ذلك عن رسول الله ﷺ من العمل ، فرموا جمرة العقبة المحللة ، ونفوسهم منبهجة متهللة ، ثم انقلبوا للحلاق ، والتقرب بالدم المهراق ، الى المهيمن الخلاق ، وبعد ذلك ساروا الطواف الافاضة ، لابسين من التقوى خير مفاضة ، ثم عادوا محلـّين قد أتموا الحج ، وقضوا الثجّ والعجّ ، وأقاموا متنعمين أيام منىً بالأكل والشرب ، وكل منهم قد اصبح آمن السّرب ، يرمون في كل يوم في محصّب الجمار الثلاث احدى وعشرين جمرة ، والشوق يلهب في احشائهم جمرة ، وأكثر الناس مع ذلك في بيعهم وشرائهم في غمرة ، وأهل الانقطاع الى الله ، وتجار الآخرة في مسجد الخيف مَقيلهم ، وذِكر الله قِيلهم ، يسألون ربهم الإقالة ، والرب بكرمه يقيلهم ، مثابرين على التهليل والتسبيح ، ظافرين بالمتجر الربّيح ، ملمّين بزيارة موضع الذبّيح ، ثم تعجّلوا في يومين بالنفر ، فهنيئاً لك أيها الاخ الكريم كونك في اولئك السفر ، فإذا تأهبت الزيارة الطيبة ، وطفت طواف الوداع ،

فاستودع الله دينك ، وأمانتك ، فهو اهل الايـداع ، وسِر على بركة الله ، فــإذا اجتزت بقبر أم المؤمنين ميمونة بسرف ، فامسك عنانك وقف ، واسكب دمعك فيه رحمةً واذرف ، ففي ذلك الموضع كاتبها، وابتنى رسول الله ﷺ بها ، وفيه قضيت وفاتها ، ومنه تجيء زمرتها الطاهرة ورفاتها ، ثم عج في طريقك على خيمة أم معبد ، فقد حازت بحلول الرفيقين الكريمين فيها شرف الذكر آخر الأبد . وإذا جئت بدراً فحيّ شهداءه بالسلام ، فهو اول مشهد نصر الله فيه الاسلام . حتى إذا بدت لــك اعلام المدينة ، فابشر باحتلالك البلد الذي اظهر الله فيه دينه ، فــإذا مررت بمسجد ذي الخليفة فعرّج عليه ولا تعرج عنه ، وحيّه بركعتين فهو المسجد المبارك الذي احرم رسول الله ﷺ منه ، حـتى إذا جزت وادي العقيق فهنالك أنزل ، وامش كرامة لمن حل في ذلك المنزل ، وادخل على اسم الله ، وعليك الوقـــار والسكينة ، واكس الخضوع والخشوع نفسك المسكينة ، فإذا دخلت مسجد الشفيع الرفيع فاقصد بعـد ركعتي التحية روضة سيد دار السلام بالسلام ، وامثل قبالة وجهه الكريم ، وحيّه ﷺ بأفضل التسليم ، وألزم هنالك أدب التوقير والتعظيم ، وقف ، وإياك أن تلمس الجدار وتلثم ، فقد نهى عن ذلك، ولعلّ فاعله أن يأثم ، وسلم على الصديق ، والفاروق ، وزيريـه وصاحبيه ، وقم كالمسين بين الكريمتين يديه، فغدا ترجو الشفاعة لديه ، وإنه سلام اولئك اليه ، ﷺ ، وحافظ على الصلاة بين قبره ومنبره عليه السلام، فبينهما روضة من رياض الجنة ، وألمس الدرجة المباركة الباقيــة من المنبر الكريم موقف القدمين المقدّستين ، واتخـــذ التبرّك بلمسها جنة ، وطف على تلك المنازل الكريمة والديار ، واستقر مواطن البررة الأخيار ، وزر قبور أمهات المؤمنين وروضة العباس ، والحسن ، رضوان الله عليهم أجمعين ببقيع الفرقـد ، وإن أضرم الوجدُ عليهم نار الحزن بين جوانحك وأوقد ، وحدّث نفسك باللحاق

السريع بهم فكان قد ، وعرّج في آخر البقيع على روضة ذي النورين عثمان ابن عفان ، ومل الى روضة فاطمة بنت اسد أم علي السابق الى الايمان ، ولا تنس عن يسارك إذا خرجت على باب البقيع قبر العمة الطاهرة صفية ، ام الزبير الذي كان حواري الرسول ﷺ وصفية، وامش الى قباء مظهر الاسوة برسول الله ﷺ والاقتداء ، وزر بأحدٍ عم المصطفى حمزة والشهداء ، فإذا أذن بالارتحال ، فأمل أن تجمع في الزيارة بين المساجد الثلاثة التي لا تشدّ إلا اليها الرحال ، موثراً سلوك المحجة البيضاء من السنّة ، ملتمساً بركة الحديث المأثور ، من زارني وزار ابي ابراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة ، والضامن ملي ، وهو ﷺ بالمؤمنين ولي ، فاعمل ركابك الى المسجد الاقصى ، واستقصى الطواف بجميع آثاره المقدسة ، فمثلك من استقصى ، وإن استطعت الاحرام منه اولاً ، فهو افضل عمل صالح يدخر ، وقد ورد فيه حديثٌ بمغفرة ما تقدم من الذنب وما تأخر ، حيث اختص المصطفى ﷺ بالاسراء، وعرج به الى السماء ، بعد أن صلى فيه بجميع الانبياء ، وتبرّك بالصخرة المقدسة ، فمنها كان معراج سيد البشر ، وصلى ، خلفها ، فهي المكان القريب الذي ينادي المنادي منه للمنشر والحشر ، وادخل قبة السلسلة واركع فيها ، وادع لنفسك ونفوس اخوانك بتداركها بالتوبة وتلافيها ، وصل في محراب زكريا ، وإياك والريا ، وفي محراب مريم حيث دخل عليها ، فوجد الرزق من الله لديها ، وأرق في محراب داود حيث كان تسوّر الخصم ، وصلّ فيه متوسلاً الى الله بشرف ذلك الاسم ، وواصل بالزيارة مبدئاً لها ومعيداً ، موضع نزول المائدة التي كانت لبني إسرائيل آيةً وعيداً ، واسمعوا على الكفر بعد نزولها وعيداً ، ولا تمش في جميع تلك الارض المقدسة إلا بانكسار واستحياء ، فإنك لا تخطو فيها خطوةً إلا على مواطىء اقدام الانبياء ، ولا تنس أن تتطهر في عين سلوان ، واذكر فيه من لم يحدّث نفسه عنك بسلوان،

ثم اخذت للخليل في الرحيل ، فابدأ في اول طريقك بقبر راحيل ، ثم بمولد المسيح ، وموضع مهده ، وسل من الله قبول مساعيك ، واستعنه واستهده ، واعطف على موضع جذع النخلة الذي هزّت بـــه مريم فأساقط عليها رطباً جنيّاً ، « فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريّاً » ثم انه في طريقك ، وحق لك الالمام ، بقبر يونس ، ولوط ، عليهما السلام ، فـإذا انتهيت الى قبر الخليل ، وقـبر اسحاق ، ويعقوب ، وقد حننت اليهم حنين الرقوب ، فهنالك تقبل مزارك ، وتحط إن شاء الله اوزارك ، وخارج ذلك الحرم الخليلي على ما يذكر قبر يوسف الصديق ، والله أعلم بالتحقيق ، فـإذا قضيت بحول الله عزّ وجل وقوته من زيارة جميع تلك الآثار المقدسة أربك، فـلا تذكر بعدها مغربك ، فقد من الله عليك بتجديد عهد الوفادة عليها ، والنظر اليها ، وما ذكرتها لك على هذا النسق إلا تبرّكاً بذكراها ، وتشوّقاً للعودة الثالثة عسى نجدد العهد الكريم بها وأراها ، واستطابة للحديث معك فيها لأنـــك تعرف بالمعاينة معناها ، وليس من درى حقيقة الشيء كمن لا يدريـه ، وأين شوق آدم للجنة من شوق بنيه ؟ فعد الى حرم الله العظيم ، وألقِ فيه عصا تسيارك ، وقر عيناً بـآل اختيارك ، وأقم بقية عمرك فيه مستوطناً ، والنية الصادقة الخالصة لله عزّ وجل مستبطناً ، وقل رب تركت من اخواني عبيداً مشتاقين للعودة الى حرمك ، متوسلين اليك في ذلـــك بفضلك وكرمك ، فسهّل بعزّتك وقدرتـك مرامهم ، وسكن بالوصول الى كعبتك المقدسة المشرّفة غرامهم ، وعرّفهم معاهدهم الكريـــة بعرفات ، والمشعر الحرام ، وشرّفهم بالمثول فيها قبل أن تقضي على مدتهم بالانصرام ، وتفجا اعمارهم قواطع الاخترام ، انك سبحانك مولى المنن الجسام ، ومقدّر الحظوظ السنيّة لعباده والأقسام ، وإقرأ عليك أيها الأخ الأسنى ، المختوم له إن شاء الله بالحسنى ، سلاماً أعطر من الزهر عند الابتسام ، يتلقاه مسك

دارين بالتنشق والإبتسام ، ورحمة الله وبركاته .

وصية نبوية :

روينا من حديث الهاشمي فيما يرويه من حديث ابي ذرٍ عن رسول الله ﷺ إنه قال لرجل يوصيه :

أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر ، وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت ، وقدم مالك أمامك يسرُّك اللحاق به ، وأقنع بما اوتيته يخف عليك الحساب ، ولا تتشاغل عما فرض عليك بما قد ضمن لك ، إنه ليس بفائتك ما قسم لك ، ولست بلاحق ما زوي عنك ، فلا تك جاهداً فيما يصبح نافداً واسع لملك لا زوال له في منزل لا انتقال عنه .

ومن حديثه ايضاً عن ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ :

ما سكن حبُّ الدنيا قلب عبدٍ إلا التاط منها بثلاثٍ : شغلٌ لا ينفك عناه ، وفقر لا يدرك غناه ، وأمل لا ينال منتهاه ، إن الدنيا والآخرة طالبتان ، ومطلوبتان ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه ، ألا وإن السعيد من اختار باقيةً يدوم نعيمها على فانية لا ينفد عذابها ، وقدم لما يقدم عليه فيما هو الآن في يديه ، قبل أن يخلفه لمن سعد بإنفاقه ، وقد شقى هو بجمعه واحتكاره .

روينا من حديث محمد بن العماد قال : كنا يوماً عند اسحاق بن نجيح

وعنده جارية يقال لهـا شادن موصوفة بجودة ضرب العود ، وشجو صوت ، وحسن خلق ، وظرف مجلس ، وحلاوة وجه .

فأخذت العود وغنت :

ظبيٌ تكامل في نهـــاية حسنه ‏ ‏ ‏ فزهــــا ببهجته وتاه بصده
والشمس تطلعُ من فرند جبينه ‏ ‏ ‏ والبدر يغرب في شقائق خده
ملك الجمـال بأسره فكأنما ‏ ‏ ‏ حسن البرية كلها من عنده
يا رب هب لي وصله وبقاءه ‏ ‏ ‏ ابداً فلستُ بعائشٍ من بعده

فطارت عقولنا وذهبت الباىنا من حسن غنائهــــا ، وظرفها فقلتُ : يا سيدتي من هذا الذي تكامل في الحسن والنُّهى سواك ؟ فقالت:

فإن بحت نالتني عيون كثيرة ‏ ‏ ‏ وأضعف عن كتمانه حين اكتم

يحكى عن الخنساء إنها دخلت على عائشة وعليها صدار من شعر ، فقالت لها عائشة رضي الله عنها : أتتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله ﷺ ؟ فقالت : يا ام المؤمنين إن زوجي كان متلافاً منفقاً ، فقال لي : لو أتيت معاوية فاستعنت بـه ، فخرجت ، فلقيني صخر ، فأخبرته ، فشاطرني ماله ثلاث مرات ، فقالت امرأته : لو أعطيتها من شرارها يعني الإبل ، فقال :

والله لو أمنحهـا شرارها ‏ ‏ ‏ وهي حصان قد كفتني عارها
وإن هلكتُ مزّقت خمارها ‏ ‏ ‏ واتخـذت من شعر صدارها

فلما هلك صخرٌ اتخذت هذا الصدار ونذرت أن لا اضعه حتى اموت .

حدثنا بعض مشايخنا من اهـل الأدب قال عمرو : قال بعضهم : رأيت

أعرابية بالتياح ، فقلتُ لهـــا : أنشديني ، قالت : نعم ، ورب الكعبة ، قلتُ : فانشديني ، فانشأت :

لا بارك الله فيمن كان يخبرني ... أن المحب إذا ما شاء ينصرف
وجد المحب إذا ما بان صاحبه ... وجدُ الصبيّ بثدي امه الكلف

فقلتُ : فانشديني من قولك ، فقالت :

بنفسي من هواه على التنائي ... وطول الدهر مؤتلفٌ جديدُ
ومن هو في الصلاة حديث نفسي ... وعدل الروح عندي بل يزيد

فقلتُ لها : إن هذا الكلام ممن قـــد عشق ، فقالت : وهل يعرى من ذلك من له سمع او قلب ؟ ثم أنشدتني :

ألا بأبي والله من ليس شافعي ... بشيءٍ ومن قلبي على النأي ذاكره
له خفقان يرفع الجنب كالشجا ... ويقطع ازرار الجريان ثائره

وروينا من حديث عمر بن يزيد الاسدي قال: مررت بخرقاء صاحبة ذي الرّمة ، فقلتُ له : هـل حججت قط ؟ فقالت : أما علمت أني منسك من مناسك الحج ؟ مـــا منعك أن تسلم عليّ ؟ أما سمعت قول عمك ذي الرمة وهو ينشد :

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقـــاء واضعة اللثام

فقلت لها : قد أثر فيك الدهر ، قالت : أما سمعت قول عمك العجيف العقيلي ؟ :

وخرقـاء لا تزداد إلا ملاحة ... ولو عمرّت تعمير نوحٍ وحلت

قال : ورأيتها وإن فيها المباشرة ، وإن ديباحة وجهها لطريّة ، كأنها فتاة، وإنها لتزيد يومئذ على المائة. وشبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة.

حدثني ابو ذرّ بأشبيلية ان سبب ان سميت الخرقاء ، وهي ميّ ، وسمي ذو الرمة ، وهو غيلان ، ان رآها يوماً فتعرّض اليها ، وبيده حبلٌ بالٍ لتعمل له نعله ، وكان قد انتقض ، وأراد بذلك الكلام معها ، فقالت له : اني خرقاء يا ذا الرمة ، أي لا احسن العمل ، والخرقاء التي لا تحسن العمل والصناع ضدها . والرمة : الحبل البالي . فجرى عليهما هذان الإسمان الى هذا اليوم .

وروينا من حديث الهاشمي يبلغ به النبي ﷺ انه قال :

كن في الدنيا كأنك غريب ، او عابر سبيل . واعدد نفسك في الموتى . وإذا اصبحت نفسك فلا تحدثها بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح . وخذ من صحتك لسقمك . ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لوفاتك ، فإنك لا تدري ما اسمك غداً .

قال بعض الاعراب : الموت يقتحم على ابن آدم كإقتحام الشيب على الشباب ، ومن عرف الدنيا لم يفرح بها ، ولا بزخارفها ، ولم يحزن فيها على بلوى ، ولا طالب اغشم من الموت ، ومن عطف عليه الليل والنهار أردياه ، ومن وكل به الموت أفناه .

أصيب الحجاج بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال : ليت اني وجدت انساناً يخفف مصيبتي ، فقال له الرسول : أأقول ؟ قال : قل ، قال : كل انسان مفارق صاحبه بموت او بصلب او بنار تقع عليه من فوق

البيت ، او يقع البيت عليه ، او يقع [1] في بئر ، او يغشى عليه ، او يكون شيء لا يعرفه . فضحك الحجاج وقال : مصيبتي في امير المؤمنين أعظم حين وجه مثلك رسولاً .

قال عبد الله بن المعتز : اهـل الدنيا كصور في صحيفة كلما نشر بعضها طوى بعضها . وقال ايضاً : اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ، ينظر هذا الى قول الآخر :

فسيرك يا هـذا كسير سفينة   بقوم جلوس والقـلاع تطير

وقال الآخر : طلاق الدنيا مهر الجنـة . وسُئل اعرابي عن حال الدنيا فقال : هي جمة المصائب ، رنقة المشارب ، لا تمتع صاحباً بصاحب .

قال ابو الدرداء : ما أنصف الدنيا ، ذمّت بإساءة المسيء فيها ، ولم تحمد باحسان المحسن فيها . غير انه قـــال يوماً : من هوان الدنيا على الله انه لا يُعصى إلا فيها ، ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، وهو الذي يقول فيها ايضاً : اذا أقبلت الدنيا على امرء أعارته محاسن غيره ، واذا أدبرت عنـــه سلبته محاسن نفسه .

وروينا من حديث الطفيل بن عامر العامري قـال : خرجت يوماً أريد الغارة ، وكنت رجلاً أحب الوحدة ، فبينما انا أسير اذ ضللت الطريق الذي أردت ، فسرت أياماً لا ادري أين التوجه حتى نفـذ زادي ، فجعلت آكل الحشيش ، وورق الشجر ، حتى أشرفت على الهلاك ، ويئست من الحيـاة ،

---

(١) نسخة : يسقط .

فبينما انا اسير ، اذ بصرت بقطيع غنم في ناحية من الطريق ، فملت اليها فـ ذ
انا بشاب حسن الوجه فقال : يا ابن العم أين تريد ؟ فقلت : أردت حاجة ي
في بعض المدن ، وما أحسست بنفسي إلا وقد ضللت عن الطريق . قـ ل :
اجل ، ان بينك وبين الطريق مسيرة ايام ، فانزل حتى تستريح ، وتطمئن ،
وتريح نفسك ، وفرسك . فنزلت ، ورمى لدابتي حشيشاً ، وجاءني بثريـ
كثير ، ولبن ، ثم قام الى كبش فذبحه ، وأجّج ناراً ، وجعل يكبّب لي ،
ويطعمني حتى اكتفيت . فلما جنّ الليل قام وفرش لي . ثم قال : قم فأرح
نفسك ، فإن النوم أذهب لتعبك ، وأرجع لنفسك . فقمت ووضعت رأسي ،
فبينما انا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناي مثلها قط حسناً وجمالاً ، فقعدت
الى الفتى ، وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به ،
فامتنع عليّ النوم بحسن حديثهما . فلما كان في وقت السحر قامت ورجعت
الى منزلها . فلما اصبحتُ دنوت منه ، فقلت له : من الرجل ؟ قـال : انا
فلان بن فلان فانتسب لي فعرفته ، فقلت : ويحك ان أباك لسيّد قومك ،
وما حملك على وضع نفسك في هذا المكان ؟ فقال : أنا والله أخبرك ، كنت
عاشقاً لابنة عمي هذه التي رأيتها ، وكانت هي ايضاً لي وامقة ، فشاع خبرنا
في الناس ، فأتيت عمي ان يزوّجنيها ، فقال : والله يا بني ما سالت شططاً ،
وما هي بأبرّ عنك ، ولكن الناس قـد تحدثوا بشيء ، وعمك يكره المقالة
القبيحة ، ولكن انظر غيرها في قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك. فقلت :
لا حاجة لي فيما ذكرت ، وتحمّلت عليه بجماعة من قومي فردّهم . وزوّجها
رجلاً من ثقيف له رياسة ، وقدر ، فحملها الى ههنا ، وأشار بيده الى خيم
كثيرة بالقرب منا ، فضاقت عليّ الارض برحبها ، وخرجت في اثرها ، فلما
رأتني فرحت فرحاً شديداً ، فقلت لها : لا تخبري احداً بي منك بسبيل . ثم
أتيت زوجها ، فقلت : انا رجل من الازد ، أصبت دماً ، واني خائف ،

وقد قصدتك لما يُعرف من رغبتك في اصطناع المعروف . ولي بصر بالغنم ، فإن رأيت ان تعطيني من غنمك فأكون في جوارك وكنفك فافعل . قال : نعم ، وكرامة ، فأعطاني مائة شاة ، وقال لي : لا تبعد بهـــا عن الحي ، وكانت ابنة عمي تخرج في كل ليلة في الوقت الذي رأيت ، وتنصرف ، فلما رأى حسن حال الغنم اعطاني هذه ، فرضيب من الدنيا بمـــا ترى . قال : فأقمت عنده اياماً، فبينما انا نائم اذ نبّهني وقال : يا اخا بني عامر ، قلت له: ما شأنك ؟ قال : ابنة عمي قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها . وما أظن ذلك إلا لأمر حادث وأنشأ يقول :

ما بال ميّة لا تأتي لعــادتها هل هاجها طربٌ او صدّها شغلُ
لكن قلبي لا يغنيه غيركم حتى الممات ولا لي غيركم أمل
او تعلمين الذي بي من فراقكمُ لما اعتذرتِ ولا طالك بكِ العِلل
نفسي فداؤكِ قد أحللتِ بي حرقاً تكاد من حرّها الأنفاس تنفصل
لو كان غادية مني على جبل لزلّ وانهدّ من أركانه الجبل

قال الطفيل : فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح ، وقــام ومرّ نحو الحي ، فأبطأ عني ساعة ، ثم اقبل ومعه شيء يحمله ، وجعل يبكي عليه ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : هــذه ابنة عمي افترسها السبع ، فأكل بعضها ووضعها بالقرب مني فأوجع والله قلبي ، ثم تناول سيفه ، ومرّ نحو الحي فأبطأ هنيهة ، ثم اقبل اليّ وعلى عاتقه ليث كأنه حمار ، فقلت : ما هذا ؟ قال : صاحبي ، قلت : وكيف عملت به ؟ قال : اني قصدت الموضع الذي اصابها فيه ، وعلمت انــه سيعود الى ما فضل منها ، فجاء قاصداً الى ذلك الموضع، فعلمت انه هو فحملت عليه، فقتلته . ثم قام فحفر في الارض، فأمعن وأخرج ثوباً جديداً ، وقال : يا اخا بني عامر ، اذا انا مت فادرجني

معها في هذا الثوب . ثم ضعنا في هذه الحفرة ، وهلّ التراب علينا ، واكتب هذين البيتين على قبرنا :

كنا على ظهرها والعيش في مهل والدهر يجمعنا والدار والوطنُ
فخاننا الدهر في تفريق إلفتِنا فاليوم يجمعنا في بطنها الكفنُ

ثم التفتَ الى الاسد فقال :

ألا أيها الليثُ المدلّ بنفسه هُبلتَ لقد جرّت يداك لنا حزنا
وغادرتني فرداً وقد كنت آلفاً وصيّرت آفاق البلاد لنا سجنا
أأصحب دهراً خانني بفراقها معاذ إلهي ان اكون له خدنا

وقال : يا أخا بني عامر ، اذا فرغت من شأننا ، فصح في إدبار هذه الغنم ، فردّها الى صاحبها . ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات ، فقمت ، فأدرجتها في ذلك الثوب ، ووضعتها في تلك الحفيرة ، وكتبت البيتين على قبرهما ، ورددت الغنم على صاحبها . وسألني القوم عن الرجل ، فأخبرتهم الخبر، فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لننحرنّ عليه تعظيماً له . فخرجوا ، وأخرجنا مائة ناقة ، وتسامع بنا الناس ، فاجتمعوا الينا فنحرنا ثلاثمائة ناقة ، وانصرفنا .

كتب جعفر بن محمد الأشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل : شكري لك على ما اريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه .

وحدثنا بعض الأدباء ، قال : كتب علي بن هشام الى اسحاق بن ابراهيم الموصلي : ما ادري كيف اصنع ؟ أغيبُ فاشتاق ، وألقى فلا اشتفي . ثم يحدث لي اللقاء الذي طلبت منه الشفاء نوعاً من الحرقة للوعة الفرقة .

وحدثنا محمد بن سعيد: قال رجل من قريش لخالد بن صفوان: ما اسمك؟ قال : خالد بن صفوان بن الاهتم ، قال : ان اسمك لكذب ، ما انت بخالد ، وأن اباك لصفوان ، وهو حجر ، وأن جـــدك الاهتم ، والصحيح خير من الاهتم . قال له خالد : من أي قريش انت ؟ قـال : من عبد الدار بن قصي ابن كلاب ، قال : لقد هشمتك هاشم ، وأمتك أميّة ، وجمحت بك جمح ، وخزمتك مخزوم، واقتصتك قصيّ ، فجعلتك عبد دارها ، تفتح اذا دخلوا، وتغلق اذا خرجوا .

وحكي عن شهرام المروزي انه جرى بينـه وبين ابي مسلم صاحب الدولة كلام ، فما زال ابو مسلم يحاوره الى ان قال شهرام : يا لقطة .

فصمت ابو مسلم ، وندم شهرام على ما سبق به لسانه ، وأقبل معتذراً ، وخاضعاً، ومتنصلاً . فلما رأى ذلك ابو مسلم قال: لسان سبق، ووهم أخطأ، وإنمـــا الغضب شيطان ، والذنب لي ، لأني جرأتك على نفسي بطول احتمالي منك، فإن كنت متعمداً للذنب فقد شركتك فيه، وإن كنت مغلوباً فالعذر سبقك ، وقد غفرنا لك على كل حال .

قال شهرام : ايها الملك عفو مثلك لا يكون غروراً . قـــال : اجل . قال : وإن عظيم ذنبي ان تدع قلبي يسكن . وألحّ في الاعتذار . فقـال ابو مسلم : فيا عجباً كنت تسيء وأنا أحسن اليك ، فإذا أحسنت أسأت .

روينا عن بعض اخواننا من اهل الادب أن سليمان بن عبدالملك كان سبب موته أن استدعى يوماً الجارية التي كانت على خزانة ملابسه فقال لها : ائتيني اليوم بثياب صفر . فأتته بحلـّة صفراء ، وعمامة صفراء ، وطيلسان اصفر ،

من احسن مـا يكون . فتنظّف ، ولبس ، وتطيّب ، واستدعى صاحبة الوجه، واستدعى بالمرآة ، فرأى وجهه وما عليه من البزّة الفاخرة ونضرة الملك ، فأعجبته نفسه ، وقال : والله لأخرجن اليوم على الناس، واصعد هو المنبر ، واتكلم من احسن الكلام ، ما يليق بهذه الحالة .

وخرج يتبختر في مشيته زهواً وعجباً بنفسه ، فتعرضت له جارية يعرفها من جواريه ، فخدمت ، وسلمت ، وقالت : ما احسن هذه الحالة التي انت فيها ، لو تمّ ، ثم أنشدت :

ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ   عابَه الناسُ غير انك فانِ
أنتَ نعم المتاعُ لو كنت تبقى   غير أن لا بقاء للانسانِ

فقال لها سليمان : يا فلانة ، ما حملك على هذا في هـذا الوقت ؟ وتغيّر عليه الحال . ثم انه اكذب نفسه ، وتحامل على عقله بهواه ، ومضى لوجهه ، حتى خرج على قومه في زينته، فأعجب الناس به ، وصعد المنبر، فحمد الله ، وأثنى عليه بصوت يستوي في سماعه اقصى من في المجلس ، وأدناه ، وأبلغ ، وأسهب فأعجب ، وأوجز فأعجز . فبينما هو في اطيب ما يكون من الكلام اخذته الحمى، فتحامل عليها ، فما زالت تخفض من صوته الى ان سقط مغشياً عليه . ثم أفاق ، فحمل الى منزله ورجلاه تخطّ في الارض ضعفاً ، وقوة من مرض. فلما دخل منزله استدعى الجارية التي تعرّضت له عند خروجه بالبيتين في صحن الدار، فحضرت بين يديه، فقال لها : يا فلانة أعيدي عليّ ما قلت عند خروجي . فقالت له : يا سيدي ما أعرف ما تقول ، والله ما تعرضت اليك ، وكيف اجرأ على التعرض اليك في صحن الدار وليست مرتبتي ؟ فعلم سليمان ان نفسه نعيت له ، فأوصى ، ولبث اياماً ومات .

مثل سائر :

أوفى من أمّ جميل ، وهي دوسية من قبيلة أبي هريرة رضي الله عنه ، فذكر اهل الأدب من وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ، قتل رجلاً من الأزد ، فبلغ ذلك قومه بالسّراة ، فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهريّ ليقتلوه ، فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها ، فقامت في وجوههم ، ودعَت قومها فمنعوه لها . فلما ولّي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظنت أم جميل انه أخو ضرار بن الخطاب ، فأتته بالمدينة . فلما انتسبت عرف القصة ، فقال : يا أم جميل لست بأخيه إلا في الإسلام ، وقد عرفنا منّتك عليه . فأعطاها على انها ابنة سبيل .

وأما وفاء السموءل بن عاديا ، فذكر اهل الأدب من وفائه ان امرء القيس ابن حجر لما اراد الخروج الى قيصر ، استودع السموءل دروعاً له ، فلما مات امرءُ القيس بابقرة ، غزا السموءل ملك من ملوك الشام ، فتخوّر منه السموءل ، فأخذ الملك ابناً له وصاح به : يا سموءل هذا ابنك في يدي ، وقد علمت ان امرءَ القيس ابن عمي ، وأنا احق بميراثه ، فإن دفعت إليّ الدروع ، وإلا ذبحت ابنك ، قال : أجّلني ، فأجّله . فجمع أهل بيته ، فشاورهم ، فكلهم اشاروا بدفع الدروع ، وأن يستنقذ ابنه . فلما اصبح اشرف فقال : ليس الى دفع الدروع سبيل ، فاصنع ما انت صانع . فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه ، وكان يهودياً . وانصرف الملك ، ووافى السموءل بالدروع الموسم ، فدفعها الى ورثة امرء القيس . وقال في ذلك شعراً :

وفيتُ بأدرع الكنديّ إني ... اذا ما خان أقوامٌ وفيتُ
وقالوا عنده كنز وعيبٌ ... ولا وأبيك اعذر ما مشيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وبئراً كلما شئتُ استقيت

وفي ذلك يقول الأعشي :

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به　　في عسكر كسواد الليل جرّارِ
خيّره خطّتا خسفٍ فقال له　　اختر وما فيهما حظ لمختار
فشكٌ غير بعيدٍ ثم قال له　　اذبح اسيرك اني مانعٌ جاري

وروينا من حديث الشعبي ، قال : قالت أم البنين ابنة عبد العزيز، وهي اخت امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وكانت تحت الوليد ابن عبد الملك : لو كان البخل قميصاً ما لبسته ، او طريقاً ما سلكته . وكانت تعتق في كل يوم رقبة، وتحمل على فرسٍ في سبيل الله. وكانت تقول: البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة .

أخبرني ابو القاسم البخاري ، قال : اخبرني ابو عبد الله الغزّال بالمرية ، قال : سمعت أبا العباس بن العريف الصنهاجيّ عارف وقته يقول : ليس السخي من يسخى بماله ، إنما السخي من يسخى بنفسه على العلم .

في الحكمة :

ثواب الجود : خلف ، ومحبة ، ومكافأة . وثواب البخل : حرمان ، وإتلاف ، ومذمة .

سئل الاسكندر : ما اكبر ما شيّدت به ملكك ؟ قال : ابتداري الى اصطناع الرجال ، والإحسان اليهم .

وكتب ارسطاطاليس : يا اسكندر اعلم ان الايام تأتي على كل شيء فتخلقه ، وتخلق آثاره ، وتميت الافعال ، إلا ما رسخ في قلوب الناس .

فأودع قلوبهم محبة أبدية تبقي بها حسن ذكرك ، وكريم أفعالك ، وشرف آثارك .

جاء الشاعر السبتي من قرطبة الينـا الى اشبيلية ، وكان صاحب الديوان بهـا ابو عبد الله بن تاكفت رحمه الله فلم يجد من ينزله ، فكتب الى صاحب الديوان أبياتاً :

أتجعـل بالفرزدق والكميتِ وفي قيد الحيا شعرُ السبتي
يُروّعني بشعرهمـا أناسٌ وجهلاً روّعوا حياً بميتِ
لئن أسكنتني بيتاً رفيعاً لتسكن من ثنائي الف بيت

فأمر له صاحب الديوان بمنزله ، ونزل وأخصب عليه . فلقيته فسألته فشكر حاله .

حكمة :

قال ابراهيم عليه السلام : « واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين » قالوا : الثناء الحسن .

لما قُدّم بزرجمهر الى القتل قيل له : انك في آخر وقت من اوقات الدنيا، وأول وقت من اوقات الآخرة ، فتكلم بكلام تُذكر به . فقال : أي شيء اقول ؟ الكلام كثير ، ولكن ان امكنك ان تكون حديثاً حسناً فافعل .

وأنشدنا بعض اخواننا قـال : أنشدنا ابو القاسم بن فيرة الشاطبي قـال : انشدنا ابو العباس احمد بن مسعود القيسي قال : انشدنا ابو عامر بن حبيب ، عن ابي الحسن بن مفوز، عن ابي عمر بن عبد البرّ، عن عبيدالله بن عبدالرحمن ابن الفرضي لنفسه :

ما يشتهي قربَ السلاطين غير ضعيف العقل مغبونِ
لا تكذبن عنهم فما َصحبهمُ منهم على دنيـا ولا دين
دنياهمُ بالِخزي موصولةٌ فـلا تسل عن دين مفتون
لا رأي لي في نيل ُدنياهم حسبي بأن يسلم لي ديني

أخبرني بعض الحكماء قـال : شكى رجل الى أياس بن معاوية كثرة ما يهب ، ويصل به الناس ، وينفق . فقـال : ان النفقة داعية الرزق . وكان جالساً على باب فقال للرجل : اغلق هذا الباب ، فأغلقه ، فقال : هل يدخل فيه الريح ؟ قـال : لا . قال : فافتحه ، ففتحه ، فجعلت الرياح تخترق في البيت . فقـــال : هكذا الرزق ، أغلقت فلم يدخل الريح ، فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق .

حدثنا بعض شيوخنا قال : تنازع في الضيافة رجل عربي وآخر فارسي ، فقال الاعرابي : نحن أقرى للضيف . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن احدنا لا يملك إلا بعيراً ، فاذا حلّ بـــه ضيف نحره له . فقال الفارسي : فنحن احسن مذهباً في القرى منكم . قال : وما ذاك ؟ قال : نحن نسمي الضيف مهمان ومعناه انه اكبر من في المنزل والمكان .

اخبرنا عبد الرحمن بن ميمون ، انا ابو القاسم الرعيني قـال : كان شيخنا ابو محمد عليم بن هانىء العُمري من أشدّ النـــاس انقباضاً عن اهل الدنيا ، وكان كثيراً ما ينشد الأبيات المنسوبة الى الفقيه الامام يونس بن مغيث :

أقرُّ اليك من ظلمي لنفسي وسلـّمني العبيد وأنت أنسي
لقاؤك مأملي وبك افتخاري وذكرك في الدُّجى قمري وشمسي

قصدت اليك منقطعاً غريباً | لتؤنس وحدتي في قعر رمسي
وللعُظمى من الحاجات عندي | قصدت وأنت تعلم سرّ نفسي

قال الشاطبي : ودخلتُ عليه رضي الله عنه عقيب عيد الفطر فقال لي : مرّ عليّ أمس بعض الامراء في مركب فاخر وملبس باهر والنـاس يغبطونه بذلك . فقلت أبياتاً وهي :

محالاتٌ تجرُّ الى محـالِ | وأحوال تحول بكل حـالِ
ملابس قـد تُبدّل ثم تُبلى | وأجسامٌ تؤول الى اضمحال
فناءٌ عاجل لو يقض مرّت | وكل اقامة تالي ارتحـال
فما المغبوط من ركب المطايا | بعزّ او تسربل في الجمـال
ولكنّ المغبّط من تردّى | بثوب الذلّ رهبة ذي الجلال
فإن شئت البقـاء بلا نفادٍ | وعزٍّ لا يكدّر بالزوال
فمُتْ حياً تعش حياً وميتاً | وتنعم بالكواعب في الظلال
وقم في الليل ويحك مستكنـاً | وقل يا سيّدي اسمع مقالي
حيـاتي في الذي تدري وموتي | وجود الهجر من بعـد الوصال
فنائي في بقائي لي بقـاء | وأن يفنى فنائي لا ابالي
اجرني أن أرى نفسي أعذني | حبيبي أن يخيّل لي خيالي
وجد بالجدّ ويحك في جهاد | وبع ما شئت مبخوساً بغالي

قال الشاطبي : كان سبب موت هـذا السيد انه اضطرّ الى الاجتماع بالسلطان في نازلة نزلت به ، فسار اليه ، فلما جاء البلد الذي السلطان فيه ، خلا بنفسه في ليلة جمعة ، فصلى بسورة فيها سجدة ، فلما سجد سأل ربـه الموت ، ولا يجتمع بالسلطان ، فانقطع كلامه وهو ساجد، فرفع وهو كذلك

فلبث يومين وهو لا يتكلم ، ومات . وكان هذا الشيخ قد نهبت داره، فجعل يبكي ، فاجتمع اليه الفقهاء ، والادباء ، يصبرونه ، ويهوّنون عليه ما جرى . فقال لهم : ما ابكي لما جرى من ذهاب الدنيا، لكن فيما رويت عن النبي ﷺ انه قال :

ما استخف قومٌ بعالمهم وانتهكوا حرمته إلا سُلط عليهم العدو . وتوفي الشيخ من عامـــه كما ذكرنا ، وسُلط العدو على البلد في العام الذي بعده ، فأخذهم شر أخذه ، وبقوا حديثاً شنيعاً على وجه الدهور . على انه كان لهم عدد عظيم ، ومدد جسيم ، فلم يغن عنهم ذلك شيئاً ، وظهر فيهم ما ذكره الشيخ رضي الله عنه .

ما جاء في صورة جبريل التي خلق عليها :

قالت عائشة رضي الله عنها : في قوله تعالى « ولقــد رآه نزلة اخرى » قالت : رأى جبريل في الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح .

روينا من حديث اسحاق بن بشر القرشي، عن ابن جريج، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام :

إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون عليها في السماء . قــال : لن تقوى على ذلك. قال : بلى. قال : فأين تشاء أن أتمثل لك ؟ قال : بالابطح. قال : لا يسعني ، قال : بمِنىً . قال : لا تسعني ، قال : بعرفات ، فواعد ، فخرج النبي عليه السلام للوقت ، فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء ، ورجلاه في الارض . فلما رآه النبي عليه السلام خرّ مغشياً عليه قال: فتحوّل جبريل

في صورته التي عهده عليها ، فضمه الى صدره وقال له : يا محمد لا تخف أنا اخوك جبريل . فلما افاق قال : يا جبريل ما ظننت ان الله في السماء خلقاً يشبهك . فقال : يا محمد فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ، ورجلاه في التخوم السابعة ، وإن العرش على كاهله ، وإنه ليتضاءل احياناً من مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوضع ، حتى لا يحمل عرش ربك إلا عظمته تبارك وتعالى لوضع الطير الصغير الذي يصبح في القائلة ، وتسميه العامة الاغزال ، والجفالة ؟

انتشار ولد اسمعيل وعبادتهم الحجارة :

روينا من حديث ابي الوليد عن جده ، عن ابي سالم ، عن ابن اسحاق إن بني اسمعيل وجرهم من ساكني مكة ضاقت عليهم مكة ، فتفسحوا في البلاد ، والتمسوا المعاش ، فيزعمون ان اول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسمعيل، انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم إلا احتملوا معهم من حجارة الحرم ، تعظيماً للحرم ، وصيانة بمكة ، وبالكعبة . حيثما حلوا وضعوه ، فطافوا به كالطواف، حتى سُلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة . وأعجبهم من حجارة الحرم خاصة حتى خلفت الخلوف بعد الخلوف ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم ، واسمعيل عليهما السلام غيره . فعبدوا الاوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم من الضلالة ، وانتحوا ما كان يعبد قوم نوح منها ، على أثر ما كان بقي فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم ، واسمعيل ، يتمسكون بها من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهدى البدن ، والاهلال بالحج ، والعمرة ، مع ادخالهم فيه ما ليس منه .

ومن منظومات الشبلي في يوم عيد ، مـــا رويناه من حديث ابن باكوية قال : أنشدني ابو عمرة الحسن الحنظلي قال : سمعت الشبلي ينشد يوم العيد :

ليس عيد المحب قصد المصلى　　　وانتظار الجيوش والسلطان
إنمـــا العيدُ ان تكون لذي الحب كريماً مُقرّباً في الأمانِ

وله في ذلك :

عيدي مقيمٌ وعيد الناس منصرف　　　والقلب مني عن اللذات منحرفُ
ولي قرينان مالي منهما خلفٌ　　　طول الحنين وعيني دمعها يكف

وله في ذلك :

اذا ما كنتَ لي عيداً　　　فمـــا أصنع بالعيدِ
جرى حبُّك في قلبي　　　كجري الماء في العود

وحدّثنا يونس بن يحيى قـال : انا ابن منصور ، عن الحميدي ، عن ابي بكر الاردستاني ، عن السلمي قال : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول : سمعت الشبلي ينشد يوم عيد ، ولا ادري لنفسه ام لغيره :

الناس في العيد قد سرّوا وقد فرحوا　　　وما سررت به والواحـد الصمدِ
لمـــا تيقنتُ أنيّ لا أعاينكم　　　غمّضت طرفي فلم أنظر الى أحد

وحدّثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الباقي ، نبأ هنـّا قال : سمعت محمد ابن القاسم يقول : كان الشبلي ينوح يوم العيد ، ويصبح ، وعليه ثياب سود ، وزرق ، فاجتمع الناس اليه ، فسألوه عن حاله فقال :

تزين الناس يوم العيـد للعيدِ وقد لبستُ ثياب الزرق والسودِ
وأصبح الكل مسروراً بعيدهم ورحتُ فيكم على نوح وتعديد
والناس في فرحٍ والقلب في ترحٍ شتـّان بيني وبين الناس في العيد

وحدثنا يونس بن يحيى قال : انا ابن ناصر ، حدثنا ابو الثناء محمود بن ابي المظفـّر قال : حدثنا ابن خميس قال: انا الحميدي قال: انا ابو بكر الاردستاني قال : انا السلمي قال : سمعت عبد الله بن ابراهيم بن العلاء يقول : قال رجل لأبي علي الروذبادي : غداً العيد ، فميّز من زينتك ، فأنشد [1] يقول :

قالوا غـداً العيدُ ما أنت لابسه فقلت خلعة ساق حبـّه جزعا
فقر وضرّهما ثوبان تحتهما قلب يرى إلفه الاعياد والجمعا
أحرى الملابس ان تلقى الحبيب بها يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم ان غبت يا أملي والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

خبر هبل الصنم الذي كان بالكعبة :

روينا من حديث هشام ، وابن اسحاق ، ان عمرو بن لحيّ خرج من مكة الى الشام في بعض امور ،فلما قدم مآت من ارض البلقا ، وبها يومئذ العماليق ، رآهم يعبدون الأصنام . فقال لهم : ما هـــذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه اصنام نعبدها ، فنستمطرها ، فتمطرنا ، ونستنصرها ، فتنصرنا، فقال لهم : أفـلا تعطوني منها صنماً فأسير به الى ارض المغرب فيعبدونه ؟

---

(١) نسخة : فأنشأ .

فأعطوه صنماً يقال له : هبل ، بفتح الهـاء ، فقدم به مكة اه. حديث ابن هشام قال ابن اسحاق : فقدم بصنم يقال له هُبل بضم الهاء من هيت من ارض الجزيرة لم يكن من اهل البلقـاء ، وهو أصح . وكان هبل من اعظم اصنام قريش عندها . فنصبه على البئر التي كانت في بطن الكعبة ، وأمر النـــاس بعبادته . وكانت هذه البئر في جوف الكعبة على يمين مَن دخلها ، عمقها ثلاثة أذرع ، حفرها ابراهيم ، واسماعيل ، عليهما السلام ، ليكون فيها ما يهدى الى الكعبة ، وكانت تسمى الاخسف . وكان عنـــد هبل في الكعبة سبعة قِداح ، كل قدح منها ، فيه كتاب ، قدح فيه العقل اذا اختلفوا في العقل ، من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة عليهم ، فعلى من خرج حمله ، وقدح فيه نعم الامر الذي أرادوه يضرب بـــه في القداح ، فإن خرج قدح فيه ، نعم عملوا ، وقدح فيه لا . فاذا أرادوا الامر ضربوا به في القداح ، فاذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الامر . وقـدح فيه منكم ، وقـدح فيه ملصق ، وقدح فيه من غيركم ، وقدح فيه المياه . فاذا أرادوا ان يحفروا المياه ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيث ما خرجوا به عملوا بـــه . وكانوا اذا أرادوا ان يختنوا غلاماً ، وينكحوا جارية ، ويدفنوا ميتاً ، او شكّوا في نسب احد منهم ، ذهبوا به الى هبل ، ومائة درهم جزر ، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها . ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون . ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب فان خرج منكم كان منهم وسطاً ، وان خرج عليه من غيركم كان حليفاً ، وان خرج عليه ملصق كان ملصقاً على منزلته فيهم لا بسبب له ولا حلف . وان خرج عليه شيء مما سوى هذا مما يعملون به نعم ، عملوا به ، وان خرج لا . أخّروه عامه ذلك ، حتى يأتوا به مرة اخرى ، ينتهون في امرهم ذلك الى ما خرجت به القداح .

قال ابن اسحاق : وكان هبل من خرز العقيق على صورة انسان . وكانت يده اليمنى مكسورة ، فأدركته قريش، فجعلت له يداً من ذهب . وكانت له خزانة للقربات . وكانت له سبعة قداح يضربُ بهـا على الميت ، والعذرة ، والنكاح . وكان قربانه مائة بعير . وكان له حاجب . وكانوا اذا جـاؤا هبل بالقربان ضربوا بالقداح وقالوا :

إنا اختلفنا فهب السّراحا ثلاثـة يا هبل فصاحا
الميتُ والعُذرة والنكاحا والمبرىء المريض والصحاحا
إن لم تقله فمن القداحا

روينا من حديث احمد بن مروان ، عن محمـد بن عبد العزيز الدينوري ، عن احمد بن ابي الحواريّ ، عن ابي سليمان الداراني ، قال : قلت لراهب : يا راهب ، أي يوم أسرّ اليك ؟ قال : يومٌ لا أعصى الله عز وجل فيه .

روينـا من حديث ابي ابن الدنيا ، عن محمد بن عمرو المالكي ، عن سفيان ابن عيينة ، عن ادريس بن يزيد ، عن سعيد بن ابي بردة بن ابي موسى ، عن ابيه ، قـال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَن خلصت نيته ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس .

وروينا من حديثه أيضاً عن يحيى بن يوسف ، عن ابي معـــاوية ، عن عبد الرحمن بن زيد ، قال : كان ابي يقول : يا بنيّ انوفي كل شيء تريد الخير، حتى خروجك الى الكناسة في حاجة .

وروينا من حديث الدينوري في كفارة الغيبة . قال : نبـــأ ابو جعفر حمدان بن علي ، نبأ محمد بن علي الخزاعي، نبأ عنبسة بن عبدالرحمن القرشيّ ،

عن خالد بن يزيد المدني ، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قـــال : كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته .

وروينا من حديثه ايضاً في أحب العباد الى الله تعالى ، قال : حدثنا محمد ابن غالب، حدثني اسحاق بن كعب مولى ابن هشام ، نبأ عبد الحميد بن سليمان الازرق ، عن سكين بن أبي سراج ، عن عبد الله بن دينـار ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ان رجلاً أتى رسول الله ﷺ ، فقـال : أي العباد أحبهم الى الله عز وجل ؟ قال : أنصَفهم للناس ، وأن من أحب الأعمال الى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، او تكشف عنه كربة ، او تقضي عنه ديناً ، او تسدّ عنه جوعة ، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجـة أحب إلي من اعتكاف شهرين في المسجد ، ومَن كفّ غضبه سَتر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء ان يُمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، ومن مشى مع أخ له في حاجة حتى يُثبتها ثبّت الله قدمه يوم تزلّ الأقدام .

وروينا من حديثه ايضاً ، قال: نبأ احمد بن محمد البراء ، نبأ عبد المنعم، عن ابيه ، عن وهب بن منبّه ، قال : لما ضربت الدراهم ، والدنانير ، حملها ابليس ، وقـال : سلاحي ، وقرّة عيني ، وثمرة قلبي ، بكما أطغي ، وبكما اكفـّر بني آدم ، وبكما تستوجب النار بنو آدم حسبي .

قال وهب : فالويل ثم الويل لمن آثرهما على طاعة الله عز وجل .

حدثنا عبد الرحمن بن علي، نبأ أبو المعتز الانصاري، أن جعفر بن احمد، نبأ ابو محمد الخلال ، نبأ احمد بن محمد بن القاسم الرازي ، نبـأ احمد بن محمد الجوهري ، نبأ ابراهيم بن سهل المدائني ، حدثني سيف بن جـابر القاضي ، عن وكيع ، قـال : قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت : أخطأت في خمسة

ابواب من المناسك ، فعلمنيها حجّام ، وذلك اني حين اردت ان احلق رأسي وقفتُ على حجّام ، فقلت : بكم تحلق رأسي؟ فقال : أعراقيّ انت ؟ قلت : نعم . قال : النسُك لا تشارُط عليه، اجلس . فجلست منحرفاً عن القبلة . فقال لي : حوّل وجهك الى القبلة ، فحوّلته ، وأردت ان احلق رأسي من الجانب الأيسر، فقال : أدر الشقّ الأيمن من رأسك ، فأدرته ، فجعل يحلق وأنا ساكت ، فقال لي : كـبّر ، فجعلت اكبر حتى قمت لأذهب ، فقال لي : أين تريد ؟ قلت : رحلي ، قال لي : صلّ ركعتين ، ثم امض ، قلت : ما ينبغي أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام إلا ومعه علم ، فقلت له: من أين لك ما امرتني به ؟ فقال : رأيت عطاء بن رباح يفعل هذا .

ومن باب الاجواد والهمم العالية :

ما حدثنا محمد بن اسمعيل ، نبأ ابو الفرج ، نبأ عبد الله ، أنا المبارك بن عبد الجبار ، نبأ الحسين بن محمد ، أنا ابن سويد ، نبأ ابن الانباري ، حدثني ابي ، عن المغيرة بن محمد بن عبد الرحمن ، عن سحيم بن حفص ، عن ابيه قال : حج يزيد بن المهلب ، فطلب حلّاقاً يحلق رأسه ، فجاء فحلق رأسه ، فأمر له بألف درهم ، فتحير الحلّاق ، ودهش ، وقال : هذه الألف لي امضي الى امي فلانة ابشرها . فقال : اعطوه ألفاً اخرى . قال الحلاق : امرأته طالق ان حلق رأس احدٍ بعدك . فقال : اعطوه الفين آخرين .

حدثنا يونس بن يحيى قال : حدثنا ابن ناصر ، نبأ المبارك بن عبد الجبار نبأ ابو طالب العشاري ، نبأ ابن اخي تيمي ، نبأ ابو بكر القرشي ، نبأ عيسى بن عبد الله التميمي ، نبأ ابن ادريس ، حدثني ابي، عن وهب بن سنبه قال : كان يلتقي هو والحسن البصري في الموسم كل عام في مسجد الخيف ،

إذا هدأت الرجل ، ونامت العين ، ومعهما جلّاس لهما يتحدثون معهما . فبينما همـــا يتحدثان ذات ليلة مع جلسائهما إذ أقبل طائر له خفيق حتى وقع الى جانب وهب في الحلقة ، فسلم فردّ عليه السلام ، وعلم إنـــه من الجن فقال وهب : من الرجل ؟ قال : من الجن من مسلميهم قال : فما حاجتك ؟ قال : وتنكر أن نجالسكم ، ونحمل عنكم ، ان لكم فينا رواة كثيرة . وإنا لحاضركم في اشياء كثيرة من صلاة ، وجهاد ، وحج وعمرة ، ونحمل عنكم العلم . قـــال وهب : فأي رواة الجن عندكم أفضل ؟ قال : رواة الشيخ وأشار الى الحسن رضي الله عنه .

ومن شعر علي بن افلح في الخيف :

هــذه الخيف وهاتيك منى ... فترفق أيهـــا الحادي بنا
وأحبس الركب علينا ساعة ... نندبُ الركب[1] ونبكي الدمنا
فــلذا الموقف اعددنا البكا ... ولذا اليـــوم دموع تقتنا
زمناً كان وكنا جـــيرة ... يا اعـــاد الله ذاك الزمنا
بيننا يوم اثيلات النقـــا ... كان من غـير تراضٍ بيننا

واقعة لبعض الفقراء :

حدثني عبدالله بن الاستاذ المروزي بأشبيلية بالخفاقين بدار محمد اليشكري الناسخ قال : كنت بحـــاية في خدمة شيخنا ابي مدين فقال له ابو طالب : اخبرني عن سر حياتك . فقال ابو مدين : بسر حياته ظهرت حياتي . وبنور

---

(١) نسخة : الربع .

صفاته استنارت صفاتي . وفي توحيده أفنيت همت . وبديموميته دامت محبتي فسر التوحيد في قوله : لا إله إلا الله . أنا والوجود بأسره حرف جاء لمعنى. فبالمعاني ظهرت الحروف . وبصفاته اتصف كل موصوف ، وبائتلافه ائتلف كل مألوف ، فمصنوعاته محكمة ، ومخلوقاته مسلمة ، لأنه صانعها ، ومظهرها منه مبدأها ، واليه مرجعها كما اظهرها ذرّاً ، ثم تلى «الست بربكم قالوا بلى» هو يا ابا طالب لوجوده المحرك ، والناطق الممسك ، ان نظرت يا أبا طالب بالحقيقة تلاشت الخليقة ، الوجود به قائم ، وأمره في مملكته دائم ، وحكمه في وجوده عام . حكم الارواح في الاجسام ، فالحواس بـه بانت على اختلاف أنواعها ، اللسان منها للبيان ، وهو مع ذلك لا يشغله شأن عن شأن .

يا أبا طالب لمـا امدني بسره ، غرف فؤادي من بحره ، فامتلأ وجودي نوراً ، وأثمر غيبة وحضوراً ، وسقيتُ شراباً طهوراً ، ففني مـا كان باطلا وزوراً ، فغشيت أنواره اخلاقي ، ونظرت الى الباقي بالباقي .

ثم قال : هو الموصوف بالقدم ، ومخترع الوجود من العدم ، بنور جـلاله أشرقت الظلم ، وهو ولي الكرم « الذي عـلّم بالقلم عـلّم الانسان مـا لم يعلم » وصلى الله على سيدنا محمد سراج الظلم .

وروينا من حديث ابن باكوية ، عن احمـد بن عبد الله بن عبد المؤمن ، نبأ اسمعيل بن القاسم ، نبأ عبد الله بن مببوية ، عن عبد الرحيم الدبيلي ، عن عثمان بن عمارة قال : وردت الحجر مرة فإذا انا بمحمد بن ثوبان ، وابراهيم بن أدهم ، وعبّاد المنقري ، وهم يتكلمون بكلام لا أعقله ، فقلت لهم : رحمـكم الله ، بي شأن كما تروني ، اصوم النهار ، واقوم الليل ، وأحجّ سنة ، وأغزو سنة ، ما أرى في نفسي زيادة ، فشغل القوم عني، حتى ظننت انهم لم يفهموا

كلامي . ثم كانت من واحد منهم التفاتة فقال : يا غلام ان هم القوم لم يكن في كثرة الصلاة والصوم ، وإنما كان هم القوم في نفاذ الابصار حتى ابصروا .

وروينا من حديث ابن باكوية أيضاً ، عن عيسى بن عمر ، عن احمد بن محمد القرشي ، عن ابراهيم بن عيسى ، عن موسى بن عبد الملك المروزي قال: قال مالك بن دينار : بينما انا اطوف بالبيت إذا أنا بإمرأة في الحجر قد رفعت صوتها ، واستغرقت في حالها ، مناجية ربها، وهي تقول : اتيتك من شقة بعيدة ، مؤملة لمعروفك ، فأنلني معروفاً من معروفك تغنيني به عن معروف من سواك ، يا معروفاً بالمعروف ، فعرفت ايوب السختياني فسألنا عن منزلها ، وقصدناها وسلمنا عليها ، فقال لها ايوب : قولي خيراً يرحمك الله ، قالت : وما اقول ؟ اشكو الى الله قلبي ، وهواي ، قد اضرّا بي ، وشغلاني عن عبادة ربي . قوماً فإني ابادر طي صحيفتي . قال ايوب : فما حدّثت نفسي بإمرأة قبلها، فقلت لها : لو تزوجت رجلاً يعينك على ما انت فيه . قالت : لو كان مالك بن دينار، وايوب السختياني، ما اردته . فقلت: أنا مالك بن دينار ، وهذا ايوب السختياني. فقالت : أفٍ لكما ، لقد ظننت انه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء . وأقبلت على صلاتها ، فسألنا عنها ، فقالوا : هذه مليكة بنت المنكدر .

ومن حسن الخطاب :

ما قال ابو وجرة الاسلمي حين قدم على المهلب ابي صفرة : اصلح الله الامير اني قطعت اليك الدهناء ، وضربت اليك آباط الإبل من يثرب . قال له المهلب: فهل أتيتنا بوسيلة او عشيرة ، او قرابة ؟ قال: لا، ولكني رأيتك

لحاجتي اهلاً ، فإن قمت بها ، فأنت اهل لذلك ، وأن يحل دونها حائل ، لم أذمم يومك ، ولم إيأس من غدك .

قال المهلب : يعطى ما في بيت المال، فوجد فيه مائة الف درهم، فدفعت اليه ، فأخذها وقال :

يا من على الجود صاغ الله راحته   فليس يحسن غير البذل والجودِ
عمت عطاياك من بالشرق قاطبة   فأنت والجود منحوتان من عود

وفي هذا المجرى قوله :

تشبّ لمقرورين يصطليانها   وبات على النـار الندى والمحلق
رضيعيّ لبان ثديٍ ام تحالفا   باسجم داج عوض لا يتفرق

روينا من حديث عمرو قال :

دخل ابو علقمة النحوي على أعـين الطبيب ، وكان يستعمل الحواشي من الكلام ، فقال له : اني اجـد معمعة في قلبي ، وقرقرة في بطني ، فقال له الطبيب : أما المعمعة فلا اعرفها ، وأما القرقرة فهي ضراط غير نضيج .

وروينا من حديثه قال : قـال كعب القيسي لعروة بن الزبير ، اذنبت ذنباً للوليد بن عبد الملك ، فاكتب اليه : لو لم يكن لكعب من قديم حرمة ما يغفر له عظيم جريرته ، لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب ، ولا تتعلق به الذنوب ، وقد استشفع بي اليك ، فوثقت له منك ، بعفو لا يخلطه سخط ، فحقق امـله فيّ ، وصدق نفسي فيك ، تجد الشكر وافياً بالنعمة .

فكتب الوليد : قد شكرت رغبته اليك ، وعفوت عنه لمموله عليك ، وله عندي ما يحب ، فلا تقطع كتبك عني في امثاله في سائر امورك .

روينا من حديث ابي ودعان، قال: نبأ علي بن محمد، عن علي بن القاسم، عن اسماعيل بن محمد ، عن عبد الله بن روح ، عن شبابة ، عن بزرجر ، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال : سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنمـا انتم خلفُ ماضين ، وبقية متقدّمين ، كانوا اكثر منكم بسطة ، وأعظم سطوة ، ازعجوا عنها ، اسكن مـا كانوا اليها ، وغدرت بهم اوثق ما كانوا بها ، فلم تغنِ عنهم قوة عشيرة ، ولا قُبل منهم بدل فدية ، فارحلوا انفسكم بزاد مبلغ قبل أن تؤخَذوا على فجأة ، وقـد غفلتم عن الاستعداد ، ولا يغني الندم ، وقد جفّ القلم .

قال ابو حازم :

طالبة ، ومطلوبة : طالب الدنيا ، يطلبه الموت حتى يخرجه . وطالب الآخرة ، تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه .

روينا عن الحسن البصري انه قال: بينما انا أطوف إذ انا بعجوز متعبدة، فقلت : من انتِ ؟ قالت: من بنات ملوك غسان . قلت: فمن أين طعامك؟ قالت : اذا كان آخر النهار جاءتني امرأة مزيّنة فتضع بين يديّ كوزاً من ماء ورغيفين . قلت لها: أتعرفينها ؟ قالت: اللهم لا. قلت لها : هي الدنيا، خدمتِ ربك عز ذكره ، فبعثها اليك لتخدمك .

وحدثني بعض العارفين ، عن الشيخ العـارف الكبير أبي عبد الله الغزالي الذي كان بالمرية من أقران أبي مدين ، وأبي عبد الله الهواري ، وأبي يَعزى ،

وأبي شعيب السارية ، وأبي الفضل السكري ، وأبي النجار ، وتلك الطبقة ، قال أبو عبد الله: كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس بن العريف الصنهاجي، وهو آخر من ظهر من المؤدبين في هذه الطريقة رجل لا يتكلم ، فـإذا فرغ الشيخ، خرج، فوقع في قلبي منه شيء احببتُ ان اعرفه، وأعرف موضعه ، وتبعته عشية يوم بعد انفصالنا من مجلس الشيخ من حيث لا يشعر بي . فلما كان في بعض سكك المدينة، يعني المرية ، واذا بشخص قد تلقاه من الهواء، وانقضّ عليه انقضاض الطائر، بيده رغيف حسنٌ ، فتناوله منه ، وانصرف عنـه ، فجذبته من خلفه وقلت له : السلام عليك ، فعرفني فردّ السلام ، فقلت له : مَن هـذا الشخص عافاك الله الذي ناولك الرغيف ؟ فتوقف ، فأقسمت عليه ، فقال : يا هذا ، هذا ملك الأرزاق يأتيني كل يوم بما قدّر لي من الرزق حيث كنت من ارضَ ربي .

ومرّ زياد بن أمية مع أبيه بالحيرة ، فنظر الى دير ، فقال لخادمه : لمن هـذا ؟ فقال : دير حرقة بنت النعمان بن المنذر ، فقال : ميلوا بنـا اليه لنسمع كلامها . فجاءت ، فوقفت خلف الباب ، فكلمها الخادم ، فقال لها : كلمي الامير . قالت : اوجز أم اطيل ؟ قال : بل اوجزي . قالت : كنا اهل بيتٍ طلعت الشمس علينا ، وما على الارض احد اعزّ منا ، فما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدوّنا . قال : فأمر لها بأوساق من شعير، فقالت : اطعمتك يد شبعاء جاعت ، ولا اطعمتك يد جوعاء شبعت . فسرّ زيـاد بكلامها . فقال لشاعر معه : قيّد هذا الكلام ، لايدرس . فقال :

سَل الخيرَ اهل الخير قدماً ولا تسل   فتىً ذاق طعْمَ الخير منذ قريبِ

قيل للخنساء : صفي لنـا صخراً . قالت : كان قطر السّنة الغبراء ،

ودعاف الكتيبة الحمراء . قيل : فمعاوية ؟ قالت : كان حيًا الجدب اذا نزل، وقرى الضيف اذا حلّ . قيل : فأيها كان عليك أحنى ؟ قالت : اما صخر فسقام الجسد ، وأما معاوية فجمرة الكبد ، وأنشدت :

أسدان محمرّا المخالبِ نجـدة   غيثان في الزمن الغضوب الأعسرِ
قمران في النادي رفيعا محتدٍ   في المجد فرعا سؤددٍ متخيّرِ

عرض رجلٌ بليلى الاخيليّة من قومها ، فقال :

ألا حيّيا ليلى وقولا لهــا هلا   فقد ركبَتْ طرفاً أغرَّ محجّلا

فأجابته هـ :

تعيّرني داءً بأمّك مثــلهُ   وأي جوادٍ لا يقالُ له هلا

روى لنا ابو عبد الله محمد بن زرقون أن ليلى الاخيلية دخلت يومـاً على عبد الملك بن مروان ، فقال لها : يا ليلى ، هل بقي في قلبك من حب ثوبة فتى الفتيان شيء ؟ قالت : يا امير المؤمنين وكيف انساه وهو الذي يقول :

ولو أن ليلى في ذرى متمنّع   بنجران لالتفّتْ على قصورها
حمــامة يطن الواديين ترنمي   سقاكِ من الغرّ الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشكِ ناعمـاً   وبيضك في خضراء غض نضيرها
تقول رجــال لا يَضرُّك نأيها   بلى كل ما شفّ النفوس يضيرها
أيذهبُ ريعان الشباب ولم أزرْ   كواعب في همدان بيض نحُورُها

قال : عمرُكِ الله ان تذكريه .

روينا ، عن بعض الادباء ببلادنا ، ان غانمة بنت عامر بلغها في زمان معاوية ثلب بني أمية بني هاشم وهي بمكة ، فقالت لأهل مكة :

أيها الناس ان بني هاشم سادت فجادت ، وملكت ومُلكت ، وفصلت وفُصلت ، واصطفت واصطفيت ، ليس فيها كدر عيب ، ولا أقلّ ريب ، ولا خسروا طاغين ، ولا خازين ، ولا نادمين ، ولا من المغضوب عليهم ، ولا الضّالين .

ان بني هاشم اطول الناس باعاً ، وأمجد الناس اصلاً ، وأعظم الناس حلماً ، وأكثر الناس علماً ، وعطاء .

منا عبد مناف الذي يقول الشاعر فيه :

كانت قريشٌ بيضة فتفلـّقت فالمخّ خالصها لعبد منافِ

وولده هاشم الذي هشم الثريد لقومه ، وفيه يقول الشاعر :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجافِ

ومنا عبد المطلب الذي سقينا به الغيث ، وفيه يقول الشاعر :

ونحن سنيّ المحل قام شفيعنا بمكة يدعو الميــاه تفورُ

ومنا ابنه ابو طالب عظيم قريش وسيّدها ، وفيه يقول الشاعر :

أتيته مَلكاً فقام بحاجتي

ومنا العباس بن عبد المطلب ، أردفه رسول ﷺ ، وأعطاه ماله ، وفيه يقول الشاعر :

رديف رسول الله لم ترَ مثله ولا مثله حتى القيامة يولدُ

ومنا حمزة سيّد الشهداء ، وفيه يقول الشاعر :

أبا يعلى بك الأركان هُدّت وأنت الماجد البرّ الوصولُ

ومنا جعفر ذو الجناحين ، أحسن الناس جمـالاً ، وأكملهم كمالاً ، ليس بغدّار ، ولا جبّار ، بدله الله بكلتا يديه جناحاً يطير بـه في الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

هاتوا كجعفرنا ومثل عليّنا إنا أعزّ الناس عند الخالقِ

ومنا ابو الحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه أفرس بني هاشم، وأكرم من احتفى ، وانتعل . وفيه يقول الشاعر :

عليٌّ ألـّف الفرقان صحفاً ووالى المصطفى طفلاً صبيّا

ومنا الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ سيّد شباب اهل الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

يا أجلّ الأنام يا ابن الوصيّ أنتَ سبط النبي وابن عليّ

ومنا الحسين بن علي ، حمله جبريل عليه السلام على عاتقه ، وكفى بذلك فخراً . وفيه يقول الشاعر :

حُبُّ الحسين ذخيرة لجنـّةٍ يا ربّ فاحشرني غداً في حزبه

يا معشر قريش : إني والله آتية معاوية ، وقائلة له في بني أمية ما يعرق منه . فتوجهت ، فلما سمع بقدومها أمر بدار ضيافة ، فنـُظـّفت ، وألقى فيها فرش ، فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ، ومماليكه ، فلما دخلت المدينة أتت داراً فيها عمرو بن غانم. فقال لها يزيد: ان أبا عبدالرحمن يأمرك ان تنتقلي الى دار ضيافته ، وكانت لا تعرفه ، فقالت : من أنت كلاك الله ؟ قال : انا يزيد بن معاوية . قالت : لا رعاك الله يا ناقص ، لست بزائد،

فتغيّر لون يزيد ، وأتى أباه فأخبره ، فقال : هي أسنّ قريش ، وأعظمهم حلماً . قال يزيد : كم تعدّ لها ؟ قال : كانت تعدّ على عهد رسول الله ﷺ اربعمائة عام ، وهي من بقية الكرام .

فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها ، فقالت : على امير المؤمنين السلام ، وعلى الكافرين الهوان والملام ، ثم قالت : أفيكم عمرو بن العاص ؟ قال عمرو : ها أنذا ، فأسمعته ما يكره ، وأسمعت معاوية كذلك . فقال معاوية : أيتها الكبيرة انا كافٌ عن بني هاشم . قالت : فاني أكتب عليك كتاباً ، فقد كان رسول الله ﷺ دعا ربه ان يستجيب خمس دعوات ، فلئن لم تنته جعلتها كلها فيك . فخاف معاوية ، فحلف ان لا يعود لمثل ما بلغها ابداً . فهذا آخر ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة .

حدثنا ابو جعفر بن يحيى قال :

لما استوثق امر العراق لعبد الله بن الزبير ، وجّه اليه مصعب وفداً ، فلما قدموا عليه ، قال : وددت ان لي بكل خمسة منكم رجلاً من اهل الشام ، فقال رجل من اهل العراق : يا امير المؤمنين علقناك ، وعلقت بأهل الشام ، وعلق اهل الشام الى مروان ، فما اعرف لنا مثلاً إلا قول الأعشى :

علقتُها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

فما وجدنا جواباً احسن من هذا . ينظر ايضاً الى هذا قول الآخر :

جننتُ بليلى وهي جُنّت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وروينا من حديث ابن مروان قال : نبأ الحربي قال : أوصى بعض اهل العلم ابنه وكان له حظوة من السلطان :

يا بني إياك ان تلبس من الثيـاب ما يديم النظر اليك ، وعليك بالبياض الناعم ، واجتنب الوشي ، قلما يلبسه إلا ملك ، او غني ، وإياك أن يجـد منك احدٌ خلوقاً ، وعليك بالزنجبيل واللبان ، فإنـه يطيب خلوف فمك ، ويصلح عليك بدنك ، ويحدّ لك ذهنك، وإياك وحاشية الملوك ، أن تتعرض لهم ، فإنهم يرضيهم منك اليسير مـا لم يروا منك تحاملاً لبعض على بعض ، وكن من العامة قريباً يكثر دعاؤهم لـك ، ولا تنسب الى دناءة ، فإنك لا تستقيلها ، والسلام .

حدثنا احمد بن يحيى بقرطبة قال : اجتمع عند رسول الله ﷺ الزبرقان ابن بدر ، وعمرو بن اهتم ، فذكر عمرو الزبرقان قال :

بأبي انت وأمي يا رسول الله ، انه لمطعام، جواد الكف مطاع في ادانيه شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان :

بأبي وأمي يا رسول الله، انه ليعرف مني اكثر من هذا ، ولكنه يحسدني فقال عمرو : والله يا نبيّ الله ان هذا لذ المروءه ، ضيق العطن ، لئيم العم ، احمق الخال ، والله يا نبي الله ما كذبت في الاول ، ولقد صدقت في الآخر . رضيت ، فقلت بأحسن ما أعلم ، وسخطت ، فقلت بأسوء ما أعلم .

فقال رسول الله ﷺ :

ان من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكماً .

قال قسام بن زهير :

يا معشر الناس ان كلامكم اكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفكرة .

يقال : ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه . ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه .

قال الشاعر :

عليك حفظ اللسان مجتهداً　　فإن جلّ الهلاك في زلله

وأنشدنا ابو بكر بن خلف اللخمي في مجلسه :

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه　　وليس يموت المرء من عثرة الرجل

ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك :

احزن لسانك أن تقول فتبتلى　　ان البلاء موكل بالمنطق

كان عندنا شاب صالح ، سأل أباه أن يتركه يمشي الى خدمة ابي مدين بجباية ، ونحن بأشبيلية ، فأبى عليه والده ، وكان له اخ صغير ، فرأى النبي ﷺ ، وهو يقول لأبيه :

دع محمداً يمشي حيث سأل ، فإني سأبشره بالساحل . فقصّ عليه ، وعلى ابيه ، فدعا بولده السائل ، وخلّاه لوجهه ، فأخذ الولد يبكي فقلت له : ما أبكاك مع هذه البشارة ؟ فقال : أخاف من قوله تعالى :

« فبشرهم بعذاب أليم » فقلت : لا جزاك الله عن نفسك خيراً ، ولا عن جهلك في تأويلك ، هو ما قلت ، وسافر عنا ، فلحق بأبي مدين ، فأكرمه مدة ، ثم هجره ، وطرده من عنده ، فلما كان بعد عشر سنين ، اجتمعت به بمنزله بأشبيلية ، وقد بدل الله حالة الموافقة منه بالمخالفة ، والطاعة ، بالمعصية ، والايمان ، بالزندقة ، ففارقته ، وخرج ما عبر به رؤيا اخيه .

فنسأل الله العافية من كلمة تؤدي الى الهلكة في دين او دنيا .

ولبعضهم :

وجرح السيف تأسوه فيبرا وجرح الدهر ما جرح اللسان
جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

حدّث محمد بن قاسم روايةً قال :

تكلم اربعة من الملوك بأربع كلمات ، كأنما رميت عن قوس واحدة .

قال كسرى : أنا على ردّ ما لم أقل اقدر مني على ردّ ما قلت :

وقال ملك الهند : اذا تكلمت بكلمة ملكتني وكنت املكها .

وقال قيصر : لم اندم على ما لم اقل وقد ندمت على ما قلت .

وقال ملك الصين : عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول .

ولبعضهم في المعنى :

لعمرك ما شيء علمت مكانه احق بسجن من لسانٍ مدالل
على فيك مما ليس يعنيك قوله بقفل شديد حيث ما كنت اقفل

روينا من حديث المالكي قال :

حدثنا ابو صالح ، نبأ علي بن حجر قال : قال بعض الحكماء : من طاب ريحه زاد عقله ، ومن نظفت ثيابه قل همه .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، نبأ محمد بن الحارث ، عن المدايني قال :

قالت عائشة رضي الله عنها : خلال المكارم عشرة ، تكون في الرجل ، ولا تكون في ابنه . وتكون في العبد ، ولا تكون في سيده .

صدق الحديث . وصدق الناس . وإعطاء السائل . والمكافأة بالصنائع . والتذمم للجار، والصاحب . وصلة الرحم . وقري الضيف . وإداء الأمانة . ورأسهن الحياء .

وقال بعضهم : كتمان سرّك يُعقبك السلامة . وإفشاؤك سرك يعقبك الندامة . والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على إفشائه .

وفي الحكمة : ما اقبح بالانسان ان يخاف على ما كان في يده ، اللصوص فيخفيه . ويمكّن عدوّه من نفسه ، بإظهار ما في قلبه من سرّ نفسه ، او سرّ اخيه .

قال معاوية رضي الله عنه : ما افشيت سرّي الى احد إلا اعقبني طول الندامة، وشدة الأسف، ولا أودعته جوانح صدري ، فحكّمته بين اضلاعي إلا أكسبني مجداً ، وذكراً ، وثناء ، ورفعة . فقيل: ولا ابن العاص؟ فقال: ولا ابن العاص .

وكان يقول : ما كنت كاتمه عن عدوّك فلا تظهر عليه صديقك . يريد ، والله اعلم ، ما سمعت أبا بكر بن خلف بن مناف استاذنا ينشده في مجلسه مراراً . وفي وصيته أبياتاً ويقول :

احـذَر عـدوّك مرةً   واحذر صديقك الف مرة
فلربمـا هجر الصديـ   ـقُ فكان أعلم بالمضرّة

في الخبر المروي عن رسول الله ﷺ : من كتم سرّه كانت الخيرة في يده .

ومَن عرّض نفسه للتهمــة فلا يلومنّ مَن اساء به الظن . وضعْ أمرَ اخيك على احسنه . ولا تظنن بكلمة خرجت منه سُوءاً . وما كافات من عصى الله فيك بأفضل من ان تطيعَ الله جل اسمه فيـــه . وعليك بإخوان الصدق ، فإنهم زينة عند الرخاء ، عصمة عند البلاء .

روينا من حديث الدينوري ، عن الاصمعي، على ما حدّث عنه الرياشي ، قال : كان يقول أبا الأسود : العمامة جنــة في الحرب . ومُكنــّة في الحر ، والقر . وزيادة في القامة .

انشدني بعض الأدباء ، وكان الى جانبه من يحبّه ، فعتبه بعض الحاضرين فيه بمــا لم يحسن وجهه عند العاتب . فالتفت الى المحب ، فقـــال ، وهو يسمعه :

رأى وجه مَن اهوى عدوي فقال لي أجلـّك عن وجـــه اراه كريها
فقلت له وجـــه الحبيب مرآةٌ وأنت ترى تمثـــال وجهك فيها

وذلك بقرطبة، وكان الحبيب سعيد بن كرز، والمحب ابو بكر الزهري .

وأنشدنا بعض الأدباء مما انشده المازني لبعضهم :

لئن كنتُ محتاجاً الى العلم انني الى الجهل في بعض الاحايين احوجُ
ولي فرسٌ للحلم بالحلم ملجمٌ ولي فرس للجهل بالجهل مسرَجُ
فمن شاء تقويمي فـإني مقوّمٌ ومن شاء تعويجي فإني معوّج
وما كنت ارضى الجهل خدناً ولا اخاً ولكنني ارضى بـه حين أحوَج
ألا ربمــا ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأسنـّة مخرَج

روينا من حديث ابن ودعان ، قال : نبأ ابو عبد الله الصيرفي ، عن محمد

ابن القاسم ، عن ابي منصور ، عن الحجبي ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن انس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا معشر المسلمين شمّروا ، فإن الأمر جد . وتأهبوا ، فإن الرحيل قريب . وتزودوا ، فإن السفر بعيد. وخففوا اثقالكم، فإن وراءكم عقبة كؤُد لا يقطعها إلا المخفّون. أيها الناس ان بين يدي الساعة اموراً شداداً، وأهوالاً عظاماً، وزماناً صعباً، يتملك فيه الظلمة ، ويتصدر فيه الفسقة ، فيضطهد الآمرون بالمعروف ، ويضام الناهون عن المنكر . فأعدوا لذلك الايمان ، وعضّوا عليه بالنواجذ ، والجأوا الى العمل الصالح ، واكرهوا عليه النفوس . واصبروا على الضرّاء ، تفضوا الى النعيم الدائم .

أنشد الحطيئة عمر رضي الله عنه ، وكعب الأحبار عنده ، فقال :

مَن يفعل الخير لا يعدم جوائزه   لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

فقال كعب : يا امير المؤمنين هذا الذي قاله ، مكتوب في التوراة . فقال عمر: كيف ذلك ؟ قال: في التوراة مكتوب : من يصنع الخير لا يضيع عندي ، ولا يذهب بيني ، وبين عبدي .

نسيان النعمة اول درجات الكفر :

شعر :

يدُ المعروفِ غنم حيث كانت   تحمّلها كفورٌ أم شكورُ
فعند الشاكرين له جزاءٌ   وعند الله ما كفر الكفور

مثل سائر :

جزاء سنمار : وكان سنمارٌ هذا رُجلاً بناء، فبنى للنعمان بن المنذر الخورنق

فأعجبه ، وكره ان يبنى مثله لغيره ، فقعد النعمان في اعـــلاه ، واستدعى سناراً ، وأخذ يحدّثه ، وغمز بعض خدامه أن يدفعه من اعـــلاه ، فسقط فمات ، فقيل فيه :

جزونا بني سعدٍ بحسن بلائنا جزاء سنار وما كان ذا ذنبِ

مثل سمّن كلبك يأكلك :

اخذه بعضهم فقال :

هم سمّنوا كلباً ليأكل بعضهم ولو ظفروا بالحزم ما سمنوا كلباً

وقال الآخر :

وإني وقيساً كالسمن كلبــه فخدّشه أنيابـــه وأظافره

مثل في عي باقل :

وكان باقل هذا اشترى عنزاً بأحد عشر درهماً . فقيل له : بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه ، وفرّق أصابعه ، وأخرج لسانه ، يريـــد احد عشر ، فعـيّروه بذلك ، فقال القائل :

يلومونـــ في حمقه باقلاً كأن الحماقـــة لم تخلق
فلا تكثروا العذل في عيّه فللصمت اجمـــل بالاموق
خروج اللسان وفتح البنان أحبّ الينا من المنطق

خبر الظبية التي كلمت رسول الله ﷺ :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، نبـّأ ابو احمد محمد بن احمد الغطريف، نبأ احمـــد بن موسى ، عن انس بن ابي نصر بن عبد الله بن محمد بن سيرين

بالبصرة ، نبأ زكريا بن يحيى بن خلّاد بن حسان بن اغلب بن تميم ، حدثني ابي عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن ضبة بن محصن ، عن ام سلمة زوج النبي ﷺ قالت :

بينما النبي ﷺ في صحراء اذا هاتف يهتف : يا رسول الله ، فالتفتّ ، فلم أرَ احداً . فمضيتُ غير بعيد ، فإذا الهاتف يهتف : يا رسول الله ، فالتفت ، فلم أرَ احداً . فمضيت غير بعيد ، فإذا الهاتف يهتف : يا رسول الله ، فاتبعت الصوت ، فهجمت على ظبية مشدودة في وثاق ، واذا اعرابي منجدل في شمله ، نائم في الشمس . فقالت الظبية : يا رسول الله ان هذا الاعرابي صادني قبيلاً ، ولي خشفان في هذا الجبل ، فان رأيت ان تطلقني حتى أرضعهما ، ثم أعود الى وثاقي . قال : او تفعلين ؟ قالت : عذّبني الله عذاب العشار إن لم افعل . فأطلقها رسول الله ﷺ ، فمضت ، فأرضعت الخشفين ، ثم عادت . فبينما رسول الله ﷺ يوثقها اذ انتبه الاعرابي فقال : بأبي وأمي انت اني أصبتها قبيلاً ، فلك فيها من حاجة ؟ قال رسول ﷺ : قلت : نعم ، قال : هي لك ، فأطلقها ، فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً ، وهي تضرب برجلها الارض ، وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله .

ولاية بني اسماعيل الكعبة وأمر جُرهم :

روينا من حديث ابي الوليد حدثني جدي ، نبأ سعيد بن سالم ، عن عثمان ابن ساج قال: أخبرني ابن اسحاق قال: ولد لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام اثنا عشر رجلاً وأمهم اسيدة [1] بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، فولدت له

---

(١) سيأتي انها دعلة فانظره .

ثابت ، وقيدار ، وأصل ، وقياس ، وآزر ، وذابل ، ومنشى ، ومشنى ، وطيما ، وقطوار ، وقبس ، وقيدمان ، ومسمع ، وماشي ، ورما .

وكان عمرُ اسماعيل عليه السلام فيما يذكرون مائة وثلاثين سنة. فمن ثابت ابن اسماعيل وقيدار نشر الله العرب . وكان أكبرهم قيدار ، وثابت ، ابنا اسماعيل . وكان من حديث جرهم ، وبني اسماعيل ، ان اسماعيل لمـــا توفي دفن في الحجر مع امه ، فولي البيت ثابت بن اسماعيل ما شاء الله ان يليه . ثم توفي ثابت بن اسماعيل . فولي البيت بعــده مضاض بن عمرو الجرهمي وهو جدّ ثابت بن اسماعيل ابو امه ، وضمّ بني ثابت بن اسماعيل ، وبني اسماعيل اليه، فصاروا مع جدهم مضاض، ومع أخوالهم من جرهم، وجرهم، وقطورا، يومئذ اهل مكة ، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ملكاً عليهم ، وعلى قطورا رجل منهم يقال له : السميدع ملكاً عليهم . وكانا حين ظعنا من اليمن أقبلا سيّارة ، وكانوا اذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم . فلما نزلا مكة ، رأيا بلداً طيباً ، واذا ماء ، وشجر ، فأعجبهما ، فنزلا به ، فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم أعلى مكة ، وقيقعان ، فحاز ذلك. ونزل السميدع أجيادين وأسفل مكة. وكان مضاض بن عمرو يعشر من دخل مكة من أسفلها ، ومن كدى ، وكل في قومه على جباله لا يدخل واحد منهما على صاحبه في ملكه . ثم ان جرهم ، وقطورا ، بغى بعضهم على بعض ، وتنافسوا الملك بهـــا ، واقتتلوا بها ، حتى نشبت او شبّت الحرب بينهم . وولاة الامر بمكة مضاض بن عمرو ، وبنو ثابت بن اسماعيل ، وبنو اسماعيل واليه ولاية البيت دون السميدع . فـــلم يزل بهم البغي حتى سار بعضهم الى بعض ، فخرج مضاض بن عمرو من قيقعان في كتيبة سائراً الى السميدع ، ومعه كتيبة عدّتهـــا من الرماح ، والدرق ، والسيوف ، والجعاب ، تقعقع

بذلك . ويقال : ما سُمّيت قيقعان إلا بذلك . وخرج السميدع بقطورا من أجياد معه الخيل والرجال . ويقال : ما سُمي أجياد إلا لخروج الخيل الجياد مع السميدع حتى التقوا بفاضح . فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل السميدع ، وفضحت قطورا . ويقال : ما سمي فاضح فاضحاً إلا لذلك . ثم ان القوم تداعوا الى الصلح ، فساروا حتى دخلوا المطابخ شعباً بأعلى مكة ، يقال له شعبُ عبدالله بن عامر بن كرين بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. فاصطلحوا بذلك الشعب ، وأسلموا الأمر الى مضاض بن عمرو . فلما جمع عمرو اهل مكة ، وصار ملكها دون السميدع . نحر للناس ، وأطعمهم ، فأطبخ للناس فأكلوا . فيقال : ما سمي المطابخ إلا لذلك . قال : فكان الذي كان بين مضاض بن عمرو والجرهمي في ذلك الحرب بذكر السميدع ، وقتله ، وبغيه ، والتماسه ما ليس له :

ونحن قتلنا سيد القوم عنوة فأصبح فيها وهو حيرانُ موجعُ
وما كان يبقى أن يكون سُواءنا بها ملكٌ حتى اتانا السميدع
فذاق وبالاً حين جاول ملكنا وعالج منا غصّة تتجرع
فنحن عمّرنا البيت كنا ولاته نحامي عنه من اتانا وندفع
وكنا ملوكاً في الدهور التي مضت ورثنا ملوكاً لا ترام فتوضع

قال ابو الوليد : قال ابن اسحاق ، وقد زعم بعض اهل العلم، انما سمّيت المطابخ لما كان تبّع نحر بها ، وأطعم بها ، وكانت منزله . قال : ثم نشر الله بني اسماعيل بمكة ، واخوالهم جرهم ، إذ ذاك الحكام بها ، وولاة البيت ، كانوا كذلك ، بعد ثابت بن اسماعيل . فلما ضاقت عليهم مكة ، وانتشروا بها ، انبسطوا في الارض ، وابتغوا المعاش ، والتفسح في الارض . ولا يأتون قوماً ، ولا ينزلون بلداً إلا اظفرهم الله عليهم بدينهم ، فوطئوهم ، وغلبوهم

عليها ، حتى ملكوا البلاد ، ونفوا عنهـا العماليق ، ومن كان ساكناً بلادهم التي كانوا اصطلحوا عليهـا من غيرهم . وجرّهم على ذلك بمكة ولاة البيت لا ينازعهم إياه بنو اسماعيل لخؤلتهم ، وقرابتهم ، وإعظام الحرم ان يكون فيه بغيٌ ، وقتال .

قال ابو الوليد : وحدثني بعض اهل العلم ، قالوا : كانت العماليق هم ولاة الحكم بمكة ، فضيّعوا حرمة الحرم ، واستحلوا منه اموراً عظاماً ، ونالوا ما لم يكونوا ينالوا . فقام رجل منهم يقال له عمُوق فقـال : يا قوم اتقوا الله على انفسكم ، فقد رأيتم وسمعتم من اهلك من صدر الأمم قبلكم ، قوم صالح ، وهود ، وشعيب ، فلا تفعلوا ، وتواصلوا ، فلا تستخفوا بحرمـة حرم الله ، وموضع بيته ، وإياكم والظلم فيه ، والإلحاد ، فإنه مـا سكنه احد قط ، فظلم فيه ، وألحد ، إلا قطع الله دابرهم ، واستأصل شأفتهم ، وبدّل أرضها غيرهم ، حتى لا يبقى لهم باقية . فلم يقبلوا منـه ذلك ، وتمادوا في هلكة أنفسهم .

قالوا : ثم أن جرهماً ، وقطوراً ، خرجوا سيّارة من اليمن ، فأجدبت عليهم ، فساروا بذراريهم ، وأنفسهم ، وأموالهم ، وقـالوا : نطلب مكاناً فيه مرعى نسمّن فيه ماشيتنا ، فإن اعجبنا اقمنا به ، فإن كل بلد نزل بـه احد ومعه ذرّيته ، وماله ، فهو وطنه ، وإلا رجعنا الى بلادنا .

فلـا قدموا مكة وجدوا ماء معيناً ، وعظاها ملتفة من وسلم ، وسمر ، ونباتاً ، يسمّن مواشيهم ، وسعة من البلاد ، ودفاء من البرد في الشتاء .

فقالوا : إن هذا الموضع يجمع لنا ما نريد . فأقاموا مع العماليق ، فكان لا يخرج من اليمن قومٌ إلا ولهم ملك يقيم امرهم ، وكان ذلـك سنّة فيهم ، ولو كانوا نفراً يسيراً .

وكان مضاض بن عمرو ملك جرهم ، والمطاع فيهم .

وكان السميدع ملك قطورا ، فنزل مضاض بن عمرو على مكة ، فكان يعشر من دخلها من اعلاها ، وكان ناحيتهم وجه الكعبة ، الركن الاسود ، والمقام ، وموضع زمزم ، مصعداً يميناً ، وشمالاً ، وقيقعان الى أعلى الوادي، ونزل السميدع اسفل مكة ، والى اجيادين ، وكان يعشر من دخل مكة من اسفلها . فكان حوزهم المسفلة ظهر الكعبة ، والركن اليماني ، والغربي ، وأجيادين ، والثنية الى الرمضة ، فبنيا فيها البيوت ، واتسعا في المنازل ، وكثروا على العماليق ، فنازعتهم العماليق ، فمنعتهم جرهم ، وأخرجوهم من الحرم كله ، فكانوا في اطرافه لا يدخلونه . فقال لهم صاحبهم عموق : ألم أقل لكم لا تستخفوا بحرمة الحرم فغلبتموني ؟

فجعل مضاض والسميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما ، وكثروا ، وأعجبهم البلاد ، وكانوا قوماً عرباً ، وكان اللسان عربياً .

وكان ابراهيم خليل الله يزور اسمعيل ، فلما سمع بلسانهم ، واعرابهم ، سمع كلاماً حسناً ، ورأى قوماً عرباً ، وكان اسمعيل قد اخذ بلسانهم .

امر اسمعيل أن ينكح فيهم ، فخطب الى مضاض بن عمرو بنته دعلة ، فزوّجه إياها ، فولدت له عشر ذكور ، وهي زوجته التي غسلت رأس ابراهيم حين وضع رجله على المقام .

قال : وتوفي اسمعيل ، وترك ولداً من دعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي فقام مضاض بأمر ولد اسمعيل ، وكفلهم ، لأنهم بنوا بنته ، فلم يزل امر جرهم يعظم بمكة ، فكانوا ولاة البيت ، وحجابه ، وولاة الاحكام بها ، ثم

ان جرهماً استخفت بأمر البيت والحرم ، وارتكبت اموراً عظاماً وأحدثو إحداثاً لم تكن ، فقام مضاض بن عمرو بن الحرث بن مضاض فيهم فقال :

يا قوم احذروا البغي ، فإنه لا بقاء لأهله ، قد رأيتم من كان قبلكم من العماليق، استخفوا بأمر الحرم فسلطكم الله عليهم فأخرجتموهم ، فلا تستخفوا بحق الحرم ، وحرمة بيت الله ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً ، او جاء بائعاً ، او مترغباً في جواركم ، فإنكم ان فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذلٍ وصغار ، فقال له مجدع : من الذي يخرجنا منه ؟ ألسنا أعز العرب ، وأكثرهم رجالاً وسلاحاً ؟ فقال له مضاض :

إذا جاء الأمر بطل ما تقولون ، فلم يقصروا عن شيء مما كانوا يصنعون وكانت لهم خزانة بئر في بطن البيت يلقي فيه الحلي ، والمتاع الذي يهدى له وهو يومئذٍ لا سقف له ، فتواعد له خمسة نفر من جرهم أن يسرقوا ما فيه . فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم ، واقتحم الخامس ، فجعل الله اعلاه اسفله ، وسقط منكساً فهلك ، وفرّ الاربعة الآخرون . ومن ذلك الوقت بعث الله حية سوداء الظهر ، بيضاء البطن ، رأسها مثل رأس الجدي ، فحرست البيت خمسمائة سنة .

كتاب حكيم الى حكيم :

روينا من حديث الدينوري عن محمد بن اسحاق ، نبأ هارون بن معروف قال : كتب حكيم الى حكيم :

أما بعد ، فقد اصبحنا وبنا من نعم الله ما لا نحصيه ، ولا ندري أيما اشكر ، اشكر جميل ما ينشر ؟ ام قبيح ما يستر ؟

وحدثنيه أيضاً عن محمد بن يونس ، عن الاصمعي قـــال : قيل لمحمد بن واسع : كيف اصبحت ؟ قال : اصبحت موفوراً بالنعم ، وربنا يتحبب الينا وهو غني عنا ، ونتبغض اليه بالمعاصي ، ونحن اليه فقراء .

ألا لو سمعت البدر بن المختار يقول : وقـد رأى عليّ ثوباً احمر : الحمرة اجمل ، والخضرة انبل ، والسواد اهول ، والبياض افضل .

حدثنا يونس بن يحيى ، نبأ محمد بن عمر بن يوسف ، نبأ ابو بكر بن ثابت عن احمد بن محمد بن ابراهيم ، عن ابي عصمة محمد بن احمد بن عباد العبادي ، عن ابي علي الحسين بن محمد بن مصعب ، عن محمد بن عبد الله الواسطي ، عن العلاء بن عبد الجبار ، عن نافع بن الجمحي قـال : قالت ام محمد بن المنكدر لإبنها : يا بنيّ اني اشتهي أن أراك نائمـاً . قال : يا أمه إن الليل لمهجم عليّ فيهولني ، فيدركني الصبح ولم اقضِ منه وطري .

حدثنا محمد بن محمد ، عـن هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم ، قال : أنشدني عبد الكريم ابن هوازن القشيري إملاء لنفسه :

المرء مَن هذّب احواله وكان عن دعواه أقوالهُ
تصاغُرُ الانسان في نفسه أوفى لمعنـاه وأقوى له
وأن من يحمد افعـــاله أخافُ أن ترجع افعى له

وبه قال : انشدني القشيريّ لنفسه ه :

يا نسيمَ الشمال بلّغ خطابي واشفِ مني الجوى بحمل الجوابِ
طفْ بساحاتِ ذلك الربع واحمل ذرّةً من تراب ذاك البـابِ
واهدهـــا من متيّم مستهامٍ دائم الكرب ذائب الأتراب

قل لمولاي والذي يملأُ نفسي والذي فيه ذلّتي وانتحابي
كنتُ أخشى الوشاة فيك ولكن جفوة الحب لم تكن في حسابي

روينا من حديث ابن مروان قال : حدثنا علي بن الحسن ، حدثني ابي ، قال : جاء اعرابي الى ابن طاهر وهو راكب فأنشده ه :

سألتُ عن المكارم أينَ صارت فكل النـاس أرشدني إليكا
فجدْ لي يا ابنَ طاهر أن فعلي سَيُثني بالذي تولى عليكا

فقال له : كم ثمن هذين البيتين ؟ قال : الفا درهم ، قال : لقد ارخصت يا غلام ، أعطه اربعة آلاف درهم ، ثم انشد :

صدقت ظني وظن الناس كلهم فأنت اكرمهم نفساً وأجدادا
لا زلت في روضة خضراء واسعةٍ فأنت أخضرها روضاً وأعوادا

فقال : يا غلام أعطه اربعة آلاف أخرى . فقال :

لو كان قولي بهذا الشعر مستمعاً لكنت احوى خراج الشرق والغرب
أنتَ الكريم الذي يعطي بلا نكدٍ وأنتَ تحيي الفتى قد مات من جدب

فقال ابن طاهر للغلام: أعطه اربعة آلاف درهم اخرى . فلما قبضها قال: ايها الامير، فملّني شعري ، ولم يضق صدرك .

همة شريفة وزهد كريم :

قلت : دخلت مسجد العماد بن الحدوس بالموصل على المهذب ثابت بن عنبر الحلويّ ، وكان رفيع الهمة من ازهد الناس ، وكان يغلب عليه الأدب ، فاستنشدته في حاله ، فأنشدني ونحن في جماعة ، وهو من التجنيس :

اذا قنعنا بأدام بَقلنا وخلنا من الخلّ فخلنا
من ذكر لذّات الوجود من التّرك خلنا
ففقرنا بخلنا على ثراء من الخلة خلنا

من آثر آخرته على دنياه وغلب عقله على هواه :

حدثنا عبد الرحمن ، نبأ عمر بن ظفر، نبأ جعفر بن احمد ، نبأ عبدالعزيز ابن علي ، نبأ ابو الحسن الصوفي ، قال : سمعت محمد بن داود ، قال : حدثني ابو الحسن اللؤلؤي ، قال : كنت في البحر ، فانكسر المركب ، وغرق كل ما فيه . وكان في وطائي لؤلؤ، قيمته اربعة آلاف دينار. وقربت ايام الحج، وخفت الفوات . فلما سلّم الله روحي ، ونجّاني من الغرق ، مشيت . فقال لي جماعة كانوا في المركب : لو توقفت عسى ان يجيء من يخرج شيئاً فيخرج لك من رحلك شيئاً . فقلت : قد علم الله عز وجل ما مرّ مني، وفي وطائي شيء قيمته اربعة آلاف دينار ، وما كنت بالذي أؤثره على وقفتي بعرفة . فقالوا : وما الذي ورثك هذا ؟ فقلت: انا رجل مولع بالحج، اطلب الربح، والثواب ، فحججت في بعض السنين ، وعطشت عطشاً شديداً ، فأجلست عديلي في وسط محملي ، ونزلت اطلب الماء ، والناس قد عطشوا ، فلم أزل أسأل رجلاً رجلاً ، ومحملاً محملاً : معكم ماء ؟ واذا الناس شرع واحد ، حتى صرت في ساقة القابلة بميل أو ميلين ، فمررت بمصنع ، وصهريج، واذا رجل فقير جالس في ارض المصنع والماء ينبع من موضع العصا ، وهو يشرب ، فنزلت اليه ، وشربت حتى رويت ، وجئت الى القافلة والناس قد نزلوا ، فأخرجت قربة ومضيت فملأتها ، فرآني الناس ، فتبادروا بالقِرب ، فرووا عن آخرهم ، فلما روي الناس ، وسارت القافلة ، جئت لأنظر ، واذا البركة مُلِئت تلتطم امواجها ، فموسم يحضره مثل هؤلاء يقولون :

أللهم اغفر لمن حضر هذا الموقف ولجماعة المسلمين ، أوثر عليه الدنيا ، لا والله ، وترك اللؤلؤ ، وجميع قماشه . قـال الشيخ : فبلغني ان قيمة ما كان غرق له خمسين الف دينار .

ومما تضمنه الأشواق قول بعض العشاق: يصرفه الصالحون في التخلف عن السياق ، المسارعين الى مرضات الله ومغفرته .

شيّعتهم فاسترابوني فقلت لهم ... اني بعثت مع الأجمـال أحدوها
قالوا فما نفسٌ يعلوا كذا صعداً ... وما لعينك لا ترقا مآقيها
قلت التنفس من أدمان سيركم ... والعين تذرف دمعاً من قذى فيها
روحي تسير اذا سارت ركائبكم ... فان عزمتم على قتلي فحثّوها

حدثنا عبد الرحمن بن علي الجوزي كتابة قال : وصلني كتـاب من بعض اخواني من الحاج يتضمن الاستيحاش لي في طريق مكة ، فهيّج شوقي الى تلك الأماكن . قال : فكتبت اليه أبياتاً منها :

أتراكم فالنقا فالمنحنا ... يوم سلعٍ تذكرونا ذكرنا
انقطعنا ووصلتم فاعلموا ... واشكروا المنعم يا اهل منى
قـد ربحتم وخسرنا فصلوا ... بفضول الربح من قد غبنا
يا سقى الله الحمى أنتم بـه ... ورعى تلك الربى والدمنا
سار قلبي خلف أجمالكم ... غير ان الوهن عاق البدنا
ما قطعتم وادياً إلا وقد ... جئته أسعى باقدام المنى
ان سقيتم ديمـةٌ هاطلة ... فدموعي قد جرت لي أعينا
وأنادي كلمـا لبّيتمُ ... في فؤادي أسفاً واحزنا
بـدني نضوٌ لأبدانكم ... والذي أقلقني اني هنا

آه واشوقي الى ذاك الحمى شوق محزون حليف شجنا
سلـّموا مني على أربابـه أخبروهم انني حلف الضنا
أنا مُذ غبتم على تذكاركم أتراكم عندكم ما عنـدنا
عَرْفـكم تعرفه ريح الصبا كلما مرّت (١) به مرّ بنا
درّ درّ الوصل ما أعذبـه ليته يرضى بروحي ثمنا
زمناً مذ زال أولى زمناً فأعـاد الله ذاك الزمنا

روينا من حديث ابن مروان ، نبأ محمد بن عمرو ، نبأ محبوب بن المكرم قال : قال يوسف بن اسباط :

تخليص النية من فسادها أشدّ على العاملين من طول الاجتهاد .

روينا عن محمد بن يونس ، عن الاصمعي ، عن ابي الأشهب ، عن الحسن انه قيل له : ما الايمان ؟ قال : الصبر والسماحة . فقيل ما الصبر والسماحة ؟ قال : الصبر عن محارم الله ، والسماحة بفرائض الله .

مجنون وعظ عاقلاً فما ظنك بعاقلهم :

قال ابن حبيب : قال عبد الله بن خالد الطوسي : لمـا خرج الرشيد الى مكة ماشياً من اجل يمينه فرش له من العراق الى الحجاز اللبُود، والمرعزي ، فاستند يوماً وقد تعب الى ميل ، فاذا بسعدون المجنون قد عارضه فقال :

هب الدنيا تواتيكا أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بالدنيا وظلّ الميل يكفيكا

---

(١) نسخة : هبت .

ألا يا طالب الدنيا دع الدنيـا لشانيكا
كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يُبكيكا

فشهق الرشيد شهقة وخر مغشياً عليـــه ، حتى فاتته ثلاث صلوات . ثم قال :

الحمـــد لله ثم الحمـــد لله ماذا على الارض من ساهٍ ولا لاهِ
ماذا يعاين ذو عينين من عجبٍ يوم الخروج من الدنيـا الى الله

ومن شعر المهدي محمد بن عبد الله بن تونارت في عبدالمؤمن بن علي يقول:

تكاملت فيك أخلاق خصصت بها فكلّنا بك مسرور ومغتبطُ
السنّ ضاحكة والكفّ مانحة والصدر متّسع والوجه منبسط

خبر رويناه في مواقف يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين الف سنة :

حدثنا يونس بن يحيى بمكة تجاه الكعبة المعظمة سنة تسع وتسعين وخمسمائة قال : انا ابو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي ، انا ابو بكر محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الخياط المقرىء قال :

قرأ عليّ ابن سهل محمود بن عمر بن اسحاق العكبري ، وأنا أسمع ، قيل له : حدثكم ابو بكر محمد بن الحسن النقاش ، نبأ ابو بكر احمد بن الحسين ابن علي الطبري البروزي ، ثنا محمد بن حميد الرازي ابو عبد الله ، نبأ سلمة ابن صالح ، أنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل ، عن غياث بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، وزيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود قال :

كنت جالساً عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وعنده ابن عباس ، وحوله عدة جماعة من اصحاب رسول الله ﷺ ، فقال علي :

قال رسول الله ﷺ : إن في القيمة لخمسين موقفاً ، كل موقف منها الف سنة :

فـأول موقف ، إذا خرج الناس من قبورهم ، يقومون على ابواب قبورهم الف سنة ، عراة ، حفاتاً ، جياعاً ، عطاشاً ، فمن خرج من قـبره ، مؤمناً بربه ، مؤمناً بنبيّه ، مؤمناً بجنته وناره ، مؤمناً بالبعث ، والقيمة ، مؤمناً بالقضاء والقدر ، خيره وشره من الله ، مصدّقاً بما جاء به محمد ﷺ من عند ربه نجا ، وفاز ، وغنم ، وسعد .

ومن شك في شيء من هذا بقي في جوعه وعطشه ، وغمّه ، وكربه الف سنة ، حتى يقضي الله فيه بمـا يشاء . ثم يساقون من ذلك المقام الى المحشر ، فيقفون على ارجلهم الف عام في سُرادقات النيران ، في حر الشمس ، والنار عن إيمانهم ، والنار عن شمائلهم ، والنار من بين ايديهم ، والنار من خلفهم ، والشمس من فوق رؤسهم ، ولا ظل إلا ظل العرش .

فمن لقي الله تبارك وتعالى ، شاهداً له بالاخلاص ، مقرّاً بنبيّه ﷺ ، بريئاً من الشرك ، ومن السحر ، وبريئاً من اهراق دمـاء المسلمين ، ناصحاً لله ورسوله ، محباً لمن أطاع الله ورسوله ، مبغضاً لمن عصى الله ورسوله، استظل تحت ظل عرش الرحمن عز وجل ، ونجا من غمّه .

ومن حاد عن ذلك ، ووقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة ، او تغير قلبـه ، او شك في شيء من دينه ، بقي الف سنة في الحر والهم ، والعذاب ، حتى يقضي الله فيه بما يشاء ، ثم تساق الخلق من النور الى الظلمة فيقومون في تلك الظلمة الف عام .

فمن لقي الله تبارك وتعالى لم يشرك بـه شيئاً ، ولم يدخل في قلبه شيء من النفاق ، ولم يشك في شيء من أمر دينه، وأعطى الحق من نفسه . وقال الحق ، وأنصف الناس ، من نفسه . وأطاع الله عزّ وجل في السر والعلانية ورضي بقضاء الله ، وقنع بما أعطاه الله ، خرج من الظلمة الى النور في مقدار طرفة عين مبيضاً وجهه . وقد نجا من الغموم كلها .

ومن خالف في شيء منها بقي في الغم والعذاب الف سنة ، ثم خرج منه مسودّاً وجهه ، وهو في مشيئة الله يفعل بـه ما يشاء . ثم يساق الخلق الى سُرادقات الحساب ، وهو عشر سرادقات ، يقفون في كل سُرادق منها الف سنة . فيسأل ابن آدم عند اول سُرادق منها عن المحارم . فإن لم يكن وقع في شيء منها جاز الى السرادق الثاني ، فيسأل عن الاهواء ، فـإن كان نجا منها جاز الى السرادق الثالث ، فيسأل عن عقوق الوالدين . فـإن لم يكن عاقاً جاز الى السرادق الرابع ، فيسأل عن حقوق من فوض الله امرهم اليه ، وعن تعليمهم القرآن ، وعن امر دينهم ، وتأديبهم . فإن كان قد فعل جاز الى السرادق الخامس ، فيسأل عما ملكت يمينه ، فإن كان محسناً اليهم جاز الى السرادق السادس ، فيسأل عن حق قرابته ، فإن كان قد أدى حقوقهم جاز الى السرادق السابع ، فيسأل عن صلة الرحم . فإن كان وصولاً لرحمه ، جاز الى السرادق الثامن ، فيسأل عن الحسد . فـإن كان لم يكن حاسداً . جاز الى السرادق التاسع ، فيسأل عن المكر . فإن لم يكن مكر بأحدٍ جاز الى السرادق العاشر ، فيسأل عن الخديعة . فـإن لم يكن خدع احداً نجا ، فنزل في ظل عرش الله عزّ وجل ، مقرّة عينه ، فرحاً قلبه ، ضاحكاً فاه. وإن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال بقي في كل موقف منها الف عام جائعاً ، عطشاً ، باكياً ، حزيناً ، مهموماً مغموماً ، لا تنفعه شفاعة شافع .

ثم يحشرون الى اخذ كتبهم بإيمانهم وشمائلهم ، فيحبسون عن ذلك في خمسة عشر موقفاً :

كل موقف منها الف سنة . فيسألون في اول موقفٍ منهـا عن الصدقات ومـا فرض الله عليهم في اموالهم . فمن أداها كاملة جاز الى الموقف الثاني . فيسأل عن قول الحق والعفو عن الناس ، فمن عفا عفي عنه ، وجـاز الى الموقف الثالث . فيسأل عن الأمر بالمعروف ، فإن كان امر بالمعروف ، جاز الى الموقف الرابع . فيسأل عن النهي عن المنكر ، فإن كان ناهياً عن المنكر جاز الى الموقف الخامس . فيسأل عن حسن الخلق ، فإن كان حسن الخلق ، جاز الى الموقف السادس . فيسأل عن الحب في الله ، والبغض في الله ، فـإن كان محباً في الله ، مبغضاً في الله عزّ وجل جاز الى الموقف السابع . فيسأل عن المال الحرام ، فـإن لم يكن اخذ شيئاً جاز الى الموقف الثامن . فيسأل عن شرب الخمر ، فإن لم يكن شرب من الخمور شيئاً جاز الى الموقف التاسع . فيسأل عن الفروج الحرام ، فإن لم يكن أتاها جاز الى الموقف العاشر . فيسأل عن قول الزور ، فإن لم يكن قالها جاز الى الموقف الحادي عشر . فيسأل عن الإيمان الكاذبة ، فإن لم يكن حلفها جاز الى الموقف الثاني عشر . فيسأل عن اكل الربا ، فإن لم يكن اكله جاز الى الموقف الثالث عشر . فيسأل عن قذف المحصنات ، فإن لم يكن قذف المحصنات جاز الى الموقف الرابع عشر . فيسأل عن شهادة الزور ، فـإن لم يكن شهدها جاز الى الموقف الخامس عشر . فيسأل عن البهتان ، فإن لم يكن بهت مسلماً نزل تحت لواء الحمـد ، وأعطى كتابه بيمينه ، ونجا من همّ الكتاب ، وهوله ، وحوسب حساباً يسيراً .

وإن كان قد وقع في شيء من هذه الذنوب الكبائر ، ثم خرج من الدنيـا غير تائب من ذلك ، بقي في كل موقف من هذه الخمسة عشر موقفاً الف سنة

في الهمّ ، والغمّ ، والهول ، والحزن ، والجوع ، والعطش ، حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء .

ثم يقام الناس في قراءة كتبهم الف عام ، فمن كان سخياً ، قدم ماله ليوم فقره ، وحاجته ، وفاقته ، قرأ كتابه ، وهوّن عليه قراءته وكسي من ثياب الجنة ، وتوّج من تيجان الجنة ، وأقعد تحت ظل العرش عز وجل آمناً ، مطمئناً .

وإن كان بخيلاً لم يقدّم ماله ليوم فقره وفاقته ، أعطي كتابه بشماله ، ويقطعُ له من مقطعات النيران، ويقام على رؤس الخلائق الف عام في الجوع، والعطش ، والعري ، والهمّ ، والغم ، والحزن ، والفضيحة ، حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء ، ثم يحشر الناس الى الميزان ، فيقومون عند الميزان الف عام ، فمن رجح ميزانه بحسناته فاز ونجا في طرفة عين . ومن خفّ ميزانه من حسناته ، وثقلت سيئاته ، حبس عند الميزان الف عام في الهمّ ، والغم، والحزن ، والعذاب، والجوع ، والعطش، حتى يقضي الله فيه بما يشاء .

ثم يدعى بالخلق الى الموقف بين يدي الله تبارك وتعالى في اثني عشر موقفاً ؛ كل موقف منها مقدار الف عام ، فيسأل في أول موقف عن عتق الرقاب ، فإن كان أعتق رقبة ، أعتق الله رقبته من النار ، وجاز الى الموقف الثاني ، فيسأل عن القرآن ، وحقه ، وقراءته ، فإن أتى بذلك تاماً جاز الى الموقف الثالث ، فيسأل عن الجهاد ، فإن جاهد في سبيل الله محتسباً جاز الى الموقف الرابع ، فيسأل عن الغيبة ، فإن لم يكن اغتاب ، جاز الى الموقف الخامس . فيسأل عن النميمة ، فإن لم يكن نماماً جاز الى الموقف السادس ، فيسأل عن الكذب، فإن لم يكن كذاباً جاز الى الموقف السابع ، فيسأل عن طلب العلم، فإن كان طلب العلم وعمل به جاز الى الموقف الثامن ،

فيسأل عن العجب، فإن لم يكن معجباً بنفسه في دينه او دنياه ، او في شيء من عمله ، جاز الى الموقف التاسع ، فيسأل عن الكبر ، فإن لم يكن تكابر على أحد جاز الموقف العاشر ، فيسأل عن القنوت من رحمة الله عز وجل ، فإن لم يكن قنت من رحمة الله عز وجل جاز الى الموقف الحادي عشر ، فيسأل عن الأمن من مكر الله ، فإن لم يكن آمن من مكر الله عز وجل جاز الى الموقف الثاني عشر ، فيسأل عن حق جاره ، فإن كان أدى حق جاره ، اقيم بين يدي الله عز وجل قريراً عينه ، فرحاً قلبه ، مبيضاً وجهه، كاسياً ، ضاحكاً ، فرحاً ، مستبشراً . فيرحب به ربه تبارك وتعالى، ويبشره برضاه عنه ، فيفرح عند ذلك فرحاً لا يعلمه احد إلا الله عز وجل .

فإن لم يأت واحدة منهن تامة ، ومات غير تائب ، حبس عند كل موقف الف عام ، حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء .

ثم يؤمر بالخلائق الى الصراط ، وقد ضربت عليه الجسور على جهنم أرقّ من الشعرة ، وأحدّ من السيف ، وقد غابت الجسور في جهنم مقدار اربعين الف عام ، ولهيب جهنم بجانبها يلتهب ، وعليها حسك ، وكلاليب ، وخطاطيف. وهي سبع جسور يحشر العباد كلهم عليها . وعلى كل جسر منها عقبة ، مسيرة ثلاثة آلاف عام: الف عام صعود ، والف عام استواء ، والف عام هبوط . وذلك قول الله عز وجل : « إن ربك لبالمرصاد » يعني على تلك الجسور ، وملائكة يرصدون الخلق عليها لتسأل العباد عن الايمان بالله عز وجل ، فإن جاء به مؤمناً مخلصاً لا شك فيه ، ولا ريب ، ولا زيغ ، جاز الى الجسر الثاني ، فيسأل عن الصلاة ، فإن جاء بها تامة جاز الى الجسر الثالث ، فيسأل عن الزكاة ، فإن جاء بها تامة جاز الى الجسر الرابع، فيسأل عن الصيام ، فإن جاء به تاماً جاز الى الجسر الخامس ، فيسأل عن حجة

الإسلام ، فإن جاء بها تامة جاز الى الجسر السادس،فيسأل عن الطهر فإن جاء به تاماً جاز الى الجسر السابع، فيسأل عن المظالم فإن لم يكن ظلم احداً جاز الى الجنة ، وإن كان قصّر في واحدة منهن جلس على كل جسر منها الف سنة ، حتى يقضي الله فيه بما يشاء .

فقال عبد الرحمن بن غنم ، قال عبد الله بن مسعود ، فقال رجل من اصحاب رسول الله ﷺ : ألسنا يا رسول الله نراك يوم القيامة في هذه المواطن كلها ، ولا تغيب عنا ولا نغيب عنك حتى يفترق الناس الى الجنة والى النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : الشأن يومئذ اعظم من ذلك ، والحوائج الى الله عز وجل يومئذ اكثر من ذلك، ولكن اذا لم تروني في بعض هذه الحالات فأنا بين يدي الله عز وجل أشفع الى الله عز وجل وأطلب ، او عند ابواب الجنة استفتحها ، فيفتح لي فأدخلها، فأبشر خدمكم وغلمانكم وأزواجكم بأنكم على أثري ، وآمرهم ان يعدّوا لكم فيستعدوا ، فيا لها من بشارات ويا لها من اصوات الجواري ، يدعو بعضها بعضاً ، والغلمان يسعى بعضهم الى بعض، والجامير تسطع في كل ناحية ، والأزواج على الأرائك ينظرون ، والرجال والنساء يساقون الى الجنة زمرة زمرة ، والى الله يضحكون ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون ، فهنيئاً مريئاً لعباد الله الصالحين ، عباد رب العالمين . والذي نفس محمد بيده إن الرجل منهم ليستقبله من حين يدخل الجنة من بين وليد ووليدة ، وغلام ، وجارية ، وقهرمان ، وملك من الملائكة ، كلٌ معه تحفة ، وطرفة ، وهدية يتحفونه بها ، ويسعون حواليه ، وبين يديه اكثر من ثلاثة آلاف كاللؤلؤ والمرجان ، ويتلقاه سبعون الف ملك مع كل ملك منهم فرس ونجيب[1] من ياقوت احمر

---

(١) نسخة ٢ : ونجيبة .

وأصفر ومرجان . للخيل صهيل ، وللابل رغاء ، ولا يعرقن، ولا يرثن، ولا يبلن ، ولا يمرضن ولا يهزلن . ولهن اجنحة اذا شاؤا طارت بهم في الجنة . وهن في السرعة اسرع من الطيور . وأن في الجنة طيوراً [1] لا تؤكل لهـــا رؤس مثل الجبال ، احسنُ مـا خلق الله خلقاً وريشاً ، وأصواتاً وكلاماً ، لكل طير منها سبعون جناحاً في منكبه ، وأن الطير الواحد منهـــا ليظل الدنيا كلهـا بجناحه اذا نشره وبسطه ، يكونون على غرفهم قياماً صفوفاً ، يسبّحون الله عز وجل ويحمدونه ، ويقدسونه [2] العزيز الجبـار بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها ، فيطرب اولياء الله بذلك طرباً لم يطربوا قبله بشيء مما سمعوا ، ما خلا كلام الرحمن الملك الجبار ، فـإنه يسمعهم كلامه ، ويكلمهم ويناديهم ، ويقول لهم : سلامٌ عليكم عبادي ، ومرحبـاً بكم ، حيّاكم الله ، سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحي القيوم . طبتم فادخلوها خالدين . طابت لكم الجنة ، فطيّبوا انفسكم بالنعيم المقيم، والثواب من الكريم والخلود الدائم. أنتم المؤمنون الآمنون ، وأنا الله المؤمنُ المهيمنُ ، شققت لـكم اسمـــاً من اسمــائي ، لا خوفٌ عليكم ، ولا انتم تحزنون . أنتم اوليائي ، وجيراني ، وأصفيائي، وخاصتي ، وأهل محبتي . وفي داري سلام عليكم يا معشر عبادي المسلمين . انتم المسلمون ، وأنا السلامُ ، وداري دار السلام . سأريكم وجهي ، كما سمعتم كلامي ، فإذا تجلّيت لـكم وكشفتُ عن وجهي الحجب فاحمدوني ، وادخلوا الى داري غير محجوبين عني بسلام آمنين ، فاقدموا عليّ ، واجلسوا حولي حتى تنظروا إليّ ، وتروني من قريب ، فاتحفـكم بتحفتي ، وأجيزكم

---

(١) نسخة ٢ : طيراً .

(٢) هكذا في النسخ .

بجوائزي ، وأخصكم بنوري ، وأغشيكم بجمالي ، وأهبُ لكم من ملكي . وأفاكهكم بضحكي ، وأغلفكم بيدي ، وأشممكم روحي .

انا ربكم الذي كنتم تعبدوني ولم تروني ، وتدعوني ، وتحبوني ، وتخافوني . فوعزّتي ، وجلالي ، وكبريائي ، وعُلوّي ، وبهائي ، وسنائي ، اني عنكم راض ، وأحبّ ما تحبون ، ولكم عندي ما تشتهي انفسكم ، وتلذّ أعينكم . ولكم عندي ما تدّعون ، وما شئتم ، وكلما شئتم ، أشاء . فسلوني ، ولا تحتشوا ، ولا تستحيوا ، ولا تستوحشوا ، واني انا الله ، الجواد ، الغني ، المليء ، الوفيّ الصادق .

وهذه داري ، وقد أسكنتموها ، وجنّتي ، قد أبحتكموها ، ونفسي ، قد أريتكموها . وهذه يدي ذات الندى ، والظلّ ، مبسوطة ممتدة عليكم ، لا أقبضها عنكم ، وأنا انظر اليكم ، لا اصرف بصري عنكم ، فاسألوني ما شئتم ، واشتهيتم ، فقد آنستكم بنفسي ، وانا لكم جليس وأنيس . فلا حاجة ، ولا فاقة ، بعد هذا ، ولا بؤس ، ولا مسكنة ، ولا ضعف ، ولا هرم ، ولا سخط ، ولا حرج ، ولا تحويل ابداً سرمداً . نعيمكم نعيم الأبد ، وأنتم الآمنون ، المقيمون ، الماكثون ، المكرمون ، المنعمون . وأنتم السادة الأشراف الذين أطعتموني ، واجتنبتم محارمي ، فارفعوا اليّ حوائجكم ، اقضيها لكم ، وكرامة ، ونعمة .

قال : فيقولون : ربنا ما كان هذا املنا ، ولا امنيّتنا ، ولكن حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم ابداً ابداً ، ورضاء نفسك عنا .

فيقول لهم العليّ الأعلى ، مالك الملك ، السخي الكريم ، تبارك وتعالى :

فهذا وجهي بارز اليكم ابداً سرمداً ، فانظروا اليه ، وابشروا ، فإن

نفسي عنكم راضية ، فتمتعوا ، وقوموا الى ازواجكم ، فعانقوا ، وانكحوا . والى ولائدكم ، ففاكهوا ، والى غرفكم ، فادخلوا ، والى بساتينكم ، فتنزّهوا، والى دوابكم، فاركبوا ، والى فرشكم ، فاتكئوا ، والى جواريكم، وسراريكم، في الجنـــان ، فاستأنسوا . والى هداياكم من ربكم فاقبلوا . والى كسوتكم ، فالبسوا ، والى مجالسكم ، فتحدثوا . ثم قيلوا قائلةً لا نوم فيها ، ولا غائلة في ظلّ ظليل ، وأمن مقيل ، ومجاورة الجليل ، ثم روحوا الى نهر الكوثر ، والكافور ، والماء المطهّر ، والتسنيم ، والسلسبيل ، والزنجبيل ، فاغتسلوا ، وتنعّموا ، طوبى لكم وحسن مآب . ثم روحوا ، فاتكئوا على الرفارف الخضر ، والعبقري الحسان ، والفرش المرفوعة ، والظلّ الممدود ، والمـــاء المسكوب ، والفاكهة الكثيرة ، لا مقطوعة ، ولا ممنوعة .

ثم تلا رسول الله ﷺ : « ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الآرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون سلامٌ قولاً من ربّ رحيم » .

ثم تلا هذه الآية : « اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا » .

ومن انشاء المولى مدّ الله ظله :

يوم المعارج من خمسين الف سنه	يطير عن كلّ نوّام به وسنهْ
والارض من جزر عليـه شاهدة	لا يأخذنهـا لمـا يقضي الإله سنه
فكن غريباً ولا تركن لطائفة	من الخوارج اهل الألسن اللسِنه
وان رأيت امرءاً يسعى لمفسدة	فخذ على يـده تجزى بـه حسنه
ولتعتصم حذراً بالكهف من رجل	تريك فتنته يوماً كمثـل سنه
قـــد مدّ خطوته في غير طاعته	ولم يزل في هواه خالعاً رسنه

ولنا ايضاً من قصيدة :

مواقف الناس في القيامة مواقف الحزن والندامه
وتلك خمسون لا خلافٌ فيها ولكن لها علامه
خمسون الفاً لها زمانٌ من عامنا ما أمدٌ عامه

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا قال : نبأ هرون بن ابي سفيان ، نبأ عبد الله بن بكير السهمي ، عن عبادة بن شيبة الحيطي ، عن سعيد بن انس ، عن انس قال :

بينما رسول الله ﷺ جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه ، فقال عمر : ما اضحكك يا رسول الله بأبي انت وأمي ؟ قال : رجلان من أمتي جيثا بين يدي رب العالمين فقال احدهما : يا رب خذلي مظلمتي من اخي . فقال : اعطِ اخاك مظلمته . فقال : يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء . قال : يا رب فليحمل عني من اوزاري. وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء . ثم قال : ان ذلك ليوم عظيم ، يحتاج الناس فيه ان يحمل من اوزارهم . قال : فقال الله عزّ وجل للطالب : ارفع رأسك فانظر الى الجنان ، فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فضة ، وقصوراً من ذهب ، مكللة باللؤلؤ . لأي نبيٍّ هذا ؟ لأي شهيدٍ هذا ؟ قال : هذا لمن اعطاني ثمنه . قال : يا رب ومن يملك ذلك ؟ قال : انت تملكه . قال : بماذا يا رب ؟ قال : بعفوك عن اخيك . قال : يا رب قد عفوت عنه . قال الله تعالى : خذ بيد اخيك ، وأدخله الجنة. ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : « فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم » فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة .

قلب تأثر من صادق مؤثر :

حدثنا ابو العباس احمد بن مسعود بن شداد سنة إحدى وستمائة قال : نبأ ابو جعفر بن العاص قال : نبأ يوسف بن القاسم الديار بكري ، نبأ جمال الاسلام ابو الحسن علي بن احمد القرشي الهكاري ، نبأ ابو الحسن الكرخي ، نبأ ابو العباس احمد بن محمد بن الفضل النهاوندي قال : سمعت شيخي جعفر بن محمد الخلدي يقول :

كنت مع الجنيد رحمه الله في طريق الحجاز حتى صرنا الى جبل طورسيناء فصعد الجنيد ، وصعدنا معه ، فلما وقفنا في الموضع الذي وقف فيه موسى عليه السلام ، وقع علينا هيبة المكان ، وكان معنا قوال فأشار اليه الجنيد ان يقول شيئاً فقال :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برقٌ تألق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنعاً اركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق نظراً اليه وصدّه سبحانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت [1] به اجفانه

قال : فتواجد الجنيد ، وتواجدنا ، فلم يدر احد منا ، أفي السماء او في الأرض ؟ وكان بالقرب منا دير فيه راهب، فنادانا : يا امة محمدٍ بالله أجيبوني فلم يلتفت اليه احد لطيب الوقت. فنادانا الثانية: بدين الحنيفية ألا أجبتموني فلم يجبه احدٌ فنادى الثالثة : بمعبودكم ألا أجبتموني فلم يردّ عليه احد جواباً. فلما فترنا من السماع وهم الجنيد بالنزول قلنا له : إن هذا الراهب نادانا وأقسم

---

(١) لعلها سحت .

علينا ولم يردّ عليه احد . فقال الجنيد : ارجعوا بنا اليه لعل الله يهديه الى الاسلام . وناديناه ، فنزل الينا ، وسلم علينا . وقال : ايما منكم الاستاذ ؟ فقال الجنيد : هؤلاء كلهم سادات وأساتذة . فقال : لا بدّ أن يكون واحد هو اكبركم . فأشاروا الى الجنيد . فقال : اخبرني عن هذا الذي فعلتموه ، هو مخصوص في دينكم ، او معموم . فقال : بل مخصوص . فقال: لأ قوام مخصوصين ، او معمومين ؟ قال : بل لأ قوام مخصوصين . فقال : بأي نية تقومون ؟ فقال بنية الرجاء والفرح بالله عزّ وجل . فقال بأي نية تسمعون . قال بنيّة السماع من الله تعالى . فقال بأي نية تصيحون ؟ قال : بنية أجابة العبودية للربوبية ، لما قال الله تعال للأرواح في الذر : ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا . قال : فما هذا الصوت ؟ قال : نداء ربي . فقال : بأي نية تقعدون ؟ قال : بنيّة الخوف من الله تعالى . قال : صدقت . ثم قال الراهب للجنيد : مد يدك فأنا أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمداً ﷺ عبده ورسوله . وأسلم الراهب وحسن اسلامه . فقال الجنيد : بم عرفت اني صادق؟ قال : لأني قرأت في الانجيل المنزل على المسيح ابن مريم . ان خواص امة محمد ﷺ يلبسون الخرقة ، ويأكلون الكسرة ، ويرضون بالبلغة ، ويقومون في صفاء اوقاتهم بالله يفرحون ، واليه يشتاقون وفيه يتواجدون ، واليه يرغبون ، ومنه يرهبون . فبقي الراهب معنا على الاسلام ثلاثة أيام،ثم مات رحمه الله تعالى .

ليس يعني بقوله يلبسون الخرقة هذه الخرقة المعروفة بين هؤلاء الصوفية ، وإنما يعني بلباس الخرقة لباس المرقعات لا المشهرات ، وخلقات الثياب ، أي لا همّ لهم في ملابسهم ، إنما تهممهم في لباس التقوى الذي هو خير . ولذلك قال : ويأكلون الكسرة ، أي لا يهتمون بما يجعلون في بطونهم من ملذوذات

الاطعمة ، وإنما طعامهم ما تيسر حسابه ، وتيسر لهم لا غير ذلك .

من زعم ان ذا القرنين حميري :

روينا من حديث ابن الواسطي . قال : نبأ عمر بن الفضل بن المهاجر ، عن ابيه ، عن الوليد بن حماد الرملي ، عن محمد بن العباس ، عن عمران بن موسى البغدادي ، نبأ السلام بن داود ، نبأ احمد بن نباته عن سلمة بن ابي سلمة الابرش ، عن محمد بن اسحاق ، عن ابي مالك بن ثعلبة بن ابي مالك القرظي . قال : سمعت ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدث ، عن ابيه ، عن جده يرفعه ، قال :

إن ذا القرنين كان ابن رجل من حِميَر ، وكان قد وفد الى الروم ، فأقام فيهم . وكان ابوه يسمى : الفيلسوف ، لعقله وأدبه . فتزوج في الروم امرأة من غسان، وكانت على دين الروم، فولدت ذا القرنين، فسمّاه ابوه الاسكندر. فهو الاسكندر بن الفيلسوف الحميري ، وأمه رومية غسانية .

قال ابن اسحاق ، قال ابو مالك بن ثعلبة بن ابي مالك القرظي : ولذلك يقول تبّع الحميري لما فخرنا بأجداده في قصيدة يفخر بذي القرنين ، جده الأكبر :

قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ملكٌ تدينُ له الملوك وتحشدُ
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمرٍ من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حدمد

حدثنا محمد بن العباس ، قال عمران بن موسى ، قال السّام بن داود : وليس كل الناس يعلم انه من حِميَر ، ولا يعرف أباه ، وإنما نسبته الروم الى

أمه ، لأن أباه مات وهو صغير ، وخلّفه في حجر أمه . ولقد كان أبوه من اهل الملك والثروة .

ولنا في باب الفخر :

اذا فلّ سيفي لم تفلّ عزائمي   فلي عزَمات شاحدات صوارمي
وإلا فسلْ عنا الغنى هل وفتْ لنا   وأسيافنا يومـاً بقدر عزائمي
لنا الجودُ إن كنا سلالة حاتمٍ   ومـا زال منذ قلدته في تمائمي

ومن باب الحياء من الله تعالى والتصديق :

ما رويناه من حديث الخرائطي قال : حدثنا علي بن حرب ، نبأ محمد بن فضيل ، نبـأ عمارة بن القعقاع ، عن ابي ذرعـة بن عمرو بن جرير ، عن ابي هريرة قـال : قال رجل : يا رسول الله أي الصداقة افضل وأعظم اجراً ؟ قال: إن تتصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تهمل، حتى اذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، وقد كان لفلان كذا .

أنشدنا اسماعيل ، انشدنا محمد بن يوسف ، انشدنا محمد بن جعفر ، سمعت محمد بن يزيد المبرّد ينشد :

أُمهد لنفسك في الحياة فإنما   يبقى اغناكَ لمصلحٍ او مفسدِ
فإذا جمعتَ لمفسدٍ لم يبقِهِ   وأخو الفَلاح قليـله يتزيّد

ومن حديثه عن علي بن حرب ، عن خـالد بن يزيد العدَوي بمكة ، عن اسماعيل بن ابراهيم بن ابي حبيبة الاشبلي، عن مسلم بن ابي مريم، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله،

وأنا في حجرتي ، سمعته يقول : استحيوا من الله حق الحياء ، حتى ردّدها مراراً . فقال رجل : إنا لنستحي من الله يا رسول الله . قال : من كان يستحي من الله فليحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى . وليذكر القبور ، والبلى . فما زال يردد ذلك حتى سمعتهم يبكون حول المنبر .

ومن باب الغربة عن الوطن :

شرود الغريب عن الوطن كالفرس الذي زايل ارضه ، وفقد شربه . وهو ذاوٍ لا ينمي ، وذابل لا يبصر [1] . عسرك في بلدك أعز من يسرك في غربتك :

لقرب الدار في الإقتار خير من العيش الموسّع في اغترابِ

ولبعضهم :

ألا هل الى شمّ الخزامى ونظرةٍ الى قرقرى قبلَ المماتِ سبيلُ
فاشربُ من باب الجبيلاء شربة يُداوى بهـا قبل الممات عليل
فيا اثلات القاع من بطن يوضخٍ حنيني الى اطلالكن طويل
ويا اثلات القاع قلبي موكلٌ بكنّ ووجدي خيركنّ قليل
ويا اثلات القاع قد ملّ صحبتي مسيري فهل في ظلكنّ مقيل
أريد انحداراً نحوها فيردُدّني ويمنعني دَينٌ عليّ ثقيل
أحدّث نفسي عنكِ ان لستُ راجعاً اليكِ فحزني في الفؤاد دخيل

(١) لعلها : لا يثمر .

ومما نظمنا في الربيع وازهاره وما حباه الرفيع بأزهاره :

أما ترى الروضة الغناء تضحك إذ — جادت على الارض بالازهار انوا
تبسم الارض إذ تبكي السماء فهل — بين السماء وبين الارض شحناء
لا والذي بضروب الزهر اضحكها — مـــا ثم شحناء لكن ثم أشياء
إن السماء تقول الزهر من زهري — والأرض تأبى الذي قالته والماء

وقفت على نظم حسن الترصيع،ونثر في الربيع،وزهر بديع، لأبي علي بن شبل الشاعر :

عرائس الأرض تجلى في غلائلها — وفي حلىّ عليها صاغها الديمُ
تستنّ في حلل الانواء مذهبة — في كل حاشيةٍ من نسجها علم
درّ من الاقحوان الغضّ زينه — حمرُ اليواقيت في المنثور ينتظم
كأنمـــا بالسماء الارض شامتة — تبكي السماء وثغر الارض يبتسم

ركز بهـا الصيف اعلامه وضرب سرادقاته وخيامه . وأظهر على الدنيا إنعامه ، حين جـــاء يعزل الشتاء البريد ، وسلم الى الصيف كتاب التقليد ، فبعث جيوشه وسراياه ، ولاطف بتحفه وهـــداياه ، فصنائعه الى الارض مشكورة ، وآلاؤه على الروض منثورة ، إذ لبست ارديته ومطارفـــه ، وحليت وشيه وزخارفه، وألقت نصيفها المعنبر(١)،وتخمّرت بخمارها الاخضر، بين ثرىً مصندل ، ونـدٍ مكفـّر ، ونسيم معطر ، وفضاء مفضّض ، وجو مخلق، وترابيع ميادين من الآس والرياحين مستمنة الطوارق، مصفوفة النمارق، مفروز بالنوار بساطها ، معلمة بالازهار :

(١) أغماطها :

فكأنما ترنو العيون الى ملحٍ من الديباج في الزهر
وكأنما تطأ اللحاظ على وشيٍ نمته أناملُ القطرِ
وكأنما لبس النسيمُ بهـا نشر الخزامى وحقة العطر

حلىّ بها القطر عقوده، ونشر بها ملاءه وبروده ، وكتب في رؤس الشقاق عهوده ، وشياً ، ووشماً ، ورقماً :

كأن عهد الربيع يهواها فقد كساها وشياً وحلّاها
فهي كبكرٍ تزف في خلعٍ شتى يحوز الجمال معناها

كأنما حبتها الجنة بزخارفها ، والفراديس بطرائفها ، وغذّاها السلسبيل ماء النعيم ، وجرت في بروجها عـين التسنيم ، والتحقت بزرابها ونمارقها ، واشتملت بسندسها واستبرقهـا ، فهي تباري السماء في استدارة افلاكها ، والنجوم في انتظامها واشتباكها :

غير ان النجوم تطلع في الليـ ل وهذي تضيء في الاصباح
زاهراتٌ لهـا نسائم نشرٍ ناميات الجسوم في الارواح
وكأن الانواء إذ نيمتّها قـلدت كل روضةٍ بوشاح

حط فيها الاقحوان لثامه ، ونثر منها المنثور نظامه ، فتبدّدت جمانه ، وتغيّرت ألوانـه ، فاكذبا مشبهها بالثغور المبتسمة ، واليواقيت المنظمة ، وهبّ النسيم على سننه ، فنبّه السوسن من وسنه ، ولاح البنفسج حنيق الاوداج ، لازوردي التاج ، واسترد الورد من الخدود حمرتـه ، والسرو من القدود قامته ، واستحال لون العشاق في النهار ، وانتقل صبغ الوجنات الى الجلنار ، وذاب العقيق على الشقيق ، فانقض منـه شرر كالحريق ، وسالت

سرح القطارب ، كأنها زبانات العقارب ، وفتح النرجس من الذهب عيونا ، وأدار لها من اللؤلؤ الرطب جفونا ، ومدّ من الزمرد الاخضر متونا ، كغصون زبرجد اثمرت درّا ، واثمر درّها تبرا ، كأنمـا استعار الزعفران من احداقه ألوانا ، والكافور من جفونها بياضاً ولمانا ، فهى قضيب من زمرّد بحـــدق ذهب ، وسط فضّة بيضاء ، واستدارت شرف اللينوفر على خوط املود لين العمود ، كأنما خرط من الجزع اليماني ، موذناً بالفرح والتهاني ، تارة يشخص الى السماء شخوص الباهت الحيران ، وتارة يعوم في الماء عوم الظمآن ، وتفتح الادريون كالعيون الناظرة ، والنجوم الزاهرة ، كأنما توّجته الشمس بأصائلها فهو شعر :

مجوسيّ الصلاة فكل وجهٍ بدور إذ ضياء الشمس دارا
دنانير لطبع النقش فيهـــا سوادٌ حول سكتها استدارا
تريك قلانِس الديباجِ ليـــلا وتيجاناً مشبّكةً نهــارا

وخطرت القبول على الاغصان ، فتمايلت كتمايـــل النشوان ، وتناوحت، أشجارها ، وتجاوبت أطيارها، وهرجت بأصواتها ، وترنمت بلغاتها ، فملأت الاسماع زجلا ، وأخرست العيدان خجلا ، فكأنها قينات الاوراق سائرها ، او خطباء الاغصان منابرها ، من هزارات مغرّدات ، ووراشين مطربات ، بأفانين معجبات ، وورق من حمامات صادحات ، بأطواق الملوك مقلدات ، تترنم في فروع الايـك شجواً فتلهى عن سماع المسمعات ، بإرجاء فدران ، مفعمة الجدران ، غمرة الجداول جمـــة المناهل ينقض ماؤها انقضاض الفضة المسبوكة . ويطرد حبابها اطراد الزرد المحبوكة ، كفرند سيوف مصلتات ، او كبطون حيات على الرمضاء ملتويات ، شعر :

وكأن السماء تنثر درّاً فوق ارض من سندس خضراء

وعبير يثير مـــن عبرات السّحبِ مسكاً يفوح في الفيحاء
شغلتنا الأطيار حـين تغنّت في ذراها عن اطيب ذاك الغناء

والحمد الله الذي دلّ بظواهر صنعته ، على دقائق حكمته ، « فتبارك الله احسن الخالقين » .

ومن منثور الحكم وميسور الكلم :

من اكتفى باليسير استغنى عن الكثير ، من صحّ دينه صحّ يقينه ، مـن استغنى عن الناس آمن مـن عوارض الافلاس ، الدين أقوى عصمة ، والأمن أغنى نعمة ، الصبر عند المصايب من أعظم المواهب ، عيشك مـا عشت في ظلّ يقيك ، وقوتٍ يكفيك ، البخيل حارس نعمة ، وخازن ورثـة ، من لزم الطمع عـدم الورع ، الحسد شرّ عرض ، والطمع اضرّ عرض ، الرضا بالكفاف خير من السعي للاسراف ، افضل الاعمال مــا اوجب الشكر ، وأنفع الاموال مــا اعقب الأجر ، لا تثق بالدولة ، فإنها ظلّ زائل ، ولا تعتمد على النعمة ، فإنها ضيف راحل ، مالك ما رجى يوميك ، وتوفر اجره عليك ، الكريم من كفّ اذاه ، والقوي من غلب هواه ، من ركب الهوى ادرك العمى ، من غالب الحق لان ، ومن تهاون بالدين هـان ، المؤمن عزيز كريم ، والمنافق خب لئيم ، إذا ذهب الحياء يحـل البلاء ، كل انسان طالب أمنية ، ومطلوب منيّة ، علم لا ينفع كدواء لا ينجع ، احسن العلم مـا كان مع العمل ، وأحسن الصمت ما كان عن الخطل ، اعصِ الجاهل تسلم ، وأطع العاقل تغنم ، من صبر على شهوته بالغ في مروءته ، من اكثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصايب ، مـن تمسك بالدين عزّ نصره ، ومن استظهر بالحق ظهر قدره ، من استقصر بقاه وأجله قصر رجاه وأمله ، لا تبت على غـــير

وصية . وإن كنت من جسمك في صحة ، ومن عمرك في فسحة، فإن الدهر خائن ، وما هو كائن كائن ، لا تخلّ لنفسك من فكرة ، تزيدك حكمة ، او تفيدك عصمة ، من جعل ملكه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان ، ومن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل انسان ، من سلك سبل الرشاد بلغ كنه المراد ، من لزم العافية سلم ، ومن عدم (١) النصيحة ندم ، انتهى .

وقال : ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ، ولا من شرط الكرام إزالة النِعم . فلا تأخذ بالسهو ولا تزهد في العفو ، وارحم من دونك يرحمك من فوقك . واحسن الى مَن تملك يحسن اليك من يملكك . وقس سهوه في معصيتك بعمدك في معصيته ، وفقره الى رحمتك بفقرك الى رحمته . اغتنم صنائع الاحسان ، وارع ذمة الاخوان . فمن منع برّاً منع شكراً ، ومن ضيّع ذمة اكتسب مذمة . بالراعي تصلح الرعية وبالعدل تملك البرية . مَن عدل في سلطانه استغنَ عن أعوانه . الظلم مسلبة للنعم، والبغي مجلبة للنقم. اقرب الأشياء صرعة الظلوم، وأنفذ السهام دعوة المظلوم . من أكثر العدوان لم يأمن حلول النقم ، ومن آثر الإحسان لم يعدم موائد النِعم . من ساءت سيرته لم يأمن ابداً ، ومن حسُنت سيرته لم يخف احداً . من طال عدوانه زال سلطانه . من ظلم عق اولاده ، ومن بغى نصر اضداده . من ساء عزمه رجع عليه سهمه . من ساءت سيرته سرت منيّته . من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلكه وفناؤه . من ظلم نفسه ظلم غيره . ومن ظلم لغيره ظلم نفسه . من أساء اجتلب البلاء ، ومن أحسن اكتسب الثناء . لأن تحسن وتكفر خير من ان تسيء وتشكر. من أحسن فبنفسه بدا، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى.

---

(١) قبل النصيحة غنم .

من طال تعدّيه كثر اعاديه . من قبح ملكه حسن هلكه . شر النـاس من ينصر الظلوم ، ويخذل المظلوم . من مال الى الحق مال اليه الخلق . مَن أسوأ الاختيار أساء الجوار. من سلّ سيف العدوان سُلب عن السلطان . مَن أساء النية منع الأمنية .

وصية من زاهد تحتوي على فوائد :

روينا من حديث ثابت قال : نبـأ محمد بن علي الاصبهاني قـال : سمعت أبا حامد الطبري يقول : سمعت أبا بكر الشبلي يقول في وصيته : إن اردت ان تنظر الى الدنيا بحذافيرها فانظر الى مزبلة ، فهي الدنيا . واذا اردت ان تنظر الى نفسك فخذ كفاً من تراب ، فإنك منها خلقت وفيها تعود . ومتى أردت أن تنظر ما انت فانظر ما يخرج منك في دخولك الخـلاء ، فمن كان حاله كذلك فلا يجوز ان يتطاول ، او يتكبر على من هو مثله .

احسن ما قيل في المرحاض وهو مما يلحق بهذا الباب :

كنا بإشبيلية في تربة ابي القاسم بن وافد ، ومعنا ابو بكر بن حجـــاج الشاعر ، والنقـّاش ينقش باب المرحاض من التربة ، فقلت لابن حجـاج : يا ابا بكر لو علمتَ شيئاً ينقشه النقاش على باب هـــذا المرحاض . فارتجل على البديهة يقول على لسان حال المرحاض :

أنا سيّد الدار يا سيدي على أن حقي لا ينكرُ
أعرف للنـاس اقدارَهم ويأبون إلا بأن يفخروا
فمن قـال عني مستقذرٌ فلولاه ما كنت استقذر

وليس على ذكري من الابيات إلا ما ذكرنا وجملتها ستة ابيات .

ولنا في النحول من باب النسيب :

صيَّرني حبك معقولاً | بحكمه وكنتُ محسوسا
لطُفْتُ حتى لا يراني الهوى | فلم يجد عندي تعْريسا
فقلتُ لُمْ نفسك انت الذي | ألبستني الضرّاء والبوسا
حتى تحيرتَ وحيرتني | بيسَ الذي فعلته بيسا
أفنيتني عنك وعني فلمْ | تجد مقيلاً فيه تنفيسا
قد كنتُ ليثاً كاسراً نابه | وكانت احشاي لكم خيسا
جارَ الهوى واعتلّ في نفسه | فهل سمعتم بالهوى بوسا
فأين جالينوس يأسوه او | يحيي العبدّا بيننا عيسى

ولنا في اتحاد المحب في الهوى :

إن الهوى ما أنا للحب حامله | والحكمُ للحبّ في الاشخاص ليس لنا
مثل الصفات لدى قومٍ اشاعرةٍ | فلا الهوى هو غيري لا ولا هو انا
إن الهوى وأنا بالعين متحدٌ | فإن أمُت فيه وجداً او أعش فبنا
لوْلا الجمال الذي بالحب كلّفنا | لم يهلك الوجد قلبَ الصبّ والبدنا
إن النظام لتدري ما أفوه به | وقد أشرتُ اليها مرةً بنى

ولنا في معاتبة القلب والبصر :

تقول عيْني لقلبي ان فكرك قد | رمى الجفون بدمع الوجد والسهرِ
فقال قلبي لطرفي لا تقول كذا | بل انت عرّضتني للفكر بالنظر
لولا الجمال الذي القت نواظركم | هواه في خلدي لم نبل بالفكر
فالعتبُ للقلب جورٌ من معاتبةٍ | وإنما العتب في التحقيق للبصر
وها أنا حكمٌ بالعدل بينهما | لعلمنا بالذي فيه من الخبر

ولنا من باب منازلات الحب :

لما تحكّم عينُ الشمس في بصري ... تمكن الحبُّ بالسلطان في خلدي
وأنزل الجنـد في نفسي منازلهم ... كالوجد والشوق والتبريح والكمد
فعندمـــا اخذوا مني منازلهم ... ناديتُ من لهب الأشواق في كبدي
الحبُّ أرّقـني والحبُّ أقلقني ... والحب يقتلني ظلماً وليس يدي
والحب حمّلني مـا لست احمله ... حتى بقيت له روحاً بلا جسد

ولنا من باب القلب والبصر :

زعمت يا أيهـا المفتون بالحور ... ان الفؤاد له دعوى على البصر
ألا ترى القلب محصوراً بقلعته ... وقد أحاطت بهمن عسكر الفكر
فقلتُ يحضر خصمُ القلب ان له ... عليه دعوى من اجل الدمع والسهر
فعندما حضرا في الحين قام لنا ... عند الشهودِ بأن الذنب للنظر

ولبعضهم في باب النسيب :

اقول لأصحابي وقد طلبوا الصّلى ... ألا فاصطلوا ان خفتم القرّ من صدري
فإن لهيب النار بين جوانحي ... إذا ذكرت ليلى أحرُّ من الهجر
فقالوا نريد الماء نسقي ونستقي ... فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري
فقالوا فأين النهرُ قلتُ مدامعي ... سيغنيكم فيضُ الدموع عن الحفر
فقالوا ولم هذا فقلتُ من الهوى ... فقالوا لحاك الله قلت اسمعوا عذري

ولابن المعتز :

يا سائق الذود ردهنّه ... ومن دموعي فروّهنّه
واقتدح النار من فؤادي ... فإنهـــا فيه مستكنّه

ولغيره :

يا قــادح النار بالزناد   وطالب الجمر في الرّمادِ
دع عنك شكاً وخذ يقيناً   واقتدح النار من فؤادي

حكايــة :

حدثنا ابو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن قال : لمـا مشى ابو عمرو بن المرتين الى الديار المصرية مــــن الاندلس ، اجتمع هو والقاضي عبد الرحيم المعروف بالفاضل في مجلس السلطان ، فتذاكروا الاقاليم ، فأخـــذ القضي عبد الرحيم يعرّض بصاحبنا ابي عمرو بن مرتين ، لما قدم المغرب، بما رويناه من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال : نبأ محمد بن اسمعيل الكعبي قــال : حدثني ابي ، عن حرملة بن عمران النجيبي ، عن ابي قبيل ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال : خلقت الدنيا على خمس صور :

على صورة الطير برأسه ، وصدره ، وجناحيه ، وذنبه . فالرأس : مكة والمدينة ، واليمن ، والصدر : الشام ، ومصر . والجناح الايمـن . العراق ، وخلف العراق امة يقال لهـــا واق . وخلف واق امة يقال لها واق واق . وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجل، والجناح الايسر : السند وخلف السند الهند ، وخلف الهند امة يقال لها ناسك ، وخلف ناسك امـة يقال لها منسك ، وخلف ذلك من الامم مــــا لا يعلمه إلا الله عزّ وجل . والذنب : من ذات الحمام الى مغرب الشمس . ثم قال : وشرّ مــا في الطير الذنب . فقال له ابو عمرو المغربي : ويكون الطير الطاوس ؟ فأخجله بـــين يدي السلطان ، فقال له السلطان : ما كان اغناك عن هذا ؟

مشورة ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصحابة في قتال اهل الردة :

روينا من حديث الرملي قال : حدثنا الحسين بن زياد الرملي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن اسمعيل الازدي البصري قال :

لما توفي رسول الله ﷺ ، وطلب ابو بكر الزكاة كفر بها قوم وقالوا : قد كنا ندفع اموالنا الى محمد ، فما بالُ ابن ابي قحافة يسألنا ، والله لا نعطيه منها شيئاً ابداً ، فاستشار ابو بكر اصحاب رسول الله ﷺ فيهم . فأجمع القوم على التمسك بدينهم في انفسهم ، وأن يتركوا الناس مع ما اختاروه لأنفسهم ، وتخيّلوا انهم لا يقدروا على من ارتدّ من المسلمين . فقال ابو بكر رضي الله عنه : لو لم اجد احداً يوازرني لجاهدتهم بنفسي وحدي حتى اموت او يرجعوا الى الاسلام . ولو منعوني عقالاً مما كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لجاهدتهم حتى الحق بالله ، فلم يزل ابو بكر يجاهد بأصحاب رسول الله ﷺ بالمقبل من المسلمين مدبرهم حتى عادوا جميعاً الى الاسلام ، ودخلوا فيما كانوا خرجوا منه .

شيب رسول الله ﷺ :

روينا من حديث ابن حبان قال : حدثنا محمد بن يحيى المروزي ، حدثنا عاصم بن علي ، حدثنا محمد بن راشد ، عن مكحول ، عن موسى بن انس ، عن ابيه قال : لم يبلغ رسول الله ﷺ من الشيب ما يخضبه ولكن ابو بكر كان يخضب رأسه ولحيته ورأسه بالحناء والكتم حتى يقنؤ شعره .
وبه قال : حدثنا ابن الظهراني ، حدثنا محمد بن عمر الوليد الكندي، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال :

كان شيب رسول الله ﷺ نحو من عشرين شعرة ، وبه قال : حدثنا محمد ابن العباس بن ايوب ، حدثنا محمد بن اسماعيل الواسطي ، عن الاوزاعي ، عن محمد بن عمرو، عن ابي سلمة، عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اختضبوا ، فإن اليهود لا تختضب ، فخالفوهم . وبه قال : حدثنا ابن رشيد، حدثنا ابراهيم بن المنذر الخزامي ، حدثنا ابو عمار هاشم بن غطفان يعني ابن عمارة بن مهران ، حدثنا عبد الله بن هدّاج من بني عديّ بن حنيفة ، عن ابيه، وكان ابوه قد ادرك الجاهلية ، قال: جاء رجل الى النبي ﷺ قد صَفر فقال : خضاب الإسلام . وجاءه رجل قد حمر فقال : خضاب الايمان .

ما جاء في زهده عليه الصلاة والسلام :

روينا من حديث ابن حبّان ، حدثنا احمد بن جعفر الجمال ، حدثنا عبد الواحد محمد بن محمد البجلي، ثنا يزيد بن هارون، ثنا الجراح بن منهال ، عن الزهري ، عن العطاء ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار،فجعل يلتقط من التمر. فقال : يا ابن عمر مالك لا تأكل ؟ قلت : لا اشتهيه يا رسول الله . قال : لكني اشتهيه ، وهذه صبح رابعة لم أذق طعاماً ، ولو شئت لدعوت ربي عز وجل فأعطاني مثل ملك كسرى ، وقيصر، فكيف يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبون رزق سنتهم ؟ ويضعف اليقين . فوالله ما برحنا حتى نزلت : « وكاين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم » . فقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل لا يأمرني بكنز الدنيا ، ولا باتباع الشهوات، فمن كنز ديناراً يريد به حياة باقية فإن الحياة بيد الله عز وجل . ألا واني لا اكنز ديناراً ولا درهماً ولا اخبأ رزقاً لغد .

الزهري هو عبد الرحمن بن عطاء .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً .

وفي رواية : ولا بقرة ، ولا أوصى .

روينا ذلك من حديث ابن حبّان ، عن اسحاق ، عن احمد بن الصباح ، عن اسحاق الازرق ، عن سفيان ، عن عاصم بن ابي النجود ، عن ذر ، عن عائشة رضي الله عنها .

إسلام خزيم بن فاتك :

روينا من حديث ابن اسحاق ، وحديث ابي عبد الله الحاكم ، اما الحاكم فقال : حدثنا ابو القاسم الحسن بن محمد السكوني ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، ثنا محمد بن شيم الحضرمي ، ثنا محمد بن خليفة الاسدي ، ثنا الحسين بن محمد بن علي ، عن ابيه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ذات يوم لابن عباس: حدثني بحديث يعجبني. فقال: حدثني خزيم بن فاتك. وقال ابن اسحاق: حدثني سعيد المقبري ، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال خزيم بن فاتك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا امير المؤمنون ألا أخبرك كيف كان بدء إسلامي ؟ قال : بلى . قال: بينا انا في طلب إبل لي، قال ابن عباس : قال : إذ وجدتها فعقلتها ، وتوسدت ذراع بعير منها . قال ابن اسحاق : وناديت بأعلى صوتي : أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه . قال الحاكم : وكذلك كانوا يصنعون في الجاهلية ؟ قال : واذا هاتف يهتف بي فقال :

ويحك عُذْ بالله ذي الجلال — والمجد والأنعام والأفضالِ
منزّل الحرامِ والحـلالِ — ووحّـد الله ولا تبالي
ما هول ذي الجن من الأهوال — إذ تذكر الله على الأميال
وفي سهول الارض والجبال — وصار كيد الجن في سفال
إلا التقي وصالح الأعمالِ

قال ابن اسحاق : فذعرت ذعراً شديداً . فلما رجعت لي نفسي قلت :

يا أيها الهاتفُ ما تقولُ — أرشدٌ عندك أم تضليلُ
بيّن لنا هديتَ ما الحـُويلُ

قال الحاكم : قال فقال :

هذا رسولُ اللهِ ذو الخيراتِ — بيَثربٍ يدعو الى النجاةِ
جاء بياسينٍ وحاميات — في سُوَرٍ بعدُ مفصلات
محرمـــاتٍ ومحلـــلاتِ — يـأمرُ بالصوم وبالصلاة
ويزجرُ الناسَ عن الهنات

قـــال : فقلت : من انت يرحمك الله ؟ فقال : مالك بن مالك ، بعثني رسول الله ﷺ على ارض نجد . قال : فقلتُ : لو كان ما يكفيني ابلى هذه لأتيته حتى اؤمن به . فقال : انا اكفيكها حتى اؤديها الى اهلك سالمـــة ان شاء الله تعالى .

قال : فركبت بعيراً . قال ابن اسحاق : قال : فاتبعني وهو يقول :

صاحبك الله وسلم نفسك — وبلغ الأهل وردّ رحلك
آمن به أفلح ربي حقك — وانصره عزّ الإله نصركْ

قال الحاكم : ثم اتيت المدينة ، فوافيت الناس يوم الجمعة، وهم في الصلاة. فقلت : يقضون صلاتهم ، ثم ادخل ، فإني ذلـــك ، إذ خرج اليّ ابو ذرّ فقال : يقول لك رسول الله ﷺ : ادخل ، فدخلت ، فلما رآني قال : ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي إبلك الى اهلك سالمة ؟

أما انه قد أدّاها الى اهلك سالمة ؟ قلت : رحمة الله . فقال ﷺ : اجل رحمه الله . فقال خزيم : اشهد أن لا إله إلا الله وحسن اسلامه .

خبر إلهي :

حدثنا صاحبنا المسعودي عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي الاستاذ ، ثنـا يونس بن يحيى ، ثنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى السجزي، ثنا عبد الأعلى ابن عبد الواحد المليحي، ثنا اسمعيل بن ابراهيم الهروي، عن محمد بن عبد الله عن احمد بن نجدة ، عن يحيى بن عبد الحميد ، عن ابن المبارك ، عن يحيى بن ايوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن زيد ، عـــن القاسم ، عن ابي امامة ، عن النبي ﷺ قال :

قال الله عزّ وجل ان اغبط اوليائي عند المؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظٍ من صلاة احسن عبادة ربـه . وأطاعه في السر والعلانية ، وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه بالأصابع ، وكان رزقه كفافاً ، فصبر على ذلك . ثم نقر بيده ثم قال : عجلت منيته ، وقلت بواكيه ، وقلّ تراثه .

وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روينا من حديث ابن عيينة قـال : حدثنا عمرو بن دينار ، ثنا ابن عمر قال : كان رأس عمر في حجري لما طعن ، فقال : ضع رأسي بالأرض. قال:

فظننت ان ذلك تبرّماً ، فلم افعل ، فقال : ضع رأسي بالأرض، لا امّ لك ، ويلي ، وويل امي ، إن لم يغفر الله لي .

ورويناً من حديث محمد بن جعفر قال : حدثنا احمد بن بديل الأيامي ، ثنا ابو معاوية الضرير ، ثنا داود بن هند ، عن الشعبي قال : لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء ابن عباس فقال :

يا امير المؤمنين اسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس . وقتلت شهيداً ولم يختلف عليك اثنان . وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، فقال : اعد عليّ ، فأعاد عليه . فقال : المغرور من غررتموه . والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس او غربت لافتديتُ به من هول المطلع .

في الخوف من الله تعالى :

روينا من حديث ابن ثابت قال : حدثنا الحسن بن ابي بكر البزار ، عن عبد الله بن جعفر بن دستورية النحوي عن يعقوب بن سفيان ، عن احمد بن ابي الحواري قال : سمعت اباه سليان بن عبد الرحمن بن احمد بن عطية العبسي يقول :

مفتاح الدنيا الشبع ، ومفتاح الآخرة الجوع . وأصل كل شيء في الدنيا والآخرة الخوف من الله عزّ وجل. وإن الله عزّ وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب . وإن الجوع عنده في خزائن مدخورة فلا يعطي إلا لمن يحب خاصة . ولأن أدع من عشائي لقمة احب اليّ من ان اكلها، وأقوم من اول الليل الى آخره .

ولنا شعر :

إلهي لا تؤاخذني على ما كان من زللي
ولا تنظر الى فعلي فإني سيء العمل
وما لي غير حسن الظن يا ثقتي ويا املي

عجائب بيت المقدس التي صنعها الضحاك بن قيس الازدي وقيل الغساني :

حدثنا غير واحدٍ عن القاسم بن علي، عن ابي القاسم السوسي، عن ابراهيم ابن يونس ، عن عبد العزيز النصيبي ، عن محمد بن احمد الخطيب ، عن عمر بن الفضل فيما حدّث ، عن ابيه ، عن حماد الرملي ، عن محمد بن العباس ، عن عمران بن موسى عن السام بن داود ، عن احمد بن نباته ، عن سلمة الابرش، عن ابن اسحاق ، عن ابي مالك القرطبي ، عن ابراهيم وقيل : هو موقوف على السام ابن داود ، قال :

لما توجه ذو القرنين الى بيت المقدس ، وقد خضعت له الملوك رأى تلك العجائب التي وضعها الضحاك بن قيس في الزمان بحركات هندسية، وطلسمات موضوعة .

فمن ذلك نار عظيمة اللهب ، فمن لم يطع الله في ليلته ، ثم نظر اليها احرقته . فإن كان قد اطاع الله ، ونظر اليها لم تضرّه .

ومن العجائب انه : من رمى بيت المقدس بسهم رجع اليه سهمه .

ومنها انه : وضع كلباً من خشب على باب بيت المقدس ، فمن كان عنده شيء من السحر ، اذا مرّ بذلك الكلب نبح عليه ، فاذا نبح عليه نسي ما عنده من السحر .

ومنها انه : وضع باباً فاذا دخـــل الظالم من اليهود والنصارى على ذلك الباب ضغطه ذلك الباب حتى يعترف بظلمه .

ومنها انه : وضع عصاً في محراب المسجد ، فما يقدر احـد ان يمس تلك العصا ، إلا من كان من ولد الأنبياء ، فإن مسّها من ليس من اولاد الانبياء احترقت يده .

ومنها انهم : كانوا يحبسون اولاد الملوك في محراب بيت المقدس، فمن كان من اهل المملكة اذا أصبح وجد يده مطليّة بالدهن .

وجعل سليمان بن داود عليهما السلام سلسلة معلقة من السماء الى الارض يقضي بها بين الخصمين ، فالصادق تتدلى اليه حتى يمسكها، والكاذب لا ينالها حتى وقع المكر بين الناس ، فكان سبب رفعها ، ان رجلاً استودع رجلا مالاً ، ثم غاب عنه حيناً ، ثم جاء يطلب وديعته ، فأنكره ذلك ، فأتى الى سليمان ، فقصّ عليه القصة ، فحكم عليه سليمان بالحكم ، وبعث معه الأمناء الى الموضع ، وأخذ الرجل الذي أُودِع المال قناةً ، فشقـّها ، وصبّ المال فيها وأطبقها ، ثم أخذ يتوكأ عليها شبيهاً بالعليل ، وقال لصاحب المـال : خذ أنت هـذه العصا حتى أمدّ يدي وأنال السلسلة ، فأخـذ الرجل صاحب المال منه العصا ، وقال : أللهم انك تعلم ان هـــذا الرجل ، أودعني مالاً ، واني قد رددت ماله اليه . والمال في يد الرجل ، ولا يعلم ، أللهم ان كنت صادقاً في مقالتي فأنلني السلسلة بقدرتك فنال السلسلة . ثم قـال : ردّ عليّ عصايّ ، فردّ عليه عصاه ، وارتفعت السلسلة من ذلك اليوم . ونزل الوحي على سليمان ، فأخبره بالمكر ، وكان موضعها القبة التي على يسار الصخرة ، بناها عبد الملك بن مروان وفي ذلـك الموضع لقي النبي ﷺ الحور العين ليلة

الإسراء . وجعل سليمان بن داود ايضاً تحت الارض مجلساً وبركة ، وجعل فيها ماء ، وكان على وجه الماء بساط ، فمن كان على الباطل اذا وقع في ذلك الماء غرق ، ومن كان على الحق لم يغرق . فلما رأى ذو القرنين هذه العجائب أوحى الله اليه :

انك ميّت ، وان أجلك قد حضر . وكان ذو القرنين قـد أوسع اهل الارض عدلاً ، وكان آخر ملوك الارض من اهل الخير . وقد كان كبر ودقّ عظمه ، ونحل جسمه ، وطعن في السن . فمات رحمه الله ببيت المقدس .

وزعم اهل العلم : انـه بدومة الجندل ، رجع اليها من بيت المقدس ، وقبره بها اليوم ، قيل عاش خمسمائة عام .

ومن باب التقوى في الهوى :

فلما التقينا قالت الحكم بيننا   سوى خصلة هيهات منك مرامها
فقلتُ معاذ الله أطلب خصلة   تموت ويبقى بعد ذاك أثامها

ولعمرو بن ابي ربيعة في هذا الباب :

لعمرُ أبيها ما صبوتُ ولا صبتْ   اليّ واني عن صباً لحليمُ
سوى قبلةٍ استغفر الله ذنبها   سأطعم مسكيناً بهـا وأصوم

وللفرزدق من هذا الباب :

شمسٌ اذا بلغ الحديث خيانةً   أمسكن عنـه غرائرٌ أقمـارُ
وحديثهن كأنهـا مرفوعةٌ   من دينهنّ اذا جهرن سرار

وله ايضاً ويُعزى لغيره :

ويوم كإبهام الحبارى قطعته بنعمة والواشون فيه تحرفُ
بلا محرم إلا كلام مودّةٍ علينا رقيبان التقى والتطرف
اذا ما هممنا صدّت النفس دونها كما صدّ من بعد التهمّم يوسف

ومن نظمنا في هذا الباب ارتجالاً :

علينا من التقوى رقيبٌ مسلّط اذا ما خلونا والهوى زائد البلوى
ولكن وقانا الله شرّ بلائه بما جعل الرحمن فينا من التقوى
ولو لم يكن تقوى لكان اشتغالنا اذا ما خلونا بالعتاب وبالشكوى
ويأبى الهوى القتال إلا صيانةً عن اللثم لما كان سلطانه أقوى
فحسبي أن أفنى اذا ما لقيتُه وحسبي ما يلقى عن السمع في النجوى
حديث كزهر الروض عطّره الندى وفي الطعم طعمُ المنّ فيه مع السلوى

مثل نبوي :

من حديث الخليل بن احمد قال: حدثنا ابو العباس محمد بن اسحاق السراج، أنبأ ابن منيع ، ثنا عبد الأعلى بن حماد القرشي ، ثنا حماد بن سلمة ، عن علي ابن زيد، عن اوس بن خالد، عن ابي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحدّث إلا بسوء ما يسمع ، كمثل رجل أتى راعياً فقال : يا راعي اجزر لي شاةً من غنمك، فقال له : اذهب فخذ بأذنِ خيرها شاةً ، فأخذ بأذن كلب الغنم .

شعر :

لعمرُك ما للعبد كالرب حافظ ولا مثل عقل المرءِ للمرءِ واعظُ
لسانك لا يلقيك في الغيّ لفظه فإنك مأخوذ بما انت لافظُ

ورويناه من حديث عبد العزيز بن عمر قـــال : حدثنا أبو محمد بن محمد القطواني ، ثنا عبد الجبار بن الحسن الخشنيّ ، ثنا محمد بن علي ، حدثنا محمـد ابن سليمان الحضرمي ، ثنا محمد بن العلاء ، ثنا معاوية بن سنان ، عن منصور ابن سعيد الحمصي ، عن يونس بن حبّان العسكري ، عن ابي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : يأتي على أمتي زمان تكثر فيه الآراء ، وتتبعُ فيـه الأهواء ، ويتخـــذ القرآن مزامير ، ويوضع على ألحان الأغاني ، يقرأ بغير خشية ، لا يأجرهم الله على قراءته ، بل يلعنهم . عند ذلك تهشّ النفوس الى طيب الألحان ، فتذهب حـلاوة القرآن . اولئك لا نصيب لهم في الآخرة . ويكثر الهرج والمرج ، وتخلعُ العرب أعنتّها ، وتكتفي الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، ويتخذون ضرب القضيب فيما بينهم فـلا ينكره منكر ، ويتراضون بـــه ، وهو من احدى الكبائر الخفية . فويل لهم من ديان يوم الدين ، لا تنالهم شفاعتي ، فمن رضي بذلك منهم ، ولم ينههم ندم بذلك يوم القيمة ، وأنا منه بريء ، وعندها تتخذ النساء مجالس ويكون الجموع الكثيرة حتى ان المرأة لتتكلم فيها مثل الرجال ، ويكون جموعهن لهواً ولعباً ، وفي غير مرضاة الله ، وهي من عجائب ذلك الزمان ، فإذا رأيتموهم فباينوهم ، وأحذروهم في الله ، فإنهم حربٌ لله ولرسوله ، والله ورسوله منهم بري .

ومن شذور الحكم :

افضل المعروف معونة الملهوف ، من تمام الكرم ان تذكر الخدمة لك . وتنسى النعمة منك ، وتفطن للرغبـــة اليك ، وتتعامى عن الجناية عليك ، ومن تمام المروءة ان تنسى الحق لـــك ، وتذكر الحق عليك . وتستكثر الاساءة منك ، وتستصغر الاساءة من غيرك اليك ، من احسن المكارم عفو

المقتدر وجود المفتقر ، احسن الادب مـا كفك عن المحارم وأحسن الاخلاق ما حثك على المكارم ، الكريم يكرم عن السؤال ، ويحلم عن الجهال .

ومن وصايا الله تعالى لنبيّة داود عليه السلام :

ما رويناه من حديث ابن ثابت ، قال : انبأ ابو الحسن احمد بن محمد بن احمد بن الصلت الاهوازي ، حدثنا ابو عبد الله محمد بن مخلد العطار ، ثنـ موسى بن هارون ، ثنا محمد يعني ابن نعيم بن هضيم قـال : سمعت بشراً عن ابن الحارث المشهور بالحافي يقول :

اوحى الله تعالى الى نبيّه داود عليه السلام: يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً فيصدّك بمكره عن طريق محبتي ، اولئك قطاع طريق عبادي .

حكمة بالغة وحجة دامغة :

روينا من حديث ابن ثابت قـال : ثنا عبد الرحمن بن فضالة ، ثنا احمد بن محمد بن اسمعيل ، ثنا ابو مطيع مكحول بن الفضل النسفي قال : قـال يحيى بن معاذ الرازي : مصيبتان للعبد لم يسمع الاولون والآخرون بمثلها في ماله عند موته. قال له : ما هي؟ قال : يؤخذ منه كله، ويسئل عنه كله .

وصية ابي بكر الصديق رضي الله عنه :

روينا من حديث ابي بكر احمد بن محمد الماروزي، حدثنا محمد بن عباس السامري ، ثنا مؤمن بن اسمعيل ، ثنا عبد الله بن ابي حميد ، عن ابي المليح ان ابا بكر رضوان الله عليه لمـــا حضرته الوفاة ارسل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال :

اني أوصيك بوصية ان انت قبلتها عني : إن لله عزّ وجلّ حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وإن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وانـه عز وجل لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة . واعلم ان الله عز وجل ذكر اهل الجنة بأحسن اعمالهم . فيقول القائل: أين يقع عملي في عمل هؤلاء؟ وذلك ان الله عز وجل تجاوز عن سيء اعمالهم ولم يثر به . واعلم ان الله عز وجل ذكر اهل النـار بأسوأ اعمالهم . ويقول قائل : انا خير من هؤلاء عملاً وذلك ان الله عز وجل ردّ عليهم احسن اعمالهم،فلم يقبله. ألم ترَ انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة في اتباعهم الحق في الدنيا ؟ وثقل ذلـك عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حق ان يثقل . ألم ترَ انما خفّت موازين مَن خفت موازينه في الآخرة في اتباعهم الباطل في الدنيا ، وخفّ ذلـك عليهم ؟ وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطلاً ان يخف . ألم ترَ ان الله عز وجل أنزل آية الرخاء عنـد آية الشدة ، وآية الشدة عند آية الرخاء ، لكي يكون العبد راغباً راهباً ، لا يلقي بيـــده الى التهلكه ، ولا يتمنى على الله غير الحق . فإن انت حفظت وصيتي ، فلا يكونن غائب احب اليك من الموت ، ولا بد لك منه . وان انت ضيّعت وصيتي هـــذه فلا يكونن غائب ابغض اليك من الموت ، ولن تعجزه .

وروينا من حديث محمد بن يوسف بن بشر ، حدثنا الفضل بن العباس بن ابي العباس الزيّات،ثنا زكريا بن يحيى بن صبيح، ثنا ابو بكر محمد الواسطي، ثنا الهيثم بن محفوظ ابو سعد النهدي ، ثنا هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت :

كتب ابو بكر رضي الله عنه وصية :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به ابو بكر بن ابي قحافة ، عند

خروجه من الدنيا ، حين يؤول الكافر ، ويتقي الفاجر ، ويصدق الكاذب ، اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن يعدل فذلك ظني بـه ، ورجائي فيه ، وان يجر ويبدّل فـلا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

قال ابو سليمان : والذي كتب وصية ابي بكر عثمان بن عفّان رضوان الله عليهم اجمعين .

غزوة عبد الله بن جحش الاسدى :

قال الله تعالى : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه » .

روينا من حديث الواحدي ، قـال : أنبأ ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم ، أنبأ محمد بن عبد الله بن زكريا ، أنبأ محمد بن عبد الرحمن ، أنبأ ابو بكر بن ابي خيثمة ، أنبأ ابراهيم بن المنذر ، أنبأ محمد بن فليح ، عن موسى ابن عقبة ، عن ابن شهاب ، قال : هـذا كتاب مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها يوم بدر في رمضان سنة اثنين .

ثم قاتل يوم أُحد في شوال سنة ثلاثٍ .

ثم قاتل يوم الخندق في شعبان سنة خمسٍ .

ثم قاتل يوم خيبر في سنة ستٍ .

ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمانٍ .

وقاتل يوم حنين .

وحصر اهل الطائف في شوال سنة ثمان

قال الواحدي: أول قتال كان بين المسلمين والمشركين كان في غزوة عبدالله ابن جحش التي نزل فيها قوله : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية » وذلك ان رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمة المدينة . وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين : سعد بن ابي وقاص ، وعكاشة بن محصن ، وعيينة بن غزوان ، وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسهيل بن بيضاء ، وعامر بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله ، وخالد بن بكر .

وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتاباً ، وقال: سر على اسم الله ، ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ، فاذا نزلت ، فافتح الكتاب ، واقرأه على اصحابك ، ثم امض لما أمرتك ، ولا تستكرهن احداً من اصحابك على السير معك .

فسار عبد الله يومين ، ثم نزل ، وفتح الكتاب ، فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد ، فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل ببطن نخلة ، فترصد بها عير قريش ، لعلك ان تأتينا منه بخير .

فلما نظر عبد الله في الكتاب وقال : سمعاً وطاعة ، ثم قال لأصحابه ذلك ، وقال : انه قد نهاني ان أستكره احداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فاني ماضٍ لأمر رسول الله ﷺ .

ثم مضى ومعه اصحابه لم يتخلف عنه احد منهم ، حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقول نجران أضلّ سعد بن ابي وقاص ، وعيينة بن غزوان ، بعيراً

لهما كانا يتعقبانه . واستأذنا أن يتخلفا في طلب بعيرهما ، فأذن لهما ، فتخلف في طلبه ، ومضى عبد الله يتبعه اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة ، بين مكة والطائف . فبينا هم كذلك إذ مرّت بهم عيرُ قريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة الطائف ، فيهم عمرو بن الحضرمي ، والحكم بن كيسان ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، ونوفل بن عبد الله المخزومي . فلما رأوا اصحاب رسول الله ﷺ هابوهم . فقال عبد الله بن جحش : إن القوم قد ذعروا منكم ، فاحلقوا رأس رجل منكم فليعرض لهم ، فإذا رأوه محلوقاً آمنوا . وقالوا : قوم عمّار لا بأس عليكم ، فحلقوا رأس عكاشة ، ثم أشرف عليهم ، فقالوا : قوم عمّار لا بأس عليكم ، فأمنوهم . وكان ذلك في آخر يوم من جمادي الآخرة . وكانوا يريدون انه من جمادي الآخرة . وكانوا يرون انه من جمادي وهو رجب . فتشاور القوم فيهم وقالوا : لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، وليمتنعنّ منكم . فأجمعوا أمرهم في مواقفة القوم . فرمى واقد بن عبدالله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله،وكان اول قتيل من المشركين. واستأثر الحَكَم ، وعثمان ، فكانا أول اسيرين في الإسلام . وأفلت نوفل فأعجزهم، واستاق المسلمون العِيَر والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فقال المشركون[1] : قد استحلّ محمد الشهر الحرام، فشهر يأمن فيه الخائف، ويندعر فيه الناس لمعاشهم ، فسفك فيه الدماء وأحلّ فيه الحرام . وعيّر بذلك اهل مكة من كان فيها من المسلمين ، وقالوا : يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام ، وقاتلتم فيه . وتفاءلت اليهود بذلك ، وقالوا : واقد وقدت الحرب ، وعمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب . فبلغ ذلك

---

(١) نسخة ٢ : فقالت قريش .

رسول الله ﷺ ، فقال لابن جحش وأصحابه : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام . ووقف العير ، والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ، وعظم ذلك على اصحاب السريّة، وظنوا أن قد هلكوا، وسقط في ايديهم . فقالوا: يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي، ثم أمسينا فرأينا الهلال ، فإذا هو هلال رجب ، فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادي ، وأكثر الناس في ذلك . فأنزل الله هـــذه الآية : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتـال فيه » الآية ، فأخذ ﷺ العِيَر ، فعزل منها الخمس ، فكان اول خمس في الإسلام ، وقسم الباقي بين اصحاب السرية ، فكان اول غنيمة في الإسلام . وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم ، فقال ﷺ : بل نقفهم حتى يقدم سعد بن ابي وقـاص ، وعتبة ، فإن لم يقدما قتلناهما . فلما قدما فداهما .

فأما الحكَم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة ، فقتل يوم بئر معاوية شهيداً .

وأما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافراً .

وأما نوفل فضربَ فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فتحطم فيه فمات. وطلب المشركون جثته بالثمن . فقال رسول الله ﷺ : خذوه، فإنه خبيث الجيفة ، خبيث الدم . اه والحمد لله وحده .

حكم :

مَن حفر لأخيه كان حتفه فيـــه . ومَن حفر لأخيه بئراً اوقعه الله في بئره . ومن أساء عليه تدبيراً جعل هلاكه في تدبيره . ومن أبدى سرّ أخيه أبدى الله اسرار مساويه . ومن جـــار حكمه أهلكه ظلمه . ومن جارت قضيته ، ومن ساء اختياره قبحت آثاره . من قلّ اعتباره قلّ استظهاره .

من بغى على أخيه قتله بغيه . ومن جرى في مساويه كبا جريه . من خادع الله خُدع . ومن صارع الحق صُرع . من ساء عقده سرّ فقده . من امكن من مظلوم زال إمكانه . ومن أحسن الى ظلوم بَطل إحسانه . من جار في سلطانه صغّره . ومن منَّ في إحسانه كدرّه . من تعدّى على ذويه تناهى في ظلمه وتعديه . من بخل على اهله لم يتصل به تأميل . ومن أساء الى نفسه لم يتوقع منه جميل . من احسن المملكة آمن الهلكة . من أشفق على سلطانه أقصر عن عدوانه . من ظلم يتيماً ظلم اولاده . ومن أفسد امرأة [1] أفسد معاده . من أحب نفسه اجتنب الآثام . ومن رحم ولده رحم الايتام . افضل الملوك من احسن في فعله ونيته ، وعدل في جنده ورعيته . اعظم الملوك مَن ملك نفسه وبسط عدله . من سلّ سيف البغي أغمده في رأسه . ومن استنّ اساس الشر أسسه على نفسه . أقبح الأشياء سخف الولاة ، وظلم القضاة ، وغفلة الساسة ، وحسد السادة . ومَن جانب الأخيار أساء الاختيار . ومن ركب البغي لم يأمن مغبّته . ومن نكب عن الحق لم تحمد عاقبته . النميمة دناءة ، والسعاية رداءة ، وهما أُسّ الغدر ، وأساس الشر ، فجنّب سُبلها ، وتجنب اهلها . مَن لم يرحم العبرة ، منع الرحمة . ومن لم يقل العثرة ، سلب القدرة .

بناء عبد الملك بن مروان قبة الصخرة :

روينا من حديث الواسطي قال : نبأ عمر بن الفضل بن المهاجر ، عن ابيه ، عن الوليد بن حماد الرملي ، نبأ ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن

(١) نسخة ٢ : امره .

منصور بن ثابت بن الاستاذ ، نبأ ابو محمد بن منصور ، عن جده ثابت ، عن رجاء بن حَيَوَة ويزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من اهل بيت المقدس : ان عبد الملك بن مروان حين همّ ببناء الصخرة ، ومسجد بيت المقدس ، قدم من دمشق الى بيت المقدس ، وبث الكتب في جميع عمله كله الى جميع الامصار : ان عبد الملك أراد ان يبني قبة على الصخرة ، صخرة بيت المقدس تكنُّ المسلمين من الحر والبرد ، والمسجد . فكره ان يفعل ذلك دون رأي رعيته ، فلتكتب الرعية برأيهم ، وما هم عليه . فوردت الكتب عليه : ان امير المؤمنين رأيه موفق رشيد ، نسأل الله ان يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ، ويجري ذلك على يديه ، ويجعله مكرمة ، ولمن مضى من سلفه . فجمع الصنّاع من جميع عمله كله . وأمر ان يصنعوا له صفة القبة وسمتها من قبل ان يبنيها . فعُملت له في صحن المسجد ، وأمر ان يبني بيتاً للمال في شرقي الصخرة ، وهو الذي فوق حرف الصخرة ، فأشحن بالأموال ، ووكل على ذلك رجاء بن حَيوة ، ويزيد بن سلام على النفقة عليها ، وأمرهم ان يفرغوا المال عليها افراغاً ، دون ان ينفقوه انفاقاً . فأخذوا في البناء والعمارة حتى أحكم وفرغ من البناء ، ولم يبق لمتكلم فيها كلام . كتب اليه بدمشق :

قد أتم الله ما أمر به امير المؤمنين من بناء صخرته ، والمسجد الاقصى . ولم يبق لمتكلم فيها كلام ، وقد تبقى مما امر به امير المؤمنين من النفقة عليها بعد ان فرغ من البناء ، وأحكم مائه الف دينار ، فيصرفها امير المؤمنين في أحب الأشياء اليه .

فكتب اليهما : قد امر امير المؤمنين لكما جائزة لما وليتما من عمارة ذلك البيت الشريف المبارك .

فكتبا : نحن أولى ان نزيده من حليّ نسائنا، فضلاً عن أموالنا، فاصرفها في أحبّ الأشياء اليك .

فكتب اليهما : تسبك، وتفرغ على القبة، فما كان احد يقدر ان يتأملها ، مما عليها من الذهب . وهيأ لها جلالين : جلال من لبود ، وجلال من اديم ، من فوقه . فاذا كان الشتاء أُلبسته ليكنّها من الامطار، والرياح ، والثلوج .

وكان رجاء بن حيوة ، ويزيد بن سلام قد حفوا الحجر [1] بدرابزين سامم ، وخلف الدرابزين ستور ديباج مرخاة بين العُمد . وكان في كل اثنين، وخميس ، يأمرون بالزعفران ان يدق ويطحن ، ثم يعمل من الليل بالمسك ، والعنبر ، والماء الورد الجوري ، ويخرّ من الليل ، ثم يأمر الخدّام بالغداة فيدخلون حمام سليمان بن عبد الملك ، يغتسلون ، ويتطهرون ، ثم يأتون الخزانة التي فيها الخلوف ، فتلقى أثوابهم عنهم ، ثم يخرجون بأثواب جدد من الخزانة ، مروي ، وفوهي ، وشيء ، يقال له العصب ، ويخرجون منها مناطق محلّاة ، ويشدون بها اوساطهم ، ثم يأخذون الخلوف ، ويأتون الصخرة، فيلطخون ما قدروا ان تناله أيديهم حتى يغمروها كلها . وما لم تنله ايديهم ، غسلوا اقدامهم ، ثم يصعدون على الحجر [2] حتى يلطّخون ما بقي ، ثم ترفع آنية الخلوف ، ويؤتى بمجامر الذهب ، والفضة ، والندّ ، والعود القماري المطرى بالمسك ، والعنبر ، فترخى الستور حول العمُد كلها . ثم يأخذون في البخور حولها يدورون حتى يحول البخور بينهم وبين القبة من

(١) نسخة : الصخرة .

(٢) نسخة : الصخرة .

كثرته ، ثم تشمر الستور ، فيخرج البخور يفوح من كثرته حتى يبلغ رأس السوق ، فيشمّ الريح من ثمّ ، فيقطع البخور من عندهم . ثم ينادي منادي في صفّ البزازين وغيرهم : ألا أن الصخرة قد فتحت للناس، فمن اراد الصلاة فيها فليأت . فيقبل الناس مبادرين للصلاة في الصخرة . فأكثر من يدرك أن يصلي ركعتين ، وأكثره اربعاً .

ثم يخرج الناس ، فمن شمّوا رائحته قالوا : هذا ممن دخل الصخرة . ويغسل أثر اقدامهم بالماء ، ويمسحُ بالآس الأخضر ، وينشف بالشباني ، والمناديل ، وتغلق الابواب، وعلى كل باب عشرة من الحجبة ، ولا يدخل إلا يوم الاثنين ، والخميس ، ولا يدخلها إلا الخدام . قال : فكنت اسرجها في خلافة عبد الملك كلها باللبان المدنيّ ، والزيبق الرصاصي ، فكان الحجبة يقولون له : يا ابا بكر مرْ لنا بقنديل ندهنُ به، ونطيّب به . وكان يجيبهم الى ذلك . فهذا ما كان يفعل بها في خلافة عبد الملك كلها . وكانت الأبواب ملبسةّ ذهباً ، وفضة ، صفائح الأبواب .

فلما قدم ابو جعفر ، وكان شرقيّ المسجد وغربيّه ، قد وقع، فرفع اليه : يا امير المؤمنين ، قد وقع شرقيّ هذا المسجد وغربيّه . وكانت الرجفة سنة ثلاثين ومائة . فقالوا له : لو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته . فقال : ما عندي شيء من المال. فأمر بقلع الصفائح الذهب والفضة التي على الابواب. فضربت دنانير ودراهم ، وأنفق عليها . فلما فرغ منه كانت الرجفة الثانية ، فوقع البناء الذي أمر به ابو جعفر .

فلما قدم المهدي من بغداد ، وهو خراب ، فأمر ببنائه وقال : انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه ، فتمّ البناء في خلافته . وأمر ببناء الكنيسة التي تهدمت الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، بأمر المهدي .

هكذا روينا من حديث الرملي ، عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت، وكان بين القبتين ، من القبة الى القبة كلاليب حديد، وعوارض حديد فقلعها ابي لابن ابي يحيى . قال : وكانت الصخرة ايام سليمان بن داود ارتفعها اثنا عشر ذراعاً ، كل ذراع ذراعٌ وشبرٌ وقبضة . وكان عليها قبة من العود اليلنجوج ، عود مندليّ ، وارتفاع القبة ثمانية عشر ميلاً ، وفوق القبة غزال من ذهب، في عينه درة حمراء ، تقعدُ نساء اهل البلقاء يغزلون على ضوئه . وكانت اهل عمواس يستظلون بظل القبة اذا طلعت الشمس ، واذا غربت استظل اهل بيت الرامة من الغور بظلها . وكان ولد هارون عليه السلام يجيئون الى الصخرة ، ويسمونها : الهيكل ، بالعبرانية . وكانت تنزل عليهم عين زيت من السماء فتدور في القناديل فتملأها من غير ان تمسّ .

وكانت تنزل نار من السماء في مثال سبُع على جبل طور سيناء ، ثم تمتد حتى تدخل من باب الرحمة ، ثم تصير على الصخرة . فيقولون ولد هارون : يا أدوناي ، وتفسيرها : تبارك الرحمن لا إله إلا هو . فغفلوا ذات ليلة عن الوقت الذي كانت النار تنزل فيه ، فنزلت وليس هم حضور . ثم ارتفعت النار ، فجاؤا ، فقال الكبير للصغير : يا اخي قد كتبت الخطيئة ، ليس ينجينا من بني اسرائيل ، ان تركنا هذا البيت الليلة بلا نور ، ولا سراج . فقال الصغير للكبير : تعال حتى نأخذ من نار الدنيا ، فنسرج القناديل ، لئلا يبقى هذا البيت الليلة بلا نور ولا سراج . وأخذوا من نار الدنيا ، وأسرجوا، فنزلت عليهم النار في ذلك الوقت، فأحرقت نار السماء نار الدنيا، وأحرقت ولد هارون .

قال : فناجى نبي ذلك الزمان فقال : يا رب احرقت ولد هارون وقد علمت مكانهم . فأوحى الله عز وجل اليه : اني هكذا أفعل بأوليائي اذا

عصوني ، فكيف بأعدائي ؟

قـــال : فكان في زمان بني اسرائيل اذا اذنب احدهم الذنب كتب على جبينه خطيئته، وعلى عتبة بابه : ألا ان فلاناً قد اذنب في ليلته كذا وكذا. فيبعدونه ، ويزجرونه ، فيأتي الى باب التوبة ، وهو الباب الذي عند محراب مريم عليها السلام ، الذي كان يأتيها رزقها منه ، فيبكي فيـه ، ويتضرع ، ويقيم حيناً . فإن تاب الله عليه محا ذلك عن جبينه ، فيقربه بنو اسرائيل ، وإن لم يتب عليه أبعدوه وزجروه .

وبه الى عبد الرحمن بن محمد يبلّغ به كعباً قـال : مكتوب في التوراة أشيروا شلائم ، وهي بيت المقدس ، والصخرة يقال لهـا : الهيكل . ابعث اليك عبدي الملك يبنيك ويزخرفك .

وبه الى عبد الرحمن قال : سمعت من يحكي عن خليل انه غلب عليه النوم ذات ليلة عن يمين الصخرة ، فانتبه ، والنـاس قـد انصرفوا ، والموضع خال ليس فيه احد . فقام يطفىء القناديل ، والابواب مفتّحة ، فاذا بسبع من نار واقفاً على حاجز الصخرة يتوقد ناراً . قال : فطاش عقلي ، وقـام شعر بدني ، وهبتُ ، ثم حملت نفسي على الصبر، وجعلت أُطفىء القناديل ، وهو يدور معي بحذائي على الحاجز حتى جئت الى الباب القبلي، فلما أغلقته وثب، ففرق عند المنارة ، ولا لي به عهد ، فأقمت سنة ما هدىء روعي .

ومن باب النسب ، قال العباس بن الاحنف :

إني وجدت الهوى في الصدر إذ ركدا كالنار بل زاد جوف الصدر متّقدا
النار تطفى ببرد الماء ان ضرمت ولو ضربت الهوى بالماء ما بردا

وقال بعضهم :

اذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلتُ نحو سقاء القوم أبتردُ
هذا يبرّد بردُ المـاء ظاهره فمن لحرٍّ على الاحشاء يتـّقد

وفي ذلك لابن الرومي :

بعيني دموعٌ لو جرين بقفرة لأضحت بقاع الارض من مائها وحلا
وفي القلب نارٌ لو تصبُّ على الورى لمات جميع الناس واحترقوا كلّا

وله :

يا مُوقد النار قد هيّجت أشجانا ولم أطق للذي هيّجت كتمانا
أوقدت ناراً على علياء واحدة وأوقد الشوق في الاحشاء نيرانا

وله ه :

يا مُوقد النـــار يذكيها ويخمدها بردُ الشتاء بأرياح وأمطارِ
قم فاصطلي النار من قلبي مضرّمة بالشوق تغنَ بها يا موقد النار
ويا اخا الذود قد طال الظماء بها لم تدرِ ما الرأي في جدب واقتار
رد بالظباء على عيني ومحجرها تروي الظباء بدمع مسبل جاري
يا مُزمع البين ان جدّ الرحيل فلا كان الرحيل فإني غير صبّار

ولنا من النظاميات :

رعى الله طيراً على بانةٍ قد أفصح لي من صحيح الخبرْ
بأن الاحبّة شدّوا على رواحلهم ثم راحوا سحر
فسرتُ وفي القلب من أجلهم جحيمٌ لبينهم تستعر

أتابعهم في ظـــلام الدُّجى | أنادي بهم ثم أقفو الاثر
ومالي دليـــلٌ عـلى اثرهم | سوى نفس من هواه عطر
رفعن السِّجاف أضاء الدجا | فسار الركاب لضوء القمر
وأرسلت دمعي أمام الركاب | فقالوا متى سال هـذا النهر
ولم يستطيعوا عبوراً له | فقلتُ دموعي جرين درر
كأن الرعود لمع البروق | وسير الغمام لصوب المطر
وجيبُ القلوب لبرق الثغور | وسكب الدموع لركب النَّفر
فيا مَن يشبّه لين القدود | بلين القضيب الرطيب النظر
ولو عكس الامر مثل الذي | فعلت لكان سليم النظر
فلين الغصون للين القدود | وورد الرياض لورد الخفر

خبر إلهي :

روينا من حديث مسلم قال:نبأ عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدرامي قـــال : نبأ مروان يعني ابن محمد الدمشقي ، نبأ سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن ابي ادريس الخولاني ، عن ابي ذر ، عن النبي ﷺ ، فيما روي ، عن الله تعالى انه قال :

« يا عبادي إني حرَّمتُ الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرَّماً فـــلا تظالموا » .

« يا عبادي كلكم ضالّ إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم » .

« يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم » .

« يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم » .

« يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهـــار ، وأنا اغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم » .

« يا عبادي انكم لن تبلغوا ضرّي ، فتضرّوني ، ولن تبلغوا نفعي ، فتنفعوني » .

« يا عبادي لو أن أوّلكم ، وآخركم ، وانسكم ، وجنّكم، كانوا على أتقى قلب رجل منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً » .

« يا عبادي لو أن اولكم ، وآخركم ، وإنسكم ، وجنكم ، كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً » .

« يا عبادي لو أن اولكم ، وآخركم ، وإنسكم ، وجنكم ، قاموا في صعيد واحدٍ ، فسألوني ، فأعطيت كل انسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر » .

« يا عبادي إنما هي اعمالكم احصيها لكم، ثم اوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » .

روينا من حديث الخرائطي قال : نبأ علي بن داود القنطري، نبأ عبدالله ابن صالح ، نبأ الليث بن سعد ، عن حميد الطويل ، عن مطرف بن عبد الله ابن الشخير قال :

خرجت الى الربيع في زمانه ، وكنت ادخل الى الجمع لشهودها . وكان طريقي على المقبرة ، قـــد خلتُ يوماً فإذا بجنازة ، فقلتُ : لو اغتنمت شهودها فصليتُ عليها ، ثم صليت ركعتين خفيفتين لم اتقنهما ذلك الاتقان في نفسي ، ثم اضطجعت الى جانب قبر فـإذا صاحب القبر يقول : اليك عني ،

فإنكم قومٌ تعملون ، ولا تعلمون ، ونحن قوم نعلم ولا نعمل . صليت ركعتين خفيفتين لم تتقنهما في نفسك ذلك الاتقان . قلت : نعم ، قال : ما سرّني ان الدنيا بحذافيرها لي بهما . قلت : فمن ها هنا ؟ فقال : كل مسلم . وكل قد نال خيراً .

وبـه قال : نبأ علي بن داود ، نبأ عبد الله بن صالح ، نبأ يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن ابي عمرو ، عن سعيد بن ابي سعيد المقبري ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

قال الله عزّ وجل : ان عبدي المؤمن بمنزلة كل خير عندي يحمدني وأنا أنزع نفسه من بين جنبيه .

وبـه قال عبد الله بن صالح : نبأ معاوية بن صالح ، عن يحيى بن جابر الطائي ، عن ابي عائد الازدي انه قال :

اتيتُ بيت المقدس ، انا ، وعبد الله بن عائد ، فجلسنا الى عبد الله بن عمرو ، فسمعته يقول : ان القبر يكلم العبد إذا وضع فيه يقول : يا ابن آدم ما غرّك بي ؟ ألم تعلم اني بيت الوحدة ؟ ألم تعلم اني بيت الظلمة ؟ ألم تعلم اني بيت الحق ؟ يا ابن آدم ما غرك بي وكنت تمشي حولي فداداً ؟ قال ابن عائد: فقلت لغضيف : ومـا الفداد يا ابا اسماء ؟ قال : كبعض مشيتك يا ابن اخي احياناً . قال غضيف : فقال صاحبي ، وكان اكبر مني لعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمناً فماذا له ؟ قال : ذاك يوسع له في قبره ، ويجعله منزلة خضراء ويعرج بنفسه الى الله تعالى .

روينا من حديث ابن ثابت قـال : انا ابو العباس الفضل بن عبد الرحمن

الابهري ، نبأ محمد بن ابراهيم بن علي قـال : انشدنا عبد الله بن رستم قال : قال رؤي على قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله مكتوب :

الموت بحرٌ موجه غالب   يذهب فيه حيله السابح
لا يصحبُ المرء الى قبره   إلا ألتقي والعمل الصالح

وبه قال : انا محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد ، نبأ جعفر بن محمد الخالدي نبأ احمد بن محمد بن مسروق قال :

انشدني بعض اصحابنا :

اجعل تلادك في المهم   من الامور إذا اقتربْ
لا تسه عن أدب الصغيـ   ـر وإن شكا ألم التعب
وذر الكبير فإنــــه   كبر الكبير عن الأدب
لا تصحب الصلف المريـ   ـب فقربه احد الريب
وأعلم بأن ذنوبـــه   تعدي كما يعدي الجرب

وبه قال : أنا عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بشران ، نبأ محمد بن الحسين الأجري ، نبأ العباس بن يوسف الشملى ، نبأ محمد بن الحسين بن العلاء البلخي قال : سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول :

يا ابن آدم طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له اليها ، والدنيا قـد كفيتها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطلب منك تنالها : فاعقل وشأنك .

وبـه قال : سمعت ابا علي بن فضالة النيسابوري يقول : سمعت بقية ابن علي الآمدي يقول : سمعت ابا الحسن الحضري يقول :

لا يغرّنكم صفاء الاوقات ، فإن تحتها آفات ، ولا يغرّنكم العطاء ، فإن العطاء عند اهل الصفاء مقت .

روينا من حديث ابن الواسطي قال : نبأ عيسى بن عبد الله ، انا علي بن جعفر ، نبأ محمد بن ابراهيم بن عيسى ، نبأ محمد بن النعمان ، نبأ سليمان بن عبد الرحمن ، نبأ ابو عبد الملك الجزري ، قال : علّم الله تعالى سليمان منطق الطير ، وعلّمه منطق الهوام . وكان له من النساء الحرائر سبعمائة وثلاثمائة سرّية . فلما خلا من سليمان سنون بدأ في بناء بيت المقدس ، فبلغ عدة من يعمل معه في بناء بيت المقدس الف رجل ، عليهم قطعُ الخشب ، وبلغ عدّة البنائين في كل شهر عشرة آلاف رجل ، وبلغ عدة الذين يعملون في الحجارة عشرة آلاف رجل ، وبلغ عدة الذين يقومون عليهم ثلاثمائة امين .

فلما بناه ، وزيّنه ، كما أحب من الذهب والفضة ، والأبواب المونقة ، صنع له مائة سُكرة من الذهب ، في كل سُكرة عشرة ارطال ، وأولج فيه تابوت موسى وهارون ، وأنزل الله عز وجل عليه الغمام ، وصلى سليمان عليه الصلاة والسلام فيه ، ودعا ربه ، فقال : يا رب امرتني ببناء هذا البيت الشريف ، يا رب فلتكن يدك عليه الليل والنهار . وكل من جاءك يبتغي منك الفضل، والمغفرة، والنصر، والتوبة ، والرزق ، فاستجب له من قريب او بعيد .

وكان سليمان عليه السلام قد فرش ارض المسجد بالذهب والفضة : بلاطة من هذا ، وبلاطة من هذا . فلما جاء بختنصر خرّبه ، واحتمل منه ثمانين عجلة ذهباً وفضة ، وطرحه برومية . ولا تعجب من هذا فإن الذي حمل الى الوليد لما فتحت الاندلس من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الى ذلك من الاحجار النفيسة ، دون الذهب والفضة مائة عجلة وثمانية عشر عجلة .

وأما ابن اسمانوس ، فإنه لما غزا بني اسرائيل ، وسبى حلي بيت المقدس احرق منه ما احرق ، وحمل منه في البحر الفاً وسبعمائة سفينة حلياً ، حق أورده رومية .

اخبر بذلك حذيفة بن اليمان ، عن رسول الله ﷺ قـــال : ليستخرجن المهدي ذلك حق يؤديه الى بيت المقدس ، ثم يسير المهدي ومن معـه حق يأتوا مدينة يقال لها : القاطع ، وهي على البحر الاخضر المحيط ، ليس شيء خلفه إلا أمر الله عز وجل ، طول تلك المدينة الف ميل ، وعرضها خمسمائة ميل ، لها ثلاثة آلاف باب .

حدثنا بهذا الحديث جماعة ، عن القاسم بن علي الشافعي ، عن ابي القاسم السوسيّ ، عن ابراهيم بن يونس المقري ، عن عبد العزيز النصيبي ، عن محمـد ابن احمد ، عن عيسى بن عبد الله ، عن علي بن جعفر الرازي ، عن محمـد بن سليمان بن مسكين بصُور ، عن اسحـاق بن زريق بن سليمان ، عن سليمان ، عن عثمان بن عبـــد الرحمن القرشي ، عن يزيد بن عمر ، عن منصور ، عن ربعي ، بن خراش ، عن حذيفة بن اليمان .

اقوال حسان في الحنين الى الاوطان :

فمن ذلك : الكريم يحنّ الى احبابه ، كما يحنّ الأسد الى غابـه . ارض الرجل ظئره ودار مهده . والغريب النائي عن بلده المتنحي عن اهله كالثور النـــادّ عن وطنه ، الذي هو لكل سبع فريسة ، ولكل رامٍ قنيصة . وقد قيل :

اذا ماذكرتُ الثغر فاضت مدامعي   وأضحى فؤادي نهبـة للهماهمِ
حنيناً الى الأرض الذي اخضرّ شاربي   وحُلت بهـا عني عقودُ تمائمي
وألطف قومٍ بالفتى اهل ارضه   وأرعاهم للمرء حـق التقـادم

وقد قيل :

يقرّ لعيني أن أرى من مكانه ذرى عطفات الأجرع المتعاقدِ
وإن أرد الماء الذي عن شماله طروقاً وقد ملّ السرى كل واحد
والصق احشائي ببرد ترابـه وإن كان مخلوطاً بسمّ الأساود

ومن قول ابي العباس بن الأحنف فيمن ظفر وعفّ :

أتأذنون لصَبّ في زيارتـكم فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمرُ السوء إن طال الجلوس به عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

وأنشدني في هذا الباب ابو عبد الله القسطنطيني المذكر وعزاه للعباداتي :

الحمـــد لله على انـني قد تبتُ إلا من وجوه ملاح
ما بقيت فيّ سوى نظرة فاسقة باطنهـا من صلاح

وأنشدني قاسم بن مرتين لبعضهم :

وما يستوى الصّابي ومن ترك الصبا وأن الصبا للعيش لولا العواقب
وللرب مني جانبٌ لا أضيعه وللّهو مـني والبطالة جانب

وأنشدني علي بن طاب الريح القبائلي :

أحبك حباً لا أعنّف بعده محباً ولكني اذا ليمَ عاذرهُ
أحبكِ يا سلمى على غير ريبةٍ ولا بأس في حب تعف سرائره

أنشدت هذين البيتين لمن كان لي بها غرام ، فلما سمعت قولي :

أحبكِ يا سلمى على غير ريبةٍ ، قالت : ان كنت تقـدر سرعة من غير بطء .

وأنشدني علي بن جابر في مجلسه :

تفني اللذاذة ممن نال صفتها　　من الحرام ويبقى الإثم والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مغبّتها　　لا خير في لذة من بعدها النـــار

ومن هذا الباب ما تمثل به عبد الله بن الحسن الذي وصله السفّاح لما ولي الخلافة بألفي الف :

انسٌ غرائر ما هممن بريبةٍ　　كظباء مكة صيدهنّ حرامُ
يُحسبن من طيب الكلام زوانياً　　ويصدّهن عن الخِنا الاسلام

ومن باب الاخبار النبوية :

ما رويناه من حديث عبد العزيز بن عمر ، نبأ محمد بن الحسن بن منصور ، نبأ عبد العزيز احمد الحلواني ، نبأ ابو الحسين بن علي بن الحسين ، نبأ ابراهيم ابن محمد بن خلف ، نبأ احمد بن محمد العجلي ، نبأ عبد الله بن عبيد الله ، نبأ القاسم بن الفرج ، نبأ ابو الاسود النضر بن عبد الجبار ، نبأ ابو المغيرة المكي ، عن رجل من ولد الزبير اسمه محمد بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة قالت :

قال رسول الله ﷺ :

من كفّ غضبه كفّ الله عذابه ، ومَن خزن لسانه ستر الله عورته ، ومَن اعتذر الى الله قبل الله معذرته .

خبر آخر :

من حديثه ايضاً، عن ابن المغيرة ميمون بن محمد بن معتمد المكحولي ، عن ابي طاهر محمد بن نصر القلانسي ، عن ابي نصر احمد بن محمد ، عن عيسى بن

الحسين ، عن خلف بن سليمان ، عن محمد بن سليمان القرشي ، عن ابراهيم ، عن انس بن مالك قال :

قال رسول الله ﷺ :

انك لا تتصدق عن ميتك بصدقة حتى يجيء بهـا ملك من الملائكة على طبق من نور ، ويقوم على رأس قبره ، وينادي : يا صاحب القبر الغريب ، اهلك أهدوا لك هذه الهدية ، فينفسح له في مدخله في قبره ، ويُنوّر له . قال : فيقول : جزى الله عني اهلي خيراً . قال : ولزيق ذلـك القبر صاحبه يقول : ألم أخلـّف انا المال ؟ ألم أخلـّف المال ؟ قال : فهو مهموم ، والذي أهدي اليه فرح مسرور .

وبه الى ابي المعتز ايضاً : نبأ احمد بن محمد النسفي ، عن ابي سهل محمد بن عبد الرحمن الشيباني ، عن ابي بكر احمـد بن جعفر ، نبأ الحسين بن عمر بن ابي الاخوص ، عن محمد بن العلاء، عن الحسن بن عطية ، عن سوار الهمداني، عن زياد ، عن محمد بن الحنفية وهو ابن احمـد بن محمد الاسماعيلي ، عن ابي الفضل محمد بن عبد الملك ، نبأ ابو حفص احمد بن محمد المقري ، نبأ ابو سعيد الخليل بن احمد الشجري ، نبأ ابو العروبة الحسن بن ابي معشر الحرّاني ، نبأ ابو المسيّب بن الواضح ، نبأ بقية بن الوليد ، عن ورقا بن عمر ، عن ابي الزناد ، عن الاعرج ، عن ابي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ :

اذا صلى العبد في الخلاء فأحسن ، وصلى في الملأ فأحسن ، قـال الله عزّ وجلّ : « أنت عبدي حقاً » .

حِكم جوامع لضروب من المنافع :

مَن رقى في درجات الهمم عظم في أعين الامم . مَن بــذل فلسه صان نفسه . مَن بسط يده العطاء استنبط لسان الثناء . مَن كبرت همته كثرت قيمته . مَن كرُم خلقه وجب حقــه . مَن أساء خُلقه ضاق رزقه . مَن أجاب السفيه سَفه . مَن سكت عن جوابه نبه .

شعر :

اذا نطق السفيه فـلا تجبه — فخيرٌ من اجابته السكوتُ
سكتُ عن السفيه فظنّ أني — عييت عن الجواب وما عييت
ولكني اكتسيت بثوب حلمٍ — وجُنّبت السفاهة ما بقيت

مَن قابل السخيف سخف ، ومن كرم عن مقابلته شرُف . مَن قــال الحق صدق ، ومن عمل به وفق. من صدق في مقاله زاد في جماله . من هان عليه المال ، توجهت اليه الآمال . من بسط راحته ، آنس ساحته . من بذل ماله استحمل ، ومن بذل جاهه استعبد . من جاد بماله جلّ ، ومن جــاد بعرضه ذلّ . من أحسن الى جاره ، زاد في استظهاره . من طمع في جاره، زهد في جواره . أحسن الجدّ ما كان عند التعب ، وأحسن الصدق ما كان عند الغضب . خير الاموال ما قضى اللوازم ، وخير الاعمال ما بنى المكارم . خير المال ما اخذته من الحلال ، وصرفته في النوال ، وشر المــال ما اخذته من الحرام ، وصرفته في الآثام . المواساة افضل الاعمال ، والمداراة أجمـل الخصال . يستدلّ على عقل الرجل بقوله ، وعلى اصله بفعله ، فمــا أفحش حكيماً ، إلا اوحش كريماً . إياك وفضول الكلام ، فإنهــا تخفي فضلك ، وتوكس قدرك .

خبر نبوي بتلطف إلهي :

روينا من حديث ابن ثابت ، نبأ ابو الحسن احمد بن محمد بن احمد بن موسى بن هارون بن الصلت الاهوازي ، نبأ ابو عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملي ، نبأ مسلم بن جنادة ، نبأ معاوية ، عن الاعمش ، عن ابي صالح ، عن ابي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : انا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني . فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسه ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن اقترب اليّ شبراً اقتربت منه ذراعاً ، وان اقترب اليّ ذراعاً اقتربت اليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة .

ومن حديث ابن ثابت في باب الفراسة :

حدثنا يونس بن يحيى بن ابي البركات القصّار نزيل مكة ، نبأ الفضل ابن يوسف ، نبأ ابو بكر بن ثابت الخطيب ، نبأ ابو الحسن علي بن احمد بن نعيم الجارود البصري قال : سمعت علي بن احمد بن عبد الرحمن الفهري الاصبهاني يقول : سمعت احمد بن عبد الجبار المالكي يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول :

حقيقة المحبة ان لا تزيد بالبرّ ، ولا تنقص بالجفاء .

ثم حدّث ابن ثابت على ما حدثناه تاج الامناء، عن عمه الصائن هبة الله ، عن السمرقندي ، عن ابن ثابت قال : نبأ يحيى بن علي العجلي ، سمعت عبد الله بن محمد الدامغاني ، سمعت الحسن بن علي بن يحيى بن سلام ، قيل ليحيى بن معاذ : يروي عن رجل من اهل الخير قد كان ادرك الاوزاعي ،

وسفيان ، انه سُئل : متى تقع الفراسة على الغائب ؟ قال : اذا كان محباً لما أحب الله ، مبغضاً لما أبغض الله وقعت فراسته على الغائب . فقال يحيى :

كل محبوب سوى الله سرف ... وهموم وغموم وأسفْ
كل محبوب فمنــه خلفٌ ... ما خلا الرحمن ما منه خلف
ان للحب دلالات اذا ... ظهرت من صاحب الحب عرف
صاحب الحب حزين قلبه ... دائم الغصّة مهموم دنف
همّــه في الله لا في غيره ... ذاهبُ العقل وبالله كلف
أشعث الرأس خميصٌ بطنه ... اصفر الوجنة والطرف ذرف
دائم التذكار من حب الذي ... حبــه غاية غايات الشرف
فــإذا أمعن في الحب له ... وعلاه الشوق من داء كشف
باشر المحراب يشكو بثّــه ... وأمــام الله مولاه وقف
قائمــاً قدامــه منتصباً ... لهجــاً يتلو بآيات الصحف
راكعاً طوراً وطوراً ساجداً ... باكياً والدمع في الارض يكف
أورد الحق على القلب الذي ... فيه حب الله حقــاً فعُرِف
ثم جالت كفه في شجرٍ ... ينبتُ الحبّ فسمّى واقتطف
ان ذا الحب لمن يعنى له ... لا لدارٍ ذات لهــو وظرف
لا ولا الفردوس لا يألفهــا ... لا ولا الحوراء من فوق غرف

ومن باب النسيب ما قاله الاديب :

خليليّ للبغضاء حالي مبيّنٌ ... وللحب آياتٌ تُرى ومعارفُ
ألا إنما العينان للقلب رائد ... فما تألف العينان فالقلب آلف

ولنا من هذا الباب :

إذا نظرت عيني لحسن زجرتها حذارٌ على قلبي فما ينفع الحذرُ
فهام بـه قلبي فأرسلتُ عبرتي وسلطت من غيظي على عيني السهر
وذاب فؤادي رقـــةً وصبابة وأتلفه طول التململ والفكر
وإنيَ بين القلب والعين ميتٌ فبعضي من بعضي على قدم السفر
إذا قلتُ يا قلبي أجاب بحرقةٍ حنانيك لاتعتب سوى الحسن والنظر
انا قائـــل للحب لستُ بمانعٍ حلول الهوى بالسمع كان او البصر

ومن باب الافراط في العشق :

انا والله ارحمُ العشاقــا ويــحَ من كان عاشقاً مشتاقاً
لو على العالمــين قسم عشقي اصبح النــاس كلهم عشاقاً

ولبعضهم في المعنى :

احبك حباً لو يُفاضُ يسيره على الخلق ذاب الخلق من شدة الحب
وأعلم أني بعــد ذاك مقصر لأنك في أعلى المراتب من قلبي

ولنا في هذا الباب من قصيدة :

وبي منه ما لو كنتُ انطق باسمه الى الخلق مات الخلق من قوة الحب

وكما قال الآخر :

وبي من الحب ما لو أن أيسره يكون بالفلك الدوّار لم يدُر

وكما قال مجنون عامر :

ولو أن ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يوجد لهنّ هبوبُ
ولو أن انفاسي اصابت بحرّها جديداً إذا ضلّ الحديد يذوب

ولو انني استغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب عليّ ذنوب
كتمت الهوى في الصدر حتى اعلني ونمت به من مقلتيَّ غروب

وكما قال الآخر :

واشرب قلبي حبَّه ومشى به تمشي حميّا الكأس في جسم شارب
يدبُّ هواه في عظامي ولحمها كما دبَّ في الملسوع سمّ العقارب

ولنا من النظاميّات :

مرضي من مريضة الأجفان علّلاني بذكرها علّلاني
هفت الورق في الرّياض وناحت شجو هذا الحمام مما شجاني
بأبي طفلة لعوبٌ تهادى من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيان شمساً فلما أفلت اشرقت بأفق جناني
يا طلولاً برامةٍ دارساتٍ كم حوت[1] من كواعب وحسان
بأبي ثم بي غزالٌ ربيبٌ يرتعي بين أضلعي في امان
ما عليه من نارها فهو نورٌ هكذا النور محمد النيران
يا خليلي عرّجا بعناني لأرى رسم دارها بعيان
فإذا ما بلغتما الدار حطا وبها صاحبي فلتبكيان
وقفا بي على الطلول قليلاً نتباكى بل ابكِ مما دهاني
الهوى راشقي بغير سهام الهوى قاتلي بغير سنان
عرّفاني إذا بكيتُ لديها[2] تسعداني على البكا تسعداني

(١) نسخة : رأت .
(٢) نسخة : عليها .

واذكرا لي حديث هندٍ ولبنى وُسليما وزينبٍ وعنان
ثم زيدا من حاجر وزرودٍ خبراً عن مراتع الغزلان
واندباني بشعر قيسٍ وليلى وبميّ والمبتلى غيلان
طال شوقي لطفلة ذات نثرٍ ونظامٍ ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دار فرسٍ من اجل البلاد من اصبهان
هي بنتُ العراق بنتُ إمامٍ وأنا ضدها سليل يماني
هل رأيتم يا سادتي او سمعتم أن ضدين قط يجتمعان
لو ترانا برامةٍ نتعاطى اكؤساً للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً طيباً مطرباً بغير لسان
لرأيتم ما يذهب العقل فيه يمنٌ والعراق معتنقان
كذب الشاعر الذي قال قبلي وبأحجار عقله قد رماني
أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرُك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

ومما قيل في لذع الهوى :

إن كنتَ تنكرُ ما ألقاه من ألمٍ وما يضرّم في قلبي مُعذّبه
أشِر بعُود من الكبريت نحو فمي وانظر الى زفراتي كيف تلهبُه

ذكر غزاة مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وما عمل من الاعاجيب في بلاد الروم ودخوله القسطنطينية على أتم الروايات في ذلك ان شاء الله تعالى :

حدثنا ابن طليس ، وأبو اليمن ، وأبو الفرج كلهم ، عن القزاز ، نبأ ابو بكر بن احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، أنا الشيخ ابو الحسن بن

محمد بن احمد زرقويه ، أنا ابو عمرو عثمان بن احمد الدقاق ، قال : نبأ ابو علي الحسن بن سلام ، نبأ صبح بن بيان البغدادي ، نبأ يزيد بن اوس الحمصي، عن عامر بن شرحبيل ، عن عبد الله بن سعيد بن قيس الهمداني ، وكان ممن خرج مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان الى بلاد الروم ، قال : لما أراد عبد الملك ابن مروان بن الحكم ان يوجه ابنه مسلمة الى بلاد الروم ، أمر المنادي بأن ينادي في الناس : أن يجتمعوا .

وكتب عبدالملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف : ان يوجه اليه رؤساء اهل العراق . وكتب الى عمر بن عثمان بن عفان وهو على الحجاز : أن يوجه اليه رؤساء اهل الحجاز . وكتب الى أخيه محمد بن مروان بن الحكم وهو عامله على البصرة : ان يشخص اليه بنفسه ، وبرؤساء اهل البصرة . وكتب الى علقمة بن مروان وهو عامله على اليمن : أن يوجه اليه رؤساء اهل اليمن.

فلما قدم الناس قام فيهم خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه . ثم قال : يا أيها الناس إن العدو قد كلب عليكم ، وقد طمع فيكم ، وهنتم عليه بترككم الغزو له ، واستخفافكم بحق الله عز وجل، وشغلكم عن الجهاد في سبيل الله . وقد علمتم ما وعد ربكم في الجهاد لعدوّه . وقد اردت ان اغزو بكم غزوة كريمة شريفة الى صاحب الروم اليُون . والله تعالى مهلكهم ، ومبدّد شملهم، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقد جمعتكم يا معشر المسلمين، وأنتم ذوو البأس والشدة والشجاعة والنجدة . فإن من حق الله تعالى ان تقوموا لله تعالى بحقه، ولنبيّه ﷺ بنصرته . وقد أمّرت عليكم مسلمة بن عبد الملك ، فاسمعوا له ، وأطيعوا أمره ، ترشدوا ، وتوفقوا ، فإن استشهد فالأمير من بعده محمد بن خالد بن الوليد المخزومي ، فإن استشهد فالأمير من بعده محمد بن عبدالعزيز . وقد ولّيت الغنائم رجاء بن حيوة ، وصيرته أميناً على مسلمة ، وعليكم .

وقد وليت على تميم محمد بن الاحنف بن قيس. وعلى همدان عبد الله بن قيس. فقلت : يا امير المؤمنين ولّ غيري ، فإني آليت ان لا اكون اميراً ابـداً . فولّى على همدان صدقة بن اليمان الهمداني . وعلى ربيعة عبــد الرحمن بن صعصعة . وولّى على طي ، ولخم ، وحزام ، عبد الله بن عدي بن حـاتم الطائي . وولّى على قيس الضحاك بن مزاحم الاسدي . وولى على بني أمية وجماعة من قريش ، محمد بن مروان بن الحكم . وولى على كندة وغسان ، الاصيغ بن الاشعث الكندي . وولى على اهل الحجاز عبيد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب . وولى على اهل الجزيرة والشام ، البطـّال . وولى على اهل مصر يزيــد بن مرة القبطي . وولى على اهل الكوفة الهيثم بن الاسود النخعي . وولى على اهـل البصرة سليمان بن ابي موسى الاشعري . وولى على اهل اليمن جابر بن جبير المدحجي ، وولى على اهل الجبال عبد الله بن جرير ابن عبد الله البجلي .

ثم أقبل على مسلمة بن عبد الملك فقال : يا بني اني قد وليتك على هــذا الجيش فسِرّ بهم ، واقدم على عدو الله اليون كلب الروم . وكن للمسلمين أباً رحيماً ، وارفق بهم ، وتعاهدهم . وإياك ان تكون جباراً عنيداً ، مختالاً ، فخوراً . ثم اعرض الناس فانتخب منهم ثمانين الفاً من اهل البأس والنجدة . واتخذ من الخيل والفرسان ثلاثين الفاً . وقال : يا بني صيّر على مقدمتك محمد ابن الاحنف بن قيس . وعلى ميمنتك محمـد بن مروان . وصيّر على ميسرتك عبد الرحمن بن صعصعة . وصيّر على ساقتِك محمد بن عبد العزيز. وكن انت في القلب ، وصيّر على طلائعك البطـّال ، وأمره فليعسّ بالليل في العسكر ، فانه أمين ثقة مقدام شجاع . فاذا أردت بلاد الروم ان شاء الله تعالى فاقحم بالناس ، واقدم بهم إقداماً واحداً ، حتى ترعب قلوبهم ، وتزلزل أقدامهم ،

وتبدّد جمعهم ، وتهابك ملوكهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واعلم انهم سيلقونك بجمع كثير وسلاح ، فلا يهولنّك ذلـك ، فإن الله مخزيهم ، وضارب وجوههم .

واعلم يا بُنيّ انما نصبتك لهذا الوجه ، وشرّفتك بهذا الجيش ، وصيّرته لك ذِكراً وذخراً تذكر به ابداً، فإياك ان تنكص، او تولي منهزماً ، فإنك ان فعلت ذلك استوجبت من الله المقت ، ومن عباده البغض ، ومن ملائكته اللعنة .

واعلم يا بني أنك ان نـكلت وأبليت وقتلت ورميت ، والله الفاعل ذلك ، والقاتل لهم ، وهو رادّهم على أعقابهم خاسئين .

ثم أقبل على المسلمين فقال :

يا اخواني ، وأعواني ، هذا مسلمة ابني ، وهو سيفي ، وسهمي ، ورمحي ، وهو أميني ، جعلته عليكم ، وقد رميت به في نحر العدو والروم ، وقد علمتم انه ثمرة قلبي ، وحبيب نفسي من صلبي ، لا من أصلابكم ، وقد وهبته لله عزّ وجلّ ، وبذلت دمه ومهجته طلباً لرضوان الله عز وجل ، فأعينوه أنتم ، واعضدوه ، وانصروه ، وأقدموا اذا قدم ، وحُثّوه اذا نكص ، وشجعوه اذا جبن ، وأيقظوه اذا نام ، وأنبهوه اذا سهى ، ولا تغفلوا عنه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم عانق مسلمة وقـال : السلام عليك يا حبيبي ، وثمرة قلبي ، ثم قلّده سيفين : سيف عبد الملك ، وسيفه ، ثم عمّمه بعمامة بيضاء ، وحمله على فرس أشهب ، فخرج مسلمة يوم الجمعة بعد صلاة الظهر، وذلك اول يوم من رجب،

وخرجنا معه،وخرج عبد الملك معنا يُشيّعنا حتى بلغ الى باب دمشق فودّعنا عبد الملك بن مروان ، ورجع ، وخرجنا ، فدخلنا طرسوس ، وفيها نفر من المسلمين يسير ، فأمرهم مسلمة ان يقيموا، ولم يغير تلك السنة. قال عبدالله ابن سعيد : فأقام القوم بها ، وخرجنا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى قريب من عمورية . وبلغ شمعون صاحب عمورية ان العرب قد غزتهم ، فبعث الى رؤساء اهل القرى والمدن فاجتمعوا اليه ، فأقام بعمورية . وأتى مسلمة الخبر بجمع شمعون له ، وانه خارج اليه، فجمع مسلمة الناس ثم قال لهم : قد علمتم جلب عدّوكم عليكم ، وطلبه لكم ، فإنـه خارج ، وقد اجتمعوا ، واشتدّ أمرهم . فتعالوا ، فاجتمعوا ، فاجتمعنا ، فصيّر على المقدمة محمد بن الاحنف ، وعلى الميمنة محمـــد بن مروان ، وعلى الميسرة عبد الرحمن بن صعصعة ، وصار هو في القلب .

قال عبد الله : فكنت معه في القلب ، قـال : وأمر البطّـال ان يتقدم في الطلائع ، فتقدم ، وتقدمنا معه، فلقي البطال بطريقاً من بطارقة شمعون، فقاتله قتالاً شديداً حتى انهزم ، فلحقناه ، فلمـا قربنا منه حمل على القوم ، وحمـــل محمد بن الاحنف في المقدمة ، فلم نزل نقاتل القوم يومنا وليلتنا حتى أصبحنا ، فلما اصبح الصباح صلى مسلمة الفجر ، وأمرنا بالتقدم ، فتقدمنا ، وزحف شمعون من المدينة ، فحمل ، وحملنا . ولقـد رأيت البطال ، وقـد حمل على القوم ، وهو يريدهم ، وحمل عبد الرحمن بن صعصعة فقتل وأسر، ثم حمل عبد الله بن جرير فقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم حمل محمد بن مروان فطعن طعنة منكرة ، ثم رجع الى العسكر . ثم حمل محمد بن عبد العزيز فقتل منهم نفراً كثيراً. ثم حمل مسلمة بنفسه . وحملت ، فقتلنا ، وأسرنا، فلما نظر البطال الى مسلمة يقاتل ، ترجّل ، وأقدم هو ، ومحمد بن الاحنف،

وعبد الرحمن بن صعصعة ، ورؤساء اهل العراق ، فقاتلوا ، وحثّوا على الركب . وكان شمعون في عشرين ومائة الف ، فما كان إلا ساعة حتى أقبل عبد الرحمن بن صعصعة يلهث ، فقال : ايها الأمير قد قتل شمعون ، فأقبل على المدينة ، وأقدم عليها ، فقال له مسلمة : فكيف علمت ذلك ؟ قال : لأني أسرت علجاً فسألته أين شمعون ؟ فقال: قد كان أمام القوم وقد ُفقد. فما كان بأسرع حتى اقبل البطال ومعه رأس شمعون ، فلما رأى مسلمة الرأس خرّ الله ساجداً ، ثم حمل ، وحملنا معه ، حملةّ واحدة ، فقاتلوا بقية يومهم فلما جننا الليل إلتجوا الى المدينة مدينة عمورية ، فأقمنا على بابها ، فخلوا المدينة وهربوا من الباب الآخر ، فدخلنا المدينة ، فأصبنا نساء وصبياناً ، فأخذناهم أسرى وغنمنا غنيمة كثيرة ، فبلغ غنيمة عمورية مائة الف دينار ، وثمانية وثمانين الف دينار ، وأثنا عشر الف شاه والفاً وستمائة فرس ، فبعث بهم مسلمة الى عبد الملك ، ثم عرض الناس ، ففقد منهم ستمائة وثلاثين رجلاً ، فخرج مسلمة ، وكتب الى ابيه عبد الملك بما فتح الله سبحانه على يده ، وبما اصيب من المسلمين : ويستأذنه في التقدم ، ويستأذنه في الغنائم ، فأمر أن تقسم الغنائم بين المسلمين ، ففعل ذلك رجاء بن حيوة ، ثم امرنا مسلمة بالتقدم ، فقدمنا الى التقفورية ، وفيها تقفور الاكبر ، وهو على ابنة اليون ملك الروم ، ومعه ستون الف فارس ، ما فيهم راجل فخرج، ثم حمل علينا حملةّ منكرة حتى أزالنا عن مراكزنا ، وردّنا على اعقابنا .

ثم ان مسلمة نادى بأعلى صوته : الى أين يا اهل الشام ؟ فلا شام لكم ان غلبت الروم على ديارکم ، والى أين يا اهل العراق ؟ فلا عراق لكم ان وليتم من علوج الروم . اليوم يعلم الله منكم صدق اليقين .

ثم قام رجاء بن حيوة فقال :

يا معشر المسلمين الى أين تنهزمون ؟ يا اهل العراق ، وأهل الدين ، وأهل الصدق ، من اهل الصلبان وعبدة الاوثان ؟ امـا ترغبون ؟ اما ترجعون ؟ اثبتوا يثبتُ الله اقدامكم .

ثم اقبل شابٌ من اهل الكوفة يقرأ : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

قال : فرجعنا الى مصافّنا ، وحملنا ، وترجل البطال ، وترجل مسلمة ، وترجل محمد بن مروان ، وترجل محمـد بن الاحنف ، وترجل الناس ، فحمل تقفور لعنه الله على مسلمة ، فضربه بالسيف ضربة حتى خرّ مسلمة صريعاً . ثم حمل على الناس حمـلة منكرة ، فانهزم المسلمون حتى اقبل عبد الرحمن بن صعصعة في الخيل ، وأقبل محمد بن عبد العزيز ، فحمل مسلمة ، وآفاق مسلمة من ضربته فنادى : يا اهل الإسلام اليوم يوجب الله لكم الرضوان ، أنا مسلمة لم اقتل ، فتراجع الناس ، وحملنا عليهم من خلفهم ، فلقد رأينـــا الجيف يومئذٍ كأنهـا التلول ، وجننا الليل ، وبادر البطال الى باب المدينة ، وثبت عليها . ثم حمل عليهم من خلفهم ، وحملنا عليهم من بين ايديهم. فقتل تقفور لعنه الله وعامـــة أصحابه ، فانهزموا بالليل ، وهم يريدون المدينة ، فلقيهم البطال ، فقتل ، وأسر ، وولّوا الاكتاف ، فقدمنا المدينة ليـــلاً ، وهم لا يشعرون ، فقتلنا ، وأسرنا ، وغنمنا ، وسبينا .

فلما أصبحنا عرضنا مسلمة ، ففقد من المسلمين خمسمائة ، ونظر رجاء بن حيوة في الغنائم قال : فكانت غنائم التقفورية ستمائة الف دينار سوى المتاع ، وإن مسلمة وهبه المسلمين ، وأقمنا بالتقفورية عشرين ليـــلة ، ثم تقدمنا الى السماوة الكبرى ، وهي مدينة عظيمة ، ولها اربعة ابواب من حديد ، فيها بطريق عظيم الشأن يقال له : ايفريطون ، فتحصّن بهـــا ، وأقام بالمدينة ،

فتقدمنا نحن الى المدينة ، وأقمنا عليها اياماً ، ونصبوا المجانيق على سورها ، ونصب مسلمة المجانيق عليها ، فرميناهم ، ورمونا ، وأحطنا بالمدينة من سائر الأبواب ، وصبرنا لهم ، وصبروا لنا اربعين ليلة ، ثم ان بطريقاً من بطارقة ايفريظون كتب الى مسلمة يسأله الامان ، ان يفتح له باباً من ابوابها ، فبعث اليه البطال ، فأمنه ، فلما جننا الليل فتح له الباب الأعظم ، فدخل البطال ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وفتح له باباً آخر ، فدخل مسلمة ، وخرج ايفريظون من الباب الآخر ، وخلى المدينة ، ولحق بالمسيحية ، فقتلنا منهم ، وأسرنا منهم ، من غير ان يقتل احد من المسلمين يومئذٍ إلا تسعة رهط ، وغنمنا غنيمة كثيرة .

ثم خرجنا من السماوة نريد المسيحية ، فلقينا شماس صاحب مقدمة ايفريظون في ثمانين الفاً ، وكان ايفريظون مقيماً بالمسيحية ، فقتل منا شماس مقتلة عظيمة حتى ردّنا الى سماوة . ثم رجعنا ، ورجعوا . فعند ذلك كانت الهزاهز . فقتل يومئذ من المسلمين الف ومائة . ثم قتل شماس . فعند ذلك خرج ايفريظون من المسيحية . فحمل عليه مسلمة بنفسه ، فطُعِن . ثم حمل عبد الرحمن بن صعصعة ، فطعن . ثم حمل عبد الله بن سعيد طعنة منكرة . ثم حمل محمد بن عبد العزيز ، فطعن . ثم حمل محمد بن مروان ، فطعن . ثم حمل محمد بن الاحنف ، فطعن . ثم حمل البطّال ، فضرب على مفرق رأسه فخرّ صريعاً . ثم حمل عبد الله بن جرير بن عبد الله البجلي ، فطعن . ثم رجاء بن حيوة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم حمل الضحّاك بن يزيد السلمي ، فلم يزل يقاتل حتى طعن طعنة في بطنه ، فاستشهد رحمه الله . ثم افاق محمد ابن عبد العزيز ، فحمل على القوم ، فلم يزل يقاتلهم حتى عقر فرسه . ثم حمل عليه ايفريظون ، فطعنه فخرّ صريعاً . ثم ضرب عنقه ورمى به الى المسلمين .

فانكسر الناس لقتل محمد بن عبد العزيز ، ولقتل الضحاك بن يزيد السلمي . ثم افاق مسلمة فحمل وحمل البطال على ايفريطون فضربه ضربة بالسيف على رأسه فخرّ ميتاً . ثم كبّر البطال ، وكبّر الناس ، وكبّر مسلمة ، وحملنا حملة واحدة ، ورفعنا رأس ايفريطون ، فانهزم اهل المسيحية . فدخلنا فسبيناهم ، وغنمنا غنائمهم . قلت : فكم بلغت غنيمة اهل المسيحية ؟ قال : بلغت الف الف دينار واثنين وعشرين الف دينار . فقسمها رجاء بن حيوة بيننا . وأقمنا بالمسيحية ، وهي مدينة عظيمة على شاطىء الفرات ، لها ثمانية ابواب . وفيها البساتين ، وهي أعمر بلاد الروم ، وأحصنها ، وأقمنا بها ستة اشهر. فصارت بلاد الروم مادون المسيحية الى بلاد الشام كلها في يد مسلمة . ثم كتب الى ابيه بذلك ، فكتب اليه يأمره بالتقدم . قال : فتقدمنا الى مدينة البوش ، وهي مدينة صغيرة ، إلا ان البوش كتب الى اليون ان يمدّه، فأمدّه بالخيل والرجال . فخرج الينا في خمسين الفاً . فلبثنا يوماً وليلة . وتقاتلنا قتالاً شديداً . ثم ان البوش قتل، فانهزم اصحابه ، ودخلنا المدينة .

قال عبد الله بن سعيد : فما رأيت مدينة كانت اكثر غنائم منها على صغرها . أصبنا فيها ستمائة الف أوقية من ذهب ، فقسمها رجاء بن حيوة بيننا . قال : ثم خرجنا الى القسطنطينية ، فما لقينا منهم احداً حتى وردنا البحر، فأقمنا على شاطىء البحر ثمانية اشهر . ثم ان مسلمة بعث الى اهل عمله من الروم ، فهيؤا لنا سفناً فركبنا فيها . فقاتلناهم في البحر ثلاثة ايام ، حتى وصلنا الى الجزيرة التي فيها القسطنطينية ، والجزيرة التي فيها القسطنطينية ثمانية فراسخ . المدينة منها اربعة فراسخ ، والبقية جزيرة . فأقام مسلمة بتلك الجزيرة . وبعث الى اهل عمله من الروم ان يبنوا له مدينة : فرسخين في فرسخين ، فأقمنا فيها . وصارت بلاد الروم كلها في يد مسلمة ما بين الشام

الى جزيرة القسطنطينية ، وجبي اليه الخراج . ونصب اليون ملك الروم على المدينة المجانيق . وأقمنا بها سبع سنين . وسمّاها مسلمة مدينة القهر ، لأنه قهرهم عليها .

قال عبد الله بن سعيد بن قيس : لقد غرسنا بها التفاح ، وأكلنا منه . وغرسنا بها الكمثرى، وأكلنا منها . وأقمنا إقامة قوم لا يريدون الرجوع الى بلادهم . وكنا مع هذا نغزوهم في كل يوم ، ويغزونا ، ونقاتلهم ، ويقاتلونا . حتى اذا جننا الليل رجعوا الى القسطنطينية ، ورجعنا الى مدينة القهر . فلم نزل على ذلك سبع سنين . ثم تقدمنا الى باب القسطنطينية ، فوقفنا على بابها سبعة ايام ، ما نفترُ ولا نرجع الى مدينتنا ، وأن مسلمة ليقاتل بنفسه ، وما يرجع ولا ينثني . وأقبل البطّال فقتل منهم ما بين الخمسين الى المائة ، حتى قتل في تلك الأيام ستمائة رجل .

قال : فلما اشتد حصارنا لهم كتب ملك الروم الى مسلمة بن عبد الملك امير العرب :

من اليون ، أما بعد : فقد اخربت بلادي ، وقتلت بطاركي ، وحصرتني في مدينتي وبلغت مني كل مبلغ . وقد اردت ان اجمع عليك الجموع من الروم كلها ، ثم أصول عليك صولة واحدة أفرّق جمعك ، وأقلّ فيها اصحابك ، وأبدّد شملك ، ثم اني أحببت ان لا افعل ذلك ، وقد عزمت على مصالحتك على ان ترجع الى المسيحية فتقيم بها ، وأؤدّي اليك في كل سنة عشرة آلاف اوقية فضة ، وستة آلاف اوقية ذهب ، وخمسة آلاف رمكة، على ان أحقن دماء اصحابك ، وأصحابي ، وعلى ان أسالمك وتسالمني ، فإن ذلك أبقى لك .

فكتب مسلمة بن عبد الملك ، بسم الله الرحمن الرحيم :

من مسلمة بن عبد الملك الى ليون كلب الروم .

أما بعد، فإنك ذكرت ان لو أردت ان تجمع الجموع، فلو قدرت لفعلت، ولكن الله مهلكك ان شاء الله تعالى ، وهذه أمدادي تأتيني من الشام ، وهم ذو البأس ، والشدة ، والقوة ، والنجدة ، وهم اصحاب الدين ، والقرآن ، لا يريدون إلا قتالك ، يطلبون بذلك الجنة ، لا يريدون الدنيا ، ولا ذهباً ولا فضة ، ولا يريدون الدنيا ، ولا اهلها . هم أشد حباً الموت منك للحياة ، يطلبون بذلك الجنة ، وجنات النعيم .

وأما ما ذكرت من أمر الصلح فإني قد آليت بيمين ان لا ارجع الى بلادي حتى ادخل مدينتك ، فإن أبررت يميني ، وإلا وقفت على بابها حتى أموت ، او يفتحها الله سبحانه على يدي .

وأما ما ذكرت من مالك وما تصالحني عليه فإن ذلك حقير عندي ، ذليل في عيني ، ان كان قد عظم عليك كثرة ذلك فانه لا يكثر عندي . وبعد ذلك فاني ان وصلت الى مدينتك ، وإلا فهي الجنة .

فلما قرأ ليون الكتاب خرج الى باب القسطنطينية ثم نادى: أنا ليون فأين مسلمة ؟ فدنا مسلمة قريباً من الباب ، ثم ان ليون قال لمسلمة : أنا قد ضمنت لك الرضا ، وفوق الرضا ، فارفق ، ولا تعجلنّ الى قتالي ، فإني ساعدّ لك خيلاً غير هذه الخيل . قال له مسلمة : اثبت مكانك . وأمرنا مسلمة ان نتهيأ في السلاح الشاك . فلما نظر اليون الى ذلك هاله ، ونحن حينئذ ستون الف مقاتل ، فهاله ذلك هولاً شديداً . فعندها قال لمسلمة : ما الذي تريد ؟ فقال له مسلمة : عزمت على ان لا ارجع حتى أدخل مدينتك . قال له اليون : ادخل وحدك ولك الامان . فقال له مسلمة : نعم ، على ان آمر البطّال

وأصحابه يقفون على باب القسطنطينية ، ولا يغلقون الباب . فقالوا له : لك ذلك . ففتح الباب الاعظم ، ولم يفتح قبل ذلك سبع سنين إلا لقتال ، وهو الباب الاعظم . فثبتنا عليه ، والبطال على المقدمة على البـــاب ثابت ، ما يزول ، ولا يتحرك . قال مسلمة : اني داخل فاثبتوا على الباب . فإن صليتم العصر ولم أخرج فاقحموا بخيلكم على المدينــة ، فاقتلوا من أصبتم ، والأمير من بعدي محمد بن مروان . فركب على فرس أشهب عليه ثيــاب بيض ، وعمامة ، متقلد بسيفين ، سيف ابيه ، وسيف نفسه . حتى دخل ، وبيده الرمح ، فصفّ له ملك الروم الخيل من باب المدينة الى باب الكنيسة العظمى كلما مرّ بقوم ساروا خلفه وقد رمقوه بأبصارهم وهم يتعجبون من شجاعته ، وشدته ، وجرأته ، فلم يزل يتقدم حتى وصل الى قصر اليون . فخرج اليه اليون فقبّل يده ، فقال مسلمة : أنت اليون ؟ فقال : نعم . قـــال : فأين الكنيسة العظمى ؟ قال : هـــذه ، فدخل على فرسه ، فجزعت الروم من ذلك جزعاً شديداً . فلمــا دخل الى الكنيسة نظر الى صليبهم الاعظم وهو موضوع على كرسي من ذهب ، وعيناه ياقوتتان حمراوتان ، وأنفه زبرجدة خضراء . فلمـــا نظر مسلمة الى الصليب أخذه فوضعه على قربوس فرسه . فقالت الرهبان لأليون : لا ندعه . فقال له اليون : ان الروم لا ترضى بهذا . فحلف لا يخرج حتى يأخذه . فقال اليون للروم : دعوه يخرج به ، لكم عليّ مثله . دعوه يخرج ، وإلا دخل عليكم البطال ، فأخـــذه وخرج وهو على فرسه ، واليون مسايره حتى اذا توسط المدينة رفع الصليب على الرمح . فلما نظرت الروم الى ذلك همّوا به ، ثم فكـّروا في خراب مدينتهم ان قتلوه . فنكسوا رؤوسهم . فخرج والصليب على رمحه بعد العصر وقـــد همّ القوم بالدخول . فلمـــا نظرنا اليه كبرنا تكبيرة واحدة كادت الارض تخور بهم . وسُررنا بخروج مسلمة سروراً عظيماً ، ورجعنا الى مدينتنا ، فأقمنا بها سبعة

أيام ونحن مسرورون ، ننتظر المال والدواب التي ضمنها اليون لمسلمة .

فكتب اليه مسلمة بن عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من مسلمة بن عبد الملك الى كلب الروم اليون .

اما بعد : فإن الله تعالى قد أظفرني بك ، وأعلاني عليك ، وجعل لي خدّك الاسفل ، فلله الحمد والشكر كثيراً ، وأعزم بالله عازمة ثانية ، لتوجهن المال اليّ ، او لأقدمنّ مدينتك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فكتب اليه ايضاً اليون :

الى الامير مسلمة بن عبد الملك ، من عبده الذليل اليون .

أمـــا بعد فقد وجهت اليك خمسة آلاف رمكة ، وعشرة آلاف اوقية فضة ، وستة آلاف اوقية من ذهب ، وتاجاً مفصّصاً بالدرّ والياقوت ، فهو لك خاصة .

أسألك أيها الامير وأطلب اليك طلب العبد الذليل ، أن تخرج من هذه الجزيرة ، وتقيم في أي البلاد شئت من بلاد الروم ان احببت ذلك .

فلمـا أتى مسلمة الكتاب ، والمال ، والدواب ، والتاج ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم عرض الناس فكانوا يومئذ اربعة وأربعين الف رجل قـــد أصابهم الجهد ، فسم المال بينهم ، وباع التاج من بعض بطارقة الروم بمائة الف دينار ، فقسمه بيننا .

ثم خطبنا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي ﷺ ، ثم قال :

أيها الناس انني في غمرات الموت منذ سبع سنين ، لم أحب ان أخبركم ، كرهت أني أخبث انفسكم ، وأفشلكم عن قتال عدوكم ، وقد توفي خليفتكم عبد الملك منذ سبع سنين ، ووُلي الوليد بن عبد الملك ، وكتب اليّ يوم مات ، وقد وُلي سليمان بن عبد الملك ، وبايع له الناس ، وإنما وجّهت رجاء ابن حيوة يوم وصلت الى الجزيرة ، لأن الوليد كتب اليّ ، فلذلك وجّهته ، فبكى الناس بكاء شديداً ، ثم قالوا : أيها الامير انت أحقُّ بالخلافة ، فهلمّ نبايعك ، فقال : ايها الناس لله قد ركبت امس في المشركين ، وأشقّ عصا المسلمين اليوم ، فأخالف امرهم .

ألا اني قد بايعت لسليمان بن عبد الملك ، فبايعوا له ، فبايع الناس كلهم ، عند ذلك فأقمنا في الجزيرة بعد ذلك ثلاثة أشهر ، حتى أصلحنا سُفننا ، وهيأنا امرنا ، فأعطانا الغنائم .

ثم كتب الى اليون ملك الروم :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من الامير مسلمة بن عبد الملك الى اليون ملك الروم :

أما بعد ، فاني قد عزمت على الخروج من بلادك ، فأجمعت على ذلك ، وأحببت ان أحسن اليك كما طلبت العافية ، وقد خلفت عندك وديعة ، مسجدي هذا الاعظم ، فإياك ثم إياك ان تحرّك منه حجراً او عوداً ، فاني أقسم عليك بالله فأعزم لئن فعلت لأرجعن ، ثم لأقدمنّ عليك حتى يُهلك الله ويخزيك ، وأما سوى ذلك من بناء فأنت أعلم ، فإياك ان تغيّر في اثري حتى

اخرج من بلاد الروم ، فانك ان فعلت فقد خالفت ونقضت ما بيني وبينك فلا أمان ، فأعزم بالله عزيمة ثانيـة لئن خالفتني ، او رأيت سوءاً ، لأقيمنّ عمري ، او يظفرني الله بك ، مع اني ارجو ان يضيّع الله امرك ، ويهتك سترك ، فافعل ، او دع .

فكتب اليه ملك الروم :

للأمير مسلمة بن عبد الملك .

من اليون عبده الذليل : أما بعـــد ، فقد فهمت كتابك ، ولك السمع والطاعة ، اني لا أعبر الجزيرة ، ولا اخرج حتى تخرج من بلاد الروم .

وأما المسجد فوربّ المسيح ، ورب الصليب ، لا يُهدم منه حجر ما كان لي سلطان ، ولا يكسر منه عود، ولا يدخله احد من الروم ابداً ، ما عمرت في الدنيا ، وقـد وجهت اليك الف رمكة ، وألف اوقية من ذهب ، وألف ثوب بداكوني هدية لك ، فاقبلها ايهـا الامير . فلما أتاه الكتاب ، والهدية ، قبلها ، ثم وزعها بين المسلمين ، فما تفضّل بدينار ولا درهم ، ثم امر البطـّال ان يحمل المسلمين في السفن ، ويعبرهم الجزيرة ، فلم يزل ذلك دأبه ، وانـــه لمقيم في المدينة حتى عبر الناس كلهم ، وبقي في مائة فارس ، فمضى بنفسه الى القسطنطينية فقال :

يا اليون إني ماضٍ فهل لك من حاجة ؟ فخرج اليه اليون ، فسلم عليه ، فلم يصافحه مسلمة ، فقبّل اليون رجله ، ثم قال اليون :

أيها الامير الموفق الكبير ، ائذن لي حتى أسير معك ، فأبى ، وأمره ان يرجع الى المدينة ، فرجع ، وان مسلمة لواقف على باب المدينة حتى دخلوا

كلهم اليها ، ثم أقبل فعبر الجزيرة هو والمائــة فارس ، ولم يتخلف بالمدينة من المسلمين ، ولم يترك بهـا متاعاً ، ولا مالاً ، ولا زاداً ، إلا حملناه معنا . فلما عبر مسلمة كبّر وكبّر المسلمون ، فأقمنا على شاطىء البحر سبعة ايام . وجاء اليون حتى دخل مدينة القهر فأقام بهـا ، فلما ارتحلنا خرّبها كلها عن آخرها ما خلا المسجد . وأقبلنا حتى دخلنا المسيحية . وأمر مسلمة اصحاب المسايح ان يلحقوا به ، فلم يخلف مسلمة احـداً ، وعبر الفرات ، وأقمنا بالمسيحية ، ووقع الموت والطاعون بالمسلمين، فمات من المسلمين خمسة عشر الف رجـل ، فاغتمّ مسلمة لذلك غماً شديداً ، وهاله ، وكان الخراج يحمل اليه ، فيقسمه بيننا ، ولم يحدث اليون ولا اصحابه حدثاً . وأخرب مسلمة مدينـة المسيحية،وتحوّل عنها الى التقفورية، لأن اهل المسيحية كانوا همّوا ان يغدروا بالمسلمين . فخرّبها ، وقتل رجالها ، وسبا نساءهم . وأقـام بالتقفورية ستة اشهر . ثم عرض النـاس ، فكانوا يومئذ خمسة وعشرين الفاً ، فاغتمّ لذلك مسلمة غماً شديداً . وأتاه كتاب رجاء بن حيوة يخبره ان سليمان بن عبد الملك توفي ، وأمر ان يستخلف عمر بن عبد العزيز ، فاني قد بايعت له ، وبايع له الناس ، وهو عدل مرضي في الرعية ، ويقسم بينهم بالسويّة ، ورضيت بـه بنو أمية ، وقريش كلها ، ورضي به اهل الآفاق ، والأمصار ، ودخلوا في بيعته . وقد كتب اليك كتاباً يأمرك بالقدوم اليه، ويعزلك عن بلاد الروم، ويأمرك فيه بالبيعة له والطاعة . فاقبل كتابه، وانقد لأمره ، وأطعه ترشد، ان شاء الله تعالى . فإياك ان تخالف فتفسد ما أصلحت ، وتنقض ما أبرمت. مع ما أتخوّف عليك من العقاب والعذاب الشديد، في شقّك العصا، وخلافك على الامة . فاقبل وصيتي فقد علمت نصيحتي لك والسلام .

فأتاه كتاب عمر بن عبد العزيز واذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله عمر بن عبد العزيز امير المؤمنين الى مسلمة بن عبد الملك :

أما بعد ، فإن الله خلق الخلق على ما شاء من تقديره ، ودبّرهم بمشيئته ، وإرادته ، فله الحمد والشكر كثيراً . وكان مما قضى الله وقدّر ان ولّاني امر المسلمين ، وجعلني خليفة في الارض ، فأسأل الله ان يخرجني مما أدخلني فيه سوياً سليماً خميصاً ، لا تبعة عليّ في ذلك ، ولا عقاب ، فقد طال حزني بذلك ، ومرض قلبي ، وتفتّت كبدي ، وقد بايع لي بنو أُمية كلهم، وجميع الامصار ، فادخل مع الجماعة ، واقدم بمن معك جميعاً ، ولا تخلفنّ احداً ، فقد عظمت المصيبة بالمسلمين .

فلما أتى مسلمة الكتاب تغيّر وجهه ، وتغير لونه ، ثم دعا محمد بن الاحنف ، وعبد الرحمن بن صعصعة ، وعبد الله بن جرير ، ورؤساء اهل الامصار ممن معه، فأدخلهم الى رحله، ثم قال: هذا كتاب عمر بن عبدالعزيز، فما ترون ؟ فقال محمد بن الاحنف : أرى ان تدخل فيما دخل فيه المسلمون ، وتكون مع الجماعة ، فان الرشد والتوفيق مع الجماعة .

ثم قال لعبد الله بن جرير : وأنت ما ترى ؟ فقال : مثل مقالة صاحبه .

ثم قال لعبد الرحمن بن صعصعة : وأنت ما تقول ؟ فقال : أيها الامير أقم في موضعك ، ولا تخرج اليه ، فإن طلب البيعة فبايعه ، وان أبى خالفته ، وبايعك الناس ، فأنت أولى بذلك منه .

فقال له محمد بن الاحنف: اتق الله أيها الامير فقد علمت مكانتك من العدو منذ سبع سنين، فإياك ان يكون آخر أمرك الى الدمار، فهذا لأوّل الدمار،

ان تخالف السنّة،وتشقّ العصا،ولكن سر بنا فأنت موضع الفضل والشرف، ومع هذا أيها الامير : تلمّ بأهلك وقرابتك . مع أنك بحمد الله ممن يحتاج اليه . ويطلب ما عنده لثلاث خصال .

امـا الواحدة ، فالفهم والعلم . والثانية ، الشجاعة والبأس . والثالثة ، الشرف في اهل بيتك . فلا تفسد هذه الخصال في الخلاف والشقاق .

قال مسلمة : فقد تكلمتم وقد علمت ما جاء من رجل منكم . فكلكم أراد النصيحة . وكلكم أراد الشفقة. لا خير في عيش الدنيا مع الخلاف، والخوف، والرعب .

وقد وّلي هذا الرجل فأهل ذلك في ورعه ودينه . وقد كتب اليّ رجاء ابن حيوة بكتابٍ سرّني مـا ذكر فيه من عدله وانصافه . ولا مثله يفسد مثلي . ولا مثله يخلي مثلي . انه انظر لي من جميع اخواني ، وأقوم بحقي ، وأعرف بفضلي. لأنه أبرُّ بي من اخواني، وأكرم عليّ مع مصاهرته وقرابته. وقد عزمتُ على الشخوص اليه . فـإن اكرم وقرّب ، فأهل ذلك . وإن أبعد وتنحّى فبما سلف من ذنوبي .

فقلنا له : وفقك الله . فنعم مـا رأيت إن بايعته . فصيّر على مقدّمته محمد بن الاحنف . وعلى الميمنة عبد الرحمن بن صعصعة . وعلى الميسرة محمد ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان ابنه . وصار هو في القلب . وصيّر عـلى السّاقة عبد الله بن سعيد . وأخرب مدينة التقفورية . ثم خرجنا منها ، فلم نزل نسير حتى دخلنا عمورية . فأقمنا بها ثلاثة ايام . ثم خرجنا منها ، وهدم مسلمة صورها ، وعزل جميع عماله من بـلاد الروم . فقدمنا دمشق في ثلاثين الفاً ، فدخلناها . وقد مات رجاء بن حيوة قبل ذلـك بعشرة ايام . فبلغ

ذلك مسلمة فغمّه غماً شديداً ، وأقام بباب دمشق ، وكتب الى عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له في الدخول الى المدينة ثلاثة ايام ، حتى طلب اليه جميع بني أمية . فأذن له ، فدخل ، فمضى، ومضينا معه، الى منزل عمر بن عبد العزيز بالخيل ، والناس ، وهبة السفر . فلم يأذن له . فرجع الى منزله ، فلما كان من الغد ، وركبنا معه الف رجل من القواد ، فلم يأذن له فرجع ، وركب اليه من الغد في اهل بيته ، ومواليه . فلم يأذن له . وركب اليه من الغد في اخوانه وبني عمه ، فلم يأذن له . فرجع ومضى اليه من الغد وحده راكباً . فلم يأذن له . فرجع ، ومضى اليه من الغد راجلاً . فأذن له ، وعنده وجوه قريش ، ورؤساء اهل الشام . فسلم عليه بالخلافة فرد عليه رداً ضعيفاً ، ولم يأذن له بالقعود ساعة . فبكى مسلمة وقال : ما أراني عاصياً ، فإن كنت عاصياً ، فقد عصى من هو خيرٌ مني . وإن كنت مداهناً فقد داهن من هو خيرٌ مني . فما جرمي إلا أن انكيتُ في المشركين ؟ وأبكيتُ ، وقمتُ بحق الله تعالى . وقتلت عدوّه ، ولم تأخذني فيه لومة لائم . فإنما فعلت بما أمرت . وأوصيت بالدخول الى المدينة العظمى . فدخلت . هذا كلامي ، وهذا عذري . فأقبل مني اودع . فقال عمر بن عبد العزيز : يا مسلمة سرت بالمسلمين اقصى بلاد الروم . فقتلت الضعيف ، واتعبت القوي ، تطلب الشرف ، وأردت الرياسة .

اما كان يكفيك من القسطنطينية بلاد عمورية والقيام بها ؟ ولكنك أردت أن يقال : هذا مسلمة بن عبد الملك شديد العزم . فالويل لك إن آخذك الله بقتل رجل من المسلمين . ويحك يا مسلمة لقد بلغني عن النبي ﷺ انه قال :

الويل لمن اهلك نفساً مؤمنة . فقد عفونا عنك ما كان من جهلك . اقعد

فقعد . فقال : هات يا مسلمة حدثني عن بلاد الروم . فقال مقاتل مولى عمر ابن عبد العزيز : سمعت مسلمة وهو يقول لعمر : مـــا رأيت بلاداً تشبه القسطنطينية . قال عمر : صفها لي . قــال : هي مدينة ، برية بحرية ، الخير فيها كثير ، من الفاكهة ، والطعام ، واللباس فيهـــا ظاهر . والدواب فيها فرهة قــال عمر : صف لي سورها ، وأبوابها ، وكنيستها العظمى ، وقصرها الكبير . قال : اما سورها فحجارة . وعرض السور مـــا يسير عليه مائة فارس عرضاً . فأما الأبواب فإنها حديد عرض مــا بين كل بابٍ ميل . وأما الكنيسة العظمى ، فمن رخام مصفف مفصّص بالحجارة المذهبة ، وبالجوهر وأما قصرها فمن رخامٍ ولم ادخله يا امير المؤمنين . قــال عمر : اسئلك بالله يا مسلمة هل جبنت حيث دخلتها ؟ قال مسلمة : لا والله يا امير المؤمنين ما جبنت ، ولكني اجري مــا كنت حيث دخلتها . قال : كيف رأيت اهل الروم ؟ قال : قوم سوء ، وقلوبهم خائفة . فإذا صدقوا هربوا . ولقد قتلنا منهم مقتلةً عظيمة . فالحمد لله على ذلك كثيراً . قال عمر : غفر الله لــك . ثم وجّه سراقة بن عبد الرحمن اميراً على الثغور . وأمره أن يبلغ العمورية، فإذا بلغها لا يجوز الى غيرها . وأقام مسلمة عند عمر بدمشق .

تأديب عمر بن عبد العزيز مسلمة بن عبد الملك :

وبالإسناد قال مقاتل : ثم أن عمر بلغه أن مسلمة ينفق على مائدتــه الف درهم في كل يوم . وكان عمر يُطعم السّؤال من غلتــه الف سائل في كل يوم . يطعمهم ثلاثة ألوان ، وشواء . وكان يأكل هو يوماً لحماً ، ويوماً خلا وزيتاً ، ويوماً عدساً . وكان قد سيّر الدنيا ثلاثة ايامٍ : يوماً للقضاء ، ويوماً لأهله ، ويومـــاً لحوائج الناس . والليل للعبادة . فكان اذا جنّـه الليل لبس جبّة

صوف، وجعل الغلّ في عنقه ، والقيد في رجله . ونادى : يا رب هذا عذاب الدنيا ، فكيف عذاب الآخرة .

ثم بعث الى مسلمة يأمره أن يتغذى عنده ، فأتاه . فأمر عمر بجفان السّؤال أن تهيأ، وهيأ له طعاماً. وأمر أن يحبس الطعام، وأن يقدّم العدس.

فلما أبطأ عليهم الطعام ، وجاع مسلمة جوعاً شديداً ، قال عمر : ويحك يا مقاتل، إن أبا سعيد لا يصبر على الجوع ، فأتنا بما عندك . فأتاه بعدس ، فأكل أكلا منكراً حتى شبع، ثم أتي بالطعام . فقال عمر: كُل يا أبا سعيد. فقال : قد اكتفيت . قال عمر : يا أبا سعيد ، تكفيك أكلة بدانقين، وأنت تنفق على مائدتك الف درهم كل يوم ؟ فقال مسلمة : أعطني عهد الله أن لا أعود الى مثل ذلك ، فرجع عنه .

ومن اخبار عمر بن عبد العزيز :

وبالإسناد قال مقاتل : رأيت قوماً من العباد ، وقد أتوا محمد بن عمر بن عبد العزيز ، فسألوه عن عمل ابيه ، فقال : ما اذكر اني رأيته ، ولكني ادخل على أمي فاطمة ابنة عبدالملك بن مروان، فأسألها عن هذا إن شاء الله تعالى . فدخل عليها . فقال : يا أمّه ما صنع أبي؟ فإن الناس قد لجّوا عليّ في ذلك ، فقالت فاطمة ابنة عبد الملك : يا بني لا تريد أن تعلم ؟ قال لها : فإنهم لا يدعوني حتى اخبرهم . قالت : نعم ، قل لهم : ان ابي كان من اعظم قريش ، وأرفههم مركباً ، وألينهم ثوباً ، وأطيبهم طعاماً ، قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولّي الخلافة لبس الكرابيس ، والصوف ، وربما ادّهن بزيت العلة ، تعني زيت الماء ، ولا رفع ثوباً يدّخره ، ولا اتخذ أمةً منذ ولّي الى يوم مات ، فهذه كانت حالته .

قال مقاتل : فلما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال له : يا مقاتل ، إنه بلغني عن رسول الله ﷺ ، أن الإمام العادل اذا وضع في قبره نزل على يمينه ، واذا كان جائراً نقل من يمينه الى شماله [1] ، فاطلع حتى تنظر إليّ . قال : فاطلعتُ ، فرأيته على يمينه ، والحمد لله .

قـــال مقاتل : رأيته قبل أن تخرج الروح من جسده ، وهو يضحك ، ويقول : « لمثل هذا فليعمل العاملون » . ثم مات رحمه الله تعالى .

ولنا في الأخذ من السلطان وترك الأخذ من الناس للمنة :

إن الحلال من المكاسب همّتي ... والأخذ من مال الفتوح أجانِبُهْ

تمضي المروءة أخذه منْ عالم ... مذمومـة أحواله ومذاهبُه

تمتنّ من قبل العطاء وربمـــا ... سألتْ عليك بما يعير مدانبه

فلتجتنب أخذ الفتوح فإنـه ... يجني على الأعقاب منك عواقبه

إلا من السلطان فهو نصيبُـكم ... ممـا تعيّنَ بالشريعة واجبه

هو عنـده للمسلمين أمانـة ... فمتى حبَاكَ فخذه انك صاحبه

قال ابن الواسطي : وقد ذكرت اسنادنا اليه ، حدثنا القاسم بن مزاحم ، عن محمد بن الحسن العسقلاني ، عن محمـــد بن عمرو بن الجراح الغزّي ، عن ابي الصليت شهاب بن خراش ، عن سعيد بن سنان ، عن ابي الزاهرية ، قال: أتيت بيت المقدس أريـــد الصلاة ، فدخلت المسجد ، وغفلت عن سدنة المسجد حـــتى اطفئت القناديل ، وانقطعت الرجْل ، وغلقت الأبواب .

---

(١) نسخة ٢ : يساره .

فبينما أنا على ذلك إذ سمعت له حفيفاً له جناحان قد أقبل ، وهو يقول : سبحان الدائم القائم ، سبحان القائم الدائم ، سبحان الحي القيّوم ، سبحان الملك القدّوس، سبحان رب الملائكة والروح ، سبحان الله وبحمده ، سبحان العليّ الأعلى ، سبحانه وتعالى .

ثم أقبل حفيفٌ يتلوه ويقول مثل ذلك ، ثم اقبل حفيفٌ بعد حفيفٍ يتجاوبون بهـا حتى امتلأ المسجد ، فاذا بعضهم قريب مني فقال : آدمي ؟ فقلت : نعم ، قال : لا روع عليك ، هؤلاء الملائكة ، قلت : سألتك بالذي قوّاكم على ما أرى ، من الاول ؟ قـال : جبريل . قلت : ثم الذي يتلوه ؟ قال : ميكائيل . قلت : مَن يتلوه بعد ذلك ؟ قـــال : الملائكة . قلت : سألتك بالذي قوّاكم على ما أرى ، ما لقائلها من الثواب ؟ قـال : من قالها سنة كل يوم مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ، او يُرى له . قال : ابو الزاهرية قلت : سنة ، وسنة ، كثير ، لعلي لا أعيش ، فقلتها في يوم عدد ايام السنة ، فرأيت خيراً . قال سعيد بن سنان : فقلت سنة ، والسنة كثير، لعلي لا أعيش فيها ، فقلتها في يوم عدد ايام السنة ، فرأيت خيراً . قـــال الحوسي : فقلت سنة ، والسنة كثير ، لعلي لا اعيش فيها ، فقلت : في يوم عدد ايام السنة ، فرأيت خيراً . قال محمد بن عمرو : فقلتها في ثلاثة ايام ، او اربعة ، كل يوم مائة مرة ، فكان الرجل يلقـــاني فيقول : رأيت لك كذا وكذا أظنه من ذلك . قلت : وقلتها انا في ليلة فرأيت خيراً ، وقلتها ، وقالها صاحبي عبد الله الحبشي ، فرأى او رؤي له خيراً .

ومن باب حب الوطن :

ما قالت العجم اللسن :

من علامة الرشد ان تكون النفس الى مولدها مشتاقة، والى مسقط رأسها توّاقة .

وقال الحكيم : فطرة الرجل معجونة بحب الوطن ، ولذلك قال ابقراط: يُداوى كل عليل بعقاقير ارضه ، فإن الطبيعة تقطع بهواها ، وتفزع الى غذاها . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لو قنع النـــاس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما اشتكى عبدٌ الرزّاق . والذي يؤيد ما ذكرناه من حب الوطن قول الله عز وجل حين ذكر الديار ، فخبر عن مواقعها من قلوب عباده .

فقال تعالى :

« ولو أنـّا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم » . فسوّى بين قتل انفسهم ، وبين الخروج من ديارهم .

وقال تعالى :

« وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقـد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا » .

وقيل : لولا حبّ الناس الاوطان لخرب البلدان .

وقيل من امارات العاقل برّه لإخوانه ، وحنينه الى اوطانه ، ومداراته لأهل زمانه .

كما قيل : (ودارهم فاللّبيب مَن دارى) .

قالت العرب : حماك أحمى لك ، وأهلك أحفى لك .

حكمة :

الغربة كربة ، والقلـّة ذلـّة .

وقـــال القائف : اذا أحسّت النفس بمولدها تفتحت مسامّها ؛ فعرفت النسيم ، وأكثرت الشميم .

وقال آخر : يحنّ اللبيب الى وطنه كما يحنُّ النجيب الى عَطِنه .

وقال بعضهم : كما أن لحاضنتك حقّ لبنها ، فكذلك لأرضك حرمة وطنها .

وشبّهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم ، ثكل أباه وأمه ، فلا أم ترامه ، ولا اب يحرب عليه .

وفي المثل : اوضح من مرآة الغريب .

قالت الحكماء : أكرم الخيل أجزعها من السوط، وأكيس الصبيان أشدّهم بغضاً للكتاب ، وأكرم الابل أشدهم حنيناً الى اوطانهـا ، وأكرم المهارى أشدها ملازمة لأمهاتها ، وخير الناس آلفهم للناس .

وقال بعض الشعراء في الوطن :

ألا ليتَ شِعري والحوادث جمةٌ متى تجمعُ الأيام ما فرّق الشملا
وكل غريبٍ سوف يمسي بذلـّةٍ اذا بان عن اوطانه وجفا الأهلا

وأنشدنا ابو بكر بن سكر قال : كان المازني ينشد لعروة :

اقرأ على الوَشَل السلام وقلْ له كل المشارب مُذ هجرتَ ذميمُ
جبلٌ ينيفُ على البلاد اذا بدا بين الغدائر والزمان مقيم
لو كنتُ أملك منع ما بك لم يذق ما في قلائك ما حييتُ لئيم

وأنشدنا ابو جعفر احمد بن يحيى الوزعي بمسجد ابن عتّاب بقرطبة لمجنون بني عامر :

الى عامرٍ أصبو وما ارض عامرٍ هي الرملة الوعساء والبلد الرحبُ
معاشر بيض لو وردت بلادهم وردتَ بحوراً للندى ماؤها عذب
الى ما بدت للناظرين خيامهم فثمّ العتاق ألقبُّ والأسل القضب

وأنشدنا ابو الحسن علي بن خروفٍ بمنزلي لا مراةٍ من عقيل :

خليليّ من سكان ماوان هاجني هبوب جنوبٍ مرّها وانتسامها
فإن تسألاني ما ورائي فإنني بمنزلة اعيى الطبيب سقامها

وأنشدنا :

اقولُ لقومٍ ألف الدهر بينهم وبيني والايام تحوي وتفرقُ
فإني وإن احمدت عقد وصالكم ففي غير مثوى ارضكم اتشرّق
سقى الله قومي كل يومٍ وليلةٍ عوارض مُزنٍ صوبها يتدفق

ومن باب العشاق والعشق :

قال علي بن عبيدة : العشق ارواح تجول في الخليقة ، وفرح يجول في الروح ، وسرور ينشي الخواطر ، له مستقرّ غامض ، ويحل اطيب المساكن ينساب في الحركات ، ويهدىء القوي ، ويقوّي الضعيف .

ولبعضهم :

تقولُ أناسٌ لو نعت لنا الهوى ووالله ما أدري لهم كيف انعتُ
فليس لشيءٍ منه جزء أعدّه وليس لشيءٍ منه وقتٌ موقت

بلى غير أني لا ازالُ كإنني   عليّ من الأحزان بيتٌ مبيت
وانضحُ وجه الارض طوراً بعبرتي   وأقرُعها طوراً بظفري وانكت
وقد زعموا بي أنني لا أحبُّه   فما لي أراه من بعيدٍ فأبهت
إذا اشتدّ ما بي كان آخر حيلتي   له وضع كفي تحت خدّي وأصمت

وأنشدني ابن مرتين من هذا الباب :

الحبُّ فيـه حلاوةٌ ومرارةٌ   والحبُّ فيـه شقاوةٌ ونعيمُ
الحب أهونـه شديدٌ قادح   والحب أصغر ما يكون عظيم
الحب صاحبه يبيت مسهّداً   ويطيرُ منـه فؤاده ويهيم
الحب لا يخفى وإن أخفيته   إن البكاء على المحبّ نميم
الحب يشهد صادقاً في وجهه   عند التنفس انـه مهموم
الحب داءٌ قـد تضمّنه الحشا   بـين الجوانح والضلوع مقيم

حكايـة :

قال ابراهيم بن سعيد : كنتُ عند المأمون يوم نوروز، فجاء الناس بهدايا، فأمر بردّها ، استحقاراً لها ، فردّت الهدايا . وكانت في المهديين امرأة معها هدية ، ولها رقعة مكتوب فيها :

ألم ترَنا نهدي الى الله ما له   وإن كان عنه ذا غنىً فهو قابله
ولكننا نهدي الى من نحبـه   على قدرنا لا نحو ما قد يشاكله

قال : فأمر المأمون بقبول الهدايا .

حديث مرفوع رفعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الى ابي هريرة قال:

بينما النبي ﷺ جالس في احفل مـــا يكون من اصحابه ، إذ اقبل اليه اعرابي من بني سليم باكياً .

فقال النبي ﷺ : ما يبكيك يا اخا بني سليم ؟ قال : اني ربمـــا قمت في صلاتي فيأخذني الهذيان . وربما نمت فتأخذني الفكرة في منامي . وربمـــا اخذتني الوسوسة حتى كادت تفسد عليّ ديني .

فقال له النبي ﷺ : يا سلمي هـذا عمل ابليس لعنه الله ألا أعلمك تسعة عشر اسماً علمنيها رب العالمين حين اسريّ بي الى السماء السابعة ؟

اربعة منها مكتوبة على جبهة اسرافيل .

وأربعة مكتوبة على جبهة ميكائيل .

وأربعة مكتوبة على جبهة جبريل .

وأربعة مكتوبة على جبهة عزرائيل .

وثلاثة مكتوبة على جبهة الناموس الاكبر ، وهو احد حملة العرش، جناح له في المشرق ، وجناح له في المغرب . وعنقه مثنيّة تحت قائمـة العرش ، لو امره الجبار أن يلتقم السموات ، وما بينهنّ ، وما فيهن وما عليهنّ كان أهون عليه من طرفة عين .

قال : بلى يا رسول الله . فقال : يا اخا بني سليم : انهـا تسعة عشر اسماً ما دعا بهنّ مهموم إلا فرج الله عنه همّه . ولا مغموم إلا فرّج الله عنه غمه . ولا غائب إلا ردّه الله عزّ وجل . ولا مريض إلا شفاه الله تعـــالى . ولا مديون إلا قضى الله دينه . ولم تكن هـذه الاسماء في منزل إلا طرد الله عنه ابليس وجنوده . فإذا امسيت ، وأصبحت ، فقل :

اللهم اني اسئلك يا رحمن يا رحيم ، ويا جار المستجيرين ، ويا امـــان الخائفين ، ويا عماد من لا عمـــاد له ، ويا سند من لا سند له . ويا ذخر من لا ذخر له ، ويا حرز الضعفاء ، ويا عظيم الرجاء ، ويا منقذ الهلكا ، ويا منجي الغرقا ، ويا محسن ، ويا مجمل ، ويا منعم ، ويا مفضلُ ، ويا عزيز. انت الذي سجد لـك سواد الليل ، وضوء النهار ، وشعاع الشمس ، وهفيف الشجر ، ودويّ النحل ، ونور القمر ، يا الله يا الله يا الله لا شريك لك . أسألك أن تصلّي على محمد وعلى آل محمد ، ثم تدعو حاجتك .

ومن جواهر الكلم :

طيبُ الأشياء العافية ، وأفضل الدارين الباقية . الطاعة حرز ، والقناعة عزّ ، والعلم كنز ، والصمت فوز . الثقة مال المؤمن ، والرحمـة من الله حظ المحسن. فمن وثق بالله أغناه، ومن أحسن الى خلقه نجّاه . ان الدنيا لا تصفو لشارب ، ولا تفي لصاحب ، ولا تخلو من فتنة ، ولا تخلى من محنة ، فاعرض عنها قبل ان تعرض عنك ، واستبدل بها قبل ان تستبدل بك ، فإن نعيمها ينتقل ، وأحوالها وثمرتهـا تضمحل . مَن أطاع الله عز وجل ارتفع ، ومن عصاه ذلّ فاتضَع. مَن أطاع الله ملك، ومن أطاع هواه هلك. كم من جامعٍ لمن لا يشكره ، ومنفق فيمن لا يسرّه . من تمام العلم استعماله ، ومن تمـام العمل استقباله، فمن استعمله عمله لم يخل من رشاد،ومن استعمله علمه لم يقصر عن مراد . ثمرة العلم ان تعمل به ، وثمرة العمل ان تؤجر عليه . كل عزٍّ لا يوطده دينٌ مذلة،وكل علم لا يؤيده عقل مظلة . ذل من ليس له ظالم يعضده، وضلّ من ليس له عالم يرشده . الزهـد بصحة اليقين ، وصحة اليقين بصحة الدين ، فمن صحّ يقينه زهد في الثراء ، ومن قوي دينه أيقن بالجزاء .

وصية من شيخ ناصح لتلميذ قابل :

روينا من حديث ابن ثابت ، قـــال : أنا عبد الرحمن بن محمد بن فضالة النيسابوري ، انا محمد بن عبد الله بن شادان ، قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول: قلت لذي النون في وقت مفارقتي له من المجلس: من أجالس؟ فقال : عليك بمجالسة من يذكـّرك الله رؤيته ، وتقع هيبته على باطنك ، ويزيد في عملك منطقه ، ويزهدك في الدنيا علمه، ولا تعصي الله ما دمت قربه، يعظك بلسان فعله ، ولا يعظك بلسان قوله .

ومن هذا الباب ما حدثنا المروزي ، عن الخشّاب ، نبـــأ عبد الله بن الاستاذ قال : دخل رجل من اصحابنا على ابي العباس الخشاب الزاهد ، فسلم عليه ، وقال له : يا أبا العباس اريد ان أقرأ عليك ممـــا في هذا الكتاب ، لكتاب كان بيده ، ففتح ، فقرأ عليه من باب الورع ، والزهد ، والتوكل ، والخشّاب ساكت . فقال الرجل : يا أبا العباس انما أقرأ عليك هذه الأبواب لتتكلم عليها . فقـــال له الخشاب : اقرأني فإني أنا ذلك الكتاب . فخرج الرجل من عنده ، ودخل الى الشيخ أبي مدين ، وهو إذ ذاك بمدينة فاس ، فقال : يا أبا مدين اتفق لي مع الخشاب كيت وكيت، فقال ابو مدين : صدق الخشاب ، هل قرأت عليه باباً ليس هو حاله ؟ فإذا كان حاله لا تفهمه ، ولا يؤثر فيك ، فكيف قوله ؟ فاتعظ الرجل .

أخبرني عبد الله ابن الاستاذ المروزي ، عن كشف أبي العباس الخشاب ، قـال : خطر لأبي مدين طلاق زوجته ، واستخار الله ، ثم رأى ان يستأذن في ذلك أبا العباس الخشاب ، فإنه كانت له حالة تعليم من الله ، فوافق هذا الخـاطر دخول الخشاب على ابي مدين ، فقبل أن يكلمه ابو مدين ، قـال له

الخشاب : يا ابا مدين يقال لك : امسك عليك زوجك ، فمسكها . ولهذا الخشاب عجائب . زرت قبره مع ابن يخلف بمدينة فاس ، فأتى خبر انه يوم مات ما بقي وليّ لله له خطوة إلا حضره .

وصية نوح عليه السلام لابنه :

روينا من حديث احمد بن محمد زياد، قال: نبأ محمد بن عبدالملك الدقيقي، نبأ خنيس، نبأ زياد قال: نبأ محمد بن عبدالملك، نبأ زيد بن بكر بن خنيس، عن محمد بن اسحاق ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : أوصى نوحٌ ابنه فقال : لا أطوّل عليك ، احذر ان لا تنسى : اثنتان يستبشر الله عز وجل بهما ، وصالح خلقه . واثنتان يحتجب الله بهما : وصالح خلقه . فأما الاثنتان التي يستبشر الله عز وجل بهما وصالح خلقه ، فشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن السموات والارض وما بينهما وما فيهنّ لو كنّ حلقة لقصمتها ، ولو كنّ في كفة لرجحت ، وسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة الخلق ، وبها يرزقون .

وأما الاثنتان التي يحتجب الله عز وجل منهما ، وصالح خلقه ، فالشرك به ، والكِبر ، فقال رجل من اصحابه :

يا رسول الله اني لأحبُّ ان يحمل مركبي ، ويلين مطعمي ، ويحل علاق صوتي ، وقبال نعلي ، فذلك كِبر ؟ قال : لا ، ولكن الكِبر ، ان تبطر الحق ، وتغمص الناس ، واللفظ لابن الاعرابي انتهى .

نصيحة :

رويناها ، عن الحسن من حديث ابن ثابت قال : نبأ احمد بن الحسين بن

محمد بن ثابت قال : نبأ احمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله ، نبأ جدّي ، نبأ ابو بكر احمد بن يحيى بن عمرو بن عتيق العامري ، نبأ احمد بن علي بن خلف ، نبأ سري بن المفلس السقطي ، نبأ يزيد ، عن المسعودي ، عن محمد، عن عوف بن عبد الله ، قال :

سمعت الحسن يقول : ابن آدم لو أنك تجد حقيقة الايمان ، ما كنتَ تعيبُ الناس بعيبٍ هو فيك ، حتى تبدأ بذلك العيب نفسك ، ولا تصلح عيباً إلا ترى عيباً آخر ، فيكون شغلك في خاصة نفسك ، وكذلك أحبُّ ما يكون الى الله اذا كنت كذلك .

ومن حديثه ايضاً قال : انا محمد بن علي الاصبهاني التاجر ، نبأ احمد بن محمود القاضي بالأهواز ، نبأ محمد بن زكريا ، نبأ ابن عائشة قال : سُئل علي ابن الحسين ، عن صفة الزاهد في الدنيا قال :

يتبلّغ بدون قوته ، ويستعد ليوم موته ، ويتبرم حياته .

حكاية شابّ اصطنعه الحق تعالى :

روينا من حديث ابن ثابت قال : نبأ علي بن القاسم الشاهد بالبصرة قال: سمعت أبا الحسن احمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

كان شابّ يحضر مجلس ذي النون بن ابراهيم المصري مدة، ثم انقطع عنه زماناً ، ثم حضر عنده ، وقد اصفرّ لونه ، ونحل جسمه ، وظهرت آثار العبادة والاجتهاد عليه . فقال له ذو النون : يا فتى ما الذي أكسبك خدمة مولاك واجتهادك من المواهب التي منحك بها ، ووهبها لك، واختصّك بها ؟ فقال الفتى: يا استاذ وهل رأيت عبداً اصطنعه مولاه من بين عبيده واصطفاه

وأعطاه مفاتيح الخزائن، ثم أسرّ اليه سرّاً ، أيحسن به ان يفشي ذلك السر؟ ثم أنشأ يقول :

مَن سارروه فأبدى السرّ مجتهداً لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وباعدوه فلم يُسعد بقربهم وأبدلوه مكان الانس ايحاشا
لا يصطفون مذيعاً بعض سرّهم حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

قال : وحدثني يحيي بن علي بن عبد الله الدامغاني ، عن ابن سلام سمعت يحيى بن معاذ يقول :

مَن عرف عاش ، ومن مال الى الدنيا طاش ، والمؤمن عن عيوب نفسه فتّاش ، والاحمق يسعى في لاش .

قال : وحدثنا عبد الرحمن ، عن احمد بن مكحول قال : سئل حكيم : أي شيء أحلى ؟ قال : النصرة على العدو بعد الهزيمة ، والاستغناء بعد الحاجة ، والعظة في المجالس ، والغلبة للمتكلم .

كلام لبعض اخواننا فيمن أفناه الشوق :

أملا علينا صاحبنا احمد بن مسعود بن شدّاد المقري ، بمدينة الموصل سنة احدى وستمائة ، فيمن أفناه الشوق ، وأودى به التوق ، وأماته التذكّر ، وأفناه التفكّر ، حتى صارت جزئياته وكلياته لله ، وحركاته وسكناته بالله. ولحظاته وخطراته من الله ، وضمائره وسرائره مع الله ، فني به عنه ، لما منحه به منه ، وذلك حين زهد في شهواته ، ولذّاته ، وتجوهر في صفاته ، وذاته ، فني بمولاه عن تربه ، ونفسه ، بما أولاه عن تربه ، ونفسه ، بما أولاه من قربه ، وأنسه ، عرض عرضه على الخلق ، وجاهر بجوهره لدى الحق ،

حق صار بين الأتراب من عالم التراب، ومن أولى الألباب عند رب الأرباب، بقي صورةً في الفناء، ومعنىً في عالم الفناء، فعين السعادة لم تزل تلاحظه من قبل الأزل، فهو في عالم الصّور معنا، وفي عالم الارواح يشاهد المعنى، فلما أفناه موجده عن وجوده، بما حباه من تطوله وجوده، تحيط جوهر روحانيته، في عرض انسانيته، وطمعت في الخلاص الارواح، من حصر اقفاص الاشباح، هتفت بها هواتف الاقدار بالعشيّ والابكار، هـذا يقرأ عليها: «يا أيتها النفس المطمئنة» وهـذا يتلو عليها: «ولكم في الارض مستقرٌ ومتاع الى حين» فحينئذ هدرت بلابل بلبالها، وغرّدت قماري أقمار احوالها، وأنشدت لسان حالها:

يا حسرتي كيف ألقاهم ولي جسدٌ ولي فؤاد ولي سمعٌ ولي بصرُ
ماذا اقول إذا قالوا فديتهم أين التحول وأين الدمع والسهر
إذا اعتذرت اجابتني محاسنهم ما لامرىءٍ لم يمت في حبنا عذر

مبشرة خير تدل على فتح ونصر:

رأينا ونحن بسيواس في شهر رمضان، والسلطان الغالب في ذلك الزمان يحاصر انطاكية. فرأيت كأنـه نصب عليها المجانيق، ورماها بالاحجار، فقتل زعيم القوم، فأولت الاحجار آراؤه السعيدة، وعزائمه التي يرميهم بها، وإنـه فاتحها إن شاء الله تعالى. فكان كما رأيت بحمد الله، وفتحها يوم عيد الفطر، وكان بين الرؤيا والفتح عشرون يوماً، وذلك سنة اثني عشر وستمائة، فكتبت اليه من ملطية قبل فتحه إياهـا بأبياتٍ اذكر فيها رؤياي، واذكر فيها ما قاله رسول الله ﷺ، حين رأى في النوم جبريل عليه السلام، وقد جاءه بعائشة ام المؤمنين، قبل أن يتزوج بهـا في سرقة حرير، فقال له:

هذه زوجتك ، فلما استيقظ رسول الله ﷺ ، وذكرها . قال : ان كان من عند الله سيمضيه . فقلنا : نحن كذلك ادباً ، واقتداءً . فكان من عند الله، وفتح الله على السلطان بها كما كان زواج رسول الله ﷺ لعائشة .

وكانت الأبيات لروميات اتفاقاً وهي :

قصدت بلاد الكفر تبغي فتوحها | فابشر فإن الروم فيك لفي خسر
رأيت لكم رؤيا تدلّ على النصر | وفتح بلاد الكفر والقتل والاسر
قتلتم بأحجار المجانيق كبشهم | فأوّلهـــا الآراء تعضد بالنصر
فدونك فانهض أيها الملك الذي | علا امره فوق السماكين في النسر
وخذها من الله الكريم بشارة | تدل على التأييد والقهر والقسر
فإن كان عن حق سيمضي وجودها | وإن لم يكن ما فيه في الملك عن عسر
بذا جاء لفظ الشرع إذ جاء وحيه | برؤياه في امر الحميراء بالسر
إذا جاء نصر الله والفتح فلتجد | بمالك من خير على العسر واليسر

روينا من حديث الواسطي قال : نبأ عيسى بن عبد الله الورّاق ، اخبرني علي بن جعفر الرازي ، نبأ عبد الله بن محمد بن مسلم ، نبأ موسى بن سهل النيسابوري الموصلي قال :

سكن من اصحاب رسول الله ﷺ جماعـــة ببيت المقدس : عبادة بن الصامت ، وشداد بن آوس ، وإبن ام حزام ابو ابي وإسمـه شمعون حليف الحضرموت ، وابو ريحانة ، وسلامة بن قيصر الحضرمي ، وفيروز الديلمي ، وذو الاصابع ، وابو محمد النجاري ، هؤلاء من اهل بيت المقدس . ماتوا بها، أعقب منهم عبادة بن الصامت ، وشداد ، وسلامة ، وفيروز، ولم يعقب ابو ريحانة ، ولا ذو الاصابع ، ولا النجاري .

ذكر كعب الاحبار :

إن الله تعالى قال في التوراة لصخرة بيت المقدس : انت عرشي الادنى ، ومنك ارتفعت الى السماء ، ومن تحتك بسطت الارض ، وكل ماءٍ يسيل من ذروة الجبال من تحتك ، من مات فيك فكأنما مات في سماء الدنيا ، ومن مات حولك فكأنما مات فيك ، لا تنقضي الايام والليالي حتى ارسل عليك ناراً من السماء ، فتأكل آثار اكفّ بني آدم وأقدامهم منك ، وأرسل عليك ماء من تحت العرش فأغسلك حتى اتركك كالمهات ، وأضرب عليك سوراً من غمام غلظه اثنا عشر ميلا وسياجاً من نارٍ ، واجعل عليك قبة خلقتها بيدي ، وأنزل فيك روحي ، وملائكتي ، يسبحون فيك ، لا يدخلك احد من ولد آدم الى يوم القيمة ، فمن يرى ضوء تلك القبة من بعيدٍ يقول : طوبى لوجه يخرّ فيك لله ساجداً واضرب عليك حائطاً من نارٍ ، وسياجاً من الغمام ، وخمس حيطان من ياقوت ، ودرّ ، وزبرجد ، انتِ الانظر ، واليك المحشر ومنك المنشر .

حدثني بهذا الحديث جماعةٌ غير واحد ، عن القاسم بن علي ، عن ابي القاسم السوسي ، عن ابراهيم بن يونس ، عن عبد العزيز النصيبي ، عن محمد بن احمد ، عن عمر ، عن ابيه ، عن الوليد ، عن ابراهيم بن محمد ، عن داود ، عن صدقة بن يزيد ، عن ثور بن يزيد ، عن عبد الله بن تبشر ، عن كعب الأحبار رضي الله عنه .

ومن باب العشق والعشاق ما ذكر عن المامون وهو قوله ه :

إن الهوان هو الهوى قلب اسمُه فإذا هويت لقد لقيتَ هوانا
فإذا تعبّدك الهوى فاخضع لـه واسجد لإلفك كائناً من كانا

وبجميل بن معن في هذا الباب :

قد كنتُ اسمعُ بالحبّ وذكره فأضلّ منه عاجبـاً أتفكرُ
حـتى بُليتُ بحبكم فوجدته مرّاً ولم أكُ قبل ذلك أشعُرُ
فاليومَ أعذرُ كل من اثبته صبّاً ومن ذاق الهوى يستشعرُ

ولام الضحّاك في هذا الباب فقال :

مَن كان لا يدرِ ما حبٌ وصفت له او كان هيّابة او كان لم يجدِ
الحبُّ أولــه رَوْعٌ وآخره مثل الحزّازة بين القلبِ والكبد

وقال آخر :

الحب أولــه حلوٌ وأوسطه مرٌ وآخره التوديعُ والأجلُ

وقال صاحب بثينة :

الحبُّ أول ما يكونُ لحاجة تـأتي بــه وتسوقه الأقدارُ
حتى اذا اقتحم الهوى لجج الهوى جـاءت أمورٌ لا تطاق كبار

ولنا في هذا الباب :

الحبُّ أولـه نحبٌ وأوسطه موتٌ وليس له حدٌ فينكشفُ
فمن يقول بأن الحبَّ يعرفه فما لقومٍ بـه أعمـارهم شغفوا
ولم يقولوا بأن الحبَّ نعرفه خلفٌ ولكنه بالقلب يـأتلف
فليسَ يعرفُ منه غير لازمةٍ البثّ والوجْد والتبريح والأسف

ولنا من منشور الحكَم والوصايا :

قال الاسكندر: الحكم يرضي احد الخصمين ، ويسخط الآخر . فليستعملا الحق ليرضيها جميعاً .

وقال : لِمَ صارت سِيَر بلادكم قليلة ؟ قالوا : لإعطائنا الحق من انفسنا، ولعدل ملوكنا ، وحسن سيرتهم فينـا . فقال لهم : أيما افضل ؟ العدل أم الشجاعة ؟ قالوا : اذا استعمل العدل استغني عن الشجاعة .

بزرجمهر :

العدل هو ميزان الباري سبحانه، ولذلك هو متبرىء من كل زيغ وميل.

انوشروان :

قيل له : أي الخير أوفى ؟ قال : الدّين . قيل : فأي العـدد اقوى ؟ قال : العدل .

ازدشير :

قيل له : مَن الذي لا يخاف احداً ؟ قال : الذي لا يخافه احـد . فمن عدل في حكمه، وكفّ عن ظلمه ، نصره الحق وأطاعه ، وصفت له النعمى، وأقبلت عليه الدنيا ، فتهنى بالعيش ، واستغنى عن الجيش ، وملك القلوب ، وآمن الحروب ، وصارت طاعته فرضاً ، وظلت رعيته جنداً . وأن اول العدل ان يبدأ الرجل بنفسه ، فيلزمها كل خلـّة زكية ، وخصلة رضية ، في مذهب سديد ، ومكسب حميد ، ليسلم عاجلاً ، ويسعد آجلاً . وأول الجوْر أن يعمد اليهـا فيجنبها الخير ، ويعوّدها الشر ، ويلبسها الآثام ، ويغبقها المدام ، ليعظمَ وزرها ، ويقبح ذكرها .

افلاطون :

مَن بدأ بنفسه فساسها أدرك سياسة النـاس . أصلحوا أنفسكم تصلح لكم آخرتكم .

ارسطو :

أصلح نفسك لنفسك تكون الناس تبعاً لك .

فيثاغورس :

أحسن العظات ما بدأت به نفسك ، وأجريت عليه أمرك .

سقراط :

مَن رضي عن نفسه سخط عليه الناس .

الاحنف بن قيس :

مَن ظلم نفسه كان لغيره أظلم . ومَن هدم دينه كان لمجده أهدم .

ابن المقنع :

خير الأدب ما حصل لك ثمره،وظهر عليك أثره . مَن تعزز بالله لم يذلّه سلطانه . ومَن توكل عليه لم يَضرّه انسان . ليكن من حقك الى الحق ، ومَنزعك الى الصدق ، فالحق اقوى معين ، والصدق أفضل قرين . مَن لم يرحم منعه الله من رحمته ، ومن استطال بسلطانه سلبه الله قدرته . إن العدل ميزان الله وضعه للخلق ، ونصّبه للحق ، فلا تخالفه في ميزانه ، ولا تعارضه في سلطانه ، واستعن على العدل بخلّتين :

قلّة الطمع ، وشدّة الورع . مَن طال كلامه ُسئم ، ومَن قلّ احترامه ُشتم . باطل ما يقوم حق ، وكذوب ما لا ينتصف منه صدق . لا تحاجّ من يذهلك خوفه ، ويملكك سيفه ، فربّ حجة تأتي على مهجة ، وفرصة تؤدي الى غصة ، وإياك واللجاج فإنه يوعر القلوب ، وينتج الحروب . عِيٌّ تسلم به خير من نطق تندم عليه ، فاقتصر من الكلام ما يقيم حجتك ، ويبلغك

حاجتك ، وإياك وفضوله فإنها تزلّ القدم ، وتورث الندم ، عِيٌّ يزري بك خير من براعة تأتي عليك .

ومن باب التذكير والنصائح :

ما رويناه من حديث ابن ثابت قال : انا محمد بن احمد بن محمد بن احمد ابن رزق الله البابي ، وأبو الحسن بن علي بن احمد بن عمر المقرىء قال : نبأ جعفر بن محمد الخالدي ، نبأ ابراهيم بن نصر ، نبأ ابراهيم بن بشار قال : قلت لابراهيم بن ادهم أمرّ اليوم اعمل في الطين ، فقال : يا ابن بشار انك طالب ، ومطلوب ، يطلبك من لا تفوته ، وتطلب من قد كفيته ، كأنك بما غاب عنك قد كشفت لك ، وبما انت فيه قد نقلت عنه ، يا ابن بشار كأنك لم ترَ حريصاً محروماً ، ولا ذا فاقة مرزوقاً ، ثم قال لي : ما لك حيلة ؟ قلت : لي عند البقال دانق عن عملي ، قال : تملك دانقاً وتطلب العمل ؟

ومن باب ما وجد منقوشاً على الاحجار :

ما رويناه من حديث ابن ثابت ، عن البزاز محمد بن الفرج قال : نبأ جعفر الخلدي ، نبأ احمد بن محمد بن مسروق ، نبأ ابو محمد الانصاري قال :

قرأت على حجر ببيت المقدس : رأس الغِنى القنوع ، ورأس الفقر الخضوع . وقرأت على حجر بدمشق : كلّم من شئت فأنت نظيره ، واستغن عمن شئت فأنت اميره ، واخضع لمن شئت فأنت أسيره . قال : وقرأت على حجر عند جبّ : كل من أحوجك الدهر اليه فتعرّضت له هنت عليه . قال ابن ثابت : وأخبرني محمد بن الفرج ، عن جعفر الخلدي قال :

انشدني احمد بن مسروق شعراً :

ان كنت توقن ان ربَّك رازق وسألت مخلوقاً فلست بموقنِ
او كنت في شكٍ من الرزق الذي كفل الإله بـه فلست بمؤمن

ومن باب النسيب :

ما قاله خالد بن يزيد فيما يقع بين العين والفؤاد من العناد :

القلب يحسدُ عيني لذّة النظر والعين تحسد قلبي لذة الفِكَرِ
يقول قلبي لعيني كلما نظرت كم تنظرين رماكِ الله بالسهر
العين تورثه همـاً فتشغله والقلب بالدمع ينهاها عن النظر
هذان خصمان لا أرضى بحكمهما فاحكم فديتك بين القلب والبصر

ولنا في الحكم بينهما اجابة لهذا السائل الاديب بما هو الامر عليه :

ذكرت يا أيها المفتون بالحورِ وبالنسيب وما في الحب من سيرِ
بين الفؤاد وبين السمع والبصر وقائع لم تزل في سالف العصر
وطالمـا يبحثون الدهر عن حكم ندب خبير بما يعطيه من أثر
فاسمع هُديت صواب الحكم من حكم عدل عليم بعين الامر والخبر
اني لأحكم بين القلب والبصر حكماً تؤيّده أدلّة النظر
نعيمُ اهل الهوى وقف على النظر والسمع واللثم والتعنيق والوطر
لا يدرك الحسَن الحسنيّ طالبه ما لم يقم شاهد من حاسد النظر
وهكذا كل ما للحسن مدركه لا يستقل به عقل من البشر
فالقلبُ يحمل ما يعطيه من ألمٍ ومن نعيم وخير عـالم الصّور
له النعيمُ كما ان العذابَ لهُ والحسنُ آلتـُه للنفع والضرر

وبعدَ ان أثبتَ العِلم اليقين لكم   فـلا تخاصم بين القلب والبصر
وإنما تلك أحوالٌ يقولُ بها   اهل الهوى لم تكن نتائج الفكر

ولنا في الجواب :

ليس للعـــين لذّة   إنما تلك في الفؤادِ
إنمـــا الحسنُ آلة   وبـــه يبلغ المراد
ما له غيرُ ما يرى   ما له لذه الوداد
واذا كان هكذا   لم يكونا على عنـاد
هكذا الحـكمُ فيهـــما   عند من يطلبُ السداد

ولبعضهم في هذا الباب :

فوالله ما أدري أنفسي ألومها   على الحب ام عيني المشومة ام قلبي
إذا لُمتُ قلبي قال نفسك أذنبت   وإن لمتها قالت خذ العين بالذنب
فقلبي وطرفي قد تشاركن في دمي   فيا ربّ كن عوني على العين والقلب

وللعباس بن الاحنف :

اختصم العينان والقلب   وقالا جميعاً ما لنا ذنبُ
فقلتُ نفسي ذهبت عنوة   بينكما هــذا وذا لعب
فقال قلبي مقلتي ابصرت   لا ذنب لي يا ايها الصّب
فقلت للعين سمعت الذي   يحكيه عن ناظرك القلب
فاستعبرت عند مقالي لهــا   وكان من خجلتها السكب

ولنا من هذا الباب :

لم هويت الهلال يا قلبُ قل لي   قال يا عين لم لحظتِ الهلالاَ
انتِ اهديتِ إذ نظرتِ سقاماً   وبـــلاءً وشقوةً وخبالا

ولخالد بن يزيد في هذا الباب :

كتب الطرف في فؤادي كتاباً فهو بالشوق والهوى مختومُ
كان طرفي على فؤادي بلاءً إن طرفي على فؤادي مَشوم

ولبعضهم في هذا الباب :

ويحك يا طرفي أما تستحي حتى متى تُوردُني حتفي
وأنت يا قلبُ الى كم وكم تتركني أدعو على طَرفي
هذان قد صارا عدوّين لي فأنت ما عُذرُك يا إلفي
تحلفُ لي انك في كفي وعضّ كفي منك في كفي

ولابن المعتز في هذا الباب :

إن عيني قادت فؤادي اليها عبد حبٍّ لا عبد رقٍّ لديها
فهو بين الفراق والهجر موقو فٌ بحزنٍ منها وحُزنٍ عليها

وللعباس بن الأحنف في هذا الباب :

قلبي الى ما ضرّني داعي يكثر اسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي

وله أيضاً :

أقام قيامتي نظري فمن يعدي على بصري
تعرّض لي الهوى غراً فشيّبني على صغري
وكان هواك لي قدراً فكيف أفرّ من قدري

ولنا فيه ه :

أقول للقلب قد اوردتني سقماً   فقال عيناك قادتني الى تلفي
لو لم ترَ العين لم تمسي حليف ضنىً   وإن أمتْ فيه ما في الحب من خلف
لذاك قسمتُ ما عندي على بدني   من الضنا والجوى والدمع والأسف

ومما روينا في بنيان ايليا : حدثنا غير واحد ، عن القاسم بن علي بن الحسن ، نبأ ابو القاسم السوسي ، نبأ ابراهيم بن يونس المقري ، نبأ ابو محمد عبد العزيز النصيبي، نبأ ابو بكر بن محمد بن احمد بن محمد الخطيب بن الواسطي، نبأ ابو بكر بن محمد بن ايوب بن سويد الحميري ، نبأ ابي ، نبأ ابراهيم بن ابي علية ، عن ابي الزاهرية ، عن رافع بن عمير ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى لداود : يا داود ابن لي في الأرض بيتاً . فبنى داود لنفسه بيتاً قبل البيت الذي أمره به . فأوحى الله عز وجل اليه : يا داود بنيت بيتك قبل بيتي . قال : أي رب هكذا قلت فيما قضيت : من ملَك استأثر . ثم أخذ في بناء المسجد الذي أمر به . فلما تمّ سور الحائط سقط ، ثم بناه ، فلما تمّ السور سقط ثلاثاً . فشكى الى الله عز وجل ذلك، فأوحى الله تعالى اليه : إنه لا يصلح أن تبني لي بيتاً . قال : يا رب ولِمَ ؟ قال : لما جرى على يديك من الدماء . قال : اي رب أولم يكن ذلك في محبتك ورضاك ؟ قال : بلى ، ولكنهم عبادي ، وأنا ارحمهم . فشقّ ذلك عليه ، فأوحى الله عز وجل اليه: لا تحزن فاني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان.

فلما مات داود اخذ سليمان في بنائه ، فلما تمّ قرّب القرابين ، وذبح الذبائح ، وجمع بني اسرائيل ، فأوحى الله تعالى اليه : قد أرى سرورك ببنيان بيتي ، فسلني ، أعطيك .

قال : أسألك ثلاث خصال : حكماً يوافق حكمك ، ومُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ، ومَن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أمه .

قال النبي ﷺ : اثنتان قد أُعطيهما، وأنا ارجو ان يكون أُعطي الثالثة، فقال العلماء في ذلك : دعوة نبيٍ ، ورجاء نبي ، نرجو قبولها ان شاء الله تعالى ، وما ذلك على الله بعزيز .

ومن باب الغربة وذكر الوطن :

قال بعضهم : أرض الرجل أوضح نسبه ، وأهله أخصّ حسبه .

وقيل لأعرابي : كيف تصنع بالبادية اذا اشتد القيظ وانتقل كل شيء ظله ؟ قال : وهل العيش إلا ذلك ؟ يمشي احدنا ميلاً فيرفضّ عرقاً ، ثم ينصب عصاه، ويُلقي عليه كساه ، ويجلس في فيّه، ويكتال الريح ، فكأنه في ايوان كسرى .

وأنشد ابو النصر الاسدي :

أحبّ بلاد الله ما بين ضارج الى قفوانٍ ان تسحّ سحابها
بلادٌ بها نيطت عليّ تمائمي وأوّل ارضٍ مسّ جلدي تُرابها

لابراهيم بن محفوظ الرّبعي :

أحبُ الارض تسكنها سُليمى وان كانت بواديها الجدوبُ
وما عهدي بحبّ تراب ارضٍ ولكن مَن يحلّ بها حبيبُ

حدثنا ابو ذرٍّ مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الخطيب الاديب قاضي كورة حيان بمسجد الاخضر بمدينة اشبيلية قال :

لمـــا حُملت نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة الى عثمان بن عفان رضي الله عنه كرهت فراق اهلها ، فقالت لضبّ ، اخيها :

ألستَ ترى بالله يا ضبُّ أنني ... مُرافقة نحو المدينـــة أركبَا
أما كان في اولاد عمرو بن عامرٍ ... لك الويلُ ما يغني الخباء المحجَّبا
أبى الله إلا ان أكون غريبةً ... بيثرب لا أمٌّ لديَّ ولا أبا

وأنشدني ابن سكر بها بمسجد الشهداء :

ألا يا حبَّذا وطني وأهلي ... وصحبي حين تذكرني الصحابُ
بـــلاد من غرانقة كرام ... بهم حــلي تميمتي الشباب
وما عسل ببارد ماء مزنٍ ... على ظمأ لشاربه يُشاب
بأشهى من تلقـّيكم الينـــا ... فكيف لنا به ومتى الإياب

وأنشدتني خديجة بنت عبـد الوهاب بن هبـة الله الصوفي القصّار قول : الاعرابية التي كان يهواها بعض خلفاء بني العباس ، فتزوّج بهـا ، فلم يوافقها هوى البلاد ، فلم تزل تنحل ، وتعتلّ ، وتتأوّه ، مع ما هي عليه من النعيم ، واللذة ، والامر ، والنهي ، فسألها عن شأنها ، فأخبرته ، بما تجد من الشوق الى البراري وأحاليب الرعاء ، وورود المياه التي تعوّدت ، فبنى لها قصراً على رأس البرّية بشاطىء الدجلة سماه المعشوق ، يُقابل مدينة سامُرّا من الجانب الآخر . وأمر بالأغنام ، والرعاء ، ان تسرح بين يديها ، وتتراءى منها ، فلم يزدها ذلك إلا اشتياقاً الى وطنها ، فمرّ بها يوماً في قصرها من حيث لا تشعر بمكانه ، فسمعها تنتحب ، وتبكي حتى ارتفع صوتها ، وعلا شهيقها ، وكبد الخليفة يتقطع رحمة ، فسمعها تقول :

ومـا ذنبُ أعرابيّة قذفت بهـا صروف النوى من حيث لم تك ظنـّتِ
تمنـّت أحاليب الرّعاة وخيمـةً بنجدٍ فلم يقضى لهـا ما تمنّتِ
اذا ذكرت ماءَ العُذيب وطيبه وبردَ حصاه آخر الليل أنـّتِ
لها أنـّةٌ عنـد العِشاء وأنـّةٌ سُحيراً ولولا أنـّتاها لجُنـّتِ

فخرج عليها الخليفة وقال : وقد قضى ما تمنـّيتِ فالحقي بأهلك من غير طلاق ، فما مرّ عليها وقت أسرّ من ذلك ، وسَرى ماء الحيـاة في وجهها من حينها ، فعجب الخليفة ، والتحقت بأهلها بجميع ما كان عندها في قصرها ، وكان الخليفة يزواها ، ويغشاها في اهلها اذا تصيّد .

فأخذ هذه الابيات بعض الأدباء فقال :

وما ذنبُ اعرابيةٍ قذفت بها ... الى آخر الأبيات . ثم زاد :

يا عظمَ مِن شوقي اليكم وإنما أجمجم احشائي على ما أجَنـّتِ

خبر نبوي في مكارم الأخلاق :

روينا من حديث ابي محمد عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال : نبأ محمد بن ابي سهل السرخسيّ ، نبأ عبد العزيز بن احمد الحلواني ، نبأ ابو علي الحصين بن خضر النسفي ، نبأ ابو بكر محمد بن الفضل ، نبأ عبد الله بن محمد ابن يعقوب ، نبأ عبد الله بن محمد الهرَوي ، نبأ الحسن بن علي ، نبأ جعفر بن عون ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن مسلمة بن يسار ، عن سعيد بن المسيّب ، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ : من تعاهد مسجداً بسراج اشتاقت اليه الجنة ، ومن صبر على المصيبات فله الجنة ، ومن فتر عن الفتنة أعتق الله رقبته من النار ، ومن عفا عن مظلمة عفا الله عنه يوم القيامة ،

ومن كان سمحاً في التقاضي فتحت له ابواب الجنة ، فيدخل من اي ابوابها شاء بغير حساب .

ومن الحسان في فضل رمضان :

روينا من حديث عبد العزيز ايضاً : نبأ ابو ابراهيم اسماعيل بن محمد الخشني ببخارى ، نبأ ابو الحسن علي بن الحسن بن محمد السعدي ، نبأ ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الحضرمي ، نبأ ابو حفص احمد بن محمد العجلي ، نبأ عبدالله بن عبدالله ، نبأ احمد بن نصر العتكي ، نبأ ابي ، نبأ عباد بن كثير ، عن ابي عبد الرحمن ، عن ابي نضرة [1] ، عن ابي سعيد الخدري : إن رسول الله ﷺ قال : إن ابواب السماء تفتح أول ليلة من رمضان ، فلا تغلق الى آخر ليلة ، فليس عبد يصلي في ليلة إلا كتب الله له بكل سجدة الفاً وخمسمائة حسنة ، وبنى له بيتاً في الجنة من ياقوتة حمراء ، له سبعة آلاف باب من ذهب ، لكل باب منها قصر من ذهب موشح بياقوتة حمراء ، فاذا صام اول ليلة من رمضان كان كفارة الى مثله من الحول ، وكان له بكل يوم يصومه الف قصر موشح بياقوتة حمراء ، ويستغفر له سبعون الف ملك من غدوه الى تواري الحجاب ، وكان له بكل سجدة يسجدها من ليل او نهار شجرة يسير في ظلها الراكب مائة عام .

ومن أحسن الحِكم :

مَن صبر على طول الأذى ، دلّ على صدق التقى . مَن رفع حاجته الى الله جل جلاله ، استظهر في أمره ، ومن رفعها الى غيره ، وضع من قدره .

---

(١) نسخة ٢ : نصرة .

مَن آمن بالآخرة لم يحرص على الدنيا . مَن أيقن بالمجازاة، لم يؤثر على الحسنى. من ذكر المنيّة ، نسي الأمنيّة . من استعان بالله ، استغنى عن عباده ، ومن وثق به ، استظهر لمعاشه ، ومعاده . افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه ، ولم تزل الشبهة يقينه . خير الناس من اخرج الحرص عن قلبه ، وعصى هواه، في طاعة ربه . المعاونة في الحق ديانة ، والمعاونة في الباطل خيانة . نصرة الحق شرف ، ونصرة الباطل سَرف . افضل الناس من كان بعيبه بصيراً ، وعن غيب غيره ضريراً . أبصر الناس من أحاط بذنوبه ، ووقف على عيوبه. الدين سور ، واليقين نور . السعيد من خاف العقاب فأمن ، وطلب الثواب فأحسن . الرشيد من أخلص الطاعة ، والغني من آثر القناعة .

ولنا :

ما العزّ إلا لربّ الناس والرسُل والمؤمنين ولكن عالم جهلوا
كا القناعة مال الحرّ يخزنه بقلبه فلهذا ليس يُبتذلُ

وقلنا : خير الامور ما يسرّك في يوميك ، وأسعدك في داريك . الثقة بالله أقوى امل ، والتوكل على الله أزكى عمل .

كلمات نافعة لخيرات جامعة :

روينا من حديث ابن ثابت قال : انا ابو الحسن محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد البزّار ، نبأ جعفر بن محمد بن نصر ، نبأ احمد بن محمد بن مسروق ، نبأ محمد بن الحسين ، نبأ اسماعيل بن الترجمان :

سمعت ابا جعفر المحولي ، وكان جمع بين العلم والعبادة قال :

حرام على قلب محبّ الدنيا ان يسكنه الورع الخفي . وأقول : انا ولا والله الورع الجليّ . وحرام على نفس غلبها زبانية النـــاس ان تذوق حلاوة الآخرة ، وحرام على كل عالم لم يعمل بعلمه ان تتخذه المتقون إماماً .

وروينا من حديثه في باب واتقوا الله ويعلمكم الله :

قال ابو الحسن احمد بن الحسين قال : سمعت ابا عبد الله احمـد بن عطاء الروذبادي يقول :

العلم موقوف على العمل ، والعمل موقوف على الاخلاص ، والاخلاص لله، يورث الفهم « عن الله عزّ وجل » .

حديث حسن مروي عن الحسن :

روينا من حديث ابن ثابت قال : نبـأ ابراهيم بن مخلد بن جعفر القاضي ، نبأ محمد بن احمد بن ابراهيم الحلبي، نبأ محمد بن يونس، نبأ مكي بن قمير العجلي، نبأ جعفر بن سليمان ، عن سعيد بن طريف ، عن الاصبع بن نباتة ، قال :

دخلنا مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه على الحسن نعوده ، فقـال له علي : كيف اصبحت يا ابن [1] رسول الله ؟ فقال : اصبحت بحمد الله بارئاً. قال : كذلك انت إن شاء الله . ثم قال الحسن : اسندوني ، فأسنده علي الى صدره . فقال الحسن : سمعت جدي ﷺ وقال لي يوماً :

يا بنيّ ، عليك بالقناعة تكن من أغنى النـــاس ، وأدّ الفرائض تكن من أعبدِ الناس ، يا بنيّ ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى ، توقى بأهل

---

(١) نسخة : يا ابن بنت .

البلاء يوم القيمة ، فــلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الأجر صبا . وقرأ رسول الله ﷺ : « إنما يوّفى الصابرون اجرهم بغير حساب » .

ومما قيل في افراط المحبة :

بلــغ الهوى من قلبي المجهودا والحب اخلقني وكنت جديدا
يا عاذلي لو ذقت من ألم الهوى لوجدته صعباً عليك شديدا

كما قال الآخر :

ما للهوى اخذ الهوى بدمي تحكم الحب في روحي وفي بدني
ما حل للحب أن الحب أعدمني صبري وحرم اجفاني على الوسن

قال مجنون بني عامر :

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منكِ وحبكم شغلي
وأديم لحظ محـــدثي ليرى ان قــد فهمت وعندكم عقلي

وكما قال الضحّاك :

يقولون مجنون بسمرا مولعٌ الا حبذا جنٌ بهـــا وولوعُ
وكيف اطيع العاذلات وحبها يؤرّقني والعــاذلات هجوع
وإني لأخفي حبُ سمراء منهم ويعلم قلبي انـــه سيشيع

وكما قال احمد بن طاهر :

جنون الهوى فوق الجنون ولا يرى هوى عاقل الا كأخر جاهلُ
يزين للمعشوق ما هو فاعلٌ ويغوي إذا ما لجّ في العذل عاذل

وكما قال الآخر :

محب بكت عيناه من حب قاتل فيـــا قاتلا يبكي عليه قتيلُ
خليلي جفاني كان روحي لروحه خليلا وهل يجفو الخليل خليل

وكما قال الآخر :

ونفسٌ كان الهوى مولعٌ بهـا ليس بقصد إلا لهـا
اعللهـــا بالمنى تارةً وطوراً اصانعُ عُذّالها

ولنا في النظاميات :

اغيب فيفنى الشوق نفسي فالتقي فلا اشتفي فالشوق غيباً ومحضرا
ويحدث لي لقياه ما لم اظنه مكان الشفا داءً من الوجد آخرا
لأني أرى شخصاً يزيد جماله إذا ما إلتقينا نصرة وتكبُرا
فلا بدّ من وجدٍ يكون مقارناً لما زاد من حسن نظاماً محرّرا

خبر الرجفة التي كانت ببيت المقدس :

روينا من حديث ابن الواسطي قال : نبأ عمر قـال : نبأ ابي قال : نبأ الوليد بن حماد الرملي ، قال : نبأ ابو عمير عيسى بن محمد قـال : نبأ ضمرة ، عن رستم مفارسي قـال الرملي : وثنا عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن منصور ابن ثابت ، قال : نبأ ابي ، عن ابيه ، عن جدّه :

إن ابا عثمان الانصاري كان يحيى الليل بعد انصرافه من القيام في رمضان على البلاطة السوداء . قال : فبينما هو قائم في الصلاة إذ سمع صوت الهزة في المدينة ، وصراخ الناس ، واستغاثتهم . وكانت ليـــلة قارّة مظلمة كثيرة

الامطار والرياح . قـــال : فسمعت قائلاً يقول : اسمع صوته ، ولا أرى شخصه ، ارفعوها رويداً بسم الله ، فقلعت القبة حتى تبدّى لنا بياض السماء وأصاب وجهه رش المطر ، حتى أذن رستم السادن الفارسي ، فسمع قائـــلاً يقول : ردّوها رويداً ، بسم الله ، سوّوها ، عدّلوها ، سوّوها ، عدّلوها ، فردّت القبة على حكاية ما كانت . فقال لرستم لمـــا فتح الباب عليه : اذهب فجئني بخبر اهلي حتى أنبئك بعجيب. فأخبره بخبر اهله أن قد أصيب قومٌ ، وسلم قومٌ ، فأخبرني ، فقال له :

سمعت قائلاً يقول : ارفعوها رويداً ، بسم الله ، قلعة القبة قلعاً ، حتى بدا لنا بياض السماء ، وأصاب وجهي رشُّ المطر حتى أذّنت ، فلما أذّنت سمعت قائلاً يقول حين أذنت : رويداً ، بسم الله، سوّوها ، عدّلوها ، حتى أعيدت على حالها .

ومن باب من آثر محبة الله تعالى :

روينا من حديث الخرائطيّ ، قـال : نبأ ابراهيم بن الجنيد ، نبأ محمد بن الحسين ، نبأ عبد الملك بن قريب الاصمعي الباهلي ، قال : اصيبت امرأة من الأعراب بإبن لها، فأكمنت الصبر والعزاء عليه، فقيل لها: ما رأيناكِ جزعت على ابنك هذا ؟ قالت : بلى ، ولكن آثرت رضا الله تعالى ، وطاعته ، على محبة الشيطان .

من حكَم وهب بن منبّه :

ما رويناه من حديث الخرائطي، قال: نبأ علي بن الحسين النخعي، قال : مكتوب في حكمة وهب بن منبّه : المال يفنى ، والبدن يبلى، والعمل يبقى ،

والذنوب لا تنسى ، والديّان حيٌّ لا يموت .

ثم قال منشداً علي بن الحسين لأبي العتاهية :

نموت وننسى غير أن ذنوبنـا　　وإن نحن متنا لا تموت ولا تنسى
ألا رُبَّ ذي عينين لا تنفعانه　　وهل تنفع العينانُ من قلبه اعمى

ومن فصيح كلام العرب في هذا الباب :

رويناه من حديثه، قال: نبأ اسماعيل بن احمد بن معاوية بن بكر الباهلي، قال : نبأ ابي ، عن الاصمعي ، قال : سمعت اعرابياً يقول : مـا بقاء عُمْر تقطعه الساعات ، وسلامة بدنٍ معرّض للآفات . ولقد عجبت المؤمن كيف يكره الموت، وهو سبيله الى الثواب . ولا أرى احداً منا إلا سيدركه الموت، وهو عنه آبق .

قال : وأنشدني ابو القاسم عبد الرحمن بن ابي عبد الرحمن القطوي لأبيه :

يأملُ المرءُ أبعد الآمالِ　　وهو رهنٌ لأقرب الآجالِ
لو رأى المرءُ رأيَ عينيه يوماً　　كيف صَوْل الآجال بالآمال
لتناهى وقصّر الخطو في اللهـ　　ـو ولم يغترْ بدار الزّوال

قال الحسن بن الحسن البصري : ما اطال احـدٌ الأمل إلا ساء العمل . رويناه من حديث الحميدي ، عن الحسن بن محمد بن ابراهيم الحناي ، عن محمد ابن ابي الحديد ، عن ابي بكر محمـد بن جعفر ، عن ابراهيم بن الجنيد ، عن بشر بن آدم ، عن الفضل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ا هـ .

روينا من حديث الواسطي ، نبأ عيسى ، نبأ علي ، نبأ محمد بن ابراهيم ،

نبأ محمد بن النعمان ، نبأ سليمان بن عبد الرحمن ، نبأ ابو عبد الملك الجزري ، قال : اذا كانت الدنيا في بلاء وقحط كان الشام في رخاء وعافية ، واذا كان الشام في بلاء وقحط كانت فلسطين في رخاء وعافية ، واذا كانت فلسطين في بلاء وقحط كان بيت المقدس في رخاء وعافية . وقال : الشام مباركة ، وفلسطين مقدسة ، وبيت المقدس قدس القدس .

ولقد روي عن يزيد الرقاشي انه قال: من أراد ان يشرب ماء في جوف الليل ، فليقل : يا ماء ، ماء بيت المقدس يقرئك السلام ، فإنه أمان بإذن الله تعالى . حدثني بذلك غير واحد عن قاسم بن علي الشافعي، عن ابي القاسم السوسي، عن ابي بكر، عن ابراهيم بن يونس، عن ابي محمد محمد بن عبد العزيز النصيبي ، عن ابي بكر محمد بن احمد بن محمد الخطيب ، عن ابي عبدالله ، عن ابن جعفر، عن محمد بن ابراهيم ، عن ابن النعمان ، عن سليمان بن عبدالرحمن ، عن عبد الله بن ضرلة وأبي عبد الملك كلاهما ، عن يزيد الرقاشي .

وبه الى ابراهيم قال: نبأ محمد بن سليمان بن الحويشي ، عن بكر بن حنيش قال : كان سليمان بن داود اذا دخل بيت المقدس ، يعني المسجد ، وهو ملك الارض، يقلب بصره، يطلب مجالس المساكين من العمي، والخرس، والجذمي، فيدع مجالس الناس ، وينطلق ، فيجلس في جملة المساكين تواضعاً ، لا يرفع طرفه الى السماء . ثم يقول : اذا سئل عن ذلك مسكين جلس الى المساكين .

روينا من حديث الرملي قال: نبأ محمد بن نعمان،نبأ سليمان بن عبدالرحمن، عن ابي عبد الملك ، عن غالب ، عن عبد الله بن الاعرج ، عن كعب قال :

لا تقوم الساعة حتى يزول البيت الحرام ، وبيت المقدس ، فينقادان الى الجنة جميعاً ، وفيهما أهلوهما ، والعرض ، والحساب ، ببيت المقدس .

موعظة :

روينا من حديث محمد الحميدي قـــال : نبأ محمد بن ابراهيم ، نبأ ابن ابي الحديد ، عن ابي بكر بن جعفر قال : نبأ عمر بن شيبة قال :

قال عبد الملك بن قريب الاصمعي: وليَ أعرابي ناحية من نواحي البصرة، فكان يخطب بهم يوم الجمعة ، فقام يوماً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد ﷺ ، ثم قال :

أيها الناس انه في سنن من كان قبلكم لعظة، وما أخطأ القائل حيث قال:

أين الملوك التي عن خطبها غفلت حتى سقاها بكاس الموت ساقيها
أموالنـا لذوي الميراث نجمعها ودُورنا لخراب الدهر نبنيها
والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت ان السلامة منها ترك ما فيها

روينا من حديث الخرائطي قال : نبأ ابراهيم بن الجنيد، نبأ محمد بن يحيى ابن عبد الكريم ، نبأ جعفر بن ابي جعفر السراري ، حدثني ابو جعفر محمد بن قدامة قال :

بلغنا انه كان بالبصرة امرأة ، وكانت اذا جنـّها الليل ، ونامت كل ذي عين ، تخرّ ساجدة ، وتنادي في سجودها : أمالك يا مولاي عذاب تعذّبني به إلا النار ؟ ولا تزيد عليه حتى تصبح .

وبه قـال : بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام مرّ بأربعمائة الف امرأة متغـيّرات الألوان، وعليهن مدارج الشعر والصوف، فقال عيسى عليه السلام:

ما الذي غـيّر ألوانكن معاشر النسوة ؟ قلن : ذكر النار غـيّر ألواننا يا ابن مريم ، ان من دخل النار لا يذوق برداً ولا شراباً .

وبما قيل في الوطن : ميلك الى موضع مولدك من كريم مجدك، اذا كانت الطير تحنُّ الى اوكارها ، فالانسان أولى بالحنين الى اوطانه .

قالت الفرس : تربة الصبي تغرس في القلب رقة وحلاوة .

قيل لبعض العرب : ما الغبطة ؟ قال : الكفاية مع لزوم الاوطان ، والجلوس مع الاخوان .

قيل له : فما اللذة ؟ قال : التنقـّل في البلدان ، والتنحـّي عن الاوطان ، ثم أنشد :

طلبُ المعاش مفرّق … بين الأحبّة والوطنْ
ومصيّر جَلد الرجا … ل الى الضراعة والوهن
حتى يُقاد كما يقا … د النضو في ثني الرسن
ثم المنيّة تأتـه … فكأنه ما لم يكن

ومن احسن ما قيل في الآيات ، وحب الاوطان من الشعر :

وباشرتها فاستعجلت عن قناعها … وقد تستخفّ الطامعين المباشرُ
وخبّرها الروّاد ان ليس بينها … وأين قرى نجران والدرب ساتر
فألقت عصاها واستقرّ بها النوى … كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

قيل لأعرابي : ما السرور ؟ قال : أوبة بغير خيبة ، وإلفة بغير غبة .
وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : غيبة تفيد غنىً ، وأوبة تعطيك منى .

اذا هبّت الارواح من نحو جانبٍ … به اهل ميٍّ هاج قلبي هبوبها
هوىً تذرف العينان منه وإنما … هوى كل نفس أين حلّ حبيبها

وقيل في الغربة :

وأنزلني طول النوى ارض غربة   اذا شئت لاقيت الذي لا أشاكلهْ
فحامقته حتى يُقـــال شجيّة   ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله
ولو كنت في اهلي وُجلّ عشيرتي   للاقيت فيهم اخرقاً لا أواصله

ومما قال : من نفي هواه ، ومنع حماه :

ومستخفيات ليس يخفين دوننا   ويسحبن أذيال الصبا لذوي الشكلِ
مريضات رجع القول يله عن الخنا   تألـّفن أهواء الرجال بـلا بـدل
جمعن الهوى حتى اذا ما ملكنه   نزعن وقد أكثرن فينا من القتل

قوله : مريضات ، رجع القول .

قوله تعالى : « فـــلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض » وهو غير المتـّقى .

ومن هذا الباب قول الآخر :

لا والذي تسجدُ الجباه له   مالي الى تحتِ ثوبها خبرُ
ولا بفيها ولا هممت بـــه   ما كان إلا الحديث والنظر

قال النابغة :

زعم الهمام بـأن فاها باردٌ   عذبٌ مقبّله شهيٌّ المورد
زعم الهمام ولم اذقه انـــه   يشفي برّياً ريقها العطش الصدى

ومن هذا الباب قول ابن المعتز :

قد كان يكفيك ما بالجسم من سقمٍ لم زدتني سهراً لأمسك السهرُ
عيني مورقـة والجسم مختبلٌ والقلبُ بينهما تخلو به الفكر
يا مانعي لذة الدنيا بمـا رُحبت اني ليقنعني من وجهك النظر

ومن هذا الباب لأبي فراس :

الحبُّ آمره والصون زاجره والصبر اول ما يأتي وآخره
إن الفتى إن صبا او شفـّه غزل فللعفاف وللتقوى مآزره
وأشرف الناس اهل الحبّ منزلة وأشرفُ الحب ما عفت سرائره

ومن هذا الباب لجميل بن معمر العذري :

وكان التفرّق عند الصبا ح عن مثل رائحة العنبر
خليلان لم يقربا ريبةً ولم يستحقا الى منكر

ومن التنبيهات :

ما رويناه من حديث عبد العزيز قال : قـال ابو ثابت عاصم بن الحسن ، أنا محمد بن احمد ، نبأ احمد بن محمد المقري ، عن احمد بن محمد العبدي ، عـن ابي حكيم شداد بن سعيد ، عن مزاحم بن سعيد ، عـن حباب بن ابراهيم ، عن محمد بن حرب الابرش ، عن سعيد بن سنان ، عن ابي الزاهرية ، عـــن جرير بن نعيم قال : خمس خصال قبيحة في اصناف من الناس :

الحرص في القراء ، والحسد في السلاطين ، والبخل في الاغنياء ، والفترة في الشيوخ ، وقلة الحياء في ذوي الاحساب .

ومما قيل في الاعتذار عن البخل : قال علي بن الجهم :

اعاذل ليس البخل مني شجية ... ولكن رأيت الفقر شرّ سبيل
يموت[1] الفتى خيرٌ من الفقر للفتى ... والموت خيرٌ من سؤال بخيل

ومما قيل في البخل :

أراك تؤمل حسن الثنا ... ولم يرزق الله ذاك البخيلا
فكيف يسود أخي بطنةٍ ... يمن كثيراً ويُعطي قليلا

وقال علي بن الجهم :

لعمرُك ما الناس اثنوا عليك ... ولا قرضوك ولا عظموا
ولا سابقوك على مـا بلغت ... من الصالحات ولا قـدموا
ولو وجـدوا لهم مطمناً ... الى ان يعيبوك ما احجموا
ولكن صبرت لـمـا ألزموك ... وجدت بمـا لم تكن تلزم
وكان قراك إذا مـا لقوك ... لساناً بمـا سرّهم ينعمُ
وخفض الجناح ووشك النجاح ... وتصغير مـا اعظم المنعم
وأنت بفضلك ألجأتهم ... الى آن تعالوا بآن يكرموا

ومن أزاهر الحكم :

شكر الإله بطول الثناء ، وشكر الموالاة بصدق الولاء ، وشكر النظير بحسن الجزاء ، وشكر من دونـك بسبب العطاء ، من أدام الشكر استدام البر ، احلى النوال ما وصل قبل السؤال ، خير المبار ما اسديته الى الابرار ،

---

(١) نسخة : لموت .

اولى الناس بالنوال ازهدهم في السؤال ، من تمـام الكرم اتمام النعم ، احسن المقال مـــا صدق بحسن الفعال ، من حسن صفاؤه ، وجب اصطفاؤه ، من زال معهود إحسانه ، استحال موجود امكانه، من منع العطاء ، منع الثناء ، من منع الإحسان ، سلب الإمكان ، من عف عن الريبة ، كفّ عن الغيبة ، اخلاص التوبة ، تسقط العقوبة ، احسان النية موجب المثوبـة ، من غاظك بقبيح الشتم منه ، فغظه بحسن الحلم عنه ، آلام الناس سعيد لا يسعد بـــه اخوانه ، وسليم لا يسلم منه جيرانه ، من بخل بماله على نفسه ، جاد بـه على زوج عرسه ، إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا اصطنع اليك فانشره ، من جاور الكرام أمن من الاعدام ، ومن جاور اللئام ، فقد الانعام ، من شرف منصبه حسن مذهبه ، من طاب اصله ، زكى فعله ، من انكر حسن الصنيعة ، استوجب قبح القطيعة ، من كفر شمول النعم ، استحل حــلول النقم ، مَن مَنّ بمعروفه ، سقط شكره ، ومن اعجب بعلمـه [1] ، حبط اجره ، من رضي من نفسه بالاساءة شهد على نفسه بالرّداءة ، من رضي بذم اخلاقه ، اعترف بلوم اعراقه ، من رجع في هبته بالغ في خسّته ، من اغلق عن اخيه بابه ، ذم النام خلقه وآدابه ، من بخل على نفسه بخيره ، لم يجد به على غيره ، من تصرف على حكم المروة ، دلّ على شرف الابوة ، من كرم على تحبيب الرجاء ، دلّ على كرم الآباء ، الشكر أحسن حلية ، والاجر افضل قنية ، افضل الكنوز اجر يدخر ، وانفس الثياب شكر ينشر، افضل العدد أخٌ وفيّ ، وأفضل الذخائر سقى زكيّ ، السلطان السوء يخيف البري ، ويصطنع الدي ، والبـلد السوء يجمع السفل ، ويورث العلل ، والولد السوء يشين السلف ، ويهـدم الشرف ، والجار السوء يفشي السر ، ويهتك الستر ،

---

(١) نسخة : بعمله .

اخسّ الناس من اخذ بغير حق ، وأنفق على غير مستحق ، من غدر شأنه غدره ، ومن مكر حاق به مكره ، من حمد على الظلم مكر بـه ، ومن شكر على الاساءة سخر منه ، من حق الملك أن يختار لرعيته مـا يختار لنفسه ، ويعدّ سوء سيرته من شقاء جدّه ونحسه ، المرء يجني بختاره تحـلة آثاره ، شرّ الافعال ما جلب المذام ، وشرّ الاقوال مـا جلب [1] الملام ، وشرّ الآراء ما خالف الشريعة ، وشرّ الاعمال ما هدم الصنيعة .

ومن باب ما قيل في التصوف :

مـا رويناه من حديث ابن ثابت ، قال : نبأ ابو طالب يحيى بن علي الدسكري ، نبأ علي بن بندار الاستراباذي، قال : سئل الشبلي عن التصوف، قـال : التصوف عندي ، ترويح القلوب بمراوح الصفاء ، وتجليل الخواطر ، بأردية الوفاء ، والتخلّق بالسخاء ، والبشر في اللقاء .

وأنشد ابن ثابت ، قال : أنشدني الحسن بن محمد البلخي ، قال : أنشدني طاهر بن الحسين ، وهو ابو الحسن المخزومي لنفسه ه :

ليس التصوّف أن يلاقيكَ الفتى وعليه من نسج المسيح مُرقّعُ
بطرائق بيض وسودٍ لفّقت فكأنه فيهـا غرابٌ أبقع
إن التصوّفَ ملْبَسٌ متعارفٌ فيـه لموجـده المهيمن يُخشعُ

تذكرة ربانية :

رويناها من حديث ابن ثابت ، قال : نبأ علي بن القاسم بن الحسن الشاهد

---

(١) نسخة : اوجب .

بالبصرة ، نبأ علي بن اسحاق المارداني ، نبأ الفضل بن محمد ، نبأ اسحاق بن ابراهيم الطبري، قال: قال الفضيل بن عياض: قال الله عز وجل: يا ابن آدم، اذا كنت أقلّبك في نعمتي، وأنت تتقلب في معصيتي، فاحذر . لا أصرعك بين معاصيك . يا ابن آدم اتقني ، ونمْ حيث شئت . إن ذكرتني ذكرتك ، وإن نسيتني نسيتك ، والساعة التي لا تذكرني فيها عليك لا لك .

ومن وعظه الشيب فتبرأ من العيب :

ما رويناه من حديثه ، قال : نبأ عبد الرحمن بن محمد النيسابوري ، نبأ محمد بن عبد الله بن شادان الرازي، سمعت أبا عبد الله القرشي يقول: كان لي جارٌ شاب ، وكان اديباً ، وكان يهوى غلاماً اديباً ، فنظر يوماً الى طاقات شعر بيض في عارضيه ، فوقع له شيء من الحق ، فهجر الغلام ، وتركه . فلما نظر الغلام الى ذلك منه كتب اليه يقول :

ما لي جُفيتُ وكنتُ لا أُجفى ودلائل الهجران ما تخفى
وأرك تشربُني فتمزجُنا ولقد عهدتك شاربي صِرفا

قال : فقلب الرقعة وكتب على ظهرها :

أنغام مع الشمط سُمتني خطة شطط
لا تلمني على جفا ئي فحسبي بما فرَط
أنا رهنٌ بما جَنَيْـ تُ فذرني من الغلط
قد رأينا أبا الخلا ئق في زلةٍ هبط

ومن باب النسيب ما قيل في معاتبة الجواري :

ناديت قلبي بدمعي ثم قلتُ له يا مَن يُحبُّ حبيباً لا يواتيه
فردّ قلبي على طرْفي بزفرتهِ هذا البلاء الذي اوقعتني فيه

وقول الآخر :

يا قلبُ يا قلبُ يا مشومُ — منك بلائي فمن ألومُ
تعشقُ هذا وذا وهــذا — لستَ على واحـدٍ تدوم

ولبعضهم في هذا الباب :

أغار طرفي على قلبي وإحشائي — بنظرة وقفت مني على دائي
وكنتُ غرّاً بما تجني عليّ يدي — لا عِلم لي أن بعضي بعض اعدائي

ولبعضهم في هذا الباب :

افيضي وانزفي العبرات عيني — فأنتِ فتنتني وجلبتِ حيْني
وألهبتِ الفؤادَ لهيبَ جمرٍ — بحرقتـه يذوبُ الأسوَدين
فذوقي من فِعالِك مثل ما قد — أذقتِ القلب من صدٍّ وبَين
جنـاية ناظرٍ بالقلب تربى — على فعـل الخوارج بالحُسَين

ومن هذا الباب :

يا جفوناً سواهراً اعدمتهـا — لذة النومِ والرقـاد جفونُ
إنّ لله في العبـاد منايا — سلـّطتها على العيون العيونُ

ومنه ايضاً :

نظرُ العيونِ الى العيون هو الذي — جعل العيون على القلوب وبالا
ونهيتُ نومي عن جفوني فانتهى — وأمرتُ ليـلي ان يطول فطالا

ومن هذا الباب :

أمرَ الهوى ليل الشجيّ فطالا — ونهى الهوى عنه الملامَ فزالا

والذي ذهبنا اليه أدخل في النسيب من الأول، فإن الأول في حكم نفسه، فإنه الآمر ، والناهي . والذي ذهبنا اليه بحكم الهوى ، لأن المحبّ لا حكم له مع سلطان الهوى ، فإنه الأقوى .

وللعباس بن الأحنف فيه ه :

خليليّ مـــا للعاشقين قلوب   ومـــا للعيون الناظراتِ ذنوبُ
ويا معشر العشاق ما اصعب الهوى   اذا كان لا يلقى المحبّ حبيبُ

ومن باب الإفراط في الحب قول قيس المجنون :

إن البلاد وما فيها من الشجر   لو بالهوى عطشت لم تروَ بالمطرِ
لو ذاقت الحبّ ارض الله لاشتغلت   اشجارها بالهوى فيها عن الثمر
ليسَ الحديدُ ولا صمّ الحجار اذا   فكـّرت أقوى على البلوى من البشر

كلام في السماع لبعض اخواننا :

سمعت صاحبنا احمد بن مسعود بن شداد المقري الموصلي بمنزلي بمدينـــة الموصل سنة احدى وستمائة يقول: السماع سر من اسرار الله تعالى التي لا عمارة للقلوب إلا بها . وهي لطيفة من لطائف الغيوب التي هي قوت القلوب ، فإذا مررت بسر به ، فسر به ، وقف مع اهله ، على قدم التذلل ، وأمِطْ عنك رداء التذلل ، فإنك لن تدرك الأرب، إلا بلزوم الأدب، ولن تبلغ المقصود، إلا بحفظ العهود . ومن رام قضاء الأوطار ، اقتحم ركوب الأخطار . فإذا برز لك توقيع تقريبه ، فلا تخلْ تقرى به . فهذه عناية ، أصلهـــا ثابت في القِدَم ، وفرعها ثابت ، ظهر الى الوجود ، من كمين العدم ، مشيراً اليـــه في قوله تعالى: « ألستُ بربكم ؟ » فلما كمنت نار قوله في زناد: « قالوا : بلى » ،

قرعتها صفى الصفا بواسطة هـذه الآلات . فبرقت بارقة من تلك النغمات ، فسمَت الأرواح الى تلك النسمات ، وشفّ الجوهر الروحـــاني ، في العرض الانساني . فلما تنسمت الأرواح ، وسمَت الى ما به، وسمَت، طارت بأجنحة الطرب ، الى سماء الطلب ، فرتعت في رياض الانس ، وكرعت في حيـاض القدس . فلما انبسطت على بساط البسيطة ، وتعززت بعزّ العزائم النشيطة ، تثبتت اقدام اقدامها ، وناحت حمـــام حمامِها ، وغردت بلابل بلابلها . وأنشدت بلسان حالها :

أبداً تحنُّ اليكمُ الأرواحُ ... ووصالكم رَيحانها والرّاحُ
وقلوبُ اهل ودادكم تشتاقكم ... والى زمـــان لقاكمُ ترتاح
وارَحمتا للعـــاشقين تحمّلوا ... ثقلَ المحبـة والهوى فضّاح
بالسر إن باحوا تباحُ دماؤهم ... وكذا دمـاءُ البائحين تباح

حكاية الضّادي :

حدثنا احمد بن مسعود ، انا رسلان البغدادي قـال : كان رجل بالبصرة يكثر من ذكر الضادات حتى وسم بالضادي ، وكان قاضيها يتمنى ان يقع له اليه حاجة ليسمع كلامه ، فدخل عليه بعض حجابه يوماً ، وقال :

يا سيدي ، الضادي بالباب ، قـــال : ائذن له ، فمحصول ما يتكلم به ضادات ، وهو ان يقول : السلام عليك أيها القاضي ، ان فلاناً ظلمني ، وأنا ضعيف ، فأقول له : الظلم بالظاء ، وليس بالضادّ ، فأقهره ، فدخل عليه ، وقال : السلام عليك ايها القاضي الفاضل الافضل ابن الافضل ، ان ضرار بن ضمرة الضبي اهتضمني ، وعضّني ، وضلع ضلعي ، وأخذ ضيعة لي على الغياض بالضيعي ، اعترضها ضماناً ، ولم يعوّضني عنها ، وأنت ايها القاضي غضبان

عليّ ، مُعرض عني ، نتعرض بعرض عرضك ، ان تمضي الى ضرار بن ضمرة الضبي ، وتحضره بحضرتك احضاراً ، وتفرض لي عليه فرضاً ، ليخضع ويضرع ، ويعوّضني البعض عن الضمان ، فإني ضعيف ، متضعّف ، مهضوض، من بين الضعفاء ، فاهتضمني بضوضائه ، قـــال : فأقبل القاضي على خصمه وقال له : ان خصمك هذا لمجنون ، انطلق ، وخذ الضيعة .

فلما ولى اخذ الضادي بأهدابه وأنشد :

أيا مَن اقرض القاضي ... له أرضي لكي يرضى
أهذا في القضا فرضٌ ... بأن ترضى ولا أرضى
قضى قاضيك في ارضي ... قضاءً ليت لم يقضى
فأين المعوض المقروض ... لا عوضاً ولا قرضا
ضعاف مهضمٌ ضيمٌ ... مضت ضيعتهم ايضا

قال : فاستفرغ القاضي منه ضحكاً فوقع له بالضيعة .

خليفة أمن وعدل ، في حال شغله باللهو والغزل :

احتجب عبد الرحمن بقرطبة عن الناس سنين كثيرة في أكل ، وشرب ، ولهو ، وطرب ، فدخل عليه بعض من له عليه ادلال فقال :

يا امير المؤمنين اشتغلت باللهو عمـا قلّدته من امور المسلمين ، وفوّض اليك من القيـام بهم ، والنظر في مصالحهم ، ورعى حق الله فيهم ، فقال :

يا هذا ، السُّبُل آمنة ؟ قال : نعم ، قال : قاضيكم يعدل ؟ قال : نعم ، قال : عدوكم مقهور ؟ قال : نعم ، قال : فما تريدون مني ؟

ودخل على هـذا الخليفه يوماً ارسال الافرنج ، وقـد ظهر لهم من عظيم الملك ، ما يرغبهم ، بسّط لهم الحصر من باب قرطبة ، الى باب الزهراء ، قدر فرسخ ، وجعل الرجال عن يمين الطريق ، ويساره ، بأيديهم السيوف ، الطوال ، العراض ، مجرّدة ، يجمع بين سيف الايمن ، وسيف الأيسر ، حتى صارت كمقد الحنـايا ، وأمر بالارسال ان يمشوا بين تلك في ظلالها ، كأنها ساباط ، فدخلهم من الرعب مـا لا يعلمه إلا الله تعالى ، فلما وصلوا الى باب الزهراء فرش لهم الديباج ، من باب المدينة الى مقعده ، على تلك الحـالة من الترهيب ، وأقـــام في مواضع مخصوصة حجّاباً ، كأنهم الملوك ، قعوداً على كراسي مزخرفة ، عليهم الديباج ، والحرير ، فما أبصروا حاجباً إلا سجدوا له يتخيلون انه الخليفة ، فيُقال لهم: ارفعوا رؤوسكم ، هذا عبد من عبيده، الى ان وصلوا به الى ساحة مفروشة بالرمل ، والخليفـة في وسطها ، قاعد ، عليه ثياب خلقٌ ، قصار ، يُساوي كل ما عليه اربعة دراهم ، وهو قاعد على الارض ، مطرق ، وبين يديه مصحف ، وسيف ، ونار . فقيل للرسل : هذا السلطان ، فسجدوا له ، فرفع رأسه اليهم قبل ان يتكلموا وقال :

ان الله أمرنا يا هؤلاء ان ندعوكم الى هـذا ، وأشار الى المصحف كتاب الله ، فإن أبيتم فبهذا ، وأشار الى السيف ، ومصيركم اذا قتلناكم الى هـذا ، وأشار الى النـــار . فملئوا منه رعباً ، وأمر بإخراجهم ، ولم يبدو كلاماً ، فصالحوه على ما أراد .

هكذا يُعزُّ دين الله وإلا فلا .

ومن باب النصائح :

ما كتبنا به الى السلطان عز الدين الغالب ، بأمر الله كيكاوس ، جواباً عن كتاب وصل الينا منه أيّده الله :

بسم الله الرحمن الرحيم .

وصل الاهتمام السلطاني الغالبي بأمر الله العزيز، أدام الله عدل سلطانه، الى والده الداعي له ، فيتعين عليه الجواب بالوصية الدينية ، والنصيحة السياسية الإلهية ، على قدر ما يعطيه الوقت ، ويحتمله الكتاب، الى ان يقدر الاجتماع، ويرتفع الحجاب .

فقد صحّ عن رسول الله ﷺ انه قال :

الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ فقال : الله ، ولرسوله، ولائمة المسلمين ، وعامتهم ، وأنت يا هذا بلا شك من أئمة المسلمين ، قد قلدك الله هذا الأمر ، وأقامك نائباً في بلاده، ومتحكماً بما توفق اليه في عباده، ووضع لك ميزاناً مستقيماً ، تقيمه فيهم ، وأوضح لك محجّة بيضاء ، تسلك بهم عليها ، وتدعوهم اليها ، وعلى هذا الشرط ولاك ، وعليه بايعناك، فإن عدلت فلك ولهم ، وإن جرت فعليك وعليهم ، فاحذر أن أراك غداً يوم القيمة بين أئمة المسلمين من اخسر الناس اعمالاً ، ولا يكون شكرك لما انعم الله به عليك من استواء ملكك بكفران النعم ، واستظهار المعاصي ، وتسليط نواب السوء على الرعية الضعيفة، فيحتكون فيهم بالجهالة والاغراض، وأنت المسؤول عن ذلك .

فيا هذا قد احسن الله اليك ، وخلع النيابة عليك ، فأنت نائب الله في خلقه ، وظله الممدود في ارضه ، فانصف المظلوم من الظالم ، ولا يغرنك أن وسع الله عليك سلطانك ، وسوى لك البلاد ووطاها ، مع اقامتك على المخالفات ، والجور ، وتعدي الحدود ، فإن ذلك الاتساع ، مع بقائك على مثل هذه الصفات ، امهال من الحق ، لا اهمال ، وما بينك وبين أن تقف

على اعمالك إلا بلوغ الأجل المسمى ، وتصل الى الدار التي سافر اليها آباؤك وأجدادك ، فلا تكن من النادمين ، فإن الندم في ذلك الوقت غير نافع .

يا هذا ومن أشد ما يمر على الإسلام ، والمسلمين ، وقليل ما هم رفع النواقيس ، والتظاهر بالكفر ، واعلاء كلمته ببلادك ، ورفع الشروط التي اشترطها امير المؤمنين ، وأمام المتقين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، على اهل الذمة ، من ان لا يحدثوا في مدينتهم ، ولا حولها كنيسةً ، ولا ديراً ، ولا قلة ، ولا صومعة راهب ، ولا يجددوا ما خرب ، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزل بها احد من المسلمين ، ثلاث ليال يطعموهم ، ولا يأووا جاسوساً ، ولا يكتموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلموا اولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركاً ، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الاسلام ، ان أرادوه ، وأن يوقروا المسلمين ، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا آرادوا الجلوس ، ولا يتشبّهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوةٍ ، ولا عمامةٍ ، ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا يتسمّوا بأسماء المسلمين، ولا يتكنوا بكناهم، ولا يركبوا سرجاً ، ولا يتقلدوا سيفاً ، ولا يتخذوا شيئاً من السلاح ، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ، ولا يبيعوا الخمور ، وأن يجزوا مقادم رؤسهم ، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا، وأن يشدوا الزنانير على اوساطهم ، ولا يظهروا صليباً ، ولا شيئاً من كتبهم في طرق المسلمين ، ولا يجاوروا موتى المسلمين بموتاهم ، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً ، ولا يرفعوا اصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين ، ولا يخرجوا شعانين ، ولا يرفعوا مع موتاهم اصواتهم ، ولا يظهروا النيران معهم ، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين . فإن خالفوا في شيء مما شرط فلا ذمة لهم ، وقد حل للمسلمين ما يحل من اهل المعاندة والشقاق .

فهذا كتاب الإمام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ انه قال : لا يبني كنيسة في الإسلام ، ولا يجدد ما خرب منها ، فتدبر كتابي ترشد ، إن شاء الله تعالى ، مـــا لزمت العمل به ، والسلام .

وكتب اليه ايضاً :

إذا أنت اعززت الهدى وتبعته	فأنت لهذا الدين عزٌ كما تدعى
وإن انت لم تحفل بــه وتركته	فأنت مذل الدين تخفضه وضعا
فلا تأخذ الالقاب زوراً فإنه	لتسأل عنها يوم يجمعكم جمعا
يقال لعزّ الدين اعززت دينه	ويسأل دين الله عن عزّكم قطعا
فإن شهد الدين العزيز بعزّكم	تكن مع دين الله في عزّه شفعا
وإن قال دين الله كنت بملكه	ذليلا وأهلي في ميادينه صرعى
وما زلتُ في سلطانه ذا مهانةٍ	وفي زعمه بي أنه محسنٌ صنعا
فما حجّة السلطان ان كان قوله	كما قلت فلتسكب لما قلته الدمعا
وأدمن لباب الله ان كنت تبتغي	تجاوره عن ذينك الضرب والقرعا
عسى جوده يوماً يجود بنفحة	فيبرز عفو الله يدفعــه دفعا
فيا ربّ رفقاً بالجميع فيا لها	اذا اجتمع الخصمان من وقعة شنعا
فأنت امام المتّقين ورأسهم	اذا لم تزل تجبر لدين الهدى صدعا
لكم نائبٌ في الامر اصبح ملحداً	وأضحى لأهل الدين يقطعهم قطعا
فما لك لم تغلبه واسمك غالبٌ	وما لك لم تعزله اذ آثر النفعا
فيا ايهـا السلطان حقق نصيحتي	لكم وارعني منكم لمـا قلته سمعا
فإني لكم والله أنصحُ ناصحٍ	أذودُ الردى عنكم وأمنعه منعا
وأجلبُ للسلطان من كل جانب	من الدين والدنيا المعارف والنفعا

حِكم منثورة :

افضل الاعمال ما أثّل مجداً، وأجل الطلب ما حصّل حمداً . شر العمل ما هدم فخراً ، وشر الطلب ما قبح ذكراً . الحليم مَن لم يكن حلمه لفقد النصرة ، وعدم القدرة ، والجواد من لم يكن جوده لدفع الأعداء ، وطلب الجزاء . والشجاع من لم تكن شجاعته لفوت الفرار ، وفقد الانصار . والصّموت من لم يكن صمته لكلة لسانه ، وقلة بيانه . والمنصف من لم يكن انصافه لضعف يده وقوة خصمه . والمحبُّ من لم تكن محبته لبذل معونه ، او حذف مؤنه . مَن خان أخاه زهد في أُخوّته ، ومن أعان عليه خرج من مروءته .

وروينا من حديث ابن ثابت قال : انا ابو الحسن محمد بن احمد بن محمد بن رزق البزّار ، وأبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل ، نبأ اسمعيل بن محمد الصفّار ، نبأ ابو يحيى بن اسد المروزي ، نبأ معروف الكرخي قال :

قال بكر بن ُحبيش :

ان في جهنم لوادٍ تتعوّذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات، وان في الوادي لجبّاً يتعوذ الوادي ، وجهنم، من ذلك الجب كل يوم سبع مرات، وان في الجب لحية يتعوذ الجب ، والوادي ، وجهنم ، من تلك الحية كل يوم سبع مرات . يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون : أي ربّ ُبدىء بنا قبل عبدة الاوثان . فيقال لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم .

وروينا من حديثه ايضاً ، عن ابن رزق قال : حدثنا ابو محمد بن جعفر

ابن محمـد بن نصر الخلدي حدثني ابراهيم بن نصر المنصوري مولى منصور بن المهدي، حدثني ابراهيم بن بشار الصوفي الخرساني خادم ابراهيم بن ادهم قال:

وقف رجل مرة على ابراهيم بن ادهم فقال :

يا ابا اسحاق لِمَ حُجبت القلوب عن الله عز وجل ؟ فقال : لأنها أحبَّت ما ابغض الله ، أحبت الدنيا ، ومالت الى دار الغرور ، واللهو ، واللعب ، وتركت العمل لدار ، فيها حياة الابد ، في نعيم لا يزول ، ولا ينفد خالداً ، مخلّداً ، في مُلكٍ لا نفاذ له ، ولا انقطاع .

ومن باب النسيب :

ما قاله ابن الرومي في حلاوة الحب ، ومرارته . قال ابو بكر الصيدلاني في روايتنا : انشدنا احمد الكاتب قال : انشدني ابن الرومي :

وأزرق الفجر يبـدو قبل أشهبه ... وأول الغيث قطرٌ ثم ينسكبُ
فمثل ذلك ودّ العاشقين هوىً ... بالمزح يبدو وبالإدمان يلتهب

وبلسان الوسوسة في هذا الباب :

الحبُّ حلوٌ أمرّته عواقبه ... وصاحب الحب صبُّ القلب ذائبهُ
استودع الله مَن بالقلب ودّعني ... يوم الرحيل ودمع العين سائله
ثم انصرفت وداعي الحب يهتف بي ... ارفق عليك فقـد عزّت مطالبه

ولنا في هذا الباب :

الحبُّ حلوٌ اذا مـا حِبُّنا وصلا ... كما يمرُّ اذا محبوبنا هجرا
منوّع الطعم في الحالات فهو كمثـ ... ـل الماء يتبع لون الكاس ان نظرا

وقال الحسن بن هانیء :

أوائــــل الحب حلاوات   وآخر الحب مرارات
ومشرع الحب دواعي الردى   ومنهل الحب بليّـــات
كم قـــد أباد الحب من معشرٍ   أمسوا وهم في التراب اموات
فسوف ان دام بنـا ذا الهوى   أموت والله كما ماتوا

ولبعضهم :

الحبُّ يترك من أحب مدلّهاً   حيران او يقضى عليه فيُسرعُ

وقال الآخر :

ألا قاتل الله الهوى كيف يقتل   وكيف بأكباد المحبين يفعلُ
فلا تعذلوني في هواي فانني   أرى سورة الابطال في الحب تبطل

وقال ابو حفص في هذا الباب :

ليس أمرُ الهوى يدبَّرُ بالرأ   ي ولا بالقيـاس والتفكيرِ
إنما الحبُّ والهوى خطراتٌ   محدثات الأمور بعـد الأمور
ليسَ خطبُ الهوى بخطب يسير   ليسَ ينبيك عنه مثل خبير

ومن قول الكميت في هذا الباب :

الحبُّ فيه حلاوةٌ ومرارة   سائل بذلك من تطعّم أو سقي
ما ذاق بؤس معيشةٍ ونعيمها   فيما مضى احدٌ اذا لم يعشقِ

وقال بعضهم فيه ه :

رأيتُ أخا الحب الذي ليس يقصرُ يقال له أعمى وإن كان يبصرُ
ويخبط كالعشواء في حالك الدجى سواءٌ عليه السهل والمتوعر

ومن باب طعم الحب :

وللحبّ اغصان تراها نظيرة وفي طعمها للذائقينَ ذعافُ
رأيت المنايا في عيون او انسٍ تميتُ بها الأرواحَ وهي ضعاف

ومن ذلك :

وقيل الهوى عذبٌ فلما وردته وردت كريهاً لا يسوغ لشاربه
واني رأيتُ الدهر حين صحبته محاسنه مقرونة بمعائبه
اذا سرني في اول الأمر لم أزل على حذرٍ من غمّه في عواقبه

ومن ذلك :

الحبُّ حلو البدءِ مرُّ العقب وأصعبُ الأدواءِ داءُ الحبّ
وصاحبُ الحبّ حليف الكرب مذلّة العقل عميد القلبِ

رؤيا عاتكة عمة رسول الله ﷺ بمكة فيما جرى على المشركين في يوم بدر :

روينا من حديث الواحدي ، قال : نبأ احمد بن الحسين الحيري ، ثنا ابو العباس احمد بن يعقوب ، نبأ احمد بن عبد الجبار العطاردي ، نبأ يونس ابن بكير ، نبأ محمد بن اسحاق ، نبأ حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : رأت عاتكة بنت عبد المطلب ، فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم على قريش بمكة بثلاث ليال ، رؤيا ، أعظمتها . فبعثت الى

اخيهـــا العباس بن عبد المطلب ، فقالت : يا اخي لقد رأيت الليلة رؤيا ، ليدخلنّ على قومك شرٌّ وبلاء . قال : ومــا هي ؟ قالت : رأيت فيما يرى النـــائم أن رجلاً اقبل على بعير له ، فوقف بالأبطح ، فقال : انفروا يا آل عذراء الى مصارعكم في ثلاثٍ . فأرى الناس اجتمعوا اليــه ، ثم أرى بعيره دخل به المسجد ، واجتمع اليه أناس . ثم مثل به بعيره ، فإذا هو على رأس الكعبة ، فقــال : يا آل عذراء انفروا الى مصارعكم في ثلاث . ثم أن بعيره مثل به على رأس ابي قبيس فقـــال : انفروا يا آل عذراء الى مصارعكم في ثلاث . ثم أخــذ صخرة ، فأرسلها من رأس الجبل ، فأقبلت تهوي حتى اذا كانت في اسفله ارفضت ، فمــا بقيت دارٌ من دور قومك ، ولا بيت ، إلا دخل فيه بعضها . قـــال العباس : والله ان هذه لرؤيا فاكتميها . قالت : وأنت فاكتمها .

فخرج العباس من عندهـــا ، ولقي الوليد بن عتبة ، وكان له صديقاً فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لابنه ، فتحدث بها ، ففشى الحديث . قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت ، فدخلت المسجد ، فـإذا ابو جهل في نفرٍ من قريش يتحدثون عن رؤيا عاتكة . فقال ابو جهل : يا ابا الفضل ، متى حدثت هذه النبية فيكم . فقلت : وما ذاك ؟ قال : رؤيا رأتها عاتكة بنت عبد المطلب . أما رضيتم ان تنبأ رجالكم حتى تنبـــأ نساؤكم متربص بكم هذه الثلاث التي ذكرتها عاتكة ؟ فإن تكن عاتكة تقول حقاً ، فسيكون . وإلا كتبنا عنكم كتاباً أكذب بيت في العرب . قـال العباس : فما كان مني اليــه من كبير شيء إلا اني جحدت ذلك ، وأنكرته ، قلت : ما رأيت شيئاً، ولا سمعت بها. فلما أمسيت لم تبقَ امرأة من بني عبدالمطلب إلا اتتني، فقلن : صبرتم لمثل هذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ، ثم قد

تناول النساء ، وأنت تسمع ، فلم يكن عندك في ذلك غيرة . فقلت : والله لقد صدقني ، وما كان عندي في ذلك من غيرة ، إلا اني انكرت ما قال ، فلا تعرضت له ، فإن عاد لأكفيكنه .

فغدوت في اليوم الثالث أتعرضه ليقول شيئاً ، فأشاتمه . فوالله اني لمقبل نحوه ، وكان رجلاً حديد النظر، حديد اللسان، إذ ولـّي نحو الباب يشتد . فقلت في نفسي : ما له ؟ لعنه الله . أكل هذا فرقاً من ان اشاتمه ؟ واذا هو سمع مـا لم أسمع . سمع صوت عمرو بن ضمضم الغفاري ، وهو يصرخ بباطن الوادي ، واقف على بعيره بالأبطح قد رحله ، وشق قميصه ، وجدع بعيره ، يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، اموالكم مع ابي سفيان ، وتجارتكم قد عرض لها محمد وأصحابه ، الغوث الغوث . فشغله ذلك عني ، وشغلني عنه ما جاء من الأمر .

وتجهز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن يكون كعير ابن الحضرمي ؟ كلا . والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين ، أما خارجاً ، وأمـا باعثاً مكانه رجلا . وأوعبت قريش فلم يتخلف من اشرافها احد . فأصابت قريش ما اصابها يوم بدر من قتل اشرافهم ، وأسر جبابرتهم .

قال ابن نجيح : كان أمية بن خلف قد أجمع العقود ، وكان شيخاً كبيراً ثقيلا . فأتاه عقبة بن ابي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه ، بمجمرة يحملها ، فيها نار، حتى وضعها بين يديه ، فقال : يا ابا علي استجمر ، فإنما انت من النساء . فقال : قبّحك الله ، وقبح ما جئت بـه . ثم تجهز وخرج مع الناس .

وكان سبب تثبُّط أمية عن الخروج ، مـا رويناه ايضاً من حديث

الواحدي ، قال : نبأ ابو نصر احمد بن محمد بن ابراهيم، انا عبد الله بن بطاء ، انا ابو القاسم بن بنت منيع ، نبأ يعقوب بن ابراهيم الدورقي ، نبأ خلف ابن الوليد ، حدثنا اسرائيل ، عن ابي اسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : انطلق سعد بن معاذ معتمراً ، فنزل على أمية ابن خلف ، وكان أمية اذا انطلق الى الشام ، فمر بالمدينة ، نزل على سعد ابن معاذ . فقال أمية لسعد : انتظر اذا انتصف النهار ، وغفل الناس ، انطلقت . فبينما سعد يطوف إذ أتاه ابو جهل فقال : مَن هذا الذي يطوف معك بالكعبة ؟ فقال سعد: فقال ابو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد آويت محمداً وأصحابه ؟ قال : نعم . فتلاحيا بينهما . فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم ، فإنه سيد اهل هذا الوادي . فقال له سعد : والله لئن منعتني أن اطوف بالبيت لأقطعن متجرك الى الشام . فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه . فغضب سعد، فقال : دعنا عنك ، فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم انه قاتلك . قال : إياي ؟ قال : نعم . قال : والله ما يكذب محمد . فرجع الى أم صفوان ، فقال : أما تعلمين ما قال اخي اليثربي ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم ان محمداً يزعم انه قاتلي . قالت : والله ما يكذب محمد . فلما خوجوا الى بدر ، وجاء الصريخ . فقالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك اخوك اليثربي ؟ فقال له ابو جهل: إنك من أشرف اهل الوادي، فسر معنا يوماً او يومين ، فسار معهم، فقتله .

وقد ذكرنا قصة غزوة بدر في [1] هذا الكتاب، ومقتل أمية بن خلف ، وغيره فيها .

---

(١) هكذا في النسخ ، ولعله في غير هذا الكتاب .

قدوم حمير على ابي بكر الصديق رضي الله عنه :

روينا من حديث الرملي ، عن الحسين بن زياد ، عن احمد بن عبد الله ، عن محمد بن يوسف ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، قال : قدمت حِميَر على ابي بكر رضي الله عنه معها ذو الكلاع الحميري ، بعدد كثير من اهل اليمن ، وعدّة حسنة . وجاءت مذحج ، فيها قيس بن هبيرة المرادي ، ومعه جمع عظيم من قومه ، فيهم الحجاج بن عبد يغوث ، وجاء حابس بن سعد الطائي ، في عدد كثير من طيّ . وجاءت الأزد في عدد كثير ، وجمع عظيم ، فيهم جندب بن عمرو بن جمحة الدوسي ، وفيهم ابو هريرة الدوسي قيس . فأمّر ابوبكر رضي الله عنه ميسرة بن مسروق العبسي عليهم . وجاء ابن اشيم في بني كنانة .

فأما ربيعة ، وتميم ، فإنهم كانوا بالعراق ، وكانت دارهم عراقية ، وقلّ من شهدها منهم . وكان أعظمهم ، وأجلّهم اهل اليمن . فمن هناك كثروا بالشام ، وكانوا سكانها وأهلها .

ومن باب النسيب :

وما سرّني أني اطيق تصبُراً ولا أنني أمسيتُ خلواً من الحبّ
اذا ما سألت الله عنك تسلّياً فلست حقيقاً بالإجابة من ربي

السماع في ذلك : تقول النفس الانسانية اللطيفة الربانية الموجودة ، عن الروح الإلهي ، من قوله تعالى : « ونفختُ فيه من روحي » لهذا الروح ، لما طال حبسها في هذا الهيكل الضيّق ، عن السراج في تلك المسارح الواسعة ، الفضاء ، الصافية الإضاء ، حيث الروح الأعلى ، والملائكة العلى ، بالمكانة

الزلفى ، والنظر الاجلى ، ما سرّني ان أطيق تصبراً عن اللحوق ، ولا انني خلو من تعلق الهمم به ، والإشتياق اليه ، وكيف لا يكون ذلك مني ؟ وهو اصلي وكلي ، ولما تحيلت الاغراض منه عني بطول الحبس في عالم التركيب الاسفل ، تعطين التخليص ، والتسخير ، أردت إقامة الحجة على كل خاطر يحرّضني عن العدول ، عن هـذه الحجة ، وعلمت أني لا بد لي من الرجوع اليه ، والنزول عليه ، والتخليص من هذه السّدفة الترابية واقع على كل حال، والإقامة في عالم الفساد على الدوام محال . سألت الله في السلوان عن هـذا التعلق ، بالتضرع ، والإنابة ، وقد تحققت في ذلك عدم الإجابة . فأرضيت الفريقين ، هيهات وكيف يسلو فرع عن اصله ؟ ولولاه ما غذاه المـاء ، ولا امتدت اليه الأفياء .

ومنه قول الآخر :

يُعيّرني قومي بذلّي في الهوى وكم من ذليل في الهوى يكسب العِزّا
اذا كنتَ تهوى فاجعل الذلّ جنّة فإني رأيت الكبر من ذى الهوى عجزا

السماع في ذلك : لما كان الهوى محله النفس ، وكان تعلقه بالمجانس لهـا ، عيره اهل الحجاب بذلته لمجانسه وشكله ، فقال لهم : ليس الأمر كما تزعمون، فإن التعلق ، وان كان بالمناسب ، فالمناسب هنا قوله : خلق آدم على صورته، وليس كمثله شيء ، والتجلي في الصّور مشروع ، والمناسبة في صُور التجلي ، وهو روحها ، ومحبتها ، تنتج محبته ، ومحبته تورث كون المحبة من حيث هو حبيب له ، سمعاً له ، وبصراً ، فأي عزٍّ ؟ وأي قوة ؟ وأي عظم ، يقاوم عزّ مَن هو مع الحق بهذه المثابة، فهو قوله : وكم من ذليل في الهوى يكسب العزّا ، وذلّ الهوى جنة لهـذا العز ، يتعلق الذمّ بـه دونه ، يقول : واذا

رأيت من يتكبر في هواه ، فذلك لعدم مواصلةٍ ، فيرى ان ذلك من كبر نفسه ، وهذا في جناب الحق غير لائق وفي سماع العارفين .

ومن باب النسيب قولنا :

ألا يا نسيمَ الريح بلّغ مهًا نجدِ ... بأني على ما تعلمون من العهدِ
وقل لفتــاة الحي موعدنا الحِمى ... غديّة يوم السبت عنــد ربا نجــد
على الربوة الحمراء من جانب الضوى ... وعن أيمن الافلاح والعلم الفرد
فإن كان حقاً ما تقول وعنــدها ... اليّ من الشوق المبرّح ما عندي
اليها ففي حرّ الظهيرة نلتقي ... بخيمتها سراً على أصدق الوعد
فنلقى ونلقى ما نلاقي من الهوى ... ومن شدة البلوى ومن ألم الوجد
أأضغاث أحلامٍ أبُشرى منامةٍ ... أنطق زمان كان في نطقه سعدي
لعلّ الذي ساق الاماني يسوقها ... اليّ فيهدي روضها الى جنا الورد

خبر اسحاق بن طلحة بن عبيد الله مع خرقة بنت النعمان بن المنذر :

روينا من حديث الحميدي قــال : حدثنا الحسن بن محمد بن ابراهيم ، نبأ محمد بن احمد بن زيد الاصغر ، نبأ علي بن حرملة التميمي قاضي واسط ، عن مالك بن معوّل ، عن الشعبي ، عن اسحاق بن طلحة بن عبيد الله قال :

دخلت على خرقة بنت النعمان بن المنذر ، وقد ترهّبت في دير لها بالحيرة وهي في ثلاثين جارية لم يُرَ مثل حسنهن قط ، قلت : يا خرقة كيف رأيت في الدنيا غيرات الملك ؟ قالت : ما نحن فيه اليوم خير ممــا كنا أمس . إنا نجد في الكتب انه ليس من اهل بيتٍ يعيشون في حبرة إلا سيعقبون بعدها غبرة . وان الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بَطنّ لهم بيوم يكرهونه .

وان على ابواب السلطان كإخوان الابل من الفتن، مَن أصاب من دنياهم شيئاً أصابوا من دينه مثليه، وقد قلت في ذلك شيئاً ، فقلت : وما هو ؟ فقالت:

بينا نسوس النـاس والامر أمرنا   اذا نحن منهم سوقة نتنصّفُ
فأفٍّ لدنيا لا يدوم سرورها   تقلّبُ تاراتٍ بنـا وتصرّفُ

وبه الى محمد بن جعفر بن سهل قال : نبأ علي بن داود القنطري قال : نبأ يحيى بن بكير ، نبـأ يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن ابي عمرو ، عن مطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن ابي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ :

إن داود عليه السلام كان فيـه غيرة شديدة ، وكان إذا خرج أغلق الابواب ، فأطلعت يوماً امرأته الى الدار ، فإذا برجل وسط الدار ، فقالت: من أين دخل هذا ؟ والله لنفضحنّ عند داود ، فلما جاء داود قـال له : من انت ؟ قال : انا الذي لا يهاب الملوك ، ولا يمتنع بمنع الحجاب . فقال : والله أنت امين الله ملك الموت، فقبض روحه في موضعه ، وطلعت عليه الشمس، فـأمر سليمان عليه السلام الطير أن تضله بأجنحتها ففعلت ، فأظلمت عليهم الارض ، فأمرها أن تقبض جناحاً جناحاً .

قال ابو هريرة : يرينا رسول الله ﷺ : كيف فعلت الطير ؟ قـال : وغابت يومئذٍ النسور .

خبر عبد الواحد بن زيد مع الراهب :

روينا من حديث ابن ثابت قال : أنا الحسن بن احمد بن ابراهيم الدورقي ،

نبأ جعفر بن محمد بن احمد المؤدب ، نبأ محمد بن يونس ، نبـأ شداد بن علي ، نبأ عبد الواحد بن زيد قال :

مررت براهب فناديته : يا راهب من تعبد ؟ قال : الذي خلقني وخلقك فقلت : أعظيم هو ؟ قال : عظيم المنزلة ، جاوزت عظمته كل شيء . قلت : فمتى يذوق العبد الانس بالله ؟ قـال : إذا صفا الود حصلت المعاملة ، قلت : فمتى يصفو الود ؟ قال : إذا اجتمع الهمّ فصار في الطاعة. قلت : متى تخاص المعاملة ؟ قال : إذا كان الهمّ همّاً واحداً . قلت : كيف تخليت بالوحدة ؟ قال : لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها . من نفسك . قلت : مـــا اكثر ما يجد العبد من الوحدة ؟ قـال : الراحة من مداراة الناس ، والسلامة من شرّهم . قلت : فما يستعان على قلة المطعم ؟ قال : بالتحري في المكسب، والنظرة في الكسرة . قال : زدني . قال : كل حلالاً ، وأرقد حيث شئت. قلت : فأين طريق الراحة ؟ قال : خلاف الهوف . قلت : ومتى يجد العبد الراحة ؟ قال : إذا وضع قدمه في الجنة. قلت : لم تخليت من الدنيا وتعلقت في هذه الصومعة ؟ قال : لأنه من مشى على الارض عثر ، وخاف اللصوص . فتعلقت فيها ، وتحصّنت بمن في السماء ، من فتنة اهل الارض ، لأنهم سرّاق العقول ، فخفت أن يسرقوا عقلي ، وذلـك أن القلب إذا صفا ضاقت عليه الارض ، وأحبّ قرب السماء ، وفكر في قرب الأجل ، فأحبّ أن يرتحـل الى ربه . قلتُ : يا راهب من أين تأكل ؟ قـال : من زرع لم ابذره ، بذره اللطيف الخبير الذي نصب الرحا يأتيها بالطحين ، وأشار الى ضرسه . قلت: كيف ترى حالك ؟ قال : كيف يكون حال من أراد سفراً بـــلا اهبة ، ويسكن قبراً بلا مؤنس ، ويقف بين يدي حكم عدل ؟ ثم أرسل عينيه فبكى. قلت : وما يبكيك ؟ قال : ذكرت اياماً مضت من اجلي لم احقق فيها عملي

وفكرت في قلة الزاد ، وفي عقبة هبوط الى الجنة ، او الى النار . قلت : يا راهب بم يستجلب الحزن ؟ قال : بطول الغربة ، وليس الغريب من مشى من بلدٍ الى بلد ، ولكن الغريب صالح بين الفسّاق . ثم قال : إن سرعة الاستغفار توبة الكذابين ، لو علم اللسان مم يستغفر الله لجفّ في الحنك ، إن الدنيا منذ يوم ساكنها الموت ما قرّت لها عين ، كلما تزوّجت الدنيا زوجاً طلقها الموت ، والدنيا من الموت طالق ، لم تقرّ عينها ، فمثلها كمثل الحية ليّن مسُها ، والسم في جوفها ، ثم قال الراهب : يا هـذا كما لا يجوز الزيف من الدراهم ، كذلك لا تجوز لا إله إلا الله إلا بنور الاخلاص ، إن الفضة السوداء لتزخرف بالفضة البيضاء . ثم قال : عند تصحيح الضمائر يغفر الله الكبائر ، فإذا عزم العبد على ترك الآثام اتته من السماء الفتوح ، والدعاء المستجاب ، الذي تحرّكه الاحزان . قلت : فأكون معك يا راهب وأقيم عندك ؟ قال : ما اصنع بك ومعي معطي الارزاق ، وقابض الارواح ، يسوق اليّ الرزق في كل وقت ، لم يكلفني جمعه ، ولم يقدر على ذلك احد غيره.

وروينا ايضاً من حديث ابن ثابت . قال : أنا علي بن احمد الرزاز ، نبأ ابو بكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش ، نبأ محمد بن يحيى ، حدثني جعفر ابن ابي جعفر الرازي . قال :

كتب ابراهيم بن أدهم الى أخٍ له :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد ، فإني اوصيك بتقوى من لا تحلّ معصيته ، ولا يرجى غيره ، ولا يُدرَك الغنى إلا به . من استغنى به عزّ ، وشبع ، وروي ، وانتقل عندما أبصر قلبه ، عما أبصرت عيناه ، من زهرة الدنيا ، فتركها ، وجانب شبهها ،

فرضي بالحلال الصافي منها ، إلا مـا لا بد له منه ، من كسرة ، يشدّ بهـا صلبه ، وثوب يواري به عورته ، أغلظ ما يجد وأخشنه .

وروينا من حديثه ايضاً ، قال : حدثنا محمود بن عمر العكبري ، انا علي ابن الفرج بن روح ، نبأ عبد الله بن محمد بن ابي الدنيا ، نبأ الحسين بن عبد الرحمن ، قال : كتب بعض الحكماء الى أخ له :

أما بعد ، فاجعل القنوع ذخراً ، تبلغ به ، الى ان يفتح لك باب يحسن لك الدخول فيه. فإن الثقة مع القانع لا تخذل، وعون الإله مع ذوي الإناءة. وما اقرب الصنع مع الملهوف . وربما كان الفقر نوعاً من آداب الله ، وخيرة في العواقب . والحظوظ ثمرات ، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك ، فإنك تدركها في اوانها غدية . والمدبر لك أعلم بالوقت الذي يصلح فيه لمـا تؤمّل ، فثق بخيرته لك في الأمور كلها والسلام .

ومن حديثه ايضاً في روايتنا ، قال : نبأ محمد بن عبد الملك بن بشران ، أنا دعلج بن احمد ، نبأ ابو الحسن محمد بن احمد بن هارون العدوي ، نبأ عمرو ابن الحباب ، نبأ يعلى بن الأشدق، نبأ عبد الله بن جرادة ، قال: قال رسول الله ﷺ : ليس الاعمى من عمي بصره ، ولكن الاعمى من تعمى بصيرته .

وروينا ايضاً من حديثه ، قال : نبأ الحسين بن عمر بن برهان ، نبـأ عبد البـاقي بن نافع ، نبأ بشر بن موسى ، نبأ عبيد الله بن صالح ، قـال : كتب رجل الى محمد بن السمّاك : صف لي الدنيا . فكتب اليه :

أما بعد ، فإن الله حفهـا بالشهوات ، ثم ملاها بالآفات . مزج حلالها بالرزيات ، وحرامها بالتبعات . فحلالها حساب ، وحرامها عذاب .

شعر :

اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت ... له عن عدوٍّ في ثياب صديق

روينا من حديث الخرائطي، قال: نبأ حماد بن الحسن بن عنبسة الوراق، نبأ سيار بن حاتم الغنوي، نبأ جعفر بن سليمان الضبعي، نبأ هشام الدستوائي، قال : بلغني في خطبة عيسى عليه السلام : تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير العمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل. ويلكم علماء السوء ، الأجر تأخذون، والعمل تضيّعون. يوشك رب العلم ان يطلب علمه . ويوشك ان تخرجوا من الدنيا الى ظلمة القبر وضيقه .

ولنا في القبر والتحريض على الغرس عليه :

مرّ رسول الله ﷺ على قبرين ، فقال : انهما ليعذبان ، ومـا يعذبان في كبير. أما احدهما فكان يمشي بالنميمة. وأما الآخر فكان لا يستتر من البول. ثم دعا بقضيب رطب فشقه اثنين ، وغرس على كل قبر منهما واحداً ، وقال: إنه ليخفف عنهما ما لم ييبسا :

في القبر اسرارٌ يراها الذي ... عنه غطاء الحسن مكشوفُ
فاذكروا فإن كل امرءٍ ... بفعـله في القبر مصروف
هـذا الذي اذكره عندنا ... وعند اهل الكشف معروف
عاينت قوماً عذبوا في الصدا ... كان لهـم نقصٌ وتطفيف
فهل لغصن البـان من غارس ... بقبرهم ففيـه تخفيف
ما دام رطباً يانعاً اخضراً ... ولم يقـم بالغصن تجفيف
تأسياً فإنـه لم يقـل ... بأنه عليـه موقوف
وفي تأسينا بـه عصمة ... منجية منـه وتشريف

ولنا في قوله تعالى فلا يأمن مكر الله ه :

من آمن المكرَ من اللهِ	فــأمّنه المكر من اللهِ
هذا الذي يأمن من مكره	هل جـاءه وحي من الله
كيف له بالأمن من مكره	جراءةٌ منـــه عـلى الله
هذاك جبريلُ على قربـــه	لا يـــأمن المكر من الله
فلذ بجنب الله واسترعـــهِ	وارجـــع الى الله من الله
فالصادق المصدوق عبدٌ أتى	بكله شوقاً الى الله

روينا من حديث القشيري رحمه الله قال : لما ظهر ابليس على مــا ظهر ، طفق جبريل وميكائيل ، عليهما السلام يبكيان زمانــاً طويلاً ، فأوحى الله تعالى اليهما: ما لكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : يا رب لا نأمن مكرك . فقال الله تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكري .

كنت ببغداد في سنة ثمان وستمائة ، فرأيت في النوم ليلة الحادي عشر من رمضان ، قد فتحت أبواب السماء ، وفتحت خزائن المكر ، ونادى منادٍ : ماذا أنزل الليلة من مكر الله ؟ فاستيقظت فزعاً مما رأيت .

زيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد المدينة :

روينا من حديث الواسطي هو ابن عبيد الله قال : نبأ عيسى ، أخبرني علي بن جعفر ، نبأ محمــد بن ابراهيم ، نبأ محمد بن النعمان ، نبأ عبد الله بن الزبير الحميدي ، نبأ سفيان بن بشر بن عاصم ، انــه سمع سعيد بن المسيّب يحدّث انه سمع كعباً قال :

كان للعباس دار ، فلما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه انــ يوسّع

مسجد رسول الله ﷺ اخذ منه الدار ، فقال : ليس الى ذلـك سبيل ، او اجعل بيني وبينك رجلاً ، فجعل بينهما أبيّ بن كعب ، فقال أبيٌّ : انه لمـا أمر سليمان عليه السلام ان ببناء بيت المقدس، وكانت ارضه لرجل ، فأخذها منه سليمان عليه السلام ، فقال له الرجل : الذي أخذت منك خير ، أم الذي أعطيتني ؟ قال : بل الذي اخذت منك، فقال له : اني لا اجير البيع ، حتى اشتراها منه بحكمه على ان لا يسأله كثيراً ، فسأله شيئاً كثيراً ، فتخاصم هو وسليمان في ذلك الى ربه عز وجل ، فأوحى الله اليه : ان كنت انمـا تعطيه من عندنا ، فاعطه حتى يرضى ، فرضي العباس ، وقـال : أما اذا كان ذلك كذلك ، فاني قد جعلتها صدقة مني للمسجد على المسلمين .

تذكرة نبوية ، باجتناب صفات دنيّة :

روينا من حديث الخرائطي قال : حدثنا ابو قلابة البصري عبد الملك بن محمد بن عبد الله ، نبأ عبد الصمد بن عبد الوارث ، نبأ هاشم الكوفي ، نبأ زيد الخثعمي ، عن أسماء بنت عميس الخثعمية قالت :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : بئس العبد عبد تخيّل ، واختال ، ونسي الكبير المتعال ، بئس العبد عبدٌ سها ، ولهـا ، ونسي المقابر ، والبلا ، بئس العبد عبد بغى ، وعتا ، ونسي المبتدأ ، والمنتهى ، بئس العبد عبـد يختّـل الدين بالشبهات ، بئس العبد عبد طمع يقوده ، بئس العبد عبد هوى يضله .

روينا من حديث الحميدي قال : نبأ الحناي ، عن ابن ابي الحديد ، عن ابي بكر ، عن ابي موسى قال : قال ابو حازم :

من اعتدل يوماه ، فهو مغبوط ، ومن غده شر يوميه، فهو محروم، ومن

لم يرَ الزيادة في نفسه ، كان في نقصان ، ومن كان في نقصان ، فالموت خير له ، ومن كان غـــده أحسن يوميه ، ويومه احسن من امسه ، فهو رابح معنى به .

روينا من حديث الخرائطي قـال : نبأ احمد بن نبيل الايامي ، نبأ ابو معاوية الضرير ، نبأ داود بن هند ، عن الشعبي قال :

لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء العباس فقال :

يا امير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، وقتلت شهيداً ، ولم يختلف عليك اثنان ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، فقـــال له : أعد عليّ ، فأعاد عليه ، فقال : المغرور من غررتموه ، والله لو ان لي ما طلعت عليه الشمس ، او غربت ، لافتديت به من هول المطلع .

روينا من حديث الحميدي قـال : حدثنا محمد بن ابراهيم ، عن محمد بن احمـد ، عن محمد بن جعفر ، نبأ ابراهيم بن الهيثم البلدي ، نبأ آدم بن ابي أياس ، نبأ شعبة ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن سالم بن عبـــد الله ، عن ابيه قال :

كان رأس عمر بن الخطاب رضي الله عنه على فخذي في موضعه الذي مات فيه ، فقال : ضع رأسي على الارض ، فقلت : ما عليك كان على الارض ، او على فخذي ، فقال : لا أمّ لك ، ضعه على الارض ، فوضعته على الارض ، فقال : ويلي وويل امي ان لم يرحمني ربي .

قرأت على ابي ذرٍّ الخشني لأبي عمرو البجلي في الامالي لأبي علي القالي :

تمتع من شميم عرار نجـدٍ فما بعـد العشية من عرارِ
ألا يا حبّذا نفحات نجـدٍ وريا روضه غبّ القطار
وعيشك ان يحـل القوم نجـداً وأنت على زمانك غير زار
شهورٌ تنقضين وما علمنا بإنصافٍ لهن ولا سدار
فأمـا ليلهُنّ فخيرُ ليـلٍ وأفضل مـا يكون من النهار

وأنشدنا ابو بكر بن خلف بن صافٍ اللخمي رحمه الله للطائي :

كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه ابـــداً لأول منزل
نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأول

ومما نظمته الاشواق بلسان الاشتياق قولنا في نظام الحسن عين الشمس بهاء الجمال :

يا حبذا سرحة الوادي وبانته وحبذا زهر بالروض بسامُ
أهدى النسيم لنا من عرفه خبراً إن النسيم إذا ما هبّ نمّام
بكلّ فنّ من الالحان ناطقة أطياره طرباً والسربُ نوّام
وفي ترجمها بالصوت لو علمت للمستهام بعين الشمس اعـلام
إن الهوى عجمة لا يستطاع له حدّو لكن له في النفس أحكام
منها النحول ومنها عبرة وجوى ورقـــة وصبابات وتهيام
وما له آخرٌ تحيي النفوس بـه لأن اوله موتٌ وأعدام
فإن تمادى الهوى بالحب أضعفه كما يضعّفه قربٌ والمــام

ومما قيل فيمن عشق فعفّ :

وقد روينا فيه حديثاً حسناً ، حدثناه محمد بن قاسم . قال : حدثنا ابو

طاهر محمد بن احمـــد السلفي الاصبهاني ، ولا اذكر الاسناد ، سند الحافظ السلفي الى النبي ﷺ ، فـــإن وجدته سألحقه بالطرّة ، او رحم الله عبداً عرفه فألحقه من طريق السلفي على هذا الحديث في كتابي هذا .

قال رسول الله ﷺ :

من عشق فعفّ ، ومات ، مات شهيداً .

حدثنا اسمعيل بن محمد قـــال : حدثني نصر بن ابي الفرج ، عن علي الحصري ، أنا ابو القاسم ، أنا ابي ثابت بن بندار ، أنا ابو عبد الله بن احمـــد ابن عثمان ابو القمر الصيرفي، أنا ابو بكر بن شادان ، انبأ ابو عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة . قال :

دخلت على محمد بن داود في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له : مـا بك يا سيدي ؟ قال : حب من تعلم اورثني ما ترى ، يعني ابن جامع الصيدلاني، قلت : فما منعك من الاستمتاع بـه مع القدرة عليه ؟ فقال : الاستمتاع على وجهين : احدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة ، فأمـــا النظر المباح ، فأورثني ما ترى ، وأما اللذة المحظورة ، فيمنعني مـا حدثني ابي ، عن سويد ابن سعيد ، عن علي بن مسهر ، عن ابي يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس :

إن النبي ﷺ قال :

من عشق فكتم ، وعفّ ، وصبر ، غفر الله له ، وأدخله الجنة .

قال : انشدني لنفسه :

ما لهم انكروا سواداً بخدّيـ ـهِ ولا ينكرون ورد الغصونِ
أن يكن عيبُ خدّه مدد الشعـ ـر فعيبُ العيون شعر الجفون

فقلتُ : قلبت القياس في الفقه ، وأثبته في الشعر . فقال : غلبة الهوى، وملكة النفوس ، دعتنا الى ذلك :

انشدنا ابن طباطبا العلوي في هذا الباب لنفسه رحمه الله :

إن عاد قلبي في الهوى وله ... ولقيتُ عذالي بما كرهوا
او كان شعري مودعاً غزلاً ... اخفيته ورعـــاً واظهره
والله يعلم ما اتيتُ خنا ... إن كثر العذال اوسفهوا
ماذا يعيب الناس من رجل ... خلص العفاف من الانام له
إن همّ في حلم بفاحشة ... زجرتـــه همّته فينتبه
يقظانه ومنامـــه شرعٌ ... كلّ بكل منـــه مشتبه

وقال الآخر :

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني ... منه الحياء وخوف الله والحذرُ
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم ... وليس لي في حرامٍ منهم وطر
كذلك الحبُّ لا اتيان معصيةٍ ... لا خير في لذةٍ من بعدها كدر(١)

ومن الاخبار النبوية :

مـا رويناه من حديث آصف بن زيد بن احمد ، أنا ميمون بن محمد ، أنا ابو شجاع محمد بن حمزة العلوي ، أنا ابو الطيب طاهر ابن الحسين المطوعي ، أنا احمد بن علي السعداني ، نبأ محمد بن محمد المؤذن ، نبأ حامد بن سهل ، نبأ

---

(١) نسخة : سقر .

عبد الله بن زياد الحارثي ، نبأ سيار بن حاتم ابو سلمة العمري ، نبأ ابو عاصم العبداني ، نبأ ابو الفضل الرقاشي ، نبأ محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . قال :

قال رسول الله ﷺ قال لي جبريل عليه السلام :

إن الله تعالى يخاطبني يوم القيمة يقول لي : يا جبريل ما لي أرى فلاناً في صفوف اهل النار ؟ قال : فأقول يا رب أ ّنا لم نجد له حسنة يعود بها عليه خير اليوم . قال : يقول الله تعالى اني سمعته يقول في الدنيا : يا حنّان ، يا منّان ، فأته فاسأله ماذا عني بقوله يا حنّان ، يا منّان ، فأتيه فاسأله فيقول : هل من حنّان منّان غير الله ؟ فأخذ بيده من صفوف اهل النار ، فأدخله صفوف اهل الجنة .

روينا من حديث مرفوع الى عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : من أطعم أخاً له من جوعةٍ اطعمه الله عز وجل من ثمر الجنة ، ومن سقاه من ظمأ ، سقاه الله من الرحيق المختوم . ومن كساه من عراء ، كساه الله عز وجل من خضر الجنة . ولم يزل في حرز الله ، وجواره ، وكنفه ، ما بقي عليه منه شيء .

وروينا من حديث البرقي ابي عبد الله محمد بن محمد ، نبأ ابو عبد الله محمد ابن ابي بكر الوراق ، نبأ خلف بن محمد ، نبأ احمد بن حاتم ، نبأ ابن ابي كرامة الخير بن النضر ، انا عيسى بن موسى ، عن ابي حمزة ، عن الأعمش ، عن ابي صالح ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال: قيل لرسول الله ﷺ : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : أن تحب ما يحب خالقك ، وأن تبغض ما أبغض خالقك . وأن تتحرج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها ، فإن حلالها

حساب ، وحرامها عقاب . وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك . وأن تتحرج من الكلام فيما لا يعنيك كما تتحرج من الحرام . وأن تتحرج من كثرة الأكل كما تتحرج من الميتة .

ومن محاسن الكلام :

من جهل المرء ان يعصي ربه في طاعة هواه،ويهين نفسه في إكرام الدنيا، وهو من هواه في ضلال ، ومن دنياه في زوال . ايام الدهر ثلاثة : يوم مضى لا يعود اليك . ويوم انت فيه لا يدوم عليك . ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ، وما اهله . فتعرّ من أمسك الماضي ، وتزود من يومك الفاني لغدك الآتي . كل يوم يسوق الى غده . وكل امرءٍ مأخوذ بجناية لسانه ويده . خير عملك ما استصلحت به يومك ، وشرّه ما استفسدت به قومك . الحذر خير من الهدر، لأن الحذر يضعف الحجة، والهدر يتلف المهجة . إياك والهدر فإن بكثرة الكلام يزلّ اللسان ، ويمل الاخوان ، ويبرم الجليس ، ويسأم الأنيس ، فأقلل المقال ، وتوقّ الآمال . من أفرط في المقال زلّ ، ومن استخفّ بالرجال ذلّ . من قل كلامه بطن عيبه . ومن كثر احترامه حسُن غيبه . فاقتصر من كلامك على اليسير، وخذ في احترامك عن التقصير، تستر عنك العيوب ، وتجمع على محبتك القلوب . من قبل توقيه كثرت مساويه . من حسنت مساعيه طابت مراعيه ، من حسن الاختيار الاحسان الى الاختيار ، ما عزّ من ذل جيرانه ، وما سعد من شقي اخوانه . اذا شرف الخلق لطف النطق ، اذا كرمت السجية حسُنت الطوية . من اعز فلسه اذل نفسه ، حسن اللقاء يولد حسن الاخاء . من كرم حلم ، ومن لطف شرف ، عادة الكفران ، تقطع مادة الاحسان . المطل شر المنعين ، والباس احد النجحين . من لم يشكر الإحسان ، لم يعدم الحرمان . جهل يضعف

حجتك ، خير من علم يتلف مهجتك . فتحصن بالجهل اذا نفع ، كما يتحصن بالعلم اذا نفع ، من قال ما لا ينبغي ، سمع ما لا يشتهي ، قصّر كلامك تسلم ، وأطل احتشامك تكرم . من قال بلا احترام ، اجيب بلا احتشام . من نكر الخطاب ، انكر الجواب . من لم يحمل قيلا ، لم يسمع جميلا . فلا تقولنّ ما يسوءك جوابه ، ويضرك معابه ، لكل قول جواب ، ولكل فعل ثواب . فلا تقولنّ مرا ، تفعلنّ شرا ، ولا تعوّدنّ نفسك الا ما يكتب لك اجره ، ويحسن عنك نشره ، لا تحاج سلطانك ، ولا تلاح اخوانك . فمن حاج سلطانه قهر . ومن لاح اخوانه هجر ، اياك ومحاجّة من يفنيك قهره . وينفذ فيك امره . اعقل لسانك الا عن حق توضحه ، او باطل تدحضه ، او حكمة تنشرها ، او نعمة تشكرها . اياك وما توحش به حرا او تطلب له عذرا ، فمن اوحش الاحرار ، زهد في عشرته ، ومن اكثر الاعتذار شك في عذرته .

ومن باب من لم تلحظه العيون لفقره وهو جم الفضائل :

ما رويناه من حديث ابن ثابت قال : انا علي بن احمد بن محمد المقرى ، وعبد الملك بن مجهد ابن عبدالله بن بشران ، نبا محمد بن الحسين الآجرّيّ بمكة قال : نبأ بعض اصحابنا عن ابي الفضل الشكلي قال :

رأيتُ شابّاً في بعض الطريق ، وعليه خلق ، فكأني لم احفل بـه ، فالتفت اليّ وقال :

لا تنب عني بأن ترى خلقي فانما الدّود داخل الصّدف
علمي جديد وملبَسي خلقٌ ومنتهى اللبْس منتهى العَلِف

ومن باب عز النفس بالغنى بالله :

ما رويناه من حديث ابن ثابت قال : انا عبد الرحمن بن النيسابوري ،

انا محمد بن عبد الله بن شادان ، قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون يقول : بينما انا سائر في بعض الطرق ، فـإذا فتىً حسن الثياب ، حسن الوجه ، أثر التهجّد بين عينيه . فقلت: حبيبي، من أين أقبلت ؟ قال: من عنده . فقلت : والى أين ؟ قال: الى عنده . قال: فعرضت عليه النفقة . فنظر إلي مغضباً ، ثم ولّى عني . وأنشأ يقول :

وكافر بالله أمـوالهُ تزداد اضعافاً على كفرهِ
ومؤمنٌ ليس له درهمٌ يزداد إيماناً على فقره
لا خير فيمن لم يكن عاقلاً يمـدّ رجليه على قدره

وأنشد ابن ثابت في روايتنا، قال: اخبرني علي بن احمد بن حفص الغازي، قال : انشدنا ابو بكر محمد بن الحسين بمكة ، قال : انشدني ابو بكر عبد الله ابن حميد المؤدب :

رُبَّ ذي طمرين قد صا ن من العـــالم سرّهْ
لا يُرى إلا غنيـــاً وهو لا يملـــك ذرّهْ
ثم لو أقسم في شيءٍ عـــلى اللهِ أبَرّهْ

وأنشد في غير هذه الرواية من هذا الشعر بيتاً رابعاً في أوله وهو :

ربّ ذي طمرين فينـــا يـأمن العـــالم شرّهْ

ثم ساق الابيات الثلاثة كما ذكرناها .

ومن باب كم من استغفار يحتاج الى استغفار :

روينا من حديث ابن ثابت ، قال : نبـــأ ابو الفتح محمد بن احمد بن ابي الفوارس ، انا محمـــد بن احمد بن الورّاق ، سمعت عبد الله بن سهل الرازي ،

سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: كم من مستغفر ممقوت، وساكت مرحوم. قال يحيى : هذا استغفر الله وقلبه فاجر . وهذا سكت وقلبه ذاكر .

سمعت بعض مشايخنا بقرطبة يقول : وقد حضر معنا متقشف، رأى منه الشيخ ما لم نرَ ، وعرف منه ما لم نعرف ، الضمير الضمير ، ما هو بلباس الخلقان ، وخبز الشعير .

ومن الحكمة النافعة والألفاظ الجامعة :

جودُ الرجل يحبّبه الى أضداده ، وبخله يبغضه الى اولاده . ونسيان البرّ يؤدي الى حط الشكر . مَن منع برّه طوى شكره . لا تسيء الى مَن أحسن اليك ، ولا تمن على من أنعم عليك . مَن أساء الى المحسن منع الاحسان ، ومَن أعان على المنعم ُسلبَ الإمكان . ومَن وفا لك فقد قضى حق الاسلام، واستحق الإنعام . مَن جحد النعمى فقدَ الحسنى . ما اقبح منع الإحسان مع حسن الإمكان . اذا أذنبت فاعتذر ، واذا أُذنب اليك فاغتفر ، فالمعذرة بيان العقل ، والمغفرة برهان الفضل . عادة الكرام الجود ، وعادة اللئام الجحود . حسن النيّة أتمّ وألطف ، وكرم السجيّة أعظم فخراً وأشرف . مَن غرس شجرة الحلم ، اجتنى ثمرة السلم .

روينا من حديث أبي بكر بن ثابت ، قال : نبأنا ابو طالب بن يحيى بن علي بن الطيب العجلي بحلوان ، سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الله الدامغاني بها يقول: سمعت ابن سلام المعروف بحسن بن علوية الواعظ، سمعت ابا زكريا يحيى بن معاذ الرازي يقول : بدء امري في سياحتي ، خرجت من الري فوقع في قلبي شأن المؤنة ، فتفكرت في نفسي ، فإذا بهاتف يهتف في قلبي :

أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب .

وحدثني ابو عبد الله المروزي بورزو ، قـــال : سمعت الشيخ أبا مدين شعيب نزيل بجاية يقول : من عرف الله من الجيب ، رزقه من الجيب ، ومن عرفه من الغيب ، رزقه من الغيب .

وروينا من حديث ابن ثابت، قال : انا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، نبأ محمد بن عبد الله بن بهلول الفقيه ، نبأ احمد بن علي بن أبي حميرة ، قال : سمعت سهل بن عبد الله يقول : حرام على قلب ان يدخله النور ، وفيه شيء مما يكره الله عز وجل .

روينا من حديثه ايضاً ، قال: انا محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد البزار، حدثنا جعفر بن محمد بن نصير ، نبأ ابو العباس احمد بن مسروق الطوسي ، قال : حدثني يحيى الجلا ، وكان من عباد الله الفاضلين، قال : سمعت بشراً، يعني الحافي ، يقول لجلسائه : سيحوا فإن المـاء اذا ساح طاب ، واذا وقف تغيّر وأصفرّ .

ومن حديثه ، قال : انا احمد بن الحسين بن السمّاك ، سمعت ابا بكر البرقيّ بدمشق يقول: سمعت ابا بكر الدقاق يقول: بني امرنا هذا على اربع: لا نأكل إلا عن فاقة ، ولا ننـام إلا عن غلبة ، ولا نسكت إلا عن خيفة ، ولا نتكلم إلا عن وجد .

وحدثنا ابن ثابت، قال : اخبرنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري ، قال : أنا محمد بن عبد الله المذكور ، قال : سمعت أبا القاسم البصري بهراة يقول : مَن لم يكن في حاله قوياً ، وبمعروفه غنياً ، صار وقته فوتاً، وحياته موتاً .

ولنا من باب من التذّ بالهوى :

لذيذ الهوى مرٌّ لدى كل جاهل كما مرُّه حلوٌ لدى كل عاقلِ
فيا رب لا تخلي فؤادي من الهوى ولا تخلني ما عشتُ من عذل عاذل
تطيبُ لنا الذكرى إذا ذكرت لنا فعيش الفتى في البين ذكر العواذل
فما أعذبَ التعذيبَ ممن أحبُّه فكيف مذاق الحبّ عند التواصل
يلطّفني لطفاً وظرفاً ورقـةً ويورثني الاقدام عند النوازل
فما لي لا أهوى الهوى والذّه وفيه إذا انصفت كل الفضائل

ولنا من هذا الباب :

لكل شخص من هواه في هواه مـــا نوى
إن النعيم بالهوى ليس النعيم بالجوى
الحزن من اثاره وسلب اسباب القوى
والوجد والتهيام والتـ بريح من حكم الهوى
وصاحب السلطان في ما قد ذكرناه الهوى

ومن باب من سال الشفاء من الهوى :

ما رويناه من قول مجنون بني عامر :

وما سرّني أني خليٌّ من الهوى على أن لي ما بين شرق الى غربِ
فهذا دعائي كل يومٍ وليـلةٍ بطول الليالي او أُغيّب في التراب
فلا خفف الرحمن ما بي من الهوى ولا رفع الرحمن من حبّكم جنبي
ولا خير في حبّ بغير بليّةٍ ولا خير فيمن لم يمت من جوى الحب

ومنه مع وجود اللذة به :

مرارة الحبّ طعم الحب أيسرها وقد وجدتُ أمر الحبّ أحلاه
ومشفق جاء مسروراً بتهنئةٍ فلم يرم ان بكى حزناً وعزّاه

ولأبي جعفر الشطرنجي :

تحبّب فإن الحبّ داعية الحب فكم من بعيدٍ وهو مستوجب القرب
وأطيبُ ايام الهوى يومك الذي يقدّر فيه بالعتاب وبالعتب
تفكر فإن حدّثت ان اخا الهوى نجا سالماً فارجُ النجاة من الحب

وأنشدنا ابو القاسم بن مرتين لبعضهم :

ولي فؤادٌ إذا طال العذابُ به هام اشتياقاً الى لقيا مُعذبه
يفديك صبٌ لو يكون له أعزّ من نفسه شيئاً فداك به

ولو هب في معناه :

تعمل الاجفان بالدعج عمل الصهباء في المهج
قل لظبي يسترقّ له مهج الاحرار بالدعج
انت والاجفان ما لحظت من فتور العين في حرج
كيف أدعو الله أسأله فرجاً ممن به فرجي

كتاب ابي بكر الصديق رضي الله عنه الى اهل اليمن يحرّضهم على غزو الروم بالشام وما قالوا في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من خليفة رسول الله ﷺ الى من قرىء عليه كتابي من المؤمنين ، والمسلمين من اهل اليمن ، سلام عليكم ، أما بعد :

فإني احمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد ، وأمرهم أن ينفروا خفافاً ، وثقالاً ، قال الله تعالى « جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » فالجهاد فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين الى جهاد الروم بالشام ، وقد سارعوا الى ذلك ، وعسكروا ، وخرجوا ، وأحسنت في ذلك نيتهم ، وعظمت في الخير حسنتهم ، فسارعوا عباد الله الى فريضة ربكم، والى احدى الحسنيين ، أما الشهادة ، وأما الفتح والغنيمة ، فإن الله لم يرض من عباده بالقول دون العمل ، ولا يترك اهل عدوانه حتى يدينوا بالحق ، ويقرُّوا بحكم الكتاب ، او يؤدوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، حفظ الله لكم دينكم ، وهدى قلوبكم ، وزكى اعمالكم ، ورزقكم اجر المجاهدين ، والصابرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعث بهذا الكتاب مع انس ، قال الرملي :

فحدّثنا الحسين بن زياد ، عن ابي اسمعيل احمد بن عبد الله ، عن محمد بن يوسف ، عن ثابت البنّاني ، عن انس قال :

أتيتُ اهل اليمن جناحاً جناحاً ، وقبيلةً قبيلةً ، اقرأ عليهم كتاب ابي بكر رضي الله عنه ، فإذا فرغت من قراءته قلت : الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وإن محمداً عبده ورسوله .

بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد فإني رسول المسلمين اليكم ، ألا وإني قد تركتهم معسكرين ، لم يمنعهم من الشخوص الى عدوّهم إلا انتظاركم ، فعجّلوا الى اخوانكم ، رحمة الله عليكم أيها المسلمون. قال : وكان كل من اقرأ عليه ذلك الكتاب، ويسمع

مني هذا القول ، يحسن الرد عليّ ويقول : نحن سائرون ، وكانا قد فعلنا ، حتى انتهيت الى ذي الكلاع ، فلما قرأتُ عليه الكتاب ، وقلتُ هذا المقال، دعا بسلاحه ، وفرسه ، ونهض في قومه من ساعته ، ولم يؤخر ذلك ، وأمر بالعسكر ، فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من اهل اليمن، وسارعوا ، فلما اجتمعوا اليه قام فيهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلىّ على النبي ﷺ ، ثم قال :

أيها الناس إن من رحمة الله إياكم ونعمته عليكم ، إن بعث فيكم رسولاً ، وأنزل عليكم كتاباً ، فأحسن عنه البلاغ ، فعلمكم ما يرشدكم ، ونهاكم عما يفسدكم ، حتى لا يفسدكم ، حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ورغبكم في الخير في ما لم تكونوا ترغبون ، ثم قد دعاكم اخوانكم الصالحون الى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم ، فلينفر من أراد معي النفر الساعة ، فنفر بعدد من أهل اليمن كثير ، وقدموا على ابي بكر . قال : فرجعنا نحن فسبقناه بأيام، فوجدنا ابا بكر رضي الله عنه بالمدينة ، ووجدنا ذلك العسكر على حاله ووجدنا ابا عبيدة يصلي بأهل ذلك العسكر . فقدمت حمير على ابي بكر ، ومعها نساؤها ، وأولادها ، ففرح ابو بكر بمقدمهم، فلما رآهم ابو بكر قال:

عباد الله ، ألم نكن نتحدث فنقول : إذا أقبلت حمير تحمل اولادها ، ومعها نساؤها ، نصر الله المسلمين ، وخذل المشركين ، فابشروا أيها المسلمون فقد جاءكم النصر من الله . قال : وجاء قيس بن هبيرة بن مكسوح المرادي ، وكان من فرسان العرب في الجاهلية ، ومن اشرافهم ، وأشدّائهم ، ومعه جمع كثير من قومه ، حتى اتى أبا بكر ، فسلم عليه ، ثم جلس اليه ، فقال لأبي بكر : ما تنتظر ببعثة هذه الجنود ؟ فقال ابو بكر : ما كنا ننتظر إلا قدومكم . قال : فقد قدمنا فابعث الناس الاول فالأول ، فإن هذه البلدة

ليست ببلدة خفٍ ولا كراع . قال : فخرج ابو بكر يمشي ، فدعا يزيد بن ابي سفيان ، فعقد له ، ودعا زمعة بن الاسود بن عامر من بني عامر بن لؤي فعقد له ، وأوصاهم ، وبعثهم ، كما ذكرنا في كتابنا هذا .

كريم اخلاق دليل على طيب اعراق :

روينا من حديث المالكي . قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز ، نبأ المضاء ابن الجدود ، عن محمد بن عبد الله القرشي ، عن ابيه ، قال ابو الدرداء :

ما من رجل من المسلمين ، إذا اصبح ، الا اجتمع هواه ، وعمله ، فإن كان هواه تابعاً لعمله ، فيومه صالح ، وإن كان عمله تابعاً لهواه ، فيومه يوم شر .

من عمل على قوله ﷺ :

« كل امرٍ لا يبدأ فيه بذكر الله فهو اجذم » .

روينا من حديث الدينوري ، نبأ محمد بن موسى ، عن ابيه . قال : سمعت الاصمعي يقول : قال حميد الطويل :

ما سايرت ثابتاً البناني في حاجة قط ، إلا كان اول ما يبدأ به سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر ، ثم يذكر حاجته .

ومن حديثه ايضاً ، عن يزيد بن اسمعيل ، عن قبيصة ، عن سفيان الثوري ، إن جعفر بن محمد قال :

إذا جاءك ما تحبّ ، فأكثر من الحمد لله . وإذا جاءك ما تكره ، فأكثر

من لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإذا استبطأت الرزق ، فأكثر من الاستغفار . قال سفيان : فانتفعت بهذه المواعظ .

أما مسلم بن الحجاج فذكر في صحيحه إن النبي ﷺ كان يقول في السرّاء:

الحمد لله المنعم المتفضل ، وكان يقول في الضرّاء : الحمد لله على كل حال .

من راقب الله في حال القضاء حذراً من سوء القضاء :

رَوينا من حديث ابن مروان عن عليّ بن الحسين بن عبد العزيز ، عن ابن عائشة قال :

نظر شريح الى رجـل يقوم على رأسه وهو يضحك ، وشريح في مجلس القضاء ، فقال : لِمَ تضحك وأنت تراني أتقلّبُ بين الجنّة والنار ؟

وصية عليّ بن عبَيْدِ للمأمون في الحسد :

دَاوِ الحسَدَ اذا وجدت حسّه بقمعه بالتوبيخ ، وَصغر قدرَ مَنْ عرفته به . فانه لا يدفـع النعمة عن المحسود ، ولا تصل إليك ، ولو زالت عنه . وعلى كل مخلوق نعمة ، وانْ خفيَتْ عليك . والنّعمُ أنواعٌ ، وضروب ، ما يبلي الله في النفس من السّلامة ، ويهبُ من العافية ، في الجوارح افضل من عرض الدّنيا ، وربّ حاسِدٍ لمنْ هو في أعظم من نعمته التي حسده عليها ، فلو شغل بشكر ما أعْطى ، كان أجدى عليه في المزيدِ ، وفي الحسد اثنتان: كمد يثلم القلبَ . وكدَر يحدث في العيش . ورأيتُ البغيَ من جهـل المعرفة لسرعة نصر الله لمن بغى عليه ، وهو من فروع الحسَد . واياكَ أنْ تضيفه قلبك ليلة ، أو تقيمَ به يومـــاً واحداً . فان صرعة صاحبه لا تقال . وكاد يكون بمعزل من حفظ الله ، وغير مصاحب بالصّنع .

موعظة لبعض الاعراب ، بما تؤول اليه الدنيا من الخراب :

روينا من حديث الخرائطي قال : حدّثنا ابراهيم بن الجنيد ، نبأ محمد بن الحسين ، سمعتُ الأصمعيّ يقول :

سمعتُ أعرابياً يذكر قوماً تغيّرت أحوالهم ، وتبدّد شملهم . يقول : نزلت دورهم العبرة بعدَ الحبرة . وأيام السرور فتنة الأحزان . ثم قال :

وأنشدني أبو محمد المريمي :

ان عيشاً إلى الفناء مصيره لحقيقٌ ان لا يدومَ سُروره
وسرورٌ يكون آخره المو ت سواءٌ طويله وقصيرُهُ

حكمة من جعل حسن الصورة نعمة :

روينا من حديث الأصمعِيّ قال : قال بعضهم التمس حوائجك من صباحِ الوجوه ، فانّ حسن الصورة اوّل نعمةٍ تلقاك من الرّجل .

روَينا من حديث المالكيّ، عن ابراهيم الحربيّ ، قال: نبأ داودُ بن رشيد قال : كان يقول : عنوان صحيفة المسلم حسن خلقه .

قال المالكيّ : وحدّثنا عبد الرحمن بن معروف ، عن داود بن مجبر قال: قالَ بعض الحكماء : صدرك اوسع سرّك ، فانّ سرّك من دمك ه . من صحت ديانته تمت مروءته، لأن الديانة تصده عن المحارم، وتحثه على المكارم . من الكرم حسن العفو عن سهو الذنوب ، وترك البحث عن سوء العيوب . الفعل نتيجة العقل . والعقل نتيجة الشرف . كن بعيد الهمم اذا طبت ، كريم الظفر اذا غلبت . جميل العفو اذا قدرت . كثير الشكر اذا ظهرت .

ان من الشريعة ان تبجل أهل الشريعة. ومن الصنيعة ان ترب أهل الصنيعة. لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وثيرته، وعرفت فضيلته، وبينت عقله عيب خفي يحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله. فانك لن تجد ما بقيت مهذباً لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب. واعتبر بنفسك بعد أن لا تراها بعين الرضا. ولا تجر فيها على حكم الهوى. فان في اعتبارك بها، واختيارك لها، ما يرشدك لما تطلب، احسن رعاية الحرمات. واقبل على أهل البيوتات. فان رعاية الحرمة تدل على كرم الشيمة، والاقبال على ذوي المروءة يعرب عن شرف الهمة. احسن الى من كان له قدم في الأصل، وسابقة في الفضل. ولا يزهدنك فيه سوء ادبار الدولة عنه، فانك لا تخلو في اصطناعك له، واحسانك اليه، من نفس حرة تملك رقها. ومكرمة توفي حقها. فان الدنيا تجبر كما تكسر[1] وتقبل كما تدبر. من زرع خيراً حصد أجراً. ومن اصطنع أجراً استفاد شكراً. من شرائط المروءة أن تتعفف عن الحرام، وتتنظف من الآثام، وتنصف في الحكم. وتكف عن الظلم، ولا تؤثر دنيا على شريف. ولا تسن ما يعقب الوزر والاثم، ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم.

وروينا من حديث ابن ثابت قال: نبأ ابو بكر احمد بن محمد بن جعفر الاخرم، انا ابو علي عيسى بن احمد بن محمد الطوماري، نبأ محمد بن يونس، نبا عبد الله بن داود التمار، نبأ اسمعيل بن عباس، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن ابي امامة قال:

---

(١) نسخة: الدولة تقبل.

قال رسول الله ﷺ :

عليكم بلباس الصوف ، تعرفون به في الآخرة ، وان لباس الصوف يورث في القلب التفكر ، والتفكر يورث الحكمة ، والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم. فمن كثر تفكره قل طعمه، وكلّ لسانه . ومن قل تفكره كثر طعمه، وعظم بدنه ، وقسى قلبه ، والقلب القاسي بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، قريب من النار .

ما روينا من حديثه أيضاً قال : نبأ محمد بن الحسين بن احمد الاهوازي قال : سمعت ابا بكر الدنف الصوفي يقول :

سمعت جامع بن احمد يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : ليكن بيتك الخلوة ، وطعامك الجوع ، وحديثك المناجاة . فاما أن تموت بدائك ، أو تصل الى دوائك .

موعظة مالك بن دينار لوالي البصرة :

من حديث ابن ثابت قال : حدثنا علي بن المظفر الاصفهاني ، انا حبيب ابن الحسين ، نبأ محمد بن احمد السطوني ، عن حسن بن جعفر بن سليمان الضبعي ، عن ابي جعفر بن سليمان قال :

مرّ والي البصرة بمالك بن دينار يرفل ، فصاح به مالك : مُرّ واقل من مشيتك هذه . فهمّ خدمه به فقال : دعوه ، ثم قال له : ما أراك تعرفني ؟ فقال له مالك : ومن أعرف بك مني ؟ اما اوّلك نطفة مذرة ، واما آخرك فجيفة قذرة . ثم أنت بينهما حامل العذرة . فعرف الوالي لي صحة ما قاله . وأن وضع القول موضعه . فاستحى ، ونكس رأسه ، وانصرف .

ومما قيل في باب النسيب هـ :

يا مَنْ شكا ألماً في الحبّ شبّهه في القلب بالنار منْ شوق وتذكار
إني أعظّمُ ما بي أن اشبّهَه بمـا يقاس الى مِثلٍ ومقدارِ
للحبّ نارٌ على قلبي مضرّمـةٌ لا تبلغ النار منها عشرُ معشار

وقال الآخر في معناه هـ :

يحنُّ إلي مَن بالعقيقين قلبه حنيناً يبكّي الورق في غصن السدرِ
تنفست [١] لما باح قلبي بذكره فأمسكت من خوف الحريق على صدري
ووالله لو فاضت على الصدر عبرتي لأحرق أدنى حرّها لهبُ الجمر

ولنا في هذا المعنى من قصيدة هـ :

لو نفس مـن هوايَ هو على جمر لظى أحرقتـه انفاسي
ولو تجارتْ للحبّ خيل هوى فازت به في السّبق افراسي

وقال الصنوبري :

دخول النـار للمهجور خيرٌ من الهجر الذي هو يتقيهِ
لأن دخوله في النـار أدنى عذاباً من دخول النـار فيه

وقال الآخر :

لو كان قلبي من نار لأحرقهُ لأن احزانه ازكى من النارِ
الماء ينبعُ منها في محاجرها يا للرجال لماءٍ فاض من نار

---

(١) نسخة ٢ : تنفس .

وقال الآخر :

للشوق في مضمر الأحشاء ناران ... وللمدامع في خدّيّ خدّانِ
نار تضرّم احشائي بلوعتها ... ونار شوق تفيضُ الدمعَ منشان
فالقلب في حرق الأحشاء محترق ... فناظري غرقٌ في ماء اجفاني
فمن رأى الماء للنيران مقترناً ... تمازجا وهما في الأصل ضدان

حديث ابي بكر الصديق رضي‌الله عنه مع الصحابة وما قالوا له حين حدث نفسه بغزو الروم :

روينا من حديث الرملي ، قال : نبأ الحسن بن زيد الرملي ، نبأ محمد بن عبد الله الأزدي البصري ، قال : لما دوح الله العرب ، وانتهت الفتوح من كل وجه الى ابي بكر ، واطمأنت العرب بالاسلام ، وأذعنت به ، واجتمعت عليه ، حدّث ابو بكر نفسه بغزو الروم ، فأسرّ ذلك في نفسه ، فلم يطلع عليه احداً . فبينما هو في ذلك إذ جاءه شرحبيل بن حسنة ، فقال : يا خليفة رسول الله أتحدّث نفسك ان تبعث الى الشام جنداً ؟ فقال : نعم . قد حدّثت نفسي بذلك ، وما أطلعت عليه احداً ، وما سألتني عنه إلا لشيء عندك . فقال : أجل ، اني رأيت فيما يرى النائم ، كأنك في ناس من المسلمين فوق جبل ، فأقبلت تمشي معهم حتى صعدت على قبّة عالية على الجبل ، فأشرفت على أناس ، ومعك اصحابك اولئك ، ثم هبطت من تلك القبة الى ارض سهل دمثة ، فيها القرى ، والعيون ، والزرع ، والحصون ، فقلت : يا معشر المسلمين ، شنّوا الغارات على المشركين ، فأنا ضامن لكم الفتح والغنيمة . وأنا فيهم ، ومعي راية ، فتوجهت الى قرية ، فدخلتها ، فسألوني الأمان ، فأمّنتهم ، ثم جئت ، فوجدتك قد انتهيت الى حصن عظيم ، ففتح لك ،

وألقوا اليك السّلم ، وجعل لك عرش ، فجلست عليه ، ثم قال لك قائل : قاتل يفتح الله لك وتنصَر ، فاشكر ربك ، واعمل بطاعته، ثم قرأ عليك : « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيتَ الناس يدخلون في دين الله افواجاً فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » قال : ثم انتبهت .

قال له ابو بكر : نامت عينك ، ثم دمعت عينا ابي بكر رضي الله عنه. فقال : انما الجبل الذي رأيتنا نمشي عليه حتى صعدنا منه الى القبّة العالية ، فأشرفنا على الناس ، فإنا نكابد من أمر هذا الجند مشقّة ، ويكابدونا ، ثم يعلو بعد ، ويعلو أمرنا ، وأن نزولنا من القبّة العالية الى الارض السهلة الدمثة ، والزروع ، والحصون ، والعيون ، والقرى ، فإنّا ننزل الى أمر اسهل مما كنا فيه من الخصب ، والمعاش . وأما قولي : شنوا عليهم الغارة ، فإني ضامن لكم بالفتح،والغنيمة، فإن ذلك توجهي المسلمين الى بلاد المشركين، وأمري إياهم بالجهاد في سبيل الله . وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها الى قرية من قراهم ، فدخلتها ، فاستأمنوك ، فأمّنتهم ، فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ، ويفتح الله على يديك. وأما الحصن الذي فتح الله على يديّ، فهو ذلك ، يفتح الله على يدي . وأما العرش الذي رأيتني جالساً عليه ، يرفعني الله ويضع المشركين . وأما أمري بطاعة ربي،وقرأ عليّ هذه السورة، فإنه نعي إليّ نفسي ، فإن هذه السورة حين انزلت على رسول الله ﷺ ، علم أن نفسه نعيت اليه . ثم سالت عينا أبي بكر رضي الله عنه ، فقال :

لآمرنّ بالمعروف ، ولأنهيّن عن المنكر ، ولأجاهدن من ترك امر الله عزّ وجل ، ولأجهزّن الجيوش الى العادلين بالله في مشارق الارض ومغاربها ، حتى يقولوا : الله احد ، ويؤدّوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، فإذا توفاني

ربي ، لم يجدني مقصّراً ، ولا في ثواب الجاهدين زاهداً ، ثم انه امر الأمراء، وبعث الى الشام على ما ذكرنا في هذا الكتاب .

قال محمد بن عبد الله البصري : لما حدثت بهذا الحديث، فحدثني الحارث ابن كعب ، عن عبد الله بن ابي اوفى الخزاعي ، وكانت له صحبة ، قال : لما أراد ابو بكر تجهيز الاجناد الى الشام، دعا بعمر، وعثمان ، وعلي وطلحة، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص ، وأبي عبيدة بن الجراح ، ووجوه المهاجرين ، والانصار ، من اهل بدر ، وغيرهم ، فدخلوا عليه ، وأنا فيهم . فقال :

إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه، ولا تبلغ الاعمال جزاءها ، فلله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم ، قد جمع كلمتكم ، وأصلح ذات بينكم ، وهداكم الى الاسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا بالله ، ولا تتخذوا إلهاً غيره ، فالعرب بنو أم وأب ، وقد أردت أن أسفّرهم الى الروم بالشام ، فمن هلك منهم هلك شهيداً ، وما عند الله خيرٌ للأبرار، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عزّ وجل ثواب المجاهدين ، هذا رأيي الذي رأيت . فأشار عليّ امرءٌ بمبلغ رأيه .

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ . ثم قال :

الحمد لله يخص بالخير من شاء من خلقه ، والله ما استبقنا الى شيء من الخير قط إلا سبقتنا اليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أردت لقاءك لهذا الأمر ، والرأي الذي ذكرت ، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن . فقد أصبت وأصاب الله بك سبل الرشاد ، سرب اليهم الخيل

في اثر الخيل ، وأبعث الرجال تتبعها الرجال ، والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله عزّ وجل ناصر دينه ، ومعزّ الاسلام ، وأهله ، ومنجز مـا وعد رسوله ﷺ .

ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال :

يا خليفة رسول الله ﷺ ، إنما الروم ، وبنو الاصفر حدّ حديد ، وركن شديد ، والله مـا أرى أن تقحم الخيل عليهم اقحاماً ، ولكن تبعث الخيل تغير عليهم في اداني أراضيهم ، ثم تبعثها فتغير ، ثم ترجع اليك ، فإذا فعلوا ذلك اضرّوا بعدرّهم ، وغنموا من أداني أراضيهم ، فقووا بذلك على قبالهم ثم تبعث الى اقاصي أهل اليمن ، والى اقاصي ربيعة ومضر ، فتجمعهم اليك جمعاً ، فإن شئت بعد ذلـك غزوتهم بنفسك ، وإن شئت بعثت على غزوهم غيرك ، ثم جلس ، وسكت ، وسكت الناس .

فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه : مـا ترون رحمكم الله ؟ فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فحمد الله ، وأثنى عليه بمـا هو أهله ، وصلى على النبي ﷺ ثم قال :

اني أرى انك لأهل هذا الدين مشفق ، وإذا رأيت رأياً لعامتهم رشداً ، وصلاحاً ، وخيراً ، فأعزم على امضائه ، فإنك غير ظنين ، ولأمتهم .

فقال طلحة ، والزبير ، وسعد وأبو عبيدة وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين ، والانصار : صدق عثمان فيما قال .

ما رأيت من امرٍ فامضه ، فإنا سامعون لك مطيعون، لا نخالف أمرك، ولا نتّهم رأيك ، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك ، فذكروا هذا وشبهه، وعلي بن ابي طالب في القوم لا يتكلم .

فقال له ابو بكر : ما ترى يا ابا الحسن؟ قال : أرى انك مبارك ميمون الناصية ، وإنك ان سرت اليهم بنفسك ، او بعثت اليهم نصرت إن شاء الله فقال له ابو بكر : بشرك الله بخير ، من أين علمت هذا ؟

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه، حتى يقوم الدين، وأهله ظاهرين.

فقال ابو بكر رضي الله عنه : سبحان الله ما احسن هذا الحديث ، لقد سررتني سرّك الله في الدنيا والآخرة .

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبي ﷺ ، وقال :

أيها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالاسلام ، وأعزّكم بالجهاد ، وفضّلكم بهذا الدين على اهل كل دين ، فتجهّزوا عباد الله الى غزو بلاد الروم بالشام ، فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لهم عليكم ، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا اميركم[1] ولتحسن نيتكم ، وسيرتكم ، وطعمتكم « فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » قال : فسكت الناس فوالله ما أجابه احد هيبة لغزو الروم ، لما يعلمون من كثرة عددهم ، وشدة شوكتهم .

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله ﷺ إذا دعاكم لما يحييكم ؟

---

(١) نسخة : امراءكم .

فقام خالد بن سعيد بن العاص ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال :

الحمد لله الذي لا إله الا هو، بعث محمداً بالهدى « ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » فان الله منجز وعده ، ومعز دينه ، ومهلك عدوه . ثم أقبل على ابي بكر فقال : إنا غير مخالفين لك ، ولا متخلفين عنك ، وأنت الوالي الناصح الشفيق ، ننفر اذا استنفرتنا ، ونطيعك اذا أمرتنا ، ونجيبك اذا دعوتنا . ففرح ابو بكر بمقالته ، وقال له : جزاك الله من أخٍ خيراً ، فقد أسلمت مرتغباً ، وهاجرت محتسباً ، وهربت من دينك من الكفار ، لكي يطاع الله ورسوله ، وتكون كلمة الله هي العليا ، فسِر رحمك الله .

قال : فتجهّز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز ، ثم أتى أبا بكر وعنده من المهاجرين والأنصار أجمع ما كانوا ، فسلّم على ابي بكر رضي الله عنه ، ثم قال : والله لأخرّ من رأس حالق ، او يخطفني الطير في الهواء بين السماء والأرض أحب إليّ من أن أبطىء عنك ، او أخالف أمرك ، والله ما أنا في الدنيا راغب ، ولا على البقاء فيها بحريص ، وإني اشهدكم اني ، وإخواني ، وفتياني، ومن أطاعني من أهلي، حبيس في سبيل الله تعالى،مقاتل المشركين، ابداً ، حتى يهلكهم الله ، او نموت عن آخرنا .

فقال له ابو بكر : خيراً . ودعا له المسلمون بخير . وقال له ابو بكر : اني لأرجو أن تكون من نصحاء الله في عباده، بإقامة كتابه ، واتّباع سنّة نبيه ﷺ .

فخرج هو ، وأخوته ، وغلمانه ، ومن تبعه من أهل بيته . وكان اول من عسكر ، فأمر ابو بكر بلالاً فنادى في الناس : أن انفروا الى عدوّكم

بالشام . وأرسل الى يزيـــد بن ابي سفيان ، والى ابي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وشرحبيل بن حسنة ، فقال : اني باعثكم في هـذا الوجه ، ومؤمّركم على هذه الجنود ، وأنا موجّه مع كل رجل منكم من الرجال مـــا قدرت عليه ، فإذا قدمتم البلد ، ولقيتم العدو، واجتمعتم على قتالهم ، فأميركم ابو عبيدة بن الجراح ، وإن لم يلقكم ابو عبيدة ، وجمعكم حرب ، فأميركم يزيد بن ابي سفيان . فانطلقوا ، فتجهزوا .

فانطلق القوم يتجهزون. وكان خالد بن سعيد من عمال رسول الله ﷺ ، فكره الإمارة ، واستعفا أبا بكر ، فأعفاه . ثم ان النـــاس خرجوا الى معسكرهم من عشرة وعشرين، وثلاثين وأربعين، وخمسين ، ومائة في كل يوم، حتى اجتمع الناس ، وكثروا . فخرج ابو بكر ذات يوم ومعه رجـــال من اصحابه كثير، حتى انتهى الى عسكرهم، فرأى عدة حسنة، ولم يرضَ كثرتها للروم، فقال لأصحابه : ماذا ترون في هؤلاء ؟ أترون أن نشخصهم الى الشام في هذه العدة ؟ فقـــال له عمر : ما أرضى هذه العدة لبني الأصفر . فأقبل ابو بكر على اصحابه فقال لهم : ماذا ترون ؟ فقالوا : نحن نرى ايضاً مـــا رأى عمر : فقـــال ابو بكر : أفلا نكتب كتاباً الى اهل اليمن ندعوهم الى الجهاد ونرغبهم في ثوابه ؟ فرأى ذلك جميع الصحابة . فقـــالوا له : نعم مـــا رأيت . فكتب اليهم ، فأجـــابوه ، وأقبلوا ، وتجهزوا الى الشام . فكان الفتوح ، والنصر . وقد ذكرنا ذلك كله في كتابنا هذا .

وصية عثمان بن عفان رضي الله عنه :

روينا من حديث الاصمعي عن العلاء بن الفضل ، عن ابيه ، قال : لمـــا قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فتشوا خزانته ، فوجدوا فيهـــا صندوقاً

مقفولاً ، ففتحوه ، فوجدوا فيه حُقة فيها ورقة مكتوب فيها : هذه وصية عثمان بن عفان : يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النـار حق « وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيـه ، إن الله لا يخلف الميعاد » عليها نحيا ، وعليها نموت ، وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين برحمة الله .

وروينا من حديث الخرائطي ، قـال : حدثنا علي بن داود ، نبـأ محمد ابن عبد العزيز الرملي ، نبأ محمد بن خميس ، عن عبد العزيز الزهري ، عن طاوس ، قال : جاء رجل الى محمد بن يوسف وهو على اليمن ، فقـــال : إن معي صفة الأبنية ، وهو قبر من قبور الجاهلية . قال طاوس : فأرسلني معه ، فأتينا موضعاً ، فحفروا ، فإذا بابٌ ، ودرجة ، واذا بامرأتين ناشرتي الشعر على سريرين ، وعليهما حِبَرات مكففات بالديباج ، وبينهما عسيب من فضة ، مكتوب بالذهب : أنا حنا ، وهذه اختي رضوى ابنتـا تُبَّـع ، متنا لا نشرك بالله شيئاً .

انتهى بحمد الله وعونه كتاب « المسامرات » للعالِم العامل ،
القطب الواصل ، العارف الغارف ، من بحر المعارف
سيدي محي الدين بن العربي الحاتمي الطائي ،
نفعنا الله به وبعلومه ، آمين

فهرس

المجلد الثاني

الموضوع	صفحة
من باب الحياء	٥
من باب الصبر	٥
موعظة في هذا الباب	٥
من كلام علي بن ابي طالب (ع)	٦
من كتاب التراجم	٦
في الحكمة القديمة	٦
أبيات حبسة في التوكل	٩
قصيدة عاصم بن محمد الكاتب	١٠
ما روي في سبب عزل الحجاج بن يوسف عن مدينة الرسول	١١
رؤيا آمنة ام رسول الله في وقت حملها به وما قيل لها فيه	١٤
لطف خفي من لطيف بعبد مهين ضعيف	١٩
نعت معشوق	٢٠
شعر في الوطن	٢٠
خبر عبد الله بن الثامر والأخدود من حديث ابن اسحق	٢١
وممن قتله القرآن	٢٣
ومن باب البكاء عند رؤية القبر	٢٤
رؤيا المنصور أمير المؤمنين	٢٥

من حسن التلطف في المكاتبة ٢٨
من حسن الجواب ٢٨
حكم ٢٩
من أشراط الساعة ٣١
رؤيا سهل بن عبد الله التستري ٣٣
من باب قول الله عز وجل وشاورهم في الأمر ٣٤
حكمة ٣٥
ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم ٣٦
قصيدة لعمرو بن الحارث الجرهمي ٤٠
قصيدة لحسان بن ثابت الأنصاري ٤١
قصيدة الخطاب بن نفيل ٤٢
من مكارم ابن المبارك ٤٢
من باب حنين الإبل ٤٤
حماية إلهية ٤٥
من باب هوان الدنيا على أهل الله ٤٦
فتوة ومروءة ٤٧
استنصار دوس ذي ثعلبان قيصر ملك الروم على ذي نواس ٤٨
واقعة لبعض الفقراء ٥٣
حكاية من لم يقيد جوارحه أتعب قلبه ٥٥
خبر الحية الطائفة بالبيت ٥٩
ما جاء من الحكم في مثل هذه الواقعة ٦١
خبر حية أخرى طائفة بالبيت ٦٢
خبر الحية الشهيدة العابدة ٦٢
خبر شق وسطيح مع ملك اليمن ٦٤
رؤيا الموبذان وارتجاج الإيوان ٦٦

خبر ظريف في الحنين الى الوطن	٦٩
من حديث مكة بعد خزاعة وولاية قصيّ بن كلاب البيت الحرام	٧١
اعتراف عارف في أشرف المواقف	٧٧
وممن مات حياء من الله تعالى	٧٧
من باب من دعا ربه في حياة قلبه	٧٨
خبر النجباء	٨١
من باب المواعظ على مجالس الذكر والصبر على الحق	٨٢
ذكر اسلام الجارود	٣٨
من حديث انس بن مالك	٩٥
من جيد الشعر في الجود والشجاعة	٩٦
تاريخ فتح عمورية	١٠٦
من سير عمر بن الخطاب	١٠٩
من مواعظ علي بن ابي طالب (ع)	١١١
من مواعظ سعيد بن عامر لعمر	١١٢
حكاية عن ملك زهد في الدنيا	١١٣
قصة يحيى بن توغان ملك تلمسان	١١٤
مما وعظ به كعب الأحبار عمر بن الخطاب	١١٦
موعظة اعرابي للرشيد	١١٧
من مكارم الأخلاق	١٢١
حكمة بالغة	١٢١
من الكلام الأشد في وصف الأسد	١٢٦
مكتوب في الحكمة	١٢٨
كتاب رسول الله الى قيصر ملك الروم	١٢٩
من وقائع بعض الفقراء	١٣٥
من محاسن المخاطبة	١٣٦

وصية بمكارم الأخلاق	١٣٨
من باب من طرد فلزم حتى قبل	١٣٩
في شرف التواضع والعلم	١٤٠
في قوله تعالى « كنتم خير أمة »	١٤١
موعظة	١٤٤
خبر وحي عيسى عليه السلام	١٤٥
وصية نبوية	١٤٨
تذكرة عاقل وتنبيه غافل	١٤٩
من حسن العهد ومكارم الأخلاق	١٥٠
من باب فضل ومؤاساة أهل البيت	١٥١
من حج من خلفاء بني العباس	١٥٢
من حميد الخصال	١٥٨
موطن شكر	١٥٩
محل صنائع المعروف	١٦٠
من باب الأخلاق ومكارمها	١٦١
من عفا عن قدرة	١٦٢
حكاية في معناها	١٦٣
كتاب رسول الله الى كسرى ملك فارس	١٦٤
أنس بعرفان وخلوة برحمان	١٦٦
ايقاع وحسن استماع	١٦٨
للشريف الرضي	١٦٩
من باب العناية الإلهية	١٧١
من باب حث النفس على المحامد	١٧١
خبر لخنبعة مع ذي نواس	١٧٣
رسالة الى أبو بكر الصديق الى علي بن أبي طالب	١٧٥

شرح ما وقع هذه الرسالة من فن غريب ١٩٠
أبو بكر الصديق ١٩٩
عثمان بن عفان ١٩٩
علي بن أبي طالب (ع) ١٩٩
ذكر ما روي عن العشرة الذين هم أكابر الصحابة من الحديث ٢٠٠
ما روى أهل البيت ونساؤه وخدمه ومواليه ٢٠١
خبر قصي لما اسن وما صنع مع اولاده ٢٠٥
ومما سمع من بكاء الجن على عمر بن الخطاب ٢٢١
ومما بكت الجن به عثمان بن عفان ٢٢٣
لسان كريم ٢٢٦
المعرفة أشرف من صفة ٢٢٧
خطبة سليمان بن عبد الملك ٢٣٠
خبر خولة بنت حكيم مع عمر بن الخطاب ٢٣١
حديث ابي ذر مع عبد الله بن عامر ٢٣٢
حديث ملك متقدم ٢٣٣
سؤال معاوية لضرار أن يصف علياً ٢٣٦
من كلام عمر بن عبد العزيز ٢٣٨
ما كلم به ابو مسلم الخولاني معاوية ٢٣٩
خبر الخضر في مسجد النبي ٢٤٦
خبر الشجرة التي سلمت على رسول الله ٢٥٣
من وقائع بعض الفقراء ٢٥٧
خبر مناة ٢٦١
ما يقول القبر في كل يوم وليلة ١٦٣
رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة ٢٦٦
وصية نبوية ٢٧٣

مثل ثائر	٢٨٣
ما جاء في صورة جبريل التي خلق عليها	٢٨٨
انتشار ولد اسماعيل وعبادتهم الحجارة	٢٨٩
خبر هبل الصنم الذي كان بالكعبة	٢٩١
من باب الأجواد والهمم العالية	٢٩٥
خبر الظبية التي كلمت رسول الله ﷺ	٣١٢
ولاية بني اسماعيل الكعبة وأمر جرهم	٣١٣
من آثر آخرته على دنياه	٣٢١
خبر رويناه في مواقف يوم القيامة	٣٢٤
من زعم ان ذا القرنين حميري	٣٣٧
من منشور الحكم وميسور الكلم	٣٤٣
أحسن ما قيل في المرحاض	٣٤٥
شيب رسول الله	٣٤٩
اسلام خزيم بن فاتك	٣٥١
وصية عمر بن الخطاب	٣٥٣
عجائب بيت المقدس	٣٥٥
من شذوذ الحكم	٣٥٩
وصية أبي بكر الصديق	٣٦٠
غزوة عبد الله بن جحش الأسدي	٣٦٢
بناء عبد الملك بن مروان قبة الصخرة	٣٦٦
من باب الأخبار النبوية	٣٨٠
ذكر غزاة مسلمة بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم	٣٨٧
تأديب عمر بن عبد العزيز مسلمة بن عبد الملك	٤٠٦
من أخبار عمر بن عبد العزيز	٤٠٧
حكمة	٤١٠

لبعض الشعراء في الوطن ٤١١
من جواهر الكلم ٤١٥
وصية نوح لابنه ٤١٧
كلام لبعض اخواننا فيمن أفناه الشوق ٤١٩
مبشرة خير تدل على فتح ونصر ٤٢٠
ذكر كعب الأحبار ٤٢٢
من باب التذكير والنصائح ٤٢٦
خبر نبوي في مكارم الأخلاق ٤٣٣
حديث حسن مروي عن الحسن ٤٣٦
خبر الرجفة التي كانت ببيت المقدس ٤٣٨
من حكم وهب بن منبة ٤٣٩
من فصيح كلام العرب ٤٤٠
من أزاهر الحكم ٤٤٦
حكاية الضادي ٤٥٢
خليفة أمن وعدل ٤٥٣
من باب النصائح ٤٥٤
حكم منثورة ٤٥٨
رؤيا عاتكة عمه الرسول ﷺ ٤٦١
قدوم حمير على أبي بكر ٤٦٥
من باب النسيب ٤٦٥
خبر اسحق بن طلحة بن عبيد الله مع خرقة بنت النعمان ٤٦٧
زيادة عمر بن الخطاب في مسجد المدينة ٤٧٣
ومما قيل فيمن عشق فعف ٤٧٦
من الأخبار النبوية ٤٧٨
من محاسن الكلام ٤٨٠

من باب عز النفس بالغنى بالله ٤٨١
من الحكمة النافعة ٤٨٣
كتاب ابي بكر الى اهل اليمن يحرضهم على غزو الروم ٤٨٦
وصية علي بن عبيد المأمون في الجسد ٤٩٠
موعظة لبعض الاعراب ٤٩١
موعظة مالك بن دينار لوالي البصرة ٤٩٣
حديث ابي بكر الصديق مع الصحابة ٤٩٥
وصية عثمان بن عفان ٥٠١
فهرس المجلد الثاني ٥٠٣

مطبعة النجوى — بيروت — تلفون : ٢٩٣٥١٤

UNIV.-BIBL.
- 9 MRS 1970
UPSALA